

البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
المتوفى بالبصرة في المحرم سنة ٢٥٥ هـ
الجزء الأول



شركة بناء شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• **المكتبة العصرية**

الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355

تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 00961 1

بيروت - لبنان

• **الكتاب العربي**

بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221

تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 00961 7

صيدا - لبنان

• **المطبعة العصرية**

كفر جرة - طريق عام صيدا جزين

07 230195 - 7 230841 00961

تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 00961 1

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

هـ 1437 - 2016

Copyright© all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.alassrya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد اعتادت دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر أن تنشر كنوز التراث الإسلامي والعربي، بعناية ورعاية أبناء مؤسسها المرحوم السيد شريف الأنصاري. وها هي تقدم للقارئ العربي الكريم كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ أحد أهم أعلام الأدب العربي في العصر العباسي.

والكتاب كنز ثمين لما حواه من خطب للنبي ﷺ وخلفائه الراشدين وبعض صحابته والتابعين من كبار رجال القرنين الهجريين الأول والثاني - رضي الله تعالى عنهم أجمعين. فضلاً عما اشتمل عليه من مختارات شعر ينم عن ذوق أديب فنان للشعراء الجاهليين والإسلاميين والمولدين كبشار بن برد وأبي نواس والعتابي وأبي تمام من الشعراء المتأخرين الذين عاصروا الجاحظ؛ وقد يترجم لبعضهم أو يلقي الضوء على بعض الزوايا الخفية من حياة بعضهم التي لا توجد إلا عنده، إما لمعاصرته لهؤلاء أو لقرب حياتهم من حياته.

وغالباً ما يعمد إلى تفسير بعض المفردات الواردة في الاستشهاد؛ وبالمناسبة فإن مصادر استشاداته، معظمها من علماء بصريين، ولكنه يروي كثيراً عن ابن الأعرابي الكوفي، وبخاصة مادته الشعرية. كما أن عنايته واهتمامه بأعمال المعتزلة الشعرية تبدو للقارئ الكريم ظاهرة للعيان.

ومما يؤخذ على الجاحظ أمور منها: التكرار، فقد يورد الاستشهاد أكثر من مرة، وربما مرات عديدة. ومن آثاره السيئة في الأدباء المتأخرين ذكره النكات البذيئة، وغايته في ذلك الترويح عن النفس من عناء المتابعة والإضحاك.

وبالجملة فالكتاب كنز لا يمكن لطلاب المعرفة الإستغناء عنه، فهو عمدة الدراسة الأدبية ولا يزال نبعاً ثراً يقتبس منه العالم والطالب على السواء.

نأمل من الله عزّ وجلّ حسن الثواب والأجر، والله المستعان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم
عونك اللهم وتيسرك

تقديم

مؤلف الكتاب هو: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، ينتسب إلى كنانة بالولاء. ولد في البصرة سنة ١٦٣ هـ = ٧٨٠ م، وتوفي فيها سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م. من رجال الاعتزال، ورأس الفرقة الجاحظية التي انتسبت إليه.

ترك من الكتب مائة وخمسة وسبعين. ومن أهمها:

كتاب الحيوان في أربعة مجلدات.

كتاب البيان والتبيين.

كتاب البخلاء.

كتاب المحاسن والأضداد. وغيرها.

وممن كتب في الجاحظ: - أبو حيان التوحيدي «تقريظ الجاحظ».

- شفيق جبر «الجاحظ معلم العقل والأدب».

- حسن السندوبي «أدب الجاحظ».

- فؤاد أفرام البستاني «الجاحظ».

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢: ٢١٢، إرشاد الأريب ٦: ٥٦ - ٨٠، وفيات

الأعيان ١: ٣٨٨، أمراء البيان: ٣١١ - ٤٨٧.

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل. ونعوذ بك من

التكلف لما لا نُحسِن كما نعوذ بك من العُجب بما نُحسِن. ونعوذ بك من السَّلاطَة^(١)

والهَدَر^(٢) كما نعوذ بك من العِي^(٣) والحَصَر^(٤) وقديماً ما تعوّدوا بالله من شرّهما

(١) سلاطة اللسان: بذاء وحدة القول.

(٣) العي: عدم القدرة على الإفصاح.

(٢) هذر الكلام: كلام لا طائل له.

(٤) الحَصَر: الحُبْسة وعدم القدرة على النطق.

وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما. وقد قال النَّمِر بن تولب^(١) : ما جاء في العِي : [الوافر]

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا
وقال الهذلي^(٢) :

ولا حَصِرٌ بِخَطْبَتِهِ إِذَا مَا عَزَّتِ الْخُطْبُ
وقال مكِّي بن سودة :

حَصِرٌ مُسَهَّبٌ جَرِيٌّ جَبَانٌ خَيْرُ عِيٍّ الرِّجَالِ عِيِ السُّكُوتِ
وقال الآخر :

مَلِيٌّ بِبُهْرٍ^(٣) وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ
ومما ذَمُّوا به العِي قوله :

وما بي من عِيٍّ ولا أَنْطَقُ الْخَنَا إِذَا جَمَعَ الْأَقْوَامَ فِي الْخُطْبِ مَحْفَلٌ
وقال الراجز وهو يَمْتَحُ^(٥) بِدَلْوِهِ :

عَلِقْتُ^(٦) يَا حَارِثُ عِنْدَ الْوَرْدِ^(٧) بِجَابِيٍّ^(٨) لَا رَفِيلٍ^(٩) التَّرْدِي^(١٠)
ولا عِيٍّ بِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ
وهذا كقول بَشَّار الأعمى^(١١) :

[المقارب]
وعِيُّ الْفِعَالِ كَعِيِّ الْمَقَالِ وَفِي الصَّمْتِ عِيٌّ كَعِيِّ الْكَلِمِ

(١) النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العُكَلِي : من الشعراء المخضرمين المعمرين . وفد على النبي ﷺ مسلماً ، وقد طعن في السن ، توفي في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٤هـ = ٦٣٥م . لم يؤثر عنه مدح ولا هجاء . انظر ترجمته في : الإصابة : ت ٨٨٠٤ ، الشعر والشعراء : ١٠٥ .

(٢) هو : أبو دؤيب ، خويلد بن خالد بن محرث ، من بني هذيل بن مدركة من مضر من مخضرمي الشعراء . هاجر إلى المدينة وشارك بالفتوحات الإسلامية ، توفي في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، نحو سنة ٢٧هـ = نحو ٦٤٨م . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء : ٢٥٢ ، الأغاني ٥٦/٦ .

(٣) تدافع النفس وتوقفه من شدة التعب . (٤) عُثْنُون : اللحية .

(٥) يمتح دلوه : يخرج منه البئر . (٦) علقت : أحببت .

(٧) الورد : المجيء إلى حيث يوجد الماء . (٨) الجابىء : المقبل فجأة .

(٩) الأرفل : الجاهل . (١٠) التردى في البئر : الوقوع فيه .

(١١) هو بشار بن برد ، أبو معاذ ، اعتقته امرأة عقيلية ، فانتسب إلى عقيل بالولاء . نشأ في بني عقيل في البصرة ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، انتقل إلى البصرة يمدح خلفاءها . اتهم بالزندقة فجلد بالسياط حتى مات سنة ١٦٧هـ = ٧٨٤م . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١١٢/٧ ، الشعر والشعراء : ٢٩١ .

وهذا المذهب شبيه بما ذهب إليه شُتَيْم بن خُوَيْلِد^(١) في قوله :
ولا يشعَبون^(٢) الصَّدْعَ^(٣) بعد تفاقم^(٤) وفي رَفَقِ أَيْدِيكُمْ لذي الصَّدْعِ شاعِبُ
وهذا كقول زِيَان بن سيار^(٥) :

[الطويل]
ولسنا كأقوام أَجَدُّوا رِيَاةً يُرِيغُونَ^(٦) فِي الْخِصْبِ الْأُمُورَ وَنَفْعُهُمْ
يُرَى مَالُهَا وَلَا يُحَسُّ فِعَالُهَا قَلِيلٌ إِذِ الْأَمْوَالُ طَالُ هَزَالُهَا^(٧)
وَقُلْنَا بَلَا عِيٍّ وَسُسْنَا بِطَاقَةٍ إِذِ النَّارُ نَارُ الْحَرْبِ طَالُ اشْتِعَالُهَا
لأنهم يجعلون العجز والعي من الخرق كانا في الجوارح أو في الألسنة . وقال ابن
أحمر الباهلي^(٨) :

[الكامل]
لو كنتُ ذا علم علمتُ وكيف لي بالعالم بعد تَدْبِيرِ الْأَمْرِ
ما جاء في الصمت :

وقالوا في الصمت كقولهم في المنطق . قال أحيحة بن الجلاح^(٩) :
[مجزوء الكامل]
وَالصَّمْتُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى مَالٌ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهُ^(١٠)
وَالْقَوْلُ ذُو خَطْلٍ^(١١) إِذَا مَالٌ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ
وقال محرز بن علقمة :

[الوافر]
لقد وارى المقابر من شريك كثير تحلّم وقليل عاب^(١٢)

(١) هو شتيم بن خويلد الفزاري شاعر جاهلي ذكره المفضل الضبي في «المفضليات» . انظر ترجمته في :
خزانة البغدادي ١٦٤/٤ .

(٢) لا يشعبون : لا يصلحون .

(٣) الصدع : الشق .

(٤) تفاقم : تعاضم ، كبر .

(٥) زِيَان بن سيار بن عمرو بن جابر من فزارة : شاعر جاهلي ، ذكره المفضل الضبي في «المفضليات» انظر
ترجمته في : طبقات الشعراء لابن سلام : ٩٤ .

(٦) يُرِيغُونَ : يطلبون .

(٧) هزأها : ضعفها .

(٨) هو : أبو الخطاب عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي من مخضرمي الشعراء ، أسلم وشارك في
الفتوح في بلاد الروم ، وأصيب إحدى عينيه ، ونزل في بلاد الشام مع خالد بن الوليد ، وله مدائح في
عمر وعثمان وعلي وخالد رضي الله عنهم ، مات أيام عبد الملك بن مروان نحو سنة ٦٥هـ = ٦٨٥م .
انظر ترجمته في : الإصابة : ت ٦٤٦٨ . الأغاني ، طبعة الدار ٢٣٤/٨ ، الشعر والشعراء : ١٢٩ .

(٩) هو : أبو عمرو ، أحيحة بن الجلاح بن الحريش من الأوس ، كان سيد يثرب (المدينة) شاعر جاهلي
قديم من دهاة العرب وشجعانهم . مات نحو سنة ١٣٠ ق .هـ = نحو ٤٩٧م . انظر ترجمته في :
الأغاني ١١٥/١٣ ، خزانة الأدب للبغدادي ٢٣/٢ .

(١٠) يشينه : يعيبه .

(١١) خطل القول : سفيهه .

(١٢) العاب لغة في العيب .

صُمُوتاً في المجالس غير عَيٍّ
جديراً حين ينطق بالصَّواب
وقال مكي بن سودة:

[الوافر]

تَسْلَمَ بالسُّكُوتِ مِنَ الْعُيُوبِ
وَيَرْتَجِلَ الْكَلَامَ ^(١) وَلَيْسَ فِيهِ
فَكَانَ السَّكْتُ أَجْلَبَ لِلْعُيُوبِ
سَوَى الْهَذْيَانِ ^(٢) مِنْ حَشْدٍ ^(٣) الْخُطِيبِ
وقال آخر:

[الطويل]

جَمَعَتْ صَنُوفَ الْعِيِّ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
أَبُوكَ مُعِمٌّ ^(٥) فِي الْكَلَامِ وَمُخُولٌ ^(٦)
وَكُنْتُ حَرِيّاً بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثْبٍ ^(٤)
وَخَالُكَ وَثَابٌ ^(٧) الْجَرَائِمِ ^(٨) فِي الْخُطْبِ
وقال حميد بن ثور الهلالي ^(٩):

[الطويل]

أَتَانَا وَلَمْ يَعْدِلْهُ سَحْبَانٌ وَائِلٌ ^(١٠)
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ ^(١١) حَتَّى كَأَنَّهُ
سَحْبَانٌ مِثْلُ فِي الْبَيَانِ وَبَاقِلٌ مِثْلُ فِي الْعِيِّ وَلَهُمَا أَخْبَارُ. وَقَالَ آخَرُ:

[الرجز]

مَاذَا رُزِّنَا ^(١٣) مِنْكَ أُمَّ الْأَسْوَدِ
وَهِيَ صَنَاعٌ ^(١٦) بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ
مِنْ رَحْبِ الصَّدْرِ وَعَقْلٍ ^(١٤) مُثْلِدٍ ^(١٥)

[الرجز]

لَوْ صُحِبْتُ شَهْرَيْنِ دَأْباً ^(١٨) لَمْ تُمَلِّ
وَجَعَلْتُ تُكْثِرُ قَوْلَ لَا وَبَلِّ

وقال آخر ^(١٧):

- (١) ارتجل الكلام: قاله على البديهة.
- (٢) الهذيان: الهذر في القول في حالة الجنون.
- (٣) حشد: جمع.
- (٤) كثب: قرب.
- (٥) معم: كريم العم.
- (٦) مخول: كريم الخال.
- (٧) وثاب: قادر على التخلص والانتقال من موضوع إلى آخر ببسر.
- (٨) الجرائيم: الأصول.
- (٩) الشعر لحميد الأرقط، وهو شاعر إسلامي أموي، عاصر الحجاج، غير حميد بن ثور الشاعر المخضرم الذي أسلم وتوفي نحو سنة ٣٠ هـ = نحو ٦٥١ م.
- (١٠) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة من كبار الخطباء عند العرب، وهو من المخضرمين أسلم في زمن النبي ﷺ، أقام في دمشق في عهد معاوية حيث توفي. انظر ترجمته في: الإصابة: ٣٦٥٨، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٦٥.
- (١١) اللقم: سد الفم.
- (١٢) هو باقل الإيادي: جاهلي، مثال العي عند العرب. انظر ترجمته في: مجتمع الأمثال: ٣٢٩/١.
- (١٣) الرزء: المصيبة.
- (١٤) العقل: الدية.
- (١٥) مُثْلِدٌ: الموروث من مال ومتاع وغيره.
- (١٦) الصناع: الماهرة في عملها.
- (١٧) هو: أبو الخطاب عمر بن عيسى البهدي، شاعر عاصر الرشيد.
- (١٨) دأباً: استمراراً.

حُبُّكَ لِلْبَاطِلِ قَدْ شَغَلَ كَسْبُكَ عَنْ عِيَالِنَا قُلْتُ أَجَلُ
تَضَجُّراً مِنِّي وَعِيّاً بِالْحَيْلِ

قال: وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسي^(١): أي شيء أستر للعي؟ قال عقل
يجمله. قالوا: فإن لم يكن له عقل؟ قال: فمال يستره. قالوا: فإن لم يكن له مال؟ قال:
فإخوان يعبرون عنه. قالوا: فإن لم يكن له إخوان يعبرون عنه؟ قال: فيكون ذا عي وصمت.
قالوا: فإن لم يكن ذا صمت؟ قال: فموت وَحْيٍ^(٢) خير له من أن يكون في دار الحياة.

دعاء موسى:

وسأل الله موسى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته
والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحُبسة
التي كانت في بيانه ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾^(٣) وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن
تعلق فرعون بكل سبب واستراحته إلى كل شُعب ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد^(٤)
معاند وعلى كل مختال مكاید حين خبرنا بقوله ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ
يُبِينُ﴾^(٥) وقال موسى عليه السلام ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَى﴾^(٦) وقال ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾^(٧) رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة
والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس إليه
أسرع وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة. والله عز وجل
أن يمتحن عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل ويبلو^(٨) أخبارهم كيف أحب من المكروه
والمحسوب ولكل زمان ضرب من المصلحة ونوع من المحنة وشكل من العبادة. ومن
الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد والحُبسة قوله ﴿قَالَ رَبِّ
أَشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِّي وَزيراً مِّنْ أَهْلِ هَؤُلَاءِ أَخِي
أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾^(٩) إلى قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾^(١٠) فلم تقع
الاستجابة على شيء من دعائه دون شيء لعموم الخير. وسنقول في شأن موسى عليه
السلام ومسأله في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(١) برز جمهر بن البختكان أحد حكماء الفرس وهو الذي روى نقل كتاب كليله ودمنة من السنكريتية
الهندية القديمة إلى اللغة الفارسية.

(٢) الموت الوحي: الموت السريع الزعاف.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٧.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٣.

(٨) يبلو: يختبر، يمتحن.

(٤) الجاحد: المنكر، الكافر.

(٩) سورة طه، الآيات: ٢٥ - ٣٢.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

(١٠) سورة طه، الآية: ٣٦.

(٦) سورة القصص، الآية: ٣٤.

ما نزل في البيان من قرآن:

وذكر الله تعالى جميل بلائه في تعليم البيان. وعظيم نعمته في تقويم اللسان. فقال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١) وقال ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢) ومدح القرآن بالبيان والإفصاح. وبحسن التفصيل والإيضاح. وبجودة الإفهام. وحكمة الإيلاج. وسماه فرقانا. وقال عربي مبين. قال ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٣) وقال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) وقال ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ نَفْصِيلًا﴾^(٥).

وذكر الله تعالى لنبهه حال قريش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول. وذكر العرب وما فيها من الدعاء والنكراء والمكر ومن بلاغة الألسنة واللدن^(٦) عند الخصومة فقال ﴿إِذَا ذَهَبَ الْحَافِرُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَائٍ﴾^(٧) وقال ﴿وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٨) وقال ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٩) وقال ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١٠). ثم ذكر خلاصة ألسنتهم واستمالتهم الإسماع بحسن منطقهم فقال ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾^(١١) ثم قال ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١٢) مع قوله ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(١٣) وقال الشاعر في قوم يحسنون في القول ويسئون في العمل قال أبو حفص أنشدني الأصمعي^(١٤) للمكعب الضبي^(١٥):

[الطويل]

كَسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُلْهَى^(١٦) بِهِ الْمَحْرُوبُ^(١٧) وَهُوَ عَنَاءُ

-
- (١) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.
 (٢) سورة طه، الآية: ١١٣.
 (٣) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
 (٤) سورة النحل، الآية: ٨٩.
 (٥) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.
 (٦) اللدن: الشدة في الخصام والجدال.
 (٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.
 (٨) سورة مريم، الآية: ٩٧.
 (٩) سورة المنافقون، الآية: ٤.
 (١٠) سورة الزخرف، الآية: ٥٨.
 (١١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.
 (١٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.
 (١٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.
 (١٤) الأصمعي: هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع من باهلة، أبو سعيد. ولد في البصرة سنة ١٢٢هـ = ٧٤٠م وبها توفي سنة ٢١٦هـ = ٨٣١م. كان يحادث الرشيد العباسي له من الكتب: «الأضداد»، «فعلت وأفعلت»، «الأصمعيات». وغيرها كثير. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠، إنباه الرواة ١٩٧/٢ - ٢٠٥.
 (١٥) المكعب الضبي: هو حريث بن عفو، كما جاء في حواشي الكامل، ونفس البيت منسوب إلى ولده محرز بن المكعب في كتاب الحماسة.
 (١٦) يلهى: يعلل.
 (١٧) المحروب: من سلب ماله.

وقيل لذهوهما ما تقول في خزاعة. قال جوع وأحاديث. وفي شبهه بهذا المعنى قال أفنون بن صريم التغلبي^(١):

[البسيط]

لو أنني كنت من عادٍ ومن إرمٍ غَذيَّ قَيْلٍ^(٢) ولُقمانٍ وذِي جَدَنٍ^(٣)
لَمَا وَقُوا بِأَخِيهِمْ مِنْ مُهَوَّلَةٍ أَخَا السَّكُونِ وَلَا حَادُوا عَنِ السَّنَنِ
أَتَى جَزَوْا عَامِراً سُوءاً بِفَعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السَّوْأَى مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَعْطَى الْعُلُوقَ بِهِ رُئْمانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ
ورئمان أصله الرقة والرحمة. والرؤم أرق من الرؤف. فقال رئمان أنف كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن.

أدب الضيافة عند العرب:

ولأن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الإكرام. وقالوا تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤكلة. وقال شاعرهم وهو حاتم الطائي^(٤):

[الطويل]

سلي الجائع الغرثان^(٥) يا أمَّ مُنْذِرٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي
هَلْ أَبْسَطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذِلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
وقال الآخر:

[الرجز]

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ فَتَى وَخَيْرُهُمْ لَطَارِقٍ^(٦) إِذَا أَتَى
وَرُبَّ نَضْوٍ^(٧) طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً مَا اشْتَهَى
إِنْ الْحَدِيثُ جَانِبٌ مِنَ الْقَرَى

وقال الآخر^(٨):

[الطويل]

لِحَافِي لِحَافُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعُ

(١) هو: صريم بن معشر بن ذهل بن تميم، شاعر تغلبي جاهلي، يمني الأصل، كان موته في بادية الشام نحو سنة ٦٠ ق.هـ = نحو سنة ٥٦٤ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ١٥٩، شعراء النصرانية: ١٩٢.

(٢) القيل: لقب لملوك اليمن، وجمعه أقيال.

(٣) هو: علس بن يشرح بن الحارث بن صيفي بن سبأ جد بلقيس الملكة، وهو أول من غنى باليمن، والجدن حسن الصوت.

(٤) هذا لعروة بن الورد، أحد الشعراء الصعاليك وليس لحاتم الطائي. انظر ديوان عروة.

(٥) الغرثان: شدة الجوع. (٦) الطارق: الضيف النازل في الليل.

(٧) نضو: المنهوك من شدة الجوع.

(٨) هو: عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان: من شعراء الجاهلية الصعاليك. مات نحو سنة ٣٠ ق.هـ = نحو ٥٩٤ م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ٧٣/٣، الشعر والشعراء: ٢٦.

أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع
ولذلك قال عمرو بن الأهتم^(١) :

[الطويل]

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق
وقال الآخر :

[الطويل]

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب^(٢)
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

ثم قال الله تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا﴾^(٣) وقال ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(٤) وقال ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾^(٥) وقال ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾^(٦) وعلى هذا المذهب قال ﴿وَلَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾^(٧) وقد قال الشاعر :

[الكامل]

يتقارضون إذا التقوا في موقفٍ نظراً يُزيلُ مواقع الأقدامِ

اللسان أداة البيان :

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٨) لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهم . وكلما كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد . والمفهم لك والمفهم عنك شريكان في الفضل . إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظاهر هذه القضية وجمهور هذه الحكومة إلا في الخاص الذي لا يذكر والقليل الذي لا يشهر . وضرب الله مثلاً لعي اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى : ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٩) ولذلك قال النمر بن تولب^(١٠) :

وكلُّ خليلٍ عليه الرِّعَاثُ^(١١) والحُبَلَاتُ^(١٢) ضعيفٌ مَلِيقُ

(١) هو : عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري ، من سادات العرب في الجاهلية والإسلام . وفد على النبي ﷺ ، مسلماً فلقي إكراماً وحفاوة . توفي سنة ٥٧ هـ = ٦٧٧ م . انظر ترجمته في : الإصابة : ت ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء : ٢٤٠ .

(٢) جديب : محل ، عكس الخصيب . (٣) سورة الطور ، الآية : ٣٢ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ٢ . (٥) سورة الإسراء ، الآية : ٤٨ .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٦ . (٧) سورة القلم ، الآية : ٥١ .

(٨) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ . (٩) سورة الزخرف ، الآية : ١٨ .

(١٠) مرت ترجمته . (١١) الرعاث : الأقراط للنساء تتزين بها .

(١٢) الحبلات : جمع حبله ، أو له مضموم نوع من الحلى يجعل في القلائد .

وليس حفظك الله مضرّة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب . ومُمانئة(*) العي الحصر للبلغ المصقع^(١) في سبيل مُمانئة المنقطع المفحم للشاعر المفلق .

أمراض الكلام:

وأحدهما ألوم من صاحبه والألسنة إليه أسرع . وليس اللجلج^(٢) والتمتام^(٣) والألثغ^(٤) والفأفاء^(٥) وذو الحبسة^(٦) والحُكْلة^(٧) والرُّتْة^(٨) وذو اللفف^(٩) والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعي في مناظرة خصومة كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكّاء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار .

ما يكره في الخطباء:

ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق^(١٠) والتقوير^(١١) والتعقيب^(١٢) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عي يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبياناً يمازجه التزيد إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي القح^(١٣) . وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ وفي التحبير والارتجال أنه البحر الذي لا ينزح والغمر الذي لا يسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب^(١٤) أنه في مسلاخ^(١٥) التام الموفر والجامع المحكك وإن كان رسول الله ﷺ قد قال «إياي والتشادق» وقال «أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون»^(١٦) وقال «من بدأ جفا» وعاب الفدّادين^(١٧) والمتزידين في جهارة الصوت

(*) الممانئة: المباعدة في الغاية . (١) البليغ المصقع: البليغ المغلق الكلام .

(٢) اللجلج: المتردد في نطقه . (٣) التتمام: من يرد كلامه إلى التاء والميم .

(٤) الألثغ: هو من يميل لسانه من السين إلى التاء، أو من الراء إلى الغين .

(٥) الفأفاء: من يردد الفاء . (٦) ذو الحُبْسة: من لا يُسمع قوله .

(٧) الحُكْلة: عادم الإبانة والإفصاح في كلامه . (٨) العجلة في الكلام .

(٩) ذو اللفف: هو العي الذي إذا تكلم ملأ لسانه فمه .

(١٠) المتشديق: من تكلف البلاغة . (١١) التقصير: النطق بأقصى الحلق .

(١٢) التعقيب: تقصير الكلام . (١٣) الأعرابي القح: خالص العروبة .

(١٤) المنخوب: الجبان . (١٥) مسلاخ: صفة .

(١٦) المتفيهقون: هم الذين يتصنعون البلاغة بفتح أفواههم على وسعها .

(١٧) الفدّادين: شديدي الصوت .

وانتحال سعة الأشداق ورحب الغلاصم وهذل^(١) الشفاه وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر وفي أهل المدر أقل فإذا عاب المدري بأكثر مما عاب به الوبري فما ظنك بالمولد القروي؟ والمتكلف البلدي فالحصر المتكلف والعي المتزيد ألوم من البليغ المتكلف لأكثر مما عنده وهو أعذر لأن الشبهة الداخلة عليه أقوى. فمن أسوأ حالاً أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبي ﷺ نصاً وجعل النهي عن مذهبه مفسراً وذكر مقتله له وبغضه إياه.

معالجة لشغة الرء لدى واصل بن عطاء:

ولما علم واصل بن عطاء^(٢) أنه ألثغ فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع وأنه إذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن وأن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنثني إليه الأعناق وتزين به المعاني. وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنعو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ومع المحبة والاتساع في المعرفة ومع هدى النبیین وسمت^(٣) المرسلين وما يغشيه الله به من القبول والمهابة ولذلك قال بعض شعراء النبي ﷺ:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته بالخبر

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة إلى أن حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحُبسة وأسقط تلك المحنة. ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة - رام أبو حذيفة^(٤) إسقاط الرء من كلامه وإخراجها من حروف منطق فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأتى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلاً ولظرافته معلماً

(١) هذل الشفاه: إرسالها إلى أسفل.

(٢) هو: أبو حذيفة، واصل بن عطاء الغزال من موالي بني ضبّة أو بني مخزوم، أحد مؤسسي فرقة الاعتزال، ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ = ٧٠٠م وتوفي في البصرة سنة ١٣١هـ = ٧٤٨م. من كتبه: «أصناف المرجئة». «المنزلة بين المنزلتين». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٧٠/٢، تاريخ الإسلام للذهبي ٣١١/٥.

(٣) السمت: الوقار.

(٤) هو واصل.

لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له ولست أعني خطبه المحفوظة ورسائله المخدلة لأن ذلك يحتمل الصنعة وإنما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان .

ما تقع فيه اللثغة من الحروف :

واللثغة في الرء تكون بالغين والذال والياء . والغين أقلها قبحاً وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرفهم وعلمائهم . وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فإذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الرء . وقد ذكر ذلك أبو الطروق الضبي فقال :

[الطويل]

عليّمْ بإبدالِ الحُرُوفِ وقامعٌ لكلّ خطيبٍ يغلبُ الحقُّ باطلُهُ
وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جداً وفيه قال بشار الأعمى^(١) :

[البيط]

مالي أشايِعُ غَزَّالاً له عُنُقٌ كَنَقْنِقِ الدَّوِّ إن ولّى وإن مَثَلَا
عُنُقُ الزَّرَّافَةِ ما بالي وبالكمُ أَتَكْفُرُونَ رجالاً أَكْفَرُوا رَجَلا
فلما هجا واصلاً وصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين وقال :

الأَرْضُ مَظْلَمَةٌ والنَّارُ مُشْرِقَةٌ والنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَذْكَانَتِ النَّارِ
[البيط]

وكان واصل بن عطاء غزّالاً وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله ﷺ فقبل له وعليّ أيضاً فأنشد :

وما شَرُّ الثَّلاثَةِ أمِّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِي لَا تَصْحَبِينَا
[الوافر]

قال واصل بن عطاء عند ذلك «أما لهذا الملحد الأعمى المشنف^(٢) المكتني بأبي معاذ من يقتله . أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبيع^(٣) بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي» .

قال إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبد الكريم بن روح الغفاري : قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري : ألا تريان كيف تجنب الرء في كلامه هذا وأنتما للذي تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث^(١) جعل المشنف بدلاً من المرعث والملحد بدلاً من الكافر وقال إن الغيلة سجية من سجايا الغالية ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الرء . وقال لبعثت إليه من يبيع بطنه ولم يقل لأرسلت إليه . وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه .

(١) هو : أبو معاذ . بشار بن برد ، تقدمت ترجمته

(٢) المشنف : المرعث . (٣) بيع بطنه : بقره .

وكان إذا أراد أن يذكر البرّ قال القمح والحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال برّ أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . قال المتنخل الهذلي^(١) :

[البسيط]

لَا دَرَّ دَرِّيْ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قَرَفَ الْحَثِي^(٢) وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ
وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ^(٣) فِي مَدِيحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ^(٤) :

[الوافر]

لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَأَخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يَنَادِي
إِلَى رُذْجٍ^(٥) مِنَ الشَّيْزَى^(٦) عَلَيْهَا لِبَابُ^(٧) الْبُرِّ يُلْبِكُ^(٨) بِالشَّهَادِ^(٩)
وَقَالَ بَعْضُ الْقَرَشِيِّينَ يَذْكُرُ قَيْسُ بْنُ مَعْدٍ يَكْرُبُ^(١٠) وَمَقْدَمُهُ مَكَّةَ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

[الرجز]

قَيْسُ أَبُو الْأَشْعَثِ بِطَرِيقِ الْيَمْنِ لَا يَسْأَلُ السَّائِلَ عَنْهُ ابْنُ مَنْ
أَشْبَعَ آلَ اللَّهِ مِنْ بُرٍّ عَدَنُ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أترون أني لا أعرف رقيق العيش لباب البر بصغار المعزى . وسمع الحسن^(١١) رجلاً يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم . وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله ﷺ من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا .

(١) هو : مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي ، من مضر ، أبو أثيلة . انظر ترجمته في : الأغاني ١٤٥/٢٠ ، الشعر والشعراء : ٢٥٤ .

(٢) القرف ، بالكسر : القشر ، الحثي : سويق المقل ، وقيل رديئه ، كما قيل يابس .

(٣) هو : أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي : شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف كان على علم بكتب الديانات القديمة أدرك الإسلام ولم يسلم مات في السنة الخامسة من تاريخ الهجرة . انظر ترجمته في : الأغاني - طبعة دار الكتب ١٢٠/٤ ، الشعر والشعراء : ١٧٦ .

(٤) هو : عبد الله بن جدعان التيمي القرشي : أحد الأجداد المشهورين في الجاهلية . أدرك النبي ﷺ قبل البعثة . انظر ترجمته في : الأغاني ج ٣ و ٤ و ٨ و ٩ و ١٩ ، خزنة الأدب للبغدادي : ٥٣٧/٢ .

(٥) الرُذْج : جمع رداح : وهي الجففة العظيمة .

(٦) الشيزى : ضرب من الخشب الأسود تصنع منه القصاع .

(٧) اللباب : الخالص .

(٨) يُلْبِكُ : يُخْلَطُ .

(٩) الشَّهَاد : بالكسر جمع شهد ، وهو العسل .

(١٠) هو : قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة الكندي ، من قحطان : ملك جاهلي يمني . كان صاحب مرباع حضرموت . يلقب بالأشج ، لأثر شج في وجهه ، يكنى أبا الأشعث . وهو والد الأشعث بن قيس الكندي الذي وفد على النبي ﷺ مسلماً . انظر ترجمته في : خزنة الأدب للبغدادي : ٥٤٥/١ .

(١١) هو الحسن البصري .

اختلاف لغات الأمصار:

وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب . ولذلك نجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر . حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال: قال أهل مكة لمحمد بن المناذر^(١) الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغةً فصيحة إنما الفصاحة لنا أهل مَكَّةَ . فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقةً فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر بُرْمَة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور وقال الله عز وجل ﴿وَجِفَانِ كَلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾^(٢) . وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليّة وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحن نسماه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف وقال الله تبارك وتعالى: ﴿عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْنَةً﴾^(٣) وقال ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامُنُونَ﴾^(٤) . وأنتم تسمون الطلع الكافور والإغريض ونحن نسماه الطلع وقال الله عز وجل: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾^(٥) فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا .

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخريز ويسمون السميطة^(٦) الروذق ويسمون المصوص المزوز^(٧) ويسمون الشطرنج الاشتريج إلى غير ذلك من الأسماء .

وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة^(٨) بال وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمي أهل الكوفة الحوك^(٩) باذروج والباذروج بالفارسية والحوك كلمة عربية .

وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ويسمونها أهل الكوفة الجهار سوك والجهار سوك بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وإزار والوازار بالفارسية ويسمون القِثاء خياراً والخيار فارسية ويسمون المجذوم ويذي بالفارسية .

(١) هو: محمد بن مناذر، مولى بني جبير بن يربوع، من علماء اللغة، ومن معاصري الأصمعي وخلف الأحمر وأبي العتاهية .

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣ .

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٠ .

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٧ .

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٤٨ .

(٦) السميطة: ضرب من الآجر يقام بعضه فوق بعض .

(٧) المصوص: ضرب من الطعام، عبارة عن لحم مطبوخ ينقع في الخل، وقد يكون من لحم الطير .

(٨) المسحاة: آلة تستعمل للقس أو الجرف .

(٩) الحوك: البقلة الحمقاء .

ميل العامة إلى السهل من اللغات:

وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع^(١) والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب^(٢) ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة يفضلون بين ذكر المطر وذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعاً. والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج.

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر. ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه. وكذلك المثل السائر. وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه. ألا ترى أن العامة ابنُ القرية^(٣) أشهرُ عندها في الخطابة من سحبان وائل وعبيد الله بن الحر^(٤) أذكر عندهم في الفروسية من زهير بن ذؤيب وكذلك مذهبه في عنتره بن شداد^(٥) وعُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب^(٦) وهم يضربون المثل بعمر بن معد يكرب^(٧) ولا يعرفون بسطام بن قيس^(٨).

(١) الفقر المدقع: الشديد. (٢) السغب: شدة الجوع.

(٣) هو: أبو سليمان أيوب بن زيد، الأعرابي، يعد من مشاهير الخطباء، على أميته. قتل على أيدي الحجاج بن يوسف سنة ٨٤هـ.

(٤) هو: عبيد الله بن الحر بن عمرو الجعفي، من بني سعد العشيرة: قائد من الشجعان الأبطال. كان من أصحاب عثمان بن عفان ويعد مقتله أنحاز إلى معاوية. قاتل المختار الثقفي مع مصعب بن الزبير، ثم حلت بينهما جفوة فألقى بنفسه في الفرات مخافة أن يؤسر من قبل مصعب فمات غريقاً سنة ٦٨هـ = ٦٨٧م. انظر ترجمته في: طبقات الإسلام: ٥٩، خزانة الأدب للبغدادى ٢٩٦/١ - ٢٩٩.

(٥) هو: عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية بن فراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد، ورث السواد من أمه الحبشية زبيبة. اشتهر بحبه لابنة عمه عبلة. قتل سنة ٢٢ ق. هـ = نحو ٦٠٠م. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة دار الكتب ٢٣٧/٨، الشعر والشعراء: ٧٥.

(٦) هو: عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي: فارس تميم في الجاهلية. كان يلقب «سم الفرسان» و «صياد الفوارس». قتله ذؤاب بن ربيعة بن عبيد. انظر ترجمته في: جمهرة الأنساب: ١٨٤.

(٧) هو: عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن. وفد على المدينة مسلماً مع بني قومه، ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ثم عاد إلى حظيرة الإسلام ليقاتل في اليرموك والقادسية. واستشهد في بلاد الفرس سنة ٢١هـ = ٦٤٢م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٥٩٧٢، الشعر والشعراء: ١٣٨.

(٨) هو: بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، أبو الصهباء: سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في =

وفي القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرجبة والرهبة والمهاجرين والأنصار والجن والإنس .

قال قطرب^(١) أنشدني ضرار بن عمرو^(٢) قول الشاعر في واصل :
 وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمْحاً فِي تَصْرُفِهِ وَجَانِبَ الرَّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
 وَلَمْ يُطَقْ مَطْراً وَالْقَوْلُ يَعْجَلُهُ فَعَادَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقاً مِنَ الْمَطْرِ
 قال : وسألت عثمان البري كيف كان واصل يصنع في العدد . وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؟ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان ؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالي فيه قول إلا ما قال صفوان :

مُلَقَّنْ مُلْهِمَ فِيمَا يُحَاوِلُهُ جَمَّ خَوَاطِرُهُ جَوَابُ أَفَاقِ
 وأنشدني ديسم^(٣) قال : أنشدني أبو محمد اليزيدي^(٤) :

وَحَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْيَاءِاتِ إِنْ فُقِدَتْ^(٥) كَحَلَّةِ اللَّفْظِ فِي اللَّامَاتِ وَالْأَلْفِ
 وَخَصَلَّةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِي الْقَوْلِ وَالصُّحُفِ
 يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد . واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم . فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد .

ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزّال ومن نفي ذلك عنه :

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما أخبرنا به الأصمعي قال : أنشدني المعتمر بن سليمان^(٦) لإسحاق بن سويد العدوي :

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنَ الْغَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابِ
 [الوافر]

= الجاهلية . أدرك الإسلام ولم يسلم قتل على يدي عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة بعد البعثة النبوية سنة ١٠ ق. هـ = ٦١٢ م . انظر ترجمته في : الكامل للمبرد : ١٠٩ / ١ . الأمثال للميداني ٢ / ٢٢ .

(١) هو : محمد بن المستنير ، من علماء اللغة البصريين توفي سنة ٢٠٦ .

(٢) هو : ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ، وهو من تلاميذ واصل بن عطاء ، وقد اختلف مع أستاذه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر .

(٣) هو : ديسم الغنزي ، كان صديقاً لبشار كثيراً ما هجاه رغم حبه له .

(٤) هو : يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، أبو محمد ، اليزيدي ، بصري عالم من علماء العربية . سكن بغداد وصحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يؤدب ولده فنسب إليه . توفي بمرور سنة ٢٠٢ هـ = ٨١٨ م .

من كتبه : «المقصود والممدود» ، «النوادر» . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٤ / ١٤٦ ، المزهري ٢ / ٢٣٢ .

(٥) في رواية أخرى : إن ذكرت .

(٦) هو : معتمر بن سليمان بن طرخان (من موالي بني مرة) التيمي الدار ، أبو محمد : محدث البصرة في =

وَمَنْ قَوْمٌ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا
وَلَكِنِّي أَحِبُّ بِكُلِّ قَلْبِي
رَسُولَ اللَّهِ وَالصَّدِيقَ حَبِيبًا

[البسيط]

وفي ذلك قال بشار:

مَالِي أَشَايِعُ غَزَالًا لَهُ عُنُقُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلَ مَعْدَانَ الشَّمِيطِي (٢):

[الخفيف]

يَوْمَ تَشْفِي النُّفُوسَ مِنْ يَعْصِرِ اللُّؤْ
وَعَدِيَّ وَتَيْمِمُهَا وَثَقِيفَ
لَا حَرُورًا (٣) وَلَا النُّوَابِ (٤) تَنْجُو

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة (٥) وَيُكْفِّرُ جَمِيعَ
الْأَمَةِ وَكَانَ قَدْ قَالَ فِي تَفْضِيلِهِ عَلَى خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ (٦) وَشَبِيبِ بْنِ شَيْبَةَ (٧) وَالْفَضْلِ بْنِ
عِيسَى (٨) يَوْمَ خُطِبُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالِي الْعِرَاقِ:

[البسيط]

أَبَا حُدَيْفَةَ أُوتِيَتْ مَعْجَبَةٌ
وَأَنَّ قَوْلًا يَرُوقُ الْخَالِدِينَ مَعًا
مِنْ خُطْبَةٍ بَدَهَتْ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ
لِمُسَكَّتٍ مُخْرَسٍ كُلِّ تَحْبِيرِ (٩)

= عصره. كان حافظاً ثقة حدث عنه كثيرون. توفي سنة ١٨٧هـ = ٨٠٣م. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥.

(١) نقنت: صوت يفصل بينه مد وترجيع.

(٢) هو: أبو السري معدان الأعمى الشميطي المديري. نسب إلى فرقة الشميطية إحدى الفرق الشيعية الإمامية الرافضة، تنتمي إلى أحمر بن شميطة صاحب المختار، وقد قتلها معاً مصعب بن الزبير.

(٣) الحرورية: فرقة من فرق الخوارج.

(٤) في رواية أخرى «النواصب» وهذه الرواية أصح مما جاء ها هنا. والنواصب، والناصبية، وأهل النصب: المتدينون ب بغض علي، لأنهم نصبوا له أي عادوه.

(٥) الرجعة: أي الإيمان بعودة الإنسان إلى الدنيا بعد الموت.

(٦) هو: خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك. ولد ونشأ في البصرة. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح سنة ١٣٣هـ = ٧٥٠م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١/ ٢٤٣.

(٧) هو: شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنقري الأهممي، أبو معمر: أديب الملوك وجليس الفقراء، من أهل البصرة، كان ينادم خلفاء بني أمية ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم. توفي نحو ١٧٠هـ = نحو ٧٨٦م. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال ١/ ٤٤١.

(٨) هو: الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى: واعظ، من أهل البصرة، وهو من رؤساء المعتزلة، نسبت إحدى فرقهم إليه وكان قدرياً. مات نحو سنة ١٤٠هـ = نحو ٧٥٧م. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب: ٨/ ٢٨٣.

(٩) تحبير: تحسين.

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الرأ كانت مع ذلك أطول من خطبهم وقال بشار :

[البسيط]

تَكَلَّفُوا الْقَوْلَ وَالْأَقْوَامَ قَدْ حَفَلُوا
فَقَامَ مُرْتَجِلاً تَغْلِي بَدَاهَتَهُ ^(١)
وَجَانِبَ الرِّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ
وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة :

[الطويل]

فهذا بديه لا كَتَحْبِيرِ قَائِلٍ
إذا ما أَرَادَ الْقَوْلَ زَوَّرَهُ ^(٤) شَهْرًا
مدح واصل وتفضيله عمن سواه من الخطباء :

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه، فما زال غائباً حتى مات عمرو بن عبيد ^(٥) . وقال صفوان الأنصاري :

[الطويل]

مَتَى كَانَ غَزَّالٌ لَهُ يَا ابْنَ حَوْشِبٍ
أَمَا كَانَ عَثْمَانُ الطَّوِيلُ بْنُ خَالِدٍ
لَهُ خَلْفَ شُعْبِ الصِّينِ فِي كُلِّ ثَغْرَةٍ
رِجَالٌ دُعَاءٌ لَا يَفْلُ عَزِيمَهُمْ
إِذَا قَالَ مَرُّوا فِي الشِّتَاءِ تَطَاوَعُوا
بِهَجْرَةِ أَوْطَانٍ وَبَذَلٍ وَكُلْفَةٍ
فَأَنْجَحَ مَسْعَاهُمْ وَأَثَقَبَ زَنْدَهُمْ
وَأَوْتَادُ أَرْضِ اللَّهِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَمَا كَانَ سَحْبَانٌ يَشُقُّ غِبَارَهُمْ
غَلَامٌ كَعَمْرٍو أَوْ كَعِيسَى بْنِ حَاضِرٍ ^(٦)
أَوْ الْقَرْمُ حَفْصُ ^(٧) نَهْيَةٍ ^(٨) لِلْمَخَاطِرِ
إِلَى سُوْسِهَا ^(٩) الْأَقْصَى وَخَلْفَ الْبَرَابِرِ
تَهْكُمُ جَبَّارٌ وَلَا كِيدُ مَاكِرٍ
وإن كَانَ صَيْفًا لَمْ يَخَفْ شَهْرَ نَاجِرٍ ^(١٠)
وَشِدَّةَ أَخْطَارٍ وَكَدَّ الْمَسَافِرِ
وَأَوْزَى بِفُلْجٍ ^(١١) لِلْمُخَاصِمِ قَاهِرٍ
وَمَوْضِعُ فُتْيَاهَا وَعِلْمُ التَّشَاوُجِ
وَلَا الشُّدْقُ مِنْ حَيِّ هَلَالٍ بِنِ عَامِرٍ

(١) بداهته : سرعة القول لديه مع إجادته . (٢) القين : الحداد .

(٣) التصفح : قراءته . (٤) زوره : زوقه وحسنه .

(٥) هو : عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء ، أبو عثمان البصري ، زميل واصل بن عطاء ، من مؤسسي حركة الإعتزال . اشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره . توفي سنة ١٤٤ هـ = ٧٦١ م . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٢/١٦٦ - ١٨٨ طبقات المعتزلة : ٣٥ - ٤١ .

(٦) عيسى بن حاضر ، أحد رجال الإعتزال من زملاء واصل بن عطاء .

(٧) هو : حفص الفرد ، ذكر أنه من الجبرية ، مصري قدم البصرة .

(٨) واحدة النهي وهي العقول .

(٩) السوس : من بلاد المغرب .

(١٠) كل شهر في صميم الحر . (١١) الفلج : النجاح والصلاح .

ولا الناطقُ النَّحَّارُ^(١) والشيخ دِغْفَلُ^(٢)
ولا القالَةُ الأعْلَوْنَ رهط مكْحَلٍ
بجمعٍ من الجفّينِ راضٍ وساخِطٍ
الجفان بكر وتميم . والروقان بكر وتغلب . والغاران الأزد وتميم . قيل ذلك لكل
عمارة من الناس وهي جمع . والعمائر أيضاً غار . والجف أيضاً قشر الطلعة :
تَلَقَّبَ بِالْغَزَالِ واحدٌ عصره
ومن لَحْرُورِيٍّ^(٤) وآخرَ رافِضٍ^(٥)
وأمرٍ بمعروفٍ وإنكارٍ منكرٍ
يصيبون فصل القول في كل منطقٍ
تراهم كأنَّ الطيرَ فوقَ رؤوسهم
وسيماهمُ معروفةً في وجوههم
وفي رَكْعَةٍ تأتي على الليلِ كلِّه
وفي قَصِّ هُدَابٍ^(٨) وإحفاءٍ^(٩) شاربٍ
وعَنُقْفَةٍ^(١١) مَصْلُومَةٍ^(١٢) ولنعله
فتلك علامات تحيط بوصفهم

إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصرِ
إذا نطقوا في الصُّلح بين العشائرِ
وقد رَحفت برأؤهم^(٣) للمحاضرِ
فمن لليتامي والقبيل المكاثرِ
وآخر مُرْجِيٍّ^(٦) وآخر حائرِ
وتحصين دين الله من كل كافر
كما طبعَتْ^(٧) في العظم مُدْيَةُ جازِرِ
على عَمَّةٍ معروفةٍ في المعاشرِ
وفي المشي حُجَّاجاً وفوق الأباعرِ
وظاهر قول في مثال الضمائرِ
وكورٍ^(١٠) على شيبٍ يضيء لناظرِ
قبالانٍ^(١٣) في ردنٍ رَحيب الخواطرِ
وليس جهول القوم في جرم خابرِ

- (١) هو: النخار بن أوس بن أبيير بن عمرو، من بني الحارث بن سعد هذيم، من قضاة: خطيب عالم بالأنساب، كان معاصراً لجميل بن معمر. كان من ندماء معاوية. توفي نحو سنة ٦٠هـ = ٦٨٠م. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة الدار ١٣٧/٨، جمهرة الأنساب: ٤١٩.
- (٢) هو: دِغْفَلُ بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني: نسابة العرب. أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه، يضرب به المثل في معرفة الأنساب. وفد على معاوية فطلب منه أن يتولى ابنه يزيد ففعل. غرق يوم دولاب بفارس في وقعة الأزارقة سنة ٦٥هـ = ٦٩٥م. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣٢٨/١.
- (٣) جاء بدأؤهم بدلاً من برأؤهم. والأصح ما جاء في الرواية الأولى.
- (٤) الحروري: الخارجي.
- (٥) الرافض من الشيعة هو من رفض خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
- (٦) المرجي: من فرقة المعتزلة.
- (٧) في نسخة أخرى جاء «طبقت» بدلاً من «طبعت».
- (٨) هُدَابُ الثوب: طرفه مما يلي طرته.
- (٩) إحفاء الشارب: الاستقصاء في أخذه.
- (١٠) الكور على شيب: هو ما يغطي شيبة الرأس من العمام.
- (١١) العنقفة: شعيرات ما بين الشفة السفلى والذقن.
- (١٢) مصلومة: مصرومة، مقطوعة.
- (١٣) القبالان: ما يكون بين الأصبع الوسطى وما يليها.

وفي واصل يقول صفوان :

[الطويل]

فَمَا مَسَّ دِينَاراً وَلَا صَرَّ دَرَهْمًا وَلَا عَرَفَ الثَّوْبَ الَّذِي هُوَ قَاطِعُهُ

وفيه يقول إسباط بن واصل الشيباني ^(١) :

[الطويل]

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ سَمَّاكَ وَاصِلًا وَأَنْكَ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ ^(٢) وَالشَّيْمِ

الرد على بشار وهجاؤه :

ولما قام بشار يعذر إبليس في أن النار خير من الأرض وذكر واصلًا بما ذكره قال

صفوان :

[الطويل]

وَفِي الْأَرْضِ تَحْيَا بِالْحَجَارَةِ وَالزَّنْدِ

أَعَاجِيبُ لَا تُحْصَى بِخَطٍّ وَلَا عَقْدٍ ^(٤)

مَنْ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونِ ^(٥) وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

وَفِي الْغَيْضَةِ ^(٦) الْغَنَاءِ وَالْجَبَلِ الصَّلْدِ ^(٧)

وَكُلَّ سَبُوحٍ فِي الْغَمَائِرِ مِنْ جَدٍّ

عَلَى بَطْنِهِ مَشَى الْمُجَانِبُ لِلْقَصْدِ

تَمْعُجٍ ^(١١) مَاءِ السَّيْلِ فِي صَبَبٍ ^(١٢) حَرْدٍ ^(١٣)

زَبْرَجْدٍ أَمْلَاكَ الْوَرَى ^(١٤) سَاعَةَ الْحَشْدِ

لَهْنٍ مَغَارَاتٍ تَبْخُسُ ^(١٧) بِالنَّقْدِ

زَعَمْتَ بَأَنَّ النَّارَ أَكْرَمُ عَنْصُرًا

وَيُخْلَقُ فِي أَرْحَامِهَا وَأُرُومِهَا ^(٣)

وَفِي الْقَعْرِ مِنْ لُجِّ الْبَحَارِ مَنَافِعُ

كَذَلِكَ سَرُّ الْأَرْضِ فِي الْبَحْرِ كُلِّهِ

وَلَا بَدَّ مِنْ أَرْضٍ لِكُلِّ مَطْهَرٍ ^(٨)

كَذَاكَ وَمَا يَنْسَاحُ ^(٩) فِي الْأَرْضِ مَا شِئًا

وَيَسْرِي عَلَى جِلْدٍ يَقِيمُ حَزْوَهُ ^(١٠)

وَفِي قُلُلِ الْأَجْبَالِ خَلَفَ مُقْطَمٌ

وَفِي الْحَرَّةِ ^(١٥) الرَّجْلَاءِ ^(١٦) تَلْقَى مَعَادِنًا

(١) هو : أسباط بن واصل الشيباني : شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . مدح يزيد بن الوليد الأموي ، وعاش إلى أن أدرك خلافة أبي جعفر المنصور ومدحه . وكان قديراً . توفي نحو سنة ١٣٨ هـ = نحو ٧٥٥ م . انظر ترجمته في : تهذيب ابن عساكر ٢ / ٤٠٤ .

(٢) ميمون النقيبة : موفق ومبارك النفس . (٣) أورومها : أصول أشجارها .

(٤) العقد : ضرب من الحساب . (٥) المكنون : المخبأ .

(٦) الغيضة : الدوحة . (٧) الصلد : القاسي ، الصلب .

(٨) جاء في نسخة أخرى « مطير » بدلاً من « مطهر » .

(٩) ينساح : يزحف على بطنه .

(١٠) الحزوز : ما غلظ في الأرض وصلب من جلدها مع إشراف قليل .

(١١) التمعج : التلوي . (١٢) الصبب : الموضع المنحدر .

(١٣) حرد : منعزل مع التواء . (١٤) الوري : الناس .

(١٥) الحرة : الأرض البركانية ذات الحجارة السود .

(١٦) الرجلاء : هي الأرض القاسية التي لا يستطيع المرء المشي فيها بسهولة .

(١٧) جاء في نسخة أخرى « تبجس » بدلاً من « تبخس » .

تَرُوقُ وتُصْبِي ذا القنَاعَةِ والزُّهْدِ
ومن زئبق حي ونوشاذر^(٤) يسدي
ومن مرقشيشاً^(٨) غير كاب ولا مكدي^(٩)
وأصناف كبريت مطاولة الوَقْدِ
كما قَرَّتْ^(١٣) الحسناء حاشية البرْدِ
ومن تُوتياء في مَعَادِنِهِ هِنْدِي
وفي ظاهر البِيداء من مُسْتَوَى نَجْدِ
من الأرض والأحجارِ فَاخِرَةَ المَجْدِ
وَمُسْتَلَمُ الحُجَاجِ من جَنَّةِ الخَلْدِ
وفي الحَجَرِ المُهْمَى^(١٦) لموسى على عَمْدِ
لَأَمْ فَصِيلِ ذِي رُغَاءٍ^(١٧) وذِي وَجْدِ^(١٨)
ونحنُ بنوه غير شك ولا جَحْدِ
وأوضح بُرْهَانٍ على الواحدِ الفَرْدِ
كَاتِّبَاعِ دِيصَانٍ^(٢٠) وهم قَمْشُ المَدِّ

من الذَّهَبِ الإِبْرِيْزِ^(١) والْفِضَّةِ التي
وكل فِلِزْ^(٢) من نحاس وأنك^(٣)
وفيها زَرَانِيخٌ^(٥) ومَكْرٌ^(٦) وَمَرْتَكٌ^(٧)
وفيها ضُرُوبُ القَارِ^(١٠) والشَّبِّ والنَّهْيِ^(١١)
تري العرف^(١٢) منها في المقاطع لائحاً
ومن إثمِدِ^(١٤) جَوْنٍ^(١٥) وكلْسٍ وفضة
وفي كل أغوارِ البلادِ مَعَادِنُ
وكل يَوَاقِيْتِ الأنامِ وحليها
وفيها مقامُ الخِلِّ والرُّكْنِ والصفَا
وفي صَخْرَةِ الخِضْرِ التي عند حوتها
وفي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ تَصْدَعُ آيَةً
مَفَاخِرُ اللَّطِينِ الذي كان أضلنا
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمة
أَتَجْعَلُ عَمْرَأً^(١٩) والنُّطَاسِيَّ واصلاً

- (١) الذهب الإبريز: الذهب الخالص.
(٢) الفلز: ما تحويه الأرض من ذهب وفضة...
(٣) الأنك: الأسرب وهو الرصاص.
(٤) النوشاذر: حجر صاف.
(٥) الزنيخ: ضرب من المعدن، ذات ألوان متعددة وهو قاتل إذا ما شرب محلوله.
(٦) المكر: طين ذو لون أحمر يستعمل للصبغ.
(٧) المرتك: ضرب من الحجارة يستعمل لتبييض الرصاص.
(٨) المرقشيشا: ضرب من الأحجار يستخرج منه النحاس.
(٩) غير كاب ولا مكدي: غير كبير ويمتاز بالطراوة.
(١٠) القار: الزفت.
(١١) النهي: الزجاج. وفي نسخة أخرى جاء «المها» بدلاً من «النهي».
(١٢) جاء في نسخة أخرى «العرق» بالقاف بدلاً من «العرف».
(١٣) جاء في نسخة أخرى «قدت» بالذال بدلاً من «قوت» بالراء.
(١٤) الإثمِد: ما يستعمل في الإكتحال عند النساء.
(١٥) الجون: الأسود.
(١٦) جاء في نسخة أخرى «المهمي» بدلاً من «المهمي». وأمهي الحجر: ظهر مأوه، وفي ذلك إشارة إلى ضرب موسى الحجر بعصاه.
(١٧) الرغاء: صوت الجمل.
(١٨) جاء في نسخة أخرى «وخذ» بدلاً من «وجد» والوخذ: ضرب من سير الإبل.
(١٩) هو عمرو بن عبيد زميل واصل.
(٢٠) ديصان: كاهن بوذي له فرقة من فرق المجوس تسمى بالديصانية.

وتَفَخَّرُ بِالْمِيلَادِ^(١) وَالْعِلْجِ عَاصِمٌ
وَتَحْكِي لَدَى الْأَقْوَامِ شُنْعَهُ رَأْيَهُ
وَسَمِيَّتَهُ الْعَزَّالَ فِي الشَّعْرِ مُطْنِباً^(٢)
وَتَضْحَكُ مِنْ جِيدِ الرَّئِيسِ أَبِي جَعْدٍ
لِتَصْرِفَ أَهْوَاءَ النَّفُوسِ إِلَى الرَّدِّ
وَمَوْلَاكَ عِنْدَ الظُّلَمِ قِصَّتَهُ^(٣) مُرْدِي^(٤)

يقول إن مولاك ملاح لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادي :

فِيَا ابْنَ حَلِيفِ الطِّينِ^(٥) وَاللُّؤْمِ وَالْعَمَى
أَتَهْجُو أَبَا بَكْرٍ وَتَخْلَعُ بَعْدَهُ
كَأَنَّكَ غَضْبَانٌ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
رَجَعْتَ إِلَى الْأَمْصَارِ مِنْ بَعْدِ وَاصِلٍ
أَتَجْعَلُ لَيْلِي النَّاعِطِيَّةَ نَحْلَةً
عَلَيْكَ بَدْعِدُ وَالصَّدُوفُ^(١٠) وَفَرَّتَنِي^(١١)
تُؤَاثِبُ أَقْمَاراً وَأَنْتَ مُسْوَةٌ
وَأَبْعَدَ خَلَقِ اللَّهِ مِنْ طُرُقِ الرُّشْدِ
عَلِيّاً وَتَعَزَّوْ كُلَّ ذَاكَ إِلَى بُرْدٍ
وَطَالِبُ دَخْلٍ^(٦) لَا يَبِيتُ عَلَى حِفْدٍ
وَكُنْتَ شَرِيداً فِي التَّهَائِمِ^(٧) وَالتَّنْجِدِ^(٨)
وَكُلَّ عَرِيقٍ فِي التَّنَاسُخِ^(٩) وَالرَّدِّ
وَحَاضَتَتِي كَسَفٍ وَزَامِلَتِي هِنْدٍ
وَأَقْرَبُ خَلَقِ اللَّهِ مِنْ شَبَهِ الْقَرْدِ

ولذلك قال فيه حماد عجرد^(١٢) بعد ذلك :

وَيَا أَقْبَحَ مَنْ قَرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ
ويقال إنه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت . وذكره الشاعر وذكر أخويه
لأمه فقال :

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْأَكْئِمَةِ أَعْرَجاً وَآخَرَ مَقْطُوعَ الْقَفَا نَاقِصَ الْعَضْدِ

[الطويل]

(١) جاء في نسخة أخرى «بالميلاء» بدلاً من «بالميلاد» .

(٢) الإطناب : عكس الإيجاز .

(٣) القصة : هي القصاصة ترفع فيها الظلامة إلى أولى الأمر .

(٤) المرد : مجذاف تدفع به السفينة .

(٥) كان والد بشار يصنع الجرار .

(٦) الذحل : الثأر .

(٧) التهائم : الأرض المنحنية المنحدرة إلى البحر .

(٨) النجد : ما ارتفع من الأرض عن سطح البحر .

(٩) التناسخ : هو انتقال الروح عند الموت إلى جسد آخر . وهذا ما يؤمن به الهنود الهندوس .

(١٠) الصدوف : التمتع .

(١١) الفرتني : المرأة المغنية .

(١٢) هو : حماد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي ، أبو عمرو ، المعروف بعجرد : شاعر من الموالي ، كوفي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . نادم الوليد بن يزيد الأموي ، وقدم ببغداد أيام المهدي . وكانت بينه وبين بشار مهاجرة فاحشة . قتل غيلة بالأهواز سنة ١٦١ هـ = ٧٧٨ م . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٤٨/٨ ، وفيات الأعيان : ١/١٦٥ .

وكانوا ثلاثة مختلفي الآباء والأم واحدة وكلهم ولد رَمْنَا. ولذلك قال بعض من يهجوهم:

[الرجز]
إذا دَعَاهُ الْخَالُ أَفْعَى^(١) وَنَكَصَ^(٢) وَهُجَّنَةُ الْأَقْرَافِ^(٣) فِيهِ بِالْخَصَصِ
وقال الشاعر:

[الرجز]
لَا تَشْهَدَنَّ بِخَارِجِي مُطْرِفِ^(٤) حَتَّى تَرَى مِنْ نَحْلِهِ أَفْرَاسَا
وقال صفوان الأنصاري في بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم:

[البيسط]
وَلَدْتُ خُلْدًا وَذِيخًا فِي تَشْتَمِهِ وَبَعْدَهُ خُزْزًا يَشْتَدُّ فِي الْعُضْدِ^(٥)
والخلد: ضرب من الجرذان يولد أعمى. والذخ: ذكر الضباع وهو أعرج والخز: ذكر الأرانب وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب في الصيد:

[البيسط]
ثَلَاثَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ فُرِّقُوا فِرْقًا فَأَعْرِفْ بِذَلِكَ عَرَقَ الْخَالِ مِنْ وَلَدِ
وقال بعد ذلك سليمان الأعمى^(٦) أخو مسلم بن الوليد الأنصاري^(٧) الشاعر في إعتذار بشار لإبليس وهو يخبر عن كرم خصال الأرض:

[البيسط]
لَا بُدَّ لِلْأَرْضِ أَنْ طَابَتْ وَإِنْ خَبِثَتْ مِنْ أَنْ تُحِيلَ إِلَيْهَا كُلَّ مَعْرُوسٍ
وَتُرَبُّهُ الْأَرْضُ إِنْ جِيدَتْ^(٨) وَإِنْ فُجِطَتْ^(٩) فَحَمَلُهَا أَبَدًا فِي إِثْرِ مَنْفُوسٍ^(١٠)
وَبَطْنُهَا بِفِلْزِ الْأَرْضِ ذُو خَبَرٍ بِكُلِّ جَوْهَرَةٍ فِي الْأَرْضِ مَرْمُوسٍ
الفلز: جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك:

وَكُلُّ آنِيَةٍ عَمَّتْ مِرَافِقُهَا وَكُلُّ مُنْتَقَدٍ فِيهَا وَمَلْبُوسٍ
وَكُلُّ مَاعُونِهَا كَالْمِلْحِ مِرْفَقَةٌ وَكُلُّهَا مُضْحِكٌ مِنْ قَوْلِ إِبْلِيسِ

(١) أفعى: جلس جلسة الكلب على إتيته ونصب فخذه.

(٢) نكص: عاد الفهقري.

(٣) الأقراف: فعل ما يشين من العيوب.

(٤) المطرف: كريم الأبوين.

(٥) جاء في نسخة أخرى «الصعد» بدلاً من «العضد».

(٦) هو: سليمان بن الوليد الأنصاري: شاعر خص شعره بالبرامكة والرتاء لهم، بعد تكبتهم. انظر ترجمته في: الأعلام ١٣٧/٣ الطبعة الخامسة.

(٧) هو: مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء، أبو الوليد، عرف بصريع الغواني. نزل بغداد فأنشد الرشيد. ولي بريد جرجان من قبل الفضل بن سهل، وتوفي فيها سنة ٢٠٨هـ = ٨٢٣م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩٦/١٣ الشعر والشعراء: ٣٣٩.

(٨) إن جيدت: إن مطرت وأصابها الغيث.

(٩) قحطت: أجذبت.

(١٠) المنفوس: المولود.

وقال بعض خلفاء^(١) بغداد:

[السريع]

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي كِبَرِهِ وَخُبْتُ مَا أَبْدَاهُ مِنْ نِيَّتِهِ^(٢)
تَاهَ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَاداً لَذُرِّيَّتِهِ

وذكره بهذا المعنى سليمان الأعمى أخو مسلم الأنصاري فقال:

[السيط]

يَأْبَى السَّجُودَ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَخْوَتِهِ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي مَسْلَاحٍ^(٣) قَوَادٍ

وقال صفوان في شأن واصل وبشار وفي شأن النار والطين في كلمة له:

[الطويل]

وَفِي جَوْفِهَا لِلْعَبْدِ أَسْتَرٌ مَنَزَلٍ وَفِي ظَهْرِهَا يَقْضِي فَرَائِضَ الْعَبْدِ
تَمَجُّ لُفَاطٌ^(٤) الْمَلْحُ مَجًّا وَتَصْطَفِي سَبَائِكَ لَا تَصْدِي وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ
وَلَيْسَ بِمُخَضٍّ كُنْهَ مَا فِي بُطُونِهَا حَسَابٌ وَلَا خَطٌّ وَإِنْ بَلَغَ الْجُهْدُ
فَسَائِلُ بَعْبِدِ اللَّهِ فِي يَوْمِ حَفْلِهِ وَذَكَ مَقَامٌ لَا يُشَاهِدُهُ وَغَدُ
أَقَامَ شَبِيبٌ وَابْنُ صَفْوَانَ قَبْلَهُ بِقَوْلِ خَطِيبٍ لَا يُجَانِبُهُ الْقَصْدُ
وَقَامَ ابْنُ عَيْسَى ثُمَّ قَفَّاهُ وَاصِلٌ فَأَبْدَعَ قَوْلًا مَالَهُ فِي الْوَرَى نَدُ
فَمَا نَقَصَتْهُ الرِّاءُ إِذْ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَرْكِهَا وَاللَّفْظُ مُطَرَّدُ سَرْدُ
فَفَضَّلَ عَبْدُ اللَّهِ خُطْبَةً وَاصِلٌ وَضُوعَفَ فِي قَسَمِ الصَّلَاتِ لَهُ الشُّكْدُ^(٥)
فَأَقْنَعَ كُلَّ الْقَوْمِ شُكْرَ حَبَائِهِمْ وَقَلَّلَ ذَاكَ الضَّعْفَ فِي عَيْنِهِ الزُّهْدُ

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالياً واحتجاج من دفع ذلك عنه، ويزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال كما يقال خالد الحذاء وكما يقولون هشام الدستواني^(٦)، وإنما قيل ذلك لأن الإباضية كانت تبعث إليه من صدقاتها بثياب دستوانية فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالحباب فأجابوه إلى قول الإباضية وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء فأجابوه إلى التسوية وزوجوا هجيناً فقال الهجين في ذلك:

[الرجز]

إِنَّا وَجَدْنَا دُسْتَوَانِينَ الصَّائِمِينَ الْمُتَعَبِدِينَ

(١) جاء في نسخة أخرى «خلعاء» بدلاً من «خلفاء» وهو أصح.

(٢) جاءت الشطرة الثانية من البيت في نسخة أخرى على الشكل التالي: وقبح ما أظهر من نيته بدل ما جاء هنا من الشطرة بكاملها.

(٣) مسلخ: جلد. (٤) تمج: تلفظ خارج فمها.

(٥) الشكد: الشكر والعطاء.

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر الدستوائي البكري.

أَفْضَلَ مِنْكُمْ حَسَبًا وَدِينًا أَخْزَى الْإِلَهِ الْمَتَكَبِّرِينَ
أَفِيكُمْ مَنْ يَنْكُحُ الْهَجِينَا^(١)

وإنما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي. وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه. وكما قالوا: أبو مسعود البدري لأنه كان نازلاً على ذلك الماء. وكما قالوا: أبو مالك السُدي لأنه كان يبيع الخُمُر في سدة المسجد. وهذا الباب مستقصى في كتاب «الأسماء والكنى». وقد ذكرنا جملة منه في أبناء السراري والمهيرات.

ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة

قال أبو عثمان: وما يحضرني منها وهي أربعة أحرف: القاف والسين واللام والراء. فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط لأنه ليس من الحروف المعروفة وإنما هو مخرج من المخارج والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها. وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك في شيء أكثر منها في لغة الخوز. وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة^(٢) والحروف التي تظهر من فم المجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام.

فالثُّغَةُ التي تعرض للسين تكون ثاء كقوله لأبي يكسوم أبي يكثوم وكما يقولون بثرة إذا أرادوا بسرة وبأثم الله إذا أرادوا بسم الله.

والثانية اللثغة التي تعرض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاء فإذا أراد أن يقول قلت له قال: طلت له وأراد أن يقول قال لي قال: طال لي.

وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتللت: اعتييت وبدل جمل: جمى. وآخرون يجعلون اللام كافا كالذي عرض لعمر أخى هلال فإنه كان إذا أراد أن يقول: ما العلة في هذا؟ قال: ما أكعكة في هذا.

فأما اللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف، فمنهم من إذا أراد أن يقول: عمرو قال: عمى فيجعل الراء ياء. ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمغ فيجعل الراء غينا، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمد فيجعل الراء ذالاً وإذا أنشد قول الشاعر^(٣):

[الرمل]

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ

(١) الهجين: هو ولد الأمة. وكان أبوه عربياً. (٢) الزمزمة: كلام مبهم يتكلم به مجوس فارس.

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، اشتهر بشعر الغزل الحضري في العصر الأموي مات سنة ٩٠ هـ.

قال :

واستبدت مئذة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
فمن هؤلاء علي بن جنيد بن فريدي .

ومنه من يجعل الرء طاء معجمة فيقول إذا أنشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
قال :

واستبدت مظلة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
ومنه من يجعل الرء غينا معجمة فإذا أراد أن يُنشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
قال :

واستبدت مئعة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
كما أن الذي لثغته بالياء إذا أراد أن يقول : « واستبدت مرة واحدة » قال : « واستبدت
مئة واحدة » . وأما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد
العدوي الشاعر فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التي تعرض في الشين كنحو ما
كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فإن تلك أيضاً ليس لها
صورة في الخط ترى بالعين وإنما يصورها اللسان وتنادى إلى السمع . وربما اجتمعت في
الواحد لثغتان في حرفين كنحو لثغة شوشي صاحب عبد الله بن خالد الأموي فإنه كان
يجعل اللام ياء والرء ياء قال مرة مويائي وبني أبي يريد مولاي ولي أمري .

واللثغة في الرء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لذي المروءة ثم التي على
الطاء ثم التي على الذال . فأما التي على الغين فهي أيسرهن . ويقال إن صاحبها لوجه
نفسه جهده وأخذ لسانه وتكلف مخرج الرء على حقها والإفصاح بها لم يكن بعيداً من أن
تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم
بالغين وكان إذا شاء أن يقول عمر ولعمري وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان
يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك
أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم .

أما من يعتريه اللثغ في الضاد ربّما اعتراه أيضاً في الصاد والرء حتى إذا أراد أن
يقول مضر قال : مضى فهذا وأشباهه لاحقون بشوشي .

وزعم ناس من العوام أن موسى - صلوات الله وسلامه عليه - كان ألثغ ولم يقفوا
من الحروف التي كانت تعرض له في شيء بعينه فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من

زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلاً لا يفرق الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعاً تناول جمرة فأهوى بها إلى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

وأما اللثغة في الرء فتكون في الباء والذال والغين وهي أقلها قبحاً وأوجدها في ذي الشرف وكبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فإذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الرء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك إستثقالاً، أنا سمعت ذلك منه . قال : وكان الواقدي ^(١) يروي عن بعض رجاله . أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات . وليس يدل القرآن على شيء مما قالوا لأنه ليس في قوله : ﴿وَأَحْمَلُ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ ^(٢) دليل على شيء دون شيء .

قال الأصمعي إذا تتعنع اللسان في التاء فهو تتمام وإذا تتعنع في الفاء فهو فأفاء . وأنشد لرؤبة بن العجاج ^(٣) :

[الرجز]

يا حمدُ ذاتِ المنطقِ التَّمتامِ كَأَنَّ وَسْوَاسَكَ فِي اللَّمامِ
حديثُ شيطانِ بني همام

وبعضهم ينشد : «يا حمدُ ذاتِ المنطقِ التَّمتامِ» ^(٤) وليس ذلك بشيء وإنما ذلك كما قاله أبو الزحف :

[الرجز]

لَسْتُ بِفَأْفَاءٍ وَلَا تَمَّتَامٍ وَلَا كَثِيرِ الْهُجُرِ ^(٥) فِي الْمَنَامِ
وأنشد أيضاً للخولاني في كلمة له :

[الكامل]

إِن السَّيَاطَ تَرَكْنَ، لَأَسْتِكَ مَنْطِقاً كَمَقَالَةِ التَّمَّتَامِ لَيْسَ بِمُعَرَّبٍ
فجعل الخولاني التتمام غير مُعَرَّبٍ عن معناه وَلَا مُفْصِحٍ بحاجته . وقال أبو عبيدة ^(٦)

(١) هو : محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله . من أقدم المؤرخين المسلمين ، ومن أشهرهم . ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ = ٧٤٧ م ، وتوفي ببغداد سنة ٢٠٧ هـ = ٨٢٣ م . تولى قضاء بغداد في عهد الرشيد من كتبه : «المغازي النبوية» ، «فتح إفريقية» ، «فتح مصر والإسكندرية» انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٣/٣ - ٢١ ، وفيات الأعيان : ٥٠٦/١ .

(٢) سورة طه ، الآية : ٢٧ .

(٣) هو : رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحاف ، أبو محمد : راجز ، من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان أكثر مقامه في البصرة . مات سنة ١٤٥ هـ = ٧٦٢ م . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان : ١٨٧/١ ، الشعر والشعراء : ٣٣٠ .

(٤) التتمام : المزخرف . (٥) الهُجُر : الهذيان .

(٦) هو : معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري . من علماء اللغة والأدب ولد في البصرة سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ ، وفيها كانت وفاته سنة ٢٠٩ هـ = ٨٢٤ م قدم على الرشيد ببغداد . كان شعوبياً إباضياً . من كتبه : =

إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف وقيل بلسانه لفً وأنشدني لأبي الزحف الراجز:

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفاً إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ
كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه، وطال عليه ذلك، أصابه لفف في لسانه.
وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة^(١) بعد المقعطل يقال له الصموت لأنه لما طال صمته ثقل
عليه الكلام فكان لسانه يلتوي ولا يكاد يبين. وأخبرني محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام
محاربة الرُّط من طول التفكير ولزوم الصمت. قال: وأنشدني الأصمعي:

حَدِيثُ بَنِي زُطٍّ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ كَنَزُوا^(٢) الدَّبْيَ^(٣) فِي العَرْفَجِ^(٤) الْمُتَقَارِبِ
قال ذلك حين كان في كلامهم عجلة. وقال سلمة بن عياش^(٥):

كَأَنَّ بَنِي رَأْلَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحُ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ^(٦)
فقال ذلك لركة أصواتهم وعجلة كلامهم. وقال اللهبي^(٧) في اللجلاج:

لَيْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ بِاللَّجْلَاجِ وَلَا الَّذِي يَزَحَلُ^(٨) كَالِهْلَبِاجِ^(٩)
وَرُبَّ بَيْدَاءٍ لَيْلٍ دَاجٍ هَتَكَتْهُ بِالنَّصِّ^(١٠) وَالْإِدْلَاجِ^(١١)
وقال محمد بن سلام الجمحي^(١٢) كان عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -

= «مجاز» «القرآن»، «نقائض جرير والفرزدق» انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٠٥/٢، بغية الوعاة: ٣٩٥.

- (١) الأزارقة: هي إحدى فرق الخوارج السبع، تنسب إلى رأسها نافع بن الأزرق.
- (٢) نزو الحيوان: وثوبه على أنثاه.
- (٣) الدبى: صغار الجراد، واحدها دبابة.
- (٤) العرفج: ضرب من الشجر ينبت في السهول.
- (٥) هو: سلمة بن عياش: شاعر راوية نقاد من البصرة. من مخصرمي الدولتين الأموية والعباسية. من موالي بني حنبل بن عامر بن لؤي. كان من جلساء أمير البصرة محمد بن سليمان. مات سنة ١٧٠هـ = ٧٨٦م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سلام: ٦٠، ٢٨٧، ٤٢٠، الحماسة الصغرى: ١٥٦.
- (٦) السويق: مسحوق الدقيق والشعير.
- (٧) هو: الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، من قريش: شاعر، من فصحاء بني هاشم. عاصر الفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أموياً فأكرمه. توفي سنة ٩٥هـ = ٧١٤م. انظر ترجمته في: نسب قريش: ٩٠، سمط اللاكلى: ٧٠١.
- (٨) يزحل: يتعد عن مقامه.
- (٩) الهلباج: الشديد الحمق.
- (١٠) النص: السير السريع المجد.
- (١١) الإدلاج: السير في بدء الليل.
- (١٢) هو: محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله: من أئمة الأدب البصريين مات ببغداد سنة ٢٣٢هـ = ٨٤٦م، من كتبه: «طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين»، «غريب القرآن». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٣٢٧/٥، طبقات النحويين واللغويين: ١٩٧.

إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه قال: خالف هذا وخالف عمرو بن العاص واحد. ويقال في لسانه حُبْسَه، إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد ألفاء والتمتام. ويقال في لسانه لُكْنَةُ إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول. فإذا قالوا في لسانه حُكْلَةٌ فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تُعرف معانيه إلا بالاستدلال. وقال رؤبة بن العجاج^(١):

[الرجز]

لو أَتْنِي أُوتَيْتُ عِلْمَ الْحُكْلِ عِلْمَ سَلِيمَانَ كَلَامِ التَّمْلِ
وقال محمد بن ذؤيب^(٢) في مديح عبد الملك بن صالح:

[الطويل]

وَيُفْهَمُ قَوْلُ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ^(٣) أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سَوَادُهَا
وقال التيمي في هجائه لبني تغلب:

[الطويل]

وَلَكِنْ حَكْلًا لَا تَبِينُ وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ^(٤)
قال سحيم بن حفص في الخطيب الذي تعرض له النحنة والسعلة وذلك إذا انتفخ سَحْرُهُ^(٥) وكبا زَنْدُهُ^(٦) وَنَبَا حَدَّهُ فَقَالَ:

[الرجز]

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ^(٧) الْغَرْبِ فِي الْمَقَالِ
وَمِنْ خَطِيبِ دَائِمِ السُّعَالِ
وَأُنْشِدُنِي الْأَعْرَابِي:

إِنَّ زِيَادًا لَيْسَ بِالْبَكِيِّ وَلَا بُهَيَّابٍ كَثِيرِ الْعِيِّ
وَأُنْشِدُنِي بَعْضَ أَصْحَابِنَا:

[البيط]

نَادَيْتُ هَيْذَانَ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَيْذَانَ سَتَى^(٨) فَتَحَةَ الْبَابِ

(١) هو: رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الحجاج أو أبو محمد: راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مات في البادية سنة ١٤٥هـ = ٧٦٢م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٣٠، وفيات الأعيان: ١/١٨٧.

(٢) هو: محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظلي الدارمي، أبو العباس العُماني: راجز من بني تميم ثم من بني فُقيم، من أهل الجزيرة. من أقران رؤبة والعجاج، ومن شعراء الدولة العباسية. توفي نحو سنة ٢٢٨هـ = نحو ٨٤٣م. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء لابن المعتز: ١٠٩ - ١١٤، المحمّدون من الشعراء: ٣٢٢.

(٣) يقتضي المعنى أن تكون «تسارر» بدلاً من «تساود» بحيث يفهم ما دق من مسارة الذرة.

(٤) البرانس جمع برنس، وهو لباس المجوس من الفلانس.

(٥) سَحْرُهُ: رثته.

(٦) كبا زنده: كبت ناره، فلم تشتعل.

(٧) الكلال: الإرهاق.

(٨) سَتَى: سهّل وفتح.

كالهندواني^(١) لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب^(٢)
وقال الآخر:

[الطويل]

إذا الله سنى عقد شيء تيسرا

وقال بشر بن المعتمر^(٣) في مثل ذلك:

[الكامل]

ومن الكبائر مقول^(٤) متتعتج جم التئحج متعب ميهور
وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب وقد شهدت أنا هذه الخطبة ولم
أرجبانا قط أجراً منه ولا جريباً قط أجبن منه. وقال الأشل الأزرقى - من بعض أخوال
عمران بن حطان الصفري^(٥) القعدي - في زيد بن جندب^(٦) الإيادي خطيب الأزارقة
واجتمعاً في بعض المحافل فقال بعد ذلك الأشل البكري:

[مجزوء الرجز]

نَحْنَحْ زِيدٌ وَسَعَلٌ لِمَا رَأَى وَقَعَّ الْأَسْلُ^(٧)
وَيْلُ أُمِّهِ إِذَا ارْتَجَجُلٌ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلُ

مفخرة بني إياد بالخطابة:

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي الخطيب الأزرقى في مراثيه لأبي داود بن
جرير الإيادي حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد فقال:

[الطويل]

كفُسْ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطِ بْنِ مَعْبَدٍ وَعُذْرَةَ وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدُبِ
وزيد بن جندب هو الذي يقول في الاختلاف الذي وقَّع بين الأزارقة:

[البيسط]

قُلْ لِلْمُحَلِّينَ^(٨) قَدْ قَرَّتْ عِيُونُكُمْ بِفُرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ
كُنَّا أَنْسَاءً عَلَى دِينَ فَفَرَّقْنَا فَرْعُ الْكَلَامِ^(٩) وَخَلَطُ الْجَدِّ بِاللَّعِبِ

(١) الهندواني: السيف المصنوع في بلاد الهند. (٢) الوجاب: المضطرب من شدة الخوف.

(٣) هو: بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل: فقيه معتزلي مناظر، كوفي، نسبت إليه فرقة
«البشرية» من المعتزلة. مات سنة ٢١٠هـ = ٨٢٥م. انظر ترجمته في: المعارف لابن قتيبة: ١٢١.
خزائن الأدب ١١٧/٤.

(٤) المقول: كثير القول.

(٥) هو: عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك: رأس الفعدة، من الصفرية،
وخطيبهم وشاعرهم، من البصرة أدرك جماعة من البصرة فروى عنهم. مات بعد ملاحقة الأمويين له
على الإباضية سنة ٨٤هـ = ٧٠٣م. انظر ترجمته في: الإصابة ت: ٦٨٧٧، ميزان الاعتدال ٦٧٦/٢.

(٦) هو: زيد بن جندب الإيادي الأزرقى: خطيب الأزارقة وأحد شعرائهم. انظر ترجمته في: الأعلام ٥٧/٣.

(٧) الأسل: مفردة أسلة، وهي الرماح. (٨) المحلين في المكان: النازلين فيه.

(٩) جاء في نسخة أخرى «طول الجدال» بدلاً من «فرع الكلام».

ما كَانَ أَغْنَى رِجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمْ عن الجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ
إِنِّي لَأَهْوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرَباً مَالِي سِوَى فَرَسِي وَالرُّمَحِ مِنْ نَشَبِ^(١)

وأما عُذْرَةُ المذكور في البيت الأول فهو عُذْرَةُ بِنُ حَجْرَةَ الخطيب الإيادي، ويدل على قدره فيهم وعلى قدره في اللّسن والخطب قول شاعرهم:

[الطويل]

وَأَيُّ فَتَى صَبْرٌ عَلَى الْأَيْنِ^(٢) وَالظَّمَا إِذَا اغْتَصَرُوا لِلُّوحِ^(٣) مَاءً فِظَاظِهَا^(٤)
إِذَا ضَرَجَّوْهَا سَاعَةً بِدِمَائِهَا وَحُلَّ عَنِ الْكُومَاءِ^(٥) عَقْدُ شِظَاظِهَا^(٦)
فَإِنَّكَ ضَحَّاكٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ وَأَنْطَقَ مِنْ فُسِّ غَدَاةٍ عُكَاطِهَا^(٧)
إِذَا شَعَبَ الْمَوْلَى شَاعِبٌ^(٨) مَعَشَرٍ فَعُذْرَةُ فِيهَا آخِذٌ بِكَظَاظِهَا^(٩)

فلم يضرب هذا الشاعر الإيادي المثل لهذا الخطيب الإيادي إلاّ برجل من خطباء إياد وهو قس بن ساعدة. ولم يضرب صاحب مرثية أبي داودَ بن جرير^(١٠) الإيادي المثل إلاّ بخطباء إياد فقط، ولم يفتقر إلى غيرهم، حيث قال: في عُذْرَةَ بِنِ حَجْرَةَ:

[الطويل]

كَفُسِّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطِ بِنِ مَعْبَدٍ وَعُذْرَةُ وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بِنِ جُنْدُبٍ
وأول هذه المرثية قوله:

نَعَى ابْنَ جَرِيرٍ جَاهِلٌ بِمُصَابِهِ فَعَمَّ نِزَاراً بِالْبُكَاءِ وَالتَّحَوُّبِ^(١١)
نَعَاهُ لَنَا كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِيْنَهُ وَكَالْبَدْرِ يَغْشَى^(١٢) ضَوْؤُهُ كُلَّ كَوْكَبٍ
وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى مِنَ النِّجَمِ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غِيْهَبٍ
وَأَضْرَبُ^(١٣) مِنْ حَدِّ السِّنَانِ لِسَانُهُ وَأَمْضَى مِنَ السِّيفِ الْحُسَامِ الْمُشْطَبِ^(١٤)
زَعِيمٌ نِزَارٍ كُلُّهَا وَخَطِيبُهَا إِذَا قَالَ طَاطَا رَأْسُهُ كُلُّ مِشْعَبٍ

(١) النشِب: الثروة والمال.

(٢) الأَيْن: التعب.

(٣) اللوح: العطش.

(٤) الفظاظ: جمع للفظ، وهو ماء الكرش.

(٥) الكوماء: الناقة الضخمة السنام.

(٦) الشظاظ: هو العود الداخل في عروة الجوالق.

(٧) سوق عكاظ: هي سوق موسمية كانت تقام منذ بدء ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً أو طيلة الشهر بأكمله، حيث تجتمع القبائل فيتبادلون السلع فيما بينهم، ويتناشدون أشعارهم.

(٨) جاء في نسخة أخرى «إذا شغب المولى مشاعب» بالعين بدلاً من «إذا شغب المولى شاعب»، وشاعب بمعنى مفرق.

(٩) الكظاظ: التزام الشدة في التعامل مع الآخرين.

(١٠) جاء في نسخة أخرى «أبي دؤاد» بدلاً من «أبي دواد».

(١١) التحوب: النواح والبكاء.

(١٢) في نسخة أخرى «يعشي» بدلاً من «يغشي».

(١٣) في نسخة أخرى «أذرب» بدلاً من «وأضرب». والذرب الحدة في الخطاب.

(١٤) المشطَب: التشطيب للسيف حفر طرائق في متنه.

سَلِيلُ قُرُومٍ ^(١) سَادَةٌ ثُمَّ قَالَتْ يَبْزُونُ ^(٢) يَوْمَ الْجَمْعِ أَهْلَ الْمَحْصَبِ ^(٣)
كَفُسٌ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطٍ بَنِ مَعْبَدٍ وَعُذْرَةٌ وَالْمِنْطِيقُ زَيْدِ بَنِ جُنْدُبٍ
في كلمة له طويلة وإياهم عنى الشاعر بقوله:

[الكامل]
يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَحَيِّ الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ
قال: أخبرني محمد بن عباد بن كاسب، كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي دابق وكان
شاعراً راوية وطلابة للعلم علامة، قال: سمعت أبا داودَ بنَ جرير يقول، وقد جرى شيء من
ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه ^(٤) وصعوبة ذلك المقام وأهواله فقال: «تلخيص المعاني
رفق. والإستعانة بالغريب عجز. والتشادق عن غير أهل البادية بغض. والنظر في عيون الناس
عي. ومس اللحية هُلك. والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب» ^(٥) قال: وسمعت يقول:
«رأس الخطابة الطبع. وعمودها الذُّربة. وجناحها رواية الكلام. وحُلِيها الإعراب. وبهاؤها
تخير اللفظ. والمحبة مقرونة بقلّة الإستكراه» وأنشدني بيتاً له في صفة خطباء إياد وهو قوله:

[الكامل]
يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَحَيِّ الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ
فذكر المبسوط في موضعه. والمحذوف في موضعه. والموجز والكناية والوحي
باللحظ ودلالة الإشارة. وأنشدني له الثقة في كلمة له معروفة:

[البسيط]
الْجُودُ أَحْشَنُ مَسًّا يَا بَنِي مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبْزُكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلَبٍ
مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ لِلذَّمِّ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّشَبِ ^(٦)
قال ثم لم يحفل بها فادعاها مسلم بن الوليد الأنصاري ^(٧) أو ادعيت له. وكان أحد
من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام.

من اشتهر بالخطابة من الشعراء:

وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتج بليغاً مفوّهاً
بيّناً. وربما كان خطيباً فقط، وشاعراً فقط، وبين اللسان فقط. ومن الشعراء الخطباء
الأبنياء الحكماء قُسُ بن ساعدة الإيادي ^(٨). والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم. ومن

(١) القروم: مفردة قرم: وهو الفحل العظيم.

(٢) جاء في نسخة أخرى «يبدون» بالذال بدلاً من «ييزون» بالزاي، ومعناه «يقلبون».

(٣) المحصب: حيث رمي الجمار بمنى بموسم الحج.

(٤) الاقتضاب: الإيجاز. (٥) الإسهاب: التّطويل.

(٦) النّشَب: المال. (٧) مرت ترجمته.

(٨) هو: قُس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك الإيادي: من حكماء وخطباء العرب في العصر =

يجمع الخطابة والشعر قليل ومنهم عمرو بن الأَهمم المنقري^(١). وهو المكحل. قالوا كأن شعره في مجالس الملوك حُلِّلَ منشرة. قيل لعمَرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - قيل للأوسية أي منظر أحسن؟ قالت: قصور بيض في حدائق خضر. فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - بيت عدي بن زيد العبادي^(٢):

[الخفيف]

كُدُمِي^(٣) العَاجِ فِي المَحَارِبِ^(٤) أَوْ كَالْـ بَيْضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنْبِرٌ
قال: فقال قدامة بن زهير: كلام عمرو بن الأَهمم أنق وشعره أحسن. هذا وقدامة أحد أبناء العرب. ومن الخطباء الشعراء البعيث المجاشعي واسمه خدّاش بن بشر بن لبید^(٥). ومن الخطباء الشعراء الكميّ بن زيد الأسدي^(٦) وكنيته أبو المستهل. ومن الخطباء الشعراء الطرمّاح بن حكيم الطائي وكنيته أبو نفر، قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميّ أنشدت الكميّ قول الطرمّاح^(٧):

[الطويل]

إِذَا قَبِضْتُ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقْتُ^(٨) عُرَى المَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ القَصَائِدِ
قال: فقال الكميّ: إي والله وعنان الخطابة والرواية.

= الجاهلي. كان أسقف نجران، وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه، أدركه النبي ﷺ، ورآه في عكاظ. انظر ترجمته في: الأغاني: ٤٠/١٤، خزنة البغدادي: ٢٦٧/١.

(١) هو: عمرو بن سنان بن سمي التميمي، المنقري، ابن الأَهمم، أبو ربعي: أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام. يدعى المحكل لجماله. وفد على النبي ﷺ مسلماً فلقي إكراماً وحفاوة. توفي سنة ٥٧هـ = ٦٧٧م انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٥٧٧٢، الشعر والشعراء: ٢٤٠.

(٢) هو: عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين، من أهل الحيرة، يحسن العربية والفارسية. قتل في سجن الحيرة بأمر من النعمان بن المنذر ملك الحيرة سنة ٣٥ ق هـ = ٥٩٠م. انظر ترجمته في: الأغاني: طبعة دار الكتب: ٩٧/٢، الشعر والشعراء: ٦٣.

(٣) الدمى: مفردة دمية، وهي لعبة للصغار.

(٤) المحارِب: مفردة محراب، مكان العبادة.

(٥) هو: خدّاش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي، المعروف بالبعيث: خطيب شاعر، من أهل البصرة كانت بينه وبين جرير مهاجاة استمرت أربعين سنة. توفي في البصرة سنة ١٣٤هـ = ٧٥١م. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء لابن سلام: ١٢١، الشعر والشعراء: ١٩٥.

(٦) هو: الكميّ بن زيد بن خنيس الأسدي، أبو المستهل: شاعر الهاشميين، من الكوفة متشيع، كان شاعراً، عالماً، خطيباً، فارساً مات سنة ١٢٦هـ = ٧٤٤م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٥٦٢ - ٥٦٦، الأغاني ١٠٨/١٥.

(٧) هو: الطرمّاح بن حكيم بن الحكم، من طيء: ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، اعتنق مذهب الخوارج من الأزارقة، ارتبط بصدّاقة مع الكميّ. مات نحو ١٢٥هـ = ٧٤٣م. انظر ترجمته في: الأغاني: ١٤٨/١، الشعر والشعراء: ٢٢٨.

(٨) أخلقت: بليت.

علاقة ود بين الطرماح والكميت رغم ما هما عليه من خلاف في المذهب ومن هم على شاكلتهما:

قال أبو عثمان الجاحظ: ولم ير الناس أعجب حالاً من الكميت والطرماح. وكان الكميت عدنانياً عصبياً وكان الطرماح قحطانياً عصبياً. وكان الكميت شيعياً من الغالية وكان الطرماح خارجياً من الصفرية. وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة وكان الطرماح لأهل الشام. وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط. ثم لم يجر بينهما صرْم ولا جفوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه. ولم ير الناس مثلهما إلا ما ذكروا من حال عبد الله بن زيد الإباضي وهشام بن الحكم الرافضي^(١) فإنهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة، وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه^(٢) الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المناقشة والمحاسبة للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقراءة والمجاورة. فكان يقال لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والأسد. وكذلك كانت حال هشام بن حكم الرافضي وعبد الله بن زيد الإباضي إلا أنهما فضلاً على سائر المتضادين بما صارا إليه من الشركة في جميع تجارتهما. وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبه فقال: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية فلم يعارضه شبيب. وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الأشراف.

ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان^(٤) وكنيته أبو شهاب أحد بني عمرو بن شيبان إخوة سدوس. فمن بني عمرو بن شيبان مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء عمران بن حطان رئيس القعدة^(٥) من الصفرية وصاحب فتياهم ومقرعهم عند اختلافهم. ومنهم دِغفل بن حنظلة^(٦) النسابة الخطيب العلامة. ومنهم القعقاع بن شور^(٧). وسنذكر شأنهم إذا انتهينا إلى موضع ذكرهم إن شاء الله تعالى. ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار^(٨) أحد بني ليث بن بكر صاحب خراسان. وهو يعد في أصحاب الولايات وفي الحروب وفي التدبير وفي العقل وشدة الرأي. ومن الخطباء الشعراء زيد بن جندب

(١) هو: هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، الكوفي، أبو محمد: كان شيخ الإمامية في وقته. ولد بالكوفة، سكن بغداد، وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي. توفي سنة ١٩٠ هـ = ٨٠٥ م. من كتبه: «الإمامة»، «الرد على شيطان الطاق». انظر ترجمته في: فهرست الطوسي: ١٧٤، رجال الكشي: ١٦٥.

(٢) هو ابن الأهم. (٣) مرت ترجمته.

(٤) مرت ترجمته. (٥) القعدة: هم الخوارج.

(٦) مرت ترجمته.

(٧) هو: قعقاع بن شُور الذهلي، من بكر بن وائل. تابعي من الأجواد، كان معاصراً لمعاوية بن أبي سفيان. انظر ترجمته في: ثمار القلوب: ١٠٠.

(٨) مرت ترجمته.

الإيادي^(١) وقد ذكرنا شأنه . ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سحبان الباهلي . وسحبان هذا هو سحبان وائل^(٢) . وهو خطيب العرب . ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر إليه الأشراف أعشى همدان . ومن الشعراء الخطباء عمران بن عصام العرني^(٣) . وهو الذي أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال ولم قتله ويله هلا رعى له قوله فيه :

[الكامل]

وَبَعَثْتُ مَنْ وَلَدِ الْأَعْرَى مَعْتَبٍ صَفْرًا يَلُودُ حَمَائِهِ بِالْعَرْفَجِ^(٤)
فَإِذَا طَبَخْتَ بِنَارِهِ أَنْضَجْتُهَا وَإِذَا طَبَخْتَ بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْضَجْ
وَهُوَ الْهَزْبُرُ^(٥) إِذَا أَرَادَ فَرِيْسَةً لَمْ يُنْجِهَا مِنْهُ صِيَا حُ الْهَجْجِ^(٦)

ترجمة بشار بن برد :

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الأعمى . وهو بشار بن برد وكنيته أبو معاذ . كان من أحد موالى بني عقيل فإن كان مولى أم ظباء - على ما يقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد^(٧) - فهو من موالى بني سدوس . ويقال إنه من أهل خراسان نازلاً في بني عقيل . وله مديح كثير في فرسان أهل خراسان ورجالاتهم وهو الذي يقول :

[الرمل]

مَنْ خُرَاسَانَ وَبَيْتِي فِي الدُّرَى وَلَدَى الْمَسْعَاةِ فَرْعِي قَدْ سَبَقُ
وقال :

[الطويل]

وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمِ خُرَاسَانَ دَارُهُمْ كَرَامٍ وَفَرْعِي فِيهِمْ نَاضِرٌ بِسَقْ
وكان شاعراً راجزاً سجاعاً خطيباً صاحب منشور ومزدوج وله رسائل معروفة . وأنشد عقبة بن ربيعة عقبة بن سلم رجزاً يمتدحه فيه وبشار حاضر فأظهر بشار استحسان الأرجوزة . فقال عقبة بن ربيعة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه . فقال بشار : ألمثلي يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها :

[الرجز]

يَا طَلَّ الْحَيِّ بِذَاتِ الصَّمْدِ^(٨) بِاللَّهِ خَبْرٌ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي

(١) مرت ترجمته .

(٥) الهزير : من أسماء الأسد .

(٢) مرت ترجمته .

(٦) الهجج : صوت زجر للسبع .

(٣) مرت ترجمته .

(٧) مرت ترجمته .

(٤) العرفج : ضرب من الشجر ينبت في السهول .

(٨) الصمد : المكان المرتفع الصعب المرتقى .

وهي التي يقول فيها:

إِسْلَمَ وَحْيَيْتَ أبا المَلَدِ لله أَيامُك في مَعَدِّ

وفيها يقول:

الحرُّ يُلْحَى ^(١) والعَصا للعبدِ وليسَ للمُلْحِفِ مثلُ الرَّدِّ

ويقول فيها:

وصاحبُ كالدُّمَلِ الممدِّ حَمَلْتُهُ في رُفْعَةٍ من جِلْدِي
وما وراءَ رغبتي من زُهْدِي

أي لم أره زهداً فيه ولا رغبة. ذهب إلى قول الشاعر:

[الطويل]

لقد كنتَ في قومٍ عليك أَشْحَةٌ بنفسك لولا أن من طاح طائِحُ ^(٢)
يودُّونَ لو خاطوا عليك جلودهم ولا تدفعُ الموتَ النفوسُ الشحائِحُ

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي. والسيد الحميري ^(٣). وأبو العتاهية ^(٤). وابن أبي عيينة. وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل ^(٥). وسلم الخاسر ^(٦). وخلف بن خليفة ^(٧). وأبان بن عبد الحميد اللاهطي ^(٨) أولى بالطبع من هؤلاء. وبشار أطبعهم كلهم. ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دلّ وإشارة عيسى بن يزيد بن دأب أحد بني ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد.

تقريظ العتابي:

ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة

(١) يلحى: يلام. (٢) الطائح: الهالك.

(٣) هو: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، أبو هاشم أو أبو عامر: شاعر إمامي. ترك الرواة رواية شعره لتحامله على صحابة رسول الله ﷺ وتعصبه الشديد لبني هاشم. مات سنة ١٧٣هـ = ٧٨٩م. انظر ترجمته في: الأغاني: ٢/٧ - ٢٣، روضات الجنات: ٢٨/١.

(٤) هو: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي بالولاء. أبو إسحاق: شاعر مكث من طبقة أبي نواس وبشار. اشتهر بشعر الزهد. توفي سنة ٢١١هـ = ٨٢٦م. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة دار الكتب: ١/٤، تاريخ بغداد ٦/٢٥٠.

(٥) هو: يحيى بن نوفل الحميري اليماني، أبو معمر: شاعر هجاء، يماني الأصل، اشتهر في العراق، عاصر هلال بن أبي بردة، توفي نحو ١٢٥هـ = نحو ٧٤٣م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ٧١٧ - ٧٢١، معجم ما استعجم: ٢٤٥.

(٦) مرت ترجمته.

(٧) مرت ترجمته.

(٨) مرت ترجمته.

والبيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي^(١) وكنيته أبو عمرو. وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري^(٢) ومسلم بن الوليد الأنصاري^(٣) وأشباههما. وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع. ولم يكن في المولدين أصوبُ بديعاً من بشار وابن هرمة والعتابي. من ولد عمرو بن كلثوم ولذلك قال:

[البسيط]

إني امرؤ هدم الإفتار^(٤) مأثرتي واجتاح^(٥) ما بنت الأيام من خطري
أيام عمرو بن كلثوم يسوده^(٦) حياربيعة والأفناء^(٧) من مضري
أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطّلها الرامي من الوتر
ودل في هذه القصيدة على أنه كان قصيراً قوله:

نهى ظراف العواني عن مواصلي ما يفجأ العين من شبي ومن قصري

تقريظ سهل بن هارون:

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة سهل بن هارون بن راهبيوني الكاتب صاحب كتاب (ثعلة وعفرة) في معارضة كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (الأخوان) وكتاب (المسائل) وكتاب (المخزومي والهلذلية) وغير ذلك من الكتب. ومن الخطباء الشعراء علي بن إبراهيم بن جبلة بن مخزومة^(٨) ولا أعلمه يُكنى إلا أبا الحسن. وسنذكر كلام قس بن ساعدة^(٩) وشأن لقيط بن معبد وهند بنت الخس^(١٠) وجمعة بنت حابس وخطباء إياد إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله.

تفوق إياد وتميم على سائر العرب في الخطابة:

ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب، لأن رسول الله ﷺ هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته، وهو رواه لقريش

(١) مرت ترجمته.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) مرت ترجمته.

(٤) الاقتار: الافتقار.

(٥) اجتاح: أهلك.

(٦) يسود: يحكم قومه.

(٧) الأفناء: القبائل.

(٨) مرت ترجمته.

(٩) مرت ترجمته.

(١٠) جاء في نسخة أخرى «الحسن» بدلاً من «الخس». وهي: هند بنت الخس بن حابس بن قُريظ الإيادية فصيحة جاهلية، كانت ترد سوق عكاظ، ولها أخبار فيه. وتلقب بالزرقاء. انظر ترجمتها في: الأغاني، طبعة ساسي ١٣٤/٢١، مجالس ثعلب ٣٤٣، ٣٦٩.

والعرب وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه . وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيب العرب قاطبة . وكذلك ليس لأحد في ذلك مثل الذي لبني تميم لأن رسول الله ﷺ لما سأل عمرو بن الأهتم عن الزبيرقان بن بدر قال : مانع لحوزته مطاع في أذنيه فقال الزبيرقان : أما أنه قد علم أكثر مما قال ، لكنه حسدني شرفي . فقال عمرو : «أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر زمر^(١)» المروءة لئيم الحال ، حديث الغنى . فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ورأى الإنكار في عين رسول الله ﷺ ، قال : يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الآخرة ، فقال النبي ﷺ عند ذلك : «إن من البيان لسحراً» . فهاتان الخصلتان خُصَّت بهما إياد وتميم دون سائر القبائل . ودخل الأحنف بن قيس^(٢) على معاوية بن أبي سفيان ، فأشار له إلى الوساد . فقال له : اجلس فجلس على الأرض فقال معاوية ، ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوسادة؟ فقال يا أمير المؤمنين : إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري^(٣) ولده أن قال لا تَغْشَ^(٤) السلطان حتى يملك ، ولا تقطعه حتى ينسأك ، ولا تجلس له على فراش ، ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فإنه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك ، فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عليك . حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعله أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني . فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلام وأنشأ يقول :

[السريع]

يا أيُّها السائلُ عَمَّا مَضَى وعلم هذا الزمَنِ العاتِبِ
إن كنتَ تبغي العلمَ أو أهلهُ أو شاهداً يُخبرُ عن غائبِ
فاعتبرِ الأرضَ بسكَّانِها واعتبرِ الصَّاحِبَ بالصَّاحِبِ

وذهب الشاعر في مريثة أبي داود في قوله :

[الطويل]

وأضبرُ من عودٍ وأهدى إذا سرى من النِّجمِ في داجٍ من الليل غِيَهَبِ
هذا شبيه بقول جبار بن سليمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال : كان واللَّهِ لا يضل حتى يضل النجم . ولا يعطش حتى يعطش البعير . ولا يهاب حتى يهاب السيل . وكان واللَّهِ خيرَ ما يكون حين لا تظن نفس بنفس

(١) زمر المروءة : قليل المروءة .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) لا تغش : لا تردد على .

خيراً. وكان زيد بن جُندب أشغى أفلح، ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة. وقال عبيدة بن هلال الشكري ^(١) في هجائه له:

[الرجز]

أَشْغَى ^(٢) عَفْنَبَةً وَنَابٌ ذُو عَصَل ^(٣) وَقَلَحٌ ^(٤) بَادٍ وَسِنَّ قَدْ نَصَلَ ^(٥)

وقال عبيدة أيضاً فيه:

[الكامل]

وَلَمْؤُوكَ أَشْنَعُ حِينَ تَنْطِقُ فَاغِرّاً مِنْ فِي قَرِيحٍ ^(٦) قَدْ أَصَابَ بَرِيراً ^(٧)

وقال الكميت:

[المقارب]

تَشَبَّهَ بِالْهَامِ آثَارُهَا مَشَافِرُ قُرْحاً أَكَلْنَ الْبَرِيرَا

وقال أخو النمر بن تولب في شناعة أشداق الجمل:

[البسيط]

كَمْ ضَرْبَةٌ لَكَ تَحْكِي فَا قَرَّاسِيَّةٍ مِنْ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهِ شَنْعُ
وفي الخطاب من كان أشغى ومن كان أروق ومن كان أشدق ومن كان أضجم ومن كان أفقم. الفراسية بعير أضجم والضجم: اعوجاج في الفم والفقم مثله والروق ركوب السن الشفة. وفي كل ذلك روينا الشاهد والمثل.

وصف الأحنف بن قيس:

وروى الهيثم بن عدي ^(٨) عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال: قدم علينا الأحنف ^(٩) الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت خصلة تُذم في رجلٍ إلا وقد رأيتها

(١) هو: عبيدة بن هلال الشكري: من زعماء الخوارج الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم. سیر له الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي بجيش عظيم ففضى عليه سنة ٧٧هـ = ٦٩٦م. انظر ترجمته في: الكامل لابن الأثير: حوادث سنة ٧٧، الاشتقاق لابن دريد: ٢٠٧.

(٢) الأشغى: من كانت أسنانه غير منتظمة فتفاوتت دخولاً وخروجاً في لثته.

(٣) العصل: المخالب الحداد القواطع.

(٤) الفلح: صفة تعتري الأسنان من عدم النظافة.

(٥) نَصَلَ: خرج من مكانه.

(٦) القريح: الجريح.

(٧) البرير: هو أول ثمر شجر الأراك.

(٨) هو: الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي، مؤرخ عالم، أصله من «منبج» توفي في فم الصلح. قرب واسط سنة ٢٠٧هـ = ٧٢٢م. من كتبه: «بيوتات العرب» «بيوتات قريش». انظر ترجمته في: المعارف ٢٣٤، إرشاد الأريب ٧/٢٦١.

(٩) هو: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المُنْقَرِي التميمي، أبو بحر وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره. شهد فتوح خراسان واعتزل فتنة الجمل، إلا أنه شهد صفين إلى جانب الإمام علي: توفي سنة ٧٢هـ = ٦٩١م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/٦٦، وفيات الأعيان: ١/٢٣٠.

فيه، كان أصعل^(١) الرأس أحجن^(٢) الأنف أغضف^(٣) الأذن، متراكب الأسنان، أشدق، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باحق^(٤) العين، خفيف العارضين، أحنف^(٥) الرجلين. ولكنه إذا تكلم جلى عن نفسه ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضاً لمنعه. ولولا أنه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حال لما أقرّ بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه. وقولنا في كلمته هذه كقول هند بنت عتبة^(٦) حين أتاه نعي يزيد بن أبي سفيان^(٧). وقال لها بعض المعزين: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلفٌ من يزيد. فقالت هند: ومثل معاوية لا يكون خلفاً من أحد. فوالله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رُمي به فيها لخرج من أي أعراضها شاء. ولكننا نقول: المثل الأحنف يقال: «إلا أنه إذا تكلم جلى عن نفسه».

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات. قال ابن الأعرابي طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال:

[الرجز]
لَثْغَاءُ تَأْتِي بِحَيْفَسٍ أَلْثَغِ تَمِيسُ فِي الْمَوْشِيِّ وَالْمُصْبَغِ
الحيفس: الولد القصير الصغير. وأنشد ابن الأعرابي كلمة جامعة لكثير من هذه المعاني وهو قول الشاعر:

[الرجز]
اسْكُتْ وَلَا تَنْطِقْ فَأَنْتَ حَبَابٌ^(٨) كُلكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيَابُ
إِنْ صَدَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ كَذَابُ أَوْ نَطَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ هَيَابُ
أَوْ سَكَتَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ قَبْقَابُ^(٩) أَوْ أَقْدَمُوا يَوْمًا فَأَنْتَ وَجَابُ^(١٠)
وأنشدني:

[المتقارب]
وَلَسْتُ بِزَمِيجَةٍ^(١١) فِي الْفَرَاشِ وَجَابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجِيبَا
وَلَا ذِي قَلَازِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ إِذَا مَا الشَّرِيبُ^(١٢) أَرَابَ الشَّرِيبَا
الزمية: الثقل عن الحركة. والقلازم: كثرة الصياح. وأنشدني:
رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْجَيْبِ^(١٣) وَابْنِ أَبٍ مُتَّهِمِ الْعَيْبِ

(١) أصعل الرأس: دقيقه.

(٢) أحجن: معوج.

(٣) الأغضف: المسترخي الأذن.

(٤) الباحق: الأعور.

(٥) الأحنف: المعوج.

(٦) هربت ترجمته.

(٧) هربت ترجمتها.

(٨) الحباب: من كان قصيراً، على خلق سيء.

(٩) قبقاب: كثير الكلام.

(١٠) وجاب: جبان.

(١١) في نسخة أخرى «بدميجة» بدلاً من «بزميجة» والزمية من يعجز عن صيده. وقد تكون من المشترك اللفظي.

(١٢) الشريب: هو من يطلب الشرب أو يشارك فيه.

(١٣) ناصح الجيب: طيب القلب.

وَرُبَّ عَيَّابٍ لَهُ مَنُظَرٌ مُّشْتَمِلُ الثُّوبِ عَلَى الْعَيْبِ
وَأُنْشَدَ:

[الوافر]

وَأَجْرًا مِّن رَّأَيْتَ بَظْهَرِ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُو الْعُيُوبِ

أهمية الأسنان في عملية النطق :

وقال سهل بن هارون^(١) : لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثنياه في إقامة الحروف وتكميل جميل البيان، لما نزع ثنياه. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهل بن عمرو الخطيب: يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع^(٢) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً. وإنما قال ذلك لأن سهيلاً كان أعلم^(٣) من شفته السفلى. وقال خلاد بن يزيد الأرقط خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام وكان في كلامه صفيّر يخرج من موضع ثنياه المنزوعة فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه إلا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفيّر فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة أسنانه فقال في كلمة له :

[الكامل]

قَلْتُ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ
ويروى :

صحت مخارجها وتم حروفها

المزنية: الفضيلة. وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل البصرة قال: قال يونس بن حبيب في تأويل قول الأحنف بن قيس:

[الوافر]

أَنَا ابْنُ الزَّافِرِيَّةِ أَرْضَعَنِي بِثَدْيٍ لَا أَجْدُ^(٤) وَلَا وَخِيمُ
أَتَمَّنِّي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي وَلَا صَوْتِي إِذَا اصْطَكَّ^(٥) الْخُصُومُ

قال: إنما عنى بقوله عظامي أسنانه التي في فمه. وهي التي إذا تمت تمت الحروف. وقال يونس^(٦): وكيف يقول مثله أتممتي فلم تنقص عظامي، وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين، وهو أحنف من رجله جميعاً، مع قول الحنات له: والله لأنك ضئيل وإن أمك لورهاء^(٧). وكان أعرف بمواقع العيوب وأبصر بدقيقها وجليلها. وكيف

(١) مرت ترجمته.

(٢) يدلع: يخرج.

(٣) الأعلام: المشقوق الشفة.

(٤) الأجْد: اليابس.

(٥) اصطك الخصوم: التحموا.

(٦) هو: يونس بن حبيب البصري، أحد أساتذة سيبويه، وزميل الخليل بن أحمد.

(٧) الورها: الحمقاء.

يقول ذلك؟ وهو نصب عيون الأعداء والشعراء والأكفاء، وهو أنف مضر الذي تعطس عنه وأبين العرب والعجم قاطبة. قالوا: ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة مذ سقطت ثنياه في الطست. قال أبو الحسن وغيره لما شقَّ على معاوية سقوطُ مقدم فمه، قال له يزيد بن معن السلمي: واللَّهِ ما بلغ أحد سنك إلا أبغض بعضه بعضاً، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك فطابت نفسه. وقال أبو الحسن المدايني لما شدَّ عبد الملك أسنانه بالذهب قال: لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت. قال: وسألت مباركاً الزنجي الفاشكار^(١) - ولا أعلم زنجياً بلغ في الفشكرة مبلغه - فقلت له: لم ينزع الزنجي ثنياه ولم يحدد ناس منهم أسنانهم؟ فقال: أما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ولأنهم يأكلون لحوم الناس. ومتى حارب ملك ملكاً فأخذه قتيلاً أو أسيراً أكله. وكذلك إذا حارب بعضهم بعضاً أكل الغالب منهم المغلوب. وأما أصحاب القلع فإنهم قالوا: نظرنا إلى مقدم أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مقدم أفواهنا مقدم أفواه الغنم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا؟! وفي هذا كلام يقع في (كتاب الحيوان). وقال أبو الهندي في اللثغ:

[الوافر]

سُقِيَتْ أبا الْمُطَرِّحٍ إِذْ تَأْتَى^(٢) وَذو الرِّعَثَاتِ^(٣) مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ
شَرَاباً يَهْرُبُ الذَّبَانُ عَنْهُ وَيَلْتَعُ حِينَ يَشْرَبُهُ الْفَصِيحُ

وقال محمد بن عمرو الرومي مولى أمير المؤمنين: قد صحَّت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها أَلْشَطَرُ الْآخَرِ. وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدتهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد أن بقي منها أثلث أو الربع. فمن سقط جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوماً الوليد بن هشام القحذمي صاحب الأخبار. ومنهم أبو سفيان. والعلاء بن لبيد التغلبي وكان ذا بيانٍ وَلَسَن. وكان عبید الله بن أبي غسان ظريفاً يصرف لسانه كيف أحب. وكان أَلْإِلْحَاحُ على أَلْقَيْسٍ قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئاً إلا إن تطلع في لحم أَلْلَثَّةِ وفي أصول منابت الأسنان. وكان سفيان بن الأبرد الكلبى كثيراً ما يجمع بين الْقَارِ^(٤) وَالْحَارِ فتساقطت أسنانه جميعاً وكان مع ذلك خطيباً بَيِّنًا. وقال أهل التجربة: إذا كان في أَلْحَمٍ أَلَّذِي فيه مغارز الأسنان تشمير^(٥) وقصر سَمَكٍ^(٦) ذهبت الحروف وفسد أَلْبْيَانُ وإذا وجد أَلْلِسَانُ من جميع جهاته شيئاً يقرعه ويصكه^(٧) ولم يمر في

(١) الفاشكار: الفلاح. والفشكرة: الفلاحة. (٢) جاء في نسخة أخرى «إذ أتاني» بدلاً من «إذ تأتى».

(٣) ذو الرعثات: هو الديك.

(٤) القار: شديد البرودة.

(٥) التشمير: التقطص.

(٦) السَّمَك: الارتفاع.

(٧) صك: ارتطم، اصطدم.

هواء واسع المجال وكان لسانه يمالأ جوب^(١) فمه لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المفتقر^(٢) والجزء المحتمل . ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فإنه زعم في (كتاب الحيوان) أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلقي ولما يسمع كنعو البغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك وكالذي يتهياً من أفواه السنابير، إذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس . فأما الغنم فليس يُمكنها أن تقول إلا «ماء» والميم والباء أول ما يتهياً في أفواه الأطفال كقولهم : ماما وبابا لأنهما خارجان من عمل اللسان، وأنهما يظهران بالتقاء الشفتين وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم آلاهم من ألفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة .

مخرج الصاد :

فأما الصاد فليس تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسر يسراً^(٣) مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخرج الضاد من أي شديقه شاء . فأما الأيمن^(٤) والأعسر^(٥) والأضبط^(٦) فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

دور النفس في عملية النطق :

وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون الاسترواح ودفع البخار من الجوف من الشق الأيمن وحالا يكون من الشدق الأيسر ، ولا يجتمعان على ذلك في وقت إلا أن يستكره ذلك مُستكره أو يتكلفه مُتكلف فأما إذا ترك أنفاسه على سجيته لم يكن إلا كما قالوا . وقالوا : الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له قول كعب بن جعيل^(٧) ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الأنصار فقال : أرادي أنت إلى الكفر بعد الإيمان؟ لا أهجو قوماً نصرُوا رسول الله ﷺ وأَوْوَهُ . ولكني سأدلك على غلام في الحي كافر كأن لسانه لسان ثور . يعني الأخطل^(٨) . وجاء في الحديث أن الله تبارك وتعالى

(١) جوبة فمه : هو ما أنخفض من جوف الفم .

(٢) جاء في نسخة أخرى «المفتقر» بدلاً من «المفتقر» .

(٣) الأعسر اليسر : هو من باستطاعته العمل بكلتا يديه .

(٤) الأيمن : هو من يعمل بيده اليمنى . (٥) الأعسر : هو من يعمل بيده اليسرى .

(٦) الأضبط : هو الأعسر اليسر .

(٧) هو : كعب بن جعيل بن قميير بن عجرة التغلبي : شاعر تغلب في عصره ، من الشعراء المخضرمين . أسلم ، شهد مع معاوية وقعة «صفين» مات نحو سنة ٥٥هـ = نحو ٦٧م . انظر ترجمته في ؛ الشعر والشعراء ، طبعة الحلبي : ٦٣١ - ٦٣٢ ، طبقات ابن سلام : ٤٨٥ - ٤٨٩ .

(٨) هو : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو ، التغلبي . اختص بمدح الأمويين ، وارتبط اسمه بالخليفة عبد الملك بن مروان ، والتحم مع جرير بهجاء مـ . مات سنة ٩٠هـ = ٧٠٨م . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء : ١٨٩ ، الأغاني طبعة دار الكتب : ٢٨٠ / ٨ .

يغض الرجل يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة^(١) الخلى^(٢) بلسانها. قالوا: ويدلّ على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبي ﷺ: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته^(٣) ثم قال: والله إني لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه، وما يسّرني به مقول من معدّ. وأبو الصمّت مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة^(٤) وأبوه وأبنة في نسق واحد يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف أنفهم. وتقول الهند: لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كلّ طائر يتهيأ في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة. وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين في ذلك مثلاً فقالوا: الحمام المقصوص جناحه جميعاً أجدر أن يطير من الذي يكون أحدهما وافراً والآخر مقصوصاً، قالوا: وعلة ذلك التّعديل والاستواء وإذا لم يكن كذلك أرتفع أحد شقيه وأنخفض الآخر فلم يحذف ولم يطر. وألقطاً من الطير قد يتهيأ من أفواها أن تقول: «قطا قطا» وبذلك سميت. ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات وألفاء آت وألواوات كنعو قولها: «وَوُ وَوُ» وكنحو قولها: «عَفْ عَفْ» قال الهيثم بن عدي: قيل لصبي من أبوك؟ قال: «وَوُ وَوُ» لأن أباه كان يسمى كلباً.

ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين وأستعمال الجرامقة^(٥) للعين. قال الأصمعي ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان دال.

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه. فمن ذلك قول الشاعر:

[الرجز]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ وَلَيْسَ قُورَبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

تنافر الحروف المتقاربة المخارج:

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذين البيتين ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتلجلج وقيل لهم إن ذلك إنما أعتراه إذ كان من أشعار الجن صدقوا بذلك. ومن ذلك قول ابن بشير في أحمد بن يوسف حين استبطأه:

[الخفيف]

هَلْ مُعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ أَمْ مُعَزٌّ عَلَى الْمُصَابِ الْجَلِيلِ

(١) الباقرة، جمع واحد بقرة. (٢) الخلى: الطري من النبت.

(٣) طرف أرنبته: طرف أنفه.

(٤) هو: مروان بن يحيى (أبي الجنوب) بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، وإل، من الشعراء. اختص بمنادمة الخليفة المتوكل، وقلده المتوكل اليمامة والبحرين وطريق مكة. مات سنة ٢٤٠هـ = نحو ٨٥٥م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٩/٢ - ٩١.

(٥) الجرامقة: هي إحدى طوائف السريانيين الكلدانيين.

مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقٍ أَلْعَيْدِ
 فِي عِدَادِ أَلْمَوْتَى وَفِي غَامِرِ أَلدُّنْيَا
 لَمْ يَمُتْ مَيِّتَةً أَلْوَفَاةَ وَلَكِنْ
 لَا أَذِيلُ^(٢) أَلْأَمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي
 كَمْ لَهَا مَوْقِفًا بَبَابِ صَدِيقٍ^(٣)
 ثُمَّ قَالَ:

لَمْ يَضُرْهَا وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ
 وَأَنْثَنَتْ نَحْوَ عُرْفٍ^(٥) نَفْسٍ زَهْوِلٍ^(٦)
 فَتَفْقَدُ النِّصْفَ الْأَخِيرَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ بَعْضَ أَلْفَظِهِ يَتَبَرَّأُ مِنْ بَعْضٍ.
 وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْعَاصِي قَالَ: أَنْشَدَنِي خَلْفَ الْأَحْمَرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى:
 وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ^(٧) يُكِدُّ لِسَانَ أَلْنَّاطِقِ أَلْمُتَحَفِّظِ
 وَقَالَ أَبُو الْعَاصِي أَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ أَبُو أَلْبَيْدَاءِ الرِّيَّاحِيُّ:

وَشِعْرٌ كَبَعْرٍ أَلْكَبْشِ فَرَقَ بَيْنَهُ
 لِسَانٌ دَعِيَ فِي أَلْقَرِيضِ دَخِيلِ
 أَمَا قَوْلُ خَلْفٍ: «وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ» فَإِنَّهُ يَقُولُ إِذْ كَانَ أَلشَّعْرُ مُسْتَكْرَهًا
 وَكَانَتْ أَلْفَظُ أَلْبَيْتِ مِنْ أَلشَّعْرِ لَا يَقَعُ بَعْضُهَا مِمَّا ثَلَا لِبَعْضٍ كَانَ بَيْنَهَا مِنْ أَلْتَّنَافَرِ مَا بَيْنَ
 أَوْلَادِ الْعَلَاتِ. وَإِذَا كَانَتْ أَلْكَلِمَةُ لَيْسَ مَوْقِعُهَا إِلَى جَنْبِ أَخْتِهَا مُرْضِيًا مُوَافِقًا كَانَ عَلَى
 أَللسَّانِ عِنْدَ إِنْشَاءِ ذَلِكَ أَلشَّعْرُ مُؤَوَّنَةً.

مقياس جودة الشعر:

وَأَجُودُ أَلشَّعْرِ مَا رَأَيْتَهُ مُتَلَاحِمَ الْأَجْزَاءِ سَهْلَ الْمَخَارِجِ، فَيُعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَفْرَغُ إِفْرَاغًا
 جَيِّدًا، وَسُبْكٌ سَبْكًا وَاحِدًا، فَهُوَ يَجْرِي عَلَى أَللسَّانِ كَمَا يَجْرِي عَلَى أَلدَّهَانِ.
 وَأَمَّا قَوْلُهُ: «كَبَعْرُ أَلْكَبْشِ» فَإِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى أَنَّ بَعْرَ أَلْكَبْشِ يَقَعُ مُتَفَرِّقًا غَيْرَ مُؤْتَلَفٍ وَلَا
 مُتَجَاوِرٍ. وَكَذَلِكَ حُرُوفُ أَلْكَلَامِ وَأَجْزَاءُ أَلشَّعْرِ مِنْ أَلْبَيْتِ تَرَاهَا مُتَفَقَّةً لِمَسَاءً وَلِينَةً أَلْمُعَاطَفِ
 سَهْلَةٍ. وَتَرَاهَا مُخْتَلَفَةً مُتَبَايِنَةً وَمُتَنَافِرَةً مُسْتَكْرَهَةً تَشَقُّ عَلَى أَللسَّانِ وَتُكَدُّهُ. وَأَلْأُخْرَى تَرَاهَا
 سَهْلَةً لِينَةً وَرَطْبَةً مُتَوَاتِيَةً سَلْسَةً أَلنِّظَامِ خَفِيفَةً عَلَى أَللسَّانِ، حَتَّى كَأَنَّ أَلْبَيْتَ بِأَسْرِهِ كَلِمَةً

(١) ورق العيش: نصرته وشبابه.

(٢) لا أذيل: لا أهين.

(٣) جاء في نسخة أخرى «وقفة بباب كريم» بدلاً من «موقفاً بباب صديق».

(٤) التعطيل: التخلي عن أي شيء، وتركه يضيع.

(٥) جاء في نسخة أخرى «عزف» بالزاي بدلاً من «عُرف» والرواية أقرب إلى روح القصيدة.

(٦) جاء في نسخة أخرى «ذهول» بالذال بدلاً من «زهول» بالزاي.

(٧) أولاد علة: هم الأخوة من أب واحد، وأمهاتهم شتى.

واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد. قال سُحيم بن حفص: قالت بنت الحطيئة للحطيئة^(١): تركت قوماً كراماً ونزلت في بني كليب بعرك الكباش. فعاتبهم بنفوق بيوتهم فقيل لهم، فأنشدونا بعض ما لا تتنافر أجزاءه ولا تتباين ألفاظه فقالوا: قال الثقفى:

[البسيط]

من كان ذا عَصْدٍ^(٢) يُدرك ظلامته
تنبؤ يده إذا ما قلّ ناصره
إنّ الدليل الذي ليست له عَصْدُ
ويأنف الضيّم إن أئرى له عدّد
وأنشدوا:

[الطويل]

رمثني وستر الله بيني وبينها
رميمٌ ألتى قالت لجارات بيتها
ألا ربّ يوم لو رمثني رميْتُها
ولكنّ عهدي بالتّصالِ قديمٌ
وأنشدوا:

[المقارب]

ولستُ بزميجة^(٤) في الفراش
ولا ذي قلازم^(٥) عند الحياض
قال نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج: يا أبا الجحاف متى شئت. قال: وكيف ذلك؟ قال: رأيت عقبة بن رؤبة يُشد رجلاً أعجبنى. قال: إنه يقول لو كان لقوله قرآن، وقال الشاعر:

[الوافر]

مهاذبة^(٦) مناجبة قرآن
منادبة كأنهم الأسود
وأنشد ابن الأعرابي^(٧):

[البسيط]

وبات يدرُسُ شعراً لا قرآن له
قد كان ثقفهُ حوْلاً فما زاداً

(١) هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة. من الشعراء المخضرمين، أسلم، ولكنه بقي على عادته يهجو بعض المسلمين، فحبسه الخليفة عمر بن الخطاب، ثم أطلقه بعدما اشترى منه أعراض المسلمين بمرتب شهري توفي نحو سنة ٤٥هـ = نحو ٦٦٥م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ١٥٧/٢، الشعر والشعراء: ١١٠.

(٢) العصد: الساعد. (٣) الكناس: مأوى اختباء الغزال بين الشجر.

(٤) جاء في نسخة أخرى «بدميجة» بالبدال بدلاً من «بزميجة» بالزاي، والزميجة الداخل على القوم بغير دعوة، فيأكل معهم. وقد تكون من المشترك اللفظي.

(٥) ذو قلازم: هو اللثيم الصخّاب.

(٦) جاء في نسخة أخرى «مهاربة» بدلاً من «مهاذبة»، مهاذبة أي مهذبة متناسقة.

(٧) هو: محمد بن زياد، أبو عبد الله، كوفي من علماء اللغة فيها، وهو من الموالي. مات بسامراء سنة ٢٣١هـ = ٨٤٥م، من كتبه: «أسماء الخيل وفرسانها»، «شعر الأخطل». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٢٨٢/٥، طبقات النحويين واللغويين: ٢١٣.

وقال الآخر بشار:

[الطويل]

فهذا بَدِيَّةٌ لا كَتَحْبِيرِ قَائِلٍ إذا ما أَرَادَ الْقَوْلَ زَوَّرَهُ شَهْرًا

ما يتنافر من الحروف:

فهذا في افتراق الألفاظ فأما افتراق الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا ألقاف ولا أطاء ولا ألغين بتقديم ولا تأخير. وألزي لا تقارن أطاء ولا ألسين ولا أضاء ولا أذال بتقديم ولا تأخير. وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يُستدل به على ألغاية التي إليها يجري.

وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيراً فاحراً ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك ألسامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي. وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعرف مع إعرابه وتخيراً ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراساني. وكذلك إن كان من كتاب الأهواز. ومع هذا إنا نجد الحاكبة^(١) من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك. نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم فأما إذا حكى كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفه في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد كما أنك تجده يحكي الأعمى بصور يُنشئها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله فكأنه قد جمع جميع طرق حركات العميان في أعمى واحد. ولقد كان أبو دبوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينطق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير^(٢) ولا متعب بهير^(٣) إلا نَهَقَ وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه.

لدى الإنسان المقدرة على تقليد سائر الحيوانات:

وكان^(٤) قد جمع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد. وكذلك كان في نباح الكلاب. ولذلك زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له: العالم الصغير سليل العالم الكبير لأنه يصور بيده كل صورة ويحكي بفمه كل حكاية ولأنه يأكل النباتات كما تأكل البهائم ويأكل الحيوان كما تأكل السباع وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالاً. وإنما تهياً وأمكن الحاكبة بجميع مخارج الأمم لما أعطى الله الإنسان

(١) الحاكبة: المقلدين.

(٢) الحسير: الضعيف.

(٣) البهير: هو من يعدو بسرعة حتى ينقطع نفسه.

(٤) جاء في نسخة أخرى «كأنه» بدلاً من «كان» وهي أفضل لارتباطها بالمعنى المراد.

منَ الاستطاعة والتمكن وحين فضّله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة، فبطول استعمال التكلّف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه.

بعض الأمم تنطق على سجيتها ما شابه من حروفها:

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون. فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكّنت في الألسنة خلاف هذا الحكم ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زائياً ولو أقام في علياء تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً. وكذلك النبطي ألّقح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط لأن النبطي ألّقح يجعل الزاي سيناً فإذا أراد أن يقول: زورق. قال: سورك ويجعل العين همزةً فإذا أراد أن يقول: مشمعل قال: مشمئل. والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية، وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول: ناعمة، وتقول: شمس ثلاث مرات متواليات.

والذي يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشأوا وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم المأج^(١) المسترخي ألحنك المرتفع اللثة. وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من الأعجم ومن نشأ من العرب مع العجم^(٢).

ذكر من اشتهر بإبدال الحروف من الشعراء والبلغاء:

فمن اللكن ممن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى أبو أمامة وهو زياد الأعجم قال أبو عبيدة كان ينشد قوله:

[الطويل]

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوَدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ
قال: كان يجعل السنين شيئاً وألطاء تاء فيقول:

فتى زاده ألسلتان في الود رفعة

ومنهم سُحيم عبد بني الحسحاس، قال له عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأنشده قصيدته التي أولها:

[الطويل]

عُمَيْرَةٌ وَدَّعْ أَنْ تَجَهَّزَتْ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

(١) المأج: هو الرجل الهرم الذي يمجّ ريقه ولا يقدر على ردّه لكبر سنه.

(٢) هو: زياد بن سليمان، أو سليم - الأعجم، أبو أمامة العبدى، مولى عبد القيس: من شعراء الدولة الأموية. كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان حيث مات سنة ١٠٠هـ = ٧١٨م انظر ترجمته في: الأغاني: ٩٨/١٤ - ١٠٥، إرشاد الأريب: ٣٢١/٤.

لو كان شعرك كله مثل هذا لأجرتك. هكذا وقع في جميع نسخ الكتاب، والحكاية مروية عن عمر - رضي الله تعالى عنه - في غير هذا الموضع، كما وقعت داخل الكتاب: لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجرتك. قال: ما سعت. يريد ما شعرت فجعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة.

ومنهم عبيد الله بن زياد^(١) والي العراق قال لهانيء بن قبيصة^(٢): «أهروري سائر اليوم» يريد أحروري.

ومنهم ضُهب بن سنان النَّمري^(٣) صاحب رسول الله ﷺ كان يقول: «إنك لهائن» يريد إنك لخائن. وصهب بن سنان يرتضخ^(٤) لكنة رومية وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء. وازدا نقاذار لكنته نبطية وكان مثلهما في جعل الحاء هاء. وبعضهم يروي أنه أملى على كاتب له فقال أكتب: «الهاصل ألف كر» فكتبها أَلْكَاتِب بِالْهَاءِ كَمَا لَفْظُهَا فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْكَاتِبُ فَلَمَّا فَطِنَ لاجتماعهما على الْجَهْل قال: «أنت لا تهسن أن تكتب وأنا لا أحسن أن أملى فأكتب: الجاصل ألف كر» فكتبها بِالْجِيمِ معجمة.

ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الألفاظ جيد المعاني وكان إذا أراد أن يقول قلت له قال: قلت له فشارك في تحويل ألقاف كافاً عبد الله بن زياد. وكذلك خبرنا أبو عبيدة وإنما أتى عبيد الله بن زياد في ذلك أنه نشأ في الأساورة عند شيرويه الأسواري زوج أمه مرجانة وقد كان في آل زياد غير واحد يُسمى شيرويه قال وفي دار شيرويه عاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه زياداً من علة كانت به.

فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء فأما لكنة العامة ومن لم يكن له

(١) هو: عبيد الله بن زياد بن أبيه: وال، فاتح، من الشجعان، جبار، خطيب، ولد في البصرة سنة ٢٨هـ = ٦٤٨م، ولي بلاد العراق، في أيامه قتل الحسين بن علي - رضي الله عنهما - وقتله إبراهيم بن الأشتر بثار الحسين سنة ٦٧هـ = ٦٨٦م. انظر ترجمته في: تاريخ الطبري: ١٦٦/٦، ١٨/٧ و ١٤٤، عيون الأخبار ٢٢٩/١.

(٢) هو: هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني: أحد الشجعان الفصحاء في أواخر العصر الجاهلي. كان سيد بني قومه، لم يسلم، والمقصود بهذه الحادثة هو هانيء بن عروة المتوفى سنة ٦٠هـ. وقد قتل على يدي عبيد الله بن زياد.

(٣) هو: ضُهب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهماً، وله بأس وهو أحد السابقين إلى الإسلام. سبي طفلاً صغيراً، فاشتراه أحد بني كلب من الروم، فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمي، ثم أعتقه. أسلم فعرف بصهب الرومي. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٦١/٣، الإصابة: ت ٤٠٩٩.

(٤) يرتضخ: تمكنت اللكنة منه، فلا يستطيع التخلص منها ولو حاول.

حظ في المنطق فمثل قيل مولى زياد فإنه مرة قال لزياد: أهدوا إلينا همار وهش يريد حمار وحش. قال زياد: وأي شيء تقول ويلك. قال أهدوا إلينا إيراً يريد عيراً. فقال زياد: الأول أهون. وقالت أم ولد لجرير بن الخطفي لبعض ولدها وقع الجرذان في عجان أمكم أبدلت أذال من الجرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجناً. قال بعض الشعراء في أم ولد له يذكر لكتتها:

[الرجز]

أكثر ما أسمع منها في السحر تذكيرها لأنشى وتأنيث الذكور
والسواة السواة^(١) في ذكر القمر

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر قالت: القمر. وقال ابن عباد: ركبت عجوز سندية جملاً فلما مشى تحتها متخلعاً اعتراها كهينة حركة الجمع فقالت: «هذا أذمل يذكرنا بالسر». تريد أنه يذكرها بالوطء فجعلت الشين سيناً والجيم ذالاً، وهذا كثير. وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطي: لم أبتعت هذه الأتان؟ قال: «أركبها وتلد لي» فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال: تلد لي ولم يقل تلد لي. والصقلي يجعل أذال المعجمة دالاً في الحروف.

(١) السواة: الصفة القبيحة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

باب البيان

قال بعض جهابذة^(١) الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم والمتخلجة^(٢) في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره. وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها وإخبارهم عنها وأستعمالهم إياها. وهذه الخصال هي التي تقربها من ألفهم وتُجلبها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً. وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيداً والمقيد مطلقاً والمجهول معروفاً والوحشي مألوفاً والغفل موسوماً والموسوم معلوماً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه. وبذلك نطق القرآن. وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الأعجام.

معنى البيان:

والبيان أسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو ألفهم والأفهام فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

ما قيل في البيان:

ثم أعلم - حفظك الله - أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة

(١) الجهابذة: جمع جهبذ، وهو العالم الفطحل. (٢) المتخلجة: المتحركة.

إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصورة محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ: خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات.

ولكل واحد من هذه الخمسة صورةً بئنة من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية أختها وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقذارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها في السار والظاهر، وعمّا يكون منها لغواً وبهجاً^(١) وساقطاً مطّرحاً.

وقال أبو عثمان: وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب. ولكننا أخزنه لبعض التدبير. وقالوا: البيان بصّر وألعي عمى. كما أن العلم بصر والجهل عمى. والبيان من نتاج العلم وألعي من نتاج الجهل. وقال سهل بن هارون: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان تزجمان العلم. وقال صاحب المنطق^(٢): حد الإنسان الحي الناطق الميت. وقالوا: حياة المروءة الصدق، وحياة الروح العفاف، وحياة العلم الحياة. وقال يونس بن حبيب: ليس لعي مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حكّ بياضه عنان السماء. وقالوا: شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه واختياره قطعة من عقله. وقال ابن التوام، الروح عماد البدن، والعلم عماد الروح، والبيان عماد العلم.

طرائق الإشارة ولغاتنا:

قد قلنا في الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجراً رادعاً ويكون وعيداً وتحذيراً.

والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم التزجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تُغني عن الخط!

وبعد، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعوقة حاضرة في أمور يسترها^(٣) الناس من بعض ويخفونها من المجلس وغير

(١) البهرج: تزييف الحقيقة، وتزويقها بلون براق جميل.

(٢) يعني بصاحب المنطق أرسطو الفيلسوف اليوناني، وقد ألف كتاباً في المنطق وعلمه.

(٣) في نسخة ورد «يسرها» بدلاً من «يسترها».

الجليس . ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص وَلَجَهِلُوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

[الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمَتِّمِ

وقال الآخر:

[الهزج]

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ سِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْمَرْ ءِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

وقال الآخر:

[الرجز]

وَمَعَشَرَ صَيْدٍ ^(١) ذَوِي تَجَلُّهُ تَرَى عَلَيْهِمُ لِلنَّدَى أَدْلُهُ

وقال الآخر:

[الطويل]

تَرَى عَيْنُهَا عَيْنِي فَتَعْرِفُ وَحْيَهَا وَتَعْرِفُ عَيْنِي مَا بِهِ الْوَحْيُ يُرْجِعُ

وقال الآخر:

[الطويل]

وَعَيْنُ الْفَتَى تُبْدِي الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ وَتَعْرِفُ بِالنَّجْوَى الْحَدِيثَ الْمَغْمَسَا ^(٢)

وقال الآخر:

[البيط]

العين تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ الْمَحَبَةِ أَوْ بَغْضٍ إِذَا كَانَا
وَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبْيَانَا

هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضاً باب تتقدم فيه الإشارة الصوت .

معنى الصوت:

والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان

(١) الصيد: مفردة أصيد . وهو البطل الشجاع .

(٢) المغمس: المستخفي، المختبئ .

بِالْبَيَانِ مَعَ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْإِشَارَةِ مِنَ الدَّالِّ وَالشَّكْلِ وَالْتَفْتِلِ وَالتَّنْثِي وَاسْتِدْعَاءِ الشَّهْوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ .

قد قلنا في الدلالة بالإشارة فأما الخط فمما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه ﷺ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل ﷺ، حيث قال: ﴿تَوَلَّى الْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٢) ولذلك قالوا: «القلم أحد اللسانين». كما قالوا: قِلةُ العيال أحد اليسارين وقالوا: «القلم أبقى أثراً واللسان أكثر هذراً»^(٣) وقال عبد الرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدر أن يحضّ الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام. وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن. والكتاب يُقرأ بكل مكان، ويُدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره.

منزلة القول من أساليب التعبير :

وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٤) وقال جل وتقدس: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(٥) وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٦) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾^(٧) والحساب يشتمل على معانٍ كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفته العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب في الآخرة.

وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جُل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال في كل ما جعله الله عز وجل لنا قواماً ومصلحة ونظاماً.

وأما النصبه فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيئة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص.

(١) سورة العلق، الآيات: ٣ - ٥.

(٢) هذر الكلام: سَخف الحديث.

(٣) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٥) سورة القلم، الآية: ١.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٧) سورة يونس، الآية: ٥.

فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق . فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء مُعَرَّبَةٌ من جهة البرهان . ولذلك قال الأول : سل الأرض فقل : من شقَّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً . وقال بعض الخطباء : أشهد أن السموات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات ، كلُّ يؤدي عنك الحجة ويُعرب عنك بالربوبية موسومةً بآثار قدرتك ومعالم تدبرك التي تجلّيت بها لخلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهي على اعترافها لك وذُلّها إليك شاهدة بأنك لا تُحيط بك الصفات ولا تحدّك الأوهام وأن حظّ المفكر فيك الاعتراف لك . وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر ، وهو ميت : الإسكندر كان أمسٍ أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظُ منه أمس . ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً وأشار إليه وإن كان ساكناً . وهذا القول شائع في جميع اللغات ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات . وأنشد أبو الرديني العُكُلي في تنسم الذبّ الريح وأستنشاقه وأسترواحه :

[الرجز]

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بمثلِ مِقْرَاعِ الصِّفَا المَوْقِعِ
المقراع : الفأس التي يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد يقال وقَعْتُ الحديدَ إِذَا حددتها . وقال عنترة بن شداد العبسي وجعل نَعِيبُ الغرابِ خَبِيراً للزاجر :

[الكامل]

حَرَقَ الْجَنَاحَ كَأَن لَّحْيِي رَأْسَهُ جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ
الحرق : الأسود . شبه لحييه بالجملين لأن الغراب يُخبر بِالْفَرْقَةِ وَالْغُرْبَةِ ويقطع كما يقطع الجلمان^(١) . وقال الراعي :

[البسيط]

إِنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الرِّيحَ شَاهِدَةٌ وَالْأَرْضُ تَشْهَدُ وَالْأَيَّامُ وَالْبَلَدُ
لقد جَزَيْتُ بني بدرٍ بَبْغِيهِمْ يومَ الْهَبَاءِ يَوْمًا مَالَهُ قَوْدُ^(٢)
وقال نصيب في هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك :

[الطويل]

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لِقَيْتِهِمْ قِفَا ذَاتِ أَوْ شَالِ^(٣) وَمَوْلَاكَ قَارِبُ^(٤)
قِفُوا خَبَرُونَا عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لمعروفه من آلِ وَدَانَ طَالِبُ
فعاجؤا^(٥) فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ولو سكتوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
وهذا كثير جداً .

(١) الجلمان : المقرضان ، واحدهما جَلَمٌ للذي يُجَزِّبُهُ الشعر والصوف .

(٢) القود : الأخذ بالثأر من القاتل بقتله ، أو يقتل أحد أقاربه .

(٣) الأوشال : متفرقون يتبع بعضهم بعضاً . (٤) جاء في نسخة أخرى « لاغب » بدلاً من قارب .

(٥) عاجوا : مالوا .

من مآثور الكلم:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: «قيمة كل إنسان ما يُحسن» فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مُقَصَّرة عن الغاية.

وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من أَلْجَلالة وغشاه من نور الْحِكْمة على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله. فإذا كان أَلْمعنى شريفاً وأَللفظ بليغاً، وكان صحيح الطّبع بعيداً من أَلاستكراه ومنزهاً عن أَلاختلال مَصُوناً عن أَلتَكَلُّف صنع في أَلقلب صَنِيع أَلْعَيْث في أَلتُّربة أَلكريمة ومتى فَصَلَّتِ الكلمة على هذه الشريطة ونفَذْتُ من قائلها على هذه أَلصفة أَلصحبها الله من أَلتوفيق ومنحها من أَلتأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور أَلجبابرة ولا يذهل^(١) عن فهمها عقول أَلجهلة. وقد قال عامر بن عبد القيس: «الكلمة إذا خرجت من أَلقلب وقعت في أَلقلب وإذا خرجت من أَللسان لم تجاوز أَلآذان».

قال الحسن - رضي الله تعالى عنه -، وسمع متكلماً يعِظُ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرقّ عندها فقال له: «يا هذا إن بقلبك لشرّاً أو بقلبي». وقال علي بن الحسين بن علي - رضي الله عنهما -: «لو كان أَلناس يعرفون جملة أَلحال في فضل أَلاستبانة وجملة أَلحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تخلج في صدورهم ولوجدوا من بَرْد أَليقين ما يُغنيهم عن أَلمنازعة إلى كلّ حال سوى حالهم وعلى أن درك ذلك كان يُعدمهم في أَلأيام أَلقليلة أَلعدة وأَلفكرة أَلقصيرة أَلمدة، ولكنهم من بين مغمور بأَلجهل ومفتون بأَلعُجب ومعدول بأَلهوى عن باب أَلثبّت ومصرفٍ بسوء أَلعادة عن تفضيل أَلتعلم». وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال: «صلاح شأن جميع أَلتعايش وأَلتعاشر ملء مكيال: ثلثاه فطنة وثلثاه تغافل». فلم يجعل لغير أَلفطنة نصيباً من أَلخير ولا حظاً في أَلصلاح لأنّ أَلإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فُطِنَ له وعرفه. وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيم بن داحّة عن محمد بن عُمير. وذكرها صالح بن علي أَلأفقم عن محمد بن عُمير. وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشيع وكان ابن عُمير أغلاهم.

وأخبرني إبراهيم بن أَلسّندي عن علي بن صالح أَلحاجب عن أَلعباس بن محمد قال: قيل لعبد الله بن عباس: أنى لك هذا العلم؟ قال: «قلب عَقُول ولسان سَوُول».

(١) يذهل: يحار.

وقد رَوَوْا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه، والدليل على ذلك قول الحسن: إن أول من عُرِفَ بِالْبَصْرَةِ أَبُو عَبَّاسٍ صَعِدَ الْمَنبَرِ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَفَسَّرَهَا حَرْفًا حَرْفًا وَكَانَ مَثْجًا^(١) يَسِيلُ غَرْبًا. المَثْجُ: السَّائِلُ الْكَثِيرُ، وَهُوَ مِنَ الثَّجَاجِ وَالْعَرَبُ هَهنا: الدَّوام. أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانٍ وَغَيْرُهُ، قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ يَا أَبَا سَعِيدٍ: إِنَّ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّكَ تَذُمُ ابْنَ عَبَّاسٍ. قَالُوا: فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لَحْيَتُهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَبْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ إِنَّ أَبْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ! وَكَانَ وَاللَّهِ لَهُ لِسَانٌ سَوُولٌ وَقَلْبٌ عَقُولٌ وَكَانَ وَاللَّهِ مَثْجًا يَسِيلُ غَرْبًا.

قالوا: وقال علي بن عبد الله بن عباس: «من لم يجد مسَّ نقص الجهل في عقله وذلَّ المعصية في قلبه ولم يستتب مَوْضِعَ الْخَلَّةِ في لسانه عند كلال حدِّه عن حدِّ خصمه فليس مِمَّنْ يَفْزَعُ عن رِيبة ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكثرث لفصل ما بين حجة وشبهة» قالوا: وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله، فقال: «إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله». وهذا كلام شريف نافع فأحفظوا لفظه وتدبروا معناه.

ثم أعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنيء الساقط يعيش في القلب ثم يبيض ثم يُفَرِّخُ فإذا ضرب بجوانه ومكن لعروقه استفحل الفساد وبزل^(٢) وتمكن الجهل وفرَّخ فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه. اللفظ الهجين الرديء والمُستكره الغبي أعلق باللسان وآلف للسمع وأشدَّ التَّحَامًا بِالْقَلْبِ مِنَ الْلفْظِ الْنبِيهِ الشَّرِيفِ وَالْمَعْنَى الرَّفِيعِ الْكَرِيمِ وَلَوْ جَالَسَتْ الْجَهَالُ وَالنُّوْكَى^(٣) وَالسَّخَفَاءُ وَالْحَمَقَى شَهْرًا فَقَطْ لَمْ تَنْقُ مِنْ أَوْضَارِ^(٤) كَلَامِهِمْ وَخَبَالِ مَعَانِيهِمْ بِمَجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْعَقْلِ دَهْرًا لِأَنَّ الْفُسَادَ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ وَأَشَدَّ التَّحَامًا بِالطَّبَائِعِ. وَالْإِنْسَانُ بِالتَّعْلُمِ وَالْتِكْلَفِ وَبَطُولِ الْأَخْتِلَافِ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَمَدَارَسَةِ كُتُبِ الْحِكْمَاءِ يَجُودُ لَفْظُهُ وَيَحْسُنُ أَدَبُهُ. وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ فِي الْجَهْلِ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ تَرَكَ التَّعْلُمَ وَفِي فُسَادِ الْبَيَانِ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ تَرَكَ التَّخِيرَ.

ومما يؤكد قول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء، حين قيل له: متى يكون الأدب شراً من عدمه؟ قال: إذا كثر الأدب ونقصت القريحة. وقد قال بعض الأولين: «من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه». وهذا كله قريب بعضه من بعض. وذكر المغيرة بن شعبه^(٥) عمر بن الخطاب -

(١) مثجاً: ثراً.

(٢) يزل: انشق.

(٣) النوکی: الحمقى.

(٤) الأوضار: الأوساخ، الأدران.

(٥) هو: أبو عبد الله، المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أحد دهاة العرب وقادتهم، وولاتهم، صحابي، ولد في الطائف سنة ٢٠ ق. هـ = ٦٠٣ م. شهد الحديبية واليمامة وفتح بلاد الشام =

رضي الله عنه - فقال: «كان والله أفضل من أن يخدع»^(١) وأعقل من أن يُخدع» وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: «كفاك من علم الدين أن تعلم ما لا يسعُ جهله وكفاك من علم الأدب أن ترويَ الشاهد والمثل» وكان عبد الرحمن بن إسحاق القاضي يروي عن جدّه إبراهيم بن سلمة، قال: سمعت أبا مسلم^(٢) يقول: سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامعُ من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطقُ من سوء فهم السامع» قال أبو عثمان: وأما أنا فأستحسن هذا القول جداً.

تعريف البلاغة عند الأمم:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الأنبياء عامة. أخبرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسانٍ وحدثني محمد بن أبان - ولا أدري كاتب من كان - قالاً: قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وأنتهاز الفرصة وحسن الإشارة. وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة. ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر. قال: وقال مرة: جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحرف بما التبس^(٣) من المعاني أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر. ثم قال: وزين ذلك كله وبهاؤه. وحلاوته وسناؤه. أن تكون الشمائل موزونة. والألفاظ معدلة. واللهجة نقية. فإن جامع ذلك ألسنٌ والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال.

وخالف عليه سهل بن هارون - وكان سهل في نفسه عتيق الوجه وحسن الإشارة بعيداً من القدامة^(٤) معتدل القامة مقبول الصورة يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة، وبرقة الذهن قبل المخاطبة، وبدقة المذهب قبل الامتحان، وبالنبل قبل التكشف. فلم يمنعه ذلك أن يقول ما هو ألحق عنده وإن أدخل ذلك على حاله النقص - قال سهل بن هارون: لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهياً ولباساً نبيلاً وذا حسب شريفاً.

= والقادسية وغيرها. ولاه عمر بن الخطاب على البصرة. اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية. توفي سنة ٥٠هـ = ٦٧٠م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٨١٨١، أسد الغابة ٤/٤٠٦.

(١) جاء في نسخة أخرى: «أفضل من أن يجذع وأعقل من أن يجذع». بدلاً من: «أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يُخدع».

(٢) هو أبو مسلم الخراساني.

(٣) التبس: غمض.

(٤) القدامة: العي.

وكان الآخر قليلاً قميئاً^(١) وباذ^(٢) الهيئة دميماً^(٣) وخامل الذكر مجهولاً. ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب. لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذي الهيئة. ولشغلهم التّعجب منه على مساواة صاحبه ولصار التّعجب منه سبباً للتعجب به. وكان الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه. لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس، ومن حسده أبعد. فإذا هجموا منه على ما لم يحتسبوه وظهر منه خلاف ما قدره تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم. لأن الشيء من غير معدنه أغرب. وكلما كان أغرب كان أبعد في ألوههم. وكلما كان أبعد في ألوههم كان أظرف. وكلما كان أظرف كان أعجب. وكلما كان أعجب كان أبداع. وإنما ذلك كنودار كلام الصبيان ومُلح المجانين. فإن ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثر. والناس موكلون بتعظيم الغريب وأستطراف البديع. وليس لهم في الوجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ، وكل ما كان في ملك غيرهم. وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم والأصحاب في الفائدة من صاحبهم. وعلى هذه السبيل يستطرون القادم عليهم ويرحلون إلى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر وجوه العلم تصرفاً وأخف مؤنة وأكثر فائدة. ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق والطارف^(٤) على التليد^(٥). وكانوا يقولون إذا كان الخليفة بليغاً وألسيد خطيباً فإنك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين: إما رجلاً يُعطي كلامهما من التعظيم والتفضيل والإكبار والتبجيل على قدر حالهما في نفسه وموقعهما من قلبه. وإما رجلاً تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يكون تعظيمه لهما يؤهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما حتى يُفرض في الإشفاق^(٦) ويُسرف في التهمة. فالأول يزيد في حقه للذي له في نفسه. والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه لإشفاقه من أن يكون مخدوعاً في أمره. فإذا كان الحب يعمي عن المساوىء فألبغض يعمي عن الحقائق والمحاسن. وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصول حدود لطائف الأمور إلا عالم حكيم أو معتدل الأخلاق^(٧) عليم وإلا القوي المنة^(٨) الوثيق العقدة والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكثر.

وكان سهل بن هارون شديد الإطناب^(٩) في وصف المأمون في البلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة والطلاوة. وإذا صرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية

(١) قميئاً: حقيراً. (٢) باذ الهيئة: رث الملبس.

(٣) دميماً: بشعاً. (٤) الطارف: الجديد.

(٥) التليد: القديم الموروث. (٦) الإشفاق: الخوف.

(٧) الأخلاق: التركيب الذي عليه الإنسان في جسده، من لحم ودم.

(٨) المنة: العطاء والقدرة. (٩) الإطناب: الإطالة في السرد.

خطباء بني هاشم وبلغاء رجال القبائل قلنا في وصفهما على حسب حالهما والفرق الذي بينهما. ولأننا عسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهليين والإسلاميين وأبدويين والحضرين وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم وبالله التوفيق.

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الإشارة: وروى أبو شمر عن معمر أبي الأشعث خلاف القول الأول في الإشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء^(١).

حال أبي شمر أثناء الخطابة:

وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه. حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع^(٢) صخرة. وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك وبالعجز عن بلوغ إرادته. وكان يقول: ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتى كلمه إبراهيم بن سيار النظام^(٣) عند أيوب بن جعفر فأضطره بالحجة وبالزيادة في المسألة حتى حرك يديه وحلّ حبوته^(٤) وحبا إليه حتى أخذ بيديه. ففي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبي شمر إلى قول إبراهيم. وكان الذي غرّ أبا شمر وموّه له هذا الرأي أن أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون إليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبتونه عندهم. فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم إياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسي حال منازعة الأكفاء ومجاذبة الخصوم. وكان شيخاً وقوراً وزميتاً^(٥) ركيناً. وكان ذا تصرف في العلم ومذكوراً بالفهم والجلم.

تعريف البلاغة عند الهنود:

قال معمر أبو الأشعث قلت لبهلة الهندي أيام أجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل (منكة) و(وبازيكر) و(قبرقل) و(سندباز) وفلان وفلان: ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بهلة: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فائق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها. قال أبو الأشعث فلقيت بتلك الصحيفة الترجمة فإذا فيها: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح قليل اللفظ. متخيراً للفظ. لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام الأسواق. ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة. ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا يُنقح الألفاظ كل التنقيح ولا يُصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا

(١) الأكفاء: الأمثال في القدرة والعلم. (٢) الصدع: الشق.

(٣) هو: إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري، أبو إسحاق النظام. من كبار أئمة المعتزلة. اتهم بالزندقة وكان شاعراً أديباً بليغاً. توفي في سنة ٢٣١هـ = ٨٤٥م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٦/ ٩٧، النجوم الزاهرة ٢٥/ ٢٣٤.

(٤) حبوته: جلسته. (٥) زميتاً: وقوراً.

يفعل ذلك حتى يُصادفَ حكيماً أو فيلسوفاً عليمًا، ومن قد تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والنظر.

وقال: مَنْ علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً وتلك الحال له وفقاً، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً ولا مُقصرًا ولا مُشترَكًا ولا مضمناً. ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده. ويكون لفظه مؤنقاً ولهول تلك المقامات معاوداً. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم. وأن تواتيه آتاه وتتصرف معه أدواته ويكون في التهمة لنفسه مُعتدلاً وفي حسن الظن بها مُقتصدًا. فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها فأودعها ذلة المظلومين وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها أمّنها فأودعها تهاون الأدميين. ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل.

وقال إبراهيم بن هانيء - وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمرداً. ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجِدِّ لَمَّا جعلته صلة الكلام الماضي. وليس في الأرض لفظ يسقط البتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن - وقال إبراهيم بن هانيء: من تمام آلة القصص أن يكون القاصُّ أعمى، ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت. ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء. ومن تمام آلة المغني أن يكون فاره البرذون^(١) براق الشنايا عظيم الكبير سيئ الخلق. ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذمياً ويكون اسمه أذين أو مازيار أو ازدانقازار أو ميشا أو شلوما ويكون أرقط^(٢) الثياب مختوم العُتق. ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً. ويكون الداعي إلى الله صوفياً. ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس.

ولذلك قال ابن سنان الجديدي لراشد بن سلمة الهذلي: ما أنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيداً ولا بأسح^(٣) فتكون فارساً. وقال شبيب بن شيبه^(٤) الخطيب لبعض فتيان بني مُنقر: واللّه ما مطلّت مطلّ الفرسان ولا فتقت فتقّ السادة. قال الشاعر:

[الطويل]

تُقَلَّبُ^(٥) رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وكفّا كفّ الضّبّ أو هي أحقر

(١) فاره البرذون: ضخمة الجثة مع طول. (٢) الأرقط: المنمش.

(٣) الأسح: قليل لحم العجز والفخذين.

(٤) هو: شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنقري الأهتمي، أبو معمر، أديب الملوك وجليس الفقراء، وأخو المساكين، بصري، نادم خلفاء بني أمية، فكان سفير قومه لديهم. مات نحو سنة ١٧٠هـ = ٧٨٦م. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال ١/ ٤٤١

(٥) جاء في نسخة أخرى «فقبلت» بدلاً من «تقلّب». وما جاء في النسخة الأخرى ينسجم مع روح البيت الشعري.

فتقدفه على ألسنتنا. فقال له رجل من عَرَضَ الْقَوْمِ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَلْبُسَرٍ وَالرُّطْبِ أَبْصَرَ مِنْهُمْ بِالْخُطْبِ. فقال له صُحَار: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ لَتَنْفِخُهُ وَأَنَّ الْبَرْدَ لَيَعْقِدُهُ وَأَنَّ الْقَمَرَ لَيَصْبِغُهُ وَأَنَّ الْحَرَ لَيَنْضِجُهُ. فقال له معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: أَلَا يُجَاز. قال له معاوية: وما الإيجاز. قال له صُحَار: أَنَّ تُجِيبَ فَلَا تُبْطِئَ وَأَنَّ تَقُولَ فَلَا تُخْطِئَ. فقال معاوية: أو كذلك تقول؟ قال صُحَار: أَقْلَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ.

وشأن عبد القيس عجيب، وذلك أنهم بعد محاربة إِيَادَ تَفَرَّقُوا فِرْقَتَيْنِ: ففِرْقَةُ وَقَعَتْ بِعَمَانَ وَشِثْقُ عَمَانَ وَفِيهِمْ خُطْبَاءُ الْعَرَبِ، وَفِرْقَةُ وَقَعَتْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَشِثْقُ الْبَحْرَيْنِ وَهُمْ مِنْ أَشْعَرِ قَبِيلَةٍ فِي الْعَرَبِ. وَلَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ حِينَ كَانُوا فِي سِرَةِ الْبَادِيَةِ وَفِي مَعْدَنِ الْفَصَاحَةِ وَهَذَا عَجَبٌ. وَمِنْ خُطْبَائِهِمُ الْمَشْهُورِينَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ^(١) وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَشَيْخَانُ بْنُ صُوحَانَ. وَمِنْهُمْ صُحَارُ بْنُ عِيَاشٍ. وَصُحَارُ بْنُ شَيْعَةَ عَثْمَانَ وَبَنُو صُوحَانَ مِنْ شَيْعَةَ عَلِيٍّ. وَمِنْهُمْ مِصْقَلَةُ بْنُ رَقَبَةَ وَرَقَبَةُ بْنُ مِصْقَلَةَ وَكَرْبُ بْنُ رَقَبَةَ. وَإِذَا صِرْنَا إِلَى ذِكْرِ الْخُطْبَاءِ وَالنَّسَابِينَ ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِقَدَرِ مَا يَحْضُرُنَا وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

قال لي ابن الأعرابي: قال لي المفضل بن محمد الضبي: قلت لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: أَلَا يُجَازُ فِي غَيْرِ عَجَزٍ وَأَلَّا طُنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ. قال ابن الأعرابي: فقلت للمفضل: ما أَلَا يُجَازُ عِنْدَكَ؟ قال: حَذَفَ الْفُضُولَ وَتَقَرَّبَ الْبَعِيدَ. قال ابن الأعرابي: قيل لعبد الله بن عمر: لَوْ دَعَوْتُ اللَّهَ لَنَا بِدَعَوَاتٍ. فقال: اللَّهُمَّ أَرْحَمْنَا وَعَافِنَا وَأَرْزُقْنَا. فقال رجل: لَوْ زِدْتَنَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فقال نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ^(٢).

= من شَيْعَةَ عَثْمَانَ، وَشَهِدَ صَفَيْنَ مَعَ مَعَاوِيَةَ، سَكَنَ الْبَصْرَةَ حَيْثُ تَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ = ٦٦٠ م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٤٠٣٦، المعبر لابن حبيب: ٢٩٤.

(١) هو: صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ بْنِ حَجَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْعَبْدِيِّ: مِنْ سَادَاتِ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، كَانَ خُطْبِيًّا بَلِيغًا، شَهِدَ صَفَيْنَ مَعَ عَلِيٍّ، يُقَالُ إِنَّهُ تَوَفَّى فِي الْكُوفَةِ سَنَةَ ٥٦ هـ = ٦٧٦ م. انظر ترجمته في الإصابة: ت ٤١٢٥، تاريخ الكوفة: ٤٦.

(٢) الإسهاب، الإطناب، التطويل.

باب من ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبياء والفقهاء والأمرء

ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم زيد بن صوحان^(١).

ومنهم أبو وائلة إياس بن معاوية المزني القاضي^(٢) القائف وصاحب الركن والمعروف بجودة الفراسة ولكثرته كلامه قال له عبد الله بن شبرمة: أنا وأنت لا نتفق: أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع. وأتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميماً باذ الهيئة قشفا فاستهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه، وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام المملوك. ورأيت ناساً يستحسنون جواب إياس حين قيل له: ما فيك عيب غير أنك معجب بقولك. قال: أفأعجبكم قولي؟ قالوا: نعم. قال: فأنا أحق - بأن أعجب بما أقول وبما يكون مني - منكم.

والناس - حفظك الله - لم يضعوا ذكر العجب في هذا الموضع. والمعيب عند الناس ليس هو الذي يعرف ما يكون منه من الحسن. والمعرفة لا تدخل في باب التسمية بالعجب والعجب مذموم. وقد جاء في الحديث: «إن المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنة» وقيل لعمر: فلان لا يعرف الشر: قال: ذلك أجدر أن يقع فيه. وإنما العجب إسراف الرجل في السرور بما يكون منه والإفراط في استحسانه حتى يظهر ذلك منه في لفظه وفي شمائله. وهو كالذي وصف به صعصعة بن صوحان المنذر بن الجارود^(٣) عند

(١) هو: زيد بن صوحان بن حُجر العبدي، من بني عبد القيس، من ربيعة: تابعي، من أهل الكوفة، له رواية عن عمر وعلي. كان أحد الشجعان الرؤساء شهد وقائع الفتح، قتل يوم الجمل مع علي سنة ٣٦هـ = ٦٥٦م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٨٥، تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٩، تاريخ الكوفة: ٥٢.

(٢) هو: إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو وائلة: قاضي البصرة، أحد عجائب الدهر بالذكاء والفطنة. توفي سنة ١٢٢هـ = ٧٤٠م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١/ ٨١، حلية الأولياء: ٣/ ١٢٣.

(٣) هو: المنذر بن الجارود (واسمه بشر) بن عمرو بن خنيس العبدي: أمير من السادة الأجواد. ولد في عهد النبي ﷺ، وشهد الجمل مع علي (رضي الله عنه)، وولاه على إمرة إصطخر. ثم عزله، ثم ولّاه =

علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فقال: أما والله إنه مع ذلك لنظّار في عطفيه تقال في شراكه تعجبه حُمرة برديه .

قال أبو الحسن: قيل لإياس: ما فيك عيب إلا كثرة الكلام. قال: فتسمعون صواباً أم خطأ، قالوا: بل صواباً. قال: فالزيادة من الخير خير. وليس - كما قال - للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية. وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفضل هو الهذر وهو الخطل وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه. وذكر الأصمعي أن عمر بن هبيرة لما أراد على القضاء قال: إني لا أصلح له قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنني عيٌّ ولأنني دميم ولأنني حديد. قال ابن هبيرة: أما الحدة فإن السوط يقومك وأما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك أحداً وأما العي فقد عبرت عما تريد فإن كان إياس عند نفسه عيياً فذاك أجدر أن يهجر الإكثار. وبعد هذا فما نعلم أحداً رمى إياساً وإنما عابوه بالإكثار. وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال: ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض، إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيراً.

وصف ذكاء إياس بن معاوية:

وقال قائل لإياس: لم تعجل بالقضاء فقال له إياس: كم لكفك من أصبع؟ قال: خمس قال: عجلت. قال: لم يعجل من قال بعد ما قتل الشيء علماً وبقيناً. قال إياس: فهذا هو جوابي لك. وكان كثيراً ما يُشدد قول النابغة الجعدي^(١):

[المتقارب]

أبى لي البلاء^(٢) وأني أمرؤ إذا ما تبَيَّنتُ لم أرْتبِ
قال: ومدح سلمة بن عياش سوار بن عبد الله بمثل ما وصف به إياس نفسه حين قال:

[الطويل]

وأوقِفْ عند الأمر ما لم يَبِنْ له وأمضِ إذا ما شكَّ ما كان ماضياً
وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى عدي بن أرطاة^(٣): إن قبلك رجلين

= عبيد الله بن زياد ثغر الهند فمات فيها سنة ٦١هـ = ٦٨١م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٨٣٣٦، الأغاني: ١١٧/١١.

(١) هو: قيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى: شاعر مفلّق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي «النابغة» وفد على النبي ﷺ وأسلم، أدرك صفين مع علي، ثم سكن الكوفة سيره معاوية إلى أصبهان مع واليه حيث كف بصره ومات سنة ٥٠هـ = ٦٧٠م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء: ١٠٣، أمالي المرتضى: ١٩٠/١.

(٢) البلاء: الامتحان، الاختبار.

(٣) هو: عدي بن أرطاة الفزاري، أبو وائلة: أمير، من أهل دمشق. كان من العقلاء الشجعان، ولأهـ =

من مزية قول أحدهما قضاء البصرة. يعني بكر بن عبد الله المزني وإياس بن معاوية. فقال بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنت صادقاً فما يحل لك أن توليني، وإن كنت كاذباً إنها لأحراهما. وكانوا إذا ذكروا البصرة، فقالوا: شيخها الحسن وفتاها بكر. وقال إياس بن معاوية: لست بخب وألخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبي ويخدع الحسن. ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصم له وكان الخصم شيخاً كبيراً إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان، فقال له القاضي: أتقدم شيخاً كبيراً. قال: الحق أكبر منه. قال: أسكت. قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: لا أظنك تقول حقاً حتى تقوم. قال: قال: لا إله إلا الله أحقاً هذا أم باطلاً؟ فقام القاضي فدخل على عبد الملك من ساعته فخبه بالخبر. فقال عبد الملك: اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد علي الناس. فإذا كان من إياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك به وقد كبرت سنه وعض ناجذه؟! وإياس هو الذي قال: لست بخب وألخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبي ويخدع الحسن. وجملة القول في إياس أنه كان من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة وكان فقيه البدن رقيق المسلك في الفطن وكان صادق الحدس نقاباً وعجيب الفراسة ملهماً، وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيهاً عند الخلفاء مقدماً عند الأكفاء. وفي مزية خير كثير.

ثم رجعنا إلى القول الأول: ومنهم ربيعة الرأي^(١) وكان لا يكاد يسكت. قالوا: وتكلم يوماً فأكثر وأعجب بالذي كان منه، فالتفت إلى أعرابي كان عنده فقال: يا أعرابي ما تعدون العي فيكم؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم. وكان يقول: الساكت بين النائم والأخرس.

ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ومحمد بن حفص هو ابن عائشة. ثم قيل لعبيد الله بن أبي عائشة وكان كثير العلم والسمع متصرفاً في الخبر والأثر وكان من أجود قريش وكان لا يكاد يسكت وهو في ذلك كثير الفوائد. وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم، بعث إليه ميخاب خليفته في بعض الأمر. فأتاه في حلقته في المسجد. فقال له في بعض كلامه: أبو من أصلحك الله؟ فقال له: هلا عرفت هذا قبل مجيئك وإن كان لا بد لك من هذا فأعترض من شئت فأسأله؟ فقال له: إني أريد أن تخلبنني. قال أفي حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال: بل في حاجة لي. قال فألقني في المنزل. قال: فإن الحاجة لك. قال: ما دون إخواني ستر.

= عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩هـ، فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط سنة ١٠٢هـ = ٧٢٠م. انظر ترجمته في: الكامل للمبرد ١٤٩/٢، تاريخ اليعقوبي ٥٣/٣.

(١) هو: ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء المدني، أبو عثمان، إمام حافظ فقيه مجتهد، كان نصيراً بالرأي، فلقب بـ «ربيعة الرأي». وكان من الأجواد. مات سنة ١٣٦هـ = ٧٥٣م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤٢٠/٨، ميزان الاعتدال ١/١٣٦.

ومنهم محمد بن مسعر العقيلي وكان كريماً كريماً ألمجالسة يذهب مذهب ألسَّاك وكان جواداً. مر صديق له من بني هاشم بقصر له وبستان نفيس فبلغه أنه استحسنة فوهبه له.

ومنهم أحمد بن المعذل بن غيلان. كان يذهب مذهب مالك. وكان ذا بيان وتبحر في المعاني وتصرف في الألفاظ.

وممن كان يُكثر الكلام جداً الفضل بن سهل. ثم الحسن بن سهل في أيامه. وحدثني محمد بن الجهم ودؤاد بن أبي دؤاد قالا: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن حازم فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: ذنبي أعظم من السماء ذنبي أعظم من الهواء ذنبي أعظم من الماء. قالا: فقال الحسن بن سهل: على رسلك تقدمت منك طاعة وكان آخر أمرك إلى توبة وليس للذنوب بينهما مكان، وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو.

ومن هؤلاء علي بن هشام وكان لا يسكت ولا أدري كيف كان كلامه.

قال: وحدثني مهدي بن ميمون. قال: حدثنا غيلان بن جرير قال: كان مُطَرِّف بن عبد الله يقول: لا تطعم طعامك من لا يشتهي. يقول: لا تُقبل حديثك على من لا يُقبل عليك بوجهه. وقال عبد الله بن مسعود: حَدِّثْ النَّاسَ مَا حَدِّثُوكَ بِأَسْمَاعِهِمْ وَلِحْظُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فِتْرَةً^(١) فَأْمَسْكَ.

أثر ترداد الكلام سيئ في الأسماع فتملّه:

قال: وجعل ألسماك يوماً يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما أنصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تُكثر ترداده، فقال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه، قالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد ملّه من فهمه. قال عباد بن عوام عن شعبة عن قتادة قال: «مكتوب في التوراة لا يُعاد الحديث مرتين». وسفيان بن عيينة عن الزُّهري قال: «إعادة الحديث أشد من نقل الصخر». وقال بعض الحكماء: من لم ينشط لحديثك فأرفع عنه مؤنة ألاستماع منك. وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدٌّ يُنتهى إليه ولا يؤتى إلى وصفه وإنما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص. وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشُعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود. وكذلك ذكر الجنة والنار وأموراً كثيرة. لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب. وأما حديث القصص والرقعة فإني لم أر أحداً يعيب ذلك وما سمعنا بأحد من

(١) فترة: كسلاً.

الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيًّا إلا ما كان من النخار بن أوس العذري فإنه كان إذا تكلم في الحِمالات وفي الصَفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والَبوار كان ربما ردَّد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمى فنخر.

وصف بلاغة جعفر بن يحيى:

قال ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ، كان جعفر بن يحيى أنطقَ الناس قد جمع الهدوء والتهمل والجزالة والحلاوة وإفهاماً يُغنيه عن الإعادة ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفر عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة. وقال مرة: ما رأيت أحداً كان لا يتحبس ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحج ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه أشدَّ اقتداراً ولا أقلَّ تكلفاً من جعفر بن يحيى: وقال ثُمَامَةُ: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يُحيط بمعناك ويُجلي عن مغزاك^(١) وتُخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لا بدَّ منه أن يكون سليماً من التكلف بعيداً من الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل. وهذا هو تأويل قول الأصمعي: البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر. وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه. قال: ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى. قال: قد قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصاراً وأجمع للمعاني. قال ووصف أعرابي أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال: كان والله يضع الهناء^(٢). مواضع الثقب^(٣). يظنون أنه نقل قول دريد بن الصمة^(٤) في الخنساء بنت عمرو بن الشريد^(٥) إلى ذلك الموضع. وكان دريد قال فيها:

[الكامل]

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بهِ في النَّاسِ طَالِي أَيْتُقِ جُرْبُ
مُتَبَدِّلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ
ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: فلان يَفْلُ المَحَزَّ ويصيب المفصل.

(١) المغزى: الدلالة. (٢) الهناء: القطران

(٣) الثقب والثقب: القطع المتفرقة من الجرب، الواحدة ثقبية. والثقب الجرب عامة.

(٤) هو: دريد بن الصمة الجشي البكري، من هوازن، شجاع، من الأبطال الشعراء، المعمرين في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، مات سنة ٨هـ = ٦٣٠م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ٣/١٠ - ٤٠ الروض الأنف: ٢٨٧.

(٥) هي: ثُمَاضِر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرباحية السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شاعرات العرب، أدركت الإسلام وأسلمت. اشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية، توفيت سنة ٢٤هـ = ٦٤٥م. انظر ترجمتها في: الشعر والشعراء: ١٢٣، جمهرة الأنساب: ٢٤٩.

وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلاً للمصيب الموجز . وأنشدني أبو قطن الغنوي . وهو الذي يقال له شهيد الكرم وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر :

[الطويل]

فلو كنتُ مولى قيس عيلان لم تجد
ولكنني مولى قضاة كلها
أولئك قومٌ بارك الله فيهم
جفاة المحز لا يصيبون مفصلاً
علي لمخلوق من الناس دزهما
فلسْتُ أبالي أن أدين وتغرماً
على كل حال ما أعف وأكرماً
ولا يأكلون اللحم إلا تخذماً^(١)

يقول : هم ملوك وأشباه الملوك ولهم كفاة فهم لا يحسنون إصابة المفصل . وأنشد أبو عبيدة في مثل ذلك :

[المقارب]

وُصِّلُ الرُّؤوسِ عِظامُ البُطونِ
وكذلك :
جُفَاءَ المَحَزِّ غِلاظُ القِصَرِ

[الرجز]

ليس براعي إبِلٍ ولا غَنَمٍ
وقال الآخر وهو بن الزبعرى :

[المقارب]

وفيتان صدق حسان الوجو
من آل المغيرة لا يشهدو
وقال الراعي^(٣) في المعنى الأول :

[الطويل]

فَطَبَّقْنِ عَرْضَ الْقُفِّ^(٤) حَتَّى لَقَيْنَهُ
وأنشد الأصمعي :

[الطويل]

وَكَفَّ فَتَى لَمْ يَعْرِفِ السَّلْخَ قَبْلَهَا
وأنشد الأصمعي :

[البيط]

لَا يُمَسِّكُ الْعُرْفَ إِلَّا رَيْثٌ يُرْسِلُهُ
وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة^(٥) وبيته وضرب المثل به ، حيث قال في

(١) تخذماً : مقطوعاً . (٢) الوضم : اللوح من الخشب يقطع الجزار عليه اللحم .

(٣) هو : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النمري ، أبو جندل : شاعر من فحول المحدثين . كان من جلة قومه ، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل . عاصر جريراً والفرزدق ، فهجاه جرير هجاء مرأاً لتفضيله الفرزدق . مات سنة ٩٠ هـ = ٧٠٩ م . انظر ترجمته في : الأغاني ١٦٨/٢٠ ، الشعر والشعراء : ١٥٦ .

(٤) يقصد أنهن اخترقن عرض الأكمة ، لا يحدن عن قصدهن .

(٥) هو : لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري : أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، أسلم =

أَحْكَمَ بَيْنَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ ^(١) وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ ^(٢) :

[الرجز]

يَا هَرَمَ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبًا
فَطَبَّقَ الْمَفْصِلَ وَاعْنَمَ طَيِّبًا

يقول أحكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علالة بكلمة فصل وبأمر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين . وقد قال الشاعر في هَرَمَ :

[الطويل]

قَضَى هَرَمٌ يَوْمَ الْمَرِيرَةِ بَيْنَهُمْ قَضَاءَ أَمْرٍ بِالْأَوْلِيَّةِ عَالِمٍ
قَضَى ثُمَّ وَلَّى الْحُكْمَ مَنْ كَانَ أَهْلُهُ وَلَيْسَ دُنَابَى ^(٣) الرَّيْشِ مِثْلَ الْقَوَادِمِ
ويقال في الفحل . إذا لم يحسن الضراب جمل عيائهم وجمل طباقهم .

وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها «زوجي عيائهم طباقهم وكل داء له دواء» حتى جعلوا ذلك مثلاً للعيّ القدم ^(٤) الذي لا يتجه للحجة . وقال الشاعر :

[الطويل]

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقْدُ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا ^(٥) حِينَ تَعَكِفُ ^(٦)
وذكر زهير بن أبي سلمى الخطل فعابه فقال :

[الطويل]

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلْمَمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ
عَبَأْتُ لَهُ ^(٧) حِلْمًا وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ
وقال الشاعر ^(٨) :

[الكامل]

شُمُسُ ^(٩) إِذَا خَطَلَ الْحَدِيثُ أَوَانِسُ يَرْفُوبُنَ كُلَّ مُجَدَّرٍ تَنْبَالٍ
الشمس مأخوذ من الخيل وهي الخيل المرحاة الضاربة بأذنانها من النشاط .

= بعدما وفد على النبي ﷺ . مات سنة ٤١هـ = ٦٦١م . انظر ترجمته في: الشعر والشعراء : ٢٣١ - ٢٤٣ ، جمهرة أشعار العرب : ٣٠ و ٦٣ .

(١) هو : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة : فارس قومه ، وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، وفد على النبي ﷺ ولم يسلم ، مات سنة ١١هـ = ٦٣٢م . انظر ترجمته في: الشعر والشعراء : ١١٨ ، الإصابة : ٦٥٥ .

(٢) هو علقمة بن علالة بن عوف الكلابي العامري : وال ، من الصحابة ، من بني عامر بن صعصعة . كان في الجاهلية من أشرف قومه . أسلم ثم مات مرتدًا سنة ٢٠هـ = ٦٤٠م ، انظر ترجمته في: الإصابة : ٥٦٧٧ ، خزنة الأدب للبغدادى : ٨٨١ و ٨٩ ، ٤٣/٢ .

(٣) جمع ذنب تستعمل للطبوع عادة . (٤) القدم : هو العي الذي لا يقدر على النطق .

(٥) الكور ، بالضم : الرجل بأدائه . (٦) تعكف : تحبس .

(٧) عبأت له : قصدت له . (٨) في نسخة أخرى «وقال غيره» بدلًا من «وقال الشاعر» .

(٩) شمس : أقوياء مع حدة .

والمجذر القصير. والتنبال: القصير الدنيء. وقال أبو الأسود الدؤلي - واسم أبي الأسود ظالم بن عمرو وكان من المتقدمين في العلم -:

[الطويل]

وشاعر سوء يهضب القول ظالما كما أقتم أعشى مُظلم الليل حاطب
يهضب: يكثر. والأهاضب: المطر الكثير. اقتم: افتعل من القمامة. وأنشد:

[الرجز]

أعوذ بالله الأَعَزَّ الأَكْرَمَ من قولي الشيء الذي لم أعلم
تَخَبُّطُ الأَعْمَى الضَّرِيرِ الأَيَّهِم^(١)

وقال إبراهيم بن هرمة في تطبيق المفصل وتلحق هذه بمعاني أخواتها قبل:

[الكامل]

وَعَمِيمَةٍ^(٢) قد سُقْتُ فيها عَائِراً^(٣) غَفْلاً وفيها عَائِرٌ مَوْسُومٌ
طَبَّقْتُ مَفْصِلَهَا بَعِيرٍ حَدِيدَةٍ فرأى العُدُوَّ عَنَائِي حَيْثُ أَقَوْمٌ
بلاغَةُ ثُمَامَةَ بن أَشْرَسَ:

وهذه الصفات التي ذكرها ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ^(٤) فوصف بها جعفر بن يحيى^(٥) كان ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ قد انتظمها لنفسه وأستولى عليها دون جميع أهل عصره. وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السَّلامة من التكلّف ما كان بلغه. وكان لفظه في وزن إشارته ومعناه في طبقة لفظه ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك قال بعض الكتاب: معاني ثُمَامَةُ الظاهرة في ألفاظه الواضحة في مخارج كلامه كما وصف الخريمي شعر نفسه في مديح أبي ذُلف^(٦) حيث يقول:

[المقارب]

لَهُ كَلِمٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إزاء القلوبِ كركبٍ وُقُوفٍ

(١) الأيهم: الغفل.

(٢) العميمة: الطويلة.

(٣) العائر: المتردد، الحائر.

(٤) هو: ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ النميري، أبو معن: من كبار المعتزلة، وله فرقة انتسبت إليه «الشمامية» كان على صلة بالرشيد الذي أراد استوزاره. فاستغفاه. مات سنة ٢١٣هـ = ٨٢٨م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤٥/٧، طبقات المعتزلة: ٦٢.

(٥) هو: جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم، ولد في بغداد سنة ١٥٠هـ = ٧٦٧م. قتل على يدي الرشيد عندما نقم على البرامكة سنة ١٨٧هـ = ٨٠٣م. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٥٢/٧، وفيات والأعيان: ١٠٥.

(٦) هو: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد أعمال «الجبيل» ثم كان من قادة جيش المأمون. من مؤلفاته «سياسة الملوك». كان على علم بصناعة الغناء. مات سنة ٢٢٦هـ = ٨٤٠م في بغداد. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٤١٦/١٢. الأغاني طبعة دار الكتب ٢٤٨/٨.

وأول هذه القصيدة:

أَبَا ذُلْفٍ^(١) ذَلَفْتُ حَاجَتِي إِلَيْكَ وَمَا خَلْتُهَا بِالذُّلُوفِ
ويظنون أن الخريمي إنما أحتذى في هذا البيت على أيوب بن القرية حين قال له
بعض السلاطين: ما أعددت لهذا الموقف؟ قال: ثلاثة حروف، كأنهن ركب وقوف، دنيا
وأخرة ومعروف.

وحدثني صالح بن خاقان قال: قال شبيب بن شيبه: الناس موكلون بتفضيل جودة
الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القُطْع وبمدح صاحبه. وحظَّ جودة القافية
وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظِّ سائر البيت. ثم قال شبيب فإنَّ أبتليت بمقام لا بدَّ لك
فيه من الإطالة فقدم أحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدُّم في أحكام البلوغ
في شرف التجويد وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً فإن قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف.

ويقال إنهم لم يَرَوْا قطُ خطيباً بلدياً إلا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان
مستثقلاً مستصلاً^(٢) أيام رياضته كلها إلى أن يتوقَّح وتستجيب له المعاني ويتمكن من
الألفاظ إلا شبيب بن شيبه. فإنه أبتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعدوبة فلم يزل يزداد منها
حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغ الخطباء المصاقع بكثيره. قالوا: ولما
مات شبيب بن شيبه أتاهم صالح المزني^(٣) أو بعض من أتاهم للتعزية، فقال: رحمة الله
على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخي المساكين. وقال الراجز:

إِذَا عَدَتْ سَعْدٌ عَلَى شَبِيبِهَا عَلَى فَتَاهَا وَعَلَى خَطِيبِهَا
مَنْ مَطَّلَعَ الشَّمْسِ إِلَى مَغِيبِهَا عَجِبْتُ مِنْ كَثَرَتِهَا وَطِيبِهَا

تعريف البلاغة عند العتابي:

حدثني صديق لي قال: قلت: للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من
غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ. فإذا أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كلَّ
خطيب بإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق. قال: فقلت له: قد
عرفت الأعادة والحُبسة فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدَّث قال عند مقاطع كلامه: يا
هناه ويا هذا وياهيهِ وأسمع مني وأستمع إليَّ وأفهم عني أولست تفهم؟ أولست تعقل؟ فهذا
كله وما أشبهه عيٌّ وفساد.

تعريف البلاغة عند عمرو بن عبيد:

قال عبد الكريم بن روح الغفاري حدثني عمرُ الشمرئ قال: قيل لعمرو بن عبيد: ما

(١) دلفت: مشت. (٢) مستصلاً: وهو من يمدح نفسه نتيجة تكبره.

(٣) جاء في نسخة أخرى «المري» بدلاً من «المزني» بالزاي.

البلاغة؟ قال: ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشيدك وعواقب غيِّك. قال السائل: ليس هذا أريد. قال: من لم يُحسن أن يسكت لم يُحسن أن يستمع ومن لم يُحسن الاستماع لم يحسن القول. قال: ليس هذا أريد. قال: قال النبي ﷺ إنا معشر الأنبياء بكاء أي قليلو^(١) الكلام. ومنه قيل رجل بكىء. وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله، قال السائل: ليس هذا أريد، قال: كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت، قال: قال السائل: ليس هذا أريد، قال عمرو: فكأنك إنما تريد تحبير اللفظ في حسن الإفهام؟ قال: نعم، قال: إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الأذان المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب وأستوجبت على الله جزيل الثواب. قلت لعبد الكريم: من هذا الذي صبر له عمرو هذا الصبر؟ قال: قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال ومن كان يجترىء عليه هذه الجراءة إلا حفص بن سالم. قال عمر الشمرئ: كان عمرو بن عُبيد لا يكاد يتكلم، فإن تكلم لم يكذب، وكان يقول: لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه. وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير في شيء يأتيك به التكلف. وقال بعضهم، وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه. لا يكون الكلام يستحق أسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.

وكان موسى^(٢) بن عمران يقول لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ويحيى بن خالد. وكان ثمامة يقول: لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد. وكان سهل بن هارون يقول: لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين. وقال ثمامة: سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا. وسمعت أبا العتاهية يقول: لو شئت أن يكون حديثي كله شعراً موزوناً لكان.

تعريف البلاغة عند ابن المقفع في الإيجاز:

وقال إسحاق بن حسان بن فوهة^(٣): لم يفسر البلاغة تفسيرا أبين المقفع أحد قط،

(١) جاء في النهاية لابن الأثير أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معشر الأنبياء فينا بكاء». والأصل فيه من بكأت الناقة والشاة إذا قلّ لبنها لذا فهي بكىء وبكىئة.

(٢) جاء في نسخة أخرى «موسى» بدلاً من «موسى». والملاحظ أن الجاحظ يذكر أسماء بعض معاصريه، ومنهم موسى بن عمران، وقد ذكر في البخلاء.

(٣) هو: إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي: شاعر مطبوع، خراساني الأصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد. واتصل بخريم (الناعم) فنسب إليه. سمع منه الجاحظ وعمي قبل وفاته سنة ٢١٢هـ = ٨٢٧م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٦، عيون الأخبار: ٥٧/ ٤.

سئل: ما البلاغة؟ قال: البلاغة أَسْمُ جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت. ومنها ما يكون في الاستماع. ومنها ما يكون في الإشارة. ومنها ما يكون في الحديث. ومنها ما يكون في الاحتجاج. ومنها ما يكون جواباً. ومنها ما يكون ابتداءً. ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً وحُطْباً. ومنها ما يكون رسائل. فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى. والإيجاز هو البلاغة. فأما الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير حَظَلْ والإطالة في غير إملال. وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر ألبيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته. كأنه يقول فَرَّقَ بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب، حتى يكون لكل فن من ذلك صدرٌ يدل على عَجْزِه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنائه ولا يُشير إلى مغزاه وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعْتَ. قال: فقل له فإن ملَّ المُستمع الإطالة التي ذكرت أنها حق لك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت مَنْ يعرف حقوق الكلام فلا تهتمّ لِمَا فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يُرضيهما شيء، وأما الجاهل فلسْتُ منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لا تناله وقد كان يُقال:

رضا الناس شيء لا يُنال

ما يتوجب من إطالة في خطبة النكاح:

قال وَلُئْسَنَ في خطبة النكاح أن يُطيل الخاطب ويُقصر المجيب. ألا ترى إلى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتي الحاملين في شأن حمالة^(١) داحس والغبراء وقال: مالي فيها أيها العُشَمَتان؟ قالوا: بل ما عندك؟ قال: عندي قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب أمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع. قالوا: فخطب يوماً إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى. فقل لأبي يعقوب: هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع أو ليس الأمر بالصلة هو النهي عن القطيعة؟ قال: أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشف؟!

قال: وسئل أبنُ المقفع عن قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «ما يتصعدني»^(٢) كلام كما تصعدني خطبة النكاح» قال: ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب في أجواف الحداق ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنهم نظراء وأكفاء وإذا علا المنبر صاروا سُوقَ ورعية. وقال ذهب ذاهبون إلى أن تأويل قول

(١) الحمالة: الدية يتحملها جماعة عن جماعة كما فعل الهرم بن سنان والحارث بن عوف ديات القتلى من عيس وذبيان إثر حرب داحس والغبراء.

(٢) يقال: تصعدني الأمر وتصعدني: شق عليّ. وتصعد النفس: صعب مخرجه.

عمرَ يرجع إلى أن الخطيب لا يجد بُدًّا من تزكية^(١) الخاطب فلعلَّه كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زورا وغرُّ القوم من صاحبه . ولعمري إن هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخطاب فأما عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - وأشباهه من الأئمة الراشدين - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلاَّ فيمن يستحق المدح .

وروى أبو مخنف عن الحارث الأعور قال : والله لقد رأيت علياً وإنه ليخطب قاعداً كقائم ومحارباً كمسالم . يريد بقوله قاعداً خطبة النكاح .

وقال الهيثم بن عدي : لم تكن الخطباء تخطب قعوداً إلاَّ في خطبة النكاح .

تضمين الخطبة شيئاً من الشعر :

وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطيب ، يوم الحفل ، وفي الكلام يوم الجمع ، أي من القرآن . فإن ذلك مما يُورث الكلام البهاء والوقار والرفقة وحسن الموضع . قال الهيثم : قال عمران بن حطان : إنَّ أول خطبة خطبتها عند زياد - أو قال عند ابن زياد - فأعجب بها زياد وشهدها عمي وأبي . ثم إني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم : « هذا ألفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن » .

وأكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبتهم أطوال بشيء من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل إلاَّ أن تكون إلى الخلفاء . وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر في خطبته تميم بن مر^(٢) فقال : إن تميماً له الشرف لقديم العود وألغز الأقعس^(٣) والعدد الهيضل^(٤) وهي في الجاهلية القدام^(٥) والذروة والسنام . وقد قال الشاعر :

[الوافر]

فقلتُ له وأنكرَ بعضَ شأني ألم تعرِف رِقَابَ بني تميم؟!

وكان المؤمل وأهلُه يُخالفون جمهور بني سعد في المقالة فلشدة تحذبه على سعد وشفقته عليهم كان يُناضل عند السلطان كل من سعى على أهل مقالته وإن كان قوله خلاف قولهم حذباً عليهم . وكان صالح المريُّ القاصِّ العابِد البليغ كثيراً ما يُنشد في قصصه وفي مواعظه هذا البيت :

[المقارب]

فبات يُروِّي أصول الفَسِيلِ فعاش الفَسِيلُ ومات الرَجُلُ

(١) تزكية الخاطب : مدحه .

(٢) هو : تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر : جدّ جاهلي ، بنوه بطون كثيرة جداً . ينتشرون في نجد والبصرة واليمامة . انظر ترجمته في : معجم قبائل العرب : ١٢٦/١ - ١٣٣ ، جمهرة الأنساب : ١٩٦ - ٢٢١ .

(٣) الأقعس : المستقر الثابت . (٤) العدد الهيضل : العديد من المقالة .

(٥) القدام : المتفوق في سؤدده وشرفه .

وأشد الحسن في مجلسه وفي قصصه وفي مواعظه :

[الخفيف]

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَا حَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
وأشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الخطيب القاص الشجاع
إما في قصصه وإما في خطبة من خطبه رحمه الله سبحانه وتعالى :

[الكامل]

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لَطِيبٌ مَقِيلُهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ^(١) وَابْنُ أُمِّ دُوَادٍ
جَرَّتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ
فَأَرَى التَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادٍ
وقال أبو الحسن : خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة في العيد فأنشد في
خطبته :

[البيسط]

أَيْنَ الْمَلُوكُ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِيهَا
تِلْكَ الْمَدَائِنُ بِأَلْفَاقٍ خَالِيَةٍ أُمِسَتْ خَلَاءَ وَذَاقَ الْمَوْتَ بَانِيهَا^(٢)
قال : وكان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبير . وهو كما قال
القائل :

[الكامل]

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَمَا هَرَمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القدوس^(٣) :

[السرّيع]

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا أَرْعَوَى^(٤) عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
قال كلثوم بن عمرو العتابي :

[الطويل]

وَكُنْتُ أَمْرًا لَوْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى بَلَّغْتَ بِأَذْنَى نِعْمَةٍ تَسْتَدِيمُهَا
وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَثْقَلُ مَحْمَلًا مِنْ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا

(١) هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ، أبو دؤاد : كريم ، جاهلي . يضرب به المثل في حسن الجوار ، فيقال : «أجود من كعب بن مامة» و «جار كجار أبي دؤاد» . وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار : «إساق أخاك النمري» . انظر ترجمته في : جمهرة الأنساب : ٣٠٨ ، الشعر والشعراء ، طبعة الحلبي ١٨٩ .

(٢) جاء في نسخة أخرى «ما فيها» بدلاً من «بانيها» .

(٣) هو : صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي ، بالولاء ، أبو الفضل : شاعر حكيم ، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة . اتهم بالزندقة فقتله المهدي العباسي سنة ١٦٠ هـ = ٧٧٧ م . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٣٠٣/٩ ، لسان الميزان ١٧٢/٣ .

(٤) ارعوى : ارتدع عن فعل المنكرات .

وكانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت. ولذلك تشادقوا في الكلام ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم.

ما يمدح في الخطيب:

قال: وحدثني محمد بن بشير الشاعر قيل لأعرابي: ما الجمال؟ قال: طول القامة وضخم الهامة ورخب الشدق وبعد الصوت. وسأل جعفر بن سليمان: أبا المخش^(١) عن ابنه المخش وكان جزع عليه جزعاً شديداً قال: صف لي المخش. فقال: كان أشدق خُرْطُمانيّا^(٢) سائلاً لعبه كائماً ينظر من قلتيّن. كأن ترقوته^(٣) بوان^(٤) أو خالفة^(٥) كأن منكبه كركرة^(٦) جمل ثقال، فقأ الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله. قال: وقلت لأعرابي: ما الجمال؟ قال: غوور العينين وإشراف الحاجبين ورحب الشدقين. قال دغفل بن حنظلة النسابة والخطيب العلامة حين سأله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى إلى بني مخزوم قال: معزى مطيرة عليها فُشعريرة إلاّ بني ألمغيرة فإن فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام. وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق:

[الطويل]

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا أَبَالَكَ أَشْدَقُ
وَأُنْشِدُ أَبُو عبيدة:

[المقارب]

وَصُلِّعَ الرُّؤُوسُ عِظَامُ الْبُطُونِ رِحَابُ الشُّدَاقِ طَوَالُ الْقَصَرِ
قال: وتكلم يوماً عند معاوية الخطباء فأحسنوا. فقال: والله لأرميّهم بالخطيب الأشدق، قم يا يزيد فتكلم.

وهذا القول وغيره من الأخبار والأشعار حُجّة لمن زعم أن عمرو بن سعيد لم يسم الأشدق للفقم ولا للقوة^(٧). وقال يحيى بن نوفل في خالد بن عبد الله القسري:

[البسيط]

بَلَّ السَّرَاوِيلَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهْلٍ وَأَسْتَطَعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَأَلْحَنَ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ

(١) جاء في نسخة أخرى: «أبا المخشن عن ابنه المخشن» بالنون.

(٢) خرطمانياً: كبير الأنف.

(٣) الترقوة: هي عظم العاتق أعلى الصدر.

(٤) البوان: عمود الخيمة.

(٥) الخالفة: عمود يرتكز عليه سطح البيت في آخر البيت.

(٦) الكركرة: صوت يخرج البعير من زوره.

(٧) اللقوة: معروفة عند العامة، وهي عبارة عن مرض مفاجيء يصيب المرء فينحذف لسانه إلى أحد شقيه، إما إلى اليمين، وإما إلى اليسار.

ويدلك على تفضيلهم سعة الأشداق وهجائهم ضيق ألفواه قول الشاعر :
 [الطويل]
 لحا الله أفواه الدّبي^(١) من قبيلة إذا ذكرت في النّائبات أمورها
 وقال الآخر :

[الوافر]
 وأفواه الدّبي حاموا قليلاً وليس أخو الحماية كالضّجور
 وإنما شبه أفواههم بأفواه الدّبي لصغر أفواههم وضيقها . وعلى ذلك المعنى هجا
 عبدة بن الطّيب^(٢) حَيَّيْ بَنَ هزال وأبنيه فقال :

[السيط]
 تدعو بنيك عبّاداً وجريمة^(٣) يا فارة شجّها في الجحر محفّار
 ما يمدح في الصوت جهارته :

وقد كان العباس بن عبد المطلب جهيراً جهير الصوت ، وقد مدح بذلك ، وقد نفع
 الله المسلمين بجهارة صوته يوم حُنين حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ فنادى
 العباس : يا أصحاب سورة البقرة هذا رسول الله ﷺ . فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل
 النصره وأتى بالفتح . أخبرني ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان
 قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف يمكو^(٤) حول البيت فيسمع ذلك من حراء .
 قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾^(٥) فالتصديّة :
 التصفيق . والمكاء : التصفير أو شبيهه بالصغير ، ولذلك قال عنترة :

[الكامل]
 وحليل غانية تركت مجدلاً^(٦) تمكو فريصته كشدق الأعلم
 وقال العجّير السلولي^(٧) في شدة الصوت :

[الطويل]
 ومنهن قرعي كلّ باب كأنما به القوم - يرجون الأذين - نشور

(١) الدبي : واحده دبابة ، وهو صغار الجراد أو النمل .

(٢) هو : عبدة بن يزيد (الطبيب) بن عمرو بن علي ، من تميم : شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية
 والإسلام . كان أسود شجاعاً شارك في بلاد العراق . توفي حوالي سنة ٢٥هـ = ٦٤٥م انظر ترجمته
 في : الإصابة : ت ٦٣٨٦ ، الأغاني ١٨ / ١٦٣ .

(٣) جاء في نسخة أخرى «وجذيمة» بدلاً من «وجريمة» .

(٤) يمكو : يصفر أثناء كلامه . (٥) سورة الأنفال ، الآية : ٣٥ .

(٦) مجدلاً : صريعاً على الأرض .

(٧) هو : العجّير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب ، من بني سلول : من شعراء الدولة الأموية . كنيته أبو
 الفرزدق . وقيل هو مولى لبني هلال ، واسمه عمير ، وعجّير لقبه . كان جواداً كريماً . مات نحو ٩٠هـ
 = نحو ٧٠٨م . انظر ترجمته في : طبقات ابن سلام : ٥١٧ - ٥٢١ ، خزانة الأدب للبغداد ٢ / ٢٩٨ -
 ٢٩٩ و ٣٩٩ .

فَجِئْتُ وَخَضُمِي يَصْرِفُونَ نُيُوبَهُمْ كَمَا قُصِبَتْ بَيْنَ الشُّفَارِ جَزُورُ
لَدَى كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ مِثْلِهَا لَهُ قَدَمٌ فِي النَّاطِقِينَ خَطِيرُ
جَهِيرٌ وَمُمْتَدُّ الْعِنَانِ مُنَاقِلُ بَصِيرٌ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُ
فَظِلُّ رِءَاءِ الْعَصَبِ ^(١) مُلْفَى كَأَنَّهُ سَلَى ^(٢) فَرَسٍ تَحْتَ الرُّجَالِ عَقِيرُ
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعَنَّ صَلَقْنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورُ

الصلق: شدة الصوت، وفطور: شقوق. وقال مهلهل:

[الوافر]

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ أَهْلَ نَجْدٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ ^(٣)
والصريف: صوت أحتكاك الأنياب، والصليل: صوت الحديد هاهنا. وفي شدة
الصوت يقول الأعشى في وصفه الخطيب بذلك:

[الخفيف]

فِيهِمُ الْخِضْبُ وَالسَّمَاخَةُ وَالنَّجْجُ دَةُ جَمْعًا وَالْخَاطِبُ الصَّلَاقُ
وقال بشار بن برد في ذلك ويهجو بعض الخطباء:

[الطويل]

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ قُمْتَ نَاطِقًا وَأَنْتَ ضَيْئِلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخُ السَّخْرِ
ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز كلام فقال له الفتى: ما ينبغي أن يكون
في الأرض رجل واحد أجهل منك، وكان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علماً وأدباً،
وكان حريصاً على الجثقة، فقال للفتى: وكيف حللت عندك هذا المحل؟ قال: لأنك
تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق ^(٤) إلا مديد القامة وأنت قصير القامة ولا نتخذ إلا جهير
الصوت جيد الخلق وأنت دقيق الصوت رديء الخلق ولا نتخذ إلا وهو وافر اللحية
عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها. وأنت تعلم أنا لا نختار للجثقة إلا رجلاً زاهداً في
الرياسة وأنت أشد الناس عليها كلباً وأظهرهم لها طلباً. فكيف لا تكون أجهل الناس
وخصالك هذه كلها تمنع من الجثقة؟ وأنت قد شغلت في طلبها بالك وأسهرت فيها
ليلك. وقال أبو الحجناء في شدة الصوت:

[الرجز]

إِنِّي إِذَا مَا زَبَبَ الْأَشْدَاقُ ^(٥) وَأَلْتَجَّ حَوْلِي النَّفْعُ وَاللَّفْلَاقُ ^(٦)
ثَبْتُ الْجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَاقُ

(١) رداء العصب: الثوب يصبغ ثم ينسج.

(٢) السلى: هي الكيس الذي يحمي ويغلف الجنين في بطن أمه، وكل جنين من أجنة الحيوانات.

(٣) تقرع بالذكور: بالسيف.

(٤) الجاثليق: مرتبة كهنوتية عند النصارى.

(٥) زبب الأشداق: ظهرت حبيبات من الريق على الأشداق.

(٦) التجت الأصوات: اختلطت فلم يفهم منها شيء.

المرجم: الحاذق بالمراجعة بالحجارة. والوادي: الذي يسيل الحجارة كالودق من المطر. وجاء في الحديث: «من وقى شرَّ لقلقه وقببه وذذبه وقى الشر» يعني لسانه وبطنه وفرجه. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في بواكي خالد بن الوليد بن المغيرة: «وما عليهن أن يرقن من دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة» وجاء في الأثر «ليس منّا من حلق أو صلق أو سلق أو شق» ومما مدح به العُمانيُّ هارون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله:

[المتقارب]

جَهِيرُ الْعُطَاسِ شَدِيدُ الْتِيَاظِ جَهِيرُ الرُّوَاءِ^(١) جَهِيرُ النَّعَمِ
وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو السَّمَاءَ بِجِسْمِ عَمَمٍ
النِّيَاطُ: معاليق القلب. الأين: الإعياء. الظليم: ذكر النعام. عمم: حسن. ومنه قيل نبت عميم أي حسن كثير. ويقال إن جسمه لعمم وإنه لعم الجسم إذا كان تاماً. وكان الرشيد إذا طاف بالبيت جعل لإزاره ذننين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الأرنب. وقد أخبرني إبراهيم بن السندي بمحصول ذرع ذلك الخطو إلا أنني أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب إليه. قال إبراهيم ونظر إليه أعراي في تلك الحال والهيئة فقال:

[الرجز]

خَطْوُ الظَّلِيمِ رِبْعَ مُمَسَّى فَانْشَمَرَ

ربيع: فرع. ممسى حين المساء. انشمر: جدّ في الهرب. وحدثني إبراهيم السندي قال لما أتى عبد الملك بن صالح^(٢) وفد الروم وهو في البلاد أقام على رأسه رجالاً في السماطين لهم قصر وهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعور. فبينما هم^(٣) قيام يكلمونه ومنهم رجل وجهه في قفا البطريق إذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبد الملك فلم يدر أي شيء أنكر منه. فلما مضى ألوفد قال له: ويلك هلا إذ كنت ضيق المنخر كز^(٤) الخيشوم أتبعته بصيحة تخلع بها قلب العالج. وفي تفضيل الجهارة في الخطب يقول شبة بن عقّال بعقب خطبته عند سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس:

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ أُمَّ الْجَهْمِ وَاللَّهُ سَامِعٌ تَرَى حَيْثُ كَانَتْ بِالْعِرَاقِ مَقَامِي

(١) الرواء: من الري وهو النظرة والجمال والشباب.

(٢) هو: عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير من بني العباس، ولأه الهادي إمرة الموصل سنة ١٦٩هـ، وعزله الرشيد سنة ١٧١هـ ثم ولاه المدينة والصوائف. ولأه مصر بعد مدة قصيرة، فلم يذهب إليها. حبسه الرشيد خوفاً من طمعه بالخلافة وبعد موت الرشيد أطلقه الأمين، فأقام بالرقعة أميراً إلى أن توفي سنة ١٩٦هـ = ٨١١م. انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ٩٠/٢ و١٥١، تاريخ ابن خلدون ٣/٢٣٦.

(٣) جاء في نسخة أخرى «فبيننا هم» بدلاً من «فبينما هم».

(٤) كز الخيشوم: ضيقه.

عَشِيَّةً بَذَّ^(١) النَّاسَ جَهْرِيٍّ وَمُنْطَقِيٍّ وَبَذَّ كَلَامَ النَّاطِقِينَ كَلَامِي

وقال طحلاًء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة:

[المقارب]

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَتَأْبِهَا مَعْنُ بِخَطْبَتِهِ مَجْهَرُ
تُرِيْعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ إِذَا ضَلَّ خُطْبَتَهُ الْمَهْذَرُ

معن: تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضياً لها. تريع إليه: ترجع إليه. هوادي الكلام: أوائله. فأراد أن معاوية يخطب في الوقت الذي يذهب فيه كلام المهذر.

والمهذر: المكثار، وزعموا أن أبا عطية عفيفاً النصراني في الحرب التي كانت بين ثقيف وبين بني نصر أنه لما رأى الخيل بعقوته^(٢) يومئذ وأيس^(٣) نادى: يا صباحاه أتيتم يا بني نصر. فألقيت الحبالى أولادها من شدة صوته. قالوا: فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف:

[الطويل]

عُقَاماً ضَرُوساً^(٤) بَيْنَ عَوْفٍ وَمَالِكٍ شَدِيداً لَظَاهَا تَتْرُكُ الطُّفْلَ أَشِيْبَا
وَكَاثَتْ جُعِيلٌ يَوْمَ عَمْرُو أَرَاكَةَ أُسُودَ الْعَصَا غَادِرْنَ لَحْماً مُتَرَبّاً^(٥)
ويوم بمكروثاء^(٦) شَدَّتْ مُعْتَبٌ بِغَارَاتِهَا قَدْ كَانَ يَوْمًا عَصَبَصَبَا^(٧)
فَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النَّسَاءِ بِصَوْتِهِ عَفِيفٌ وَقَدْ نَادَى بِنَصْرٍ فَطَرَبَا^(٨)

ذكر من اشتهر بجهارة الصوت:

وكان أبو عروة الذي يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد أحتمل الشاة فيخلّيها ويذهب هارباً على وجهه فضرب به الشاعر المثل وهو أنابغة الجعدي فقال:

[المنسرح]

وَأَزْجُرُ الْكَاشِحَ^(٩) الْعَدُوَّ إِذَا أَغْتَا بَكَ عِنْدِي زَجْرًا عَلَى أَضْمٍ^(١٠)
زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبِسْنَ بِالْغَنَمِ
وأنشد أبو عمرو الشيباني لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن زيد بن نعيم.

(١) بَذَّ: غلب وتفوق. (٢) بعقوته: محيطته بداره

(٣) جاء في نسخة أخرى «دوائس» بدلاً من «وأيس».

(٤) الحرب الضروس: الحرب القاسية الشرسة. وأصل تلك الدلالة «الناقة الضروس» وهي السيئة الخلق التي تعض حالها.

(٥) اللحم المترب: اللحم الملطخ بالتراب.

(٦) مكروثاء: اسم موضع في ديار بني جحاش قبيلة الشماخ.

(٧) يوماً عصبصاً: يوماً شديداً. (٨) طَرَبَ: ردّد صوته مع المدّ.

(٩) الكاشح: المبغض الذي يخفي عداوته. (١٠) الأضم: الحقد والغضب.

قال أبو عبيدة وأبو الحسن: كان شبيب يصيح في جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوي أحد على أحد. وقال الشاعر فيه:

[البسيط]

إِنْ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِرًا وَالرَّيْحَ عَاصِفَةً وَالْمَوْجَ يَلْتَطِمُ

ذكر عيوب التشدق:

قال أبو العاصي أنشدني أبو مُحرز خلف بن حيان، وهو خلف الأحمر مولى الأشعرين عيب التشادق:

[الطويل]

لَهُ حَنْجَرٌ رَحْبٌ وَقَوْلٌ مُنَقَّحٌ وَفَضْلُ خُطَابٍ لَيْسَ فِيهِ تَشَادُقٌ
إِذَا كَانَ صَوْتُ الْمَرْءِ خَلْفَ لَهَاتِهِ ^(١) وَأَنْحَى بِأَشْدَاقٍ لَهُنَّ شَقَاشِقُ
وَقَبَقَبَ يَحْكِي مُقَرَّمًا ^(٢) فِي هِبَابِهِ ^(٣) فَلَيْسَ بِمَسْبُوقٍ وَلَا هُوَ سَابِقُ

وقال الفرزدق:

[الوافر]

شَقَاشِقُ بَيْنَ أَشْدَاقٍ وَهَامِ

وأنشد خلف:

[الطويل]

وَمَا فِي يَدَيْهِ غَيْرُ شِدْقٍ يُمِيلُهُ وَشَقَشِقَةٍ ^(٤) خَرَسَاءَ لَيْسَ لَهَا نَعْبُ ^(٥)
مَتَى رَامَ قَوْلًا خَالَفَتْهُ سَجِيَّةٌ وَضُرْسُ كَقَعِبٍ ^(٦) الْقَيْنِ ^(٧) ثَلَمَهُ الشَّعْبُ ^(٨)

وأنشد أبو عمرو بن الأعرابي:

[المقارب]

وَجَاءَتْ قُرَيْشُ قُرَيْشُ الْبِطَاحِ هِيَ الْعُصْبُ الْأَوَّلُ الدَّاخِلَةُ
يَقْوُدُهُمُ الْفِيلُ وَالزَنْدَبِيلُ وَذُو الضُّرْسِ وَالشَّفَةِ الْمَائِلَةُ

والفيل والزندبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان. وذو الضرس وذو الشفة المائلة هبيرة. والزندبيل: الأنثى من الفيلة فيما ذكر أبو اليقظان نُجم بن حفص. وقال غيره هو الذكر. فلم يقفوا من ذلك على شيء. وقال الشاعر في خالد بن سلمة المخزومي الخطيب:

[المقارب]

فَمَا كَانَ قَائِلُهُمْ دَغْفَلٌ وَلَا الْحَيْقُطَانُ وَلَا ذُو الشَّفَةِ

(١) اللهاة: مدرجة صوت في أقصى سقف الحلق. (٥) الثعب: هو إخراج البعير شقشقته.

(٢) المقرم: الفحل المكرم. (٦) القعب: القدح العظيم.

(٣) الهباب: النشاط والحيوية. (٧) القين: الحداد.

(٤) الشقشقة: لهما البعير. (٨) الشعب: التصدع.

قوله دغفل يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب المناسب . والحيقطان عبد أسود وكان خطيباً لا يجارى وأنشد أصحابنا :

[الطويل]

وَقَافِيَةٍ لَجَلَجْتُهَا فَرَدَدْتُهَا لَذي الضَّرْسِ لو أُرْسَلْتُهَا فَطَرْتُ دَمَا
وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر العرب . ولربما كان نزع ضرس أيسر عليّ من أن أقول بيت شعر . قال : وأنشدنا منيع :

[الطويل]

فَجِئْتُ وَوَهْبٌ كَالْخَلَاةِ^(١) تَضُمُّهَا إِلَى الشَّدَقِ أُنْيَابٌ لَهُنَّ صَرِيفٌ^(٢)
فَقَعَقَعْتُ^(٣) لَحْيِي خَالِدٍ وَأَهْتَضَمْتُهُ بِحُجَّةٍ خَصِمٍ بِالْخُصُومِ عَنِيفٌ
أبو يعقوب الخثعمي عن عبد الملك بن عمير قال : سئل الحارث بن أبي ربيعة عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فقال : كم كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم بكتاب الله وألفقه في السنة والهجرة إلى الله ورسوله والبسطة في العشرة والنجدة في الحرب والبذل للماعون . قال الآخر :

[الطويل]

وَلَمْ تُلْفِنِي فَهَآ^(٤) وَلَمْ تَلْفِ حُجَّتِي مُلَجَلَجَةً^(٥) أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا
وَلَا بَتُّ أَرْجِيهَا^(٦) قَضِيْبًا^(٧) وَتَلْتَوِي أُرَاوْغُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا أَضِيْمُهَا^(٨)
وأنشدني أبو الرديني العكلي :

[الطويل]

فَتَى كَانَ يَغْلُو مَفْرَقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ إِذَا الْخُطَبَاءُ الصَّيْدُ عَضَلُ^(٩) قِيلَهَا
وقال الخريمي في تشادق علي بن الهيثم :

[الخفيف]

يَا عَلِيَّ بْنَ هَيْثَمٍ يَا سُمَاقًا^(١٠) قَدْ مَلَأْتَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَقَاقًا^(١١)
خَلَّ لَحْيَيْكَ يَسْكُنَانِ وَلَا تَضُ رَبُّ عَلَى تَغْلِبِ بَلَحْيَيْكَ طَاقًا
لَا تَشَادِقُ إِذَا تَكَلَّمْتَ وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَشْدَاقًا
وكان علي بن الهيثم جواداً بليغ اللسان والقلم . وقال لي أبو يعقوب الخريمي : « ما

(١) الخلاة: مفرد الخلا، وهو الرطب من النبات .

(٢) الصريف: الصوت المصحوب بصفير .

(٣) قعقع: حرك بصوت .

(٤) الفة: العي .

(٥) ملجلجة: مضطربة .

(٦) أريجها: أسوقها .

(٧) القضيب: الناقة لم تروض .

(٨) أضيمها: أظلمها .

(٩) عضل: صعب، عسر خروجه .

(١٠) السماق: الخالص .

(١١) جاء في نسخة أخرى «نفاقا» بدلاً من «بقاقا» والرواية الأولى تنسجم مع روح الأبيات ومعناها . أما بقاقا

فمن بق الرجل بقاً وبقافه إن أكثر كلامه .

رأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح في الماء أو الرصاص عند النار. كان هشام بن الكلبي علامة نسابة ورواية للمثالب عتبة فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار. وكان الهيثم بن عدي^(١) مفقعانياً^(٢) صاحب تفقيع وتقعير ويستولي على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ولا بخطيب فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار. وكان علوية المغني أحد الناس في الرواية وفي الحكاية وفي صنعة الغناء وجودة الضرب وفي الإطراب وحسن الخلق فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص عند النار.

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبعد الصوت. قال أبو عبيدة: كان عروة بن عتبة^(٣) بن جعفر بن كلاب رديفاً للملوك ورخلاً إليهم وكان يقال له عروة الرحال. فكان يوم أقبل مع ابن الجون يريد بني عامر فلما انتهى إلى واردات مع الصبيح قال له عروة: إنك قد عرفت طول صحبتي لك ونصيحتي إليك فأذن لي فأهتف بقومي هتفة. قال: نعم وثلاثاً فقام فنادى «يا صباحاه» ثلاث مرات، قال: سمعنا شيوخننا يزعمون أنه أسمع أهل الشَّعب فتلببوا^(٤) للحرب وعسبوا الرِّبَايا ينظرون من أين يأتي القوم. قالوا وتقول الروم: لولا ضجته أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعاً صوت وجوب القرص في المغرب.

وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته أن يعترض الخطيب البهر^(٥) والارتعاش والرَّعدة والعرق. قال أبو الحسن قال سفيان بن عيينة: تكلم صعصعة عند معاوية فغرق، قال معاوية: بهرك القول، فقال صعصعة: إن الجياد نصّاحة بالماء. والفرس إذا كان سريع العرق وكان هشاً^(٦) كان ذلك عيباً. وكذلك هو في الكثرة. وإذا بطأ ذلك وكان قليلاً قيل قد كبا وهو فرس كابٍ وذلك عيب أيضاً. وأنشدني ابن الأعرابي لأبي مسمار العُكلي في شبهه بذلك قوله:

[الرجز]

لله درّ عامر إذا نطق
ليس كقوم يُعرفون بالشّدق^(٨)
في حفل إِملاك^(٧) وفي تلك الحلق
من خطب الناس ومما في الورق

(١) جاء في نسخة أخرى «علي بن الهيثم» بدلاً من «الهيثم بن عدي» وأظنه هنا خطأ.

(٢) مفقعانياً: متشدقاً.

(٣) جاء في نسخة أخرى «علية» بدلاً من «عتبة» وهو: عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب: جاهلي من جلساء الملوك. سمي «الرحال» لأنه كثير الوفادة على الملوك. وبسببه هاجت حرب الفجار الثانية بين قبيلتي خندف وقيس. مات نحو سنة ٣٢ ق. هـ = نحو ٥٩٢ م. انظر ترجمته في: سمط اللآلي: ٦٧٢، الأمدي: ١٢٥.

(٤) تلببوا: تسارعوا لتلبية النداء.

(٥) البهر: الأندهاش.

(٦) الهش: الكثير العرق.

(٧) الإملاك: الزواج.

(٨) جاء في نسخة أخرى «بالسرق» بدلاً من «بالشّدق».

يُلَفَّقُونَ الْقَوْلَ تَلْفِيْقَ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ نَضَاحِ الدَّفَارِي بِالْعَرَقِ
إِذَا رَمَتْهُ الْخُطْبَاءُ بِالْحَدَقِ

والذفاري هنا: يعني بدن الخطيب. والذفريان للبعير وهما اللحمتان في قفاه. وإنما ذكر خطب الإملاك لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «ما يتصدني كلام كما تتصدني خطبة النكاح» وقال العُماني:

[الرجز]

لَا دَفِرٌ هَشٌّ وَلَا بِكَابٍ وَلَا بِلَجْلَاجٍ وَلَا هَيَّابٍ
أَلْهَشُ: الذي يجود بعرقه سريعاً وذلك عيب. وألذفر: الكثير العرق. وألكابي: الذي لا يكاد يعرق كالزند ألكابي الذي لا يكاد يوري. فجعل له العُماني حالاً بين حالين إذا خطب. وخبر أنه رابط الجأش معاود لتلك المقامات، وقال الكُميت بن زيد، وكان خطيباً: «إن للخطبة صعداً وهي على ذي أَلْبٍ أرمى» وقولهم أرمى وأربى سواء يقال فلان قد أرمى على المائة وأربى، ولم أر الكُميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص إلى خاصته. وإنما يجترى على الخطبة الغمرُ الجاهلُ الماضي الذي لا يُثنيه شيء أو المَطْبُوعُ الحاذقُ ألواتق. بغزارته وأقْتداره. فالثقة تنفي عن قلبه كل خاطر يُورث اللجلجة والنحنحة والانتقطاع والبهر والعرق. قال عبيد الله بن زياد وكان خطيباً على لُكْنَة كانت فيه: «نِعَمَ أَلْشَيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرْدِ وَالتَّشْدُقُ لِلْخُطْبِ» وقيل لعبد الملك بن مروان: عَجَلْ عليك أَلْشَيْبُ يا أمير المؤمنين، قال: وكيف لا يعجل عليّ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين؟ يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور. قال بعض الكلابيين:

[الكامل]

وَإِذَا^(١) خَطَبْتَ عَلَى الرِّجَالِ فَلَا تَكُنْ خَطِلَ الْكَلَامِ تَقُولُهُ مُخْتَالاً
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةً وَمِنْ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالاً

كلام بشر بن المعتمر حين مر بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب وهو يعلم فتیانهم الخطابة. فوقف بشر، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النظارة. فقال بشر: اضربوا عمّا قال صفحاً^(٢) واطووا عنه كشحاً. ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقة وكان أول ذلك الكلام:

«خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك. فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرًا وأشرفُ حسبًا وأحسنُ في السماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ

(١) جاء في نسخة أخرى «فإذا» بدلاً من «وإذا». (٢) اضربوا صفحاً: لا تلتفتوا لما يقول.

وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطول بالكذ والمطاوله والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً وخفيفاً على اللسان سهلاً . وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . وإياك وألتوَعَر فإنَّ التَوَعَر يُسلِّمك إلى التعقيد . والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك . ومن أراد معنى كريماً فلْيَلْتَمِسْ له لفظاً كريماً فإن حقَّ المعنى الشريف ألفظُ الشريف ومن حقها أن تصوْنهما عمّا يفسدُهما ويُهْجِنُهما وعمّا تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما . وكن في ثلاث منازل . فإنَّ أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة . وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدارُّ الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك ألفظ العامي والخاصي . فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك وأقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها بالألفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهماء ^(١) ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام .

قال بشر : فلما قرئت على إبراهيم . قال لي : أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوَعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً . وإذا سمعتموني أذكر العوام فإنني لست أعني الفلاحين والْحُشُوَّة والصناع والباعة ، ولست أعني الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ، ولست أعني من الأمم مثل اليبير والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وأمثال الزنج ، وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والهند والروم . والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة مثلاً ، على أن الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضاً .

ثم رجع بنا القول إلى بقية كلام بشر بن المعتمر وإلى ما ذكر من الأقسام . قال بشر : «فإن كانت المنزلة الأولى لا ثواتيك ولا تعتريك، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قِلَقَةً في مكانها نافرة من موضعيها، فلا تُكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها،

(١) الدهماء : العامة .

فإنك إذا لم تتعاطَ قرض الشعر الموزون، ولم تتكلفِ اختيار الكلام المنشور، لم يعبك بترك ذلك أحد. وإن أنت تكلفتها، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا مُحَكِّماً لسانك بصيراً بما عليك أو مالك، عابك من أنت أقل عيباً منه، ورأى من هو دونك أنه فوقك. فإن أبليت بأن تتكلفَ القولَ وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباعُ في أول وهلة، وتعصى عليك بعد إجمالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك أو سواد ليلك، وعادوه عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتة إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق. فإن تمتع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عَرَضَ ومن غير طول إهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك، فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسبٌ والشئ لا يحن إلا إلى ما يشاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات، لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة. فهكذا هذا^(١).

وقال: ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. فإن كان الخطيب مُتكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها حنّ وبها أشغف، ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني. وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقُدوة لكل تابع. ولذلك قالوا: العَرَضُ والجوهر وأيس^(١) وليس. وفرقوا بين البطلان والتلاشي. وذكروا ألهدية والهوية والماهية. وأشباه ذلك.

اكتشاف الخليل بن أحمد أوزان الشعر وتسميتها:

وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك الأسماء كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل وأشباه ذلك وكما ذكر الأوتاد والأسباب والخزم والرحاف. وقد ذكرت العرب في أشعارها السناد والإقواء والإكفاء ولم أسمع الإيطاء. وقالوا في القصيد والرجز والسجع والخطب. وذكروا حروف الروي والقوافي. وقالوا:

(١) الأيس: مفردة تعني الإيجاب بخلاف ليس التي تعني النفي.

هذا بيت وهذا مصراع. وقد قال جندل الطهوي^(١) حين مدح شعره:

[الرجز]

لَمْ أَقْوِ فِيهِنَّ وَلَمْ أُسَانِدِ

وقال ذو الرمة:

[الوافر]

وَشِعْرٍ قَدْ أَرُقْتُ لَهُ غَرِيبٍ أَجَانِبُهُ الْمَسَانِدِ وَالْمَحَالِ

وقال أبو حزام العُكلي:

[المقارب]

بُيُوتاً نَصَبْنَا لَتَقْوِيَمِهَا جُذُولَ الرَّبِّيَّيْنِ فِي الْمَرْبَاءِ
بُيُوتاً عَلَى أَلْهَاءِ لَهَا سَجْحَةٌ بَغِيرَ السَّنَادِ وَلَا الْمَكْفَاءِ

وكما سَمَّى النَحْوِيُّونَ فذَكَرُوا الْحَالَ وَالظَّرْفَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَضَعُوا هَذِهِ
الْعَلَامَاتِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَعْرِيفَ الْقُرُوبَيْنِ وَأَبْنَاءِ الْبَلَدِيِّينَ عِلْمَ الْعُرُوضِ وَالنَّحْوِ. وَكَذَلِكَ
أَصْحَابُ الْحِسَابِ قَدْ أَجْتَلَبُوا أَسْمَاءً وَجَعَلُوهَا عِلَامَاتٍ لِلتَّفَاهُمِ.

قالوا: وَقَبِيحٌ بِالْخَطِيبِ أَنْ يَقُومَ بِخُطْبَةِ الْعِيدِ، أَوْ يَوْمِ السَّمَاطِينَ، أَوْ عَلَى مَنْبَرِ
جَمَاعَةٍ، أَوْ فِي سِدَّةِ دَارِ الْخِلَافَةِ، أَوْ فِي يَوْمِ جَمْعٍ وَحْفَلٍ، إِمَّا فِي إِصْلَاحِ بَيْنِ الْعِشَائِرِ
وَأَحْتِمَالِ دِمَاءِ الْقَبَائِلِ وَأَسْتِلَالِ تِلْكَ الضَّغَائِنِ وَالسَّخَائِمِ^(٢) فيقول كما قال بعض من خطب
على منبر ضخم الشَّانِ رَفِيعِ الْمَكَانِ، «ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ أَنْ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَسَوَاهِمَ
وَمَكَّنَ لَهُمْ لَاشَاهِمَ فَتَلَاشَوْا» وَلَوْلَا أَنْ الْمُتَكَلِّمَ افْتَقَرَ إِلَى أَنْ يَلْفِظَ بِالتَّلَاشِي لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ
يُؤْخَذَ فَوْقَ يَدِهِ. وَخُطِبَ آخَرُ فِي وَسْطِ دَارِ الْخِلَافَةِ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «وَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ
بَابِ الْإِلَهِيَّةِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَابِ الْإِلَهِيَّةِ». وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى فِي خُطْبَةٍ لَهُ: «هَذَا فَرِيقٌ مَا بَيْنَ
السَّارِّ وَالْأَضَارِ وَالِدَفَاعِ» وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: «فَدَلَّ سَاتِرُهُ عَلَى غَامِرِهِ وَدَلَّ غَامِرُهُ عَلَى مَنْحِلِهِ»
فَكَادَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّنْدِيِّ يَطِيرُ شَغَفًا وَيَتَقَدُّ غِيظًا. هَذَا وَإِبْرَاهِيمُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ. وَالْخَطِيبُ
لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع
المعاني. وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على
جهة التظرف والتملح. كقول أبي نواس:

[المجث]

وَذَاتِ خَـ _____ مُـ وَرَدَ قُوْهِـيَّةِ^(٣) الْمُتَجَرَّدِ^(٤)

(١) هو: جندل بن المشي الطهوي، من تميم: شاعر راجز. كان معاصراً الراعي، وكان يهاجيه. نسبته إلى طهية وهي جدته. مات نحو سنة ٩٠هـ = نحو ٧٠٩م. انظر ترجمته في: سمط اللآلي: ٦٤٤.

(٢) السخائم: الأحقاد. (٣) قوهية: بيضاء. (٤) المتجرد: المتعري.

تَأْمَلُ الْعَيْنُ مِنْهَا^(١) مَحَاسِنًا لَيْسَ تَنْفَدُ
فَبَعْضُهَا قَدْ (تَنَاهَى)^(٢) وَبَعْضُهَا (يَتَوَلَّدُ)
وَالْحُسْنُ فِي كُلِّ عَضْوٍ^(٣) مِنْهَا مُعَادٌ مُرَدَّدٌ
وكفوله :

[المجث]

يَا عَاقِدَ الْقَلْبِ مِنِّي هَلَا تَذْكُرْتَ (حَلَا)
تَرَكْتَ قَلْبِي قَلِيلاً مِنْ الْقَلِيلِ أَقْلاً
يَكَادُ (لَا يَتَجَزَّأ) أَقْلٌ فِي اللَّفْظِ مِنْ لَا^(٤)

وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العُماني
للرشيد في قصيدته ألتي مدحه فيها :

[الرجز]

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطَلٍ مُسْرِنِدٍ^(٥) فِي زَغْفَةٍ^(٦) مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ^(٧)
يَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ وَ(الْكُرْدِ)^(٨)

يعني العنق . ويقول فيه أيضاً :

لَمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الْأُسْدِ وَصَارَ فِي كَفِّ الْهَزْبِرِ^(٩) الْوَرْدِ^(١٠)
أَلَى يَذُوقُ الدَّهْرَ (آبَ سَرْدِ)^(١١)

وكقول الآخر :

[الطويل]

وَوَلَّهْنِي^(١٢) وَقَعُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَكَافِرَ كَوْبَاتِ لَهَا عَجْرٌ^(١٣) قُفْدٌ^(١٤)
بِأَيْدِي رِجَالٍ مَا كَلَامِي كَلَامُهُمْ يَسُومُونَنِي مُرْداً وَمَا أَنَا وَالْمُرْدُ

- (١) جاء في ديوانه المطبوع : « تأمل الناس فيها » بدلاً من « تأمل العين منها ».
- (٢) جاء في ديوانه المطبوع : « فبعضه في انتهاء » بدلاً من « فبعضها قد تناهى » وتنهأ تعني الكمال في الجمال .
- (٣) جاء في ديوانه المطبوع : « والحسن في كل جزء » بدلاً من « والحسن في كل عضو » . والرواية هاهنا أجمل في دلالتها .
- (٤) هذه المقطوعة الشعرية لا توجد في ديوانه المطبوع .
- (٥) المسرند : الغالب المتفوق .
- (٦) الزغفة : الدرع التي تسمح للمحارب بالحركة .
- (٧) السرد : النسج .
- (٨) الكرد : كلمة فارسية ، أصلها في الفارسية (کردان) .
- (٩) الهزبر : الأسد .
- (١٠) الورد : الأسد ذو الجلد الأحمر .
- (١١) آب سرد : أي ماء بارد .
- (١٢) (١٢) الموله : مفعول من الوله ، يكون من الحزن والسرور .
- (١٣) العجر : العقدة في الخشبة .
- (١٤) (١٤) القفد : الغليظ العنق .

ومثل هذا موجود في شعر العُذافر الكِندي وغيره . ويجوز أيضاً أن يكون الشعر مثل شعر الحر وشاذ وأسود بن أبي كريمة كما قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ :

[الرجز]

آب^(١) أَسْتُ نَبِيدَ أَسْتُ عَصَارَاتِ زَبِيبَ أَسْتُ
سُمَيَّةُ رُوسَبِيدَ^(٢) أَسْتُ

وقال أسود بن أبي كريمة :

[مجزوء الرمل]

لَزِمَ الْعُزَامُ^(٣) ثُوبِي بَكْرَةَ فِي يَوْمٍ سَبَّتْ
فَتَمَايَلْتُ عَلَيْهِمْ مِيلَ زُنْكِي^(٤) بِمَسَّتْ^(٥)
قَدْ حَسَا الدَّاذِي^(٦) صَرْفَا أَوْ عُقَاراً بَايَخُسْتِ^(٧)
ثَم كَفْتُمْ^(٨) ذُو زِيَادِ^(٩) وَيَحْكُمُ أَنْ خَرَّ^(١٠) كَفْتُ^(١١)
إِنَّ جِلْدِي دَبَعْتُهُ أَهْلُ صَنْعَاءَ بَحَفْتُ^(١٢)
وَأَبُو عُمَرَةَ^(١٣) عِنْدِي أَنْ كُورَ^(١٤) يَذْنُمُسْتُ
جَالِسِ أُنْدَرِ^(١٥) مَكْنَادِ^(١٦) أَيَا عَمْدَ بَنَهَشْتُ^(١٧)

وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ساقطاً سوقياً فكذا لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً فإنَّ ألوحشي من الكلام يفهمه ألوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي .

وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات . فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسميح والخفيف والثقيل وكلُّه عربي وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا . فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت . فلم ذكروا ألعيَّ وألبكي والحصر والمفحم والخطل والمسهب

(١) آب : ماء . (٢) روسيد : مشهورة .

(٣) الغرام : الدائنون يطالبون بمالهم . (٤) الزنكي : الزنجي .

(٥) مستي : السكر ومداومة الشراب . (٦) الداذي : نبت ذو عنقود طويل .

(٧) بايخست : إحتساء الخمرة عند الصباح الباكر . وفي العربية يسمى البكور .

(٨) كفتم : قلت بالفارسية .

(٩) جاء في نسخة أخرى «دور باد» بدلاً من «ذو زياد» بمعنى : معاذ الله .

(١٠) آن : اسم إشارة بالفارسية . (١١) كفت : قال بالفارسية .

(١٢) جاء في نسخة أخرى «بحفت» بالجيم بدلاً من «بحفت» بالحاء . ومعناه : ثمره بالفارسية .

(١٣) أبو عمرة : كناية عن الجوع . (١٤) كور : أعمى بالفارسية ، أو أعور .

(١٥) أندر : بمعنى في . (١٦) مكناد : بمعنى لا تجعل .

(١٧) جاء في نسخة أخرى «بهنشت» بالباء بدلاً من «بنهشت» بالنون . ومعناه في الجنة .

والمتشدد والمتفهيق والمهمّاز والثرثار والمكثّر والمهمّاز؟ ولمّ ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط؟ وقالوا: رجل تلقّاعة^(١) وتلهّاعة^(٢) وفلان يتلّهيّع في خطبته. وقالوا: فلان يخطيء في جوابه ويحيل في كلامه ويُنَاقِض في خبره. ولولا أنّ هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سُمّي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء.

رأي الجاحظ بلغة الأعراب الفصيحة:

وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ولا أنفع ولا آتق ولا ألدّ في الأسماع ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويماً للبيان من طول أستماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء. وقد أصاب القوم في عامة ما وصّفوا إلا أنّي أزعّم أن سخيّف الألفاظ مشاكل لسخيّف المعاني، وقد يُحتاج إلى السخيّف في بعض المواضع وربّما أمتع بأكثر من امتاع الجزل ألفخم ومنّ الألفاظ الشريفة الكريمة المعاني. كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيّب من النادرة الحارة جداً. وإنّما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة. وكذلك الشعر الأوسط والغناء الأوسط. وإنّما الشأن في الحارّ جداً والبارد جداً. وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول: واللّه لفلان أثقل من مغنٍ وسط وأبغض من ظريف وسط. ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب فيأياك وأن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها. فإنك إن غيّرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضلٌ كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوامّ ومُلحة من مُلح الحشوة والطّعام^(٣) فيأياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً فإن ذلك يُفسدُ الإمتاع بها ويُخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له ويُذهب استطابتهم إيّاها واستملاحهم لها.

ثمّ أعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التّعير والتّقيب والتّشديق والتّمطيظ والجّهورة والتّفخيم. وأقبح من ذلك لحن الأعراب النّازلين على طرق السّابلة وبقرّب مجامع الأسواق. ولأهل المدينة ألسنة ذليقة وألفاظ حسنة وعِبارة جيدة وألّحن في عوامهم فاشٍ وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب. وألّحن من الجوّاري الطّراف ومن الكواعب النّواهد ومن الشّواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسرُ وربّما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد. وكانوا يستملحون اللّثغاء إذا كانت حديثة السن ومقدودة ومجدولة فإذا أسنت وأكتهلت تغيّر ذلك الاستملاح وربّما كان اسم الجارية غليّمْ وصبية وما أشبه ذلك فإذا صارت كهلة جزلة

(١) التلقاعة: المهذار. (٢) التلهاعة: المتشدد. (٣) الحشوة: العامة: الطعام.

وعجوزاً شهلةً وحملت اللحم وتراكم عليها ألشحم وصار بنوها رجالاً وبناتها نساء فما أقبح حينئذ أن يقال لها: يا غليم كيف أصبحت ويا صبية كيف أمسيت؟ ولأمر ما كنت العرب البنات فقالوا: فعلت أم الفضل وقالت أم عمرو وذهبت أم حكيم. نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدم في تلك الكنى. وقد فسرنا ذلك كله في (كتاب الأسماء والكنى والألقاب والأنباز). وقد قال مالك بن أسماء^(١) في استملاح اللحن من بعض نساءه:

[الخفيف]

أَمُغْطَى مِنِّي عَلَى بَصَرٍ لِّلْـ حُبِّ أُمِّ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا
وَحَدِيثُ أَلَدُهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ التَّاعِثُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَأْ وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

وهم يمدحون الحدق والرَّفَق والتخلُّص إلى حبات القلوب وإلى إصابة عيون المعاني. ويقولون: أصاب أهدف إذا أصاب ألحق في الجملة. ويقولون قرطس فلان وأصاب القِرطاس إذا كان أجود إصابةً من الأول. فإن قالوا: رمى فأصاب الغيرة وأصاب عين القِرطاس فهو الذي ليس فوقه أحد. ومن ذلك قولهم: فلان يفل المحز ويصيب المِفصل ويضع الهناء مواضع النقب. وقال زرارَةُ بن جَزء حين أتى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فتكلم عنده ورفع حاجته إليه:

[الطويل]

أَتَيْتُ أبا حَفْصٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا كَالسَّنَانِ طَرِيرُ
فَوَفَّقَنِي الرَّحْمَنُ لِمَا لَقِيْتُهُ وَلِلْبَابِ مِنْ دُونِ الْخُصُومِ صَرِيرُ
قُرُومٌ غِيَارَى عِنْدَ بَابِ مُمَنِّعٍ تُنَازِعُ مَلِكًا يَهْتَدِي وَتَجُورُ
فَقُلْتُ لَهُ قَوْلًا أَصَابَ فُؤَادَهُ وَبَعْضُ كَلَامِ الْقَائِلِينَ غُرُورُ

وفي شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان^(٢) حيث يقول:

[الطويل]

رَجَالُ أَصْحَاءِ الْجُلُودِ مِنَ الْخَنَا وَالسِّنَّةُ مَعْرُوفَةٌ أَيْنَ تَذْهَبُ
وفي إصابة فَصْ الشيء وعينه يقول ذو الرُّمة في مديح بلال بن أبي بردة الأشعري:

[الوافر]

تُناخِي عِنْدَ خَيْرِ فَتَى يَمَانٍ إِذَ النَّكْبَاءِ^(٣) عَارَضَتِ الشَّمَالَا

(١) هو: مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو الحسن: شاعر غزل ظريف، من الولاة. كان هو وأبوه من أشرف الكوفة. توفي نحو سنة ١٠٠هـ = نحو ٧١٨م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٣٠٤، معجم الشعراء للمرزباني: ٤٦٤.

(٢) هو: عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، كان مقيماً في المدينة، حيث توفي سنة ١٠٤هـ = ٧٢٢م انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٦١٩٩، طبقات ابن سلام: ١٢٥.

(٣) النكباء: المصيبة، المحنة وهي الريح تهب بين ريحين.

وَأَكْرَمَهُمْ وَإِنْ كَرُمُوا فَعَالَا
وَأَبْعَدِهِمْ مَسَافَةً غَوْرٍ عَقْلٍ
وَلَبَسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ
وَكُلُّهُمْ أَلَدُّ لَهُ كِظَاظٌ^(٤)
فَصَلَتْ بِحِكْمَةٍ فَأَصَبَتْ مِنْهَا^(٥)
وَأَكْرَمَهُمْ وَإِنْ كَرُمُوا فَعَالَا
إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الشُّبُهَاتِ غَالَا^(١)
أَعَدَّ لَهُ الشَّغَاظَ^(٢) وَالْمِحَالَا^(٣)
أَعَدَّ لِكُلِّ حَالٍ الْقَوْمَ حَالَا
فُضُوصَ الْحَقِّ فَأَنْفَصَلَ أَنْفَصَالَا

وكان أبو سعيد الرأي وهو شرشير المدني يعيب أبا حنيفة فقال الشاعر:

عِنْدِي مَسَائِلُ لَا شَرَّشِيرُ يُحْسِنُهَا
عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا أَصَابَ شَرَّشِيرُ
وَلَا يُصِيبُ فُضُوصَ الْحَقِّ تَعْلَمُهُ
إِلَّا حَنِيفِيَّةٌ كُوفِيَّةٌ الدُّورُ

ومما قالوا في الإيجاز وبلوغ المعاني بالالفاظ أليسية قال ثابت بن قُتنة^(٦):

مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَجِيشُ بِهِ
صَدْرِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يُبْلِينِي
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتُهُمْ
فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ لَمْ يُضِلُّوا بِهَا دُونِي
لَا أَكْثُرُ الْقَوْلَ فِيمَا يَهْضُبُونَ بِهِ^(٧)
مِنْ الْكَلَامِ قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي

وقال رجل من طيئ ومُدح كلام رجل فقال: هذا كلام يكتفى بأولاه ويُستفى بأخراه. وقال أبو وجرة السعدي^(٨) من سعد بن بكر يصف كلام رجل:

يَكْفِي قَلِيلٌ كَلَامِهِ وَكَثِيرُهُ
ثَبْتُ إِذَا طَالَ التَّنْضَالُ مُصِيبُ

(١) جاء في نسخة أخرى «عالا» بالعين، بدر من «غالا» بالغين. وقد وردت في ديوان ذي الرمة «عالا». وعال: عظم.

(٢) الشغاب: جمع الشغبية، وهو اعتقال المصارع خصمه برجله فيصرعه بهذه الحيلة.

(٣) المحال: الحيلة.

(٤) الكظاظ: تجاوز الحد في العداوة.

(٥) وردت في الديوان على الشكل التالي: «قضيت بمره فأصبت منه».

(٦) هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من الأزد: من شجعان العرب وأشرفهم في العصر المرواني، يكنى أبا العلاء. له شعر جيد. شهد الوقائع في خراسان سنة ١٠٢هـ، وأصيب عينه فجعل فيها قطنة فعرف بها. استشهد في سمرقند سنة ١١٠هـ = ٧٢٨م. انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير: حوادث سنة ١٠٢، خزائن الأدب ٤/ ١٨٥.

(٧) يهضبون به: يخوضون في الحديث بصوت مرتفع.

(٨) هو: يزيد بن عبيد السلمي السعدي أبو وجرة: شاعر محدث مقلد، من التابعين. أصله من بني سليم. نشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن فنسب إليهم. سكن المدينة وانقطع إلى آل الزبير. ومات بها سنة ١٣٠هـ = ٧٤٧م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٦٨، غاية النهاية في طبقات القراء: ٣٨٢/٢.

ومن كلامهم ألموجز في أشعارهم قول العُكلي في صفة قوس :
 [الرجز] فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُؤَثَّقَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعٌ
 وقال الآخر ووصف سهم رام أصاب حماراً فقال :

[الرجز] حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا
 وقال الآخر ، وهو يصف ذئباً :
 [الرجز] أَطْلَسَ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي شِدْقِهِ شَفَرَتُهُ وَنَارُهُ
 وَهُوَ الْحَبِيثُ عَيْنُهُ قِرَارُهُ بِهِمْ بَنِي مُحَارِبٍ مُزْدَارُهُ^(١)
 ووصف آخر ناقة فقال :

خَرْقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعٌ
 وقال الآخر ووصف سهماً صادراً :
 [الرجز] أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَفْطُوحَا غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحَا
 المفطوح الأول للقوس ، وهو العريض وهو هاهنا موضع مَقْبُضِ القوس . والمفطوح الثاني السهم العريض . يعني أنه ألقى على مقبض القوس سهماً عريضاً . وقال الآخر :

[الرجز] إِنَّكَ يَا أَبْنَجَعَفِرٍ لَا تُفْلِحُ اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ
 وقالوا في المثل «الليل أخفى للويل» . وقال رؤبة يصف حماراً :

[الرجز] حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقُ حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقُ
 الحشرجة : صوت الصدر . والسحيل : صوت الحمار إذا مدّه . والشهيق : أن يقطع الصوت .

وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمي في فرس أبي الأعور السلمي :
 [الرجز] جَاءَ كَلَمَحِ الْبَرْقِ جَاشَ نَاطِرُهُ يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
 فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ

قوله جاش ناظره أي جاش بمائة . وناظر البرق : سحابه . يسبح يعني يمد ضبعيه فإذا مدّها علا كِفْلُهُ . وقال الآخر :

[الرجز] إِنَّ سَرَكَ الْأَهْوَنَ فَابْدَأَ بِالْأَشَدِّ

(١) يعني : إذا ما أبصرته عرفت خبثه من عينيه .

وقال العجاج:

[الرجز]

يُمْكِنُ السَّيْفَ إِذَا الرُّمْحُ أَنْطَرُ^(١) مِنْ هَامَةِ اللَّيْثِ إِذِ اللَّيْثُ هَتَرَ
كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاضَ جَسَرَ غَوَارِبَ أَلَيْمٍ إِذَا أَلَيْمٌ هَدَرَ
حتى يُقَالَ جَاسِرٌ وَمَا جَسَرَ

اليم: معظم الماء. وغوارب أليم: معظمه. جسر: قطع. ومنه قيل للجسر: جسر لأن الناس يقطعون عليه. وقوله: حتى يقال جاسر وما جسر أي قطع الأمر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه. وقال الآخر:

[الرجز]

يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِلَاهَا كَأَنَّمَا بِقَلَمٍ مَحَاهَا
أَخْرَبَهَا عُمَرَانُ مَنْ بَنَاهَا وَكَرُمُ مَسَاهَا عَلَى مَعْنَاهَا
وَطَفِقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

قوله أخربها عمران من بناها يقول: عمرها بالخراب. وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء فإذا بقي الرجل في داره فقد عمرها. فيقول إن مدة بقائه فيها أبلت منها لأن الأيام مؤثرة في الأشياء بالنقص والبلاء. فلما بقي الخراب فيها وقام مقام العمران في غيرها سمي بالعمران. وقال غيره:

[الرجز]

يَا عَجَلُ الرَّحْمَنِ بِالْعَذَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ

يعني الفأر. يقول: هذا عمرانها، كما يقول الرجل: ما نرى من خيرك ورئدك إلا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك في أعضادنا. وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا نَزْنُومُ يَوْمَ اللَّيْنِ﴾^(٢) والعذاب لا يكون نزلاً ولكنه لما أقام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمي باسمه. وقال الآخر:

[الرجز]

فَقُلْتُ أَطْعَمَنِي عُمَيْرٌ تَمْرًا فَكَانَ تَمْرِي كَهَرَةً^(٣) وَزَبْرًا^(٤)

والتمر لا يكون كهرة وزبراً ولكنه على ذا. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٥). وليس في الجنة بكرة ولا عشي ولكن على مقدار البكر والعشيات. وعلى هذا قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾^(٦) والخزنة: الحفظة وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنساناً فيمنع منها ولكن لما قامت الملائكة

(٤) الزبر: الزجر والمنع.

(٥) سورة مريم، الآية: ٦٢.

(٦) سورة غافر، الآية: ٤٩.

(١) أنطر: انثني.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٥٦.

(٣) الكهرة: الانتهاز.

مقامَ الحافظِ الخازنِ سُمِّيَتْ به . قوله ممساها يعني مساءها . ومغناها : موضعها الذي أقيم فيه . والمغاني المنازل التي كان به أهلوها . وطَفِقْتُ يعني ظلت . تبكي على عراصها عيناها يقال لكل جوبة منفتحة ليس فيها بناء «عرصة» . عيناها هاهنا للسحاب وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء بأسم غيره إذا قام مقامه . وقال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

[الطويل]

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

ولعل حميداً أخذه عن النمر بن تُولُب ، قال النمر :

[الطويل]

يُحِبُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تُرَى طَوْلُ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

وقال أبو العتاهية :

[الرجز]

أَسْرَعُ فِي نَقْضِ أَمْرِ تَمَامُهُ

ذهب إلى كلام الأول «كل ما أقام شخص . وكل ما ازداد نقص» و«لو كان الناس يُمِيتهم الداء إذن لأعاشهم الدواء» .

وقال الثاني من الرواة الثلاثة بل قول أبي خراش الهذلي :

[الطويل]

نَوَكَّلُ بِالْأَذْنِي وَإِنْ حَلَّ مَا يَمْضِي

وقال الثالث بل قول أبي ذؤيب الهذلي :

[الكامل]

وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

فقال قائل : هذا من مفاخر هذيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يُصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف أثنان منها لهذيل وحدها . فقليل لهذا القائل : إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها . والنصف الذي لأبي ذؤيب . لا يستغني بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولاً بالنصف الأول ، لأنك إذا أنشدت رجلاً لم يسمع بالنصف الأول وسمع «وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع» قال : ومن هذه التي ترد إلى قليل فتقنع؟ وليس المضمن كالمطلق . وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم وإنما الرواية قوله :

[الكامل]

وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ

ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذي كَالَوْحِي والإشارة قول أبي دؤاد بن جرير

الإيادي :

[الكامل]

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَحْيِ الْمَلَا حِظِّ خِيفَةِ الرُّقْبَاءِ

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها وألحذف في موضعه .
ومِمَّا يدلُّ على شغفهم وكلفهم وشدة حثهم للفهم والإفهام قولُ الأسدِيّ في صفة
كلام رجل نعت له موضعاً - من تلك السباسب التي لا أمانةَ فيها - بأقلِّ اللفظ وأجزءه ،
فوصف إيجاز الناعت وسُرعة فُهم المُنْعوت له فقال :

[الطويل]

بَضْرَبَةٍ نَعْتٍ لَمْ تُعَدَّ غَيْرَ أَنَّنِي عَقُولُ لأَوْصَافِ الرِّجَالِ ذُكُورُهَا
وهو كقولهم لابن عباس : أنى لك هذا العلم ؟ . قال : قلب عَقُولٍ ولسان سَوُول .
وقد قال الأراجز :

[الرجز]

وَمَهْمَهَيْنِ ^(١) فَذَفْدَيْنِ ^(٢) مَرَّتَيْنِ ^(٣) جُبْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ
ظَهَرَاهُمَا مِثْلُ ظَهْوَرِ التَّرْسَيْنِ قَطَعْتَهُ بِالْأَمِّ لَا بِالسَّمَتَيْنِ
وقالوا في التحذير من مَيْسَم ^(٤) الشَّعْر ومن شِدَّةِ وَقَعِ أَلْسَانٍ ومن بقاء أثره على
الممدوحِ والمهجورِ . قال امرؤ القيس بنُ حُجْر :

[المقارب]

وَلَوْ عَنْ نَشَا ^(٥) غَيْرِهِ جَاءَنِي وَجُرْحُ أَلْسَانٍ كَجُرْحِ أَلِيْدِ
وقال طرفة :

[الكامل]

بِحُسَامٍ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَأَلِ كَلِمُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلِمِ ^(٦)
قال : وأنشدني محمد بن زيد :

[الرجز]

لَحَوْتُ ^(٧) شَمَاساً كَمَا تُلْحَى الْعِصِي مِنْ نَفَرٍ كُلُّهُمْ نَكْسٌ ^(٨) ذَنِي مَخَابِطِ الْعِكَمِ ^(٩) مَوَادِيْعِ الْمَطِي
سَبَّالَوْ أَنَّ السَّبَّ يُذْمِي لَدْمِي مَحَامِدُ الرِّذْلِ مَشَاتِيْمُ السَّرِي مَتَارِكِ الرِّفِيقِ بِالْخَرَقِ ^(١٠) النَّطِي ^(١١)

(١) المهمه : القفر المخيف .

(٢) الفدغد : الفلاة .

(٣) المروت : المفازة بلا نبات ولا ماء .

(٤) الميسم : المكواة تكوى بها الإبل للتعرف عليها .

(٥) النشا : الإخبار عن المرء بذكر محاسنه أو مساوئه .

(٦) الكلم : بكسر أوله وسكون وسطه : الجرح ، وقد يفتح أوله .

(٧) جاء في نسخة أخرى «لحيت» بالياء بدلاً من «لحوت» بالواو . والفعل الماضي لحا بالألف الممدودة ، فيكون المضارع منه بالواو كما ورد هاهنا . والبيت قد ورد في لسان العرب بالواو ، مادة لحا . ولحا : قشّر .

(٨) النكس ، بكسر النون : الدنيا من لا خير فيه .

(٩) ورد في نسخة أخرى : «مخابط العيكم» بالياء بدلاً من «مخايط» بالياء ، وهو أصح . وهو جمع المخيط أي الإبرة ، والعيكم بكسر العين : العدل .

(١٠) النطّي : البعيد .

(١١) الخرق : القفر .

وأنشد محمد بن زياد ^(١) :

[الطويل]

تَمَنَّى أَبُو الْعَفَّاقِ عِنْدِي هَجْمَةً تُسَهِّلُ مَأْوَى لَيْلِهَا بِالْكَلاكِيلِ
وَلَا عَقْلَ عِنْدِي غَيْرُ طُعْنٍ نَوَافِدٍ وَضَرْبٍ كَأَشْدَقِ الْفِصَالِ الْهَوَادِلِ
وَسَبِّ يَوْدُ الْمَرْءِ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ كَصَدْعِ الصِّفَا فَلَقَّتْهُ بِالْمَعَاوِلِ
الهجمة: القطعة من النوق فيها فحل. والكلكل: الصدر. والفصال جمع فصيل
والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عنها. والهوادل: العظام المشافر. والعقل ها هنا الدية.
والعاقلة: أهل القاتل الأدنون والأبعدون. والصفا جمع صفاة: وهي الصخرة.

وقال طرفة:

[الطويل]

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنَ مَوَالِجاً ^(٢) تَضَايِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْأَبْرُ
وقال الأخطل:

[البسيط]

حَتَّى أَقْرُوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذِ الْأَبْرُ
وقال العمانى:

[الرجز]

إِذْ هُنَّ فِي الرِّيطِ وَفِي الْمَوَادِعِ تَرْمِي إِلَيْهِنَّ كَبَذَرِ الزَّرَاعِ
الريط: الثياب واحدها ريطة. والريطة: كل مُلاءة لم تكن لفقين. والحلة لا تكون
إلا ثوبين. والموادع: الثياب التي تصون غيرها واحدها ميّدة.
وقالوا: الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى. وكتب نصر بن سيار
إلى ابن هُبيرة أيام تحرّك أمير السواد ^(٣) بخراسان:

[الوافر]

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَضْطِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى ^(٤) وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ
فَقُلْتُ مَنْ أَلْتَعْجَبُ لَيْتَ شِعْرِي أَيْقَاطُ أُمِّيَّةُ أَمْ نِيَامُ؟!
فَإِنْ كَانُوا لِحِينِهِمْ نِيَاماً فَقُلْ: قُومُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ
وقال بعض المولدين:

[الوافر]

إِذَا نِلْتُ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ مَظْلٍ فَلَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَتْ جَزِيلَةً
وَسُقِيًّا لِلْعَطِيَّةِ ثُمَّ سُقِيًّا إِذَا سَهَلْتُ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً

(٢) موالجاً: داخلات.

(٤) تذكى: تشتعل ويشتد لهبها.

(١) أي ابن الأعرابي.

(٣) هو أبو مسلم الخراساني.

وَلِلشُّعْرَاءِ أَلْسِنَةٌ حَدَادٌ عَلَى الْعَوْرَاتِ مُوفِيَةٌ دَلِيلُهُ
وَمِنْ عَقْلِ الْكَرِيمِ إِذَا اتَّقَاهُمْ وَدَارَاهُمْ مُدَارَةٌ جَمِيلُهُ
إِذَا وَضَعُوا مَكَادِيهِمْ ^(١) عَلَيْهِ وَإِنْ كَذَبُوا فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيلُهُ
وقالوا: «مذاكرة الرجال تلقح لألبابها» ^(٢) ومما قالوا في صفة اللسان قول الأسدي
أنشدنيها ابن الأعرابي:

[المتقارب]

وَأَصَبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عِرْضاً بَرِيئاً وَعَضْباً ^(٣) صَقِيلَا
وَوُفِعَ لِسَانٌ كَحَدِّ أَلْسِنَا نِ وَرُمَحاً طَوِيلَ الْقَنَآةِ عَسُولَا ^(٤)
وقال الأعشى:

[الطويل]

أَدَافِعُ عَنْ أَغْرَاضِكُمْ وَأَعِيرُكُمْ لِسَاناً كَمِقْرَاضِ الْخَافِجِيِّ مَلْحَبَا
الملح: القاطع. وقال ابن هزيمة:

[البسيط]

قُلْ لِلَّذِي ظَلَّ ذَا لَوْنَيْنِ يَأْكُلُنِي لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمِ عَادِمِ الْبَشْمِ ^(٥)
إِيَّاكَ لَا أُلْزِمَنَّ لَحْيِكَ مِنْ لُجْمِ نِكْلَا ^(٦) يُنْكَلُ قَرَّاصاً ^(٧) مِنْ أَلَلْجَمِ
إِنِّي أَمُرُّوْ لَا أَصُوغُ الْحَلِيَّ تَعْمَلُهُ كَفَايَ لَكِنْ لِسَانِي صَائِعُ الْكَلِمِ
وقال الراجز:

[الرجز]

إِنِّي بَغَيْتُ الشُّعْرَ وَأَبْتَغَانِي حَتَّى وَجَدْتُ الشُّعْرَ فِي مَكَانِي
فِي عَيْبَةٍ مِفْتَاحُهَا لِسَانِي
وأنشد:

[الرجز]

إِنِّي وَإِنْ كَانَ إِزَارِي خَلَقَا وَبَرْتَكَانِي ^(٨) سَمَلًا قَدْ أَخْلَقَا ^(٩)
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِسَانِي مُطْلَقًا

-
- (١) جاء في نسخة أخرى «مكاذيهم» بالذال بدلاً من «مكاديهم». وأصح من تكلم الروائتين. رواية جاءت في طبعة غير تلكم الطبعتين «مكاويهم»، وهو يعني لواذع الكلام.
(٢) هذا من أقوال الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه.
(٣) العضب: السيف القاطع البتار. (٤) العسول: المضطرب.
(٥) البشم: التخمّة. (٦) النكل: اللجام.
(٧) جاء في نسخة «فراصاً» بالفاء بدلاً من «قراصاً» بالقاف. والفرص بمعنى القطع.
(٨) جاء في نسخة أخرى «البرنكان» بالنون بدلاً من «برتكاني» بالتاء. والبرنكان: كساء من الصوف أما البرنكان فهو الثوب الخلق.
(٩) أخلق: بلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان: والعتابي - حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ - لم يعن أن كل من أفهمنا من معاصر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه، أنه محكوم له بالبلاغة، كيف كان، بعد أن نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطي الذي قيل له: لِمَ اشتريت هذه الأتان؟، قال: «أركبها وتلدلي» وقد علمنا أن معناه كان صحيحاً. وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لأهل مجلسه: «ما من شر من دين» وإنه قال حين قيل له ولم ذاك يا أبا فلان؟ قال: «من جرى يتعلقون» وما نشك أنه ذهب مذهباً. وأنه كما قال معنى قول أبي الجهمير الخراساني النحاس، حين قال له الحجاج: أتبيع الدواب المعبية من جند السلطان؟ قال: «شريكنا في أهواها وشريكنا في مداينها وكما تجيء تكون» قال الحجاج: ما تقول؟ ويلك. فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها. وقلت لخادم لي: في أي صناعة أسلم هذا الغلام؟ قال: «أصحاب سند نعال» يريد في أصحاب النعال السنديّة. وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذي دونه: «أكتب لي قل حطين وريحني منه».

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمُعرب كلّ سواء وكله بيانا. وكيف يكون ذلك كله بيانا؟ ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لَمَا عرفه. ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا. وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي وأصقليّ. وإن كان هذا الاسم إنما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم فنحن قد نفهم من حممة الفرس كثيراً من حاجاته ونفهم بضغاء^(١) السنور كثيراً من إرادته. وكذلك الكلب والحمار والصبّي الرضيع. وإنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء. وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا: [

مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ وَإِذَا عَزَّ أَخَاكَ فَهْـنُ

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: «ذهبت إلى أبو زيد» و «رأيت أبي عمرو» ومتى وجد النحويون أعرابياً يفهم هذا وأشباهه بهرجوه^(٢) ولم يسمعوا منه لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تُفسد اللغة وتُنقص البيان. لأن تلك اللغة إنما أنقادت وأستوت وأطردت وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة وفي تلك الجيرة. ولقد فقد الخطأ من جميع الأمم. ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بوئ بعيد. على أنه قد كان وضع منزله في آخر موضع الفصاحة وأول موضع العُجمة.

(١) ضغاء السنور: مواؤه. (٢) بهرجوه: اعتبروه مزيفاً لكثرة معاشته لأهل المدن، ولمعرفته لغاتهم.

وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين. وزعم أصحابنا البصريون عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج. وكان ما زعموا لا يبرئهما من اللحن. وزعم أبو العاصي أنه لم ير قروياً قط لا يلحن في حديثه، وفيما يجري بينه وبين الناس إلا ما تفقده من أبي زيد النحوي ومن أبي سعيد المعلم. وقد روى أصحابنا أن رجلاً من البلديين قال لأعرابي: كيف أهلك؟ قالها بكسر اللام. قال: صلباً. لأنه أجابه على فهمه ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله وعياله. وسمعت ابن بشير - وقال له المفضل العنبري إن عثرت أبارحة بكتاب وقد ألتقطته وهو عندي، وقد ذكروا أن فيه شعراً فإن أردته وهبته لك - قال ابن بشير: أريده إن كان مقيداً. قال: والله ما أدري أكان مقيداً أو مغلولاً. ولو عرف التقييد لم بلغت إلى روايته. وحكى الكسائي أنه قال لغلام بالبادية: من خلقتك - وجزم القاف - فلم يدر ما قال ولم يُجبه. فردّ عليه السؤال. فقال الغلام: لعلك تريد من خلقتك؟. وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلاً يقول: «نعم» في الجواب قال: «نعم وشاء» لأن لغته «نعم». وقيل لعمر بن لُجأ: قل «إنا من المجرمون متقمين» قال: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ﴾^(١). وأنشد الكسائي - كلاماً دار - بينه وبين بعض فتيان البادية فقال:

[الرمل]

عَجَباً مَا عَجَبٌ أَعْجَبَنِي	مِنْ غُلَامٍ حَكَمِيٍّ أَصْلًا
قُلْتُ هَلْ أَحْسَسْتُ رَكْبًا نَزَلُوا	خِضْنَا ^(٢) مَا دُونَهُ قَالَ هَلَا
قُلْتُ بَيْنَ مَا هَلَا هَلْ نَزَلُوا	قَالَ حُوبًا ^(٣) ثُمَّ وَلَّى عَجَلًا
لَسْتُ أَذْرِي عِنْدَهَا مَا قَالَ لِي	أَنْعَمَ مَا قَالَ لِي أَمْ قَالَ لَا
تِلْكَ مِنْهُ لُغَةٌ تُعْجِبُنِي	زَادَتْ الْقَلْبَ خَبَالًا خَبَلًا

قال أبو الحسن: قال مولى زياد لزياد: «أهدوا لنا همار وهش» قال: أي شيء تقول؟ ويلك. قال «أهدوا لنا إيرا» يريد «أهدوا لنا عيرا» قال زياد: ويلك الأول خير. وقال الشاعر يذكر جارية له لکناء:

[الرجز]

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ تَذَكِيرُهَا الْأُنْثَى وَتَأْنِيْتُ الذَّكَرِ
وَالسَّوْأَةُ السَّوْءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ

فزياد قد فهم عن مولاه وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته. ولكنهما لم يفهما عنهما من إفهامها لهما. ولكنهما لما طال مقامهما في الموضع الذي يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب، صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام.

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٢.

(٢) خضن: جبل بنجد.

(٣) الحوب: الإثم والهلاك والمرض والبلاء.

ذكر ما قالوا في مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنشور ما جاء في الأثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

[الطويل]

وَأَخْبَارُهُمْ شَتَّى فَعُرِفَ وَمُنْكَرُ
وَمُخْتَلِفاً مَا بَيْنَهُمْ حِينَ تَخْبُرُ
مِنَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَبْلُ مَا لَيْسَ يَظْهَرُ
وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلَقَ مُصَوَّرُ
يَزِينُ الْفَتَى مَخْبُورُهُ حِينَ يُخْبِرُ
أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

أَرَى النَّاسَ فِي الْأَخْلَاقِ أَهْلَ تَخَلُّقٍ
قَرِيباً تَدَانِيهِمْ إِذَا مَا رَأَيْتَهُمْ
فَأَسْتَحْمِدُنَّ الدَّهْرَ ظَاهِرَ صَفْحَةٍ
فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ
وَمَا الزَّيْنُ فِي ثَوْبٍ تَرَاهُ وَإِنَّمَا
فِيهِ طُرَّةٌ رَأَقْتُكَ مِنْهُمْ فَرُبَّمَا

وقال سويد بن أبي كاهل^(١) في ذلك :

[الرملي]

تَنْزِلُ الْأَعْصَمُ^(٣) مِنْ رَأْسِ الْيَفْعِ^(٤)
لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَطَعْ
كَحْسَامٍ^(٥) السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطْعُ

وَدَعَّيْنِي بِرُقَاهَا^(٢) إِنَّهَا
تُسْمِعُ الْحُدَاثَ قَوْلًا حَسَنًا
وَلِسَانًا صَيْرَفِيًّا صَارِمًا

وقال جرير :

[الطويل]

وَلَا السَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ

وقال الآخر :

[الوافر]

وَيَبْقَى الدَّهْرَ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمُلُهُ فَيَبْرَى

وقال الآخر :

[البيط]

إِلَى ابْنِ عَمِّكَ وَادْكُرْهُ بِإِحْسَانِ

أَبَا ضَبِيعَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ

(١) هو : سويد بن أبي كاهل (غطيف، أو شبيب) ابن حارثة بن حسل، الذبياني الكِنَاني الشكري، أبو سعد : شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام. بعد سنة ٦٠هـ = ٦٨٠م كانت وفاته . انظر ترجمته في : الإصابة : ت ٣٧١٦ ، الشعر والشعراء : ١٦٠ .

(٢) الرقي : جمع الرقية ، وهي العوزة .

(٣) الأعصم من الأطباء والوعول ، ما في ذراعيه بياض وسائره أسود .

(٤) اليفع : المرتفع من الأرض .

(٥) جاء في نسخة أخرى «كذاب السيف» وهذه الرواية أصح مما جاء هنا ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه . وذباب السيف حَذَه القاطع .

إِنِّي وَإِنْتَ كُنْتُ أَثَوَابِي مُلْفَقَةً^(١) لَيْسَتْ بِخَزْ وَلَا مِنْ حُرٍّ^(٢) كِتَّانٍ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي عُلُوبِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانٍ

وفيما مدحوا به الأعرابي إذا كان أدبياً، أنشدني ابن أبي خزيمة واسمه أسود: [الطويل]

أَلَا زَعَمْتَ عَفْرَاءَ بِالشَّامِ أَنَّنِي وَأَنِّي لَا هُدَىٰ بِالْأَوَانِسِ كَالدُّمَىٰ
وَأَنِّي عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ عُنْجِيَّتِي^(٣) غُلَامٌ جَوَارٍ لَا غُلَامٌ حُرُوبٍ
وَأَنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَلْعُوبِ وَلَوْثَةٍ^(٤) أَغْرَابِيَّتِي لِأَدِيبٍ

وقال ابن هرمة:

[الكامل]

لَلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى فَجَعَتْ بِهِ هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ
يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ
سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ

وقال كعب بن سعد الغنوي:

[الطويل]

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غَشِيَانُ^(٥) بَيْتِهِ إِذَا مَا تَرَاهُ الرُّجَالُ تَحَفَّظُوا
جَمِيلُ الْمُحْيَا شَبَّ وَهُوَ أَدِيبٌ فَلَمْ تَنْطِقِ الْعَوْرَاءُ^(٦) وَهُوَ قَرِيبٌ

وقال الحارثي:

[الطويل]

وَتَعْلَمُ أَنِّي مَاجِدٌ وَتَرْوَعُهَا بَقِيَّةُ أَغْرَابِيَّةٍ فِي مُهَاجِرٍ
وَقَالَ الْآخَرُ:

[الطويل]

وَإِنْ أَمَرَاءَ فِي النَّاسِ يُعْطَى ظِلَامَةً أَلْأَمُوتَ يَخْشَى أَكْلَ اللَّهِ أُمَّهُ
وَيُطْعَمُ مَا لَمْ يَنْدِفِعْ فِي مَرِيئِهِ^(٧) وَيُمنَعُ نِصْفَ الْحَقِّ مِنْهُ لِرَاضِعٍ
وَأَمَّ الْعَيْشَ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهُوَ ضَائِعٌ وَإِنْ الْعُقُولُ فَأَعْلَمَنَّ أَسِنَّةً
وَيَمْسَحُ أَعْلَى بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ حِدَادُ النَّوَاحِي أَرْهَفَتْهَا الْمَوَاقِعُ^(٨)

(١) جاء في نسخة أخرى «أما تراني وأثوابي مقاربة» بدلاً من «إني وإن كنت أثوابي ملفقة». والمقارب الرخيص.

(٢) جاء في نسخة أخرى «من نسج» بدلاً من «من حر» والحر: الخالص.

(٣) العنجهية: الجفاء والتكبر والاعتزاز بالانتماء إلى سرة القوم.

(٤) اللوثة: الحماقة. (٥) غشى البيت: دخله.

(٦) العوراء: الكلمة القبيحة السفهية.

(٧) المرىء: هو رأس المعدة والكرش الملاصق بالحلقوم.

(٨) المواقيع: جمع ميقعة: وهي المسن.

ويقولون: كأن لسانه لسان ثور. وحدثني من سمع أعرابياً مدح رجلاً برقة اللسان فقال: كان والله لسانه أرقَّ من ورقة وألين من سرقة^(١). وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال: والله ما يسرني به مقول من معد، والله لو أني وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه. قال: وسمعت أعرابياً يصف لسان رجل، فقال: كان يشول بلسانه شولاً البروق ويتخلل به تتخلل الحية. وأظن هذا الأعرابي أبا وجيه العُكلي.

يشول: يرفع. البروق: الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذ ترفع ذنبها.

أسباب تسمية الأشهر عند العرب:

وإنما سمي شوال شوالاً لأن النوق شالت بأذنانها فيه. فإن قال قائل: يتفق أن يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه فلم بقي هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه؟ قيل له: إنما جُعِلَ هذا الاسم له سمةً حيث اتفق أن شالت النوق بأذنانها فيه فبقي عليه كالسمة. وكذلك رمضان إنما سُمي لرمض^(٢) الماء فيه في شدة الحر فبقي عليه في البرد. وكذلك ربيع إنما سُمي لرعيمهم الربيع فيه وإن كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحر.

قال: ووصف أعرابي رجلاً، فقال: أتيناها فأخرج لسانه كأنه مخراق^(٣) لاعب. قال: وقال العباس بن عبد المطلب للنبي ﷺ: يا رسول الله فيم الجمال؟ قال: في اللسان. قال: وكان مجاشع بن دارم خطيباً سليطاً، وكان نهشل بكياً متزوراً^(٤) فلما خرجا من عند بعض المملوك عذله مجاشع في تركه الكلام. فقال له نهشل: إني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك، تشول بلسانك شولاً البروق. وقالوا: أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الإنس ثم الجن، وإنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالأستطاعة على التصرف وبالمَنطق. قال: وقال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة. قال: وقال رجل لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيتم تتذكرون الأخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الأشعار وقع علي النوم؟ قال: لأنك حمار في مسلاخ^(٥) إنسان. وقال صاحب المنطق^(٦): حد الإنسان الحي الناطق الميت. وقال الأعور الشني^(٧):

[الطويل]

وكائن ترى من صامت لك مُعْجِبٍ زيادته أو نقصه في التَّكَلِمِ

(١) السرقة: قطعة من حرير. (٢) رمض الماء: سخن وارتفعت حرارته.

(٣) المخراق: هو عبارة عن منديل يلف ليضرب به.

(٤) النزور: قليل الكلام، لا ينطق إلا عن حاجة.

(٥) المسلاخ: الجلد. (٦) هو أرسطوطاليس الفيلسوف اليوناني المشهور.

(٧) جاء في نسخة أخرى «الشبني» بالباء، بدلاً من «الشني».

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُّهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
ولما دخل ضمرة بنُ ضمرة^(١) على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من
دمامته وقصره وقلته فقال النعمان: تسمع بالمعيدي لا أن تراه. فقال: أبيتُ اللعن إن
الرجال لا تُكَالُ بالقفزَان ولا تُوزَنُ بميزَان وليست بمسوك يستقى بها وإنما المرءُ بأصغريه
بقلبه ولسانه إن صال صال بجَنَان وإن قال قال ببيان. واليمانية تجعل هذا للصقعب
النهدي. فإن كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نهذاً من معد. وكان يقال: عقل المرء مدفون
بلسانه.

(١) هو ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشلي من بني دارم، شاعر جاهلي، من الشجعان الرؤساء: كان اسمه «شفة بن ضمرة» فسماه النعمان «ضمرة». انظر ترجمته في: سمط اللآلي: ٤٣٥، ٥٠٣، ٩٢٢، حلية
الفرسان: ١٥٥.

باب في ذكر اللسان

أبو الحسن قال: قال الحسن: «لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال وإن كان عليه سكت. وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن هم بالكلام تكلم به له أو عليه» قال أبو عبيدة: قال أبو الوجيه: حدثني الفرزدق قال: كنا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ومعا كعب بن جعيل التغلبي. فقال له يزيد: إن ابن حسان - يريد عبد الرحمن - قد فضحنا فاهج الأنصار. قال أرادي أنت إلى الإشراف بعد الإسلام؟ لا أهجو قوماً نصرُوا رسول الله ﷺ ولكني أدلك على غلام منا نصراني كأن لسانه لسان ثور يعني الأخطل. وقال سعد بن أبي وقاص لعمر ابنه - حين نطق مع القوم فبدهم^(١) وقد كانوا كلموه في الرضا عنه - قال: هذا الذي أغضبني عليه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون قوم يأكلون الدنيا بالسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها». قال: وقال معاوية لعمر بن العاص: «يا عمرو إن أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبي موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم إليك رجل طویل اللسان قصير الرأي فأجد الحز وطبق المفضل ولا تلقه برأيك كله». والعجب من قول ابن الزبير للأعراب: «سلاحكم رث وحديثكم غث» وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه أحسن الناس حديثاً وأن أبا نضرة وعبد الله بن أبي بكر إنما كانا يحكيانه فلا أدري إلا أن يكون حُسن حديثه هو الذي ألقى الحسد بينه وبين كل حسن الحديث؟! وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الأمر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالد عرض له ببعض الأمر فقال المدني: يا أبا صفوان ما من ذهب إلا اتفاق الصناعتين. ذكر ذلك الأصمعي. قال: فضال الأزرق: قال رجل من بني منقر: تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله، وإذا أعرابي في بث^(٢) ما في رجله حذاء فأجابه بكلام وددت والله أني كنت ميت وأن ذلك لم يكن، فلما رأى خالد ما نزل بي قال: كيف نجاريهم وإنما نحكيهم وكيف نسابقهم وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعراقهم^(٣) وليفرخ روعك^(٤) فإنه من

(١) بدهم: غلبهم وتفوق عليهم.

(٢) البث: الحزن الشديد. والبث بالتاء: الكساء الغليظ.

(٣) أعراق: مفردة عرق، بكسر العين وسكون الراء، وهو من كل شيء أصله.

(٤) الروع: الخوف.

مقاعسَ ومقاعسُ لك . فقلت : يا أبا صفوانَ واللَّهِ ما أَلومك على الأولى ولا أدعُ حمدك على الأخرى . قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبد العزيز : « ما كَلَمَني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمدَّ له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه » . قال : وقال يونس : ليس في بني أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو كاهن أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العَدُو . الترجمان بنُ هزيم بن عدي بن أبي طحمة قال : دُعي رقبَةُ بنُ مصقلة - أو كرب بن رقبه - إلى مجلس ليتكلم فيه ، فرأى مكان أعرابي في شملة ، فأنكر موضعه ، فسأل الذي عن يمينه عنه ، فخبَّره أنه الذي أعدوه لجوابه ، فنهض مسرعاً لا يلوي على شيء كراهةً أن يجمع بين الديباختين فيتضع ^(١) عند الجميع . وقال خلاد بن يزيد : لم يكن أحد بعد أبي نصر أحسن حديثاً من مسلم بن قتيبة . قال : وكان يزيد بنُ هُبيرة يقول احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة . ويزعمون أنه لم يَرَوْا محدثاً قط صاحب آثار كان أجود حذفاً وأحسن اختصاراً للحديث من سفيان بن عُيينة ، سألوه مرة عن قول طاووس في زكاة الجراد ، فقال ابنه عنه : زكاته أخذه .

وباب آخر

وكانوا يمدحون شدة العارضة وقوة المسنة وظهور الحُجة وثبات الجَنان وكثرة الريق والعلو عن الخصم . ويهجون بخلاف ذلك . قال الشاعر :

[الطويل]

طَبَاقاً ^(٢) لم يَشْهَدْ خُصوماً ولم يَعِشْ حَمِيداً ولم يَشْهَدْ حلالاً ولا عِطراً
قال أبو زيد الطائي :

[الرجز]

وَخَطِيبٍ إِذَا تَمُوتَ ^(٣) الأَوْ جُهِ يَوْمًا فِي مَاقِطٍ ^(٤) مَشْهُودٍ
طَبَاقاً : يقال للبعير إذا لم يحسن الضراب جمل عيائاً وجمل طَبَاقاً وهو ها هنا للرجل الذي لا يتجه للحُجة . الحلال : الجماعات ويقال حي حلال إذا كانوا متجاورين مقيمين . والعِطر ها هنا الحرس . المَاقِط : الموضع الضيق والمَاقِط الموضع الذي يُقتتل فيه . وقال نافع بن خليفة الغنوي :

[الطويل]

وَخَصْمٌ لَدَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنَّهُمْ قُرُومٌ فَشَا فِيهَا الزَّوَائِرُ وَالْهَدُرُ

(١) يتضع : يذل ويخسر منزلته . (٢) الطَبَاق : الأحق الذي لا يحسن نطقاً ولا عملاً .

(٣) جاء في رواية أخرى في نسخة أخرى « تمعرت » بدلاً من « تموت » . وتلك الرواية أصح ، وتمعر بمعنى تغير وتبدل واصفر .

(٤) المَاقِط : المضيق في الحرب ، والموضع الذي يقتتلون فيه ، بكسر القاف .

القروم: الجمال المصاعب. الزوائر: الذين يزأرون. الهدر: صوته عند هيجه ويقال له الهدير:

دَلَفْتُ لَهُمْ دُونَ الْمَنَى بِمُلِمَّةٍ مِّنَ الدَّرِّ فِي أَعْقَابِ دُرَّتْهَا شَذْرٌ^(١)
دلفت: دنوت

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: أَدْنُ مِنْهَا وَجَدْتُهَا مُطَبَّقَةً يَهْمَاءَ لَيْسَ لَهَا خَصْرٌ
قوله: أدن منها أي قللها واختصرها. وجدتها مطبقة أي طبقتهم بالحجة. اليهماء: الأرض التي لا يهتدي فيها الطريق، ويهماء هنا يعني لا يهتدي إليها ويضل الخصوم عندها، ولأيهم من الرجال: الحائر الذي لا يهتدي لشيء، وأرض يهماء إذا لم تكن فيها علامة. وقال الأسلع بن قطاف^(٢) الطهوي:

[الطويل]

فِدَاءٌ لِّقَوْمِي كُلِّ مَعْشَرٍ جَارِمٍ طَرِيدٍ وَمَخْذُولٍ بِمَا جَرَّ^(٣) مُسْلِمٌ^(٤)
هُمْ أَفْحَمُوا الْحَصَمَ الَّذِي يَسْتَقِيدُنِي^(٥) وَهُمْ قَصَمُوا^(٦) حِجْلِي^(٧) وَهُمْ حَقَّنُوا دَمِي
بَأَيْدٍ يُفَرِّجْنَ الْمَضِيقَ وَالسُّنَّ سِلَاطٍ وَجَمْعَ ذِي زُهَاءٍ عَرَمَرَمَ^(٨)
إِذَا شِئْتُ لَمْ تَعْدَمْ لَدَى الْبَابِ مِنْهُمْ جَمِيلَ الْمُحْيَا وَاضِحاً غَيْرَ تَوَامٍ
التوأمين: الأخوان المولودان في بطن. وقال التميمي في ذلك:

[الرجز]

أَمَّا رَأَيْتَ الْأَلْسُنَ السَّلَاطَا وَإِنْ التَّدَى حَيْثُ تَرَى الضُّغَاطَا^(٩)
وَأَلْجَاءَ وَالْإِفْدَامَ وَالنَّشَاطَا

ذهب في البيت الأخير إلى قول الشاعر:

[الخفيف]

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَشِرُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ
وإلى قول الآخر^(١٠):

[الكامل]

يَرْفُضُ عَنْ بَيْتِ الْفَقِيرِ ضِيَوْهُ وَتَرَى الْغَنِيَّ يَهْدِي لَكَ الزُّوَارَا

(١) الشذر: القطع من الذهب.

(٢) جاء في نسخة أخرى «قصاف» بالصاد بدلاً من «قطاف» بالطاء.

(٣) جرّ: جنى جنائياً.

(٤) المسلم: من سلّمه قومه.

(٥) استفاد: طلب القود منه والقصاص.

(٦) جاء في نسخة أخرى «قصموا» بالفاء بدلاً من «قصموا» بالقاف. وقصم: كسر وفرق. وقصم: قطع.

(٧) الحجل: القيد.

(٨) الجيش العرمرم: الجيش الكثير العدد.

(٩) الضغاط: الزحام.

(١٠) جاء في نسخة أخرى «وإلى قوله» بدلاً من «وإلى قول الآخر».

وأنشد في المعنى الأول:

[الكامل]

وَخَطِيبٍ قَوْمٍ قَدَّمُوهُ أَمَامَهُمْ ثِقَةً بِهِ مُتَخَمِّطٌ تَيَّاحٍ
المتخمط: المتكبر مع غضب. التياح والتميح: الذي يعرض في كل شيء ويدخل
فيما لا يعنيه

جَاوَبْتُ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا خَطَبْتُ مُمْلَحٌ بِمَلَحٍ
قوله مملح بملاح أي منقبض كأنه ملح من الملاح. وأنشد أيضاً:

[الوافر]

أَرِقْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فِي نَشَاصٍ تَلَالًا فِي مُمْلَأَةٍ غِصَاصٍ
النشاص: السحاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض وليس بمنبسط. التلالؤ: ظهور البرق في سرعة. مملاة بالماء: غصاص قد غصت بالماء

لَوَاقِحٍ دُلْحٍ بِالْمَاءِ سُحْمٌ تَمْجُ الْعَيْثُ مِنْ خَلَلِ الْخَصَاصِ
اللواقح: التي قد لقحت من الريح. والدلح: الدانية الظاهر المثقلة بالماء. سُحْم: سود. الخصاص ها هنا: خلل السحاب:

سَلِ الْخُطْبَاءُ هَلْ سَبَحُوا كَسَبَحِي بُحُورَ الْقَوْلِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي
لِسَانِي بِالنَّثِيرِ وَبِالْقَوَافِي وَبِالْأَسْجَاعِ أَمْهَرُ فِي الْغَوَاصِ
النثير: الكلام المثور. القوافي: خواتم أبيات الشعر. الأسجاع: الكلام المزدوج

على غير وزن

مَنْ الْحَوْتِ الَّذِي فِي لُجٍّ بَحْرِ يُجِيدُ^(١) الْعَوْصَ فِي لُجَجِ الْمَغَاصِ
لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لَأَعْفُ نَفْسِي وَأَسْتُرُ بِالتَّكْرُمِ مِنْ خِصَاصِ^(٢)

وأنشد لرجل من بني ناشب بن سليمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة:

[الوافر]

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ يُضِيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَانِ^(٣) غَارَا
وَمَنْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ أَبِي^(٤) نِزَارٍ فَلَيْسَ بِأَوَّلِ الْخُطْبَاءِ جَارَا

وأنشد للأقرع:

[البسيط]

إِنِّي أَمْرُو لَا أَقِيلُ الْخِصَمَ عَثَرَتُهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ إِذَا مَا خَضُمُهُ طَلَعَا

(١) جاء في نسخة أخرى «مجيد» بالميم بدلاً من «يجيد» بالياء.

(٢) الخصاص: الفقر وشدة الحاجة. (٣) القمران: الشمس والقمر.

(٤) جاء في نسخة أخرى «ابني» بدلاً من «أبي» وهما ابنا نزار: ربيعة ومضر.

يُنِيرُ وَجْهِي إِذَا جَدَّ الْخِصَامُ بِنَا وَوَجْهُ خَضَمِي تَرَاهُ الدَّهْرَ مُلْتَفِعَا^(١)
وَأُنْشِدُ:

[الطويل]

تَرَاهُ بِنَصْرِي فِي الْحَفِيزَةِ^(٢) وَاثْقَا وَإِنْ صَدَّعَنِي الْعَيْنُ مِنْهُ وَحَاجِبُهُ
وَإِنْ خَطَرْتُ أَيْدِي الْكُفَاةِ وَجَدْتَنِي نَصُورًا إِذَا مَا أُسْتَيْبَسَ الرِّيقُ عَاصِبُهُ
عَاصِبُهُ: يَابِسُهُ، يَعْتَصِمُ بِهِ حَتَّى يَتِمَّ كَلَامُهُ. الْكُفَاةُ جَمْعُ كَمِي، وَالْكَمِي الرَّجُلُ
الْمُتَكَمِّي وَهُوَ الْمُتَكَمِّي بِالسَّلَاحِ، يَعْنِي الْمُتَكَفِّرُ بِهِ الْمُسْتَكْبِرُ، وَيُقَالُ: كَمَى الرَّجُلُ شَهَادَتَهُ
يَكِيمُهَا إِذَا كَتَمَهَا وَسْتَرَهَا. وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ وَذَكَرَ الرِّيقَ وَالْأَعْتَصَامُ بِهِ:

[البيسيط]

هَذَا الثَّنَاءُ وَأَجْدِرُ أَنْ أَصَاحِبَهُ وَقَدْ يُدَوِّمُ^(٣) رِيقَ الطَّامِعِ الْأَمَلِ
وَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ وَهُوَ يَرْقُصُ ابْنَهُ عُرْوَةَ:

[الرجز]

أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مُبَارَكٌ مَنْ وَلَدَ الصَّدِيقِ
أَلَدُهُ كَمَا أَلَدَ رِيقِي

أثر الأمهات في أبنائهن:

وَقَالَتْ أُمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ:

[الطويل]

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرُوا بِنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ^(٤)
فَمَنْ كَانَ يَعْيِي بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ أَبُو مَعْقِلٍ لَا جَحْرَ عَنْهُ وَلَا صَدَدُ
أَنَارُوا بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ قَبْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَاءَى بِهِ الْبَلَدُ
تَنَاءَى: تَبَعَدَ. الثَّوِيَّةُ: مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ: صَحْرَاءُ الثَّوِيَّةِ، وَمَنْ قَالَ: الثَّوِيَّةُ فَهِيَ تَصْغِيرُ
الثَّوِيَّةِ. وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرَ^(٥) فِي فَضَالَةِ بَنِ كَلْدَةَ^(٦):

[البيسيط]

أَبَادَ لِيَجَةَ مَنْ يُوصَى بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لَأَشَعَتْ ذِي هَدْمَيْنِ طُمْلَالِ
هَدْمَيْنِ: ثَوْبَيْنِ خَلْقَيْنِ، يُقَالُ: ثَوْبٌ أَهْدَامٌ إِذَا كَانَ خَلْقًا. وَالطُّمْلَالُ: الْفَقِيرُ.

(١) جاء في نسخة أخرى «ملتئمعا» بدلاً من «ملتفعا». والتمع لونه: تغيّر. والتنع بالنون غطى نفسه به.

(٢) الحفيظة: الغيرة على العرض والدفاع عنه.

(٣) يدوم: يبل.

(٤) الصمد: المقصود.

(٥) هو: أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح شاعر بني تميم في الجاهلية. تزوج من أم زهير بن أبي سلمى، كانت أكثر إقامته عند الملك اللخمي عمرو بن هند. كانت وفاته حوالي ٢ ق. هـ = نحو ٦٢٠ م. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة دار الكتب ٧٠/١١، طبقات فحول الشعراء: ٨١.

(٦) هو: فضالة بن كلداء الأسدي: شاعر جاهلي من أعيان بني أسد. كان على صداقة حميمة بأوس بن حجر. انظر ترجمته في: رغبة الأمل: ٢٠١/٦، الأعلام: ١٤٦/٥.

أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا لَدَى الْمَلُوكِ أُولَى كَيْدٍ وَأَقْوَالِ
وقال أيضاً في فضالة بن كعدة:

[المقارب]

أَلْهَفَا عَلَى حُسْنِ آلائِهِ عَلَى الْجَابِرِ الْحَيِّ وَالْحَارِبِ^(١)
وَرَقَبَتِهِ حَتَمَاتِ^(٢) الْمُلُوكِ لِكَيْ بَيْنَ السُّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ
ورقبته: انتظاره إذن الملوك. وجعله بين السرداق والحاجب ليدل على مكانته من الملك.

وَيَكْفِي الْمَقَالَهَ أَهْلَ الرَّجَا لِغَيْرِ مَعِيبٍ وَلَا عَائِبِ
وأنشد أيضاً:

[الطويل]

وَحَضَمَ غَضَابَ يُنْغَضُونَ رُؤُوسَهُمْ^(٣) أُولَى قَدَمٍ فِي الشَّعْبِ^(٤) صَهْبِ^(٥) سِبَالِهَا^(٦)
ضَرَبْتُ لَهُمْ إِبْطَ الشَّمَالِ فَأَصْبَحَتْ يَرُدُّ غَوَاةَ آخِرِينَ نَكَالِهَا

إبط الشمال يعني الفؤاد لأنه يكون في تلك الناحية. وقال شتيم بن خويلد^(٧):

[المقارب]

وَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِي مُمْ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوَأَ زَفِيْقَا
أَعْنَتْ عَدِيًّا عَلَى شَأْوِهَا تُعَادِي فَرِيْقًا وَتُبْقِي فَرِيْقَا
زَجَرْتُ بِهَا لَيْلَةً كُلَّهَا فَجِئْتُ بِهَا مُؤَيِّدًا خَنْفَقِيْقَا
تأسو: تداوي، أسوأ وأسى مصدران. والآسي: الطبيب. ومؤيد: داهية. خنفقيق: داهية أيضاً. الشأو والغلوة لركض الفرس.

وأنشد لآدم مولى بلعبر يقولها لابن له^(٨):

[الرجز]

يَا أَبَايَ أَنْتَ وَيَا فَوْقَ بَابِ يَا أَبَايَ خُصِيْكَ مِنْ خُصْنِي وَزُبِ
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَكَذَا قَوْلُ الْمَحِبِّ جَنَّبَكَ اللَّهُ مَعَارِيضَ الْوَصْبِ
حَتَّى تُفِيدَ وَتُدَاوِيَ ذَا الْجَرْبِ وَذَا الْجُنُونِ مِنْ سُعَالٍ وَكَلْبِ
وَالْحَدَبِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ذُو الْحَدَبِ وَتَحْمِلَ الشَّاعِرَ الْيَوْمَ الْعَصْبِ
عَلَى مَبَاهِيرَ كَثِيرَاتِ التَّعَبِ وَإِنْ إِرَادَ جَدْلٌ صَعَبٌ أَرَبِ

(١) الحارب: هو من سلب الناس أثوابهم. (٢) حتمات: جمع حتمة، بمعنى القضاء.

(٣) نغص رأسه: حركه. (٤) الشعب: العصيان وإثارة الشر.

(٥) صهب: مفردة أصهب، وهو في الخيل بياض تخالطه حمرة.

(٦) السبال: شعر الشارب ومقدم اللحية. وما أسبل منها على الصدر.

(٧) هو: شتيم بن خويلد الغزاري. شاعر جاهلي. انظر ترجمته في: الوحشيات: ٩٨، خزانة الأدب ٤/ ١٦٤.

(٨) جاء في نسخة أخرى «لابنه» بدلاً من «لابن له».

خُصُومَةً تَنْقُبُ أَوْسَاطَ الرُّكَبِ أَظْلَعْتُهُ مِنْ رُتَبٍ إِلَى رُتَبٍ
حَتَّى تَرَى الْأَبْصَارَ أَمْثَالَ الشُّهُبِ يَزُمِي بِهَا أَشْوَسُ مِلْحَاحِ كَلْبٍ
مُجَرَّبُ الشَّدَاتِ مَيْمُونٌ مَذَبٌ

الوصب: المرض. والعصب: الشديد، يقال: يوم عصب وعصيب وعصبصب إذا كان شديداً. مباهير: متاعيب قد علاهم البهر. الأرب يقال: رجل أريب وأرب وله أرب إذا كان عاقلاً أديباً حازماً. أظلعتة يقال: ظلع الرجل إذا جمع في مشيه. الرتبة: واحدة أرتب وألرتبات وهي الدرج، وهي ها هنا الأشياء المختلفة، أي تخرجه من شيء إلى شيء. الأشوس الذي ينظر بمؤخر عينه. ملحاح ملح من إلالحاح على الشيء. كلب أي الذي قد كلب. مذب أي يذب عن حريمه وعن نفسه وقالت ابنة وثيمة ترثي أباهها وثيمة بن عثمان:

[مجزوء الكامل]

الوَاهِبُ الْمَالَ التَّالَا دَلْنَا^(١) وَيَكْفِينَا الْعَظِيمَةَ
وَيَكُونُ مِدْرَهَنَا إِذَا نَزَلَتْ مُجْلَحَةٌ عَظِيمَةُ
التلاد: القديم من الماء، والطارف: المستفاد. والمدرة: لسان القوم المتكلم عنهم. مجلحة أي داهية مصممة.

واحمر آفاق السَّما ء وَلَمْ تَقْعُ فِي الْأَرْضِ دِيمَةُ
احمر آفاق السماء: اشتدَّ البرد وقلَّ المطر وكثر القحط. ديمة: واحدة الديم وهي الأمطار الدائمة مع سكون.

وَتَعَذَّرَ الْأَكَالُ حَتَّى كَانَ أَحْمَدَهَا الْهَشِيمَةَ
تعذر: تمنع. الأكال: جمع أكل وهو ما يؤكل. الهشيمة: ما يهشم من الشجر أي يكسر.

لَا تَلَّةٌ تَزْعَى وَلَا إِبِلٌ وَلَا بَقَرٌ مُسَيِّمَةٌ
الثلة: ما بين الست إلى العشرة من الغنم. مسيمة: راعية.

أَلْفَيْتُهُ مَاوَى الْأَرَا مِلَّ وَالْمُدْفَعَةَ الْيَتِيمَةَ
وَالدَّفَعَ الْخَصَمَ الْأَلَدَّ إِذَا تُفَوِّضَ فِي الْخُصُومَةِ
بِلِسَانِ لُقْمَانَ بْنِ عَا دَوْفُضِلَ خُطْبَتِهِ الْحَكِيمَةِ
أَلْجَمَتُهُمْ بَعْدَ التَّدَا فُعَ وَالتَّجَادُبِ فِي الْحُكُومَةِ
وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ولقيم بن لقمان في النباهة

(١) جاء في نسخة أخرى «ندى» بدلاً من «لنا».

والقدر وفي العلم وألحكم وفي اللسان وفي الجلم. وهذا غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون. ولا ارتفاع قدره وعظم شأنه قال النمر بن تولب: [المتقارب]

لَقَيْمُ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَأَبْنَمَا
لِيَالِي مُحِمِّقٍ^(١) فَاسْتَحَضَّتْ^(٢) عَلَيْهِ فَعَرَّبَهَا مُظْلِمًا
فَعَرَّبَهَا رَجُلٌ مُحَكِّمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحَكِّمًا
وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان: إني امرأة مُحَمِّقَة ولقمان رجل مُنْجِب
محكم، وأنا في ليلة طهري، فهبي لي ليلتك. ففعلت. فباتت في بيت امرأة لقمان، فوقع
عليها، فأحبها بلقيم. فلذلك قال النمر بن تولب ما قال. والمرأة إذا ولدت الحمقى فهي
مُحَمِّقَة، ولا يُعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياساً^(٣).

وقالت امرأة ذات بنات: [الرجز]

وَمَا أَبَالِي أَنْ أَكُونَ مُحَمِّقَةً إِذَا رَأَيْتُ خُصِيَّةً مُعَلَّقَةً
وقال الآخر:

أَزْرَى بِسَعِيكَ أَنْ كُنْتَ امْرَأَةً حَمِقًا مِنْ نَسْلِ ضَاوِيَةِ الْأَعْرَاقِ مُحِمَاقٍ
[البسيط]

ضاوية الأعراق، أي ضعيفة الأعراق نحيفتها، يقال: رجل ضاؤ وفيه ضاوية إذا
كان نحيفا قليل الجسم، وجاء في الحديث: «اغتربوا لا تضووا» أي لا يتزوج الرجل
القراة القرية فيجيء ولده ضاويا والفعل منه ضوى يضوي ضوئاً. والأعراق: الأصول.
والمحماق التي عاداتها أن تلد الحمقى. ول بعضهم في البنات قالت إحدى القوابل: [الرجز]

أَيَا سَحَابٍ طَرَّقِي بِخَيْرٍ وَطَرَّقِي بِخُصِيَّةٍ وَأَيْرٍ
وَلَا تُرِينَا طَرَفَ الْبُظَيْرِ^(٤)

وقال آخر في إنجاب الأمهات، وهو يخاطب بني إخوته: [الوافر]

عَفَارِيَتَا عَلِيٍّ وَأَكْلٍ^(٥) مَالِي وَحِلْمًا^(٦) عَنْ أَنْاسٍ آخِرِينَا
فَهَلَّا غَيْرَ عَمِكُمْ ظَلَمْتُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مُتْظَلِّمِينَ^(٧)

(١) جاء في نسخة أخرى «حمق» بدلاً من «محقق».

(٢) جاء في نسخة أخرى «فاستحصنت» بدلاً من «فاستحضت».

(٣) أكياس: مفردة كيس، بالتشديد، وهو المتزن في تصرفه، البصير في كل ما يعمل.

(٤) البظير: تصغير البظر، وهو فرج المرأة.

(٥) جاء في نسخة أخرى «وأخذ» بدلاً من «وأكل».

(٦) جاء في نسخة أخرى «وعجزاً» بدلاً من «وحلماً».

(٧) تظلم فلاناً حقه: بخسه حقه.

فلو كنتم لَكَيْسَةَ أَكَّاسَتْ وَكَيْسُ الْأُمِّ أَكَّيْسُ لِلْبَنِينَا^(١)
وكانَ لَنَا فَزَارَةُ عَمَّ سُوءٍ وَكُنْتُ لَهُ كَشَرٌ بَنِي الْأَخِينَا

ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبي خيمة امرأته، وكان يُقِيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتا، فمر يوماً بخبائها وإذا هي تُرقصها وتقول:

[الرجز]

ما لأبي حَمَزَةَ لَا يَأْتِينَا يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
غَضْبَانٌ أَنْ لَا نَلِدَ الْبَنِينَا تَأَلَّهَ مَا ذَلِكُ فِي أَيَّدِينَا
وإنَّما نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لَزَارِعِينَا
نُثِبْتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا

قال فغدا الشيخ حتى ولج البيت، فقبل رأس امرأته وأبنتها. وهذا الباب يقع في كتاب الإنسان من (كتاب الحيوان) وفي فضل ما بين الذكر والأنثى تاماً. وليس هذا الباب مما يدخل في باب البيان والتبيين. ولكن قد يجري السبب فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطاً لقارئ الكتاب. لأن خروجه من الباب إذا طال لبعض العِلْم، كان ذلك أروح على قلبه وأزيد في نشاطه، إن شاء الله.

وقد قال الأول في تعظيم شأن لقيم بن لقمان:

[البسيط]

قُومِي أَصْبِحِيْنِي فَمَا صِيغَ الْفَتَى حَجْراً لَكِنْ رَهِيْنَةَ أَحْجَارٍ وَأَرْمَاسٍ
اصْبِحِيْنِي: الصُّبُوحُ شَرِبَ الْغَدَاةَ وَالْعَبُوقُ شَرِبَ الْعَشِي. الرمس: القبر. يقال رمست الميت أرمسه وأرمسه إذا دفنته.

قُومِي أَصْبِحِيْنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ دُوْ غَيْرٍ أَفْنَى لُقَيْمًا وَأَفْنَى آلَ مِرْمَاسٍ^(٢)
الْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ وَالدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعَامٍ وَإِيَّاسٍ
فَأَشْرَبَ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مُرْتَفَقًا^(٣) لَا يَصْحَبُ إِلَهُمُ قَرْعُ السَّنِّ بِالْكَاسِ

وقال أبو الطمحان القيني^(٤) في ذكر لقمان:

[البسيط]

إِنَّ الزَّمَانَ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ فِيهِ تَقْطَعُ أَلْفٌ وَأَقْرَانِ

(١) يلي هذا البيت بيت لا يوجد في هذه النسخة وهو:

وَلَكِنْ أَمَّكُمْ حَمَقْتُ فَجِئْتُكُمْ غَثَاثًا مَا نَرَى فِيكُمْ سَمِينَا

(٢) جاء في نسخة أخرى «هرماس» بدلاً من «ميرماس» بالميم. والهرمس: نهر نصيبين.

(٣) جاء في نسخة أخرى «مرتفعاً» بدلاً من «مرتفقاً».

(٤) هو: حنظلة بن شرقي، أحد بني القين من قضاة: شاعر، فارس، معمر، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم، ولم ير النبي ﷺ. وقيل في اسمه ونسبه: ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر. توفي نحو سنة ٣٠هـ = نحو ٦٥٠م. انظر ترجمته في: الأغاني ١١/١٢٥، الإصابة: ٣٨١/١.

أَمَسَتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقاً مُوزَّعَةً كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيِّ لُقْمَانَ
وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة والقرون السالفة. ول بعضهم بقايا قليلة وهم
أشلاء في العرب متفرقون مغمورون. مثل جُرْهم وجاسم ووبار وعملاق وأميم وطسم
وجديس ولقمان والهس ماس وبني الناصور وقيل^(١) ابن عتر وذو جدن. ويقال في بني
الناصر أن أصلهم من الروم. فأما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿وَتَمُودًا فَمَّا أَتَى﴾^(٢)
وَقَالَ: ﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٣). أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن ويزعم
أن في قبائل العرب من بقايا ثمود. وكان أبو عبيدة يتأول قوله: ﴿وَتَمُودًا فَمَّا أَتَى﴾^(٢) أن
ذلك إنما وقع على الأكثر وعلى الجمهور الأكبر، وهذا التأويل أخرجه من أبي عبيدة سوء
الرأي في القوم، وليس له أن يجيء إلى خبر عام مرسل غير مقيد، وخبر مطلق غير
مستثنى منه، فيجعله خلاصاً كالمستثنى منه، وأي شيء بقي لطاعن أو متأول بعد قوله:
﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٣) فكيف يقول ذلك إذا كنا نحن قد نرى منهم في كل حي
باقية. معاذ الله من ذلك. وَرَوَوْا أَنَّ الْحِجَابَ قَالَ يَوْمًا عَلَى الْمَنْبَرِ، «يزعمون أنا من بقايا
ثمود وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿وَتَمُودًا فَمَّا أَتَى﴾^(٢)».

فأما الأمم البائدة من العجم مثل كنعان ويونان. وأشباه ذلك فكثير، ولكن العجم
ليست لها عناية بحفظ شأن الأموات ولا الأحياء.

وقال المسيب بن علس^(٤) في ذكر لقمان:

[الكامل]

وإليك أعملت المَطِيَّةَ مِنْ سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْقَفْرِ
أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا وَتَوَجَّهُوا كَالْأُسْدِ وَالنُّمْرِ
فَلَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمَنُورَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ^(٥)
وَلَأَنْتَ أَجُودُ بِالْعَطَاءِ مِنْ أَلِ رِبَابٍ^(٦) لَمَّا جَادَ بِالْقَطْرِ
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ^(٧) إِذْ نَقَعَ^(٨) الصُّرَاخَ وَلَجَّ فِي الذَّعْرِ^(٩)

(١) هذا ما جاء في نسخة الشنقيطي.

(٢) سورة النجم، الآية: ٥١.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٨.

(٤) هو: المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة، بن ربيعة بن نزار: شاعر جاهلي. كان أحد
المقلبين المفضلين في الجاهلية. وهو خال الأعشى ميمون، وكان الأعشى راويته. وقيل: اسمه زهير،
وكنيته أبو فضة. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٦٠، جمهرة أشعار العرب: ١١١.

(٥) جاء في نسخة أخرى «البدرة» بالباء بدلاً من «القدر» والأولى أصح، لأن ليلة القدر ليلة إسلامية،
والشاعر جاهلي، فلا يعقل أن يذكر ليلة القدر.

(٦) جاء في نسخة أخرى «الريان» بدلاً من «الرباب» والرباب هو السحاب الأبيض.

(٧) أسامة: هو أحد أسماء الأسد. (٨) نقع الصراخ: ارتفع. (٩) اللجج: التمادي في الشيء.

وَلَأَنْتَ أَبْيَنُ حِينَ تَنْطُقُ مِنْ لُقْمَانَ لَمَّا عَيَّ بِالْأَمْرِ
وقال لبيد بن ربيعة الجعفري:

[الطويل]

وَأَخْلَفُ قُسًا لَيْتَنِي وَلَوْ أَنَّني عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ
السحر: الرئة، والمسحر، المعلن بالطعام والشراب، والمسحر: المخدوع كما قال
امرؤ القيس:

[الوافر]

أَرَانَا مُوَضَّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
أي نُعلل فكأننا نخدع ونسحر بالطعام وبالشرب. وقال الفرزدق:

[الطويل]

لَيْتَنِ حَوْمَتِي صَانَتْ^(١) مَعَدَّ حِيَاضُهَا لَقَدْ كَانَ لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ يَهَابُهَا
وقال آخر:

[الوافر]

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءَ بِزَادٍ
بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمُلَقَّفِ فِي الْبَجَادِ^(٢)
تَرَاهُ يُطَوِّفُ الْآفَاقَ حِرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ
وقال أفنون التغلبي^(٣):

[البيسط]

لَوْ أَنَّني كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِزَمٍ رَبِيبَ قَيْلٍ^(٤) وَلُقْمَانَ وَذِي جَدَنٍ
وقال آخر:

[الرجز]

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِدَّهْرٍ وَالِدَّهْرُ ذُو فُنُونٍ
أَهْلَكَ طُسْمًا وَقَبْلَ طُسْمٍ أَهْلَكَ عَادًا وَذَا جُدُونٍ
وَأَهْلَ جَاسِمٍ وَمَأْرَبٍ بَنُو حَيٍّ لِقْمَانَ وَالْتَقُونُ
وَالْيُسْرُ لِلْعُسْرِ وَالْتَّغْنِي لِّلْفَقْرِ وَاللَّحْيُ لِلْمَنُونِ

قال: وهم وإن كانوا يُحبون البيان والطلاقة والتعبير والبلاغة والتخلص والرشاقة
فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهدر والتكلف والأسهاب والإكثار، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّزِيدِ

(١) جاء في نسخة أخرى «هابت» بدلاً من «صانت».

(٢) البجاد: ثوب مخطط كانت الأعراب يلبسونه.

(٣) هو: ضريم بن معشر بن ذهل بن تميم، من بني تغلب: شاعر جاهلي، يمانى الأصل. مات في بادية الشام نحو سنة ٦٠ ق.هـ = ٥٦٤م، انظر ترجمته في شعراء النصرانية: ١٩٢.

(٤) جاء في نسخة أخرى «ربيت فيهم» بدلاً من «ربيب قيل».

والمباهاة وأتباع الهوى والمنافسة في العلو والقدرة. وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة لأن ذلك يدعو إلى السلاطة، والسلاطة تدعو إلى البذاء، وكل مرءٍ في الأرض، فإنما هو من نتاج الفضول. ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الإثم والذم أشفق من الضراوة^(١) وسوء العادة، وخاف ثمرة العُجب وهُجنة القبح^(٢). وما في حب السُّمعة من الفتنه وما في الرياء من مجانبة الإخلاص.

ولقد دعا عبادة بن الصامت بالطعام بكلام ظن أنه ترك فيه المحاسبة، فقال أوس بن شداد: إنه قد ترك فيه المحاسبة، فاسترجع ثم قال: ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مزمومة^(٣) مخطومة. قال وَرَوَوْا عن حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن إبراهيم قال: «إنما يهلك الناس من فضول الكلام وفضول المال» وقال: «دع المعاذر فإن أكثرها مفاجر» وإنما صارت المعاذر كذلك لأنها داعية إلى التخلص بكل شيء. وقال سلام بن مطيع: قال: قال لي أيوب: إياك وحفظ الحديث. خوفاً عليه من العُجب. وقال إبراهيم النخعي: دع الاعتذار فإنه يخالط الكذب. قالوا: ونظر شاب، وهو في دار ابن سيرين إلى فرش في داره فقال: ما بال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الأخرى؟ فقال ابن سيرين: يا ابن أخي إن فضول النظر يدعو إلى فضول القول. وزعم إبراهيم بن السندي، قال: أخبرني من سمع عيسى بن علي يقول: فضول النظر من فضول الخواطر، وفضول النظر يدعو إلى فضول القول، وفضول القول يدعو إلى فضول العمل، ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك أستاذ صلاح لسانه خرج من أستاذ كراه القول، وإن أبطأ أخرجه إبطاؤه إلى أقبح من الفضول. قال أبو عمرو بن العلاء: أنكح ضِرارُ بن عمرو الضبيُّ ابنته معبد بن زرارَةَ فلما أخرجهَا إليه قال لها: يا بنية أُمسكي عليك الفضلين. قالت: وما الفضلان؟ قال: فضل الغِلْمة^(٤) وفضل الكلام. وضرار بن عمرو هو الذي قال: من سرّه بنوه ساءته نفسه. وهو الذي لما قال له المنذر: كيف تخلصت يوم كذا وكذا وما الذي نجاك؟ قال: تأخير الأجل وإكراهي نفسي على المق الطوال.

المقاء: المرأة الطويلة، والمق: جماعة النساء الطوال والمق أيضاً الخيل الطوال.

وكان إخوته قد أستاذلوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعُكاظ، فقال: ألا إن خير حائل^(٥) أم، ألا فزوجوا الأمهات. وذلك أنه صرع بين القنا فأنشل عليه أخوته لأمه^(٦) حتى أنقذوه.

(١) الضراوة من فعل ضرى بالشيء: إذا لهج به.

(٢) جاء في نسخة أخرى «التفج» بدلاً من «القبح». والتفج معناه الفخر بما لا يتوفر للمرء من ملكات وأسباب العظمة.

(٣) مزمومة: موجهة بالمقود وهو العقل والدين. (٤) الغلْمة: شدة الانقياد للشهوة.

(٥) الحائل: الأنثى لا تحمل. (٦) جاء في نسخة أخرى «وأمه» بدلاً من «لأمه».

باب الصمت

قال: وكان أعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال: «أسمع فأعلم وأسكت فأسلم» وقالوا: «لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب» وقالوا: «مقتل المرء بين لحييه وفكيه». وأخذ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بطرف لسانه وقال: «هذا الذي أوردني الموارد» وقالوا: «ليس شيء أحق بطول سجن من لسان». وقالوا: «اللسان سبع عقور» وقال النبي ﷺ: «وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» وقال ابن الأعرابي عن بعض أشياخه: تكلم رجل عند النبي ﷺ فخطل في كلامه، فقال النبي ﷺ: «ما أعطي العبد شراً من طلاقة اللسان». وقال العائشي وخالد بن حداس: حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه، قال: قدّمنا على رسول الله ﷺ في وفد فقلنا: يا رسول الله أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طولاً^(١) وأنت الجفنة الغراء^(٢). فقال النبي ﷺ: «أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزكم الشيطان فإنما أنا عبد الله ورسوله»^(٣) قال: وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: من كانت الخلافة زانته فقد زينتتها ومن شرفته فقد شرفتها، فأنت كما قال الشاعر:

[الخفيف]

وَتَزِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيْبًا إِنَّ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا
وَإِذَا أَلْدُرُّ زَانَ حُسْنٍ وَجُوهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زِينَا

قال عمر: «إن صاحبكم أعطى مقولاً ولم يعط معقولاً» وقال الشاعر:

[الطويل]

لِسَانُكَ مَعْسُورٌ وَنَفْسُكَ شَحَّةٌ وَدُونُ الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالِكَا
وَأَخْبَرْنَا بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِابْنِ عَمَرَ: أَدْعُ اللَّهَ لَنَا بِدَعَوَاتِهِ. فقال: اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا. فقالوا لوزدتنا يا أبا عبد الرحمن. قال: نعوذ بالله من

(١) الطول: الفضل.

(٢) الغراء: البضاء.

(٣) ورد هذا الحديث عند ابن الأثير في النهاية: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجربكم الشيطان».

الإسهاب^(١). وقال أبو الأسود الدؤلي في ذكر الإسهاب - يقولها في الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، والحارث هو القُبَاع وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم، وإنما سُمِّي القُبَاع لأنه أتى بمكثل^(٢) لأهل المدينة، فقال: إنَّ هذا المكثل لقُبَاعٌ فُسِّمِي به، والقُبَاع: الواسع الرأس القصير. وقال الفرزدق لجبرير:

[الطويل]

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ زِيَاداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبَائِلُهُ
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ تَسْعِينَ حَجَّةً وَلَوْ كُسِرَتْ عُنُقُ الْقُبَاعِ وَكَاهِلُهُ

وقال أبو الأسود:

[الوافر]

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُزَيْتَ خَيْرًا أَرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَةِ
بَلَوْنَاهُ فَلَمْنَاهُ فَأَعْيَا عَلَيْنَا مَا يُمِرُّ لَنَا هَرِيرَةً^(٣)
عَلَى أَنَّ الْفَتَى نَكْحُ أَكُولُ وَمِسْهَابٌ مَذَاهِبُهُ كَثِيرَةٌ

وقال الشاعر:

[الطويل]

إِيَّاكَ وَإِيَّاكَ الْمِرَاءَ^(٤) فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلصَّرْمِ جَالِبُ

وقال أبو العتاهية:

[مجزوء الكامل]

وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
كُلُّ أَمْرٍ فِي نَفْسِهِ أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنْ قَرِينِهِ

وكان سهل بن هارون يقول: «سياسة البلاغة أشد من البلاغة، كما أن التوقي على الدواء أشد من الدواء». وكانوا يأمرون بالتبيين والتثبت وبالتحرز من زلل الكلام ومن زلل الرأي ومن الرأي الدبري. والرأي الدبري هو الذي يعرض من الصواب بعد مضي الرأي الأول، وفوت استدراكه. وكانوا يأمرون بالتحلم والتعلم وبالتقدم في ذلك أشد التقدم. وقال الأحنف: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : «تفقهوا قبل أن تسودوا» وكان يقول رضي الله عنه: «السؤدد مع الأسود» وأنشدوا لكثير عزة:

[الطويل]

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ وَفِي تَرْكِ طَاعَاتِ الْفُؤَادِ الْمُتَيَّمُ
بَصَائِرُ رُشْدٍ لَلْفَتَى مُسْتَبِينَةٌ وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عِلْمُهَا بِالتَّعَلُّمِ

(١) الإسهاب: الإطناب والتطويل.

(٢) المكثل: النزيب الكبير وسعته خمسة عشر صاعاً.

(٣) الهرير: الكره وسوء الخلق. (٤) المراء: الجدل والنزاع.

الوازع: الناهي، والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون. وقال الأفوه الأودي^(١):

[الكامل]

أَضَحَتْ قَرِينَةُ قَدْ تَغَيَّرَ بِشْرُهَا وَتَجَهَّمَتْ بِتَحِيَّةِ الْقَوْمِ الْعَدَا
الْوَتِ بِأَصْبَعِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى
وَأُنْشِدُ:

[الكامل]

إِبْدَاءُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا أَنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ تُعْذِرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
قالوا: وكان الأحنف أشد الناس سلطاناً على نفسه. قالوا: وكان الحسن أترك لِمَا
نَهَى عَنْهُ. وقال الآخر:

[الكامل]

لَا تَعْذِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شَرُّ الرِّجَالِ مَنْ يُسِيءُ فَيُعْذِرُ
وقال الكميت بن زيد الأسدي:

[المنسرح]

وَلَمْ يَقُلْ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ عِنْدَ^(٢) الْمَعَاذِيرِ إِنَّمَا حَسِبُوا
وَأُنْشِدُ الْأَحْوَصَ بْنَ مُحَمَّدٍ^(٣):

[الكامل]

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي بِقُنَّتِهَا خَوْدٌ تَأْطُرُ غَادَةً بِكُرٍّ
تُخَاصِرُنِي: آخذ بيدها وتأخذ بيدي. والقنة: المواضع الغليظة من الأرض في
صلاية. الخود: الحسنة الخلق. تأطر: تشنى. والغادة: الناعمة اللينة:

كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّيْبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُذْرُ
وقال جرير في فوت الرأي:

[الطويل]

وَلَا يَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرَا
قال: ومدح النابغة ناساً بخلاف هذه الصفة فقال:

[الطويل]

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَارِبٍ^(٤)

(١) هو: صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أدد، من مدحج: شاعر يمني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. قالوا: لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. توفي نحو ٥٠ ق. هـ = نحو ٥٧٠ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٥٩، شعراء النصرانية: ٧٠.

(٢) جاء في نسخة أخرى «عدوا» بدلاً من «عند».

(٣) هو: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة: شاعر هجاء، من سكان المدينة. لقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه. توفي في دمشق سنة ١٠٥ هـ = ٧٢٣ م. انظر ترجمته في: الأغاني: ٥٨/٤، الشعر والشعراء: ٢٠٤.

(٤) ضربة لارب: ضربة حظ سيء.

اللازب واللازم واحد، واللازب في مكان آخر، اليابس، قال الله عز وجل: ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾^(١) واللزبات: السنون الجذبة. وأنشد:

[الطويل]

هَفا هَفْوَةً كَانَتْ مِنَ الْمَرْءِ بِدْعَةً وما مِثْلُهُ عَنْ مِثْلِهَا بِسَلِيمٍ
فَإِنْ يَكُ أَخْطَا فِي أَخِيكُمْ قَرُبًا أَصَابَ الَّتِي فِيهَا صَلاَحُ تَمِيمٍ
قال: وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هبيرة: واللّه ما أتى الحارث بن شريح بيوم خير قط. قال: فقال له الترجمان بن هريم: إلا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر. وذهب الترجمان بن هريم إلى مثل معنى قول الشاعر:

[الوافر]

وما خُلِقْتُ بَنُو زَمَانٍ إِلَّا أخيراً بَعْدَ خُلُقِ النَّاسِ طُراً
وما فَعَلْتُ بَنُو زَمَانٍ خَيْراً ولا فَعَلْتُ بَنُو زَمَانٍ شَرّاً
ومن هذا الجنس من الأحاديث - وهو يدخل في باب المُلح - قال الأصمعي: وصلت بالعلم ونلت بالمُلح. قال رجل مرة: أبي الذي قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المناير. فقال له رجل من القوم: لا جرم لقد أسر وقتل وصُلب. قال: فقال له المفتخر بأبيه: دعني من أسر أبي وقتله وصلبه، أبوك أنت حدث نفسه بشيء من هذا قط؟!

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم، وأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعةً وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك في بعض المشاكلة. ولا تهمل طبيعتك فيستولي الإهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة. وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوة المنة يوم الحفل فلا تُقَصِّرْ في التماس أعلاها سورةً وأرفعها في البيان منزلة. ولا يقطعك تهيب الجاهل وتخويف الجبناء. ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوها والأحاديث المتناولة على أقبح مخارجها.

وكيف تُطيعهم بهذه الروايات المعدولة والأخبار المدخولة وبهذا الرأي الذي أبدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبي - صلوات الله عليه - فقال: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢) إلى قوله: وَفَصَلَ الْخَطَابِ^(٣) فجمع له بالحكمة البراعة في العقل والرجاحة في الجلم والاتساع في العلم والصواب في الحكم. وجمع له بفصل الخطاب تفصيل المُجْمَل وتلخيص المُلتبس والبصر بالحز في موضع الحز^(٤)

(١) سورة الصافات، الآية: ١١.

(٣) سورة ص، الآية: ١٩.

(٢) سورة ص، الآية: ١٧.

(٤) الحز: القطع.

والحسَم في موضع الحسم^(١). وذكر رسول الله ﷺ شعيباً النبي عليه السلام فقال: «كان شعيب خطيب الأنبياء» وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه في كتابه وجلاه لأسماع عباده. فكيف تهاب منزلة الخطباء؟ وداود عليه السلام سلفك وشعيب إمامك؟ مع ما تلونا عليك في صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والآي الكريم. وهذه خطب رسول الله ﷺ مدونة محفوظة ومخلدة مشهورة. وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - . وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره. وكان ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري^(٢) خطيب رسول الله ﷺ لا يدفع ذلك أحد.

فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف والخطل والتزئد فإنما يخرج إلى الإسهاب المتكلف وإلى الخطل المتزئد. فأما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعادون^(٣) وأصحاب التحصيل والمحاسبة والتوقي والشفقة والذين يتكلمون في صلاح ذات البين وفي إطفاء نائرة^(٤) أو في حمالة^(٥) أو على منبر جماعة أو في عقد إملاك^(٦) بين مسلم ومسلمة، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السلاطة والمراء وإلى الهذر والبذاء وإلى النفخ^(٧) والرياء؟ ولو كان هذا كما يقولون لكان علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم. فلم خطب صعصعة بن صوحان عند علي بن أبي طالب؟ وقد كان ينبغي للحسن البصري أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم. قال الأصمعي: قيل لسعيد بن المسيب: هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر. قال: «نسكوا نسكاً أعجيباً». وزعمتم أن رسول الله ﷺ قال: شُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ الْنِفَاقِ الْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ وشُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ الْحَيَاءُ وَالْعِي. ونحن نعوذ بالله من العي، ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله ﷺ يحث على العي، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله ﷺ بين البذاء والبيان. وإنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار ووقع اسم العي على كل شيء قصر على المقدار، فالعي مذموم والخطل مذموم، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالي. وهاهنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة. ورَوَوْا أن رجلاً مدح الحياء عند الأحنف وأن الأحنف قال: بم يعود ذلك ضعفاً والخير

(١) الحسم: البتر.

(٢) هو: ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ = ٦٣٣ م. انظر ترجمته في: الصفوة ١/ ٢٥٧.

(٣) جاء في نسخة أخرى «المعادون» بدلاً من «المعاودون».

(٤) النائرة: العداوة والبغضاء.

(٥) الحمالة: الدية يحملها قوم عن غيرهم.

(٦) إملاك: زواج.

(٧) النفخ: الدفاع.

لا يكون سبباً للشر . ولكننا نقول : إن الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار فسمّه ما أحببت . وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدار فالجُبْن اسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار . وللشجاعة مقدار فالتهوّر والخور اسم لما جاوز ذلك المقدار . وهذه الأحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة ، فإن وجدتها متصلة لم تجدها محمودة ، وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذوم ، فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها ، على قدر ما فيها من الحُسن .

فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتُنسب إلى هذا الأدب فقرضت قصيدة أو حَبَّرت خطبة أو أَلَفْتَ رسالة فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمره عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن أعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب فإن رأيت الأسماع تُصغي له والعيون تحدج^(١) إليه ورأيت من يطلبه ويستحسنه فأنتحله ، فإن كان ذلك في ابتداء أمرك وفي أول تكلفك فلم تر له طالباً ولا مستحسناً فلعلّه أن يكون - ما دام رِيضاً قضيباً - تعنيساً^(٢) أن يحلّ عندهم محلّ المتروك . فإن عاودت أمثال ذلك مراراً فوجدت الأسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية فخذ في غير هذه الصناعة وأجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه . وقال الشاعر :

[البسيط]

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغُرُّ الْقَوْمَ خُلُوتُهُ حَتَّى يُلِحَّ^(٣) بِهِمْ عِيٌّ وَإِكْثَارُ
وفي المثل المضروب : « كل مجر في الخلا مُسرٌّ »^(٤) ولم يقولوا مسرور . وكل صواب .

فلا تثق في كلامك برأي نفسك فإني ربّما رأيت الرجل متماسكاً وفوق المتماسك حتى إذا صار إلى رأيه في شعره وفي كلامه وفي ابنه ، رأيتَه متهافتاً وفوق المتهافت .

رأي نقدي في الشعر :

وكان زهير بن سُلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يُسمّى كبار قصائده (الحوليات) وقال نوح بن جرير قال الحُطَيْيئة : « خير الشعر الحُولي المنقح » قال : وقال البعيث الشاعر ، وكان أخطب الناس : « إني والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً »^(٥) وما أريد أن

(١) تحدج : تمنع النظر .

(٢) التعنيس : حجز الابنة في بيتها لمنعها من الزواج .

(٣) جاء في نسخة أخرى « يلح » بالجيم بدلاً من « يلح » بالحاء .

(٤) جاء في نسخة أخرى « يسر » بالياء بدلاً من « مسر » بالميم .

(٥) الخشيب : السيف الذي لم يصفل .

أخطب يومَ الحفل إلاَّ بالبائت^(١) المحكك». وكنت أظن أن قولهم محكك كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن علي الكِناني:

[السيط]

أَبْلِغْ فَزَارَةَ أَنَّ الدَّثْبَ آكَلَهَا وجَائِعُ سَغْبٍ شَرُّ مِنَ الدُّيْبِ
أَدَلُّ^(٢) أَطْلَسُ^(٣) دُوْ نَفْسٍ مُحَكَّكَةٍ قد كان طَارَ رَمَانًا فِي الْيَعَاسِيْبِ^(٤)

قال: وتكلم يزيدُ بنُ أبانٍ الرُّقَاشي ثم تكلم الحسن وأعرابيَان حاضِرَان. فقال أحدهما لصاحبه: كيف رأيت الرجلين؟ قال: أما الأول ففاصٌ مُجيدٌ وأما الآخر فعربيٌّ محكك. قال: ونظر أعرابي إلى الحسن فقال له رجل: كيف تراه. قال: أرى خيشوم حُرًّا. قال: وأرادوا عبد الله بنَ وهبٍ الراسبي على الكلام يومَ عقدت له الخوارج الرئاسة. فقال: وما أنا والرأيُ الفطيرُ والكلامُ القطيبُ. ولما فرغوا من البيعة له قال: دعوا الرأيَ يغبُ فإن غبوبه يكشف لكم عن محضه. وقيل لابن الوأم الرقاشي: تكلم. فقال: ما أشتهي ألخبز إلاَّ بائنا. وقال: قال عبيد الله بن سالم لرؤية: مُتْ يَا أَبَا الْجَحَافِ إِذَا شِئْتَ. قال: وكيف ذلك. قال: رأيت البوم عقبه بن رؤية يُنشد شعراً له أعجبني. قال: فقال رؤية: نعم إنه ليقول ولكن ليس لشعره قران. وقال الشاعر:

[الوافر]

مَهَادِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأُسُودُ
يريد بقوله قِرَان التشابه والموافقة.

وقال عمرُ بنُ لُجْأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك. قال: وبِمَ ذاك. قال: لِأَنِّي أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه. قال: وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدي فقال: مِطْرَفٌ^(٥) بِآلَافٍ وَخِمَارٌ^(٦) بَوَافٌ^(٧). وكان الْأَصْمَعِيُّ يَفْضَلُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ. وكان يقول: الحُطَيْثَةُ عَبْدٌ لَشَعْرِهِ، عَابَ شَعْرَهُ حِينَ وَجَدَهُ كُلَّهُ مَتَخِيراً مَنْتَخِباً مَسْتَوِياً لِمَكَانِ الصَّنْعَةِ وَالتَّكْلُفِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ. وقالوا: لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان مفروقاً في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نواذر سائرة في الآفاق، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالاً لم تسر ولم تجر مجرى النواذر ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع. قال: وقال بعض الشعراء لرجل: أنا أقول في كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها في

(١) جاء في نسخة أخرى «بالبائت» بالثاء بدلاً من «البائت».

(٢) جاء في نسخة أخرى «أزل» بالزاي، ومعناه السريع. بدلاً من «أدل» بالدال، ومعناه: جرب وطوى.

(٣) الأطلس: ما لونه أغبر يميل إلى السواد. (٤) اليعاسيب: جمع مفردة يعسوب، وهو ذكر النحل.

(٥) المطرف: الرداء من الخبز. (٦) الخمار: النصف تغطي به المرأة وجهها.

(٧) الوافي: الدرهم الذي يزن مثقالاً.

كل شهر فلم ذلك؟ قال: لأنني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك. قالوا: وأنشد عقبة بن ربيعة أباه ربيعة بن العجاج شعراً وقال له: كيف تراه؟ قال له: يا بني إن أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالاً فما يلتفت إليه. وقد رَوَوْا ذلك في زهير وابنه كعب.

قال: وقيل لعقيل بن علفة: لم لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل لأبي المهوس: لم لا تطيل الهجاء؟ قال: لم أجد المثل النادر إلا بيتاً واحداً ولم أجد الشعر السائر إلا بيتاً واحداً. قال: وقال مسكمة بن عبد الملك لنصيب: يا أبا الحجناء أما تحسن الهجاء؟ قال: أما تراني أحسن مكان؟ عافاك الله لا عافاك الله. ولأما الكُميت بن زيد على الإطالة فقال: أنا على القصار أقدر. وقيل للعجاج: مالك لا تحسن الهجاء؟ قال: هل في الأرض صانع إلا وهو على الإفساد أقدر؟. وقال ربيعة: الهدم أسرع من البناء.

وهذه الحجج التي ذكروها عن نصيب والكُميت والعجاج وربيعة إنما ذكروها على وجه الإحتجاج لهم. وهذا منهم جهل إن كانت هذه الأخبار صادقة. وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام. ويكون له طبيعة في التجارة وليس له طبيعة في الفلاحة. ويكون له طبيعة في الجداء أو في التعبير أو في القراءة بالألحان وليس له طبيعة في الغناء، وإن كانت هذه الأنواع كلها ترجع إلى تأليف اللحن. ويكون له طبيعة في الناي وليس له طبيعة في السرناي. ويكون له طبيعة في قصبة الراعي ولا يكون له طبيعة في القصبين المضمومتين. ويكون له طبع في صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرها. ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع، ولا يكون له طبع في قرص بيت شعر. ومثل هذا كثير جداً.

وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يذكر مثله وقيل لابن المقفع في ذلك فقال: الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه. وهذا الفرزدق وكان مشتهراً بالنساء وكان زير غوان^(١) وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسب مذكور، ومع حسده لجريز - وجريز عفيف لم يعشق امرأة قط - وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً. وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيدة إلى الرجز. ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد ومنهم من يجمعهما كجريز وعمر بن لُجأ وأبي النجم وحُميد الأرقط والعُماني. وليس الفرزدق في طوالة بأشعر منه في قصاره. وفي الشعراء من يخطب. وفيهم من لا يستطيع الخطابة. وكذلك حال

(١) زير النساء: الرجل يحب محادثة النساء لظرفهن.

الخطباء في قرّض الشعر . وشاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت عليّ ساعة ونزع ضرسي أهون عليّ من أن أقول بيتاً واحداً . وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتي التي أولها :

بَكَيْتُ وَالْمُحْتَزَنُ الْبَكِيُّ وَإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ
أَطْرَباً وَأَنْتَ قُنْسَرِيٌّ ^(١) وَالْدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ

وأنا بالرمْل فأنثالت عليّ قوافيها انشياً . وإني لأريد اليوم دونها في الأيام الكثيرة فما أقدر عليه . وقال لي أبو يعقوب الخريمي : خرجت من منزلي أريد الشماسية فابتدأت القول في مرثية لأبي التختاخ فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد . وقال الشاعر : **[الكامل]**

قَدْ يَفْرُضُ ^(٢) الشَّعْرَ الْبَكِيَّ لِسَانُهُ وَتُعْيِي الْقَوَافِي الْمَرْءَ وَهُوَ خَطِيبُ

(١) الفنسري : الكبير المسن .

(٢) جاء في نسخة أخرى « يقرض » بالقاف ، وهو أصح .

باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز

«من ملتقطات كلام النساك»

قال بعض الناس: من التوقي ترك الإفراط في التوقي. وقال بعضهم: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون. وقال الشاعر:

[المقتضب]

قَدَرُ اللَّـهِ وَارِدٌ حِينَ يُفْضَى وَرُودُهُ
فَأَرِدُ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُهُ

وقيل لأعرابي في شكاته: كيف تجدك؟ قال: أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد. وقال بعض النساك: أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو. وقال بعضهم: أعجب من ترك التعجب من العجب. وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لعبد بني مخزوم^(١): إني أخاف الله فيما تقلدت. قال: لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف. وقال الأحنف لمعاوية: أخافك إن صدقتك وأخاف الله إن كذبتك. وقال: قال رجل من النساك لصاحب له، وهو وجود بنفسه: أما ذنوبي فإني أرجو لها مغفرة الله، ولكنني أخاف على بناتي الضيعة. فقال له صاحبه: فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فأرجه يحفظ بناتك. وقال رجل من النساك لصاحب له: ما لي أراك حزينا؟ قال: كان عندي يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فأنقطع عنا أجره إذ بطل قيامنا بمؤنته. فقال له صاحبه: فأجتلب يتيماً آخر يقوم لك مقام الأول. قال: أخاف أن لا أصيب يتيماً في سوء خلقه. قال له صاحبه: أما أنا فلو كنت في موضعك منه لا ذكرت سوء خلقه. وقال آخر - وسمعه أبو هريرة النحوي، وهو يقول: ما يمنعني من تعلم القرآن إلا أنني أخاف أن أضيعه - قال: أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك إذا تعلمته لم تضيعه. وقال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيد قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنت كذلك لم تقل.

باب آخر

وقالوا في حسن البيان، وفي التخلص من الخصم بالحق والباطل، وفي تخليص

(١) هو: سالم مولى محمد بن كعب.

الحق من الباطل، وفي الإقرار بالحق، وفي ترك الفخر بالباطل. قال أعرابي وذكر حماس بن ثامل:

[الطويل]

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ
وَوَظَنِي بِهِ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ ^(١) أَنَّهُ
أَصَاحِبُهُ إِلَّا حِمَاسَ بَنِ ثَامِلٍ
سَيَنْجُو بِحَقِّ أَوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلٍ
وقال العجير السُّلُولِي:

[الطويل]

وَإِنَّ ابْنَ زَيْدٍ لَابْنُ عَمِّي ^(٢) وَإِنَّهُ
الشَّوْلُ جَمْعُ شَائِلَةٍ: وهي الناقة التي جفَّ لبنُها، وإذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهي شائل وجمعها شَوْل:

[الطويل]

طَلُوعُ الثَّنَايَا بِالْمُطَايَا وَإِنَّهُ
المرادي؛ المصادم والمقارع، يقال رديت الحجر بصخرة أو بمعول إذا ضربته بها لتكسره، والمرداة: الصخرة التي تُكسر بها الحجارة:

[الطويل]

يَسْرُكَ مَظْلُوماً وَيُضْرِيكَ ظَالِماً
وقال ابن رُبْع الهذلي:

أَعْيَنِي أَلَا فَابْكِي رَقِيبَةً إِنَّهُ
فَأَقْسِمُ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَحَمَيْتُهُ
وَصُورٌ لِأَرْحَامٍ وَمِغْطَاءٌ سَائِلٍ
وإنَّ كَانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ

وقال بعض اليهود وهو الربيع بن أبي الحقيق، من بني النضير، وبعثه رسول الله

ﷺ إلى خيبر فقتلوه:

[السرير]

سَائِلٌ بِنَا خَابِرَ أَكْفَائِنَا
إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى
وَأَضْطَرَعَ ^(٣) النَّاسُ بِالْبَانِهِمْ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا
وَأَلْعَلُّمُ قَدْ يُلْقَى لَدَى السَّائِلِ
وَأَنْصَتِ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
نَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلٍ
نُلِيطُ ^(٤) دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
فَنَحْمِلُ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ
نَكْرَهُ أَنْ تَسْفَهُ أَحْلَامُنَا

(١) بين السماطين: بين الصفيين.

(٢) جاء في نسخة أخرى «ابن أعمى» بألف مقصورة بدلاً من «ابن عمي» بالياء.

(٣) جاء في نسخة أخرى «اعتلج» بدلاً من «اضطرع».

(٤) نلظ: نمنع.

وقال الآخر وذكر جماساً أيضاً:

[الطويل]

أَتَانِي حِمَاسٌ بِأَبْنٍ مَا هِيَ يَسُوقُهُ
لِيُعْطِي عَبْساً مَا لَنَا وَصُدُورُنَا
وَقَافِيَةٌ قِيلَتْ لَكُمْ لَمْ أَجِدْهَا
فَأَنْطَقَ فِي حَقِّ بَحَقٍّ وَلَمْ يَكُنْ
لِيَرْحَضَ أَيُّ لِيَغْسِلَ، والراحض: الغاسل، والمِرْحاض: الموضع الذي يُغسل فيه
وقال عمرو بن معد يكرب:

[الطويل]

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ
نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ
الجرار: عود يُعرض في فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع، فيقول: قومي لم
يطعنوا بالرماح فأثني عليهم ولكنهم فروا فأمسكت كالمجر الذي في فمه جرار.

وقال أبو عبيدة: صاح رؤية في بعض الحروب التي كانت بين تميم وألأزد: «يا معشر
بني تميم أطلقوا من لساني» قال: أبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنة فصاح: «لأعيا ولا
شللاً» والعرب تقول «عَيَّ أبأس من شلل» كأنَّ العَيَّ فوق كل زمانة، وقالت الجهممية:

[الطويل]

أَلَا هَلَكَ الْحُلُو الْحَلَالُ^(١) الْحَلَّاحِلُ^(٢)
وَذُو خَطْبٍ يَوْمًا إِذَا الْقَوْمُ أَفْجَمُوا
بَصِيرٌ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ إِذَا التَّقَى
أَتَيْ لِمَا يَأْتِي الْكَرِيمُ يَسِيفُهُ
وَلَيْسَ بِمِعْطَاءِ الظُّلَامَةِ عَنْ يَدِ^(٤)
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَائِلٌ
تُصِيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ مَا يُحَاوِلُ
شَرِيحَانِ بَيْنَ الْقَوْمِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ
وَإِنْ^(٣) أَسْلَمْتُهُ جُنْدُهُ وَالْقَبَائِلُ
وَلَا دُونَ أَعْلَى سَوْرَةِ الْمُجْدِ قَابِلُ

الحلال: السيد. شريحان: جنسان. ويقال: الناس شرجان وشريحان أي فرقتان،
ومنه حديث النبي ﷺ أنه لم يلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين أي
بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً،

وأنشد أبو عبيدة في الخطيب بطول كلامه ويكون ذكور الأول خطبته وللذي بني عليه
أمره، وإن شغب شاغب فقطع عليه كلامه أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه إلى تدبير
آخر: وصل الثاني من كلامه بالأول حتى لا يكون أحد كلاميه أجود من الآخر فأنشد:

[الطويل]

فَإِنْ^(٥) أَحْدَثُوا شَغْبًا يَقْطَعُ نَظْمَهَا
فَإِنَّكَ وَصَالَ لِمَا قَطَعَ الشَّغْبُ

(١) الحلال: الذي لا شك فيه.

(٢) الحلال: السيد الشجاع.

(٣) جاء في نسخة أخرى «فإن» بدلاً من «وإن». (٤) عن يد: نتيجة القهر والظلم.

(٥) جاء في نسخة أخرى «وإن» بدلاً من «فإن».

يَقُولُ كَطَعِمِ الشَّهْدِ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ

[البسيط]

وَعَائِدُ خَلَقًا مَا كَانَ يُبْتَذَلُ
أَشْفَى بِقَلْبِكَ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ تَسَلُّ

[الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ الْمَوَدَّةِ فِي الصَّدْرِ

[الطويل]

وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
صَغِيرٌ إِذَا أَلْتَقَتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

[الطويل]

عَلَيْكَ وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاخِلٍ
وَلَا رَافِعَ رَأْسًا بِعَوْرَاءِ قَائِلٍ
وَلَا خَالِطَ حَقًّا مُصِيبًا بِبَاطِلٍ
بَهَا بَيْنَ أَيْدِي الْمَجْلِسِ الْمُتَقَابِلِ
طَوِيُّ الْبَطْنِ^(٣) مَخْمَاصُ^(٤) الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

[الطويل]

قَرِيبًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ
وَلَا رَهْلٌ لِبَآئِهِ^(٨) وَبَادِلُهُ^(٩)

وَلَوْ كُنْتُ نَسَاجًا سَدَوْتُ خِطَابَهَا
وَقَالَ نُصِيبُ:

وَمَا بَذَلْتُ أَبْتِذَالَ الثُّوبِ وَدَّكُمْ
وَعِلْمُكَ أَلْشَيْءَ تَهْوَى أَنْ تُبَيِّنَهُ
وَقَالَ الْآخَرُ:

لَعَمْرُكَ مَا وَدُّ اللِّسَانِ بِنَافِعٍ
وَقَالَ الْآخَرُ:

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
وَقَالَ الْآخَرُ:

فَتَى مِثْلُ صَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ
وَلَا قَائِلِ عَوْرَاءِ^(١) تُؤْذِي رَفِيقَهُ^(٢)
وَلَا مُسَلِّمِ مَوْلَى لِأَمْرٍ يُصِيبُهُ
وَلَا رَافِعِ أَحْدَوْنَةَ السُّوءِ مُعْجَبًا
تَرَى أَهْلَهُ فِي نِعْمَةٍ وَهُوَ شَاخِبٌ
وَقَالَتْ أُخْتُ يَزِيدَ بْنِ الطُّثْرِيَّةِ^(٥):

أَرَى الْأَثْلَ^(٦) مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ^(٧) مُجَاوِرِي
فَتَى قَدْ قَدَّ السَّيْفِ لَا مُتَضَائِلُ

(١) العوراء هنا بمعنى بذىء الكلام.

(٢) جاء في نسخة أخرى «جليسه» بدلاً من «رفيقه».

(٣) طوي البطن: ضمير من عدم الأكل.

(٤) المخمصاص: الجائع.

(٥) هو: يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية، من بني قشير بن كعب، من عامر بن صعصعة: شاعر مطبوع، من شعراء بني أمية، نسب إلى أمه «طثر» مات في الكوفة سنة ١٢٦ هـ = ٧٤٤ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٣١٩ - ٣٢٤، الأغاني: ٥١/١٧.

(٦) الأثل: ضرب من شجر الطرفاء.

(٧) وادي العقيق يقع خارج المدينة المنورة.

(٨) اللبة: النحر.

(٩) اللبادة: ما بين الإبط والثدي من لحم.

فَتَى لَا يُرَى خَرْقُ الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ
 إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُوراً^(١)
 مَضَى فَوْرَثْنَاهُ^(٢) دَرِيسَ^(٣) مُفَاضَةٍ^(٤)
 يَسْرُكُ مَظْلُوماً وَيَرْضِيكَ ظالماً
 أَخُو الْجِدِّ إِنَّ جَدَّ الرِّجَالِ وَشَمَّرُوا
 وَلَكِنَّمَا تُوهِي الْقَمِيصَ كَوَاهِلُهُ
 عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاثِلُهُ
 وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلاً حَمَائِلُهُ
 وَكُلُّ الَّذِي حَمَلَتْهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
 وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بِاطِلُهُ
 يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع في هذا الباب إلى الشعر الذي في أول الفصل

(١) العذور: هو من ساءت أخلاقه.

(٢) جاء في نسخة أخرى «وورثناه» بالواو بدلاً من «فورثناه» بالفاء.

(٣) الدرع الدريس: البالي من كثرة القتال.

(٤) الدرع المفاضة: الواسعة.

باب شعر وغير ذلك من الكلام، مما يدخل في باب الخطب

قال الشاعر :

[الطويل]

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعِيبُونَ خُطْبَتِي وما مِنْهُمْ فِي مَوْقِفٍ بِخَطِيبٍ
وقال آخر :

[الكامل]

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي^(١) الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ قَوْلُهُ حَتَّى يَكُونَ مَعَ اللِّسَانِ أَصِيلًا
وأنشد لآخر :

[الطويل]

أَبْر^(٢) فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا حِمَاقَةً وَنُوكَا^(٣) وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرًا مَخَارِجُهُ
وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان . وكان أبو العباس الأعمى يقول :

[الطويل]

إِذَا وَصَفَ الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ وَصْفَهُ بِفِيهِ وَيَأْبَى قَلْبُهُ وَيُهَاجِرُهُ
يقول : إنه يتيه عن قوله ويأباه ويهجره ، ويقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر :
وَإِنْ قَامَ قَالَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَائِمًا تَقِيَّ اللِّسَانَ كَافِرٌ بَعْدُ سَائِرُهُ
وقال قيس بن عاصم المُنْقَرِي^(٤) يذكر ما في بني مُنْقَرٍ مِنَ الْخُطَابَةِ :

[الكامل]

إِنِّي أَمْرُوٌّ لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يُفَنِّدُهُ وَلَا أَفْنُ^(٥)
مِنْ مُنْقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ وَالْأَضْلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ

(١) جاء في نسخة أخرى «الفؤاد» بدلاً من «لفي الفؤاد» .

(٢) أْبْر: أي سافر في البر . (٣) النوك: الحمق .

(٤) هو : قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي ، أبو علي : أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحكم والشجاعة فيهم ، كان شاعراً من المخضرمين ، وفد على المدينة وأسلم فأكرمه النبي ﷺ . نزل البصرة حيث توفي سنة ٢٠ هـ = ٦٤٠ م . انظر ترجمته في : الإصابة : ت ٧١٩٤ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢٤ .

(٥) الأفن: ضعف الرأي والعقل .

خُطَبَاءَ حِينَ يَقُومُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعُ^(١) لُسُنٍ
لَا يَفْطُنُونَ لَعِيبَ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحُسْنِ جَوَارِهِمْ فُطُنٌ

ومن هذا الباب وليس منه في الجملة قول الآخر:

[الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُسْلِمِ
وقال نُصِيب:

[الوافر]

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ
وقال آخر:

[الطويل]

أَلَا رَبُّ حَضَمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتُهُ وَإِنْ كَانَ أَلْوَى^(٢) يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
فهذا هو معنى قول العتابي: «البلاغة إظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق». وقال الشاعر وهو كما قال:

[الطويل]

عَجِبْتُ لِأَذْلالِ الْعَيِّيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمَا
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيِّيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان في شعره الذي رثى به
عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه -، يقول^(٣):

[السيط]

ضَحُّوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
وأُشْدَ أيضًا:

[الهمزج]

تَرَى الْفِثْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا أَلَدَّخُلُ^(٤)
وَكُلٌّ فِي الْهَوَى لَيْتٌ وَفِي مَانَابَهُ فَسْلُ^(٥)
وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْوَضَلِ وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَضْلُ
وقال كسرى أنوشروان لبزر جمهر: أي الأشياء خير للمرء العي؟ قال: عقل يعيش
به. قال: فإن لم يكن له عقل؟ قال: فإخوان يسترون عليه. قال: فإن لم يكن له إخوان؟
قال: فمال يتحبب به إلى الناس. قال: فإن لم يكن له مال؟ قال: فعبي صامت. قال: فإن

(١) المصاقع: المفوهون. (٢) الألوى: شديد الخصومة، لدود.

(٣) جاء في نسخة أخرى «رحمه الله، به حيث يقول» بدلاً «من يقول فقط».

(٤) الدخل: هو كل ما يخفيه المرء من خداع وغيره...

(٥) الفسل: هو من انعدمت فيه المروءة لضعفه وجبنه.

لم يكن ذلك. قال: فموت مريح. وقال موسى بن يحيى بن خالد: قال أبو علي: «رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله وأصدق شاهد على غيبه لك ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة».

وباب آخر

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود^(١) العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك. وأنشدني أبو الجماهر جُنْدُبُ بْنُ مَدْرِكِ الهلالي:

[المقارب]

وَلَا يُشْتَرَى الْحَمْدُ أَمْنِيَّةً وَلَا يُشْتَرَى الْحَمْدُ بِالْمَقْصَرِ^(٢)
وَلَكِنَّمَا يُشْتَرَى غَالِيًا فَمَنْ يُعْطِ قِيَمَتَهُ يَشْتَرِ
وَمَنْ يَعْطِطْفُهُ عَلَى مِئْزَرٍ فَنِعَمَ الرِّدَاءِ عَلَى الْمِئْزَرِ
وأنشدني لابن ميادة^(٣):

[الطويل]

نَعَمْ إِنِّي مُهْدٍ ثَنَاءً وَمِدْحَةً كَبُرْدِ الْيَمَانِي يَرْبُحُ الْبَيْعِ تَاجِرُهُ
وأنشدني:

[الوافر]

فَإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِي قَوَافِي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ
لَذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ لَوْ أَنَّ الشَّعْرَ يُلْبَسُ لَأَزْتَدِينَا
وقال أبو قردودة يرثي ابن عمار قتيل النعمان، ووصف كلامه، وقد كان نهاه عن

منادمته:

[البيط]

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطْرُبُنَاكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرُهُ
يَا جَفْنَةً كِإِزَاءِ الْحَوْضِ^(٤) وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيُمْنَةِ الْحَبْرَةَ

وقال الشاعر في مديح أحمد بن أبي دؤاد^(٥):

[الخفيف]

وَعَوِيصُ مِنَ الْأُمُورِ بِهِمْ غَامِضُ الشَّخْصِ مُظْلِمٌ مَسْتُورٌ

(١) البرود: الأثواب.

(٢) المقصر: هو ما لا قيمة له.

(٣) جاء في نسخة أخرى «لأبي ميادة» بدلاً من «لابن ميادة». وهو: الزمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري، أبو شرحبيل من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، من شعراء الهجاء. مات سنة ١٤٩هـ = ٧٦٦م انظر ترجمته في: الأغاني: ٨٥/٢ - ١١٦، إرشاد الأريب: ٢١٢/٤.

(٤) إزاء الحوض: مصب الدلو فيه.

(٥) هو: أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي، أبو عبد الله: أحد القضاة المشاهير من المعتزلة. وهو رأس الفتنة بخلق القرآن. ولد بالبصرة سنة ١٦٠هـ = ٧٧٧م وتوفي مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠هـ =

قَدْ تَسَهَّلَتْ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ بِلِسَانٍ يَزِينُهُ التَّخْبِيرُ
مِثْلُ وَشْيِ الْبُرُودِ هَلْهَلَهُ النَّسْ جُوعٌ وَعِنْدَ الْحِجَابِ دُرٌّ نَشِيرُ
حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمُقَاطِعِ إِمَّا أَنْصَتَ^(١) الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ تُورِثُ الْيُسْ رَوْعُ عَرَضٍ مُهَذَّبٍ مَوْفُورُ

ومما يَضم إلى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر:

[الطويل]

نَمَتْ فِي الرُّوَابِي مِنْ مَعَدٍّ وَأَفْلَجَتْ عَلَى الْخَفَرَاتِ الْغُرَّ وَهِيَ وَرِيدُ^(٢)

نمت: شبت. الروابي من معد البيوت الشريفة، وأصل الرابية والرباوة ما ارتفع من الأرض. وأفلجت: ظهرت وقهرت. الخفرات: الحيات:

أَنَاةٌ عَلَى نِيرِينَ أَضْحَى لِدَاتِهَا بَلَيْنَ بِلَاءِ الرِّيطِ^(٣) وَهِيَ جَدِيدُ

الأناة: المرأة التي فيها فتور عند القيام. وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذي يُنسج على نيرين وهو الثوب الذي له سديان كالديباج وما أشبه. أضحى لداتها اللدة: القرينة في المولد والمنشأ فيقول: إن أقرانها قد بلين وهي جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها. ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر:

[الطويل]

عَلَى كُلِّ ذِي نِيرَيْنِ زَيْدٌ مَحَالُهُ مَحَالاً وَفِي أَضْلَاعِهِ زَيْدٌ أَضْلَعَا

المحال: محال الظهر، وهي فقاره واحدها محالة:

وقال أبو يعقوب الخزيمي^(٤) الأعور: أول شعر قلته هذان البيتان:

[الطويل]

بِقَلْبِي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وَصْفَهُ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهُوَ شَدِيدُ
تَمُرٌ بِهِ الْأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا فَتَبْلَى بِهِ الْأَيَّامُ وَهُوَ جَدِيدُ

وقال آخر، وهو أبو الأسود الدؤلي^(٥):

[الطويل]

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أَمَّ عَمُرٍ وَحَبَّهَا عَجُوزاً وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزاً يُفْنِدُ
كَبُرْدُ الْيَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُقِعَتْهُ مَا شِئْتُ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ

= ٨٥٤م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٤١/٤ - ١٥٦، البداية والنهاية: ٣١٩/١٠.

(١) جاء في نسخة أخرى «نطق» بدلاً من «أنصت».

(٢) جاء في نسخة أخرى «وليد» بدلاً من «وريد» ويقال: وردت المرأة، احمرّ خذاها، خجلاً.

(٣) الريط وهو جمع ربطة، وهي الملاءة.

(٤) جاء في نسخة أخرى «الخريمي» بدلاً من «الخريمي» بالزاي.

(٥) لم يذكر اسم أبي الأسود في نسخة أخرى.

وقال ابن هُرْمَة :

[البيسط]

إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أَصْبَحَتْ تَعْرُكُهُ جَهْلًا لَذُو نَعْلٍ ^(١) بَادٍ وَذُو حَلَمٍ ^(٢)
وَلَنْ يُبْطَ ^(٣) بِأَيْدِي الْخَالِقِينَ ^(٤) وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيِّدُ الْأَدَمِ

وفي غير هذا الباب وهو قريب منه، قول ذي الرُّمَّة :

[الطويل]

وَفِي قَعْرِ ^(٥) حَجَرٍ مِنْ دُؤَابَةِ عَامِرٍ إِمَامٌ هُدَى مُسْتَبْصِرُ الْحُكْمِ عَادِلُهُ
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ مَاءَ مُذْهَبٍ إِذَا سَمَلَ السَّرِبَالُ طَارَتْ رَعَابِلُهُ

الرعايل : القطع، وشواء مُرْعَبِل أي مقطع، ورعبلت الشيء أي قطعتة. ويقال ثوب سَمَلَ وأسمال، وأسمل الثوب وسَمَلَ إذا أخلق. وهو الذي يقول :

[البيسط]

حَوْرَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ
الحور : شدة بياض العين. والدعج : شدة سواد الحدقة. والنعج : اللين. قالوا :
لأن المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب إلى الحمرة، وبالعشي يضرب إلى
الصفرة. ولذلك قال الأعشى :

[مجزوء الكامل]

بَيَاضٌ ضُحَوَّتْهَا وَصَفْ رَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَاةِ ^(٦)
وقال آخر :

[الرجز]

قَدْ عَلِمْتُ بَيَاضَ صَفْرَاءِ الْأَصْلُ لِأَغْنَيْنِ الْيَوْمَ مَا غْنَى رَجُلُ
وقال بشار بن برد :

[مجزوء الكامل]

وَحُذِي مَلَابِسَ زِينَةٍ وَمُصَبَّغَاتٍ فَهِيَ أَفْخَرُ
وَإِذَا دَخَلَتْ تَقَنَّنَعِي بِالْحُمْرِ إِنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ

وهذان أعميان قد آهتديا من حقائق هذا الأمر إلى ما لا يبلغه تمييز البصير. ولبشار
خاصة في هذا الباب ما ليس لأحد، ولولا أنه في (كتاب الرجل والمرأة) وفي (باب
القول في الإنسان) في (كتاب الحيوان) أليق وأذكى لذكرناه في هذا الموضع. ومما ذكروا
فيه الوزن قوله :

[الطويل]

زِنِي الْقَوْمَ حَتَّى تَعْرِفِي عِنْدَ وَزْنِهِمْ إِذَا رُفِعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ

(١) نغل الأديم : فسد دباغ الجلد.

(٢) الحَلَم : دود يعترض الجلد، مفردة حلمة.

(٣) يقال : بَطَّ الجرح والهرة والجلد : شَقَّهَا.

(٤) الخالق : صانع الأديم.

(٥) جاء في نسخة أخرى «قصر» بالصاد، بدلاً من «قعر».

(٦) العرارة : ضرب من البهار الناعم ذو رائحة طيبة، يمتاز بلونه الأصفر.

وقال ابن الزبير الأسدي^(١) :

[الطويل]

أَعَادِلُ غِصِّي بَعْضَ لَوْمِكَ إِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرْضَى بِدَيْنٍ وَلَا رَهْنٍ
وَأِنِّي أَرَى دَهْرًا تَغَيَّرَ صَرْفُهُ وَدُنْيَا أَرَاهَا لَا تَقُومُ عَلَى وَزْنٍ

باب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضلون إصابة المقادير ويذمون الخروج من التبويل^(٢) . قال جعفر بن سليمان : « ليس يطيب الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التبويل ، وإنما الشأن في إصابة القدر » . وقال الشاعر وهو عارق^(٣) بن أثال الطائي :

[البسيط]

مَا أَنْ يَزَالَ بِبَعْدَادٍ يُزَاجِمُنَا عَلَى الْبَرَازِينَ أَشْبَاهُ الْبَرَازِينَ
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ أَمْوَالًا وَمَنْزِلَةً مِنْ أَلْمَلُوكِ بِلَا عَقْلِ وَلَا دِينَ
مَا شِئْتُ مِنْ بَغْلَةٍ شَقْرَاءَ^(٤) نَاجِيَةٍ أَوْ مِنْ أَثَاثٍ وَقَوْلٍ غَيْرِ مُوزُونٍ
وَأُنْشِدُ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ .

[الطويل]

رَأَتْ رَجُلًا أَوْدَى السَّفَارَ^(٥) بِجِسْمِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْطِقٌ وَجَنَاجِنُ
الجناجن : عظام الصدر

إِذَا حُسِرَتْ عَنْهُ الْعِمَامَةُ رَاعَهَا جَمِيلُ الْخُفُوقِ أَغْفَلَتْهُ الدَّوَاهِينُ
فَلِإِنْ أَكَّ مَعْرُوقُ الْعِظَامِ فَلِإِنِّي إِذَا مَا وَزَنْتُ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازِنُ
قال مالك بن أسماء في بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً وربما لحت :

[الخفيف]

أَمْعَطِي مِنِّي عَلَى بَصْرِي لِلْحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا
وَحَدِيثِ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِثُونَ يَوَزْنُ وَزْنًا
مَنْطِقُ عَاقِلٍ^(٦) وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَأْ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

(١) جاء في نسخة أخرى ذكر اسم الشاعر : « واسمه عبد الله » .

(٢) جاء في نسخة أخرى « التعديل » بدلاً من « التبويل » .

(٣) جاء في نسخة أخرى « طارق » بدلاً من « عارق » . وهو : قيس بن جروة بن سيف الأجنبي الطائي : شاعر جاهلي . اشتهر بلقبه « عارق » لبيت قاله . وكان من سكان جبل أجأ وإليه نسبته . توفي نحو سنة ٥٠ ق. هـ = نحو ٥٧٥ م . انظر ترجمته في : معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢٦ ، خزنة الأدب : ٣ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٤) جاء في نسخة أخرى « سفواء » بدلاً من « شقراء » وسفواء : هي الخفيفة السريعة .

(٥) السفار : الترحل والانتقال من مكان إلى آخر .

(٦) جاء في نسخة أخرى « صائب » بدلاً من « عاقل » .

وقال طرفة في المقدار وإصابته :

[الكامل]

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي
طلب الغيث على قدر الحاجة لأن الفاضل ضار . وقال النبي ﷺ في دعائه : «اللهم
أَسْقِنَا سَقِيًا نَافِعًا» لأن المطر ربما جاء في غير إبان الزراعات ، وربما جاء ، والتمر في
الجرن والطعام في البیادر ، وربما كان في الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبي ﷺ :
«اللهم حوالينا ولا علينا» وقال بعض الشعراء لصاحبه : «أنا أشعر منك» قال «ولم؟» قال :
«لأنني أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه» وعاب رؤية شعر ابنه عقبة ، فقال : «ليس
له قران» وجعل البيت أخوا البيت إذا أشبهه وكان حقه أن يوضع إلى جنبه ، وعلى ذلك
التأويل قال الأعشى :

[الطويل]

أَبَا مَسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً مَتَى تَأْتُكُم تَلَحُّ بِهَا أَخَوَاتُهَا
قال الله عز وجل : ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾^(١) وقال
عمرو^(٢) بن معد يكرب :

[الوافر]

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ
وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً ، قال الهذلي :

[الطويل]

أَعَامِرُ لَا أَلَوْكَ إِلَّا مُهَنَّدًا وَجِلْدَ أَبِي عَجَلٍ وَثِقِ الْقَبَائِلِ
يعني بأبي عجل الثور . وقالوا ما هو أبعد من هذا ، وقال ابن عسلة^(٣) الشيباني
واسمه عبد المسيح :

[الكامل]

وَسَمَاعٌ مُدْجِنَةٌ تُعَلِّلُنَا حَتَّى نَنَامَ تَنَاوُمَ الْعُجَمِ
فَصَحَوْتُ وَالْتَمَرِي يَحْسَبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النِّجَمِ
النجم واحد وجمع ، والنجم : الثريا في كلام العرب . مدجنة أي سحابة دائمة وقال

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٤٨ .

(٢) جاء في نسخة أخرى «عمر» بدلاً من «عمرو» .

وهو : عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي : فارس اليمن . وفد على المدينة سنة ٩ هـ في
عشرة من بني زبيد ، فأسلم ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ ، ثم رجع ليشارك في فتوح العراق . توفي على
مقربة من الري سنة ٢١ هـ = ٦٤٢ م انظر ترجمته في : الإصابة : ت ٥٩٧٢ ، الشعر والشعراء : ١٣٨ .

(٣) جاء في نسخة أخرى «غسيلة» بدلاً من «عسلة» وهو عبد المسيح بن عسلة الشيباني : شاعر جاهلي . نسب
إلى أمه «عسلة بنت عامر بن شراكة ، قاتل الجوع ، الغساني» واسم أبيه حكيم بن غفير بن طارق ، من ذهل
من شيبان . مات حوالي ٥٠ ق . هـ = نحو ٥٧٥ م . انظر ترجمته في : شعراء النصرانية ١ / ٢٥٤ .

أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف البعير، والمعْيُور^(١) الموضع الذي يكون فيه الأعيار:

[الرجز]

وَزَلَّ يَوْفِي الْأَكْمَ ابْنُ خَالِهَا

فهذا ممّا يدل على توسعهم في الكلام، وحمل بعضه على بعض، واشتقاق بعضه من بعض. وقال النبي ﷺ: «نَعِمَتِ الْعُمةُ لَكُمْ النخلة» كان بينها وبين الإنسان تشابه وتشاكل من وجوه. ذكرنا ذلك في (كتاب الزرع والنخل). وفي مثل ذلك قال بعض الفصحاء:

[الطويل]

شَهِدْتُ بِأَنَّ التَّمَرَ بِالزُّبْدِ طَيِّبٌ وَأَنَّ الْحُبَّارَى^(٢) خَالَةُ الْكُرَّوَانِ^(٣)
لأن الحبّارى وإن كانت أعظم بدنا من الكروان فإن اللون وعمود الصورة واحد
فلذلك جعلها خالته ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول.

باب آخر من الشعر

مما قالوا في الخطب واللسن والإمتداح به والمديح عليه

قال كعب الأشقري^(٤):

[الطويل]

إِلَّا أَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَخْطَبُ قَائِماً فَإِنِّي عَلَى ظَهْرِ الْكُمَيْتِ خَطِيبٌ
وقال ثابت قطنة:

[الطويل]

فَإِلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فَإِنِّي بِسُمْرِ الْقَنَا وَالسَّيْفِ جَدُّ لُعُوبٍ
وقالت ليلي الأخيلية:

[البسيط]

حَتَّى إِذَا رَفَعَ اللَّوَاءَ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ^(٥) زَعِيمَا

(١) جاء في نسخة أخرى «والمعْيُوراء وهو» بدلاً من «المعْيُور الذي».

(٢) الحبّارى: من جوارح الطير تمتاز بالبلاهة. لذا فقد تحضن بيض غيرها إذا ما أضععت عشها لدى خروجها منه.

(٣) الكروان يمتاز بجمال الصوت، وهو ضرب من فصيلة الحجل.

(٤) جاء في نسخة أخرى «الأشعري» بدلاً من «الأشقري» وهو: كعب بن معدان الأشقري، أبو مالك: فارس، شاعر، خطيب. من شعراء خراسان. كان من أفضل أصحاب المهلب بن أبي صفرة. وهو من «الأشافر» من قبائل الأزد. توفي نحو سنة ٨٠هـ = نحو ٧٠٠م. انظر ترجمته في: الأمالي لأبي علي الفالي، طبعة الدار ١/ ٢٦٥، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٤٦.

(٥) الخميس: هو الجيش الكبير، يقسم إلى خمس فرق.

وقال الآخر :

[الطويل]

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعِيبُونَ خُطْبَتِي وَمَا مِنْهُمْ فِي مَاقِطٍ ^(١) بِخَطِيبٍ
وهؤلاء يفخرون بخطبهم التي عليها يعتمدون بالسيوف والرماح ، وإن كانوا خطباء .

وقال دريد بن الصمة :

[البيط]

أَبْلَغُ نُعَيْمًا وَأَوْفَى إِنْ لَقِيتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا ^(٢) صَمَمٌ
فَلَا يَزَالُ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي الْمَقَانِبَ مَا لَمْ يُهْلِكِ الصَّمَمُ

المقانب جمع مقنب والمقنب : الجماعة في الخيل ليست بالكثيرة .

عَارِي الْأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عَرْنَيْنِهِ شَمَمٌ
الأشاجع : عروق ظاهر الكف ، وهي مغرز الأصابع . واللّمة : الشعيرة التي ألتم بالمنكب . زعيم القوم : رأسهم وسيدهم الذي يتكلم عنهم ، والزعامة مصدر الزعيم الذي يسود قومه . وقوله معصوب بلمته أي يعصب برأسه كل أمر . عرنينه : أنفه .

وقال أبو العباس الأعمى مولى بني بكر بن عبد مناف في بني عبد شمس :

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةَ الْمَسِّ كِ مَا إِنْ إِخَالَ بِالْخَيْفِ أَنْسِي
حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ وَالْبَهَائِلُ ^(٣) مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
خُطْبَاءَ عَلَى الْمُتَنَابِرِ فُرْسًا نْ عَلَيْهَا وَقَالَهُ غَيْرُ خُرْسٍ
لَا يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإِنْ قَا لُوا أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بَلْبُسٍ
بِحُلُومٍ إِذِ الْحُلُومُ اسْتَخَفَّتْ وَوُجُوهُهُ مِثْلُ الدَّنَانِيرِ مُلْسٍ

وقال العجاج :

[الرجز]

وَحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتِ مُلْسٍ مِنْ الْأَذَى وَمِنْ قِرَافِ الْوَقْسِ

المحصنة : ذات الزوج ، والحاصن : العنيفة . والوقس : الجرب .

وقال امرؤ القيس بن حجر :

[الطويل]

وَيَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ أَرَوْحُ مُرَجَّلاً حَبِيباً إِلَى الْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ أُمْلَسَا

وقال أبو العباس الأعمى :

[الطويل]

وَلَمْ أَرْحَيَا مِثْلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا إِلَى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرَيْتَ ^(٤)

(١) المأقط : المضيق حيث يختلط المقاتلون .

(٢) جاء في نسخة أخرى «سمعيها» بدلاً من «سمعيهما» والصحيح ما ورد هنا .

(٣) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الذكي .

(٤) بریت : خلقت ، ولدت .

وَأَعْلَمَ بِالْمُسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ
إِذَا كَادَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ يَفُوتُ
بَصِيرَ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ زَمِيتُ^(١)

[المنسرح]

وَالثَّوبُ إِنْ مَسَّ مَدْنَساً غَسِلاً
يَكَادُ رَأْيِي يُقِيلُكَ الزَّلْلاً

[الوافر]

وَلَهْفِي إِذْ أَطَعْتُ أَبَا الْعَلَاءِ
وَكَانَتْ زَلَّةٌ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ

[الطويل]

إِذَا كُنْتُ فِيهِ جَاهِلاً مِثْلَ خَابِرٍ

[البيسط]

وَمَنْ سَجِيَّتُهُ الْإِكْثَارُ وَالْمَلَقُ
إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ
كَذَاكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ
أَحْمِي الذَّمَّارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
إِذِ الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلِقُوا^(٣)

[الطويل]

غَنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غَنَى الْحَدَثَانِ^(٤)

أَعَزَّ وَأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا
وَأَرْفَقَ بِالذَّنْيَا بِأُولَى سِيَاسَةِ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدُ
وَقَالَ آخِرُ:

لَا يُغْسَلُ الْعِرْضُ مَنْ تَدَنَّى بِهِ
وَزَلَّةُ الرَّجُلِ تُسْتَقَالُ وَلَا
وَقَالَ آخِرُ فِي الزَّلَلِ:

الْهَفِي إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ
وَكَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ رِيحٍ
وَقَالَ آخِرُ:

فَإِنَّكَ لَمْ يُنْذِرْكَ أَمْرٌ تَخَافُهُ
وَقَالَ ابْنُ وَابِصَةَ^(٢) - اسْمُهُ سَالِمٌ - فِي

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيُ غَيْرَ شَيْمَتِهِ
إِعْمَدْ إِلَى الْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ رَاكِبُهُ
صَدَّتْ هُنَيْدَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا:
بَلْ مَوْقِفٌ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ
فَمَا زَلَلْتُ وَلَا أَلْفَيْتُ ذَا خَطَلٍ
قَالَ: وَأَنْشُدْ أَعْرَابِي فِي بَاهِلَةٍ:

سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفِنِي

(١) الزميت: الوفور.

(٢) هو: سالم بن وابصة بن محمد الأسدي: أمير، شاعر، من أهل الحديث، من التابعين. دمشق، سكن الكوفة، وولي إمرة «الرقعة» لمحمد بن مروان، واستمر بها نحو ثلاثين عاماً. مات في آخر خلافة هشام نحو سنة ١٢٥هـ = نحو ٧٤٣م. انظر ترجمته في: الإصابة: ٣٠٤٤، تهذيب ابن عساكر: ٥٦/٦.

(٣) زلقوا: زالوا.

(٤) جاء في نسخة أخرى «حديثه» بدلاً من «كلامه».

فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُكْمُ كَلَامِهِ
كَأَنَّ الْغِنَى ^(١) فِي أَهْلِهِ بُورُكَ الْغِنَى
عَلَى الْحَرِّ بِالْإِقْلَالِ وَسُمْ هَوَانٍ
وَأِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانٍ
بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ

وفي مثلها في بعض الوجوه قول عروة بن الورد:

[الوافر]

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي
وَأَهْوَنُهُمْ وَأَحْقَرُهُمْ لَدَيْهِمْ
وَيُقْصَى فِي النَّدَى ^(٣) وَتَزْدَرِيهِ
وَيُلْفَى ذُو ^(٤) الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ
رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأِنْ أَمْسَى لَهُ نَسَبٌ وَخَيْرٌ ^(٢)
حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
يَكَاذُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
وَلَكِنْ ^(٥) لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: «الهُوَى إِلَهٌ مَعْبُودٌ» وتلا قوله عز وجل:
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ﴾ ^(٦). وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

[الخفيف]

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمٍّ
سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَا مَا
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي
وَتُرَى أَعْبُدُ لَنَا وَأَوَاقٍ ^(٨)
إِدْ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلُ زُورٍ وَهَثِرٍ ^(٧)
لِي قَلِيلًا قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرٍ
وَيُعَرَّى مِنَ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي
وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمٍ عَشْرِ

المناصيف: الخدم واحد من نصف ونصف، وقد نصف القوم ينصفهم نصافة: إذا

خدمهم

وَتَجُرُّ الْأَذْيَالَ فِي نِعْمَةٍ زَوْ
لِ تَقُولَانِ ضَعْ عَصَاكَ لِدَهْرٍ
نعمة زول حسنة، والزول: الخفيف الظريف وجمعه أزوال:

(١) جاء في نسخة أخرى «عن» بدلاً من «في».

(٢) النسب الوخير: الكريم.

(٣) الندى: حلقة القوم يجتمعون للبحث بأمور القبيلة الهامة.

(٤) جاء في نسخة أخرى «تلفى ذا» بدلاً من «يلفى ذو».

(٥) جاء في نسخة أخرى «ولكن الغني» بدلاً من «ولكن للغنى» وما جاء هنا صحيح، أما ما جاء في تلك النسخة فخطأ للإقواء الذي يستوجهه.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٧) الهتر: التخليط في الكلام ما بين كذب وافتراء وخطأ.

(٨) الأواقي: قصب العانك تربط عليه لحمة الثوب.

وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحَدِّثُ
وَيُجَنَّبُ سِرَّ النَّجِيِّ وَلَكِنْ
بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشَ عَيْشَ ضُرٍّ
أَخَا أَلْمَالِ مُحْضَرٍّ كُلِّ سِرٍّ

وقال عبيد بن الأبرص في نحو هذا وليس كمثله:

تِلْكَ عِرْسِي غَضَبِي تُرِيدُ زِيَالِي
أَنْ يَكُنْ طَبَّكَ الْفِرَاقُ فَلَا أَحَدَ
أَوْ يَكُنْ طَبَّكَ الدَّلَالُ فَلَوْ فِي
كُنْتِ بَيْضَاءَ كَالْمَهَاءِ وَإِذْ
فَاتَرُكِي مَطَّ حَاجِبِيكِ وَعِيشِي
زَعَمْتُ أَنَّنِي كَبِرْتُ وَأَنِّي
وَصَحَا بَاطِلِي وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا
إِنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ الرَّأْسُ مِنِّي
فِيمَا أَذْخُلُ الْخَبَاءَ عَلَى مَهْ

أَلْبَيْنُ تُرِيدُ أَمْ لِدَلَالٍ
فَلْ أَنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الْجَمَالِ
سَالِفِ الدَّهْرِ وَالْيَالِي الْخَوَالِي
آتِيكِ نَشْوَانَ مُرْخِيًا أَذْيَالِي
مَعَنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّامَالِ
قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي
لَا يُوَاتِي أَمْثَالُهَا أَمْثَالِي
وَعَلَا الشَّيْبُ مَفْرِقِي وَقَذَالِي^(١)
ضُومَةُ الْكَشْحِ طِفْلَةُ كَالْغَزَالِ

الكشح: الخصر. وقوله مهضومة: أراد لطيفة. والطفلة: الرخصة الناعمة:

فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ
ثُمَّ قَالَتْ فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي
مَيْلَانُ الْكَثِيبِ بَيْنَ الرَّمَالِ
وَفِدَاءُ لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي

ذكر البلغاء من المشوَّهين ذوي العاهات:

قال: وخرج عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من داره يوما، وقد جاء عامر بن عبد قيس فقعد في دهليزه، فلما رأى شيخاً دميماً أشغى نطاً في عباءة فانكره وأنكر مكانه، فقال: يا أعرابي أين ربُّك؟ قال: بالمرصاد.

والشغى: تراكب الأسنان واختلافها. نط: صغير اللحية.

يقال: إن عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - لم يُفحِّمهُ أحد قطُّ غيرُ عامر بن عبد قيس.

ونظر معاوية إلى النخار بن أوس العُذري الخطيب المناسب في عباءة في ناحية من مجلسه، فأنكره وأنكر مكانه زرايةً منه عليه، فقال: من هذا؟ فقال: النخار: يا أمير المؤمنين إن العبء لا تكلمك إنما يكلمك مَنْ فيها.

قال: ونظر عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - إلى هرم بن قطبة ملتفتاً في بيت^(٢) في ناحية المسجد، ورأى دمامته وقلته، وعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم،

(١) القذال: جمع مؤخر الرأس.

(٢) البت: الكساء السميك.

فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده، فقال: أرأيت لو تنافرا إليك اليوم أيهما كنت تنفر؟ يعني علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل. فقال: يا أمير المؤمنين، لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة. قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: لهذا العقل تحاكت إليك العرب؟ ونظر عمر إلى الأحنف، وعنده الوفد، والأحنف ملتفت في بت^(١) له فترك جميع^(٢) القوم واستنطقه، فلما تبّع^(٣) منه ما تبّع، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب، وذهب ذلك المذهب، لم يزل عنده في علياء، ثم صار إلى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك، إلى أن فارق الدنيا.

ونظر النعمان بن المنذر إلى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقيلته، قال: تسمع بالمعيدي لا أن تراه، هذا تقول العرب. فقال ضمرة: أبيت اللعن، إن الرجال لا تُكال بالقفران، وإنما المرء بأصغريه: لسانه وقلبه. وكان ضمرة خطيباً وكان فارساً شاعراً شريفاً سيداً.

وكان الرmq بن زيد مدح أبا جُبيلة الغساني، وكان الرmq دميماً قصيراً، فلما أنشده وحاوره قال: غسل طيب في ظرف سوء.

قال: وتكلم علباء بن الهيثم السدوسي^(٤) لدى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -، وكان علباء أعور دميماً، فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدّره، فلما خرج قال عمر: لكل أناس في جميلهم خبرة.

تذوق عمر بن الخطاب للشعر ومعرفته به:

قال أبو عثمان: وأنشدت سهل بن هارون قول سلمة بن خرشب وشعره الذي أرسل به إلى سبيع التغلبي: في شأن الرهن التي وضعت على يديه في قتال عبس وذبيان، فقال سهل بن هارون: والله لكانه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - إلى أبي موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم. والقصيدة قوله:

[المنسرح]

أَبْلِغْ سُبَيْعاً وَأَنْتَ سَيِّدُنَا قَدْماً وَأَوْفَى رَجَالِنَا ذِمّاً
أَنْ بَغِيضاً وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذَبْيَانٌ قَدْ ضَرَّمُوا الَّذِي أَضْطَرَّمَا
نُبْتُ أَنْ حَكْمُوكَ بَيْنَهُمْ فَلَا يَقُولُنَّ بِئْسَ مَا حَكَمَا

(١) البت: الكساء الغليظ. (٢) جاء في نسخة أخرى «جمع» بدلاً من «جميع».

(٣) تبّع: اندفع يتكلم بشدة.

(٤) هو: علباء بن الهيثم بن جرير السدوسي: شجاع، من الفصحاء. مخضرم أدرك الإسلام. شهد الفتوح في عهد عمر، ثم سكن الكوفة، وهو أول من دعا إلى علي بن أبي طالب فيها. استشهد في وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ = نحو ٦٥٦ م. انظر ترجمته في الإصابة: ت ٦٤٥١، جمهرة الأنساب: ٢٩٩.

إِنْ كُنْتَ ذَا خُبْرَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتُحْضِرُ الْفُهُمَا
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْمُحِقِّ وَلَا الْمُ- بَطْلُ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمَّةَ
فَأُحْكَمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ تَعْدَمُوا^(١) الْحُكْمَ ثَابِتًا صَتِمَا
الصتم: الصحيح القوي، يقال رجل صتم إذا كان شديداً:

وَأَصْدَعُ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مَنْ رَضِيَ وَمَنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَالًا فَفُضَّ عِدَّتُهُ مَا لَا بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمَا
حَتَّى تَرَى ظَاهِرَ الْحُكُومَةِ مِثْ- لَ الصُّبْحِ جَلَّى نَهَارُهُ ظُلَمًا^(٢)
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطَقْ حُكُومَتَهُمْ فَاتَّبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا

وقال العائشي^(٣): كان عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أعلم الناس بالشعر، ولكنه إذ ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء، وأستشهد رجالاً للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبأهم، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليماً. فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا، ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره. قال: ولقد أنشدوه شعراً لزهير وكان لشعره مقدماً فلما أنتهوا إلى قوله:

وَأَنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها:
وَأَنَّ الْحَقَّ مَعْقُطُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ
يردّد البيت من التعجب.

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب^(٤) الطويلة التي على اللام فلما بلغ المُنشد إلى قوله:

[البسيط]

وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرِ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شَحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ

(١) جاء في نسخة أخرى «يعدموا» بالياء بدلاً من «تعدموا» بالناء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الظلما» بال التعريف بدلاً من «ظلمنا» بدون أل التعريف.

(٣) جاء في نسخة أخرى «العائشي» بينما جاء في نسخة غيرها «العائشي» بالهمز، بدلاً من «العائشي» بالياء.

(٤) هو: عبدة بن يزيد (الطبيب) بن عمرو بن علي، من تميم، شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام. كان أسود شجاعاً، شهد الفتوح وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة، والنعمان بن مقرن بالمدائن وغيرها. توفي نحو ٢٥هـ = نحو ٦٤٥م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٦٣٨٦، الأغاني: ١٦٣/١٨.

قال عمر متعجباً:

وَالْعَيْشُ شَحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلٌ

يعجبهم من حسن ما قسم وفصل . وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين وهو ساكت، فلما انتهى المنشد إلى قوله:

[السريع]

الْكَيْسُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ أَلِإِشْفَاقِ وَالْفَهَّةُ^(١) وَالْهَاعُ^(٢)
أعاد عمر البيت وقال:

الكيس والقوة خير من الـ إشفاق والفهة والهاع
وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه . قال محمد بن سلام الجمحي عن بعض أشياخه: قال: كان عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر .

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الشاعر في الجاهلية يُقدِّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقَيِّدُ عليهم مآثرهم^(٣) ويُفخِّمُ شأنهم ويُهوِّلُ على عدوِّهم ومن غزاهم ويُهَيِّبُ من فرسانهم ويُخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعرٌ غيرهم فيراقب شاعرهم، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الأول:

«الشعر أدنى مروءة السَّريِّ، وأسرى مروءة الدَّني»

قال: ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبياني، ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة .

وروى مجالد عن الشعبي قال: ما رأيت مثلي، ما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني بشيء إلا لقيته . وقال الحسن البصري: يكون الرجل عابداً ولا يكون عاقلاً، ويكون عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً، وكان مسلم بن يسار عاقلاً عابداً عالماً . قال: وكان يقال: فقه الحسن، وورع ابن سيرين، وعقل مُطرف، وحفظ قتادة . وقال: وذكرت البصرة فقيل: شيخها الحسن، وفتاها بكر بن عبد الله المزني . قال: والذين بثوا العلم في الدنيا أربعة: قتادة والزُّهري والأعمش والكلبي . وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزُّهري، فغلب قتادة الزهري، فقيل لسليمان في ذلك فقال: إنه فقيه مليح . فقال الفحزمي: لا ولكنه تعصب للقرشية ولا نقطاعه إليهم ولروايته فضائلهم . وكان الأصمعي يقول: وصلت بالعلم ونلت بالملح . وكان سهل بن هارون يقول: اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد، وأعسر من ذلك أن يجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم . والمسجديون يقولون:

(٣) مآثرهم: أعمالهم العظيمة .

(٢) الهاع: الجبان .

(١) الفهة: العي والحصر .

من تمنى رجلاً حسن العقل وحسن اللسان وحسن القلم تمنى شيئاً عسيراً.

باب

وكانوا يعيرون النَّوْكَ والعَجِيَّ والحمقى وأخلاق النساء والصبيان. قال الشاعر:

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاً
فَإِنْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمْ فَالْصِّقْ
فَإِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا
فَإِنَّ النَّوْكَ لِلْأَحْسَابِ غَوْلٌ^(١)
وَمَنْ تَرَكَ الْعَوَاقِبَ مَهْمَلَاتٍ
فَلَا تَشَقَّنْ بِالنَّوْكَى لَشَيْءٍ
فَلْيَسُوا قَابِلِي أَدَبٍ فَدَعُّهُمْ

وقال الآخر في التضييع والنَّوْكَ:

وَمَنْ تَرَكَ الْعَوَاقِبَ مَهْمَلَاتٍ
فَعِشْ فِي حَدِّ أَنْوَكٍ سَاعِدْتُهُ
ذَهَابُ أَلْمَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ

وأشدد في ذلك^(٢):

أَرَى زَمَنًا نَوَكَاهُ أَشْعَدُ أَهْلِهِ
مَشَى فَوْقَهُ رَجُلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ

وقال الآخر:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِأَمْرِي كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عَدَمٍ أَضَرَّ عَلَى أَمْرِي

وقال الآخر:

تَحَامَقَ مَعَ الْحَمَقَى إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ
وَلَا تَلْقَهُمْ بِالْعَقْلِ إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ^(٤)

(١) جاء في نسخة أخرى «داء» بدلاً من «غول» وغول الشيعاء واغتياله: أخذه من حيث لم يتنبه ويحسب.

(٢) جاء في نسخة أخرى «وقال آخر في مثل ذلك بدلاً من «وأشدد في ذلك».

(٣) جاء في نسخة أخرى «الأصل» بدلاً من «الأهل».

(٤) جاء في نسخة أخرى عجز البيت على الشكل التالي: «ولا قههم بالنَّوْكَ فعل أخي الجهل» بدلاً من «ولا =

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعَدُ بِالْعَقْلِ
وقال الآخر:

[الطويل]

وَأَنْزَلَنِي طُولَ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتُ أَمْرًا لَا أَشَاكِلُهُ
فَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاكِلُهُ
وقال بشر بن المعتمر وأنشد:

[الكامل]

وَإِذَا أَلْغَبِي رَأَيْتَهُ مُسْتَعْنِيًا أَعْيَ الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَالِ
وأنشدني آخر:

[الطويل]

وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلْبُستة^(١) يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحَمَقَا
وأنشدني آخر:

[الطويل]

وَلَا تَقْرِبِي يَا بِنْتَ عَمِّي بُوهة^(٢) مِنْ الْقَوْمِ دِفْنَسًا^(٣) غَبِيًّا مُفَنَّدًا^(٤)
وَإِنْ كَانَ أَعْطَى رَأْسَ سِتِّينَ بِكَرَّةٍ وَحُكْمًا عَلَى حُكْمٍ وَعَبْدًا مُوَلَّدَا
أَلَا فَاحْذَرِي لَا تُورِدَنَّكَ هَجْمَةٌ^(٥) طَوَالَ الدُّرَى جِبْسًا^(٦) مِنْ الْقَوْمِ قُعْدَا^(٧)
وأنشدني آخر:

[الطويل]

كَسَا أَلَلَهُ حَيِّي تَغْلِبِ ابْنَةَ وَائِلٍ مِنْ أَلُومٍ أَظْفَارًا بَطِيئًا نُصُولُهَا
إِذَا أَرْتَحَلُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعَادَلُوا عَلَيْهَا وَرَدُّوا وَفَدَهُمْ يَسْتَقِيلُهَا
وأنشدني آخر:

[الطويل]

وَإِنْ عَنَاءٌ أَنْ تُفْهَمَ جَاهِلًا وَيَحْسَبَ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ
وقال جرير:

[الطويل]

وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرَا

= تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل». ويتلو هذا البيت بيت آخر لا يوجد في هذه النسخة:

وخلط إذا لاقيت يوماً مخلطاً يخلط في قول صحيح وفي هزل

(١) جاء في نسخة أخرى «كلبسية» ويتفق ذلك مع ما يوحيه البيت من معنى؛ بينما ماورد هنا لا معنى له.

(٢) البوهة: أنثى ضرب من الطير تشبه البوم إلا أنها أصغر منها حجماً.

(٣) الدفناس: الأحمق. (٤) المفند: من لا رأي له لضعفه.

(٥) الهجمة من الإبل: قطيع قريب من المائة عدداً.

(٦) الجبس: الجبان. (٧) القعدد: الجبان المتعاس عن المبادرة للقتال.

وقال الأعرج المعنّي الطائي :

[الطويل]

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ قَدْ قَدَرْتُمْ وَلَمْ تَبْدَوْوهُمْ بِالْمُظَالِمِ أَوَّلًا
فَكُونُوا كَدَاعِي كَرَّةٍ بَعْدَ فَرَّةٍ الْأَرْبُ مَنْ قَدْ فَرَّ ثَمَّتَ أَقْبَلًا
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوا فَتَبَدَّلُوا بِكُلِّ سِنَانٍ مَعْشَرَ الْعُرْبِ مِغْزَلًا
وَأَعْطُوهُمْ حُكْمَ الصَّبِيِّ بِأَهْلِهِ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَقُولُوا بِأَنَّ لَا

ويقال: أظلم من صبيّ، وأكذب من صبيّ، وأخرق من صبيّ. وأنشد:

[الطويل]

وَلَا تَحْكُمَا حُكْمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُهُ
قال: سئل دغفل عن بني عامر. فقال: أعناق ظباء، وأعجاز نساء. قيل: فما تقول
في أهل اليمن؟ قال: سيّد وأنوك.

باب في ذكر المعلمين

من أمثال العامة «أحمق من معلم كُتَّاب» وقد ذكرهم صُقلاب:

[الطويل]

وَكَيْفَ يُرْجَى الْعَقْلُ وَالرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ يَرُوحُ عَلَى أُنْثَى وَيَعْدُو عَلَى طِفْلِ
وفي قول بعض الحكماء: «لا تستشيروا معلماً، ولا راعي غنم، ولا كثير القعود
مع النساء». وقال: «لا تدع أم صبيك تضربه: فإنه أعقل منها وإن كانت أسن منه» وقد
سمعنا في الأمثال «أحمق من راعي ضأن ثمانين».

فأما أستحماق رعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنم عدة
من جلة الأنبياء - عليهم السلام -، ولعمري إن الفدَّادين^(١) من أهل الوبر ورعاة الإبل
ليتلون على رعاة الغنم ويقول أحدهم لصاحبه: إن كنت كاذباً فحلبت قاعداً. وقال
الآخر:

[الطويل]

تَرَى حَالِبَ الْمِعْزَى إِذَا سُرَّ^(٢) قَاعِداً وَحَالِبُهُنَّ الْقَائِمُ الْمَتَطَاوِلُ
قالت امرأة من غامد في هزيمة ربيعة بن مُكْدَمَ لجمع غامد وحده:

[المتقارب]

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا^(٣) بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِداً
تَمَنِّيْتُكُمْ مَائَتِي فَارِسٍ فَرَدَّكُمْ فَارِسٌ وَاجِداً
فَلَيْتَ لَنَا بِأَرْتِبَاطِ الْخَيْوِ لِي ضَانَّالَهَا حَالِبٌ قَاعِداً
وقد سمعنا قول بعضهم: «الحمق في الحاقة والمعلمين والغزاليين» قال: والحاقة أقل
وأسقط من أن يُقال لهم حمقى، وكذلك الغزالون، لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب
الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش، والحائك ليس عنده صواب جيد في فعال ولا مقال إلا أن
يجعل جودة الحياكة من هذا الباب، وليس هو من هذا في شيء.

وهذا باب آخر: ويقال: «فلان أحمق» فإذا قالوا: «مائق» فليس يريدون ذلك
المعنى بعينه. وكذلك إذا قالوا: «أنوك» وكذلك إذا قالوا: «رقيق» ويقولون: فلان «سليم

(١) الفدَّاد: الشديد الصوت.

(٢) جاء في نسخة أخرى «صر» بالصاد بدلاً من «سر» بالسین. والرواية الأولى أصح.

(٣) نأيتها: بعدها.

الصدر» ثم يقولون: «غبي»^(١) ثم يقولون: «أبله» وكذلك إذا قالوا: «معتوه ومسلوس» وأشباه ذلك.

قال أبو عبيدة: يقال للفارس: «شجاع» فإذا تقدم ذلك قيل: «بطل» فإذا تقدم شيئاً قيل: «بَهْمَة» فإذا صار إلى الغاية قيل: «أليس» قال العجاج:

[الرجز]

أَلَيْسَ عَنْ حَوْبَائِهِ^(٢) سَخِيٌّ

وهذا المأخذ يجري في الصفات^(٣) كلها: من جود وبخل، وصلاح وفساد ونقصان ورجحان. وما زلت أسمع هذا القول في المعلمين، والمعلمون عندي على ضربين: منهم رجال أرتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ومحمد بن المستنير الذي يقال له: قُطْرَب، وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى، ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم. فإن ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة فما هم في ذلك إلا كغيرهم. وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء، مثل كميث بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء بن أبي رباح^(٤)، ومثل عبد الكريم بن أبي أمية وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم. ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم^(٥) أبو معبد الجهنني وعامر الشعبي^(٦) فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وكان معبد يعلم سعيداً، ومنهم أبو سعيد المؤدب - وهو غير أبي سعيد المعلم - وكان يحدث عن هشام بن عروة^(٧) وغيرهم، ومنهم عبد الصمد بن عبد الأعلى. وكان معلم

(١) جاء في نسخة أخرى «عيي» بالعين. والصواب ما ورد هنا «غبي» بالغين.

(٢) الحوباء: النفس. وقد ورد في نسخة أخرى «حوباته» بالتاء، وهي جمع حوبة بفتح الحاء، والمعنى الحاجة والزوجة والحال، وإذا ضمت الحاء تعني ما يعيله رب الأسرة.

(٣) جاء في نسخة أخرى «الطبقات» بدلاً من «الصفات».

(٤) هو: عطاء بن أسلم بن صفوان: من أجلاء التابعين الفقهاء. كان عبداً أسود. ولد في جند باليمن سنة ٢٧ هـ = ٦٤٧، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ = ٧٣٢ م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣١٨/١.

(٥) هو: الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم: مفسر، كان يؤدب الأطفال، وكان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. له كتاب في التفسير. توفي في خراسان سنة ١٠٥ هـ = نحو ٧٢٣ م. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال: ٤٧١/١.

(٦) هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية من التابعين: ولد في الكوفة سنة ١٩ هـ = ٦٤٠ م، وتوفي فجأة فيها سنة ١٠٣ هـ = ٧٢١ م. وهو من رجال الحديث الثقة، وكان فقيهاً شاعراً. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٤٤/١، تاريخ بغداد: ٢٢٧/١٢.

(٧) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر: تابعي، من أئمة الحديث ولد =

ولد عتبة بن أبي سفيان، وكان إسماعيل بن علي ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفع ليعلمه، وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلماً، ومنهم محمد بن السكن. وما كان عندنا بالبصرة رجلاً أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بياناً من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا. وقد قال الناس في أبي البيداء وفي أبي عبد الله الكاتب وفي الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف.

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول: «قالوا أحق الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل» قال: وكتب الحجاج إلى المهلب يُعجله في حرب الأزارقة ويُسمعه^(١)، فكتب إليه المهلب: «إن البلاء كلُّ البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه، دون من يُبصره».

باب آخر

قال بعض الربانيين^(٢) من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء، ممن يكره التشادق والتعمق، ويَغضُ الإغراق في القول والتكلف والاجتلاب^(٣)، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول، وما يعرض للسامع من الأفتتان بما يسمع، والذي للمعاني والخلاصة وحسن المنطق، قال في بعض مواعظه: أنذركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ومنحه المتكلم قولاً متعشقا صار في قلبك أحلى ولصدرك أملاً، والمعاني إذا كُست أَلْفَافُ الكريمة وألبست أَلُوصَافُ الرفيعة تحوّلت في أَلْيُونِ عن مقادير صورها وأرَبَتْ على حقائق أقدارها، بقدر ما زُيِّنَتْ وعلى حسب ما زُخِرَتْ، فقد صارت الألفاظ في معنى المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري، والقلب ضعيف، وسلطان الهوى قوي، ومدخل خدع الشيطان خفي. فأذكرُ هذا الباب ولا تنسَهُ وتأمَلْهُ ولا تُفَرِّطْ فيه، فإن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - لم يقل للأحنف - بعد أن أحتبسه خوفاً مجزماً^(٤) - ليستكثر منه وليبالغ في تصفح حاله والتنقيير عن شأنه: «إن رسول الله ﷺ قد كان خوفاً كل منافق عليم، وقد خفت أن تكون منهم» إلا لِمَا كان راعه من حسن منطقته، ومال إليه، لِمَا رأى من رفقه وقلة تكلفه. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لِسِحْرٌ» وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن: «هذا واللّه السحر الحلال» وقال رسول الله ﷺ: «لا خَلَابَةَ» فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقي والوحشي

= في المدينة سنة ٦١ هـ = ٦٨٠ م وفد على المنصور العباسي، فكان من خاصته، وتوفي في بغداد سنة ١٤٦ هـ = ٧٦٣ م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٩٤/٢، تاريخ بغداد: ٤٧/١٤.

(١) يسمعه قارص الكلام. (٢) الربانيون: الراسخون بالعلم.

(٣) الاجتلاب: الاستعانة بمعاني وأفكار سواء لفقره في معانيه.

(٤) مجزماً: تاماً، كاملاً.

ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصار^(١) بلاغ وفي التوسط مجانية للوعورة والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه. وقد قال الشاعر:

[الطويل]

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولاً وَلَا صَعْباً
وقال الآخر:

[الرجز]

لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطاً لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطاً
وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعاً وَسَطاً

وليكن كلامك بين المقصر والغالي، فإنك تسلم من الهُجْنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان. وقال أعرابي للحسن: «علمني ديناً وسطاً، لا ذاهباً شطوطاً ولا هابطاً هبوطاً» فقال الحسن: «لئن قلت ذاك، إن خير الأمور أوسطها» وجاء في الحديث «خالطوا الناس وزايلوهم»^(٢) وقال عبد الله بن مسعود في خطبته: «وخير الأمور أوسطها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، نفس تُنجيها خير من إمارة لا تُحصيها» وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: «كن في الدنيا وسطاً وأمش جانباً»^(٣) وكانوا يقولون: «إكره الغلو كما تكره التقصير». وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لأصحابه: «قولوا بقولكم ولا يستحذن عليكم الشيطان». وكان يقول: «وهل يُكبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم».

(١) جاء في نسخة أخرى «الاقتصاد» بالدال بدلاً من «الاقتصار» بالراء.

(٢) زايلوهم: فارقوهم واجتنبوهم.

(٣) وردت هذه الفقرة في نسخة أخرى على النحو التالي: وقال علي بن أبي طالب رحمه الله: «كف في الناس وسطاً وأمش جانباً».

باب من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبي هريرة النحوي: «أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه» قال: «كفى بترك العلم إضاعة». وسمع الأحنف رجلاً يقول: «التعلم في الصغر كالنقش في الحجر» فقال الأحنف: «الكبير أكبر الناس عقلاً ولكنه أشغل قلباً» وقال أبو الدرداء^(١): «مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالهمكم لا يتعلمون؟!» وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» قال: ولذلك قال عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنه -، حين ذُلِّي زيد بن ثابت في القبر: «من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فليُنظر، فهكذا ذهابه» وقال بعض الشعراء لبعض العلماء:

[المنسرح]

أَبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ أَنْتَهَى بِكَ الْقَدْرُ
لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرُ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْخَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَّةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوٍ وَدَّهِ كَدْرُ
هَهَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفُ نَى الْعِلْمُ مِنْهُ وَيَذْرُسُ الْأَثَرُ

قال: وقال قتادة: «لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى - عليه السلام - إذ قال للعبد الصالح: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾^(٢). أبو العباس التميمي قال: طاووس: «الكلمة الصالحة صدقة» وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة» وقال الخليل: «تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ» وقال الفضيل: «نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه». وكان يقال: «إجعل ما في الكتب بيت مال وما في قلبك للنفقة» وكان يُقال: «يكتب الرجل أحسن ما سمع، ويحفظ أحسن ما كتب» وقال أعرابي: «حرف في

(١) هو: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة. ولي قضاة دمشق من قبل معاوية. وهو أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ. توفي بالشام سنة ٣٢هـ = ٦٥٢م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٦١١٩، الاستيعاب، بهامشها ١٥/٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٧.

قلبك خير من عشرة في طومارك»^(١) وقال عمر بن عبد العزيز: «ما قرُن شيء بشيء أفضل من علم إلى حلم ومن عفو إلى قدرة» وكان ميمون بن سيابة إذا جلس إلى قوم قال: «إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتحمل بها» قال: وفخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية: «أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني» قال: وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدّموا إليه رجلاً ليضرب عنقه، قال: «والله لئن كنا أسانا في الذنب فما أحسنت في العفو» فقال الحجاج: «أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يُحسن مثل هذا» وأمسك عن القتل. وقال بشر الرحال^(٢): «إني لأجد في قلبي حراً لا يذهب إلا ببرد العدل أو حرّ السنّان» قال: وقدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك ليضرب عنقه - ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم، وهو يبكي - فهم عبد الملك بالمعلم فقال: «دعه يبكي فإنه أفتح بحرمة وأصح لبصره وأذهب لصوته» فقال له عبد الملك: «أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟» قال: «ما ينبغي للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء». فأمر بتخلية سبيله. وقال إبراهيم بن أدهم^(٣): «أعربنا في كلامنا فما نلحن حرفاً ولحنّا في أعمالنا فما نُعرب حرفاً» وأنشد:

[الطويل]

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيْقِ دِينِنَا فَلَا دَيْنُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ
قال: وقال زياد على المنبر: «إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنب عنز مصوّر لو بلغت إمامه سفك بها دمه» قال: وعزل عمر زياداً عن كتابة أبي موسى في بعض قدماته، فقال له زياد: «أعن عجز أم عن خيانة؟» قال: «لا عن واحدة منهما، ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك». قال: وبلغ الحجاج موت أسماء بن خارجة فقال: «هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ومات حين شاء؟» قال: وكان يقال: «كدر الجماعة خير من صفو الفرقة» قال أبو الحسن: مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المتوفى، وقد كان سَفَهَ عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال: «يا هناة إنا لم نجد لك إذ عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك». وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - حين قال عمر: «إني والله لا أدع حقاً لله لشكايه تظهر، ولا لغضب يُحتمل، ولا لمحاباة بشر. وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه». قال: وكتب عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - إلى سعد بن أبي وقاص: «يا سعدُ سعد بني وهيب^(٤)، إن الله إذا أحب عبداً حبّبه إلى خلقه،

(١) الطومار: الصحيفة.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الرجال» بالجيم بدلاً من «الرحال» بالحاء.

(٣) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور اشتهر بالزهد. جال في بلاد العراق والشام والحجاز، فأخذ عن علماء أهلها. كان ينطق بالفصحى ولا يلحن. مات نحو سنة ١٦١ هـ = نحو ٧٧٨ م. انظر ترجمته في: البداية والنهاية: ١٠/١٣٥، حلية الأولياء: ٣٦٧/٧.

(٤) جاء في نسخة أخرى «أهيب» بالهمز بدلاً من «وهيب» بالواو.

فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، وأَعْلَمَ أن مالك عند الله مثل الذي الله عندك». قال: ومات لعمر بن ذرّ ابن، فقال: «أي بُني، شغلني الحزن لك عن الحزن عليك». قال: وقال رجل من مُجاشع: كان الحسن يخطب في دم فينا فخطب فأجابه رجل فقال: «قد تركت الله ولوجوهكم» فقال الحسن: «لا تقل هكذا، بل قل لله ثم لوجوهكم، وأجرك الله». قال: ومروا رجل بأبي بكر - رضي الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال: «أتبيع الثوب؟» فقال: «لا، عفاك الله». فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -: «لقد عُلِّمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله». وسأل عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - رجلاً عن شيء فقال: «الله أعلم» فقال عمر: «لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم، إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أعلم لي». قال: وكان أبو الدرداء يقول: «أبغض الناس إليّ أن أظلمه من لا يستعين عليّ بأحد إلا بالله». وذكر ابن ذرّ الدنيا فقال: «كانكم إنما زادكم في حرصكم عليها ذمُّ الله عزَّ وجلَّ لها». ونظر أعرابي إلى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال: «يُنْعَة^(١)، ولكل يُنْعَة استحشاف»^(٢) فباع ما هنالك من ماله ثم لزم ثغراً من ثغور المسلمين حتى مات فيه^(٣). قال: وتمتّى قوم عند يزيد الرقاشي فقال: «أتمنّى كما تمّنيتم» قالوا: «تمنه» قال: «ليتنا لم نخلق، وليتنا إذ خُلِقنا لم نعص، وليتنا إذ عصينا لم نموت، وليتنا إذ مِتْنَا لم نُبعث، وليتنا إذ بُعِثْنَا لم نُحاسِب، وليتنا للآخرة كفانا أمر الدنيا، فرفع عنا الهمَّ بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح، أوليته إذ وقَعْنَا في هذه الدار كفانا أمر الآخرة، فرفع عنا الاهتمام بما يُنجي من عذابه». فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن أو علي بن الحسين فقال: «ما علما شيئاً في التمني، ما اختار الله فهو خير». قال أبو الدرداء: «من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصى إلا فيها، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها» قال شريح: «الحِدة كناية عن الجهل» وقال أبو عبيدة: «العارضة»^(٤) كناية عن البذاءة^(٥) قال: «وإذا قالوا: فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل: مستقص، فهو كناية عن الجور». وقال حبيب^(٦) بن أوس الشاعر أبو تمام الطائي^(٧):

[البسيط]

كَذَبْتُمْ لَيْسَ يُزْهَى^(٨) مَنْ لَهُ حَسَبٌ وَمَنْ لَهُ نَسَبٌ عَمَّنْ لَهُ أَدَبٌ

(١) النُّعَة: نوع من خير الشجر.

(٢) الاستحشاف: اليبس والتقبض.

(٣) جاء في نسخة أخرى «ثم يمّم ثغر آمن ثغور المسلمين، فلم يزل به حتى أتاه الموت» بدلاً من «ثم لزم ثغراً من ثغور المسلمين حتى مات فيه».

(٤) العارضة: القدرة على الكلام.

(٥) البذاء: سلاطة اللسان والفحش.

(٦) حبيب بن أوس لا توجد في نسخة أخرى وإنما اكتفى بـ «وقال الشاعر، أبو تمام الطائي».

(٧) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨هـ = ٨٠٤م رحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل حيث توفي سنة ٢٣١هـ = ٨٤٦م من كتبه: «فحول الشعراء»، و «ديوان

الحماسة» انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٢٤٨/٨، وفيات الأعيان: ١/١٢١.

(٨) يزهى: يتكبر ويثنيه.

إِنِّي لَذُو عَجَبٍ مِنْكُمْ أَرَدُّهُ فَيْكُمْ وَفِي عَجَبِي مِنْ زَهُوِكُمْ عَجَبٌ لَجَاجَةٌ بِي^(١) فَيْكُمْ لَيْسَ يُشْبِهُهَا إِلَّا لَجَاجَتُكُمْ فِي أَنْكُمْ عَرَبٌ

وقيل لأعرابية مات ابنها: «ما أحسنَ عزاءكِ عن ابنك!» قالت: «إن مصيبتني آمننتني من المصائب بعده». قال: وقال سعيد بن عثمان بن عفانَ لِطُوَيْسِ المغني! «أينا أسن أنا أو أنت يا طويس؟» فقال: «بأبي أنت وأمي لقد شهدت زفاف أملك المباركة إلى أهلك الطيب». فَأَنْظُرْ إلى حذقي وإلى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل: بزفاف أملك الطيبة إلى أهلك المبارك. وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى. قال: وقال رجل من أهل الشام: «كنت في حلقة أبي مُسَهَّرٍ في مسجد دمشق، فذكرنا الكلام وبراعته والصمت ونبالته، قال: كلا إن النجم ليس كالقمر، إنك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت». وقال الهيثم بن صالح لابنه، وكان خطيباً: «يا بُنَيَّ، إذا أَقَلَلْتَ مِنَ الكلام أَكْثَرْتَ مِنَ الصواب، وإذا أَكْثَرْتَ مِنَ الكلام أَقَلَلْتَ مِنَ الصواب». قال: «يا أبة، فإن أنا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْتُ؟» يعني كلاماً وصواباً، قال: «يا بني ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك». قال: وقال ابن عباس: «لولا الوسواسُ ما بليت أن لا أكلم الناس». قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «ما تستبقوا من الدنيا تجدوه في الآخرة». وقال رجل للحسن: «أنى أكره الموت». قال: «ذلك أنك أخرجت مالك، ولو قدمته لسرك أن تلحق به». قال: وقال عامر بن الظرب العدواني: «الرأي نائم والهوى يقطان، فمن هنا يغلب الهوى الرأي». وقال: «مكتوب في الحكمة: أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكر لك». وقال بعضهم وهو أبو الدرداء: «أيها الناس، لا يمتنعنكم سوء ما تعلمون ممّا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون ممّا». وقال عبد الملك على المنبر: «ألا تنصفوننا يا معشر الرعية، تريدون ممّا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبي بكر وعمر. نسأل الله أن يُعِينَ كلاً على كل». قال: وقال رجل من العرب: «أربع لا يشبعن من أربع: أثنى من ذكر، وعين من نظر، وأرض من مطر، وأذن من خبر» قال: وقال موسى عليه السلام لأهله: ﴿أَمْكُتُوا إِنِّي ءَافِسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾^(٢) فقال: قال بعض المعترضين: فقد قال: ﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾^(٣) قال أبو عقيل: لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن الجائع الموقرور. وقال لبيد بن ربيعة^(٤):

[الرمل]

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَجَّتُهُ بِبَيَانٍ وَلِسَانٍ وَجَدَلُ

(١) جاء في نسخة أخرى «لي» باللام بدلاً من «بي» بالباء.

(٢) سورة النمل، الآية: ٧، وسورة القصص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ٧. هو: أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ فأسلم وترك قول الشعر. وهو أحد شعراء المعلقات. توفي سنة ٤١هـ = ٦٦١م. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادى: ١/ ٣٣٧ - ٣٣٩، الشعر والشعراء (٢٣١ - ٣٤٣).

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ
وَلَدَى النُّعْمَانِ مِنِّي مَوْطِنُ
إِذْ دَعَتْنِي عَامِرٌ أَنْصُرَهَا
فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقًا^(٥) صَائِبًا
وَأَنْتَضَلْنَا^(٨) وَأَبْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ
وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ
وقال^(٩):

[الطويل]

وَأَيُّضَ يَجْتَابُ^(١٠) الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى^(١١)
يجتاب: يفتعل من الجوب. وهو أن يجوب البلاد، أي يدخل فيها ويقطعها.
والخروق: جمع خرق، والخرق: الفلاة الواسعة. والوجى: الحفا. مقصور كما ترى.
وأنه ليتوجى في مشيته، وهو وج. وقال رؤبة:

به الرذايا من وج ومسقط

وقال لبيد:

[الكامل]

لَوْ كَانَ حَيٌّ فِي الْحَيَاةِ مُخْلَدًا
وَالْحَارِثَانِ كِلَاهِمَا وَمَحْرَقُ
فَدَعِيَ الْمَلَامَةَ وَيَبْ غَيْرَكَ أَنَّهُ
بِكُتَائِبِ خُرْسٍ تَعَوَّدَ كَبْشُهَا
وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَأَبْتَلَيْتُ خَلِيقَتِي
وقد قال أيضاً لبيد:

[الكامل]

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً^(١٢) وَخِيَانَةً
وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

(١) فاثور: اسم موضع في نجد.

(٣) الدحل: اسم موضع ماء بنجد.

(٥) الرشق: الرمي بكل السهام.

(٧) المقتئل: النبل الذي لم يبر برياً جيداً.

(٨) جاء في نسخة أخرى «فانتضلنا» بالفاء في أولها بدلاً من «وانتضلنا» بالواو.

(٩) جاء في نسخة أخرى «وقال لبيد أيضاً» بدلاً من «وقال».

(١٠) يجتاب: يقطع.

(١٢) مغالة: مهلكة.

(٢) أفاق: اسم موضع في بلاد بني يربوع.

(٤) الدول: المتداول.

(٦) العُصل: المعوجة.

(١١) الوجى: الحفا، مما يؤدي إلى رقة القدم أو الحافر.

ذكر ما جاء في الشغب من شعر:

وقال زيد بن جندب^(١) في ذكر الشغب:

[البسيط]

ما كانَ أَغْنَى رَجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمْ
عَنِ الْجَدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الشَّغَبِ
وقال آخر في الشغب:

[الرجز]

إِنِّي إِذَا عَاقَبْتُ ذُو عِقَابٍ
وَإِنْ تُشَاغِبُنِي فَذُو شِغَابٍ
وقال أحمر بن العمرّد^(٢):

[الطويل]

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ تِيْحَانٍ^(٣) سَمَيْدَعٍ
مُصَافِي النَّدَى سَاقٍ بِسَهْمَاءٍ مُطْعِمٍ
التِيْحَان: الذي يعرض في كل شيء ليغني فيه والسميدع: الكريم. والندى: السخاء. والبهماء: الأرض التي لا يهتدى فيها لطريق.

طَوِي^(٤) الْبَطْنِ مِثْلَافٍ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا
عَلَى الْأَمْرِ غَوَاصٍ وَفِي الْحَيِّ شَيْظَمٍ^(٥)
وقال:

[الكامل]

هَلْ لَامَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفٍ سَائِلٍ
أَوْ فِي مَخَاصِمَةِ اللَّجُوجِ الْأُضِيدِ
وقال في التطبيق:

[الوافر]

فَلَمَّا أَنْ بَدَأَ الْقَعْقَاعُ^(٦) لَجَّتْ
تَعَاوَزْنَ الْحَدِيثَ وَطَبَّقْتُهُ
وهذا التطبيق غير التطبيق الأول. وقال آخر:

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي
بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدْبِيرِ الْأَمْرِ

[الكامل]

يعني إدبار الأمر.

فصل الصمت:

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة، قال لقمان لابنه: «يا بُنَيَّ، إني قد

(١) هو: زيد بن جندب الإيادي الأزرقى: خطيب الأزارقة وأحد شعرائهم. انظر ترجمته في: الأعلام ٥٧/٣.

(٢) هو: أبو الخطاب، عمرو بن أحمر بن العمرّد بن عامر الباهلي: شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاماً، كان من شعراء الجاهلية، وأسلم، له مدائح في عمر وعثمان وعلي وخالد، ولم يلق أبا بكر - رضي الله تعالى عنهم - توفي نحو سنة ٦٥هـ = نحو ٦٨٥م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٦٤٦٨، الأغاني طبعة الدار ٢٣٤/٨. وجاء في نسخة أخرى «وقال ابن أحمر بن العمرّد.

(٣) جاء في نسخة أخرى «تيجان» بالجميم بدلاً من «تيحان» بالحاء.

(٤) طوي البطن: خالي البطن، خاو، جائع. (٥) الشيزم: الطلق الوجه، الهش.

(٦) القعقاع: الطريق. (٧) الشرك: الطرق الخافية.

ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت» وقال الشاعر:

[الكامل]

ما إن نَدِمْتُ على سَكُوتِي مرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ على الْكَلَامِ مَرَاراً
وقال آخر:

[مجزوء الرمل]

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرامٍ وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلامٍ
مُتَّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مِنْ الْجَمِّ فَاهُ بِلِجامٍ

وقال آخر في التحذير والاحتباس^(١):

[الخفيف]

إخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ وَالتَفَتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وقال في مثل ذلك:

[البيط]

لا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ ما فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مَتَى سَيَكْفِينِي
وقال حمزة بن بيض^(٢):

[الخفيف]

لَمْ يَكُنْ عَنْ جِنَايَةٍ لِحِقَّتْنِي لا يَسَارِي ولا يَمِينِي جَنْتْنِي
بَلْ جَنَاهَا أَعْ عَلِيَّ كَرِيمٌ وَعَلَى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تَجْنِي

لأن هذه الكلبة - وهي براقش - إنما نبحت غزياً وقد مرّوا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مخففين، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فأستباحوهم، ولو سكنت كانوا قد سلموا. فضرب ابن بيض بها المثل. وقال الأخطل:

[الطويل]

تَنْقُ بِلا شيءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ وما خَلَّتْهَا كَانَتْ تَرِيشُ ولا تَبْرِي
ضَفَادُعُ فِي ظُلُمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَذَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ النَّهْرِ^(٣)

النقيق: صياح الضفادع. وقالوا: «الصمت حكّم وقليل فاعله» وقالوا: «استكثر من الهيبة صامت» وقيل لرجل من كلب، طويل الصمت: «بحق ما سمتكم العلماء خُرس العرب» فقال: «أسكت فأسلم وأسمع فأعلم» وكانوا يقولون: «لا تعدلوا بالسلامة شيئاً».

(١) جاء في نسخة أخرى «وقال الآخر في الاحتباس والتحذير» بدلاً من «وقال آخر في التحذير والاحتباس».

(٢) هو: حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي، من بني بكر بن وائل: شاعر مجيد، كوفي كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده. مات سنة ١١٦ هـ = ٧٣٤ م. انظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ١٤٦/٤ - ١٥٠.

(٣) جاء في نسخة أخرى «البحر» بدلاً من «النهر».

ولا تسمع الناس يقولون: جُلِدَ فلانٌ حين صمت، ولا قُتِلَ حين سكت. وتسمعهم يقولون: جُلِدَ فلانٌ حين قال: كذا وكذا، وقُتِلَ حين قال: كذا وكذا. وفي الحديث المأثور: «رحم الله من سكت فسَلِمَ، أو قال خيراً فَعَنِمَ» والسلامة فوق الغنيمة لأن السلامة أصل والغنيمة فرع. وقال النبي ﷺ: «إن الله يبغيض ألبليغ الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل ألباقرة بلسانها» وقيل: «إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب». وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين: إنما عاب النبي ﷺ المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه كما تتخلل ألباقرة بلسانها، والأعرابي المتشادق، وهو الذي يصنع بفكيه وشدقيه ما لا يَسْتَجِيزُهُ أهل الأدب من خطباء أهل المَدَر، فمن تكلف ذلك منهم فهو أعيبُ والذم له ألزم. وقد كان الرجل من العرب يقف الموقفَ فيُرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعاً يتمثلون بها إلا لِمَا فيها من المرفق والانتفاع، ومدار العلم على الشاهد والمثل.

وإنما حثوا على الصمت لأن العامة إلى معرفة خطأ القول أسرعُ منهم إلى معرفة خطأ الصمت. ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى القائل في قوله، وإلا فالسكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل.

ولعمري، إن الناس إلى الكلام لأَسْرَعُ، لأن في أصل التركيب أن الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك العمل والسكوت عن جميع القول. وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت. وقد قال الله عز وجل: ﴿سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلْسُّحْرِ﴾^(١) فجعل سمعه وكذبه سواء وقال الشاعر:

[البسيط]

بَنِي عَدِيٍّ أَلَا يُنْهَى^(٢) سَفِيهُكُمْ إِنَّ السَّفِيَّ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورٌ
وقال الآخر:

[الطويل]

فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَّهُ عَنُكُمَا ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِي
وكيف يكون الصمت أنفع وأليئار له أفضل؟، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه، ونفع الكلام يعم ويخص. وألرواة لم يزواوا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين. وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت. ومواضع الصمت المحمود قليلة، ومواضع الكلام المحمود كثيرة. وطول الصمت. يُفسد البيان. وقال بكر بن عبد الله المزني:

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٢) جاء في نسخة أخرى «أنهوا» بالجمع بدلاً من «ينهى» للمجهول.

«طول الصمت حُبْسَة» كما قال عمر: «ترك الحَرَكَة عقله» وإذا ترك الإنسان أَلْقُول ماتت خواطِرُه وتبلدت نَفْسُه وفسد حُسُّه. وكانوا يروون صبيانهم الأَرْجَاز، ويعلمونهم المناقِلات، ويأمرُونهم برفع الصَّوت، وتحقيق الإعراب. لأن ذلك يفتَقُّ أَلْهات، ويفتح الجَرم. وأللسان إذا أكثرَت تحريكه رَقٌّ وَلَانٌ، وإذا أقللت تقلبيه وأطلت إسكاته جَساً وغلُظ. وقال عبادة الجعفي: «لولا الدربةُ وسوءُ العادة لأمرت فتياننا أن يُماريَ بعضهم بعضاً». وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الأعمال أصابها من ألتعقد على حسب ذلك أَلْمَنع. فليَم قال رسول الله ﷺ للنايعة الجعدي^(١): «لا يفضض الله فاك» وليَم قال لكعب بن مالك: «ما نسي الله لك مقالك ذلك» وليَم قال لهيذان بن شيخ: «رُبَّ خطيب من عبس» وليَم قال لحسان لَمَّا هَيَّجَ أَلْغَطَارِيفَ على بني عبد مناف: «والله لشعرك أشدُّ عليهم من وقع أَلْسَهم في غبش الظلام» وما نشك أنه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن أَلْمراء وعن أَلْتزيد وأَلْتكلف وعن كل ما ضارِع أَلْرياء أو أَلْسُمعة والنفج والبذخ وعن أَلْتهاثر وأَلْتشاغب وعن أَلْمغالبة والمماتنة. قال: فأما نفس البيان فكيف ينهى عنه؟ وأبين الكلام كلام الله وهو الذي مدح التبيين وأهل التفضيل. وفي هذا كفاية إن شاء الله.

وقال دِغفل بن حَنْظَلَة^(٢): إن للعلم أربعاً: آفة ونكد وإضاعة ومستجاعة. فأفته النسيان، ونكده أَلْكَذب، وإضاعته وضعه في غير موضعه، وأستجاعته أنك تشبع منه. وإنما عاب أَلأستجاعة لسوء تدبير أكثر أَلْعلماء ولخرق سياسة أكثر أَلرواة، لأن الرواة إذا شغلوا عقولهم بالأزدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه، وتدبر ما قد دونوه، كان ذلك أَلأزدياد داعياً إلى النقصان وذلك الربح سبباً للخسران. وقد جاء في الحديث: «منهم من لا يشبعان: منهم في أَلْعلم ومنهم في أَلْمال» وقالوا: «عَلَمَ علمك وتعلم علم غيرك، فإذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت» وقال الخليل بن أحمد: «إجعل تعليمك دراسة لعلمك، وأجعل مناظرة أَلمتعلم تنبيهاً لك على ما ليس عندك» وقال بعضهم وأظنه بكر بن عبد الله المزني: «لا تكدوا هذه القلوب ولا تُهمَلوها، فخير الكلام ما كان عقب أَلْجَمَام^(٣)، ومن أكره بصره عشى. وعاودوا أَلْفكر عند نبوات أَلْقلوب، وأشحدوها

(١) هو: أبو ليلى، قيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري، شاعر، صحابي من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمي «بالنايعة» وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر. شهد صفين مع علي. مات وقد جاوز المائة نحو سنة ٥٠هـ = نحو سنة ٦٧٠م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء: ١٠٣، معجم الشعراء للمزباني: ١٩١.

(٢) هو: دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني: نسبة العرب. مات غرقاً سنة ٦٥هـ - ٦٩٥م. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣٢٨/١. والمجبر لابن حبيب: ٤٧٨.

(٣) الجمام: الراحة.

بالمذاكرة، ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا أمُتحتُم ببعض الاستغلاق، فإن من أدام قرع الباب وَلَجَ». وقال الشاعر:

[الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ أَعَيْتُهُ الْمَرْوَةُ^(١) نَاشِئاً فَمَطْلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ

وقال الأحنف: «السؤدد مع السواد»^(٢) وتقول الحكماء: «من لم ينطق بالحكمة قبل

الأربعين لم يبلغ فيها» وأنشد:

[الطويل]

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لَهَا مَضَعْدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ

وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ إِذَا مَا أَنْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزْلٌ

وقال الهذلي:

[الوافر]

وَإِنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمُ لَهَا صَعْدَاءَ مَطْلَبُهَا طَوِيلُ

أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تَعْنَى وَكَيْفَ يَسُودُ ذُو الدَّعَةِ الْبَخِيلُ

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: «ما

رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض، إلا ما كان من الحجاج وإياس بن معاوية

فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس». أبو الحسن قال: سمعت أبا الصغرى^(٣)

الحارثي يقول: «كان الحجاج أحمق، بنى مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم: لا

تدخلوها. فلما مات دلفوا إليها من قريب» سمعت قحطبة الجشمي يقول: «كان أهل

البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن

سالم» وقال معاوية لعمر بن العاص: «إن أهل العراق قد قروا بك رجلاً طويلاً لسان

قصير الرأي، فأجد الحزَّ وطبق المِفْصل، وإياك أن تلقاه برأيك كله».

(١) جاء في نسخة أخرى «السيادة» بدلاً من المروءة.

(٢) يقصد بذلك مرحلة الشباب حيث يكلل الرأس الشعر الأسود.

(٣) جاء في نسخة أخرى «الصفدي» بدلاً من «الصغرى».

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول

قال الشاعر :

[الطويل]

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطَقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْوُ

وقال ابن أحرر :

[الكامل]

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْوُ

وقال الآخر :

[الطويل]

حَدِيثٌ كَطَعِمِ الشَّهْدِ حُلُوٌّ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ الْخُطْبَانُ^(١) دُونَ الْمَحَارِمِ

وقال بشار :

[الكامل]

أَنْسُ غَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرِيبَةٍ كَظَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ يُحْسِبُنَ مِنْ أَنْسِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ

وقال بشار :

[الخفيف]

فَنَعِمْنَا وَالْعَيْنُ حَيٌّ كُمَيْتٌ^(٢) بِحَدِيثٍ كَنَشْوَةِ الْخُنْدَرِيسِ^(٣)

وقال بشار :

[مجزوء الكامل]

وَكَأَنَّ رَفُضَ حَدِيثِهَا^(٤) قَطَعَ الرِّيَاضَ كُسَيْنَ زَهْرًا وَتَخَالَ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا

وقال بشار العقيلي :

[الخفيف]

وَفَتَاةٍ صُبَّ الْجَمَالُ عَلَيْهَا بِحَدِيثٍ كَلَذَةِ النَّشْوَانِ

(١) الخطبان: نبت شديدة المرارة.

(٢) كميته: حمراء قانية.

(٣) الخندريس: الخمرة.

(٤) قد يكون مستعاراً من رفض اللبن والماء وهو القليل منه.

وقال بشار :

[الطويل]

وَبِكْرٍ كَنُورِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَرُوقُ بِوَجْهِهِ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

وقال بشار :

[الخفيف]

وَحَدِيثٍ كَأَنَّهُ قَطْعُ الرُّو ضٍ وَفِيهِ الصَّفَرَاءُ وَالْحَمْرَاءُ

وقال الأخطل^(١) :

[الطويل]

فَأَسْرَيْنَ حَمْسًا ثُمَّ أَصْبَحَنَ غُدُوَّةً يُخَبِّرُنَ أَخْبَاراً أَلَدَّ مِنَ الْخَمْرِ

أخبرنا عامر بن صالح أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى امرأته وعنده إخوان له :

[الخفيف]

إِنَّ عِنْدِي أَبْقَاكَ رَبُّكَ ضَيْفًا وَاجِبًا حَقَّهُمْ كُهُولًا وَمُرْدًا
طَرَقُوا جَارَكَ الَّذِي كَانَ قَدَمًا لَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الضَّيْفِ بُدًّا
فَلَدِيهِ أَضْيَافُهُ قَدْ قَرَاهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَ تَمْرًا وَزُبْدًا
فَلِهَذَا جَرَى الْحَدِيثُ وَلَكِنْ قَدْ جَعَلْنَا بَعْضَ الْمَزَاحَةِ جَدًّا

وأنشد الهذلي :

[البيسط]

كُتُّوا الْأَحَادِيثَ عَنْ لَيْلَى إِذَا بَعْدَتْ إِنَّ الْأَحَادِيثَ عَنْ لَيْلَى لَتُلْهِينِي

وقال الهذلي في حلاوة الحديث :

[الطويل]

وَإِنَّ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدَّلِيْنَهُ جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَلْبَانُ عَوْدٍ مَطَافِلِ

العُودُ جمع عائد: وهي الناقة إذا وَضَعَتْ. فإذا مشى ولدها فهي مُرْشِح. فإذا تبعها فهي مُتْلِيَة لأنه يتلوها. وهي في هذا كله مُطْفِل. فإن كان أول ولد لها ولدته فهي بكر :

[الطويل]

مَطَافِيلُ أَبْكَارٍ حَدِيثٌ نَتَاجُهَا تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

ماء المفاصل فيه قولان: أحدهما أن المفاصل ما بين الجبلين واحدها مفصل، وإنما أراد صفا الماء لأنه ينحدر عن الجبال، ولا يمر بطين ولا تراب. ويقال: إنها مفاصل البعير، وذكروا أن فيها ماءً له صفاء وعدوبة.

وفي الكلام الموزون يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

[الخفيف]

إِلْزَمِ الصَّمْتَ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حُكْمًا وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَرْنُهُ

(١) جاء في نسخة أخرى «وأنشد للأخطل» بدلاً من «وقال الأخطل».

وقال أبو ذؤيب :

[الطويل]

وَسِرْبٌ يُطَلَّى بِالْعَجِيرِ كَأَنَّهُ دِمَاءٌ ظُبَاءٍ بِالنُّحُورِ ذَبِيحِ
بَذَلَتْ لَهُنَّ الْقَوْلَ إِنَّكَ وَاجِدٌ لِمَا شِئْتَ مِنْ حُلُوِّ الْكَلَامِ فَصِيحِ

السرب: الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء، بكسر السين، ويقال فلان آمن السرب بفتح السين وخلي السرب وواسع السرب أي المسالك والمذاهب، وإنما هو مثل مضروب للصدر والقلب، وعن الأصمعي فلان واسع السرب مكسور أي واسع الصدر بطيء التأنيب.

قال: وأنشد للحكم بن ریحان من بني عمرو بن كلاب:

[البيط]

يَا أَجْدَلَ النَّاسِ إِنْ جَادَلْتُهُ جَدَلًا وَأَكْثَرَ النَّاسِ إِنْ عَاتَبْتُهُ عِلَالًا
كَأَنَّمَا عَسَلُ رُجْعَانُ مَنْطِقِهَا إِنْ كَانَ رَجْعُ الْكَلَامِ يُشْبِهُ الْعَسَلَا

وقال القطامي:

[البيط]

وَفِي الْخُدُورِ عِمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصَيِّدُنَا مِنْ كُلِّ مُضْطَادٍ
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ تَيَقِّنُ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي
فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصَبِّنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَةِ الصَّادِي

ينبذن: يلقين. الغلة والغليل: العطش الشديد. والصادي: العطشان أيضاً، الاسم الصدى. وقال الأخطل:

[الكامل]

شُمْسٌ إِذَا خَطَلَ الْحَدِيثُ أَوَانِسُ يُرْقَبْنَ كُلُّ مُرْقَبٍ^(١) تَنْبَالُ

التنبال: القصير، والمجذر مثله. والشمس: النوافر.

أَنْفٌ كَأَنَّ حَدِيثَهُنَّ تَنَادُمٌ بِالْكَأْسِ كُلِّ عَقِيلَةٍ مَكْسَالُ

الأنف: جمع الأنفة وهي المنكرة للشيء غير راضية عنه. العقيلة: المصونة في أهلها، وعقيلة كل شيء: خيرته. والمكسال: ذات الكسل عن الحركة. وقال أبو العميثل^(٢):

[الطويل]

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ مِنْ غُفْرِ وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسَيَّ عَاشِرَةَ الْعَشْرِ

(١) جاء في نسخة أخرى «مجذر» بدلاً من «مرقب».

(٢) هو: عبد الله بن خليل بن سعد: مؤدب، من الشعراء الفضلاء: أصله من الري. نشأ في البادية، واتصل بالأمير طاهر بن الحسين فاستكتبه، فأقام معه في خراسان، ثم كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره إلى أن توفي سنة ٢٤٠هـ = ٨٥٤م. من كتبه: «معاني الشعر»، «ما اتفق لفظه واختلف معناه». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٦٢/١. وقد ذكر اسمه في نسخة أخرى.

وَأِنِّي وَإِيَّاهَا لَحَتَمْتُ مَبِيتُنَا جَمِيعاً وَمَسْرَانَا مُغِذُّ وَذَوْ قَتَرٍ
فَكَلَّمْتُهَا ثِنْتَيْنِ كَالثَّلَجِ مِنْهُمَا عَلَى اللَّوْحِ وَالْأُخْرَى أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ

تقول: ما يلقانا فلان إلا من غفر، أي بعد مدة. مسي أي وقت المساء. ويقال أغد السير إذا جد فيه وأسرع. واللوح بالفتح: العطش يقال: لاح الرجل يلوح لَوْحاً، والتاح يلتاح التياح إذا عطش، واللوح بالفتح أيضاً الذي يكتب فيه، واللوح بالضم: الهواء يقال: «لا أفعل ذلك لو نزوت في اللوح» أو حتى تنزو في اللوح. وأنشد:

[الطويل]

وَأِنَّا لَنُجْرِي بَيْنَنَا حِينَ نَلْتَقِي حَدِيثاً لَهُ وَشْيٌ كَوْشِي ^(١) الْمَطَارِفِ ^(٢)
حَدِيثٌ كَطَعِ الْقَطْرِ فِي الْمَحَلِّ يُسْتَفَى بِهِ مِنْ جَوَى فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ لَا طِفْ

وقال الشماخ بن ضرار التغلبي:

[الطويل]

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَنْبَأَ أَنَّهَا وَإِنْ لَمْ أَنْلَهَا أَيْمٌ لَمْ تُزَوِّجْ
وَكُنْتُ إِذَا لَاقَيْتُهَا كَانَ سِرُّنَا وَمَا بَيْنَنَا مِثْلَ الشَّوَاءِ الْمُلْهَوِّجِ ^(٣)

يريد أنهما من خوف الرقاء كانا على عجلة. والملهوج: المعجل الذي لم ينتظر به النضج. وقال جرّان العود ^(٤):

[الطويل]

فَنَلْنَا سِقَاطاً ^(٥) مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَبْكَارُ كَرَمٍ ^(٦) يُقَطَّفُ
حَدِيثاً لَوْ أَنَّ الْبَقْلَ يُولَى بِمِثْلِهِ زَهَا الْبَقْلُ وَأَخْضَرَ الْعِضَاءُ ^(٧) الْمُصَيَّفُ
وقال الكمي ^(٨):

[مجزوء الكامل]

وَحَدِيثُهُنَّ إِذَا التَّقَيْنَ تَهَائُفُ الْبَيْضِ الْعَرَائِرُ
فَإِذَا ضَحِكْنَ عَنِ الْعَذَابِ لَنَا الْمُسِفَاتِ الثَّوَاغِرُ
كَانَ التَّهَلُّلُ بِالتَّبَسُّمِ لَا الْفَهَاهَةُ بِالْقَرَاقِرُ

(١) جاء في نسخة أخرى «كحبر» بدلاً من «كوشي» والمحبر: الوشي.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو ثوب من الخز.

(٣) الملهوج: هو اللحم لم ينضجه الشوي.

(٤) هو: عامر بن الحارث النميري: شاعر وصاب. أدرك الإسلام. وسمع القرآن واقتبس منه. ومعنى

«جران العود»: مقدم عنق البعير المسن. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٧٥.

(٥) سقاط الحديث: التكلم شيئاً بعد شيء.

(٦) كرم بكر: أول إنتاج الثمر.

(٧) العضاء: العظيم من الشجر ذوات شوك.

(٨) جاء في نسخة أخرى اسمه كاملاً.

التهانف: تضاحك في هزاء. الغرائر: جمع غريرة، وهي المرأة القليلة الخبرة، الغمرة. والعذاب. يريد الثغر. والمسفات: اللثات التي قد أسفت بالكحل أو بالنور، وذلك أن تغرز بالإبرة ويذر عليها الكحل فيعلوها حوة. والتهلل يقال: تهلل وجهه، إذا أشرق وأسفر.

وقال الآخر:

[الطويل]

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَى مِنْ عُيُونِنَا دُمُوعٌ كَفَفْنَا عَرَبَهَا بِالأَصَابِعِ
وَنَلْنَا سِقَاطاً مِنْ حَدِيثِ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بِمَاءِ الْوَقَائِعِ^(١)

وقال الأشعب بن سمي^(٢):

[الرجز]

هَلْ تَعْرِفُ الْمَبْدَأَ إِلَى السَّنَامِ نَاطَ بِهِ سَوَاحِرُ الْكَلَامِ
كَلَامُهُنَّ بُرءُ ذِي السَّقَامِ^(٣)

وقال أراجز ووصف عيون الأطباء بالسحر وذكر قوسا صفراء فقال:

صَفْرَاءُ فَرْعٍ خَطْمُوهَا بِوَتَرٍ لَأَمْ مُمَرٌّ مِثْلُ حُلُقُومِ الثُّغَرِ
حَدَثَ ظُبَاتٍ أَسْهَمَ مِثْلِ الشَّرَرِ فَصَرَعَتْهُنَّ بِأَكْنَفِ الْحَفَرِ
حُورُ الْعَيُونِ بِإِبْلِيَّاتِ النَّظَرِ يَحْسَبُهَا النَّاطِرُ مِنْ وَخَشِ الْبَشَرِ

ويروى «البقر». اللام من كل شيء: الشديد. والممر: المحكم القتل، وجبل مري

مثله. النغر: البلب. والظبات: ظبة، وهي حدّ السيف والسنان وغيرهما.

(١) الوقائع: جمع وقعة، وهي نقرة الصخرة يجتمع فيه الماء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «وقال الأشعث بن سمي» بدلاً من «الأشعب بن سمي».

(٣) جاء في نسخة أخرى «كلامها يشفي من السقام» بدلاً من «كلامهن برء ذي السقام».

باب آخر من الأسجاع في الكلام

وقال آخر:

[الكامل]

وحديثها كالقَطْرِ يَسْمَعُهُ راعي سنین تَتَابَعَتْ جَدْباً
فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من طمع هيارباً
قال عمر بن ذر: «الله المستعان على السنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخلف».

ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال: «لا أعطي من يعصي الرحمن، ويُطيع الشيطان، ويقول البهتان». وفي الحديث المأثور: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيته، أو أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت» وقال النمر بن تولب^(١):
[الطويل]

أعاذل إن يُصبح صداي بقفرة بعيداً فأتي صاحبي وقريبي
تري أن ما أبقيت لم أك ربّه وأنّ الذي أنفقت كان نصيبي
الصدى: طائر يخرج من قبر^(٢) ألميت إذا بلي فينعي إليه ضعف وليه وعجزه عن طلب طائلته، وهذا كانت العرب تقول في الجاهلية، وهو هاهنا مستعار أي إن أصبحت أنا.

ووصف أعرابي رجلاً فقال: «صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر» الشبر: القامة. والنجر: الطباع. ووصف بعض الخطباء رجلاً فقال: «ما رأيت أضرب لمثل، ولا أركب لجمل، ولا أصعد في قلل منه». وقال: «سأل بعض الأمراء رسولاً قدم من جهة ألسند: كيف رأيتم البلاد؟» فقال: «ماؤها وشل^(٣)، وليصّها بطل، وتمرّها دقل^(٤). إن كثر الجند بها جاعوا، وإن قلّوا بها ضاعوا»

(١) هو: النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية. وفد على النبي ﷺ مسلماً. توفي نحو سنة ١٤هـ = نحو سنة ٦٣٥م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٨٨٠٤، الشعر والشعراء: ١٠٥.

(٢) جاء في نسخة أخرى «هامة»، وهي أصحّ ممّا جاء ها هنا «قبر».

(٣) الماء الوشل: بالتحريك: الماء القليل يتجلّب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتصل قطره.

(٤) الدقل من التمر: واحدته دقلة، وهو أردأ أنواعه.

وقيل لصعصعة بن معاوية: «من أين أقبلت؟» قال: «من الفج العميق» قال: «فأين تريد؟» قال: «البيت العتيق» قالوا: «هل من مطر؟» قال: «نعم حتى عفا الأثر. وأنضر الشجر. ودهده الحجر». وأستجار عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأة، فقال محمد: «كيف ترى نصيبين؟» قال: «كثيرة العقارب. قليلة الأقارب» يريد بقوله قليلة كقول القائل «فلان قليل الحياء». ليس يريد أن هنالك حياء وإن قل. يضعون قليلاً في موضع ليس. وَوَلِيَّ علاء الكلابي عملاً خسيماً بعد أن كان على عمل جسيم فقال: «العنوق بعد النوق»^(١) قال: ونظر رجل من العباد إلى باب بعض الملوك فقال: «باب جديد. وموت عتيد. ونزع شديد، وسفر بعيد». وقيل لبعض العرب: «أي شيء تمنى وأي شيء أحب إليك؟» قال: «لواء منشور، والجلوس على السرير. والسلام عليك أيها الأمير» وقيل لآخر، وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله: «أجزعت من الموت؟» فقال: «إن أجزع فقد أرى كفناً منشوراً. وسيفاً مشهوراً. وقبراً محفوراً». وقال عبد الملك بن مروان لأعرابي: «ما أطيب الطعام؟» قال: «بكرة»^(٢) سنمة^(٣). معتبطة غير ضمنة. في قدور رذمة. بشفار خذمة. في غداة شبة» فقال عبد الملك «وأبيك لقد أطيبت» معتبطة: منحورة من غير داء، يقال: اعتبط الإبل والغنم، إذا ذبحت من غير داء. ولهذا قيل للدم الخالص عبيط والعبيط: ما ذبح من غير علة. غير ضمنه: غير مريضة. رذمة: سائلة من امتلائها. بشفار خذمة: قاطعة. غداة شبة باردة. والشبم: البرد. وقالوا: «لا تغتر بمناصحة الأمير إذا غشك الوزير». وقالوا: «من صادق الكتاب أغنوه، ومن عاداهم أفقروه». وقالوا: «اجعل قول الكذاب ريحاً تكن مستريحاً».

وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: «لِمَ تؤثر السجع على المنثور وتُلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟» قال: «إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والأذان»^(٤) لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر ما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره». قالوا: فقد قيل للذي قال: «يا رسول الله، أرأيت من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهلّ، أليس مثل ذلك بطل؟» فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أسجع كسجع الجاهلية؟»! قال عبد الصمد: لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا

(١) العنوق: مفردة عناق، وهي الأنثى من المعز قبل تمام الحول، وهذا مثل يضرب لضيق العيش بعد سعة.

(٢) البكرة: الناقة الفتية. (٣) السنمة: الناقة العظيمة السنم.

(٤) جاء في نسخة أخرى «الأذهان» بدلاً من «الأذان».

الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالاً لحق فتشادق في كلامه. وقال غير عبد الصمد: وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأستحسنه وأمر به شعراءه، وعامة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قالوا شعراً قليلاً كان ذلك أم كثيراً، وسمعوا وأستنشدوا، فأسجع والمزدوج دون القصيد والرجز. فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل. وقال غيرهما: إذا لم يطل ذلك ولم تكن القوافي مطلوبة مجتلبة أو ملتزمة متكلفة، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء: «حلبت ركابي، وحرقت ثيابي، وضربت صحابي، ومنعت إبلي من الماء والكأ». لأنه لو قال: حلبت إبلي أو جمالي أو نوقي أو بعراي أو صرمتي لكان لم يعبر عن حق معناه، وإنما حلبت ركابه، فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب؟ وكذا قوله: وإذا طال وجدت في القوافي ما يكون مجتلباً ومطلوباً مستكرهاً. وفي الحديث المأثور ويدخل على من طعن في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) وزعم أنه شعر، لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلهن - وطعن في قوله عليه السلام:

[الكامل]

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَضْبَعُ دَمِيَّتٍ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ^(٢)

ذكر ما يمكن أن يكون موزوناً من منشور الكلام:

فيقال له: اعلم أنك لو أعتزضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلهن كثيراً، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً. ولو أن رجلاً من ألباعة صاح: «من يشتري باذنجان؟» لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولان، فكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر. ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيا في جميع الكلام. وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالآوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً. وهذا قريب والجواب فيه سهل بحمد الله. وسمعت غلاماً لصديق لي، وكان قد سقى بطئه يقول لغلمان مولاه: «اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد أكتوى» وهذا الكلام يخرج وزنه فاعلاتن مفاعلهن مرتين، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبداً ومثل هذا كثير لو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته.

ذكر دواعي استكره النطق بالأسجاع:

وكان الذي كره الأسجاع بعينها - وإن كان دون الشعر في التكلف والصنعة - أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم وكانوا يدعون الكهانة وأن مع

(١) سورة المسد، الآية ١.

(٢) أنشد الرسول ﷺ هذا البيت مستشهداً، لا منشأ.

كل واحد منهم رئيساً^(١) من الجن مثل (حازي)^(٢) جهينة) ومثل (شق)^(٣) و(سطيح)^(٤) و(عزى سلمة) وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع كقوله: «والأرض والسماء، والعقاب والصقعاء»^(٥) واقعة ببقعاء^(٦) لقد نفر المجدد بني العشراء، للمجدد والسناء» وهذا الباب كثير. ألا ترى أن (ضُمرة بن ضمرة) و(هرم بن قُطبة) و(الأقرع بن حابس) و(نُفيل بن عبد العزى) كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع وكذلك (ربيعة بن حذار)؟ قالوا: فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم. فلما زالت العلة زال التحريم.

وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا منهم أحداً. وكان الفضل بن عيسى الرقاشي سجاعاً في قصصه، وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبي عيَّاش يأتون مجلسه. قال له داود بن أبي هند: لولا أنك تفسر القرآن برأيك لأتيناك في مجلسك. قال: فهل تراني أحرم حلالاً وأجل حراماً؟ وإنما كان يتلو الآية التي فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت وأشباه ذلك، وقد كان عبد الصمد بن الفضل وأبو العباس بن القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة وهم أخطب من الخطباء يجلس إليهم عامة الفقهاء. وقد كان النهي ظاهراً عن مرثية أمية بن أبي الصلت لقتلى أهل بدر كقوله:

[مجزوء الكامل]

هَلَا بَكَيْتَ عَلَى الْكَرَامِ بَنِي الْكَرَامِ أُولِي الْمَمَادِحِ
وروى ناس شبيهاً بذلك في هجاء الأعشى لعلقمة بن عُلَّثة. فلما زالت العلة زال النهي.

وقال أبو وائلة بن خليفة في عبد الملك بن المهلب:

[الطويل]

لَقَدْ صَبَرْتُ لِلذَّلِّ أَغْوَادٌ مِنْبَرٌ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبٌ
بَكَى الْمَنْبَرُ الْعَرَبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ فَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَذُوبُ

(١) الرئي: الجني ينقل للكاهن ما يحدث في السماء من مغيبات.

(٢) الحازي: الكاهن.

(٣) هو: شق بن صعب بن يشكر بن رهم القسري البجلي الأنماري الأزدي: كاهن جاهلي. عاش إلى ما بعد ولادة النبي ﷺ. انظر ترجمته في: الأغاني (طبعة دار الكتب) ٣٠٤/٤.

(٤) هو: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب، من بني مازن، من الأزد: كاهن جاهلي غساني. من المعمرين. كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه. مات في الجابية من مشارف الشام بعد ولادة النبي ﷺ بقليل. انظر ترجمته في: الأغاني ٣٠٥/٤.

(٥) الصقعاء: التي في وسط رأسها بياض.

(٦) البقعاء: الأرض ذات الحصى الصغار.

رَأَيْتُكَ لَمَّا شَبِتَ أَذْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَرْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهُهُ أَحْلَامٌ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمَرْوُونَ عُيُوبَ

قال: وخطب الوليد بن عبد الملك فقال: «إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عيني، ألا وإنه جلدة وجهي كله». وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبي مسلم فقال: «إنما مثلي ومثل يزيد بن أبي مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فأصاب ديناراً». شبيب بن شيبه قال: حدثني خالد بن صفوان قال: خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال: «إني قد أسمع قول الرعاع: قد جاء مسلمة. وقد جاء العباس. وقد جاء أهل الشام. وما أهل الشام إلا تسعة أسياف سبعة منها معي واثنان عليّ. وأما مسلمة فجرة صغراء. وأما العباس فنسطوس بن نسطوس، أتاكم في بربرة وصقالبة وجرامة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس. إننا أقبل إليكم الفلاحون والأوباش. كأشلاء اللحم. واللّه ما لقوا أقواماً قط كحدّكم وحديدكم وعدّكم وعدديدكم. أعيروني سواعدكم ساعة من نهار تصفّقون^(١) بها خراطيمهم^(٢). فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين».

ومدح بشار هزار مرد العتكي بالخطب وركوبه المنابر بل رثاء وابنه فقال:

[الكامل]

مَا بِالْ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبٌ سَهَرْتُ^(٣) فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبٌ^(٤)
وَكَذَاكَ مَنْ صَحَبَ الْحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبٌ
يَا أَرْضُ وَيَحَاكَ أَكْرَمِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكَ ضَرْيَبٌ
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ الْمَنَابِرِ قَائِماً يَوْماً وَأَخْزَمَ إِذْ تُشَبُّ حُرُوبٌ

قال: كان سوار بن عبد الله أول تميمي خطب على منبر البصرة. ثم خطب عبيد الله بن الحسن. وولي منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء: بلال. وسوار. وعبيد الله. وأحمد بن رباح. وكان بلال قاضياً ابن قاض ابن قاض. وقال رؤبة:

[الرجز]

فَأَنْتَ يَا أَبْنَ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِي مُغْتَرَمٌ^(٥) عَلَى الطَّرِيقِ مَاضِي

قال أبو الحسن المدايني كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدي معزياً أعد له كلاماً. فبلغه أن الناس قد أعجبهم كلامه. فقال لشبيب بن شيبه: إني واللّه ما التفت إلى هؤلاء. ولكن سل لي عنها أبا عبيد الله الكاتب. فسأله فقال: ما أحسن ما تكلم به.

(١) تصفّقون: تضربون.

(٢) خراطيمهم: أنوفهم.

(٣) جاء في نسخة أخرى «حريت» بدلاً من «سهرت» ومعنى حريت: سلبت.

(٤) محروب: مسلوب حاله.

(٥) جاء في نسخة أخرى «معتزم» بدلاً من «مغترم».

على أنه أخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاماً. فأخبره بذلك شبيب، فقال عبيد الله: لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً.

وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها، وكان يقول: «إن الله وملائكته» فكان يرفع الملائكة، فقليل له ذلك فقال: خزجوا لها وجهاً، ولم يكن يدع الرفع. قال: وصلى بنا خزيمة يوم النحر، فخطب فلم يُسمع من كلامه إلا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولي عهده محمد. قال: وكان زهير بن محمد الضبي يداريه إذا قرع المنبر. وقال الشاعر:

[الوافر]

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو وَإِنْ كُنَّا نَقُومُ بِغَيْرِ عُدْرٍ
عَفَرْتَ دُنُوبَنَا وَعَفَوْتَ عَنَّا وَلَيْسَتْ مِنْكَ أَنْ تَعْفُو بِبَكْرِ
فَإِنَّ الْمُنْبَرَ الْبَصْرِيَّ يَشْكُو عَلَى الْعِلَاتِ إِسْحَاقُ بْنُ شَمْرِ
أَضْبِيَّ عَلَى خَشَبَاتِ مُلْكٍ كَمَرَكَبٍ ثَعْلَبٍ ظَهَرَ الْهَزْبِرِ^(١)

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلاً من أهل العسكر:

[الكامل]

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى أَجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمُنْبِرِ
مَا زَالَ مِنْبَرُكَ الَّذِي دَنَسْتَهُ بِالْأَمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تَطْهَرْ
فَلَا نَظَرْنَا إِلَى الْمَنَابِرِ دُنَسَتْ وَإِلَى الْأَسْرَةِ بِاحْتِقَارِ الْمَنْظَرِ
وقال آخر:

[الطويل]

فَمَا مِنْبَرٌ دَنَسْتَهُ بِأَسْتِ أَفْكَلٍ^(٢) بِزَاكِ^(٣) وَلَوْ طَهَّرْتَهُ بِأَبْنِ طَاهِرٍ

(١) الهزبر: من أسماء الأسد.

(٢) الأفكل، بالفتح: الرعدة من برد أو خوف.

(٣) الزاكي: الطاهر.

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «البرُّ ثلاثة: المنطق، والمنظر، والصمت. فمن كان منطقاً في غير ذكر، فقد لغأ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سَهَا، ومن كان صمته في غير فكر فقد لَهَا». وقال علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه -: «أفضلُ العبادةِ الصمتُ وانتظارُ الفرج». وقال يزيدُ بنُ المهلب، وهو في الحبس: «والهفاه على طلبة بمائة ألف وفرج في جبهة الأسد». وقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: «استفروا الدموعَ بالتذكر» وقال الشاعر:

[الطويل]

وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذْكَرِ

حفص قال: سمعت عيسى بن عمر يقول: سمعنا الحسن يقول: «أقدعوا هذه النفوسَ فإنها طُلَعَةٌ، وأَعْصوها فإنكم إن أطمعتموها تنزعُ بكم إلى شرٍّ غاية، وحادثوها بالذكر فإنها سريعةُ الدثور».

أقدعوا: كَفَّوا. طُلَعَةٌ: أي تطلع إلى كل شيء. حادثوا أي اجلوا وأشحدوا. والدثور: الدروس، يقال: دَثَرْتُ أثرُ فلان أي ذهب، كما يقال: دَرَسَ وَعَفَا.

قال: فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه. وقال الشاعر:

[الطويل]

سَمِعْنَا بِهِيْجاً أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذْكَرِ

الوَجِيف: السير الشديد، يقال: وَجَفَ الفرسُ والبعيرُ وأَوْجَفْتُهُ، ومثله الإيضاع وهو الإسراع. أراد بهيجاء أقبلت مسرعة.

ومن الأسجاع قول أيوب بن القرية، وقد كان دُعِيَ لكلام فأحتبس القول عليه فقال: «قد طال الأسمر، وسقط القمر، وأشدت المطر، فماذا ينتظر؟» فأجابه فتى من عبد القيس، فقال: «قد طال الأرق، وسقط الشفق، وكثر اللثق، فَلْيَنْطِقْ مَنْ نطق».

اللثق: الندى والوحل.

وقال أعرابي لرجل: «نحن والله أكلُ منكم للمأدوم، وأكسبُ منكم للمعدوم،

وأعطى منكم للمحروم». ووصف أعرابي رجلاً، فقال: «إن رفدك لنحيح»^(١)، وإن خيرك لسريح، وإن منعك لمريح».

سريح: عجل. ومريح أي مريح من كد الطلب.

وقال عبد الملك لأعرابي: «ما أطيبُ الطعام؟» فقال: «بكرة سمنة، في قدور رذمة، بشفار خذمة، في غداة شبة». فقال عبد الملك: «وأبيك لقد أطيبت».

وسئل أعرابي فقيل له: «ما أشدُّ البرد؟» فقال: «ريح جربياء»^(٢)، في ظل عماء، في غب سماء».

ودعا أعرابي فقال: «اللهم إني أسألك البقاء، والنماء، وطيب الإثاء، وحنط الأعداء، ورفع الأولياء» الإثاء: الرزق.

وقال إبراهيم النخعي لمنصور بن المعتمر: «سل مسألة الحمقى، وأحفظ حفظ الكيسى»^(٣). ووصفت عمة حاجز اللص، حاجزاً فضله، وقالت: «كان حاجز لا يشيع ليلة يُضاف. ولا ينام ليلة يخاف».

ووصف بعضهم فرساً فقال: «أقبل بزبرة الأسد. وأدبر بعجز الذئب».

الزبرة: مغرز العنق ويُقال: الشعر الذي بين كتفيه. ووصفه بأنه محطوط الكفل. قال: ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة، قام رجل يقال له: يزيد بن المقنع فاختلط من سيفه شبراً ثم قال: «هذا أمير المؤمنين - وأشار بيده إلى معاوية - فإن مات فهذا - وأشار بيده إلى يزيد - فمن أبى فهذا - وأشار بيده إلى سيفه» فقال معاوية: «أنت سيد الخطباء».

قالوا: ولما قامت خطباء نزار عند معاوية، فذهبت في الخطب كل مذهب، قام صبرة بن شيمان فقال: «يا أمير المؤمنين، إنا حيُّ فعال ولسنا حيِّ مقال، ونحن نبغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا».

قال: ولما وفد الأحنف في وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير، تكلم أبو حاضر الأسدي - وكان خطيباً جميلاً - فقال له عبد الله بن الزبير: «أسكت، فوالله لوددت أن لي بكل عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم». قال: «يا أمير المؤمنين، إن لنا ولك مثلاً، أفتأذن في ذكره» قال: «نعم» قال: «مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشى، حيث يقول:

[البسيط]

عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(٢) الجر بياء: ريح تهب بين الجنوب والصابا.

(١) نحيح: شحيح.

(٣) الكيسى: جمع كيس وهو العاقل.

أحبك أهل العراق، وأحببت أهل الشام، وأحب أهل الشام عبد الملك بن مروان».

علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البخترى قال: ذكر معاوية لابن الزبير بيعة يزيد، فقال ابن الزبير: «إني أناديك ولا أناجيك، إن أخاك من صدقك، فأنظر قبل أن تقدم، وتفكر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم، والتفكر قبل الندم». فضحك معاوية ثم قال: «تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر، إن في دون ما سجعت به على أخيك ما يكفيك». ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير.

أخبرنا ثمامة بن أشرس قال: لما صرفت اليمانية - من أهل مزة^(١) - الماء عن أهل دمشق، ووجهوه إلى الصحارى كتب إليهم أبو الهيثم: «إلى بني أستها أهل مزة، ليُمسيني الماء أو لتُصبَّحنكم الخيل». قال: فوافاهم الماء قبل أن يعتموا. أي يصيرون في وقت عتمة الليل، وعتمة: ظلامه، يقال عتم الليل يعتم إذا أظلم وأعتم الناس صاروا في وقت العتمة. فقال أبو الهيثم: «الصدق يُنبئ عنك لا ألوعيد».

وحدثني ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام، قال: لما بايع الناس يزيد بن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ^(٢) والتجسس كتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد. أما بعد فإنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام». وهاهنا مذاهب تدل على أصالة الرأي ومذاهب تدل على تمام النفس وعلى الإصلاح والكمال لا أرى كثيراً من الناس يقفون عليها.

واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرز خال مروان على مكة، فخطب ذات يوم - وأبان بن عثمان بحذاء المنبر - فشم طلحة والزبير. فلما نزل قال لأبان: «أرضيتك من المدهنيين في أمير المؤمنين؟» قال: «لا والله. ولكن سؤتني. حسبي أن يكونا شركاء في أمره». فما أدري أيُّهما أحسن: كلام أبان بن عثمان هذا أم إسحاق بن عيسى؟ فإنه قال: «أعيز علياً بالله أن يكون قتل عثمان. وأعيز عثمان بالله أن يقتله علي» فمدح علياً بكلام شديد غير نافر ومقبول غير وحشي. وذهب إلى معنى الحديث في قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أشد أهل النار عذاباً من قتل نبياً أو قتله نبي» يقول: لا يتفق أن يقتله نبي بنفسه إلا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرأهم على معصيته. فيقول: لا يجوز أن يقتله علي إلا وهو مستحق للقتل.

(٢) التلكؤ: التأخر.

(١) المزة: قرية من توابع مدينة دمشق وإحدى منتزهاتها.

خطبة من خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

قال: خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعشر كلمات. حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إن لكم معالم فأنتهوا إلى معالمكم. وإن لكم نهاية فأنتهوا إلى نهايتكم. إن المؤمن بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه. ومن دنياه لآخرته. ومن الشبيبة قبل الكبرة. ومن الحياة قبل الموت. فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب. ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

أبو الحسن المدايني قال: تكلم عمار بن ياسر يوماً فأوجز فقليل له: لو زدتنا. قال: أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بإطالة الصلاة وقصر الخطبة.

النسابون عند العرب:

محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الأنصار من بني زريق أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم^(١) فسأله إياه ثم قال: «يا جبير، ممن كان النعمان» قال: «من أشلاء فنص بن معد» وكان جبير أنسب العرب. وكان أخذ النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب. وروى عن بعض ولد طلحة قال: قلت لسعيد بن المسيب: علمني النسب. قال: أنت رجل تريد أن تساب الناس. قال: وثلاثة في نسق واحد كانوا أصحاب نسب: عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - . أخذ ذلك عن الخطاب. وكان كثيراً ما يقول: «سمعت ذلك عن الخطاب. ولم أسمع ذلك من الخطاب». والخطاب بن نفيل. ونفيل بن عبد العزى تنافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية فنفر عبد المطلب. أي حكم لعبد المطلب. والمنافرة: المحاكمة.

قال: والنساب أربعة: دغفل بن حنظلة، وعُميرة أبو ضمضام، وصبح الحنفي، وابن الكيس النمري. قال الأصمعي: دغفل بن حنظلة والنسابة البكري وكان نصرانياً ولم يسمه.

ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك:

قال: «اتخذوا كتاب الله إماماً، وأرضوا به حكماً، وأجعلوه قائداً، فإنه ناسخ لما قبله ولم ينسخه كتاب بعده». قال: وأول كلام بارع سمعوه منه: «الكلام فيما يعينك خير من السكوت عما يضرُّك، والسكوت عما لا يعينك خير من الكلام فيما يضرُّك».

(١) هو: أبو عدي، جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي: صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ = ٦٧٩م. انظر ترجمته في الإصابة: ٢٣٥/١.

خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ الْأَرْقَطُ قَالَ: سَمِعْتُ مَنْ يُخْبِرُنَا عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: مَا سَمِعْتُ مَتَكَلِّمًا عَلَى مَنْبَرٍ قَطُّ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ إِلَّا تَمَتَّيْتُ أَنْ يَسْكُتَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُسَيَّءَ، إِلَّا زِيَادًا فَإِنَّهُ كَلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ كَانَ أَجْوَدَ كَلَامًا.

وَكَانَ نَوْفَلُ بْنُ مَسَاحِقٍ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَمْرَأَتِهِ صَمَتَتْ وَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا تَكَلَّمَ، فَرَأَتْهُ يَوْمًا كَذَلِكَ فَقَالَتْ: أَمَا عِنْدِي فَتُطَرِّقُ، وَأَمَا عِنْدَ النَّاسِ فَتَنْطَقُ. قَالَ: لِأَنِّي أَدْقُ عَنْ جَلِيلِكَ، وَتَجْلِينَ عَنْ دَقِيقِي.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: قَادَ عِيَاشُ بْنُ الزَّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ فَرَسًا. فَلَمَّا جَلَسَ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا نَسَبَ كُلَّ فَرَسٍ مِنْهَا إِلَى جَمِيعِ آبَائِهِ وَأُمَمَاتِهِ، وَحَلَفَ عَلَى كُلِّ فَرَسٍ بِيَمِينٍ غَيْرِ الْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا عَلَى الْفَرَسِ الْآخِرِ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: «عَجَبِي مِنْ اخْتِلَافِ أَيْمَانِهِ أَشَدُّ مِنْ عَجَبِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِأَنْسَابِ الْخَيْلِ».

وَقَالَ: كَانَ لِلزَّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ ^(١) ثَلَاثَةُ أَسْمَاءَ: الْقَمَرُ، وَالزَّبْرِقَانُ، وَالْحَصِينُ. وَكَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ كُنًى: أَبُو شَذْرَةَ، وَأَبُو عِيَاشٍ. وَأَبُو عَبَّاسٍ. وَكَانَ عِيَاشُ ابْنَهُ خَطِيبًا مَارِدًا شَدِيدَ الْعَارِضَةِ شَدِيدَ الشُّكِيمَةِ وَجِيهًا، وَلَهُ يَقُولُ جَرِيرٌ:

[الطويل]

أَعْيَاشُ قَدْ ذَاقَ الْقُيُونُ ^(٢) مَرَارَتِي وَأَوْقَدْتُ نَارًا فَادُّنْ دُونَكَ فَاصْطَلِي
فَقَالَ عِيَاشُ: إِنِّي إِذْنٌ لِمَقْرُورٍ. قَالُوا فغلب عليه.

(١) هو: الزَّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ التَّمِيمِيُّ السَّعْدِيُّ: صَحَابِيٌّ، مِنْ رُؤَسَاءِ قَوْمِهِ. قِيلَ اسْمُهُ الْحَصِينُ وَلَقَبَ بِالزَّبْرِقَانِ (وهو من أسماء القمر) لِحَسَنِ وَجْهِهِ. وَلَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدَقَاتُ قَوْمِهِ فُتِبَتْ إِلَى زَمَنِ عُمَرَ، وَكُفِّتْ بَصَرُهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ. وَتَوَفَّى فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٥ هـ = نَحْوَ سَنَةِ ٦٦٥ م. انظر ترجمته في: الإصابة ٥٤٣/١، عيون الأخبار: ٢٢٦/١.

(٢) القيون: واحده «القين»، وهو الحداد أو العبد.

باب أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء، وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء، ونقسم أمورهم باباً باباً على جدته، ونقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في النسب وفضله في الحسب. ولكني لما عجزت عن نظمه وتنسيده تكلفت ذكرهم في الجملة والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة إلا به.

التعريف بالفضل بن عيسى:

كان الفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس، وكان متكلماً، وكان قاصاً مجيداً. وكان يجلس إليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبي عياش وكثير من الفقهاء. وهو رئيس الفضيلية وإليه ينسبون. وخطب إليه ابنته سودة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمي فولدت له المعتمر بن سليمان. وكان سليمان مباناً للفضل في المقالة، فلما ماتت سودة شهد الجنابة المعتمر وأبوه، فقدموا الفضل وكان الفضل لا يركب إلا الحمير؛ فقال له عيسى بن حاضر: إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك؟ قال: لما فيها من المرافق والمنافع. قال: قلت: مثل أي شيء؟ قال: «لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داءً وأيسرها دواءً وأسلم صريعاً وأكثر تصريحاً وأسهل مُرتقى وأخفص مهوى وأقل جماحاً وأشهر فارهاً وأقل نظيراً، يزهي راكمه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه» قال: ونظر يوماً إلى حمار فاره تحت سالم بن قتيبة فقال: «قعدة نبي وبذلة جبار». قال عيسى بن حاضر: «ذهب إلى حمار غزير وإلى حمار مسيح الدجال وإلى حمار بلعم». وكان يقول: «لو أراد أبو سيرة عميلة بن أعزلة أن يدفع بالموسم على فرس عربي أو جمل مهري لفعل، ولكنه ركب عيراً أربعين عاماً لأنه كان يتأله»^(١) وقد ضرب به المثل فقالوا: أصح من غير سيار.

والفضل هو الذي يقول في قصصه: «سل الأرض، فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً». وكان عبد الصمد بن

(١) يتأله: يتعبد لله تعالى.

الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب، قال: وحَدَّثني أبو جعفر الصوفي القاصُّ قال: تكلم عبد الصمد في خلق ألبعوضة وفي جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة. وكان يزيد بنُ أبانٍ عمُّ الفضل بن عيسى بن أبانٍ الرقاشي من أصحاب أنس والحسن، كان يتكلم في مجلس الحسن وكان زاهداً عابداً، وعالمًا فاضلاً، وكان خطيباً، وكان قاصاً مجيداً. قال أبو عبيدة: وكان أبوه خطيباً، وكذلك جدُّهم، وكانوا خطباء الأكاسرة، فلما سُبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام وفي جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق فقاموا في أهل هذه اللغة كمقامهم في أهل تلك اللغة، وفيهم شعر وخطب، وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرباء إليهم ففسد ذلك العرق ودخله الخور^(١)

التعريف بقس بن ساعدة:

ومن خطباء إياد (قس بن ساعدة) وهو الذي قال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «رأيت بسوق عكاظ على جمل أحمر، وهو يقول: «أيها الناس اجتمعوا، فاسمعوا، وعُوا. من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت». وهو القائل في هذه: «آيات محكمات: مطرٌ ونبات، وآبَاءٌ وأمّهات، وذاهب وآت. ونجوم تَمُور، وبحور لا تغور. وسَقَفٌ مرفوع، ومهاد موضوع. وليلٌ داج، وسماءٌ ذات أبراج. مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم حُبِسوا فناموا؟!» وهو القائل: «يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد؟ أين المعروف الذي لم يُشكر؟ والظلم الذي لم يُنكل^(٢). أقسم قس قسماً بالله، أنَّ لله ديناً هو أرضى له من دينكم هذا» وأنشدوا له هذه:

[مجزوء الكامل]

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِي—	نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا	لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا	تَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ ^(٣)
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا	يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَايِرُ
أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا	لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

التعريف بزيد بن علي بن الحسين:

ومن الخطباء (زيد بن علي بن الحسين) وكان خالد بن عبد الله أقرَّ علي زيد بن علي وداود بن علي وأيوب بن سلمة المخزومي وعلي بن محمد بن عمر بن علي وعلي بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. فسأل هشام زيداً عن ذلك فقال:

(١) الخور: الضعف.

(٢) جاء في نسخة أخرى «ينكر» بالراء بدلاً من «ينكل» باللام.

(٣) جاء في نسخة أخرى «الأصاغر والأكابر» بدلاً من «الأكابر والأصاغر».

أحلف لك . قال : وإذا حلفت أصدقك . قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟! قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصى بتقوى الله ولا دون أن يُوصى بتقوى الله . قال هشام : بلغني أنك تريد الخلافة ، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة . قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم - صلوات الله عليه - ابن أمة وإسحاق عليه السلام ابن حرة ، فأخرج الله عز وجل من صلب إسماعيل - عليه السلام - خير ولد آدم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم . فعندما قال له : قم . قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره . ولما خرج من الدار قال : ما أحب أحد الحياة قط إلا ذل . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك أحد . وقال محمد بن عمير : إن زيدا لما رأى الأرض قد طبقت جوراً ورأى قلة الأعوان . ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة أحب الُمنيات إليه . وكان زيد كثيراً ما يُنشد :

[الرجز]

شَرَّدَهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَ الْجِلَادِ
مُنْخَرِقُ الْخُفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى ^(١) تَنْكُبُهُ ^(٢) أَطْرَافُ مَرْوٍ ^(٣) حَدَادٍ ^(٤)
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

قال : وكثيراً ما يُنشد شعر العبسي في ذلك :

[البسيط]

إِنَّ الْمُحَكَّمَ مَنْ لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً أَوْ يَرْهَبِ ^(٥) السَّيْفَ أَوْ حَدَّ الْقَنَا جَنَفاً ^(٦)
مَنْ عَادَ بِالسَّيْفِ لَاقَى فُرْصَةً عَجَباً مَوْتاً عَلَى عَجَلٍ أَوْ عَاشَ مُنْتَصِيفاً

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبة بن عقال وكلف آل أبي طالب أن يبرأوا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك ، فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز في كلامه ثم جلس . ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأطنب في كلامه ، وكان شاعراً بليغاً ، وخطيباً لسيناً فأنصرف الناس وهم يقولون : « ابن الطيار أخطب الناس » . فقليل لعبد الله بن الحسن في ذلك فقال : « لو شئتُ أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور » فأعجب الناس ذلك منه .

التعريف بهند بنت الخس :

ومن أهل الدهاء والذكاء ^(٧) ومن أهل اللسن واللقن ، والجواب العجيب والكلام

(١) الوجى : ألم يصيب القدم أو الفرش أو حافر الدابة .

(٢) تنكبت الحجارة الرجل : أصابتها بخدوش وألمتها .

(٣) المرو : حجارة بيض تقدح ناراً . (٤) حداد : جارحة .

(٥) جاء في نسخة أخرى « يرهف » بالفاء بدلاً من « يرهب » بالباء . ويرهب بمعنى يخاف .

(٦) الجنف : الظلم والجور والميل إليهما . (٧) النكراء : الدهاء والفتنة .

الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة (هند بنت الخس) وهي الزرقاء. و(جمعة بنت حابس) ويقال إن حابساً من إباد. وقال عامر بن عبد الله الفزاري: جمع بين هند وجمعة، فقليل لجمعة: أي الرجال أحب إليك؟ قالت: الشنق^(١) الكد^(٢)، الظاهر الجلد، الشديد الجذب بالمسد. فقليل لهند: أي الرجال أحب إليك؟ قالت: القريب الأمد، أوسع البلد، الذي يُوفد إليه ولا يفد. وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت: من جعل بؤساً كاذي. وقد ضرب بها المثل، فمن ذلك قول ليلي بنت النضر الشاعرة:

[الطويل]

وَكَنَزُ بِنِ جَدْعَانٍ دَلَالَةُ أُمِّهِ وَكَانَتْ كَبِنتِ الْخَسِّ أَوْ هِيَ أَكْبَرُ
وقال ابن الأعرابي: يقال: بنت الخس وبنت الخص وهي الزرقاء وبنت الخسف. وقال يونس: لا يقال إلا بنت الأخس وهي الزرقاء. وقال أبو عمرو بن العلاء: «داهيتا نساء العرب هند الزرقاء وعنز الزرقاء» وهي زرقاء اليمامة. قال اليعقوبي: قيل لعبد الله بن الحسن: «ما تقول في المراء؟»^(٣) قال: «ما عسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة، ويحمل العقدة الوثيقة، وإن كان لأقل ما فيه أن يكون دربة للمغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة، إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أتاه السائب بن صيفي فقال: أتعرفني يا رسول الله؟. قال: كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يُشاريني ولا يُماريني؟! قال: فتحولت إلى زيد بن علي فقلت له: «الصمت خير أم الكلام؟» قال: «أخزى الله المساكنة فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر، واللّه للمماراة أسرع في هدم العي من النار في يبس العرفج ومن السيل في الحدور». وقد عرف زيد أن المماراة مذمومة ولكنه قال: المماراة على ما فيها أقل ضرراً من المساكنة التي تُورث البلدة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث عللاً، وتولد أدواء أيسرها العي، فإلى هذا المعنى ذهب زيد.

ذكر أسماء بعض مشاهير الخطباء:

ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومي من قریش، وأبو حاضر، وسالم، وقد تكلم عند الخلفاء.

ومن خطباء بني أسيد الحكم بن يزيد بن عمير وقد رأس. ومن أهل اللسن منهم والبيان الحجاج بن عمير بن زيد.

ومن الخطباء سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية. قال: وقيل لسعيد ابن المسيب: مَنْ أبلغ الناس؟ قال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقليل له: ليس عن هذا نسألك. قال: معاوية، وأبؤه، وسعيد، وأبؤه، وما كان ابن الزبير بدونهما

(١) الشنق: الطويل. (٢) الكد: أعلى الكتف. (٣) المراء: الجدل والنزاع.

ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبولة. فمنَّ العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاماً وهم لا يحفظون لسعيد بن العاصي وابنه من الكلام إلا ما لا بال له. وكان سعيد جواداً، ولم ينزع قميصه قط، وكان أسود نحيفاً، وكان يقال له: عَكَّة^(١) العسل، وقال الحطينة:

[الطويل]

سَعِيدٌ فَلَا يَغْرُزُكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدُ^(٢) عَنْهُ اللَّحْمُ وَهُوَ صَلِيبٌ^(٣)

وكان أول من خش الإبل^(٤) في نفس عظم الأنف، وكان في تدبيره اضطراب.

وقال قائل من أهل الكوفة:

[الرجز]

يَا وَيْلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مَجْوَعًا سَعِيدُ
يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ

قال: ولأمرء تتحب إلى الرعية بزيادة المكايل، ولو كان المذهب في الزيادة، في الأوزان كالمذهب في الزيادة في المكايل ما قصرُوا، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - الزيادة في المكايل، ولذلك اختلف أسماء المكايل كالزيادي والفالج والخالدي حتى صُرنا إلى هذا الملعج اليوم.

ثم من الخطباء (عمرو بن سعيد) وهو الأشدق، يقال: إن ذلك إنما قيل له لتشادقه في الكلام. وقال آخرون بل كان أقفم مائل الذقن. ولذلك قال عبيد الله بن زياد حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية: «يدك عني يا لطيم الشيطان ويا عاصي الرحمن» وقال الشاعر:

[الطويل]

وَعَمْرُو لَطِيمُ الْجِنَّ وَأَبْنُ مُحَمَّدٍ بِأَسْوَأِ هَذَا الْأَمْرِ مُلْتَبِسَانٍ

ذكر ذلك عن عوانة؛ وهذا خلاف قول الشاعر:

[الطويل]

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا أَبَالَكَ أَشْدَقُ

قال: وكان معاوية قد دعا به في غلمة من قريش، فلما أَسْتَنْطَقَهُ قال: «إن أول كل مركب صعب، وإن مع اليوم غداً». وقال له: «إلى من أوصى بك أبوك؟» قال: «إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي». قال: «وبأي شيء أوصاك؟» قال: «بأن لا يفقد إخوانه منه إلا شَخَصَهُ». قال: فقال معاوية عند ذلك: إن ابن سعيد هذا لأشَدق. فهذا يدل عندهم على أنه إنما سُمِّيَ بالأشَدق لمكان التَشَادق.

ثم كان بعد عمرو بن سعيد (سعيد بن عمرو بن سعيد) وكان ناسباً خطيباً، وأعظم

(١) العكة: زق صغير.

(٢) تخدد اللحم: هزل ونقص.

(٣) صليب: شديد القوة.

(٤) خش الإبل: جعل في خياشمها الخشاش، وهو عود يجعل في خيشوم الجمل.

الناس كِبَرًا. وقيل له عند الموت: إن المريض ليستريحُ إلى الآنين وإلى أن يصف ما به إلى الطبيب، فقال:

[الطويل]

أَجَالِدُ مِنْ رَبِّبِ الْمَثُونِ فَلَا تَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ
ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم، فتكلموا من قيام، وتكلم وهو جالس، فتبسم عبد الملك وقال: لقد رجوت عثرته، ولقد أحسن حتى خِفْتُ عثرته، فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب.

التعريف بسهيل بن عمرو:

ومن الخطباء (سهيل بن عمرو الأعلم) أحد بني حِثْل بن معيص، وكان يكنى أبا يزيد، وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الإسلام. وكان عمر - رضي الله تعالى عنه - قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: يا رسول الله انزعُ ثنيتيه السفليين حتى يدلعَ لسانه فلا يقومَ عليك خطيباً أبداً. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً، دُعُهُ يا عمرُ فعسى أن يقوم مقاماً نحمده». فلما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. قام خطيباً فقال: «أيُّها الناس، إن يكن محمد قد مات فإن الله حيٌّ لم يمُتْ. وقد علمتم أنني أكثرُكم قتباً^(١) في بر، وجاريةً في بحر، فأقرُّوا أميركم، وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردّها عليكم» فسكن الناس. وهو الذي قال يوم خرج آذُن عمرَ وهو بالباب وعتيبة بن حصن والأفراع بن حابس وفلان وفلان، فقال الآذن: أين بلال؟ أين صُهيب؟ أين سلمان؟ أين عمار؟ فتمعّرت^(٢) وجوه القوم، فقال سهيل: «لِمَ تتعمّروا وجوهكم، دُعُوا ودُعينا فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عمرَ لَمَّا أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر».

ومن الخطباء (عبد الله بن عروة بن الزبير) قالوا: وكان خالد بن صفوان يُشَبَّه به، وما علمت أنه كان في الخطباء أحدٌ أجودَ خطباً من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبَةَ للذي يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما، وما علمنا أن أحداً ولد لهما حرفاً واحداً.

ذكر من اشتهر في علم الأنساب عند العرب:

ومن النسابين من بني العنبر ثم من بني المنذر (الخثف بن زيد بن جَعَوْنَةَ) وهو الذي تعرض له دَغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له: «متى عهدك بسجاح أم صادر؟» فقال له: «ما لي بها عهدٌ منذ أضلت أم جُلِسَ». وهي بعض أمهات

(١) القتب: الرجل الصغير.

(٢) تمعّرت وجوه: احمرت غضباً.

دَغفل، فقال له: «أَشْدَّتْكَ بِالله، أُنحن كُنَّا لكم أَكْثَرُ غَزَوْا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَمْ أَنْتُمْ لَنَا؟» قال: «بَلْ أَنْتُمْ فَلَمْ تُفْلِحُوا وَلَمْ تَنْجَحُوا، غَزَانَا فَارْسُكُمْ وَسِيدُكُمْ وَابْنُ سِيدِكُمْ فَهَزَمْنَاهُ مَرَّةً وَأَسْرَانَاهُ مَرَّةً وَقَتَلْنَاهُ مَرَّةً وَأَخَذْنَا فِي فِدَائِهِ خِذْرَ أُمِّهِ، وَغَزَانَا أَكْثَرُكُمْ غَزَوْا وَأَنْبَهُكُمْ فِي ذَلِكَ ذِكْرًا فَأَعْرَجْنَاهُ ثُمَّ أَرْجَلْنَاهُ» فقال ابن عامر: «أَسْأَلُكُمَا بِالله لِمَا كَفَفْتُمَا».

وكان عبد الله بن عامر ومصعب بن الزبير يُحِبَّانِ أَنْ يَعْرِفَا حَالَاتِ النَّاسِ، فَكَانَا يُغْرِيانِ بَيْنَ أَلْوَجْهِ وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَلَا جَرَمَ أَنْهُمَا كَانَا إِذَا سَبَّأَ أَوْجَعَا.

وكان أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - أنسب هذه الأمة، ثم عمر، ثم جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ، ثم سعيد بن المسيَّب، ثم محمد بن سعيد بن المسيَّب. ومحمد هو الذي نفى إلى عنكة المخزوميين فرفع ذلك إلى والي المدينة فجلده الحد. وكان ينشد:

[الوافر]

وَيَرْبُوعُ بْنُ عَنْكَثَةَ ابْنُ أَرْضٍ وَأَعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بَعْدَ حِينٍ
يعني هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

ومن النسابين العلماء عُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْأَدْهَاءِ، وَكَانَ ذَا مَنْزِلَةٍ مِنَ الْحِجَاكِ بْنِ يَوْسَفَ. وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَامِسُ خَمْسَةٍ فِي الْأَشْرَفِ، وَكَانَ هُوَ السَّاعِي بَيْنَ الْأَزْدِ وَتَمِيمٍ فِي الصَّلْحِ.

ومن بني الحرقوس^(١) شُعْبَةُ بْنُ الْقَلْعَمِ، وَكَانَ ذَا لِسَانٍ وَجَوَابٍ وَعَارِضَةٍ، وَكَانَ وَصَافًا فَصِيحًا. وَبَنُوهُ عَبْدِ اللهِ، وَعَمْرٌ، وَخَالِدٌ، كُلُّهُمْ كَانُوا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ. غَيْرَ أَنَّ خَالِدًا كَانَ قَدْ جَمَعَ مَعَ بَلَاغَةِ اللِّسَانِ الْعِلْمَ وَالْحَلَاوَةَ وَالظَّرْفَ، وَكَانَ الْحِجَاكِ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ.

ومن بني أسيد بن عمرو بن تميم أبو بكر بن الحكم، كان ناسباً راوية شاعراً، وكان أحلى الناس لساناً وأحسنهم منطقاً وأكثرهم تصرفاً، وهو الذي يقول له رؤية:

[الرجز]

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً طَوْرًا وَطَوْرًا^(٢) شَاعِرًا

ومنها مُعَلَّلُ بْنُ خَالِدٍ أَحَدُ بَنِي أَنْمَارِ بْنِ الْهَجِيمِ، وَكَانَ نَسَابَةً عَلَامَةً رَاوِيَةً صَدُوقًا مَقْلَدًا، وَذَكَرَ لِلْمُتَنَجِّعِ بْنِ نَبْهَانَ فَقَالَ: «كَانَ لَا يُجَارَى وَلَا يُمَارَى».

ومنها من بني العنبر ثم من بني عمرو بن جندب أبو الخنساء عباد بن كسيب، وكان شاعراً عَلَامَةً وَرَاوِيَةً نَسَابَةً، وَكَانَتْ لَهُ حَرَمَةٌ بِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ.

ومنها عمرو بن خولة، كان ناسباً خطيباً وراوية فصيحاً، من ولد سعيد بن العاصي.

(١) جاء في نسخة أخرى «حرقوص» بالصاد، وفي نسخة أخرى «حرقوس» بالسين، بدلاً من «الحرقوص» بالتعريف.

(٢) جاء في نسخة أخرى «مرأ ومرأ» بدلاً من «طوراً وطوراً».

والذي أتى سعيد بن المسيّب ليعلمه النسب هو إسحاق بن يحيى بن طلحة .
 وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالماً، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومي
 والي المدينة حتى مات لبعض القول .
 وكان مصعب بن عبد الله بن ثابت ناسباً عالماً، ومن ولده الزبيري عامل الرشيد
 على المدينة واليمن .
 ومنهم ثم من قريش محمد بن جعفر بن حفص، وهو ابن عائشة، ويكنى أبا بكر .
 وابنه عبيد الله كان يجري مجراه، يكنى أبا عبد الرحمن .

التعريف بأبي عمرو بن العلاء :

ومن خراطة بن مازن أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء بن عمار بن العُريان . فأما أبو
 عمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب، مع صحة سماع وصدق لسان . وحدثني الأصمعي
 قال : جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي . قال : وقال مرة :
 لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن أمر فتياننا بروايته، يعني شعر جرير والفرزدق
 وأشباههما . وحدثني أبو عبيدة : قال : كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية والقراءة
 والشعر وأيام الناس، وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان . قال : وكانت كتبه التي كتب
 عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف ثم إنه تقرأ^(١) فأحرقها كلها،
 فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه . وكان عامة أخباره عن
 أعراب قد أدركوا الجاهلية . وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

[البيط]

ما زلتُ أفتحُ أبواباً وأغلقها حتى أتيتُ أبا عمرو بنَ عَمَّارٍ

قال : فإذا كان الفرزدق، وهو راوية الناس وشاعرهم، وصاحب أخبارهم يقول فيه
 مثل هذا القول فهو الذي لا يُشكُّ في خطابته وبلاغته . وقال يونس لولا شعرُ الفرزدق
 لذهب نصف أخبار الناس . وقال في أبي عمرو مكّي بن سواده :

[البيط]

الْجَامِعُ الْعِلْمِ نَسَاهُ وَيَحْفَظُهُ وَالصَّادِقُ الْقَوْلِ إِنَّ أُنْدَادَهُ كَذَبُوا

وكان أبو سفيان بن العلاء ناسباً، وكلاهما كُناهما أسماءهما . وكذلك أبو عمرو بن
 لبيد، وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي خليفة عيسى بن شبيب المازني على شرط
 البصرة .

وكان عقيل بن أبي طالب ناسباً عالماً بالأمهات، بين اللسان، شديد الجواب، لا

(١) تقرأ : تسك .

يقوم له أحد. وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوي ناسباً شديداً لعارضة كثير الذكر للأمهات بالمثالب. ورؤساء النسابين دغفل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان، لم يدرك الناس مثله لساناً وعِلماً وحِفْظاً. ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمري. ومن نسابي كلب ابن محمد بن السائب، وهشام بن محمد بن السائب، وشرقي بن القطامي. وكان أعلاهم في العلم ومن ضربت به المثل حماد بن بشر، قال سيمك العكلي:

[الوافر]

فسائل دغفلاً وأخاه هلالاً ونخاراً^(١) يُنبئك اليقيناً

وقد ذكرنا دغفلاً. وأخوه هلال هو زيد بن الكيس، وبنوه هلال حي من النمر بن قاسط. وقال مسكين بن أنيف الدارمي^(٢) في ذلك:

[الوافر]

وعند الكيس النمري علم ولو أمسى بمُنْخَرِقِ الشَّمالِ

وقال ثابت قطنة:

[الوافر]

فما العِضَّانِ^(٣) لو سُئِلَا جَمِيعاً أخو بكر وزيد بني هلال

ولا الكلبِي حماد بن بشر ولا من قاد^(٤) في الزمن الخوالي

وقال زياد الأعجم:

[الكامل]

بل لو سألت أخا ربيعة دغفلاً لوجدت في شيبان نسبة دغفل

إن الأحيان والذين يلوونهم شر الأنام ونسل عبد الأعزل

يهجو فيها بني الخنساء^(٥). ومنهم إياس الأنصري، كان أنسب الناس، وهو الذي قال: «كانوا يقولون: أشعر العرب أبو داود الإيادي، وعدي بن زيد العبادي» وكان أبو نوفل بن أبي عقرب علامة ناسباً خطيباً فصيحاً، وهو رجل من كنانة أحد بني عريج. ومن بني كنانة ثم من بني ليث ثم من بني الشداخ يزيد بن بكر بن داب وكان يزيد عالماً ناسباً وراوية شاعراً، وهو القائل:

[الكامل]

الله يعلم في علي علمه وكذلك علم الله في عثمان

(١) جاء في نسخة أخرى «حماداً» بدلاً من «نخاراً».

(٢) مسكين الدارمي هو: ربيعة بن عامر بن أنيف (بالتصغير) بن شريح الدارمي التميمي: شاعر عراقي شجاع، من أشرف بني تميم. كان متصلاً بزياد بن أبيه مات سنة ٨٩ هـ = ٧٠٨ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢١٥. إرشاد الأريب: ٢٠٤/٤.

(٣) العض من الرجال: الداهية.

(٤) جاء في نسخة أخرى «فاد» بالفاء بدلاً من «قاد»، وفاد بمعنى هلك.

(٥) جاء في نسخة أخرى «يهجو فيها الحبناء» بدلاً من «يهجو فيها بني الخنساء».

وولد يزيد يحيى وعيسى هو الذي يُعرف في العامة بِأَبْنِ دَأْب، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً، وكان شاعراً راوية وصاحب رسائل وخطب، وكان يُجيدها جداً. ومن آل دَأْب حذيفَةُ بن دَأْب وكان عالماً ناسباً. وفي آل دَأْب علم بالنسب والخبر.

التعريف بأبي الأسود الدُّؤلي:

وكان أبو الأسود الدُّؤلي - وأسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان - خطيباً عالماً، وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان وقول الشعر والظرف، وهو يُعدّ في هذه الأصناف وفي الشيعة وفي العُرجان وفي المفاليح، وعلى كل شيء من هذا شاهد سيقع في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال الخس لابنته هند: «أريد شراء فحلٍ لإبلي». قالت: «إنِ أشتريته فأشتريه أسجح الخدين، غائر العينين، أرقب، أخرم، أعكى أكوم، إن عصى غشم، وإن أطبع تجرثم». وهي التي قالت لَمَّا قيل لها: «ما حملك على أن زنتِ بعبدك؟» قالت: «طول الأسود، وقرب ألوساد».

السواد: السرار. أسجح: سهل واسع، يقال: «ملكْت فأسجَح». أرقب: غليظ الرقبة. أخرم: منتفخ موضع المخرم. أعكى: ألعكوة مغرز الوركين في المؤخر، تصفه بشدة الوركين. إن عصى غشم: إن عصته الناقة غضبها نفسها. تجرثم أي بقي، مأخوذ من الجرثومة وهي الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها، تصفه بالصبر والقوة على الصُّراب. أكوم: عظيم السنام. وقال الشاعر في الأسود:

[الطويل]

وَيَنْفَهُمْ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُساوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتُهُ سَوَادُهَا
يقال: في لسان فلان حُكْلَةٌ إذا كان شديد الحُبسة مع لُثغ.

قالوا: وعاتب هشام بن عبد الملك زيد بن علي فقال له: «بلغني عنك شيء» فقال: «يا أمير المؤمنين، أحلف لك» قال: «وإذا حلفت لي أصدقك؟» قال: «نعم. إن الله لم يرفع أحداً فوق أن لا يرضى به ولم يضع أحداً دون أن لا يرضى منه به».

كان زياد بن ظبيان التيمي^(١) العائشي خطيباً، فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو يكيد بنفسه، قال: «ألا أوصي بك الأمير زياداً؟» قال: «لا». قال: «ولم» قال: «إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فألحي هو الميت».

وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس. وهو الذي أتى باب مالك بن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره. وقد كان نابه أمر فلم يرسل إليه قبل الناس. فأشرف عليه

(١) جاء في نسخة أخرى «وكان أبو ظبيان التيمي» بدلاً من «كان زياد بن ظبيان التيمي».

مالك فقال: «مهلاً يا أبا مطر. فوالله إن في كِنَانَتِي سهماً أنا به أوثق مني بك». قال: «وإنك لتعدني في كِنَانَتِكَ. فوالله لو أن قمْتُ فيها لطلْتُها ولو قعدت فيها لخرقْتُها». قال مالك: «مهلاً. أكثر الله في العشيرة مثلك» قال: «لقد سألت الله شططاً».

ودخل عبيد الله^(١) على عبد الملك بن مروان - بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزبير، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل، فأراد أن يقعد معه على سرير، فقال له عبد الملك: «ما بال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك؟» قال: «والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء. ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه» قال: «ومن ذاك؟» قال: «من لم يولد لتمام، ولم تُضجْهُ الأرحام، ولم يُشبه الأحوال والأعمام». قال: «ومن ذاك؟» قال: «ابن عمي سويد بن منجوف». قال عبد الملك: «أو كذلك أنت يا سويدي؟» قال: «نعم» فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد فقال: «وريت بك زنادي، والله ما يسرني أنك نقصته حرفاً واحداً مما قلت له وأن لي حمر النعم». قال: «وأنا والله ما يسرني بحلمك اليوم عني سود النعم». قال: «وأنتي عبيد الله عتاب بن ورقاء، وعتاب على أصبهان، فأعطاه عشرين ألف درهم. فقال: «والله ما أحسنت فأحمدك، ولا أسأت فأدّمك، وإني^(٢) لأقرب البعداء وأبعد أقرباء». قال: وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: «ما أنت قاتل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟» قال: «أسكت فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج». فما ظنك ببلاغة رجل عبيد الله بن زياد يضرب به المثل؟! وإنما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب. وأولى من كل دلالة استنطاق عليّ له.

وكان (عثمان بن عروة) أخطب الناس، وهو الذي قال: «الشكر وإن قل ثمن لكل نوال وإن جل».

وكان (ثابت بن عبد الله بن الزبير) من أبين الناس. ولم يكن خطيباً.

وكان (قسامة بن زهير) أحد بني رزام بن مازن، مع زهده ونسكه ومنطقه، من أبين الناس، وكان يعدل بعامر بن عبد قيس في زهده ومنطقه، وهو الذي قال: «روحوا هذه القلوب تع الذكر». وهو الذي قال: «يا معشر الناس، إن كلامكم أكثر من صمتكم، فاستعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الصواب بالفكر». وهو الذي كان رسول عمر في البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبي بكر.

وكان (خالد بن يزيد بن معاوية) خطيباً شاعراً، وفصيحاً جامعاً، وجيد الرأي كثير الأدب. وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيما.

(١) جاء في نسخة أخرى «عبيد الله بن زياد بن ظبيان».

(٢) جاء في نسخة أخرى «وإنك» بدلاً من «وإني».

ومن خطباء قريش (خالد بن سلمة المخزومي) وهو ذو الشَّفة . وقال الشاعر في ذلك :

[المتقارب]

فَمَا كَانَ قَائِلَهُمْ دَغْفَلٌ وَلَا الْحَيْقُطَانُ وَلَا ذُو الشَّفَةِ
ومن خطباء العرب (عطارد بن حاجب بن زُرارة) وهو كان الخطيب عند النبي ﷺ . وقال فيه الفرزدق بن غالب :

[الطويل]

وَمِمَّا خَطِيبٌ لَا يُعَابُ وَحَامِلٌ أَغْرُ إِذَا أَلْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَجَامِعُ
ومن الخطباء (عون بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود) وكان مع ذلك راوية ناسباً شاعراً . ولما رجع عن قول المَرَجَّة إلى قول الشيعة قال :

[الوافر]

وَأَوَّلُ مَا نُفَارِقُ غَيْرَ شَكٍّ نُفَارِقُ مَا يَقُولُ الْمُرْجِيُّونَا
وقالوا مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ جَوْرٍ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَا
وقالوا مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلَالٌ وَقَدْ حَرُمْتُ دِمَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
وكان حين هرب إلى محمد بن مروان في فك^(١) ابن الأشعث ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوماً : «كيف ترى ابن أخيك؟» قال : «ألزمتني رجلاً إن غبت عنه عتب . وإن أتيته حجب . وإن عاتبته غضب» . ثم لزم عمر بن عبد العزيز . وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

[البيط]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَرْخِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلٍ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَتَى لَدَى الْبَابِ كَالْمَشْدُودِ فِي قَرَنِ
وَقَدْ رَأَى وَفُودَ الْخَافِقِينَ مَعَاً وَمُذْ وَلَيْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تَرْنِي
وكان (الجارود بن أبي سبرة) - ويكنى أبا نوفل - من أبين الناس وأحسنهم حديثاً . وكان راوية علامة شاعراً مفلقاً . وكان من رجال الشيعة ، ولما استنطقه الحجاج قال : «ما ظننت أن بالعراق مثل هذا» . وكان يقول : «ما أمكنني وال قط من أذنه إلا غلبت عليه . ما خلا هذا اليهودي» . يعني بلال بن أبي بردة . وكان عليه متحاملاً فلما بلغه أنه دهق^(٢) حتى دقت سافه وجعل الوتر في خصيه أنشأ يقول :

[الطويل]

لَقَدْ قَرَّ عَيْنِي أَنَّ سَاقِيَهُ دُقَّتَا وَأَنَّ قَوَى الْأُوتَارِ فِي الْبَيْضَةِ الْيُسْرَى
بَخِلَتْ وَرَاجَعَتْ الْخِيَانَةَ وَالْحَنَا فَيَسَّرَكَ اللَّهُ الْمُقَدَّسُ لِلْعُسْرَى

(١) جاء في نسخة أخرى «فل» باللام بدلاً من «فك» بالكاف . والفل : بقية الجيش المنهزم .

(٢) الدهق : خشبتان تشدّ بهما الساقان للتعذيب .

فَمَا جَذَعُ سُوءِ خَرَبِ السُّوسِ جَوْفُهُ يُعَالِجُهُ النَّجَّارُ يُبْرِى كَمَا تُبْرِى
وإنما ذكر الخصية اليسرى، لأن العامة تقول: إن الولد منها يكون.

التعريف بعبد الله بن عباس:

وإنما ذكر الخطباء الذين لا يُضَاهَوْنَ ولا يُجَارُونَ (عبد الله بن عباس) قالوا:
خطبنا بمكة - وعثمان - رضي الله تعالى عنه - محاصر - خطبة لو شهدتها أترك والدليم
لأسلمتا. قال وذكره حسان بن ثابت فقال:

[الطويل]

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلاً^(١)
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النَّفُوسِ وَلَمْ يَدْعُ لِذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلاً
سَمَوْتَ إِلَى الْعَلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ فَلَيْتَ ذُرَاهَا لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلاً

وقال الحسن: كان عبد الله بن عباس أول من عُرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ
البقرة وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً. وكان والله مثجاً يسيل غرباً. وكان يسمى «البحر»
و«حبر قريش» وقال النبي ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». وقال عمر: «غص
غواص» ونظر إليه يتكلم فقال:

[الرجز]

شِنْشَنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ

الشعر لأبي أخزم الطائي وهو جدُّ أبي حاتم طيٍّ أو جدُّ جدِّه. وكان له ابن يقال له
أخزم فمات وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدِّهم أبي أخزم فأدموه، فقال:

[الرجز]

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْأَلَمِ شِنْشَنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ
أي أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه. وأحسبه كان به عاقاً. فهكذا ذكر ابن
الكلبي. والشِنْشَنَةُ: مثل الطبيعة والسجية. فأراد عمر رضي الله تعالى عنه أني أعرف فيك
مشابهة في أبيك في رأيه وعقله. ويقال: إنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس.

ذكر خطباء بني هاشم:

ومن خطباء بني هاشم أيضاً (داود بن علي) وكان يكنى أبا سليمان. وكان أنطق
الناس وأجودهم أرتجالاً وأقتضاباً للقول. ويقال: إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط. وله
كلام كثير معروف محفوظ. فمن ذلك خطبته على أهل مكة: «شكراً شكراً. أما والله ما
خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ولا لبنين فيكم قصراً. أظنَّ عدوَّ الله إن لم نظفر به أن أرخى له
في زمامه. حتى عثر في فضل خطامه. فالآن عاد الأمر في نصابه. وطلعت الشمس من

(١) جاء في نسخة أخرى «فضلاً» بالضاد بدلاً من «فضلاً» بالصاد.

مطلعها. وأخذ القوسَ باريها. وعاد النبل إلى النزعة. ورجع الأمر إلى مستقره في أهل بيت نبيكم أهل بيت الرأفة والرَّحمة».

ومن خطباء بني هاشم (عبد الله بن الحسن) وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد: «أي بُني، إني مؤد إليك حقَّ الله في تأديبك فأدُّ إليَّ حقَّ الله في حسن الاستماع. أي بُني، كُفَّ الأذى، وأرفض البذاء، وأسْتَعِنُ على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول. فإنَّ للقول ساعاتٍ يضُرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب. وأخذُر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذُر مشورة العاقل إذا كان غاشاً، يُوشك أن يُورِّطاك بمشورتها فيسبق إليك مكرُّ العاقل وَغَرارة الجاهل».

قال الحسن بن خليل: كان المأمون قد استثقل (سهل بن هارون) فدخل عليه سهل يوماً، والناس عنده على منازلهم، فتكلم المأمون بكلام فذهب فيه كلُّ مذهب. فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال: «ما لَكُم تسمعون ولا تُعَوِّن، وتُشاهدون ولا تفهمون. وتفهمون ولا تتعجبون تنظرون ولا تبصرون؟. والله إنه ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان وقالوا في الدهر الطويل. عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم. ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء؟» قال: فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرأي الأول.

ومن خطباء بني هاشم - ثم من ولد جعفر بن سليمان - (سليمان بن جعفر) والي مكة. قال المكي سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون: إنه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا الكلام إلاَّ وسليمان أبين منه قاعداً وأخطبُ منه قائماً.

وكان (داود بن جعفر) إذا خطب اسحنفر^(١) فلم يردَّ شيء. وكان في لسانه شبيهة بالرتة^(٢). وكان (أيوب) فوق داود في الكلام والبيان ولم يكن له مقامات داود في الخطب. وقال عيسى بن إسحاق لداود بن جعفر: بلغني أن معاوية قال للنخار بن أوس: «أبغني محدثاً» قال: «ومعي يا أمير المؤمنين تريد محدثاً؟» قال: «نعم، استريح منك إليه، ومنه إليك، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك، ولا يكون صمتك في حال من الحالات أوفق لي من كلامك».

وكان (إسماعيل بن جعفر) من أدق الناس لساناً وأحسنهم بياناً.

ومن خطباء بني هاشم (جعفر بن حسن بن الحسين بن علي) وكان أحد من ينازع زيداً في الوصية، فكان الناس يجتمعون لسمعوا مجاوباتهما فقط.

وجماعة من ولد العباس في عصر واحد لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي، وفي

(٢) الرتة: العجمة في الكلام.

(١) اسحنفر: اتسع في كلامه وأسهب.

الكمال والجلالة، وفي العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة، مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والأقدار الرفيعة. وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار. وكانوا يجلون عن هذه الأسماء إلا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك. منهم (عبد الملك بن صالح) قال: وسأله الرشيد - وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان - فقال له: «كيف رأيت أرض كذا وكذا؟» قال: «مسافي»^(١) ريح ومنابت شيخ». قال: «فأرض كذا وكذا؟» قال: «هضاب حمر، وبرات عفر». قال: حتى أتى على جميع ما أراد. قال: فقال عيسى لسليمان: «والله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالدون من الكلام».

الهضبة: الجبل ينسط على الأرض، وجمعها هضاب. والبراث: الأماكن الينة السهلة واحدها بُرث. وقوله: عفر أي حمرتها كحمره التراب. والطبي الأعفر الأحمر لأن حمرة كذلك، والعفر والعفر: التراب. ومنه قيل ضربه حتى عفره أي ألحقه بالتراب.

ومن هؤلاء (عبد الله بن صالح، والعباس بن محمد، وإسحاق بن عيسى، وإسحاق بن سليمان، وأيوب بن جعفر) هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الأخبار. وكان إبراهيم بن السندي يحدثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي، وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور.

وكان (عبد الله بن علي وداود بن علي) يعدلان بأمة من الأمم. ومن مواليتهم إبراهيم ونصر أبنا السندي. فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم. وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له، وكان خطيباً، وكان ناسباً، وكان فقيهاً، وكان نحويًا عروضياً، وحافظاً للحديث، راوية للشعر، شاعراً. وكان فخم الألفاظ، شريف المعاني. وكان كاتب القلم، كاتب العمل. وكان يتكلم بكلام رؤبة، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأعور. وكان منجماً، طبيباً، وكان من رؤساء المتكلمين. وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة. وكان أحفظ الناس لما سمع، وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر.

ومن خطباء تميم (جحدب) وكان خطيباً راوية، وكان قضى على جرير في بعض مذاهبه، فقال جرير:

[الكامل]

قَبَحَ إِلَالَهُ وَلَا يُقْبَحُ غَيْرُهُ بَطْرًا تَفَلَّقَ عَنْ مَفَارِقِ جَحْدَبِ

(١) مسافي الريح: جمع مسفى، وهو ملعب الريح ومحل هبويه.

وهو الذي كان لقيه خالد بن سلمة المخزومي الخطيب الناسب فقال: «والله ما أنت من حظلة الأكرمين، ولا سعد الأكثرين، ولا عمرو الأشدين، وما في تميم خير بعد هؤلاء». فقال له جحدب: «والله إنك لمن قريش، وما أنت من بيتها، ولا من ثبوتها، ولا من شوارها وخلافها، ولا من أهل ساداتها وسقايتها». وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان للعبدري، فإنه قال له: «هشمثك هاشم، وأمثك أمية، وخزمثك مخزوم، وأنت من عبد دارها، ومنتهى عارها. تفتح لها الأبواب إذا أقبلت، وتغلقها إذا أدبرت».

ومن ولد المنذر (عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن هبيرة بن المنذر) وكان فقيهاً عالماً قاضياً. وكان راوية شاعراً. وكان خطيباً ناسباً. وكان حاضر الجواب مفوهاً. وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يُشَبَّه بعامر الشعبي. وكان يُكنى أبا شبرمة. وقال يحيى بن نوفل:

[الرجز]

لَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمَةِ؟ وَالْعِزُّ وَالْجُرْثُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ؟ تَتَابَعِ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرَمَةَ
وابن شبرمة الذي يقول في ابن أبي ليلي:

[المقارب]

وَكَيْفَ تُرَجَّى لِفَضْلِ الْقَضَاءِ وَلَمْ تُصَبِّحْ الْحُكْمَ فِي نَفْسِكَ
فَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَابْنُ الْجَلَّاحِ وَهِيَ هَاتِ دَعْوَاكَ مِنْ أَصْلِكَ

قال: وقال رجل من فقهاء المدينة: «من عندنا خرج العلم». قال: فقال ابن شبرمة: «نعم، ثم لم يرجع إليكم». قال: وقال عيسى بن موسى: «دلوني على رجل أوليه مكان كذا وكذا». فقال ابن شبرمة: «أصلح الله الأمير، هل لك في رجل إن دعوتموه أجابكم وإن تركتموه لم يأتكم، ليس بالملح طلباً ولا بالمُعِين هرباً؟» وسئل عن رجل فقال: «إن له شرفاً وبيتاً وقدماً». ونظروا فإذا هو ساقط من السفلة، فقيل له في ذلك. فقال: «ما كذبت، شرفه أذناه، وقدمه التي يمشي عليها، ولا بد من أن يكون له بيت أوى إليه». قال أبو إسحاق: «بل كذبت، إنما هو كقول القائل، حين سألته بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال: هو يبيع الدواب، فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع الأسنانير، فلما سئل عن ذلك. قال: ما كذبت لأن السنور دابة - قال أبو إسحاق - بل لعمرى لقد كذب. وهذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل في تزويج امرأة فقال: رزين المجلس، نافذ الطعنة، فحسبوه سيداً فارساً، فنظروا فوجدوه خياطاً، فسئل عن ذلك. فقال: «ما كذبت إنه لطويل الجلوس، جيد الطعن بالإبرة - فقال أبو إسحاق - بل لعمرى لقد كذب لأنه قد غرهم منه». وكذلك لو سألته رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيماً فقال: «هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف». فلما

بايعه الرجل وجده مُعْدَمًا ضعيف الحيلة، فلما قيل له في ذلك: قال: «ما كذبت لأنه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه» حتى عد جميع أعضائه وجوارحه. ومن قال للمستشير هذا القول فقد غرّه، وذلك مما لا يحل في دين ولا يحسن في الحرية، وهذا القول معصية لله تعالى، والمعصية لا تكون صدقًا. وأدنى منازل هذا الخبر لا يُسمَّى صدقًا. فأما التسمية له بالكذب فإن فيها كلامًا يطول.

التعريف بخالد بن صفوان الأهمي:

ومن الخطباء المشهورين في العوام والمقدمين في الخواص (خالد بن صفوان الأهمي) زعموا جميعاً أنه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين، وكان من سُمارة وأهل المَنزلة عنده، ففخر عليه ناس من بلحارث بن كعب وأكثروا في القول، فقال أبو العباس: «لم لا تتكلم يا خالد؟» فقال: «أخوال أمير المؤمنين وعُصبتهم». قال: «فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبتهم؟» قال خالد: «وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج بُرْد، ودابغ جلد، وسائس قِرْد، وراكب عَرْد»^(١). دل عليهم هدهد، وغرقتهم فأرة، وملكتهم امرأة». فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام أنه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد. ولئن كان هذا شيئاً حضره حين حرك وبسط فما له نظير في الدنيا. فتأمل هذا الكلام فإنك ستجده مليحاً مقبولاً وعظيم القدر جليلاً. ولو خطب أليمانى بلسان سُحبان وائل حولاً كريتا^(٢) ثم صُك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة. وكان أذكر الناس، لأول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقته. قال مكي بن سودة في صفته له:

[الطويل]

عَلَيْمٌ بِتَنْزِيلِ الْكَلَامِ مُلَقَّنٌ ذُكُورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلَا
يَبْدُ قَرِيعٌ^(٣) الْقَوْمُ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَإِنْ كَانَ سَحْبَانَ الْخَطِيبِ وَدَغَفَلَا
تَرَى خُطْبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ أَرْتَجَالِهِ كَأَنَّهُمُ الْكَرَوَانُ عَايِنَ أَجْدَلَا

الكروان جمع كروان: وهو ذكر الخُبَارَى. والأجدل: الصقر.

وكان يُقَارِضُ شَيْبَ بن شَيْبَةَ لاجتماعهما على القراءة والمجاورة والصناعة. فذكر شَيْبٌ عنده مرة فقال: «ليس له صديق في السِّرِّ، ولا عدوٌّ في العلانية». وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة. وكان خالد جميلاً ولم يكن بالطويل، فقالت له امرأة: «إنك لجميل يا أبا صفوان». قال: «وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسُه» ف قيل له: «ما عمود الجمال؟» قال: «الطول ولست بطويل، ورداؤه ألبياض ولست بأبيض، وبرنسُه سواد الشعر وأنا أشمط. ولكن قلني إنك لمليح ظريف».

(١) العَرْد: الحمار. (٢) حولاً كريتا: كاملاً، تاماً. (٣) قريع القوم: سيدهم.

وخالد يعد في الصلعيان . ولكلام خالد كتاب يدور في أيدي الوراقين .
 وكان (الأزهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبي) عالماً ناسباً .
 ومن خطباء بني ضبة (حنظلة بن ضرار) وقد أدرك الإسلام وطال عمره حتى أدرك
 يوم الجمل، وقيل له: «ما بقي منك؟» قال: «أذكر القديم وأنسى الحديث، وأرق بالليل
 وأنام وسط القوم» .

ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم (مشجور بن غيلان بن خرشة) وكان مقدماً في
 المنطق، وهو الذي كتب إلى الحجاج: «إنهم قد عرضوا عليّ الذهب والفضة فما ترى أن
 آخذ؟» قال: «أرى أن تأخذ الذهب» فذهب عنه هارباً، ثم قتله بعد . وذكره الفلاح بن حزن
 المُنْقَرِي فقال:

[الطويل]

وأَمْثَالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ وَمِثْلُهُ فَتَى الصَّدَقِ إِنْ صَفَّقْتَهُ كُلَّ مَصْفَقٍ
 وَمَا كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيَا عَرِيضَةٍ وَلَا بِأَبْنِ خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
 إِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ مَقَالَهُ وَيَأْخُذُ مَنْ أَكْفَاهِ بِالْمُخْنَقِ^(١)

ذكر خطباء الخوارج:

ومن خطباء الخوارج (قطري بن الفجاءة) له خطبة طويلة مشهورة، وكلام كثير
 محفوظ . وكانت له كنيتان . كنية في السلم، وهو أبو محمد، وكنية في الحرب، وهو أبو
 نعام . وكانت كنية عامر بن الطفيل في الحرب غير كنيته في السلم: كان يُكنى في
 الحرب بأبي عقيل، وفي السلم بأبي علي . وكان يزيد بن يزيد يُكنى في السلم بأبي
 خالد، وفي الحرب بأبي الزبير . وقال مسلم بن الوليد الأنصاري:

[الكامل]

لَوْلَا سُيُوفُ أَبِي الزُّبَيْرِ وَخَيْلُهُ بَشَرَ الْوَلِيدِ لِسَيْفِهِ الضَّحَاكَ
 وفيه يقول:

[البيسط]

لَوْلَا يَزِيدٌ وَمُقَدَّارٌ لَهُ سَبَبٌ^(٢) عَاشَ الْوَلِيدُ مَعَ الْغَاوِينَ أَعْوَامًا
 سَلَ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ يَمْضِي فَيَخْتَرِقُ الْأَرْوَاحَ^(٣) وَالْهَامَا
 إِذَا الْخِلَافَةُ عُدَّتْ كُنْتُ أَنْتَ لَهَا عِزًّا وَكَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ حُكَّامَا

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد! وقد كان خالد بن يزيد أكتنى بها في الحرب في بعض
 أيامه بمصر . وهذا الباب مستقصى مع غيره في أبواب الكنى والأسماء، وهو وارد عليكم
 إن شاء الله تعالى .

(١) المخنق: هو موضع جبل الجنق من العنق . (٢) جاء في نسخة أخرى «سلفت» بدلاً من «سبب» .

(٣) جاء في نسخة أخرى «الأجسام» بدلاً من «الأرواح» .

ومن خطباء الخوارج (ابن صديقة) وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة، وكان صُفْرياً خطيباً ناسباً ويشوبه ببعض الظرف والهزل.

ومن علماء الخوارج (شبيل بن غرزة الضبيعي) صاحب الغريب وكان راوية خطيباً وشاعراً ناسباً، وكان سبعين سنة رافضياً ثم انتقل خارجياً صُفْرياً.

ومن علماء الخوارج (الضحاك بن قيس الشيباني) ويكنى أبا سعيد، وهو الذي ملك العراق وسار في خمسين ألفاً، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصلياً خلفه، وقال شاعرهم:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وكان (ابن عطاء الليثي) يُسامر الرشيد، وكان صاحب أخبار وأسمار وعلم بالأنساب، وكان أظرف الناس وأحلامهم.

وكان (عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْن) راوية ناسباً وعالماً بالعربية فصيحاً.
وكان (عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر) من أبين الناس وأفصحهم، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول: إني لأنجي كُورَ العمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى بن عبد الله. قال: وقال بعض الأمراء - وأظنه بلال بن أبي بردة - لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة: ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده؟ قال: يشاهدنا بأحسن أستماع وأحسن حديث، ثم يأتي أطباخ فيمثل بين عينيه، فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا وجدي كذا ودجاجة كذا ومن ألحلو كذا. قال: ولم يسأل عن ذلك؟ قال: ليقصر كل رجل عما لا يشتهي حتى يأتيه ما يشتهي. ثم يأتون بالخوان فيتضايق وتوسع ويقصر ونجتهد، فإذا شبعنا خوى تخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المفرور.

قال: والجارود هو الذي قال: «سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلُّ العسل». وهو الذي قال: «عليكم بالمُرَبِّد، فإنه يطرد ألفكر، ويجلو البصر، ويجلب الخبر، ويجمع بين ربيعة ومضر». قال: وصعد عثمان المنبر فارتج عليه. فقال: «إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب». وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله تعالى.

وشخص يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة إلى هشام بن عبد الملك، فتكلم، فقال هشام: «ما مات من خلف مثل هذا». فقال الأبرش الكلبي: «ليس هناك، أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره؟» قال يزيد: «ما لذلك رشح، ولكن لجلوسك في هذا الموضع». وكان الأبرش ثَلَاثَةَ^(١) نسابه، وكان مصاحباً لهشام بن عبد الملك، فلما أفضت إليه الخلافة سجد،

(١) الثلاثة: من يعيب الناس في كل شيء.

وسجد من كان عنده من جلسائه، والأبرش شاهد لم يسجد، فقال له هشام: «ما منعك أن تسجد يا أبرش؟» قال: «ولم أسجد وأنت اليوم معي ماشياً وغداً فوقّي طائراً؟» قال: «فإن طرُت بك معي؟» قال: «أنراك فاعلاً؟» قال: «نعم». قال: «فألآن طاب السجود». قال: دخل يزيد بن عمر على المنصور - وهو يومئذ أمير - فقال: «أيُّها الأمير، إن عهد الله لا يُنكث، وعقده لا يُحل، وإن إمارتكم بكرّ فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها».

قال سهل بن هارون: دخل قطرب النحوي على المخلوع فقال: «يا أمير المؤمنين، كانت عدتك أرفع من جائزتك». وهو يتبسم، قال سهل: فاغتاظ الفضل بن الربيع، فقلت له: «إن هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة، أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه».

قال: وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومي: «من أخطب الناس؟» قال: «أنا» قال: «ثم من؟» قال «سيد جذام» يعني روح بن زنباع. قال: «ثم من؟» قال: «أخيفش ثقيف» يعني الحجاج. قال: «ثم من؟» قال: «أمير المؤمنين». قال: «ويحك جعلتني رابع أربعة». قال: «نعم هو ما سمعت».

ومن خطباء الخوارج وعلماهم ورؤسائهم في الفتيا وشعرائهم ورؤساء قعديهم (عمران بن حطان). ومن علماهم وشعرائهم وخطبائهم (حبيب بن خدره الهلالي) وعداؤه في بني شيبان. وممن كان يرى رأي الخوارج (أبو عبيدة النحوي معمر بن المثنى) مولى تيم بن مرة، ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه. وممن كان يرى رأي الخوارج (الهيثم بن عدي) الطائي ثم البُخترى. وممن كان يرى رأي الخوارج (شُعَيْب بن رباب الحنفي أبو بكار) صاحب أحمد بن أبي خالد ومحمد بن حسان السكسكي. ومن الخوارج من علماهم وروائهم (مسلم بن كرزين) وكنيته أبو عبيدة، وكان أباضياً. ومن علماهم الصُفريّة، وممن كان مقنعاً في الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعاً (مليل) وأظنه من بني ثعلبة. ومن أهل هذه الصنعة (أصفر بن عبد الرحمن) من أحوال طوق بن مالك. ومن خطبائهم وفقهائهم وعلماهم (المقعطل) قاضي عسكر الأزارقة أيام قطري. ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم (عبيدة بن هلال أليشكري) وكان في بني السمين ومن بني شيبان خطباء العرب، وكان فيهم ذاك فاشياً ولذلك قال ألا خطل:

[الطويل]

فَأَيْنَ ابْنُ السَّمِينِ ^(١) لَا يَقُومُ خَطِيبُهَا وَأَيْنَ ابْنُ ذِي الْجَدَيْنِ لَا يَتَكَلَّمُ

ذكر خطباء بعض القبائل:

وقال سحيم بن حفص. كان (يزيد بن عبد الله بن روبة الشيباني) من أخطب الناس

(١) جاء في نسخة أخرى «السمير» بدلاً من «ابن السمين».

عند يزيد بن الوليد، فأمر للناس بعهاءين. ومن الخطباء (مُعِيدُ بْنُ طَوْقٍ الْعَنْبَرِي) دخل على بعض الأمراء، فتكلم وهو قائم فأحسن، قال: فلما جلس تلهيع^(١) في كلامه، فقال له: «ما أظرفك قائماً وأموّرك^(٢) قاعداً!» قال: «إني إذا قمت جدّدت وإذا قعدت هزلت». قال: «ما أحسن ماخرجت منها!». ومن خطباء عبد القيس (مُصْقَلَةُ بْنُ رَقَبَةَ بْنِ مِصْقَلَةَ) و(كُرب بن رَقَبَةَ). والعرب قد ذكروا من خطب العرب (العجوز): وهي خطبة لآل رَقَبَةَ، ومتى تكلموا فلا بدّ لهم منها أو من بعضها. (والعذراء) وهي خطبة (قيس بن خارجة) لأنه كان أبا عذرها (والشّوّهاء) وهي خطبة (سحبان وائل) وقيل ذلك لها من حسنّها، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم يُنشِد شاعراً، ولم يخطب خطيب. وكان (أبو عمار الطائي) خطيب مَدْحَج كلّها فبلغ النعمان حُسْن حديثه، فحمّله على منادمته، وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشّعر، وكان شديد العريضة قتلاً للنُدماء، فنّها أبو قردودة الطائي عن منادمته، فلما قتله رثاه فقال:

[البسيط]

إني نهيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلْتُ لَهُ لا تَأْمَنَنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطْرُبُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ
يا جَفْنَةً كإِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمُنْطِقاً مِثْلَ وَشْيِ الْيُمْنَةِ الْحَبْرَةَ

وقال الأصمعي: هو كقوله:

[الرجز]

وَمُنْطِقٌ خُرِقَ بِالْعَوَاسِلِ^(٣) لَدَّ كَوْشِي الْيُمْنَةِ الْمَرَاكِجِلِ^(٤)

قال: وسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلام عمرو بن الأهتم عن الزُّبَيْرِ بْنِ بَدْرٍ فقال: «إنه لمانعٌ لحوزته مُطَاعٌ في أذنيه» قال الزُّبَيْرِ قَان: «يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال، ولكنه حسدني يا رسول الله في شرفي فقصر بي». فقال عمر: «وهو والله زَمِرُ المروءة، ضيقُ العطن، لثيمُ الخال». فنظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلام في عينيه، فقال: «يا رسول الله، رضيْتُ فقلت أحسن ما علمتُ وغضبتُ فقلت أقبح ما علمتُ، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الآخرة» فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن من البيان لسحراً».

قال: وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز - وكانت حاجته في قضائها مشقة - قال: فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأني لها فقال عمر: «والله إن هذا للسحرُ الحلال».

(١) تلهيع في كلامه: أفرط وزاد فيه وتبلغ. (٢) ما ق الرجل: تحامق بغباء.

(٣) العواسل: الرماح اللدنة.

(٤) جاء في نسخة أخرى «المراجل» بالحاء، وهي التي نقش فيها تصاوير الرجال، بدلاً من «المراجل» بالميم، وهي البرد اليمانية.

ومن أصحاب الأخبار والآثار (أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة) وكان القاضي قبل أبي يوسف. ومن أصحاب الأخبار والآثار (أبو هنيئة) و(أبو نعمة) العدويان. ومن الخطباء (أيوب بن الفريّة) وهو الذي لما دخل على الحجاج، قال: «ما أعددت لهذا الموقف؟» قال: «ثلاثة حروف، كلهن ركب وقوف، دنيا وآخرة ومعروف». ثم قال له في بعض ما يقول: «أقلني عثرتي، وأسغني ريتي، فإنه لا بدّ للجواد من كبوة، ولل سيف من نبوة، وللحليم من هفوة». قال: «كلا والله حتى أوردك جهنم، ألسنت القائل برستقاباذ: «تغدّوا الجدي قبل أن يتعشاكم؟». قال: ومن خطباء غطفان في الجاهلية (خويلد بن عمرو) و(العتراء بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة) وخويلد خطيب يوم الفجار. ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب وأهل البيان (الوضاح بن خيثمة). ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات^(١) (بنو الكواء) وإياهم يعني مسكين بن أنيف الدارمي حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال:

[الوافر]

كَلَانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيِّ صِدْقٍ وَلَكِنَّ الرَّحَى فَوْقَ الثَّقَالِ
وَحَكْمٌ دَغْفَلًا وَأَرْحَلٌ إِلَيْهِ وَلَا تُرِحِ الْمَطِيَّ مِنَ الْكَلَالِ
تَعَالَ إِلَى بَنِي الْكَوَاءِ يَقْضُوا بِعِلْمِهِمْ بِأَنْسَابِ الرِّجَالِ
تَعَالَ^(٢) إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ يُنَبِّي بِالسَّوَابِلِ وَالْعَوَالِي
وَعِنْدَ الْكَيْسِ النَّمْرِيِّ عِلْمٌ وَلَوْ أَضْحَى بِمُنْخَرِقِ الشَّمَالِ

ومن الخطباء القدماء (كعب بن لؤي) وكان يخطب على العرب عامة ويحضر كنانة خاصة على الأبر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تفرح بموت كعب بن لؤي إلى عام ألفيل. ومن الخطباء الأبيناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة (شبيب بن شيبه) وهو الذي يقول في صالح بن أبي جعفر المنصور وقد كان المنصور أقام صالحاً فتكلم فقال شبيب: «ما رأيت كاليوم أبين بياناً، ولا أجود لساناً، ولا أربط جناناً، ولا أبل ريقاً، ولا أحسن طريقاً، ولا أغمض غروفاً، من صالح. وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدي أخاه، أن يكون كما قال زهير:

[البسيط]

يَطْلُبُ شَأَوُ^(٣) امْرَأَيْنِ قَدَمَا حَسَنًا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ^(٤) هَذِهِ السُّوقَا^(٥)
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا عَلَى تَكَالَيْفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقَا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ^(٦) فَمِثْلُ مَا قَدَمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

(٢) جاء في نسخة أخرى «هلم» بدلاً من «تعال».

(٤) بذ: تفوق وغلب.

(٦) المهمل: التقدم، السبق.

(١) النفورات: الحكومات.

(٣) الشأو: السبق.

(٥) السوق: عامة الناس وأوسطهم.

قال: وخرج شبيب من دار الخلافة يوماً، فقال له قائل: «كيف رأيت الناس؟» قال: «رأيت ألدخل راجياً، وألخارج راضياً». قال: وقال خالد بن صفوان: «اتقوا مجانق الضعفاء». يريد ألدعاء. قال: وقال شبيب بن شيبه: «أطلب الأدب، فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في العُربة وصلة في المجلس». وقال شبيب للمهدي يوماً: «أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك، وأرى الله بنيك فيك ما أراك في أبيك». وقال أبو الحسن: قال زيد بن علي بن الحسين: «أطلب ما يعينك وأترك ما لا يعينك، فإن في ترك ما لا يعينك دركاً لِمَا يعينك، وإنّما تقدم على ما قدمت ولست تقدم على ما أخرت، فأثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً». أبو الحسن عن إبراهيم بن سعد: قال: قال خالد بن صفوان: «ما للإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مَهْمَلَة». أبو الحسن قال: كان (أبو بكر) خطيباً. وكان (عمر) خطيباً وكان (عثمان) خطيباً. وكان (علي) خطيباً. وكان من الخطباء (معاوية) و(يزيد) و(عبد الملك) و(معاوية بن يزيد) و(مروان) و(سليمان) و(يزيد بن الوليد) و(وليد بن يزيد) و(الوليد بن عبد الملك) و(عمر بن عبد العزيز). ومن خطباء بني هاشم (زيد بن علي) و(عبد الله بن حسن) و(عبد الله بن معاوية) خطباء لا يجارون. ومن خطباء النساك والعباد (الحسن بن أبي الحسن البصري) و(مُطَرِّف بن عبد الله الحرشي) و(مُورِق العجلي) و(بكر بن عبد الله المزني) و(محمد بن واسع الأزدي) و(يزيد بن أبان الرقاشي) و(مالك بن دينار السامي). وليس الأمر كما قال في هؤلاء القاص المجيد والواعظ البليغ وذو المنطق الوجيز. فأما الخطب فإننا لا نعلم أحداً يتقدم الحسن البصري فيها. وهؤلاء وإن لم يُسمَّوا خطباء فإن الخطيب لم يكن يشق غبارهم.

أبو الحسن قال: حدثني أبو سليمان الحميري قال: كان هشام بن عبد الملك يقول: «إني لاستصنفُ العِمامة^(١) الرقيقة أن تكون على أذني إذا كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يتكلم، مخافة أن يسقط عني من حديثه شيء».

ومن الخطباء من بني عبد الله بن غطفان (أبو البلاد) وكان راوية ناسباً. ومنهم (هاشم بن عبد الأعلى الفزاري).

ومن الخطباء (حفص بن معاوية الغلابي) وكان خطيباً، وهو الذي قال حين أشرك سليمان بن علي بينه وبين مولى له، على دارة القتب، قال حفص: «أشركت بيني وبين غير الكفي، ووليتني غير السني». ومن بني هلال بن عامر (زُرْعَةُ بن ضَمْرَة) وهو الذي قيل: «لولا غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب». وقام عند معاوية بالشم خطيباً فقال

(١) أستصنف العِمامة: أحس بثقلها.

معاوية: «يا أهل الشام هذا خالي فأتوني بخال مثله». وكان ابنه (النعمان بن زُرعة بن صَمُرَة) من أخطب الناس، وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فلّ ابن الأشعث بالكلام اللطيف. قال سُحيم بن حفص: ومن الخطباء (عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي) تكلم هو وعبد الله بن الأَهمّ عند عمر بن هُبيرة يفضّل عاصماً عليه. وقال سُحيم: فقال قائل، يومئذ: «الخلّ الحامض ما لم يكن ماء».

خطباء آل الأَهمّ:

ومن خطباء بني تميم (عمرو بن الأَهمّ) وكان يدعى الكحل لجماله، وهو الذي قيل فيه: «إنما شعره حُلّ منشرة بين أيدي الملوك تأخذ منه ما شاءت». ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه. ومن بني منقر (عبد الله بن الأَهمّ) وكان خطيباً ذا مقامات ووفادات. ومن الخطباء (صفوان بن عبد الله بن الأَهمّ) وكان خطيباً رئيساً. وابنه (خالد بن صفوان) وقد وفّد إلى هشام وكان من سمار أبي العباس. ومنهم (عبد الله بن عبد الله بن الأَهمّ) قد ولي خراسان، ووفّد على الخلفاء وخطب عند الملوك. ومن ولده (شبيب بن شيبه) بن عبد الله بن عبد الله بن الأَهمّ و(عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأَهمّ) (وخاقان بن الأَهمّ) وهو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأَهمّ. ومن خطبائهم (محمد الأحول بن خاقان) وكان خطيب بني تميم، وقد رأيته وسمعت كلامه. ومن خطبائهم (معمر بن خاقان) وقد وفد. ومن خطبائهم (مؤمل بن خاقان)، وقال أبو الزبير الثقفي: «ما رأيت خطيباً من خطباء الأمصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان». ومن خطبائهم (خاقان بن المؤمل بن خاقان). وكان (صباح بن خاقان) ذا علم وبيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام لحق الجار. ومن بني منقر (الحكم بن النصر) وهو أبو ألعلاء المُنقري، وكان يصرف لسانه حيث شاء من جهرارة وأقتدار. ومن خطباء بني صريم بن الحارث (الخزرج بن الصدي).

التعريف برؤية وآله:

ومن خطباء بني تميم من مقاعس (عمارة بن أبي سليمان). ومن ولد بني مالك بن سعيد (عبد الله) و(خير) ابنا حبيب كانا ناسبين عالمين أديبين دينين. ومن ولد مالك بن سعيد (عبد الله) و(العباس) ابنا رؤية، وكان العباس علامة عالمياً ناسباً راوية، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم، ويكنى أبا الشَّعْثَاء وهو العجاج. ومن أصحاب الأخبار والنسب (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه ثم (جُبَيْر بن مُطعم) ثم (سعيد بن المسيّب) ثم (محمد بن سعيد بن المسيّب) ثم (قتادة) و(عبد الله بن عبيد الله^(١) بن عتبة المسعودي)

(١) جاء في نسخة أخرى «عبيد الله بن عبد الله» بدلاً من «عبيد الله بن عبيد الله».

الذي قال في كلمات^(١) له في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :

[الطويل]

فَمِسَّا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتُسَلِّمَا فَمَا حُشِيَ الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنْ الْكِبَرِ
فَلَوْ شِئْتُ أُولِي فِيكُمْمَا غَيْرَ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِرِّ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَّهُ عَنْكُمَا ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِي

وهو الذي قيل له: كيف تقول الشعر مع النسك والفقه؟ فقال: «إِنَّ المصدور^(٢) لا يملك أن ينفث». وقد ذكر المصدور أبو زبيد الطائي في صفة الأسد فقال:

[البيط]

لِلصَّدْرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فِيهِ حَشْرَجَةٌ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ أَحْشَاءِ مَصْدُورٍ

ذكر خطباء هذيل:

ومن خطباء هذيل (أبو المليح الهذلي أسامة بن عُمير). ومنهم (أبو بكر) الهذلي كان خطيباً قاصاً وعالماً بيتاً وعالماً بالأخبار والآثار، وهو الذي لما فاخر أهل الكوفة قال: «لنا الساج، والعاج، والدباج، والخراج، والنهر العجاج».

(١) جاء في نسخة أخرى «في كلمة له» بدلاً من «في كلمات له».

(٢) المصدور: هو من يتألم لما في صدره من ضيق.

باب من أسماء الكُهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا: أكهن العرب وأسجعهم (سلمة بن أبي حية) وهو الذي يقال له غرى^(١) سلمة. ومنهم خطباء عُمان (مرة بن فهم التليد) وهو الخطيب الذي أوفده المهلب إلى الحجاج. ومن أعتيك (بشر بن المغيرة بن أبي صفرة) وهو الذي قال لبني المهلب: «يا بني عمي، إني والله قد قصرت عن شكاة العاتب، وجاوزت شكاة المستعتب، حتى كأني لست موصولاً ولا محروماً، فعدوني امرأة خفتم لسانه أو رجوتم شكره.

وإني وإن قلت هذا فلما أبلاني الله بكم أعظم مما أبلاكم بي». ومن خطباء اليمن ثم من حمير (الصباح بن شقي الحميري) كان أخطب العرب.

ذكر خطباء الأنصار:

ومنهم ثم من الأنصار (قيس بن الشماس) ومنهم (ثابت بن قيس بن الشماس) خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. ومنهم (رؤح بن زنباع) وهو الذي لما هم به معاوية قال: «لا تُشمتن بي عدواً أنت وقمته»^(٢) ولا تسوء بي صديقاً أنت سررت، ولا تهدمن مني زكناً أنت بنيته. هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلي وإساءتي». ومن خطبائهم (الأسود بن الكذاب كعب العنسي). وكان (طليحة) خطيباً وشاعراً وسجاعاً كاهناً ناسباً. وكان (مسيلم الكذاب) بعيداً من ذلك كله. و(ثابت بن قيس بن شماس) هو الذي قال لعامر حين قال: «أما والله لئن تعرضت لعني»^(٣) وفني^(٤) وذكاء سني لتوليين عني». فقال له ثابت: «أما والله لئن تعرضت لسبابي وشبا أنيابي وسرعة جوابي لتكرهن جنابي». قال: فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «يكفيك الله وأبناء قبيلة» وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه. ومن خطباء الأنصار (بشر بن عمرو بن محض) وهو أبو عمرة الخطيب. ومن خطباء الأنصار (سعد بن الربيع) وهو الذي اعترضت أخته النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال لها: «من أنت؟» فقالت: «ابنة

(١) جاء في نسخة أخرى «عزى» بالزاي بدلاً من «غرى» بالراء.

(٢) وقمته: قهرته وأذلته.

(٣) العن: الاعتراض.

(٤) الفن: الحال.

الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع». ومنهم (خال حسان بن ثابت) وفيه يقول حسان:

[الخفيف]

إِنَّ خَالِي خَطِيبٌ جَابَيْتُهُ الْجَوْ لَأَنَّ عِنْدَ التُّعْمَانِ حَيْثُ يَقُومُ

وإياه يعني حسان بقوله:

[الرملي]

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ^(١) الْمَشِيَّةَ فِي الْيَوْمِ الْخَصِرِ^(٢)

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء (شرقي بن القطامي الكلبي) و(محمد بن السائب الكلبي) و(عبد الله بن عياش الهمداني) و(هشام بن محمد بن السائب الكلبي) و(الهيثم بن عدي الطائي) و(أبو رزوق الهمداني) واسمه عطية بن الحارث و(أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي) و(محمد بن عمر الأسلمي الواقدي) و(عوانة الكلبي) و(ابن عينة المهلب) و(الخليل بن أحمد الفراهيدي) و(خلف بن حيان الأحمر الأشعري). قالوا: ومنا في الجاهلية (عبيد بن شربة) ومنا (شق بن الأصعب) ومنا (ربيع بن ربيعة السطوح الذئبي) ومنا (المأمور الحارثي) و(الديان بن عبد المدان الحارثي) الشريفان الكاهنان. ومنهم (عمرو بن حنظلة بن نهد) وله يقول القائل:

[مجزوء الكامل]

عمرو بن حَنْظَلَةَ بْنِ نَهْدٍ مِنْ خَيْرِ نَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ

ومنهم (أبو الشطاح اللخمي) وجمع معاوية بينه وبين دغفل بن حنظلة البكري. ومنهم (أبو الكناس الكندي) ومنهم (أبو مخوس^(٣) الكندي) وكانا ناسبين عالمين. ومن أصحاب الأخبار والآثار (عبد الله بن عتبة بن لبيعة) ويكنى أبا عبد الرحمن. ومن القدماء في الحكمة والخطابة والرياسة (عبيد بن شربة الجرهمي) و(أسقف نجران) و(أكيدر) صاحب دومة الجندل و(أفيعي نجران) و(ذرب بن حوط) و(علي بن جناب) و(عمرو بن ربيعة) وهو لحي بن حارثة بن عمرو مزيقياء و(جذيمة بن مالك الأبرش) وهو أول من أسرج الشمع ورمى بالمنجنق.

(١) السبط: المستقيم.

(٢) اليوم الخصر: اليوم البارء.

(٣) جاء في نسخة أخرى «منحوس» بدلاً من «مخوس».

باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان

عامر بن عبد قيس، وصلة بن أشيم، وعثمان بن أدهم، وصفوان بن مخرز، والأسود بن كلثوم، وألربيع بن خيثم^(١)، وعمرو بن عتبة بن فرقد، وهرم بن حيان، ومورق العجلي، وبكر بن عبد الله المزني ومطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي. وبعد هؤلاء مالك بن دينار، وحبيب أبو محمد، ويزيد الرقاشي، وصالح المزني^(٢)، وأبو حازم الأعرج، وزيايد مولى عياش بن أبي ربيعة، وعبد الواحد بن زياد^(٣)، وحيان أبو الأسود، ودهثم أبو العلاء.

ذكر نساء اشتهرن بالبيان :

ومن النساء رابعة القيسية، ومُعَاذَةُ الْعَدَوِيَّةُ أُمُّ رَافَةَ صِلَةَ بْنِ أَشِيمٍ، وَأُمُّ الدَّرْدَاءِ. ومن نساء الخوارج البلحاء^(٤)، وغزالة، وقطام، وحمادة، وكحيلة. ومن نساء الغالية ليلي الناعطية والصدوق وهند.

وممن كان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو الحكم الكندي، ومحمد بن محمد الحمراني.

ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء لقمان بن عاد، ولقيم بن لقمان، ومجاشع بن دارم، وسليط بن كعب بن يربوع سموه بذلك لسلطة لسانه وقال جرير:

[الرجز]

إِنَّ سَلِيطاً كَأَسْمِهِ سَلِيطُ

ولؤي بن غالب وقُتَيْسُ بْنُ سَاعِدَةَ، وقُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ.

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي، وربيعه بن حذار، وهرم بن قطبة، وعامر بن الظرب، وليبّد بن ربيعة وكان من الشعراء.

(١) جاء في نسخة أخرى «خيشم» بالشين بدلاً من «خيثم» بالياء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «المري» بالراء وفي نسخة غيرها «المزي» بالزاي، بدلاً من «المزني».

(٣) جاء في نسخة أخرى «زيد» بدلاً من «زياد».

(٤) جاء في نسخة أخرى «البلجاء» بالميم بدلاً من «البلحاء» بالحاء.

وأسماء الصوفية من أنساك ممن تُجيد ألكلام كلاب، وكليب، وهاشم الأوقص، وأبو هاشم الصوفي، وصالح بن عبد الجليل.

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالعريب الخطفي - وهو جد جرير بن عطية بن الخطفي وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع - وإنما سمي الخطفي لأبيات قالها:

[الرجز]

يَرْفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا^(١) أَعْنَقَ جَنَّان^(٢) وَهَاماً رُجْفَاً
وَعَنْقاً بَاقِي الرِّسِيمِ خَيْطَفَا

العنق: ضرب من السير، وهو المسبطر، فإذا ارتفع عن العنق قليلاً فهو التزيد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل. والرسيم فوق الذميل. والخطيف: السريع أي يخطف كما يخطف البرق، ويخطف من الخطف وألياء زائدة في خطف كما قالوا رجل صيرف من الصرف ورجل جيدر من الجدر وهو القصر، وأصل الخطف الأخذ في سرعة ثم استعير لكل سريع.

ذكر القصاص:

قصّ الأسود بن سريع وهو الذي قال:

[الطويل]

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا
وقص الحسن وسعيد بن أبي الحسن. وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ في مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن في مسجد البصرة. وقص إبراهيم التيمي. وقص عبيد الله بن عمير الليثي، وجلس إليه عبد الله بن عمر. حدثني بذلك عمرو بن فائد بإسناد له.

ومن القصاص (أبو بكر الهذلي) وهو عبد الله بن أبي سليمان، وكان خطيباً بيناً صاحب أخبار وآثار. وقص ابنه (مطرف بن عبد الله بن الشخير) في مكان أبيه. ومن كبار القصاص ثم من هذيل (مسلم بن جندب) وكان قاصّ مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة، وكان إمامهم وقارئهم، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز: «من سرّه أن يسمع القرآن غصّاً فلْيُسمع قراءة مسلم بن جندب». ومن القصاص (عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين) وله مسجد في بني شيان. ومن القصاص (موسى الأسواري) وكان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله

(١) أسدف الليل: أظلم.

(٢) جَنَّان: جمع جان، وهو اسم جمع للجن.

ويُفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يُدرى بأيّ لسان هو أبين، والّلتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كلّ واحدة منها الضيم على صاحبتهما إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيّار الأسواري. ولم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسى الأشعريّ أقرأ في محراب من موسى بن سيّار. ثم (عثمان بن سعيد بن أسعد) ثم (يونس النحوي) ثم (المعلّى). ثم قصّ في مسجده (أبو علي الأسواري) وهو عمرو بن فائد ستا وثلاثين سنة، فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات، لأنه كان حافظاً للسير ولوجوه التأويلات، فكان ربّما يُفسر آية واحدة في عدّة أسابيع، كأنّ الآية ذُكرَ فيها يوم بدر، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث الكثيرة، وكان يقصّ في فنون كثيرة من القصص، ويجعل القرآن نصيباً من ذلك. وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتجّ به، وخصاله المحمودة كثيرة، ثم قصّ من بعده (القاسم بن يحيى) وهو أبو العباس الضرير لم يدرك في القصص مثله. وكان يقصّ معهما وبعدهما (مالك بن عبد الحميد المكفوف) ويزعمون أن أبا علي لم يسمع منه كلمة غيبة قطّ ولا عارض أحداً من المخالفين والחסاد والبغاة بشيء من المكافأة. فأما (صالح المري)^(١) فإنّه كان يُكنى أبا بشر، وكان صحيح الكلام، رفيق المجلس، فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار، قال له مرحوم: «هل لك أن تأتي قاصاً عندنا فتفرج بالخروج والنظر إلى الناس وأستماع منه؟» فأناه على تكرّه كأنه ظنّه كبعض من يبلغه شأنه، فلما أتاها وسمع منطقته وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول: حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة عن الحسن، رأى بياناً لم يحتسبه ومذهباً لم يكن يُدانيه، فأقبل سفيان على مرحوم فقال: «هذا ليس قاصاً هذا نذير».

(١) جاء في نسخة أخرى «المزني» بالزاي بدلاً من «المري».

باب ما قيل في المَخَاصِر^(١) والعصيّ وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر، وتعتمد على الأرض بالقسي، وتُشير بالعصيّ والقنا، نعم حتى كانت المَخَاصِرُ لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر^(٢):

[السيط]

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زُرَّانٍ رِيحُهَا عَبِقُ بِكَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ^(٣) شَمَمٌ^(٤)
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاحَتِ الْكَلِمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكُنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
كَمْ هَاتِفٍ لَكَ مِنْ دَاعٍ وَدَاعِيَةٍ يَدْعُونَ يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ^(٥)

وقال الشاعر قولاً فُسِّرَ فيه ما قلنا قال:

[الطويل]

مَجَالِسُهُمْ خَفُضَ الْحَدِيثِ وَقَوْلُهُمْ إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَحْيُ الْمَخَاصِرِ
وقال الكميّ بن زيد:

[مجزوء الكامل]

وَنَزُورُ مَسَلَمَةَ الْمُهَذِّ بَ بِالْمُؤَيَّدَةِ السَّرَائِرِ
بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجَبَا تِ لِمُفْحَمٍ مِنَّا وَشَاعِرِ
أَهْلِ التَّجَاوُبِ وَالْمَحَا فَلَ وَالْمَقَاوِلِ^(٦) بِالْمَخَاصِرِ
فَهُمْ كَذَلِكَ فِي الْمَجَا لِسِ وَالْمَحَافِلِ وَالْمَشَاعِرِ

وكما قال الأنصاري في المجامع حيث يقول:

[الطويل]

وَسَارَتْ بِنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سُورَةٍ^(٧) بِكُومِ^(٨) الْمَطَايَا وَالْخِيُولِ الْجَمَاهِرِ

(١) المخاصر: جمع مخرصة، والمخرصة هي ما يمسكه الإنسان بيده أثناء الخطابة، من عصا وما شابه.

(٢) تنسب هذه الأبيات إلى الفرزدق، وهي ليست له رغم حشرها في ديوانه.

(٣) العرنين: موضع أعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين.

(٤) شمم: كبرياء.

(٥) القثم: الكريم المعطاء.

(٦) المقاول: الظريف اللسان.

(٧) الكوم: الجماعة من الإبل.

(٨) الكوم: الجماعة من الإبل.

يُؤْمُونَ مَلَكَ السَّمَاءِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مُلُوكاً بِأَرْضِ السَّمَاءِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
يُصِيبُونَ فَضْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ

وفي المخاصر والعصي وفي خد^(١) وجه الأرض بإطراف القسي قال الحطيثي: [الكامل]

أَمْ مَنْ لِحَضَمِ مُضْجَعِينَ قَسِيَّهُمْ صُغِرَ خُدُودُهُمْ عِظَامُ الْمَفْخَرِ
وَقَالَ لِبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي الْإِشَارَةِ:

[الكامل]

غُلِبَ^(٢) تَشَدَّرَ^(٣) بِالْذُّخُولِ^(٤) كَأَنَّهَا جُنُ الْبَيْدِيِّ^(٥) رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا

وقال في خد وجه الأرض بالعصي والقسي: [الطويل]

يَشِينُ صِحَاحَ الْبَيْدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبٍ

عُوجُ جَمْعِ عَوْجَاءَ وَهِيَ هَاهُنَا: الْقَوْسُ. وَالسَّرَاءُ: شَجَرٌ يُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ. وَفِي
مثله يقول الشاعر:

[المتقارب]

إِذَا افْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَارِ أَطْلُنَا عَلَى الْأَرْضِ مَيْلَ الْعَصَا

وقال الآخر:

[الكامل]

كَتَبْتُ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ أَيَّامُنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمًا فَيَصَلَا

وقال لبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي ذِكْرِ الْقَسِيِّ:

[الكامل]

مَا إِنْ أَهَابُ إِذَا السُّرَادِقُ غَمَّهُ قَرُعُ الْقَسِيِّ وَأُرْعَشَ الرَّعْدِيدُ

وقال معنُ بْنُ أَوْسٍ الْمَزْنِيُّ:

[الوافر]

أَلَا مَنْ مَبْلُغَ عَنِّي رَسُولًا عُبِيدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرَّسَالَا

تُغَافِلُ^(٦) دُونَنَا أَبْنَاءَ ثَوْرٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا

إِذَا اجْتَمَعَ الْقَبَائِلُ جِئْتُ رِدْفًا أَمَامَ^(٧) الْمَاسِحِينَ لَكَ السَّبَالَا^(٨)

(١) الخد في الأرض: الشق.

(٢) الغلب: الغلاظ الأعناق.

(٣) تشدّر: يتوعد بعضهم بعضاً.

(٤) جاء في نسخة أخرى «بالذحول» بالذال والذحول معناه الحقد والثأر، بدلاً من «بالدخول»، بالذال

والخاء.

(٥) البدي: موضع هوية البادية.

(٦) جاء في نسخة أخرى «تعاقل» بالعين والقاف بدلاً من «تغافل» بالعين والفاء.

(٧) جاء في نسخة أخرى «وراء» بدلاً من «أمام».

(٨) السبال: جمع سبلة، وهي مقدم اللحية. ومسح اللحية يرمز إلى التهديد والوعيد.

فلا تَعْطِي عَصَا الْخُطْبَاءِ فِيهِمْ وَقَدْ تُكْفَى الْمَقَادَةَ وَالْمَقَالَا
وودّكم العدى ممن سواكم لكالحيران يتّبع الضلالا
ومّا قالوا في حمل القنّة قوله:

[البسيط]

إلى أَمْرِي لَا تَخْطَأُ الرِّقَابُ^(١) وَلَا حُدْبُ^(٢) الْحَوَانِ^(٣) إِذَا مَا اسْتُنْشَى الْعَرَقُ
صُلْبُ الْحَيَازِيمِ لَا هَذَرُ الْكَلَامِ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ وَلَا مُسْتَعْجِلُ زَهَقُ
وكما قال جرير الخطفي:

[البسيط]

مَنْ لِلْقَنَاءِ إِذَا مَاعِي قَائِلُهَا أُمِّ لِلْأَعْنَةِ يَا شَيْبَ بْنَ عَمَّارٍ

ذكر من غلب عليه لقبه من الشعراء:

قال: ومثل هذا قول أبي المجيب الربيعي: «ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القنّة فعند ذلك يفضحك أو يسرك». يقول: إذا قام يخطب. وفي كتاب جبل بن يزيد: «احفظ أخاك إلّا من نفسه». وقال عبد الله بن ربيعة: سألت رجل ربيعة عن أخطب بني تميم، فقال: خدّاش بن لبيد بن بلبلة^(٤) - يعني البعيث - وإنّما قيل له (البعيث) لقوله:

[الطويل]

تُبَعِّثُ مِنِّي مَا تَبَعِّثُ بَعْدَمَا أُمِرْتُ حِبَالِي كُلَّ مَرَّتِهَا شَزْرَا

وزعم سحيم بن حفص أنه كان يقال: «أخطب بني تميم البعيث إذا أخذ القنّة». وقال يونس: «لعمرى لئن كان مغلباً في الشعر لقد كان غلب في الخطب».

ومن الشعراء من يغلب شيء قاله في شعره على اسمه وكُنْيَتِهِ فَيُسَمَّى بِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ، فَمِنْهُمْ الْبَعِيثُ هَذَا، وَمِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ حَصِينِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ غَلَبَ عَلَيْهِ (عُوفِ الْقَوَافِي) لِقَوْلِهِ:

[الطويل]

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّي إِذَا قُلْتُ شِعْراً لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا

فَسَمِّيَ عُوفِ الْقَوَافِيَا. ومنهم يزيد بن ضرار التغلبي غلب عليه (الْمَزْرَدُ) لقوله:

[الطويل]

فَقُلْتُ تَزَرَّدُهَا عُبَيْدُ فَإِنِّي لِدُرْدٍ^(٥) الْمَوَالِي فِي السَّنِينَ مُزَرَّدُ^(٦)

(١) جاء في نسخة أخرى «الرفاق» بدلاً من «الرقاب».

(٢) جاء في نسخة أخرى «جذب» بالجيم بدلاً من «حذب» بالحاء.

(٣) جاء في نسخة أخرى «الخوان» بالخاء بدلاً من «الحوان» بالحاء.

(٤) جاء في نسخة أخرى «بينّة» بدلاً من «بلبلة».

(٥) الدرد: جمع أدرد، وهو من ذهب أسنانه.

(٦) مزرد: جاءت من تزرد إلى تسرع.

فسمي المزدرد: ومنهم عمرو بن سعيد بن مالك غلب عليه (المرقش) وذلك لقوله:

[الرجز]

الْدَارُ قَفْرٌ وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَّشَ^(١) فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ^(٢) قَلَمٌ

فسمي مرقشاً. ومنهم سالم^(٣) بن نهار العبدي غلب عليه (الممزق) لقوله: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَّقِ

فسمي الممزق. ومنهم جرير بن عبد المسيح الضبعي غلب عليه (المتلمس) لقوله: [الطويل]

فَهَذَا أَوَانُ الْعَرْضِ طَنٌ^(٤) ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمَّسُ

ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو المسلمي أبو خنساء بنت عمرو وغلب (الشريد) على اسمه لقوله:

[الوافر]

تَوَلَّى إِخْوَتِي وَبَقِيْتُ فَرْدًا وَحِيداً فِي دِيَارِهِمْ شَرِيداً

فسمي الشريد وهذا كثير. قال: ودخل رجل من قيس عيلان على عبد الملك بن مروان فقال: «زبيري عميري، والله لا يحبك قلبي أبداً». قال: «يا أمير المؤمنين إنما يجزع من فقدان الحب المرأة، ولكن عدل وإنصاف». قال عمر لأبي مريم الحنفي السلولي قاتل زيد بن الخطاب: «لا يحبك قلبي أبداً حتى تحب الأرض الدم المسفوح». وهذا مثل قول الحجاج: «والله لأقلعنك قلع الصمغة». لأن الصمغة اليابسة إذا فرقت^(٥) عن الشجرة أنقلعت أنقلع الجلبة^(٦)، والأرض لا تنشف الدم المسفوح ولا تمضه، فمتى جف الدم وتجلب^(٧) لم تره أخذ من الأرض شيئاً.

ومن الخطباء (الغضبان بن القبحري) وكان محبوباً في سجن الحجاج، فدعا به يوماً فلما رآه قال: «إنك لسمين» قال: «القيد والرتعة»^(٨) ومن يكن ضيفاً للأمير يسمن.

وقال زيد بن عياض: لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان، وهو يقول: «لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون، يُظهرون لكم ما تُحبون ويسرون ما تكرهون، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق. لقد نقموا علي ما نقموه على عمر، ولكن قمعهم ووقمهم، والله إنني لأقرب ناصراً وأعز نفراً، فضل فضل من مالي فمالي لا أفعل في الفضل ما أشاء».

(١) رقص الكلام: كتبه ونقطه.

(٢) الأديم: الجلد.

(٣) جاء في نسخة أخرى «شأس» بدلاً من «سالم».

(٤) جاء في نسخة أخرى «حي» بدلاً من «طن».

(٥) جاء في نسخة أخرى «قرفت» بالقاف ثم الفاء، ومعناه قلت، بدلاً من «فرقت».

(٦) الجلبة: القشرة تعلو الجرح.

(٧) تجلب: ييس.

(٨) الرتعة: الخصب.

قال: ورأيت الناس يتداولون رسالة (يحيى بن يعمر) على لسان يزيد بن المهلب: «إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرونا طائفة، ولحقت طائفة بعرائر الأودية وأهضام الغيطان وبتنا برعرة الجبل وبات العدو بحضيضه». قال: فقال الحجاج: ما يزيد بأبي عذرة هذا الكلام. ف قيل له: إن معه يحيى بن يعمر. فحمل إليه فلمّا أتاه قال: أين ولدت؟ قال: بالأهواز. قال: فأنتى لك هذه الفصاحة؟ قال: أخذتها عن أبيي.

عرائر الأودية: أسافلها. وعراعر الجبال: أعاليها. وأهضام الغيطان: مداخلها. والغيطان جمع غائط، وهو الحائط ذو الشجر.

ورأيتهم يُديرون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر، فأنتهرها مراراً فقال له يحيى: «إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها». قالوا: الضهل: التقبيل. والشكر: الجماع^(١). والشبر: البضع^(٢). تطلها: تذهب بحقها، يُقال: دم مطلول. ويقال: بئر ضهُول أي قليلة الماء.

قال: فإن كانوا إنّما رَوَوْا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة، وإن كانوا إنّما دونوه في الكتب وتذكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج أو شعر الطرمّاح أو أشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا. ولو خاطب بقوله: «إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها». الأصمعي لظننت أنه سيجهل بعض ذلك، فهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم.

أبو الحسن: كان غلام يقع في كلامه فأتى أبا الأسود الدؤلي يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الأسود: «ما فعل أبوك؟» قال: «أخذته الحمى فطبخته طبخاً وفتخته فتخاً وفضخته فضخاً فتركته فرخاً». فتخته: أضعفته، وألّفتيخ: ألرخو الضعيف. ونضخته: دقته. فقال أبو الأسود: «فما فعلت امرأته التي كانت تشاره^(٣) وتماره^(٤) وتهاره^(٥) وتزاره؟»^(٦) قال: طلقها وتزوجت غيره فرضيت وبطيت. قال أبو الأسود: «قد علمنا رضيت وحظيت فما بطيت؟» قال: «بطيت حرف من الغريب لم يبلغك». قال أبو الأسود: «يا بني كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترّها كما تستر السنور خراها».

قال أبو الحسن مر (أبو علقمة النحوي) ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يعضون إبهامه ويؤذنون في أذنه، فأفلت من أيديهم فقال: «مالكم

(١) جاء في نسخة «الفرج» بدلاً من «الجماع». (٢) جاء في نسخة أخرى «النكاح» بدلاً من «البضع».

(٣) تشاره: تعاديه وتخاصمه.

(٤) تماريه: تبادله السخرية والاستهزاء.

(٥) تهاريه: تهر في وجهه كالكلب..

(٦) تزاره: تعاتبه.

تتكأؤون عليّ كأنكم تتكأؤون على ذي جنة أفرقعو!»^(١) عني قالوا: «دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهنديّة». وقال أبو الحسن: هاج بأبي علقمة الدُم فأتى بحجام فقال للحجام أشدد قصب الملازم، وأرهف طبات المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك وخزاً، ومضك نهزاً، ولا تكرهنّ آبياً، ولا تردنّ أتياً». فوضع الحجام محاجمه في جونتته وأنصرف.

فحديث أبي علقمة فيه غريب، وفيه أنه لو كان حجاماً مرة ما زاد على ما قال. وليس في كلام يحيى بن يعمر شيء من الدنيا إلا أنه غريب، وهو أيضاً من الغريب يفيض.

وذكروا عن محمد بن إسحاق قال، لما جاء ابن الزبير - وهو بمكة - قتل مروان الضحاك بمرج راهط، قام فينا خطيباً، فقال: «إن ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة»^(٢) فأخطأت أسته الحفرة، وألهف أم لم تلدني على رجل من محارب كان يرعى في جبال مكة فيأتي بالشربة»^(٣) من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سداداً من عيش. ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثه النبوة وأول هذا الكلام مستكره، وهو موجود في كل كتاب، وجار على لسان صاحب خبر. وقد سمعت لابن الزبير كلاماً كثيراً ليس هذا في سبيله ولا يتعلق به. وقال أبو يعقوب الأعور السلمي:

[الطويل]

وخلجة ظنّ يسبق الطرف حزمها تشيف على غيم^(٤) وتمكن من زحل^(٥)
صدعت بها والقوم فوضى كائنهم بكارة^(٦) مربع تبصيص^(٧) للفحل
خلجة ظن: أي ظن سريع. تشيف: تشرف. بكارة مربع أي نوق صغار قد أذلت للفحل، مربع أي نوق ربع، والمربع ربع الغنيمة في الجاهلية لصاحب الجيش. قال ابن عثمة^(٨):

[الوافر]

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا^(٩) وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ^(١٠) وَالْفُضُولُ^(١١)

(١) افرقعو عني: ابتعدوا عني، دعوني وشأني.

(٢) الصحصحة والصحصح: الأرض المستوية الشاسعة.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بالصربة» ومعناها اللبن الخالص، بدلاً من «بالشربة».

(٤) جاء في نسخة أخرى «غنم» بالنون بدلاً من «غيم» بالياء.

(٥) الزحل: التعب. (٦) البكارة: جمع بكرة، وهي الناقة الفتية.

(٧) تبصيص: تنظر بطرف خفي. (٨) جاء في نسخة أخرى «غنمة» بالنون بدلاً من «غنمة» بالثاء.

(٩) الصفايا: ما يختاره ويصطفيه الرئيس لنفسه قبل قسمة السلب.

(١٠) النشيطة: ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم.

(١١) الفضول: هو ما يحصل عليه الرئيس بعد القسمة للمقاتلة من القسمة.

وقال رجل من بني يربوع :

[الطويل]

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكُمَا وَهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
حَزَازَاتِ حُبٍّ فِي الْفَوَادِ وَعَبْرَةً أَظْلُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذُودُهَا
يَحْنُ فُؤَادِي مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ حَنِينَ الْمُزْجَى ^(١) وَجَهَةً لَا يُرِيدُهَا
وقد أحسن الآخر حيث يقول :

[الطويل]

وَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَنَاكِحِ جَمَّةٍ وَيَقْصُرُ مَالِي أَنْ أَنَالَ الْعَوَالِيَا
وقال الآخر :

[الخفيف]

وَإِذَا الْعَبْدُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنُ الطَّرِيقِ
وقال الخليلي العطاردئي : كنا بالبادية إذ نشأ عارض ، وما في السماء قُرْعَةٌ ^(٢) معلقة ،
وجاء السيل فأكتسح أبياتاً من بني سعد فقلت :

[الطويل]

فَرَحْنَا بِوَسْمِيٍّ ^(٣) تَأَلَّقَ وَدْقُهُ ^(٤) عِشَاءً فَأَبْكَانَا صَبَاحاً فَأَسْرَهَا
لَهُ طُلَّةٌ كَأَنَّ رَيْقَ ^(٥) وَبِلَهَا عَجَاجَهُ صَيْفٍ أَوْ دُخَانٌ تَرَفَّعَا
فَكَانَ عَلَى قَوْمٍ سَلاماً وَنِعْمَةً وَالْحَقُّ عَادَاً آخِرِينَ وَتَبَّعَا
وقال أبو عطاء السُّنْدِيُّ لعبيد الله بن عباس الكندي :

[الطويل]

إِلَى مَعْشَرٍ أَرَدُوا أَخَاكَ وَكَفَّرُوا أَبَاكَ فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ تَقُولُ
وَقُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَعْفَرُ هُوَ الْحَيُّ لَمْ يَبْرَحْ وَأَنْتَ قَتِيلٌ ^(٦)
فقال عبيد الله : «أقول : عضَّ أبو عطاء ببظر أمه فغلب عليه» .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير في أبي رَهم السُّدُوسِي ، وكان يلي الأعمال لأبي جعفر :

[الطويل]

رَأَيْتُ أَبَا رَهِمٍ يُقَرِّبُ مُنْجِحاً غُلامَ أَبِي بَشْرٍ وَيَجْفُو ^(٧) أَبَا بَشْرٍ
فَقُلْتُ لِيَحْيَى كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً فَقَالَ لَهُ : أَيْرُ يَزِيدُ عَلَى شَبْرٍ

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة في خطبها وألقنا والقضيب ، والأتكاء والاعتماد على القوس وأخذ في الأرض والإشارة بالقضيب بكلام

(١) المزجي : المدفوع إلى الأمام برفق .

(٢) القرعة : السحابة .

(٣) الوسمي : مطر الربيع .

(٤) الودق : المطر .

(٥) ريق المطر : أوله وأصله .

(٦) جاء البيتان في نسخة أخرى معكوسين عما جاء هنا .

(٧) جاء في نسخة أخرى «يقصي» بدلاً من «يجفو» .

مستكره نذكره إن شاء الله تعالى في الجزء الثالث. ولا بد أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ويزيد وعبد الملك وأبن الزبير وسليمان وعمر بن عبد العزيز وأوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد، لأن الباقيين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذي يلحق بالخطب وبصناعة المنطق إلا اليسير، ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منشور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج. ولا بد من أن يكون فيه ذكر شأن إسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب لغته وبيانه بعد أربع عشرة سنة، وكيف نسي لغته التي ربي فيها وجرى على أعراقها، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية من ^(١) غير تلقين ولا ترتيب، وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حُبسة ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة. ولا بد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه وبعض ما يحضرني من كلام آبائه وجملة رهنه. ولا بد أيضاً من ذكر من صعد المنبر فحصر وخلط أو قال فأحسن، ليكون الكتاب أكمل إن شاء الله تعالى. ولا بد من ذكر المنابر ولم آتخذت، وكيف كانت الخطباء من العرب في الجاهلية وفي صدور الإسلام. وهل كانت المنابر لأمة غير أمتنا وكيف كانت الحال في ذلك؟

وقد ذكرنا أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع، وهي: العرب، والهند، وفارس، والروم. وقال حكيم بن عياش الكلبي:

[الوافر]

أَلَمْ يَكْ مُلْكُ أَرْضِ اللَّهِ طُرًّا لَأَرْبَعَةٍ لَهُ مَثْمِيَّزِينَا
لِحِمِيرَ وَالنَّجَاشِي وَأَبْنِ كَسْرَى وَقِيَصَرَ غَيْرَ قَوْلِ الْمُثَرِّينَا

فما أدري بأي سبب وضع الحبشة في هذا الموضع؟ وأما ذكره لحمير فإن كان إنما ذهب إلى تبع نفسه في الملوك فهذا له وجه، وأما النجاشي فليس هو عند الملوك في هذا المكان، ولو كان النجاشي في نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش في هذا الموضع، وهو لم يفضل النجاشي لمكان إسلامه، يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر، وكان وضع كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك.

أسباب تفوق العرب على غيرهم من الأمم في الخطابة:

والدليل على أن العرب أنطق، وأن لفظها أدل، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر، والأمثال التي ضربت أجود وأسير. والدليل على أن البديهة مقصورة عليها، وأن الارتجال

(١) جاء في نسخة أخرى «عن» بالعين بدلاً من «من» بالميم.

والاقتضاب خاصٌ فيها. وما أَلْفَرَقَ بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الفرس والروم شعراً؟ وكيف صار النسب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم؟ إنما يُقال على السنة نسائهم. وهذا لا يصاب في العرب إلا القليل اليسير. وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة فتضع موزوناً على موزون والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون.

وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب اللحن والعجي والغلط والغفلة أبواباً طريفة، ونذكر فيه التوكي من الوجوه ومجانين العرب، ومن ضرب به المثل منهم، ونوادر من كلامهم، ومجانين الشعراء لست أعني مثل مجنون بني عامر، ومجنون بني جعدة، وإنما أعني مثل أبي حبة في أهل البادية ومثل جعيفران في أهل الأمصار ومثل أرسيموس اليوناني. وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والنسك وأسماء الأطراف والملحاء إن شاء الله سبحانه وتعالى. وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

وقال أبو الحسن المدايني: قال الحجاج لأنس بن مالك، حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله وكان خرج مع ابن الأشعث: «لا مرحباً بك ولا أهلاً لعنة الله عليك من شيخ جوال في الفتنة مرة مع أبي تراب^(١) ومرة مع ابن الأشعث والله لأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة^(٢) ولأجردنك تجريد الضب^(٣)». قال أنس: «من يعني الأمير أبقاه الله؟» قال: «إياك أعني أصم الله صدك». قال: فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك فكتب عبد الملك إلى الحجاج: «بسم الله الرحمن الرحيم. يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب^(٤) والله لقد هممت أن أركلك^(٥) برجلي ركلة تهوي بها في نار جهنم، قاتلك الله أخيفش العينين أصلك الرجلين^(٦) أسود الجاعرتين^(٧) والسلام». وكان الحجاج أخيفش مسلوق الأجنان، ولذلك قال إمام بن أرقم النميري، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال:

[الوافر]

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمُنْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ أَبِي كَثِيرٍ
وَلَا الْحَجَّاجُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ ثَقَلْتُ طَرْفَهَا حَذَرَ الصُّقُورِ

- (١) أبو تراب: هو كنية لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، كناه بها رسول الله ﷺ.
(٢) السلمة: هي نوع من الشجر يدبغ به يسمى شجر العضاء، وعصب السلمة، هو ضم ما تفرق منه.
(٣) عجم الزبيب: جمعه ورضه في المتاع.
(٤) ركل برجله: ضرب بها.
(٥) أصلك الرجلين: اضطراب الركبتين.
(٦) الجاعرتين: حرفي الوركين المشرفين على الفخذين.

لأن طير ألماء لا يكون أبداً إلا مُنسلق الأجناف، والخفش دون العمش. والعصب أن تعصب الشجرة ذات الشوك بالعُصاب. وأصك الرجلين تصك إحداهما الأخرى. قال: وخطب الحجاج يوماً، فقال في خطبته: «والله ما بقي من الدنيا إلا مثل ما مضى، ولهو أشبه به من ألماء بالماء، والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه».

المفضل بن محمد الضبي قال: كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم أن أبعث إلي بالآدم الجعدي^(١) الذي يفهمني ويفهم عني. فبعث إليه غدام بن شتير. فقال الحجاج: «لله دره ما كتبت إليه في أمر قط ألا فهم عني وعرف ما أريد».

قال أبو الحسن وغيره: أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال: «أيها الناس، إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني محمداً هذا، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الأنصار، إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، ألا وإني قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم. ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتي، ألا وإنكم ستقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة، ألا وإني مُعجل لكم الإجابة: لا أحسن الله الخلافة عليكم» ثم نزل.

وكان يقول في خطبته: «أيها الناس، إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله».

وقال عمرو بن عبيد - رحمه الله -: كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها، وتدبر معانيها: «إن الله عز وجل جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته، فالناس بين مُحسن بنعمة الله عليه ومُسيء بخذلان الله إياه، والله النعمة على المحسن والحجة على المُسيء، فما أولى من تمت عليه النعمة في نفسه ورأى العبرة في غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيُعطي ما عليه منها ولا تكثر بما ليس له منها، فإن الدنيا دار فناء ولا سبيل إلى بقائها ولا بد من لقاء الله، فأحذركم الله الذي حذركم نفسه، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا إليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها أوبة، وأنا أستخلف الله عليكم وأستخلفه منكم» وقد روي هذا الكلام عن الحجاج وزياد أحق به منه.

(١) جاء في نسخة أخرى «بالآدم الجعد» بدلاً من «بالآدم الجعدي».

باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

قال جرير:

[الطويل]

يُكَلِّفُنِي رَدَّ الْعَوَاقِبِ بَعْدَمَا سَبَقَنَ كَسْبَقِ السَّيْفِ مَا قَالَ عَاذِلُهُ
وقال الكميث بن معروف^(١):

[الطويل]

خُذُوا الْعَقْلَ^(٢) إِنْ أَعْطَاكُمْ الْعَقْلَ قَوْمُكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سِيمَ الْهَوَانَ فَأَرْبَعَا^(٣)
وَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا
والمثل السائر من قبل هذا: «سبق السيف العذل».

ومن أهل الأدب (زكريا بن درهم) مولى بني سليم بن منصور صاحب سعيد بن عمرو الحرشي، وزكريا هو الذي يقول:

[البيسط]

لَا تُنْكِرُوا لِسَعِيدٍ فَضْلَ نِعْمَتِهِ لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَا
ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى الحرشي (السرادق بن عبد الله السدوسي) الفارسي ولما ظفر سلم بن قتيبة بالأزد كان من الجند في دور الأزد أنتهاب وإحراق وآثار قبيحة، فقام شبيب بن شيبه إلى سلم بن قتيبة فقال: «أيها الأمير، إن هريم بن عدي بن أبي طلحة - وكان غير منطيق - قال ليزيد بن عبد الملك في شأن المهالبة: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما رأينا أحدا ظلم ظلمك، ولا نصر نصرك، فأفعل الثالثة نقلها».

قال الهيثم بن عدي: قام (عبد الله بن الحجاج التغلبي) إلى عبد الملك بن مروان وقد كان أراد الاتصال به، وقد كان عبد الملك حنقا عليه، فأقام ببابه حولا لا يصل ثم ثار في وجهه في بعض ركباته فقال:

[الكامل]

أَذْنُو لِسَرَحَمَنِي وَتَرْتُقَ خِلَّتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ

(١) هو: الكميث بن معروف بن الكميث بن ثعلبة بن نوفل الأسدي، من بني جحوان بن فقعه: شاعر مخضرم، عاش أكثر حياته في الإسلام، يكنى أبا أيوب. عرّفه الجمحي «بالكميت الأوسط». مات سنة ٦٠هـ = ٦٨٠م. انظر ترجمته في: معجم الشعراء للأمدى: ١٧٠. معجم الشعراء للمزباني: ٢٤٧.

(٢) العقل: الدية.

(٣) أربع: أقام في المربع.

فقال عبد الملك «إلى النار» فقال :

وَلَقَدْ أَذَقْتُ بَنِي سَعِيدٍ حَرَّهَا وَأَبْنُ الزُّبَيْرِ فَرَأَسُهُ مُتَضَعُّعٌ

فقال عبد الملك : «قد كان بعض ذاك ، وأنا أستغفر الله» .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين (العديل بن فرخ العجلي)^(١) بعض الأمر فتوَعَّده الحجاج بِالْقَتْلِ فقال العديل :

[الطويل]

أُخَوِّفُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُحَرِّكُ عَظْمٌ فِي الْفُؤَادِ مَهِيضُ
وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِي بِسَاطٍ^(٢) لَا يَدِي الْيَعْمَلَاتِ^(٣) عَرِيضُ
مَهَامِهِ^(٤) أَشْبَاهُ كَأَنَّ سَرَابَهَا مَلَأَ^(٥) بِأَيْدِي الْغَاسِلَاتِ رَحِيضُ^(٦)

المهيض : الذي قد كسر ثم جبر ثم كسر . اليعملات : العوامل ، والياء زائدة لأنها من عملت .

ثم ظفر به الحجاج فقال له : «يا عديل ، هل نجاك بساطك العريض؟» فقال : أيُّها الأمير ، أنا الذي أقول فيك :

وَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأَسُومِهَا لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَيَّ دَلِيلُ
خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّفُهُ لِكُلِّ إِمَامٍ مُضْطَّقِي وَخَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

فقال له الحجاج : «اربح نفسك ، وأحقن دمك ، وإياك وأختها ، فقد كان الذي بيني وبين قتلك أقصر من إيهام الحبارى» .

قال أبو الحسن : وقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطيباً بالمدينة وكان واليها ينعى معاوية ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى روح بن زنباع إبطاءهم قال : «أيُّها الناس ، إننا لا ندعوكم إلى لحم وجُذام وكَلْب ولكننا ندعوكم إلى قريش ، ومن جعل الله له هذا الأمر وأختصه به وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا إن أجبتكم وأطعتم من المعونة والفائدة ما شئتم» فباع الناس .

(١) هو : العديل بن الفرخ العجلي ، من رهط أبي النجم ، ويلقب بالعبَّاب : شاعر فحل . اشتهر بالعصر المرواني . مات نحو سنة ١٠٠هـ = نحو سنة ٧١٨م . انظر ترجمته في : خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) البساط : الأرض الواسعة . (٣) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة السريعة .

(٤) المهامه : المفاوز البعيدة .

(٥) الملاء : جمع ملاءة ، وهو ضرب من الأثواب يغطي الفخذين .

(٦) الرحيض : المغسول .

قال: وخطب إبراهيم بن إسماعيل من ولد المغيرة المخزومي فقال:

[الكامل]

أنا ابنُ الوَحِيدِ مَنْ شَاءَ أَخْزَرَ نَفْسَهُ صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَرْفَجِ^(١)

ثم قال:

[الرجز]

استوسقي^(٢) أحمرَةَ الوجين^(٣) سَمِعَنَ جَسَّ أَسَدٍ حَرُونِ
فَهَنَّ يَضْرِبُ طَنْ وَيَنْتَزِينِ^(٤)

ثم قال: «والله إني لأبغضُ القرشيَّ أن يكونَ فظًا، يا عجباً لِقَوْمٍ يُقالُ لهم: من أبوكم؟ فيقولون: أمنا من قريش» فتكلم رجل من عَرَضِ الناس وهو يخطب، فقال له غيره: «صه، فإن الإمام يخطب». فقال: «إنما أمرنا بالإنصات عند قراءة القرآن، لا عند ضراط أحمره الوجين».

وقال آخر: سمعت ابن هُبيرة على هذه الأعواد، وهو يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من عدو يسري^(٥)، ومن جليس يفري^(٦)، ومن صديق يُطري^(٧)».

قال أبو الحسن: كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرز خال مروان والياً على مكة والمدينة، وكان شاهراً سيفه لا يغمده، وبلغه أن فتى من بني سَهْم يذكره بكل قبيح، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى: «لا تعجل عليّ، ودعني أتكلم». قال: «أو بك كلاماً». قال: «نعم، وأزيد. يا نافع، ولّيت الحرمين تحكم في دماءنا وأموالنا، وعندك أربع عقائل من العرب، وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة - يعني داره - وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرز، أحسن الناس وجهاً وأكرمهم حسباً، وليس لنا من ذلك إلا التراب، فلم نحسدك على شيء منه ولم ننفسه عليك، ونفست علينا أن نتكلم». فقال: «تكلم حتى ينفك فكاك».

علي بن مجاهد عن الجعد بن أبي الجعد قال: قال صعصعة بن صوحان: «ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب عثمان، دخلت عليه فقلت له: أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله. قال: نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا: ربنا الله فمنا من مات بأرض الحبشة ومنا من مات بالمدينة».

قال: وقال الحجاج على منبره: «والله لألحونكم لحو الأعصا، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والتفاق

(٢) استوسقي: اجتماعي.

(٤) ينتزين: يشين، يقفزن.

(٦) يفري: يأتي بالفرية.

(١) العرفج: شجر سهلي.

(٣) الوجين: شط الوادي.

(٥) يسري: يدلج في الليل.

(٧) يطري: يمدح.

ومساوىء الأَخلاق، إِنِّي سمعتُ تكبيراً ليس بِالتكبير الَّذي يُراد به اللّهُ في التّرجيب ولكنّه التّكبير الَّذي يُرادُ به التّرهيبُ، وقد عرفت أنّها عَجَاجَةٌ تحتها قصف فتنة. أي بني اللّكيفة وعبيدُ العَصا وبني الإِماء، وَاللّهِ لئنُ قَرَعْتُ عصا لَأتركَنَّكُمْ كَأَمْسِ الدّابر».

مالك بن دينار^(١) قال: «ربّما سمعتُ الحجاجَ يخطب ويذكر ما صنع به أهلُ العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنّهم يظلمونه، وأنّه صادق لبيانه وحسن تخلصه بِالْحَجَجِ». قال: وَقَسَمَ الْحَجَّاجُ مَالاً، فَأعطى منه مالك بن دينار قبيل، وأراد أن يدفعَ منه إلى حبيب أبي محمد فأبى أن يقبل منه شيئاً. ثم مرّ حبيب بمالك وإذا هو يُقسّم ذلك المال، فقال له مالك: «أبا محمد، لهذا قبلناه». فقال له حبيب: «دعني ممّا هناك، أسألك بِاللّهِ: الحجاج أليوم أحبُّ إليك أم قبل أليوم؟» قال: «بل أليوم» فقال حبيب: «فلا خيرَ في شيء حبّ إليك الحجاج».

ومرّ غيلانُ بنُ خرشة الضبيّ مع عبد الله بن عامر على نهر عبد الله الذي يشقُّ البصرة، فقال عبد الله: «ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر؟» فقال غيلان: «أجل أيّها الأمير، يعلمُ القوم فيه صبيانهم السباحة، ويكون لشفاههم ومسيل مياههم، وتأتيهم فيه ميرتهم». قالوا: ثم مرّ غيلان يسائر زياداً على ذلك النهر، وكان قد عادى ابن عامر، فقال زياد: «ما أضّرّ هذا النهر بأهل هذا المصر!» فقال غيلان «أجل واللّهِ أيّها الأمير، تنزّمه دورهم، ويغرق فيه صبيانهم، ومن أجله تكثر بعوضهم».

فالذين كرهوا ألبیان إنّما كرهوا مثلاً هذا المذهب، فأما نفسُ حسن ألبیان فليس يذمّه إلاّ من عجزَ عنه، ومن ذمّ ألبیان مدح أليّ وكفى بذلك جهلاً وخبالاً.

ولخالد بن صفوان في الجين المأكول كلامٌ ذهب فيه شبيهاً بهذا المذهب.

قال: ورجع طاووس عن مجلس محمد بن يوسف - وهو يومئذٍ والي اليمن - فقال: ما ظننت أن قول: «سبحانَ اللّهِ» يكون معصية لله حتى كان أليوم، سمعت رجلاً أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاماً، فقال له رجل في المجلس: «سبحانَ الله» كالمستعظم لذلك الكلام، فغضب ابن يوسف.

قال أبو الحسن وغيره قالوا: دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميماً - فلما رآه قال: «على رجل أجرك، رسنك وسلطك على المسلمين لعنة الله» فقال: «يا أمير المؤمنين، إنك رأيتني والأمر عني مدبرٌ ولو رأيتني والأمر عليّ مقبل أستعظمت من أمري ما أستصغرت». قال: فقال سليمان: «أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم

(١) هو: أبو يحيى، مالك بن دينار البصري: من رواية الحديث، كان ورعاً يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة سنة ١٣١هـ = ٧٤٨م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١/ ٤٤٠.

بعد؟» فقال يزيد: «يا أمير المؤمنين، يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك، قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك، فضعه من النار حيث شئت».

قال: وذكر يزيد بن المهلب يزيد بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم، وهم بأن يستكفيه مهماً من أمره، فقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «ألا أدلك على من هو أزهـد في الدينار والدرهم منه، وهو شرُّ الخلق؟» قال: «بلى». قال: «إبليس».

قال: وقال أسيلم بن الأحنف للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف: «أصلح الله الأمير، إذا ظننت ظناً فلا تحققه وإذا سألت الرجال فسلهم عمّا تعلم، فإذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لا تعلم. ودُسَّ من يسأل لك عمّا لا تعلم». وكان أسيلم بن الأحنف الأسدي ذا بيان وأدب وعقل وجاه، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

[الطويل]

ألا أيُّها الركبُ المُحْثُونُ ^(١) هلْ لَكُمْ
أَسِيلِمٌ ذَاكُمْ لَا خَفَا بِمَكَانِهِ
مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا أَنْتَمَوْا
جَلَا الْأَذْفَرُ ^(٢) الْأَحْوَى مِنَ الْمَسْكِ فَرْقُهُ
إِذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا
لَهُ حَوْكُ بُرْدِيهِ أَرْقُوا وَأَوْسَعُوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة.

الهيثم بن عدي قال: قدمت وفودُ العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما استخلف، فأمرهم بشتم الحجاج، فقاموا يشتمونه، فقال بعضهم: «إنَّ عدوَّ الله الحجاج كان عبداً زباباً» ^(٣). قنور بن قنور ^(٤). لا نسب له في العرب. قال سليمان: أيُّ شتم هذا؟ إنَّ عدوَّ الله الحجاج كتب إليّ: «إنما أنت نقطة من مداد فإن رأيت في ما رأى أبوك وأخوك كُنتُ لك كما كنت لهما. وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة. فإن شئت محوُّتُ وإن شئت أثبتُك». فألعنوه لعنه الله. فأقبل الناس يلعنونه، فقام ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فقال: «يا أمير المؤمنين. إننا نخبرك عن عدو الله بعلم». قال: «هات» قال: «كان عدو الله يتزين تزين المومسة. ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار. فإذا نزل عمل عمل الفراعنة. وأكذب في حديثه من الدجال». فقال سليمان لرجاء بن حيوة: «هذا وأبيك الشتم. لا ما تأتي به السفلة».

وعن عوانة قال: قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف،

(١) جاء في نسخة أخرى «المخبون» بالخاء والباء بدلاً من «المحثون» بالحاء والثاء. والخيب مشي الجواد.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الأزفر» بالزاي بدلاً من «الأذفر» بالذال. والأزفر: طيب الرائحة.

(٣) الزباب: الجاهل. (٤) القنور: العبد.

فكتب إليهم: «مَنْ الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسَفَ أَمَا بَعْدَ، فَإِنَّكُمْ اسْتَخْلَصْتُمْ أَلْفَتْنَةَ، فَلَا عَنْ حَقٍّ تُقَاتِلُونَ وَلَا عَنْ مَنكَرٍ تَنْهَوْنَ. وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْني لَأَهْمُّ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَا يَرِدُ عَلَيْكُمْ مِنْ قِبَلِي خَيْلٌ تَنْسِفُ الطَّارِفَ^(١) وَالتَّالِدَ^(٢)، وَتَدْعُ النِّسَاءَ أَيَّامِي، وَالْأَبْنَاءَ يَتَامِي، وَالْدِيَارَ خَرَاباً، وَالسُّودَ بِيَاضاً. فَأَيُّمَا رَفَقَةٍ مَرَّتْ بِأَهْلِ مَاءٍ فَأَهْلُ ذَلِكَ أَلْمَاءُ ضَامِنُونَ لَهَا حَتَّى تَصِيرَ إِلَى أَلْمَاءِ الَّذِي يَلِيهِ، تَقْدَمَةُ مَنِي إِلَيْكُمْ، وَالسَّعِيدُ مِنْ وُعْظَ بَغِيرِهِ وَالسَّلَامُ.

مسلمة بن محارب قال: كان الحجاج يقول: «أخطب الناس صاحب العِمَامَةِ السوداء بين أخصاص^(٣) البصرة، إذا شاء خطب، وإذا شاء سكت». يعني الحسن، يقول: إنه لم ينصب نفسه للخطب.

قال: وَلَمَّا أَجْتَمَعَتِ الْخُطَبَاءُ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فِي شَأْنِ يَزِيدَ، وَفِيهِمْ الْأَخْنَفُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ فَقَالَ: «إِنَّا لَا نُنْطِيقُ أَفْوَاهُ الْكِمَالِ - يَرِيدُ الْجَمَالَ - عَلَيْهِمُ الْمَقَالُ، وَعَلَيْنَا الْفِعَالُ». وَهَذَا مِنْ الْحَمِيرِيِّ يَدُلُّ عَلَى تَشَادُقِ خُطَبَاءِ نِزَارٍ.

سفيان بن عيينة قال: قال ابن عباس: «إِذَا تَرَكَ الْعَالَمُ قَوْلَ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ». وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «مَنْ قَالَ لَا أَدْرِي فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ الْعِلْمِ». لَأَنَّ الَّذِي لَهُ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الْقُوَّةُ فَقَدْ دَلَّنَا عَلَى جُودَةِ الثَّبَتِ وَكَثْرَةِ الطَّلَبِ وَقُوَّةِ الِئْمَةِ.

قال: وَقِيلَ لِلْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ -: «مَنْ نُجَالِسُ؟» قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَتَذَكَّرَ كَمَ اللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَيُرْغَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ». فَقَالَ: وَمَرَّ الْمَسِيحُ بِقَوْمٍ يَبْكُونَ فَقَالَ: «مَا لَهُؤُلَاءِ يَبْكُونَ؟» قَالُوا: «يَخَافُونَ ذُنُوبَهُمْ». قَالَ «اتْرَكُوهَا يُغْفَرُ لَكُمْ».

قال الوصافي: دَخَلَ أَلْهَيْشَمُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْأُغْرِيَانِ - وَكَانَ شَاعِراً خَطِيباً - عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: «أَجِدُنِي قَدْ أَبْيَضَ مَنِي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَسُودَ. وَأَسْوَدَ مَنِي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَبْيَضَ. وَأَشْتَدُّ مَنِي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَلِينَ. وَلَانَ مَنِي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَشْتَدَّ» ثُمَّ أَنْشَدَ:

[الرجز]

اسْمَعْ النَّبَّكَ بَيَاتِ الْكِبَرِ نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَزَ وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيحُ^(٤) النَّظَرِ وَحَذَرًا أَزْدَادُهُ إِلَى^(٥) حَذَرِ^(٦)

(١) الطارف: الجديد.

(٢) التالد: القديم الموروث.

(٣) الأخصاص: جمع خص، وهو البيت من القصب.

(٤) حمجت العين: غارت في محجرها. (٥) جاء في نسخة أخرى «على» بدلاً من «إلى».

(٦) الشطر الثاني من هذا البيت جاء في نسخة أخرى بدلاً من الشطر الأول في البيت الذي يليه.

وَتَرَكِي الْحَسَنَاءَ فِي قَبْلِ الطُّهْرِ وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرُ
 وقالوا: «مُرُوا الْأَحْدَاثَ بِالْمَرَاءِ وَالْكُهُولَ بِالْفِكْرِ». وقال عبد الله بن الحسين^(١):
 «المرء رائد في الغضب. فأخزى الله عقلاً يأتيك به الغضب».
 وقالوا: «أربعة تشتد معاشرتهم: الرجل المتواني. والرجل العالم، والفرس
 المرح^(٢). والملك الشديد المملكة». وقال: غاز أبو مجاهد يعارضه: «أربعة تشتد
 مؤنتهم: النديم المعزبد. والجلس الأحمق. والمغني التائه. والسفلة إذ نفروا».
 وقال أبو شمّر الغساني: «أقبل على فلان: بِاللَّحْظِ وَاللَّفْظِ. وما الكلام إلا زجر أو
 وعيد».

وقال عُمير بن الحُبَاب - وروى ذلك عنه مسعر -: «ما أغرْتُ على حي في الجاهلية
 أحزَمَ امرأةً ولا أعجزَ رجلاً من كَلْب. وأحزَمَ رجلاً وأعجزَ امرأةً من تغلب». قال: وقامت
 امرأة من تغلب إلى الحَجَّاف بن حكيم^(٣) - حين أوقع بالبشر فقتل الرجال وبقر بطون النساء
 - فقالت له: «فَضَّ اللَّهُ فَاك. وَأَصَمَّكَ وَأَعَمَّاكَ. وَأَطَالَ سُهَادَكَ وَأَقْلَّ رُقَادَكَ. فَوَاللَّهِ إِنْ
 قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءً أَسَافِلَهُن دُمِي. وَأَعَالِيَهُن ثَدْيِي» فقال الحَجَّاف لِمَنْ حوله: «لولا أن تلد مثلها
 لخلَّيْتُ سبيلها» فبلغ ذلك الحسن فقال: «إنما الحَجَّافُ جُدُوَّةٌ من نار جهنم».
 قال: وكان عامر بن الظرب^(٤) العدواني حكيماً وكان خطيباً رئيساً، وهو القائل:
 «يا معشر عدوان إن الخير ألوف عزوف^(٥)». ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه. وإنني لم أكن
 حكيماً حتى أتبعْتُ الحكماء. ولم أكن سيدكم حتى تعبدتُ لكم».
 وقال أعشى بني شبيان^(٦):

[الطويل]

وَلَا^(٧) أَنَا فِي أُمْرِي وَلَا فِي خَلِيقَتِي بِمُهِتَضِمٍ حَقِّي وَلَا قَارِعٍ سِنِّي

- (١) جاء في نسخة أخرى «الحسن» بدلاً من «الحسين».
- (٢) المرح: المختال في مشيه.
- (٣) هو: الحَجَّاف بن حكيم السلمي وما جاء هنا خطأ - فاتك، شاعر. كان معاصراً لعبد الملك بن مروان. مات نحو سنة ٩٠هـ = نحو سنة ٧٠٩م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء: ٤١١ - ٤١٥.
- (٤) هو: عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني: حكيم، خطيب، رئيس من الجاهليين كان إمام مضر وحكمها وفارسها. انظر ترجمته في المحبر لابن حبيب: ١٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٩.
- (٥) عزوف: متنقل لا يقر له قرار.
- (٦) جاء في نسخة أخرى «الأعشى بن شبيان» بدلاً من «أعشى بني شبيان». وهو: عبد الله بن خارجة بن حبيب (أو حبيب) من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شبيان: اشتهر في أيام بني مروان بالشام. له مدح في بشر بن مروان وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك مات نحو سنة ١٠٠هـ = نحو سنة ٧١٨م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٦٢/١.
- (٧) جاء في نسخة أخرى «وما» بدلاً من «ولا».

وَلَا مُسْلِمٌ مَوْلَايَ مِنْ شَرِّ مَا جَنَى وَلَا خَائِفٌ مَوْلَايَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنَى
وَأَنَّ فُؤَادًا بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ بِمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أذْنِي
وَفَضَّلَنِي فِي الْقَوْلِ وَالشَّعْرِ أَنَّنِي أَقُولُ بِمَا أَهْوَى وَأَعْرِفُ مَا أَعْنِي

وقال رجل من ولد العباس: «ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق في شيء من العلم إلا علم الأخبار. فأما غير ذلك فالتفت والشذر»^(١) من القول وقال آخر:

[الطويل]

وصافية تُعْشِي الْعُيُونَ رَقِيقَةً رَهِيْنَةً عَامَ فِي الدَّانِ وَعَامَ
أَدْرْنَا بِهَا الْكَأْسَ الرُّوِيَّةَ بَيْنَنَا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى أَنْجَابَ كُلَّ ظَلَامَ
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانْنَا مِنَ الْعِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامَ

ومر رجل من قريش بفتي من ولد عتاب بن أسيد، وهو يقرأ كتاب سيوبه فقال:

«أف لكم: علم المؤدبين وهمة المحتاجين». وقال ابن عتاب: «يكون الرجل نحوياً عروضياً وقساماً فرضياً وحسن الكتابة جيد الحساب. حافظاً للقرآن. راوية للشعر. وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً. ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم. لأن النحوي الذي لا إمتاع عنده كالنجار الذي يُدعى ليعلق باباً هو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب، فيقال له أنصرف. وصاحب الأمتاع يراد في الحالات كلها».

وقال عبد الله بن يزيد السفياني: «عوذ نفسك الصبر على جليس السوء فإنه لا يكاد يخطئك». وقال سهل بن عبد العزيز: «من ثقل عليك بنفسه. وغمك في سؤاله. فالزمه أذنأ صماء وعيناً عمياء». سهل بن أبي صالح عن أبيه قال: كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال: «اللهم اغفر له وأرحنا منه». وقال ابن أبي أمية:

[المقارب]

شَهِدْتُ الرِّقَاشِيَّ فِي مَجْلَسٍ وَكَانَ إِلَيَّ بَغِيضاً مَقِيْتَا
فَقَالَ أَفْتَرِحْ كُلَّ مَا تَشْتَهِي فَقُلْتُ أَفْتَرَحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا

وقال ابن عباس: «العلم أكثر من أن يحصى. فخذوا من كل شيء أحسنه».

المدايني عن العباس بن عامر قال: خطب محمد بن الوليد بن عتبة^(٢) إلى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أخته فقال: «الحمد لله رب العزة والكبرياء. وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء. أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمة. وأختارك ولم يختار عليك. وقد زوجناك على ما في كتاب الله. في إمساكٍ بمعروف أو تسريح بإحسان» قال:

(١) جاء في نسخة أخرى «الشدو» بالبدال والواو، ومعناه كل شيء قليل من كثير، بدلاً من «الشذر» بالذال والراء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «عتيبة» بالياء بدلاً من «عتبة».

وخطب أعرابي ، وأعجله ألقول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال :
« الحمد لله غير ملال لذكر الله . ولا إثار غيره عليه » . ثم ابتدأ القول في حاجته .

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جعل الله حظكم في الخير ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة » .

وكتب إبراهيم بن سيابة إلى صديق له : « كثير الدخل . كثير النص^(١) . إما مستسلفاً وإما سائلاً » . فكتب إليه الرجل : « العيال كثير . والدين ثقیل . والدخل قليل . والأمال مكذوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً . وإن كنت محجوجاً فجعلك الله محذوراً » . وقال الشاعر :

[الطويل]

لَعَلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدَنَنِي بَنِي صَامِتٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ يَضِيرُهَا
قال : وقال أعرابي : « اللَّهُمَّ لَا تُنْزِلْنِي مَاءً سُوءَ فَأَكُونَ أَمراً سُوءاً » . وقال أعرابي :
« اللَّهُمَّ قِنِي عَثَرَاتِ الْكِرَامِ » . قال : وسمع مجاشع الربعي رجلاً يقول : « الشحيح أعذر من الظالم » . فقال : « أخزى الله شيتين خيرهما الشح » . قال : وأنشدنا أبو فروة :

[الكامل]

إِنِّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأَثْبَتَنِي لَمَّا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

وأنشد علي بن معاذ :

[الرجز]

ثَالِبَنِي عَمَرُوا وَثَالِبُتُهُ فَأَتَمَّ الْمَثْلُوبُ وَالْثَالِبُ
قُلْتُ لَهُ خَيْراً وَقَالَ الْخَنَا كُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبُ

أبو معشر قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد قام خطيباً فقال : « إِنَّ أَبَا ذَبَانَ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢) » .

ولما جلس عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - على المنبر قال : « يا أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم أفريقية ، وقد بعث إليكم ابن أبي سرح عبد الله بن الزبير بالفتح ، فم يا ابن الزبير » . قال : فقامت وخطبت ، فلما نزلت . قال : « يا أيها الناس ، أنكحوا النساء على آبائهن وأخواتهن ، فإني لم أر لأبي بكر الصديق ولداً أشبه به من هذا » وقال الجرمي^(٣) :

[الكامل]

أَعْدَدْتُهُ ذُخْراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ^(٤) وَسَهْمُ الْمَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُوَلَّعُ

(١) جاء في نسخة أخرى « الناض » بالألف بدلاً من « النص » ومعناه الدراهم .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٩ . (٣) جاء في نسخة أخرى « الخريمي » بدلاً من « الجرمي » .

(٤) جاء في نسخة أخرى « مصيبة » بدلاً من « ملمة » .

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالأدب والخطب، فقال:

[الكامل]

وَمُسَوِّمٌ ^(١) لِلْمَوْتِ يَرْكَبُ دِرْعَهُ ^(٢) بَيْنَ الْقَوَاصِبِ وَالْقَنَا الْخَطَارِ
يَذْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ ^(٣) شَلُوٌ ^(٤) تَنْشَبُ فِي مَخَالِبِ ضَارِ
فَثَوَى ^(٥) صَرِيحاً وَالرِّمَاحُ تَنْوُشُهُ ^(٦) إِنَّ الشُّرَاةَ ^(٧) قَصِيرَةُ الْأَعْمَارِ
أَدْبَاءُ إِمَّا جِئْتُهُمْ خُطْبَاءُ ^(٨) ضُمْنَاءُ ^(٩) كُلِّ كَتِيبَةٍ جَرَّارِ
ولما خطب سفيان بن الأبرد الأصم الكلبى، فبلغ في الترغيب والترهيب المبالغ،
ورأى عبد الله بن هلال الشكري أن ذلك قد فت في أعضاء أصحابه أنشأ يقول:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ لَهَا فِي صُدُورِ الْمُسْلِمِينَ غَلِيلُ
لَعَمْرِي لَئِنْ أُعْطِيتُ سُفْيَانُ بَيْعَتِي وَفَارَقْتُ دِينِي إِنِّي لَجَهْلُولُ
فَتَّ فِي عَضْدِي: أَيُّ غَرْنِي وَخَوْفِي.

وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الإسكندر ميتاً ^(١٠) «كان أمس أنطق منه اليوم». وهو اليوم أوعظ منه أمس». فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال:

[الوافر]

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَرِّ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ ^(١) الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
طَوْنُكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ ^(٢) كَذَلِكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطِيّاً
كَفَى حُزْناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا
وَكُنْتُ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتُ ^(٣) وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً

قال: ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية لابنها حين خاصمته إلى عامل الماء: «أما كان بطني لك وعاء، أما كان حجري لك فناء. أما كان ثديي لك سقاء؟» فقال ابنها: «أصبحت خطيبة رضي الله تعالى عنك» لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبه. وقال النمر بن تولب:

[الطويل]

وَقَالَتْ أَلَا فَاسْمَعْ لِلْفُطَيِّ ^(١) وَخُطْبَتِي ^(٢) فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَأَنْطِقِي وَأَصِيبِي

(١) سَوِّمٌ عَلَى عَدْوِهِ: أَعَارَ عَلَيْهِ وَأَعْمَلَ فِيهِ تَقْتِيلاً.

(٢) الشَّلُو: هُوَ مَا سَلَخَ وَأَكَلَ مِنْهُ جُزْءٌ وَبَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ.

(٣) ثَوَى: وَقَعَ صَرِيحاً.

(٤) تَنْوُشُهُ: تَتَنَاوَلُهُ.

(٥) الشُّرَاةُ: الْخَوَارِجُ.

(٦) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «عِنْدَ رَأْسِ الْأَسْكَندَرِ» بَدَلاً مِنْ «عِنْدَ الْإِسْكَندَرِ مَيْتاً».

(٧) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «أَغْنَى» بَدَلاً مِنْ «يَغْنَى».

(٨) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «نَعْظُكَ» بَدَلاً مِنْ «لِلْفُطَيِّ».

(٩) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «بِخُطْبَةٍ» بَدَلاً مِنْ «وَحُطْبَتِي».

فَلَمْ تَنْطَقِي حَقًّا وَلَسْتَ بِأَهْلِهِ فَقَبَّحْتَ مِنْ^(١) قَائِلٍ وَخَطِيبٍ
وقال أبو عباد كاتب أبي خالد: «ما جلس أحد قط بين يدي إلا مثل لي أنني
سأجلس بين يديه».

قال الله عز وجل: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٢) ليس يريد بلاغة
اللسان، وإن كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة.
قال: وكانت خطبة قريش في الجاهلية - يعني خطبة النساء - «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ». ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف. بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. لك ما سألت ولنا ما أعطيت».

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال: «لم أر مثلها مصيبة، ولم أر مثلها ثواباً: موت أمير المؤمنين والخلافة بعده. إنا لله
وإنا إليه راجعون على المصيبة. والحمد لله على النعمة. أنهضوا فبايعوا على بركة الله
رحمكم الله». فقام إليه عبد الله بن همام فقال:

[الرجز]

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمَلْجِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوْقَهَا
فبايع الناس.

وقيل لعمر بن العاصي في مرضه الذي مات فيه: «كيف تجدك؟» قال: «أجدني
أذوب ولا أثوب»^(٣) وأجد نجوي^(٤) أكثر من رزئي^(٥) فما بقاء الشيخ على ذلك؟».
وقيل لأعرابي كانت به أمراض عدة: «كيف تجدك؟» قال: «أما الذي يعمدني
فحصر وأسر».

وقال مقاتل: سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط، فقال: «يا أهل العراق يا
أهل السبق والسباق ومكارم الأخلاق، إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة قد رتبت^(٦)
لها الأشداق وقاموا لها على ساق، وهم غير تاركها لكم بالمرء والجِدال فالبسوا لهم
جلود النمر»^(٧).

(١) جاء في نسخة أخرى «مما» بدلاً من «من».

(٢) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٣) أثوب: أرجع.

(٤) النجو: ريح أو غائط يخرج من البطن.

(٥) الرزء: المصيبة.

(٦) جاء في نسخة أخرى «زببت» بالزاي ومعناه اجتماع الريق في الأشداق، بدلاً من «رتبت» ومعناه ثبتت.

(٧) فالبسوا لهم جلود النمر: استعدوا عليهم وتكروا لهم.

البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن
أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي «أدب
الكاتب لابن قتيبة» و «كتاب الكامل للمبرد»
و «كتاب البيان والتبيين للجاحظ» و «كتاب
النوادر لأبي علي القالي» وما سوى هذه الأربعة
فتبع لها وفروع عنها.

ابن خلدون

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عثمان الجاحظ :

الحمد لله ربّ العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة .

أردنا أبقاك الله أن نبتدىء صدر هذا الجزء الثاني من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب ، إذ وصلوا أيمانهم بالمخاصر ، وأعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسي والعصي ، أشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا ، وفي كل ذلك قد رَوينا الشاهد الصادق والمثل السائر . ولكنا أحببنا أن نُصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلّة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، وملح الأرض ، وحلى الدنيا ، وأنجوم التي لا يضل معها الساري ، والمنار الذي إليه يرجع الباغي ، والحزب الذي كثر الله به القليل ، وأعز به الذليل ، وزاد الكثير في عدده ، والعزیز في ارتفاع قدره . وهم الذين جَلّوا بكلامهم الأبصار العلية ، وشحذوا بمنطقهم الأذهان الكلية ، فنبهوا القلوب من رقتها ، ونقلوها من سوء عاداتها ، وشفّوها من داء القسوة وغباوة العفلة ، وداووا من العي الفاضح ، ونهجوا الطريق الواضح . ولولا الذي أملت في تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب وجزيل الثواب ، لقد كنت بدأت بالرد عليهم وبكشف قناع دعاويهم . على أننا سنقول في ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا . والله الموفق والمستعان .

مدلول الخطبة المتكاملة :

وعلى أن خطباء السلف الطيب ، وأهل البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدىء صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد «البترء» . ويسمون التي لم تُوشح بالقرآن وتُزين بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «الشوهاة» . وقال عمران بن حطان : خطبتُ عند زياد خطبة ظننت أنني لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس ، فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن . وخطب أعرابي فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد فقال : «أما بعدُ بغير ملال لذكر الله . ولا أثار

غيره عليه، فإننا نقول كذا ونسأل كذا» فراراً من أن تكون خطبته بتراء وشوهاً. وقال شبيب بن شبة: «الحمد لله وصلى الله على رسوله. أما بعد، فإننا نسأل كذا ونبذل كذا». وبنا حفظك الله أشد الحاجة إلى أن يسلم كتابنا هذا من ألبر القبيح، وأللقب السميع المعيب. بل قد نحب أن نزيد في بهائه، ونستميل القلوب إلى أجنتائه، إذ كان الأمل فيه بعيداً، وكان معناه شريفاً ثميناً.

ثم أعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب من أهل المَدَر والوبر والبدو والحضر، على ضربين: منها الطوال ومنها القصار، ولكل ذلك مكانٌ يليق به وموضعٌ يحسن فيه. ومن الطوال ما يكون مستوياً في الجودة، ومُشاكلاً في استواء الصنعة. ومنها ذوات الفقر الحسان والنتف الجياد. وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ، وإنما حظها التخليد في بطون الصحف. ووجدنا عدد القصار، أكثر رواة العلم إلى حفظها أسرع. وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار، ووفينا حقه من التمييز، ونرجو أن لا نكون قصرنا في ذلك والله الموفق. هذا سوى ما رسمناه في كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفصحاء، وجمل كلام الأعراب الخُلص، وأهل اللسن من رجالات قریش والعرب، أهل الخطابة من أهل الحجاز، ونتف من كلام النساك، ومواعظ من كلام الزهاد، مع قلة كلامهم وشدة توقيهم، ورُب قليل يُغني عن الكثير، كما أن رُب كثير لا يتعلق به صاحب القليل، بل رُب كلمة تُغني عن خطبة وتنوب عن رسالة، بل رُب كناية تربي على إفصاح، ولحظ يدل على ضمير، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية. ومتى شاكل - أبقاك الله - ذلك ألفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك ألقدر لِفقا^(١)، وخرج من سماجة الإستكراه، وسَلِم من فساد التكلف، كان قَمِيناً^(٢) بحسن الموقع، وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة. ومتى كان ألفظ أيضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه، وكان سليماً من الفضول^(٣) بريئاً من التعقيد، حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، وألتحم بالعقول، وهشَّت^(٤) إليه الأسماع، وأرتاحت له القلوب، وخفَّ على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلّم الرّيض^(٥). فإن أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة، ومصلحة حال الخاصة، وكان ممن يعم ولا يخص، وينصح ولا يغش، وكان مشغولاً بأهل الجماعة، شَنِفاً^(٦) لإهل الاختلاف والفُرقة، جُمعت له

(١) لِفقا: موافقاً.

(٢) قَمِيناً: جديراً.

(٣) الفضول: الزوائد.

(٤) هشَّت: مالت.

(٥) الرّيض: المتمرّن.

(٦) شَنِفاً: أبغض.

الحظوظ من أقطارها، وسيقت إليه القلوب بأزمته، وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته، وجبلت على تصويب إرادته. ومن أعاره الله من معرفته نصيباً، وأفرغ عليه من محبته ذنباً، حثت إليه المعاني وسلس له نظام اللفظ، وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم. ولم أجد في خطب السلف الطيب، والأعراب الأفحاح، ألفاظاً مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً ردياً، ولا قولاً مستكرهاً. وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين أبلدين المتكلمين، ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والأقتضاب، أو كان من نتاج التخير والتفكير. ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريماً^(١)، وزمناً طويلاً، يردد فيها نظره، ويقلب فيها رأيه، أتھاماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله ذماماً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفافاً على أدبه، وإحرازاً لما حوّل الله من نعمته.

وكانوا يسمون تلك القصائد «الحوليات» و «المقلدات» و «المنقحات» و «المحكمات» ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً، وشاعراً مقلداً. وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد، ومنها الشواهد، ومنها الشوارد.

طبقات الشعراء

والشعراء عندهم أربع طبقات: فأولهم الفحل الخنذيذ، والخنذيذ هو ألتام، قال الأصمعي: قال رؤية: هم الفحولة الرواة. ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المقلد. ودون ذلك الشاعر فقط. والرابع الشعروور. ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء:

يَا رَابِعَ الشُّعْرَاءِ فِيمَ هَجَوْتَنِي وَرَعَمْتَ أُنِي مُقَحَّمٌ^(٢) لَا أَنْطِقُ
فَجَعَلَهُ سَكَيْتاً مَخْلُفاً وَمَسْبُوقاً مُؤَخَّراً. وسمعت بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاثة: شاعر وشويعر وشعروور. قال: والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران، سماه بذلك أمروء القيس بن حجر. ومنهم ثم من بني ضبة المفوف شاعر بني حميس وهو الشويعر، ولذلك قال العبدئي:

أَلَا تَنْهَى سَرَاهُ بَنِي حَمِيسٍ شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الْأَفَاعِ
قُبَيْلَةَ تُرَدَّدُ حَيْثُ شَاءَتْ كَزَائِدَةِ النَّعَامَةِ فِي الْكُرَاعِ^(٣)
فويلية الأفاع: دويبة فوق الخنفساء. والشويعر أيضاً صفوان بن عبد ياليل من بني

(١) كريماً: تاماً، كاملاً.

(٢) المقحّم: الضعيف.

(٣) الكراع: من الدواب هو ما دون الكعب وما دون الركبة عند الإنسان.

سعد بن ليث، ويقال: إن اسمه ربيعة بن عثمان، وهو الذي يقول:

[الوافر]

فَسَائِلُ جَعْفَرًا وَبَنِي أَبِيهَا بَنِي الْبَرَزَا^(١) بِطَخْفَةٍ وَالْمِلَاحِ^(٢)
وَأَقْلَتْنَا أَبُو لَيْلَى طُفَيْلًا صَحِيحَ الْجِلْدِ مِنْ أَثَرِ السَّلَاحِ
وقد زعم ناس أن الْخَنْذِيدَ مِنَ الْخَيْلِ هو الْخَصِيّ، وكيف يكون ذلك كذلك مع

قول الشاعر:

[الكامل]

يَا لَيْلَتِي يَا لَيْتَ^(٣) لَمْ أَرِ مِثْلَهَا أَمَرَّ قَرَى مِنْهَا وَأَكْثَرَ بَاكِيًا
وَأَكْثَرَ خَنْذِيدًا يَجُرُّ عَنَانَهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَثْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا

وقال بشر بن أبي خازم:

[الوافر]

وَخَنْذِيدٌ تَرَى الْعُرْمُولَ^(٤) مِنْهُ كَطَيِّ الزَّقِّ^(٥) عَلَقَهُ التَّجَارُ

وأبين من ذلك قول البرجمي:

[الخفيف]

وَخَنْذِيدٌ خِصِيَّةٌ وَفُحُولًا

ويدل على ما قلنا قول العبيسي:

[الطويل]

دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَيَّ فَشَمَّرْتُ خَنْذِيدٌ مِنْ سَعْدٍ طَوَالَ السَّوَاعِدِ

وكان زهير بن أبي سلمى يسمي كبار قصائده: «الحوليات»، وقد فسر سويد بن

كراع الْعُكْلِيَّ ما قلنا في قوله:

[الطويل]

أَبَيْتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَا فِي كَأَنَّمَا أَصَادِي بِهَا سَرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نُزْعَا
أَكَاثُهَا^(٦) حَتَّى أَعْرَسَ^(٧) بَعْدَمَا يَكُونُ سَحِيرًا أَوْ بُعِيدًا فَأَهْجَعَا
عَوَاصِي إِلَّا مَا جَعَلْتُ أَمَامَهَا عَصَا مَرْبِدٍ^(٨) تَغْشَى نُحُورًا وَأَذْرُعَا
أَهْبْتُ بِغُرِّ الْأَبْدَاتِ وَرَاجَعْتُ^(٩) طَرِيقًا أَمَلْتُهِ^(١٠) الْقُصَائِدُ مِهْيَعَا^(١١)
بَعِيدَةً شَأْوٍ لَا يَكَادُ يَرُدُّهَا لَهَا طَالِبٌ حَتَّى يَكِلَ وَيُظْلَعَا

(١) جاء في نسخة أخرى «البرزري» وهو لقب لهم بدلاً من «البرزرا».

(٢) طخفة والملاح: اسما مكانين.

(٣) جاء في نسخة أخرى «يا ليتني بالخبث» بدلاً من «يا ليلتي يا ليت».

(٤) الغرمول: الذكر. (٥) الزق: سقاء من جلد.

(٦) أكاثها: أراقبها. (٧) أعرس: أنزل سحراً.

(٨) المربد: محبس الإبل.

(٩) جاء في نسخة أخرى «فراجعت» بالفاء بدلاً من «وراجعت».

(١٠) أملت: ركلت. (١١) مهيح: واسع.

إِذَا خِفْتُ أَنْ تَرْدَى ^(١) عَلَيَّ رَدَدْتُهَا وَرَاءَ التَّرَاقِي خَشِيَةً أَنْ تَطْلُعَا
وَجَشَمَنِي خَوْفُ ابْنِ عَمَّانَ رَدَّهَا فَتَقَفْتُهَا حَوْلًا جَرِيدًا وَمَرَبَعًا
وَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا زِيَادَةٌ فَلَمْ أَرِ إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَسْمَعَ
ولا حاجة بنا مع هذه الفقر إلى الزيادة في الدليل على ما قلنا، ولذلك قال الحطيئة:
«خير الشعر الحولي المحكك». وكان الأصمعي يقول: «زهير بن أبي سلمى والحطيئة
وأشباؤهما عبید الشعر». وكذلك كل من يجود في جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله
وأعاد فيه النظر، حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة. وكان يقال: لولا أن
الشعر قد كان أستهبدهم وأستفرغ مجهودهم، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب
الصنعة ومن يلتبس قعر الكلام وأغتصاب الألفاظ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم
المعاني سهلاً ^(٢) ورهواً ^(٣) وتثال عليهم الألفاظ أثيالاً. وإنما الشعرُ المحمود كسعر النابغة
الجعدي ورؤبة، ولذلك قالوا في شعره: «مطرف بآلاف وخمار بواف». وكان يخالف في
جميع ذلك الرواة والشعراء. وكان أبو عبيدة يقوله ويحكي ذلك عن يونس. ومن تكسب
بشعره وألتمس به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين
وبالطوال التي تُشدد يوم الحفل لم يجد بداً من صنيع زهير والحطيئة وأشباؤهما، وإذا قالوا
في غير ذلك أخذوا عفواً الكلام وتركوا المجهود، ولم ترهم مع ذلك يستعملون مثل
تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب، بل كان الكلام ألبانت عندهم
كالمقتضب اقتداراً عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه. وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى
الرأي في معازم التدبير ومهمات الأمور وبينوه في صدورهم وقيدوه على أنفسهم فإذا قومه
الثقاف وأدخل الكبير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ومصفي من الأدناس مهذباً.
وقال الربيع بن أبي الحقيق لأبي ياسر النضيري:

[الطويل]

فَلَا تُكْثِرِ النَّجْوَى وَأَنْتَ مُحَارِبٌ تُوَامِرُ فِيهَا كُلَّ نَكْسٍ ^(٤) مُقْصِرٍ
وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول: أي أي والرأي الفطير. وكان يستعيز بالله من
الرأي الدبري. وقال سحبان وائل: شرّ خليطيك السؤوم المَحْزَم. لأن السؤوم لا يصبر،
وإنما التفاضل في الصبر. والمَحْزَم صعب لا يعرف ما يُراد به، وليس الحزم إلا
بالتجارب، ولأن عقل الغريزة مسلم إلى عقل التجربة. ولذلك قال علي بن أبي طالب -
رضي الله تعالى عنه -: «رأي الشيخ أحب إلي من جلد الشاب». ولذلك كرهوا ركوب

(١) جاء في نسخة أخرى «تروي» بدلاً من «تردى».

(٢) جاء في نسخة أخرى «سهواً» بدلاً من «سهلاً» وسهواً بمعنى سهلاً.

(٣) رهواً: ليناً.

(٤) نكس: الرجل الضعيف الدنيء.

الصعب حتى يذل والمهر الأرن^(١) الأبعد طول الرياضة، ولم تحوّل المعانيق^(٢) هماليج^(٣) إلا بعد طول التخليع^(٤). ولم يحلبوا الزبون^(٥) إلا بعد الإبساس^(٦). وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، مما لم يسبقه إليه عربي ولم يشاركه فيه عجمي ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً.

فمن ذلك قوله: «يا خيل الله أركبي» ومن ذلك قوله: «مات حتف أنفه». ومن ذلك قوله: «لا ينتطح فيه عزان». ومن ذلك قوله: «الآن حمي الوطيس». ولما قال عدئي بن حاتم في قتل عثمان - رضي الله تعالى عنه -: «لا تحبقي فيه عناق»^(٧) قال له معاوية بن أبي سفيان - رحمهما الله - بعد أن فقيئت عينه وقُتِلَ ابنه: «يا أبا طريف، هل حَبَقْتَ في قتل عثمان عناق؟» قال: «أي والله، وألتيس الأضخم» فلم يصبر كلامه مثلاً وصار كلام رسول الله ﷺ مثلاً. ومن ذلك قوله لأبي سفيان بن حرب: «كل الصيد في جوف ألفرا». ومن ذلك قوله «هْدَنَ على دَخْن»^(٨) وجماعة على أقداء. ومن ذلك قوله: «لا يُلْسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين». ألا ترى أن الحارث بن خذان حين أمر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب قال: «يا أيُّها الناس اتَّقُوا الْفِتْنَةَ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِشَبْهَةِ وَتُدْبَرُ بَبِيانٍ، وَإِنْ الْمُؤْمِنُ لَا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» فضرب بكلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المثل ثم قال: «اتَّقُوا عَصَباً تَأْتِيكُمْ مِنَ الشَّامِ كَأَنَّهَا دِلَاءٌ قَدْ انْقَطَعَ وَدَمُهَا»^(٩). وقال ابن الأشعث لأصحابه، وهو على المنبر: قد علمنا إن كنا نعلم وفهمنا إن كنا نفهم أن المؤمن لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، وقد والله لُسِعْتُ بكم من جُحْرٍ ثلاث مرات، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان وأعتصم به من كل ما قرب من الكفر.

صفة بلاغة رسول الله ﷺ:

وأنا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الكلام الذي قلَّ عددُ حروفه وكثُرَ عددُ معانيه وجلَّ عن الصنعة ونَزَّهَ عن التكلّف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد وما أنا من المتكلفين. فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعجير، وأستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر، وهجر الغريب ألوحشي ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة،

(١) الأرن: النشيط.

(٢) المعانيق: السريعة.

(٣) هماليج: التي تسير متبخرة.

(٤) الزبون: الناقة التي تضرب حالها.

(٥) الإبساس: صوت الحالب وهو يسكن الناقة عند الحلب.

(٦) يقصد أنه لا تضرب له من المعزى صغيرها.

(٧) الدخن: الحقد.

(٨) دمه: السيور بين آذان الدلو والعراقي.

ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بِالْعَصْمَةِ، وشيدَ بِالتَّأْيِيدِ: ويسرُ بِالتَّوْفِيقِ. وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته: وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج^(١) إلا بالحق، ولا يستعين بالخلافة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز^(٢) ولا يلمز^(٣)، ولا يبطن ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيراً. ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط، بل كذلك يرون المتطرف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يذمونها. قال قيس بن خطيم:

[الطويل]

فَمَا أَلْمَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا أَسْطَعْتَ مِنْ مَعْرِفِهَا فَتَزَوَّدَ
وَإِنِّي لَا غْنَى النَّاسِ عَنْ مُتْكَلِّفٍ يَرَى النَّاسَ ضَالًّا وَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ

وقال ابن قميئة:

[الطويل]

وَحَمَالٍ أَثْقَالٍ إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ عَنْ الْأَصْلِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتْكَلِّفُ

وقال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد جمعنا في هذا الكتاب جملاً ألتقطنها من أفواه أصحاب الأخبار. ولعل بعض من لم يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أن تكلفنا له من الإمتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره، كلاً والذي حرم التزييد على العلماء وقيح التكلف عند الحكماء وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا إلا من ضل سعيه.

فمن كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال: «أما والله ما علمتكم إلا لتقبلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع». وقال: «الناس كلهم سواء كأسنان المشط». و «المرء كثير بأخيه» و «لا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه». وقال الشاعر:

[الطويل]

سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلاً

(١) الفلج: الظفر والفوز. (٢) الهمز: العيب في الغيبة. (٣) اللمز: العيب في الحضور.

وقال آخر:

[الوافر]

شَبَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ سَوَاءٌ فَهُمْ فِي اللَّوْنِ أَسْنَانُ الْحِمَارِ
وإذا حصّلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وحقيقته، علمت فضل ما بين الكلامين. وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:
«المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويردّ عليهم أقصاهم وهم يدّ على من
سواهم». ففتهم - رحمك الله - قلة حروفه وكثرة معانيه. وقال عليه السلام: «اليد العليا
خير من اليد السفلى». و «ابدأ بمن تعول». وقال: «لا تجن يمينك على شمالك». وذكر
الخیل فقال: «بطونها كنز وظهورها حرز». وقال: «خير المال مهرة مأمورة»^(١) وسكة
مأبورة»^(٢). وقال: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة». وقال: «نعمت أعمة لكم النخلة
تُغرس في أرض خوارة»^(٣) وتشرب من عين خراة». وقال: «المطعمات في المحل
الراسخات في ألوحل». وقال: «الحمي»^(٤) في أصول النخل». وذكر الخيل فقال:
«أعرافها أدفاؤها وأذناها مذايها». و «الخیل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».
وقال: «ليس مثا من حلق»^(٥) أو صلق»^(٦) أو شق»^(٧). وقال: «نهيتكم عن عقوق الأمهات
ووأد البنات ومنع وهات». وقال: «الناس كإبل ألمائة لا تجد فيها راحلة». وقال: «ما
أملق تاجر صدوق». وجاء في الحديث: «ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى». وقال:
«يحمل هذا العلم من كل خلف عدد له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتأويل الجاهلين». وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم: «الخير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف». وقال: «لا
يُورَدَنَّ مُجْرَبٌ على مصح»^(٨) وقال: «لا تزال أمتي صالحاً أمرها ما لم تر الأمانة مغنماً
والصدقة مغرماً». و «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس». و «لن يهلك أمرؤ بعد
مشورة». وقال: «ألمستشار مؤتمن». وقال: «المستشار بالخيار إن شاء قال وإن شاء
أمسك»، وقال: «رجم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسليم» وقال: «افصلوا بين
حديثكم بالإستغفار» وقال: «أستعينوا على طول المشي بالسعي» وقال للختانة: «يا أمّ
عطية أشميه ولا تُنهكيه فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج». وقال: «لا تجلسوا على
ظهور الطريق فإن أبيتهم فغضوا الأبصار ورُدُّوا السلام وأهدوا الضال وأعينوا الضعيف».
وقال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به

(١) مأمورة: منتجة.

(٢) أبر: أصلح وألقح.

(٣) خوارة: سهلة.

(٤) الحمى: المحظور لا يقر ب.

(٥) أي حلق الشعر عند الرزئة.

(٦) الصلق: رفع الصوت.

(٧) الشق: شق الثياب.

(٨) يقصد من إبله جرباء على من إبله صحاح.

شيئاً وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا مَنْ وُلّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ . ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» . قال : «ويقول ابن آدم مالي مالي ، وإنما لك من ماله ما أَكَلْتَ فأفنيته أو لبست فأبليت أو وهبت فأمضيت» . وقال : «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لسأل إليهما ثالثاً» . و «لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» . و «يتوب الله على من تاب» . وقال : «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون» . وقال : «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطون أكنفاً الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون» . وقال : «آيائي والتشادق» . وقال : «إياي والفرج في الصلاة» وقال : «لا يؤمن ذو سلطان في سلطانه ولا يجلس على تكمته إلا بإذنه» . وقال : «إياكم والمشارة فإنها تُميت العرة وتُحيي العرة»^(١) . وقال : «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً» . وقال : «أعوذ بالله من الأعميين وبوار الآليم» . وكان يقول : «أعوذ بالله من دعاء لا يُسمع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع» . وقال رجل : يا رسول الله أوصني بشيء ينفعني الله به . قال : «أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فإن الشكر يزيد في النعمة وأكثر الدعاء فإنك لا تدري متى يُستجاب لك» . وقال : «أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم» . و «إياك والبغي فإن الله قد قضى أنه من بغي عليه لينصرته الله» . و «إياك والمكر فإن الله قد قضى لا يحق المكر السيئ إلا بأهله» . وقيل : يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال : «اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله» . وقيل له : أي الأصحاب أفضل؟ فقال : «الذي إذا ذكرت أعانك وإذا نسيته ذكرتك» . وقيل : أي الناس شر؟ قال : «العلماء إذا فسدوا» . وقال : «دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر . والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا ، أولاً أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم» . وقال : «تهادوا تحابوا» . وعن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أوصاني ربي بتسع : أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعَدل في الرضا والغضب ، وبالقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبراً» وثلاث كلمات رويت مرسله ، وقد رويت لأقوام شتى ، وقد يجوز أن يكون إنما حكوها ولم يبتدئوها منها قوله : «لو تكاشفتم لما تدافتم» ومنها قوله : «الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم» . ومنها قوله : «ما هلك أمرؤ عرف قدره» . وقال إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار : قال : وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : «إن الله كره لكم العتب في الصلاة والرَفَث

(١) العرة : المساوىء والمثالب .

في الصيام والضحك عند المقابر». وقال: «إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فأجزم»^(١) وحدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر، وهو من حديث معاذ بن جبل: قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ليس من أخلاق المؤمن الملق»^(٢) إلا في طلب العلم». ومن حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قال: «قيدوا العلم بالكتابة»^(٣). قال: «ويقول الله لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رضع لصبت عليكم العذاب صبا». ومن حديث عبد الله بن المبارك رفعه. قال: «إذا ساد القبيل فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل اتقاء شره فلينتظروا البلاء». ومن حديث ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ستحرصون على الإمارة فنعمت الموضع وبئست الفاطمة». ومن حديث عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان». ومن حديث عبد الله بن المبارك قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «إن قوما ركبوا سفينة في البحر فافتسموا فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له ما تصنع؟ فقال: هو مكاني أصنع فيه ما شئت، فإن أخذوا على يدي نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا». وقال: «علق سوطك حيث يراه أهلك». ودخل السائب بن أبي صيفي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال: «يا رسول الله أتعرفني؟» قال: «كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني؟» وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يؤتى بالوالي يجلد فوق ما أمر الله به، فيقول له الرب: عدي. لم جلدت فوق ما أمرتك به. فيقول: رب غضبت لغضبك. فيقول: أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي؟! ثم يؤتى بالمقصر فيقول: عدي لم قصرت عما أمرتك به؟. فيقول: رب رحمته. فيقول: أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي؟! قال: فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لا أعرفه إلا أنه صيرهما إلى النار» قال وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر عن فزعة قال: قال لي ابن عمر أودعك كما ودعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك». وقال: «كل أرض بسمائها». وروى سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن أشياخه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الحضرمي ولقومه: «من محمد رسول الله إلى الأقبال»^(٤)

(١) إجم: رتل الأذان ولا تعجل، وأما إقامة الصلاة فلا تمدّها.

(٢) الملق: التزيد في التودد.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بالكتاب» بدلاً من «بالكتابة».

(٤) الأقبال: الملوك.

العباهلة^(١) من أهل حضر موت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التبعة^(٢) شاة والقيمة^(٣) لصاحبها وفي السيوب^(٤) الخمس . لا خلط ولا وراط ولا شناق^(٥) ولا شغار فمن أجبي فقد أربى . وكل مسكر حرام^(٦) . ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا تغالوا في النساء فإنما هن سقيا لله » . وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء فريش ، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على بعل في ذوات يده » . وقال مجالد عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « اللهم أذهب ملك غسان وضع مهور كندة » .

والذي يدل على أن الله قد خصه من الإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم » . ومما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من استعمل الأخلاق الكريمة والأفعال الشريفة وكثرة الأمر والنهي عما خالف عنها قوله : « من لم يقبل عذراً من متصل صادقاً كان أو كاذباً لم يرد علي الحوض » . وقال في آخر وصيته : « اتقوا الله في الضعيفين » . وكلمته جارية في السبي فقال لها : « من أنت » قالت : « أنا بنت الرجل الجواد حاتم » . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « ارحموا عزيزاً ذل ارحموا غنياً أفقر ارحموا عالماً ضاع بين جهال » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن » . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن الأحاديث ستكثر عني بعدي كما كثرت عن الأنبياء من قبلي فما جاءكم عني فأعرضوا على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عني قلته أو لم أقله » . وسئلت عائشة - رضي الله تعالى عنها - عن خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت : « خلق القرآن » . وتلت قول الله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٦) وقال محمد بن علي : « أدب الله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بأحسن الآداب ، فقال : ﴿ حُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾^(٧) . فلما وعى قال : ﴿ أَفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(٨) قال حدثنا علي بن مجاهد ، قال : حدثنا هشام بن عروة قال : سمع عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - رجلاً يُشدد :

[الطويل]

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدَ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مَوْقِدٍ

(١) العباهلة : المقرون على ملكهم فلم يزالوا عنه .

(٢) التبعة : اسم الأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان .

(٣) القيمة : الشاة تكون لصاحبها في منزله يحتلبها وليست بسائمة .

(٤) السيوب : الركاز .

(٥) الشنق : ما زاد بين الفريضتين في الزكاة أي لا زكاة في الزيادة على الفريضة إلى أن تبلغ الفريضة الأخرى .

(٦) سورة القلم ، الآية : ٤ . (٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ . (٨) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

فقال عمر: «ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم». وقد كان الناس يستحسنون قول الأعشى:

[الطويل]

تَشَبُّ لِمَفْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
فلما قال الحطيئة البيت الذي كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى.

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا يزال المسروق منه في تهمة من هو بريء حتى يكون أعظم جُزْماً من السارق». وقال أبو الحسن: أجرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبته وقال: «ما هو إلا البحر» وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «كذب الحطيئة حيث يقول:

[الطويل]

وَإِنَّ جِيَادَ الْخَيْلِ لَا تَسْتَفْزَنَا وَلَا جَاعِلَاتُ الْعَاجِ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ
وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه، ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها.

ذكر خلق رسول الله ﷺ:

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل على الأرض ويجلس على الأرض. ويلبس العباءة. ويجالس المساكين ويمشي في الأسواق ويتوسد يده الشريفة. ويقص من نفسه. ويلطع^(١) أصابعه ولا يأكل مُتَكَيِّئاً. ولم يُرَقَطْ ضاحكاً ملء فيه. وكان يقول: «إنما أنا عبد، أكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد، ولو دُعِيتُ إلى ذراع لأَجَبْتُ ولو أهدِي إلي كُرَاعٌ^(٢) لَقَبِلْتُ» لم يأكل قط وحده ولا ضرب عبده ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل ربه. ولو لم يكن من كرم عفوهِ ورجاحةِ جُلْمِهِ إلا ما كان منه يوم فتح مكة، لقد كان ذلك من أكمل الكمال. وذلك أنه حين دخل مكة عُتُوهُ وقد قتلوا أعمامه وبني أعمامه وأولياءه وقادة أنصاره بعد أن حصروه في الشُعاب وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب وجرحوه في بدنه وآذوه في نفسه وسَفَهُوا عليه وأجمعوا على كيدهِ، فلمَّا دخلها بغير حمدهم وظهر عليهم على صغرِ منهم، قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣).

(٢) الكراع من الدواب: ما دون الكعب.

(١) يلطع: يلحس.

(٣) سورة يوسف، الآية؛ ٩٢.

وإنما نقول في كل باب بِالْجُمْلَةِ من ذلك الْمَذْهَب . وإذا عرفتُم أول كل باب كُنْتُم خُلُقَاء أن تعرفوا الْأَوَائِلَ وَالْمَصَادِرَ بِالْمَوَارِدِ .

ومن خطبه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة حَجَّة الْوَدَاع وهي :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَهْدِ اللَّهِ ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمِنْ يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَحُكْمِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ إِسْمِعُوا مِنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَقْضَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ إِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا . فِي بِلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ أَلَلَّهِمْ أَشْهَدُ . فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أَتَمَّنَتْهُ عَلَيْهَا . وَإِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنَّ أَوَّلَ رَبِّهَا أَبَدُ بِهِ رَبِّهَا عَمِّي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَإِن دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِن أَوَّلَ دَمٍ نَبَدَأُ بِهِ دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَإِنَّ مَأْتَرَ الْجَاهِلِيَّةِ ، مَوْضُوعَةٌ غَيْرُ السَّدَانَةِ وَالسَّقَايَةِ . وَالْعَمَدُ قَوْدٌ ^(١) وَشَبُّهُ الْعَمَدُ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ ، وَفِيهِ مَائَةٌ بَعِيرٌ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ^(٢) ﴾ وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمُ وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَلَّهِمْ أَشْهَدُ . أَيُّهَا النَّاسُ إِن لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ : لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَدًا بُيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضِلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرُوحٍ ، فَإِنْ أَنْتَهَيْتُمْ وَأَطَعْتَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلِلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ وَأَسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَلَّهِمْ أَشْهَدُ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَلَّهِمْ أَشْهَدُ . فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَلَّهِمْ أَشْهَدُ . أَيُّهَا النَّاسُ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرُمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(١) القود: القصاص من القاتل عمدًا.

أَتَقَاكُمْ، وليس لعربيّ على عجميّ فضلٌ إلّا بالتقوى، ألا هل بَلَغْتُ؟ أَلَلَّهِمْ أَشْهَدُ. قالوا: نعم. قال: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قد قَسَمَ لكل وارث نصيبه مِنْ الميراث ولا يجوز لوارثٍ وصية ولا يجوز وصيةٌ في أكثرٍ مِنَ الثَّلاثِ. وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، مَنْ أَدْعَى إِلَى غيرِ أبيه أو تَوَلَّى غيرَ مَوَالِيهِ فعليه لعنةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ ولا عَدْلٌ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.»

أَقْوَال متفرقة:

وعن الحسن قال: «جاء قيس بن عاصم الْمِنْقَرِيُّ إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نظر إليه قال: هذا سيد أهل ألور. فقال: يا رسول الله خَبَرَنِي عَنِ الْمَالِ الَّذِي لَا تَكُونُ عَلَيَّ فِيهِ تَبَعَةٌ مِنْ ضَيْفٍ ضَافِنِي أَوْ عِيَالٍ إِنْ كَثُرُوا عَلَيَّ. قال: نعم، المَالُ الْأَرْبَعُونَ وَالْأَكْثَرُ أَلَسْتَوْنَ وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ الْمَتْنِ إِلَّا مَنْ أَعْطَى فِي رِسْلِهَا^(١) وَنَجَدَتْهَا^(٢) وَأَطْرَقَ فَحَلَهَا^(٣) وَأَفْقَرَ ظَهَرَهَا^(٤) وَنَحَرَ سَمِينَهَا وَأَطْعَمَ الْقَنَاعَ وَالْمُعْتَرَّ^(٥). قال: يا رسول الله ما أكرمَ هذه الْأَخْلَاقَ وَأَحْسَنَهَا! وما يحل بِالْوَادِي، الَّذِي أَكُونُ فِيهِ، أَكْثَرُ مِنْ إِبْلِي. قال: فكيف تصنع بِالْطَرِيقَةِ؟ قال: تغدو لِإِبْلِ وَيَغْدُو النَّاسُ فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرٍ فَذَهَبَ بِهِ. قال: فكيف تصنع بِالْأَفْقَارِ؟ قال: إني لِأَفْقَرَ الْبَكْرِ الضَّرْعِ وَالنَّابِ الْمُسْتَةِ. قال: فكيف تصنع بِالْمَنِحَةِ^(٦)؟ قال: إني لِأَمْنَحَ فِي كُلِّ سَنَةِ مِائَةَ. قال: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمَالِكَ أَمْ مَالُ مَوَالِيكَ^(٧)؟ قال: بل مالي. قال: فَمَالُكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَنْفَيْتُ أَوْ لَبِستُ فَأَبْلَيْتُ أَوْ أَعْطَيْتُ فَأَمْضَيْتُ، وما سوى ذلكَ لِلْمَوَارِيثِ.»

وذكر أبو الْمِقْدَامِ هِشَامُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ - فَجَعَلْتُ أَحَدَ الْأَنْظُرِ إِلَيْهِ. فَقَالَ لِي: يَا أَبْنَ كَعْبِ مَالِكَ تَحَدُّ الْأَنْظُرَ إِلَيَّ؟ قُلْتُ: لِمَا نَحُلُ مِنْ جَسْمِكَ وَتَغْيِيرِ مِنْ لَوْنِكَ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ ثَلَاثَةِ فِي قَبْرِِي وَقَدْ سَأَلْتَ حَدِثَتَايَ عَلَى وَجْهَتِي وَأَبْتَدَرَ فَمِي وَأَنْفِي صَدِيداً وَدُوداً كُنْتُ لِي أَشَدَّ نَكْرَةً؟ أَعَدَّ عَلَيَّ حَدِيثاً كُنْتُ حَدِثْتَنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. قُلْتُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرْفٌ وَإِنْ أَشْرَفَ الْمَجَالِسُ مَا أُسْتَقْبِلَ بِهِ الْقَبْلَةُ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى

(١) الرسل: التآني، والمقصود السعة والرضاء.

(٢) نجدتها: شدتها.

(٣) أطرق فحلها: أعاره ليضرب في إبله.

(٤) أفقر ظهرها: أعاره للركوب.

(٥) القناع والمعتز: السائل والطالب.

(٦) المنيحة: يقصد إطعام المرأة لبن شاته لآخر.

(٧) جاء في نسخة أخرى «مولاك» بدلاً من «مواليك».

الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده» ثم قال: «ألا أنبئكم بشرار الناس؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من نزل وحده ومنع رفقاه وجلد عبده». ثم قال: «ألا أنبئكم بشر من ذلك؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من لا يقبل عشرة ولا يقبل معذرة». ثم قال: «ألا أنبئكم بشر من ذلك؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من يبغض الناس ويُبغضونه. إن عيسى ابن مريم قام خطيباً في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجَهل فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم. يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيئه فأجتنبوه، وأمر اختلف فيه فإلى الله ردوه». وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: كل قوم على زينة من أمرهم ومفلة في أنفسهم يزرون على من سواهم. ويتبين الحق من ذلك بالمقايضة بالعدل عند ذوي الألباب من الناس. وقال: «من رضي رفيقه فليمسكه ومن لم يرض فليبعه، ولا تعذبوا عباد الله». وقال في آخر ما أوصى به: «إتقوا الله في الضعيفين». ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جُبَيْر بن نُفَيْر عن مالك بن يَخَامَر عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «عمرانُ بيت المقدس خراب يثرَب، وخراب يثرَب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال» ثم ضرب بيده على فخذه الذي حدثه أو منكبه ثم قال: «إن هذا لحق كما أنك ها هنا». أو «كما أنك قاعد» يعني معاذ. صالح المري^(١) عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، وأسقبوا البلاء بالدعاء». كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن الضحاک عن ابن الحسن أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «الجمعة حج المساكين». عوف عن الحسن أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله». الواقدي عن موسى بن محمد بن^(٢) إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله يحب الجواد من خلقه». أبو عبد الرحمن الأشجعي عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله». ويقال: «حدث نفسه بقتله» أبو عاصم النبيل قال: حدثنا عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقاً على الله أن يحرّم لحمه على النار». إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخصب بن جحدر

(١) جاء في نسخة أخرى «المزني» بالزاي بدلاً من «المري» بالراء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «عن» بدلاً من «بن».

عن رجل عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ أَلْمَلَقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ». وعن عبد ربه بن أعين عن عبد الله بن ثُمَامَةَ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ». وقال: «فَضْلُ جَاهِكُمْ تَعَوُّدُ بِهِ عَلَى أَخِيكَ الَّذِي لَا جَاءَ لَهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ، وَفَضْلُ لِسَانِكَ تُعَبَّرُ بِهِ عَنْ أَخِيكَ الَّذِي لَا لِسَانَ لَهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ، وَفَضْلُ قَوَّتِكَ تَعَوُّدُ بِهَا عَلَى أَخِيكَ الَّذِي لَا قُوَّةَ لَهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ، وَفَضْلُ عِلْمِكَ تَعَوُّدُ بِهِ عَلَى أَخِيكَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى أَهْلِهِ». وَإِنَّمَا مَدَارُ الْأَمْرِ وَالْغَايَةِ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْفَهْمُ ثُمَّ الْإِفْهَامُ وَالطَّلَبُ ثُمَّ التَّثَبُّتُ.

وقال عمرو بن العاص: «ثَلَاثَةٌ لَا أَمْلُهُمْ: جَلِيسِي مَا فَهَمَ عَنِّي، وَدَابَّتِي مَا حَمَلَتْ رَجُلِي، وَثَوْبِي مَا سَتَرَ عَوْرَتِي». وذكر الشعبي ناساً فقال: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمْ أَشَدَّ تَنَابُذاً»^(١) فِي مَجْلَسٍ وَلَا أَحْسَنَ تَفْهَمًا لَدَقِيقٍ». وقال سعيد بن سلم لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ: «لَوْ لَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ إِلَّا عَلَى حَسَنِ مَا بَلَّانِي فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَصْدِهِ إِلَيَّ بِحَدِيثِهِ وَإِشَارَتِهِ إِلَيَّ بِطَرَفِهِ، لَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَفَرَّضُهُ الشَّرِيعَةُ وَتُوجِبُهُ الْحَرِيَّةُ». قَالَ الْمَأْمُونُ «لَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ حَسَنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ وَحَسَنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثْتَ مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ فَيَمْنُ مَضَى وَلَا يَظُنُّ أَنَّهُ يَجِدُهُ فَيَمْنُ بَقِيَ». وقال له مرة: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَسْتَفْقِي حَدِيثِي، وَتَقِفُ عِنْدَ مَقَاطِعِ كَلَامِي، وَتُخْبِرُ عَنْهُ بِمَا كُنْتَ قَدْ أَغْفَلْتَهُ». قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: قَالَتْ أُمْرَأَةٌ لَزَوْجِهَا: «مَالِكٌ إِذَا خَرَجْتَ إِلَى أَصْحَابِكَ تَطَلَّقْتَ وَتَحَدَّثْتَ، وَإِذَا كُنْتُ عِنْدِي تَعَقَّدْتَ وَأَطْرَقْتَ؟» قَالَ: «لِأَنِّي أَجُلُّ عَنْ دَقِيقِكَ وَتَدْقِيقٍ عَنْ جَلِيلِي». وقال أَبُو مُسْهَرٍ بْنُ الْمُبَارَكِ: «مَا حَدَّثْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا أَعْجَبَنِي حَسَنُ إِصْغَائِهِ حَفِظَ عَنِّي أَمْ ضَيَّعَ». وقال أَبُو عَقِيلٍ بْنُ دُرْسْتٍ: «نَشَاطُ الْقَائِلِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِ الْمَسْتَمِعِ». وقال أَبُو عِيَادٍ كَاتِبُ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ: «لِلْقَائِلِ عَلَى الْمَسْتَمِعِ ثَلَاثٌ: جَمْعُ أَلْبَالٍ، وَالْكِتْمَانُ، وَبَسْطُ الْعُذْرِ». وقال أَبُو عِيَادٍ: «إِذَا أَنْكَرَ الْقَائِلُ عَيْنِي الْمَسْتَمِعَ فَلْيَسْتَفْهَمْهُ عَنْ مَنْتَهَى حَدِيثِهِ، وَعَنْ السَّبَبِ الَّذِي أَجْرَى ذَلِكَ الْقَوْلَ لَهُ، فَإِنْ وَجَدَهُ قَدْ أَخْلَصَ لَهُ الْأَسْتِمَاعَ أَتَمَّ لَهُ الْحَدِيثَ، وَإِنْ كَانَ لَا هِيَأَ عَنْهُ حَرَمَهُ حَسَنَ الْحَدِيثِ وَنَفَعَ الْمُؤَانَسَةَ، وَعَرَفَهُ بِسَوْءِ»^(٢) الْأَسْتِمَاعِ وَالْتَقْصِيرِ فِي حَقِّ الْمَحْدَثِ». وَأَبُو عِيَادٍ هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ: «مَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ رَجُلٌ قَطُّ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي أَنِّي سَاجِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ». وَذَكَرَ رَجُلٌ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ - وَعَبْدَ الْمَلِكِ يَوْمئِذٍ غَلَامٌ - فَقَالَ: «أَنَّهُ حَدَّثَ، وَبِأَيْسَرِ الْمُؤْنَةِ إِذَا حُوْلِفَ، وَبِأَحْسَنِ الْبِشْرِ إِذَا لُقِيَ. وَتَارَكَ لِمَحَادَثَةِ الْأَلْسِمِ، وَمَنَازَعَةِ»^(٣) أَلَلْجُوجِ،

(١) تنابذاً: تشاجراً واختلافاً.

(٢) جاء في نسخة أخرى «بفسولة» ومعناها الضعف والحمق بدلاً من «بسوء».

(٣) جاء في نسخة أخرى «وممازعة» بالميم بدلاً من «منازعة» بالنون.

ومداراة^(١) ألسفيه، ومُصاحبة المأفون». وذم بعض الحكماء رجلاً فقال: «يجزم قبل أن يعلم، ويغضب قبل أن يفهم». وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - في بعض رسائله إلى قضاته: «الفهم الفهم مما يختلج في صدرك». ولا يُمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ ألبال. وقال مجنون بني عامر:

[الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي فارغاً فتمكنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى أخيه عيينة بن أسماء:

[الكامل]

أُعِينُ هلاً إذ شغفت بها كُنتَ أَسْتَعْنَتَ بِفَارِغِ الْعَقْلِ
أَقْبَلْتَ تَرْجُو الْعَوْتُ مِنْ قَبْلِي وَالْمُسْتَعَاثُ إِلَيْهِ فِي شُغْلِ

وقال صالح المري^(٢): «سوء الاستماع نفاق» وقد لا يفهم المستمع إلا بالتفهم، وقد يتفهم أيضاً من لا يفهم. وقال الحارث بن جلدة^(٣):

[الكامل]

وَحَبِسْتُ فِيهَا الرِّكْبَ أَحْدِسُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسٍ
وقال النابغة الجعدي:

[المقارب]

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنْيَ أَمْرُؤُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ
وقال آخر:

[الطويل]

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَذْنِينَ وَأَسْتَبِقْ وَدَّهْمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْجَلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم: «العلم بالتعلم» وإذا كانت البهيمة إذا أحسَّت بشيء من أسباب القناص^(٤) أحَدَتْ نظرها وأستفرغت قواها في الاسترواح، وجمعت بالها للتسمع، كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف. ولما اتَّهَم قتيبة بن سلم أبا مجلز^(٥) لا حق ابن حُميد ببعض الأمر قال له أبو مجلز: أيها الأمير تثبت فإنَّ التثبت نصف العفو. وقال الأحنف: تعلمت العلم من قيس بن عاصم. وقال فيروز بن حصين: كنت أختلف إلى (دار الإ استخراج) أتعلَّم الصبر. وقال سهل بن هارون: بلاغة الإنسان

(١) جاء في نسخة أخرى «ومماراة» ومعناها مجادلة بدلاً من «مداراة».

(٢) جاء في نسخة أخرى «المزني» بالزاي بدلاً من «المري» بالراء.

(٣) جاء في نسخة أخرى «حلزة» وهو الصواب بدلاً من «جلدة». وهو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي. وهو أحد أصحاب المعلقات. مات نحو سنة ٥٠ ق.هـ = نحو سنة ٥٧٠ م. انظر ترجمته في: الأغاني (طبعة دار الكتب) ٤٢/١١، الشعر والشعراء: ٥٣.

(٤) جاء في نسخة أخرى «القناص» بالنون، وهي تنسجم مع معنى الجملة بدلاً من «القاص» بالصاد.

(٥) جاء في نسخة أخرى «مجلد» بالبدال بدلاً من «مجلز» بالزاي.

رَفِقَ وَالْعِيَّ حَرَقَ . وَكَانَ كَثِيرًا يُشَدُّ قَوْلَ شُتَيْمِ بْنِ خُوَيْلِدٍ ^(١) :

[الطويل]

وَلَا يَشْعَبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمٍ وَفِي رَفْقٍ أَيْدِيكُمْ لَذِي الصَّدْعِ شَاعِبٌ ^(٢)

وقال إبراهيم الأنصاري، وهو إبراهيم بن محمد المفلوج من ولد أبي زيد الفارسي: الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوك، وليس كل ملك يكون خليفة وإماماً. قال: ولذلك فصل بينهم أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - في خطبته فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك» فرجع الناس رؤوسهم فقال: «ما لكم أيها الناس؟، إنكم لطلعانون عجلون، إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما عنده، ورغبه فيما في يدي غيره، وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الأشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاء، وتقطع عنه لذة الباءة ^(٣)، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القسي ^(٤) والأسراب الخادع، جذل الظاهر حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه ونصب عمره، وضحي ظله ^(٥) حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه. ألا إن الفقراء هم المرحومون، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم. وإنكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة، وسترون بعدي ملكاً عضواً ^(٦) وملكاً عنوداً وأمة شعاعاً ^(٧) ودما مفاعاً. فإن كانت للباطل نزوة ولأهل الحق جولة يعفو بها الأثر ويموت لها البشر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن وألزموا الطاعة، ولا تفارقوا الجماعة وليكن الأبرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر. أي بلادكم خرسة إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أداها».

كلام أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما عند موته ^(٨)

«إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله: إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً. إن الله ذكر أهل الجنة

(١) هو: شتيم بن خويلد الفزاري: شاعر جاهلي. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ١٦٤/٤.

(٢) شاعب: رائق. (٣) الباءة: النكاح.

(٤) القسي: المزيف والرديء. (٥) ضحي ظله: نفذ وتقلص، مات.

(٦) عضواً: شديداً، طاغياً. (٧) شعاعاً: متفرقة.

(٨) جاء في نسخة أخرى «الصدوق لعمر حين استخلفه» بدلاً من «لعمر رضي الله تعالى عنهما».

فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أرجو أن لا أكون من هؤلاء. وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة. فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتي، فلا يكن^(١) غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله.

ما أوصى به عمر لخليفته من بعده:

وأوصى عمر - رضي الله تعالى عنه - الخليفة من بعده فقال: «أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً فأقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً فإنهم رداء^(٢) العدو وجبة ألفيء لا تحمل فيهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي^(٣) أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للؤمنين طوعاً أو عن يد^(٤) وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقتيه، أن يطالع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس وتخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير في عاقبة أمرك، حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك. وأمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد رافة حتى تنتهك منه مثل ما أنتهك من حرم الله. وأجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم. وإياك والأثرة والمحابة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن أقررت لديك عدلاً وعفة عما بسط الله لك أقررت به إيماناً ورضواناً، وإن غلبك الهوى أقررت به سخط الله. وأوصيك أن لا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة. وقد أوصيتك وحضتُك ونصحتُك فأبغ بذلك وجه الله والدار الآخرة. وأخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتُك وأنتهيت إلى الذي أمرتُك أخذت به نصيباً وافراً وحظاً وافياً، وإن لم تقبل

(١) جاء في نسخة أخرى «يكون» بدلاً من «يكن». (٢) حواشي الأموال: صغار الإبل.

(٣) عن يد: معين. (٤) عن يد: عن ذل.

ذلك ولم يهَمْك ولم تنزل معاضم الأمور عند الذي يَرْضَى اللَّهُ به عنك يكن ذلك بك انتقاصاً ورأيك فيه مدخولاً، لأنَّ الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة إبليس، وهو داع إلى كل هَلَكَة، وقد أضلَّ الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة إبليس، وهو داع إلى كل هَلَكَة، وقد أضلَّ القرون السالفة قبلك، فأوردتهم النار، ولبس الثمن أن يكون حظُّ امرئ موالاةً عدوَّ الله الدَّاعي إلى معاصيه. ثم أركب الحقَّ وخضَّ إليه الغمرات وكُنَّ واعظاً لنفسك. أنشدك الله لما ترخمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم. ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم، ولا تجمرهم^(١) في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولةً^(٢) بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قوتهم ضعيفهم. هذه وصيتي إياك^(٣)، وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام».

رسالة عمر - رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه

رواها ابنُ عيينة وأبو بكر الهذلي ومسلمة بن مُحارب، رَوَّها عن قتادة، ورواها أبو يوسف يعقوبُ بنُ إبراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلي عن أبي المليلح بن أسامة أن أبا الخطاب - رضي الله تعالى عنه - كتب إلى أبي موسى الأشعري: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعدُ فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة. فأفهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفعُ تكلم بحق لا نفاذَ له. آس^(٤) بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في خيفك^(٥) ولا يخاف ضعيف من جورك^(٦). والبيئة على من أدعى وأليمين على من أنكر، والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحلَّ حراماً. ولا يمنعك قضاء قضيتَه بالأس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحقَّ قديم ومراجعة الحق خير من التماس في الباطل. الفهم الفهم عند ما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور عند ذلك، ثم أعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهاها بالحق فيما ترى، وأجعل للمدعي حقاً غائباً أو بيّنة أمدأ ينتهي إليه. فإن أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر. المسلمون عدولٌ بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حدٍّ أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء

(١) لا تجمرهم: لا تحبسهم عند الأعداء. (٢) دولة: متداولاً بين الأغنياء.

(٣) الأفضل أن يقول: «هذه وصيتي إليك» بدلاً من «هذه وصيتي إياك».

(٤) آس: سوَّ أي اجعل كل واحد أسوةً بأخيه.

(٥) الخيف: الميل إلى العفو. (٦) الجور: الظلم.

أو قرابة، فإن الله قد تولى منكم السرائرَ ودرأ عنكم بالشبهات. ثم إياك أقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجبُ الله بها الأجر ويحسن بها الذخر، فإنه من يخلص نيته فما بينه وبين الله تبارك وتعالى، ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله. والسلام عليك».

نماذج من خطب الإمام علي رضي الله تعالى عنه

وقال أبو عبيدة معمر بن الأُشثي: (أول خطبة خطبها علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه) حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم قال: «أما بعد فلا يرعَيْنَ مُرْعٌ^(١) إلا على نفسه، فإن من أرمى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار أمامه. ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار، ثلاثة. واثنان: ملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بيده. ولا سادس. هلك من ادعى وروى من اقتحم، فإنَّ اليمين والشمال مُضِلَّةٌ والوسطى الجادة، منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة. إنَّ الله داوى هذه الأمة بدواءين بالسوط والسيف، فلا هودة عند الإمام فيهما. استتروا ببيوتكم وأصطلحوا فيما بينكم، والتوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحق هلك. قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين، أما إني لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف. سبق الرجال ونام الثالث كالغراب همته بطنه، يا ويحه، لو قص جناحه وقطع رأسه لكان خيراً له. أنظروا إن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم بارزوا. حق وباطل، ولكل أهل، ولئن كثر أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قل الحق لرُبما ولعل، ما أدبر شيء فأقبل. ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد».

قال أبو عبيدة وروى فيها جعفر بن محمد: «إنَّ أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلمُ الناس صِغاراً وأعلمهم كباراً، ألا وأنا من أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا، وإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق. ألا وإن بنا ثرد دبرة كل مؤمن، وبنا تخلع ربة الذل من أعناقكم، وبنا فتح وبنا ختم، لا بكم».

ومن خطب علي أيضاً رضي الله تعالى عنه قالوا: أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي على الأنبار زمان علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - وعليها ابن حسان أو حسان البكري فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها^(٢)، فخرج علي حتى جلس على

(٢) مسالحها: مرابضها.

(١) الإرعاء: المراعاة.

باب السُّدَّة فحمدَ الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال : «أما بعدُ، فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصَّة أوليائه، وهو درعُ الله الحصينة، وجُنَّتْ الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الدَّلَّةِ^(١) وشَمَلَة البلاءِ وألزمه الصَّغار وسيمَ الخسف ومنع النِّصف. ألا وإني قد دَعَوْتُكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً سرّاً وإعلاناً، وقُلْتُ لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عُقر دارهم إلا ذُلُّوا. فتَوَاكَلْتُمْ وتخاذلْتُمْ، وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهيراً، حتى شُنْتُ عليكم الغاراتُ، وملكت عليكم الأوطان هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتل حسناً - أو ابن حسان - البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، وقتل منكم رجالاً صالحين. وقد بلغني أنَّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع أحجالها^(٢) وقُلْبُهَا^(٣) ورِعَائُهَا^(٤) فما تسترجع منه إلا بالاسترحام والترجيع ثم أنصرفوا وافرین ما كلَّم رجلٌ منهم كَلِماً. فلو أن امرأة مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي به جديراً. فيا عجباً من جدِّ^(٥) هؤلاء القوم في باطلهم وفشلهم عن حقهم، فقبحاً لكم وتراحاً حين صرْتُمْ غرضاً يُرمى وفيثاً يُنهب. يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويُعصى الله وتَرَضُّون. فإذا أمرتكم بالسَّير إليهم في الحرِّ قلتُمْ: حمارة القَيْظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر. وإذا أمرتكم بالسَّير في البرد قلتُمْ: أمهلنا حتى ينسلخ عنا القَر^(٦). كل هذا فراراً من الحرِّ والقر، فإذا كنتم من الحرِّ والقر تفرون فأنتم، والله من السَّيف أفرُّ. يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربَّات الحِجَال، ودِدْتُ أن الله قد أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني إلى رحمته من بينكم، والله لو دِدْتُ أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفةً والله جرَّت ندماً، وورَّت صَدْرِي غيظاً، وجَرَّعْتُمُونِي الموت أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعُصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إنَّ ابن أبي طالب شجاع: ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم!، وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مراساً وأطول لها تجربةً مِنِّي، لقد مارسْتُها، وما بلغت العشرين فيها، وقد نَيْقُتُ على السَّتين، ولكنه^(٧) لا رأي لمن لا يطاع».

قال: فقام رجل من الأزد يقال له: فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له فقال: يا أمير المؤمنين أنا وأخي كما قال الله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(٨) فمرنا بأمرك،

(١) جاء في نسخة أخرى «الذل» بدلاً من «الدلة» بالتاء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «حجلها» بدلاً من «أحجالها» ومعناه: الخلخال يوضع في أرجل النساء.

(٣) القُلب: السوار.

(٤) الرعاث: الأقراط.

(٥) الجد، بفتح الجيم: الحظ.

(٦) القَر: البرد الشديد.

(٧) جاء في نسخة أخرى «ولكن» بدون الهاء.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

فَوَاللَّهِ لَنَضْرِبَنَّ دُونَكَ وَإِنْ حَالَ دُونَكَ جَمْرُ الْغَضَا وَشَوْكُ الْقِتَادِ . قَالَ : فَأَتْنِي عَلَيْهِمَا ، وَقَالَ لِهَمَّا خَيْرًا وَقَالَ : «أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ» ثُمَّ نَزَلَ .

وخطبة أخرى بهذا الإسناد في شبيه بهذا المعنى ، قام فيهم خطيباً فقال : «يُهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ . كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ ، وَفَعْلُكُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ عَدُوَّكُمْ . تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ^(١) فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حَيْدَى حَيْدَا ^(٢) مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا أَسْتِرَاحَ قَلْبٍ مِنْ قَاسَاكُمْ . أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ . وَسَأَلْتُمُونِي التَّأْخِيرَ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ ، هَيْهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضِّيمَ الدَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ . أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ؟ أَمْ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ . الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ غُرْرَتَمَوْه ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالْسَّهْمِ الْأَخِيبِ . أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرَتِكُمْ . فَرَقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَعْقَبَنِي بِكُمْ مِنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْكُمْ . لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنٍ غَنَمٍ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدِرْهَمِ» .

وخطب أيضاً علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - فقال : «أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بإطلاع . وإن المَضْمَارَ الْيَوْمَ وَالسَّبَاقَ غَدًا . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ أَخْلَصَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ ، قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ أَمَلُهُ ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَضُرَّهُ أَمَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا لِلَّهِ فِي الرُّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ لَهُ فِي الرُّهْبَةِ . أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرِ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرَّ بِهِ الضَّلَالُ [إِلَى الرَّدَى] . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّلْمِ وَدَلَلْتُمْ عَلَى الزَّوَادِ ، وَإِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهُوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .

خطبة عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه ^(٣) -

«أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العُرَى كلمة التقوى ، وخير المِلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَحْسَنُ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ عَزَائِمُهَا . مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٍ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى . نَفْسُ تَنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا . خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . خَيْرٌ مَا أَلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ . الْخَمْرُ جَمَاعُ الْأَثَامِ . النِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ . الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ . حُبُّ الْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ الْمَعْجِزَةِ . مَنْ النَّاسُ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دَبْرًا ^(٤) ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا . أَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ

(١) كيت وكيت : اسم كناية بمعنى مقول القول .

(٢) حيدى حيد : قول يقوله الهارب من المعركة طلباً للنجاة .

(٣) جاء في نسخة أخرى «رحمه الله» بدلاً من «رضي الله تعالى عنه» .

(٤) الدبر : آخر الوقت .

الكذوب . سبابُ المؤمن فُسُوقٌ، وقِتاله كفرٌ، وأكل لحمه معصية^(١) . مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعْفَرُ لَهُ . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عُنْفِي عنه . الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَّ فِي بطنِ أمه . السعيد من وُعِظَ بغيره . الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا . ملاكُ الْعَمَلِ^(٢) خَوَاتِيمُهُ . أَحْسَنُ الْهُدَى هُدَى الْأَنْبِيَاءِ . أَقْبَحُ الضَّلَالَةِ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى . أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ . مَنْ لَا يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يُنْكِرُهُ .

خطبة عتبة بن عَزْوان السلمي بعد فتح الأيلة

حَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَصَلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ :
«أما بعد، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَوَلَّتْ حِذَاءَ^(٣) مَدْبَرَةٍ، وَقَدْ آذَنْتْ أَهْلَهَا بِصَرْمٍ^(٤)، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا ضُبَابَةٌ^(٥) كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبِهَا صَاحِبُهَا، أَلَا، وَإِنَّكُمْ مَفَارِقُوهَا لَا مُحَالَةَ، فَفَارِقُوهَا بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرْكُمْ . أَلَا، وَإِنْ مَنْ الْعَجَبُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الْحَجَرَ الضَّخْمَ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنْ شَفِيرِهَا فِيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا . وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ مَا بَيْنَ أَلْبَابِينَ مِنْهَا مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَلِتَأْتِينَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، وَهُوَ كَظِيظٍ بِالزَّحَامِ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ سَابِعَ سَبْعَةٍ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقَ الْبِشَامِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَوَجَدْتُ أَنَا وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ تَمْرَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِنَصْفَيْنِ وَالتَّقَطَّتْ بُرْدَةٌ فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَاتَّزَرْتُ^(٦) بِنَصْفِهَا وَاتَّزَرَ بِنَصْفِهَا، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ الْيَوْمَ إِلَّا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ . وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبْوَةٌ قَطْ إِلَّا تَنَاسَخَتْهَا جَبْرِية . وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرًا، وَتَسْتَجْرِبُونَ الْأَمْراءَ مِنْ بَعْدِي فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ» .

خطبة من خطب معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنهما -

رواها شُعَيْبُ بْنُ صَفْوَانَ وَزَادَ فِيهَا أَلْيَفْطَرِي وَغَيْرُهُ . قَالُوا : لَمَّا حَضَرَتْ مَعَاوِيَةَ الْوَفَاةُ قَالَ لِمَوْلَى لَهُ : مَنْ بِالْبَابِ؟ قَالَ : نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ يَتَبَاشِرُونَ بِمَوْتِكَ، فَقَالَ : وَيْحَكَ وَلِمَ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا لَهُمْ بَعْدِي إِلَّا الَّذِي يَسُوءُ هَمَّ . وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَأَوْجَزَ ثُمَّ قَالَ : «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ^(٧)، وَزَمَنٌ شَدِيدٌ، يَعِدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مَسِيئًا، وَيزداد فيه الظَّالِمُ عُتُوًّا، لَا يَنْتَفِعُ بِمَا عِلْمُنَاهُ، وَلَا نَسْأَلُ

(١) أَكَلَ لَحْمَهُ : ذَكَرَ الْغَائِبَ بِمَا لَا يَلِيقُ، وَهُوَ الْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ .

(٢) جَاءَ فِي نَسْخَةِ أُخْرَى «الْأَمْرُ» بَدَلًا مِنْ «الْعَمَلِ» .

(٣) حِذَاءَ : سَرِيعَةُ الْإِدْبَارِ .

(٤) بَصْرَمَ : بَانْتِهَاءُ .

(٥) الضُّبَابَةُ : الْبَقِيَّةُ الْقَلِيلَةُ .

(٦) اتَّزَرَ : اسْتَتَرَ .

(٧) عَنُودٌ : جَائِرٌ .

عَمَّا جَهْلُنَاهُ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا. فَاَلنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالُ مَدَّةٍ وَنَضِيضُ وَفَرِهِ^(١). وَمِنْهُمْ الْمُصْلَتُ لَسِيْفِهِ الْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَالْمَعْلَنُ بِشِرِّهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مَقْنَبٍ يَقْوَدُهُ أَوْ مَنْبَرٍ يَقْرَعُهُ^(٢)، وَلِبَيْسَ الْمُتَجَرَّانِ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَلَمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، فَقَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيْعَةً لِلْمَعْصِيَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلْبِ الْمَلِكِ ضَوْؤُهُ نَفْسَهُ وَأَنْقَطَعَ سَبِيْهِ، فَقَصُرَتْ بِهِ الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ، فَتَحَلَّى بِأَسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ الزَّهَادِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِحٍ وَلَا مَغْدَى، وَبَقِيَ رِجَالُ غَضٍّ أَبْصَارُهُمْ ذَكَرُ الْمَرْجِعِ وَأَرَاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيْدٍ نَافِرٍ^(٣) وَخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ. وَسَاكَتَ مَعَكُمْ^(٤)، وَدَاعَ مُخْلَصٍ وَمَوْجَعَ ثُكْلَانٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ وَشَمَلَتْهُمْ الدَّلَّةُ، فَهُمْ بِحَرِّ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ^(٥) وَقُلُوبُهُمْ فَرِحَةٌ، قَدْ وُعْظُوا حَتَّى مَلُّوا وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقُرْظَةِ^(٦) وَقُرَاضَةِ الْجَلْمِينِ^(٧). وَاتَّعْظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ. فَارْفُضُوهَا ذَمِيْمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مِنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب: منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أن هذا المذهب - في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم وعمّاهم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف - أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية، ومنها أننا لم نجد معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد. وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه. والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم.

خطبة زياد بالبصرة - البتراء

قال أبو الحسن المدائني وغيره ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب وعن أبي بكر الهذلي قالاً: قدم زيادُ البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر. قالاً: فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها. وقال غيرهما: بل قال: «الحمد لله على إفضاله وإحسانه ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه.

(١) نضيض وفره: قلّة ماله.

(٢) جاء في نسخة أخرى «يفرعه» بالفاء، ومعناه: يعلوه بدلاً من «يقرعه» بالقاف.

(٣) جاء في نسخة أخرى «نادٍ» بالذال، ومعناه نافر بدلاً من «نافر».

(٤) معكوم: المنتظر.

(٥) ضامرة: ساكنة.

(٦) القرظة: ثمرة السنت.

(٧) الجلمين: المقص.

اللَّهُمَّ كما زِدْتَنَا نِعَمًا فَأَلْهَمْنَا شُكْرًا. أما بعدُ، فإنَّ الجَهالةَ الجَهلاء، والضلالةَ العمياء، والغِيَّ المُوَفِّي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حُلماؤكم منَ الأُمورِ العِظامِ يَنبَت فيها الصَّغير ولا يَتَحاشى^(١) عنها الكَبير. كَأَنتُمْ لَم تَقْرؤا كِتابَ اللَّهِ، وَلَم تَسْمَعُوا ما أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوابِ الكَرِيمِ لأَهْلِ طاعَتِهِ وَالْعَذابِ الأَلِيمِ لأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ في الزَّمانِ السَّرمَدِيِّ الَّذي لا يَزول. أَتَكُونونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَينُهُ الدُّنيا وسَدَّتْ مِسامِعُهُ الشَّهواتُ وأَخْطارُ الأَمانَةِ على أَلْباقِيَةِ؟! ولا تَذْكرونَ أَنَّكُمْ أَحدَثْتُمْ في الإِسلامِ الأَحدثَ الَّذي لَم تُسَيِّقُوا إِلَيْهِ، مِن تَرَكُّمِ الضَّعِيفِ يُقْهَرُ ويُؤْخَذُ مالُهُ. وَهذه أُمُوالُ خَيرِ المَنصُوبَةِ، وَالضَّعِيفَةِ المَسْلُوبَةِ في النِّهارِ المُبْصَرِ، وَالْعَدَدِ غَيرِ قَليل. أَلَمْ تَكُنْ مِنكُمْ نَهاةٌ تَمْنَعُ الغَواةَ عَن دَلَجِ اللَّيلِ^(٢) وَغارةِ النِّهارِ. قَرَبْتُمْ القُرابةَ وَباعدْتُمُ الدِّينَ. تَعْتَذرونَ بِغَيرِ العَذرِ وَتَغضُوبِ عَلى المَخْتَلَسِ، أَلَيْسَ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْكُمْ يَذُبُّ عَن سَفِيهِهِ، صَنِيعٌ مَّنْ لا يَخافُ عاقِبَةَ. ولا يَرجو مَعادًا. ما أَنتُمْ بِالْحُلَماءِ، وَلَقَدْ أَتَبَعْتُمُ السَّفَهاءَ، فَلَم يَزَلْ بِكُمْ ما تَرَوْنَ مِن قِيامِكُمْ دُونَهُمْ حَتَّى أَنتَهَكُوا حُرْمَ الإِسلامِ، ثُمَّ أَطْرَقُوا وَراءَكُمْ كُنُوسًا في مَكانِ الرِّيبِ. حَرَامٌ عَلَيَّ الطَّعامُ وَالشَّرابُ حَتَّى أَسْويها بِالأَرْضِ هَدْمًا وإِحراقًا. إِنِّي رَأيتُ آخَرَ هذا الأَمْرِ لا يَصْلَحُ إِلَّا بِما صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ: لَينٌ في غَيرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٌ في غَيرِ عُنْفٍ. وَإِنِّي أَقسِمُ بِاللَّهِ لا أَخَذَنَ الوَلِيَّ بِالْمَولى، وَالْمَقِيمَ بِالطَّاعِنِ وَالْمَقْبَلَ بِالمَدْبِرِ وَالْمَطِيعَ بِالْعاصِي وَالصَّحِيحَ مِنكُمْ في نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنكُمْ أَخاهُ فيقولُ: «أَنْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ» أَوْ تَسْتَقِيمُ قَنائِكُمْ. إِنْ كَذَبَ الأَميرُ بَلقاءَ مَشْهُورَةٍ، فَإِذا تَعَلَّقْتُمْ عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي، فَإِذا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَأَعْتَمِزُوهَا^(٣) في، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثالَها، مَن نَقَبَ مِنكُمْ عَلَيَّ فَأَنَا ضامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ. فَإِيايَ وَدَلَجَ اللَّيلِ. فَإِني لا أُوتى بِمُدْلَجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ، وَقَدْ أَجَلَّتُكُمْ في ذَلِكَ بِمَقْدارِ ما يَأْتِي الخَبْرُ الكُوفَةُ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ. وَإِيايَ وَدَعْوَى الجاهِلِيَّةِ، فَإِني لا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِها إِلَّا قَطَعْتُ لِسانَهُ. وَقَدْ أَحدَثْتُمْ أَحداثًا لَم تَكُنْ، وَقَدْ أَحدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقوبَةً. فَمَن غَرَّقَ قَوْمًا غَرَفْناةً وَمَن أَحراقَ قَوْمًا أَحراقَناةً وَمَن نَقَبَ بَيتًا نَقَبْنا عَن قَلْبِهِ وَمَن نَبَشَ قَبْرًا دَفَناهُ حَيًّا فِيهِ، فَكُفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنَّتْكُمْ أَكْفُفْ عَنكُمْ يَدَيَّ وَلِسانِي. وَلا تَظْهَرُ مِن أَحَدٍ مِّنْكُمْ رِيبَةٌ بِخِلافِ ما عَلَيهِ عَامَّتُكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنقَهُ. وَقَدْ كانَتْ بَينِي وَبَينَ أَقْوامٍ إِحْنٌ^(٤) فَجَعَلْتُ ذَلِكَ ذَبْرَ أَذُنِي وَتَحْتَ قَدَمِي، فَمَن كانَ مِنكُمْ مَحسِنًا فَلْيَزِدْهُ إِحسانًا وَمَن كانَ مِنكُمْ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْهُ مِن إِساءَتِهِ. إِنِّي لو عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَتَلَ الأَسْلُ مَن بَغَضِي لَم أَكْشَفْ لَهُ قِناعًا وَلَم أَهْطِكْ لَهُ سِترًا حَتَّى يُبْدي لِي صَفْحَتَهُ، فَإِذا فَعَلَ ذَلِكَ لَم أَنَاظِرْهُ. فَاسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ وَأَعِينُوا عَلى أَنْفِيسِكُمْ، فَرَبٌّ مَبْتَسِّ بِقَدُومِنا سَيَسِرُّ وَمَسْرُورٌ بِقَدُومِنا

(١) جاء في نسخة أخرى «ينحاش» بالنون، ومعناها: نفر، ارتد بدلاً من «يتحاشى» ومعناها: يجتنب.

(٢) دلج الليل: السرى. (٣) اغتمز: استضعف. (٤) الإحن: الضغائن.

سيبتس . أيها الناس ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً وَعِنَكُمْ ذَاةٌ^(١) ، نسوُسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَدُوذُ عَنْكُمْ بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا ، فَلَنَا عَلَيْكُمْ أَلْسَمُ وَأَطَاعَةٌ فِيمَا أَحْبَبْنَا وَلَكُمْ عَلَيْنَا أَلْعَدَلُ فِيمَا وَلَّيْنَا ، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصُرَتْ عَنْهُ فَلَنْ أَقْصِرَ عَنْ ثَلَاثَ : لَسْتُ مُحْتَجِباً عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقاً بَلِيلٌ^(٢) ، وَلَا حَاسِباً عَطَاءً وَلَا رِزْقاً عَنْ إِبَانَةِ ، وَلَا مُجَمَّراً^(٣) لَكُمْ بَعْثًا . فَادْعُوا اللَّهَ بِالْإِصْلَاحِ لِأَثْمَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ سَاسَتَكُمْ أَلْمُؤَدَّبُونَ لَكُمْ وَكَهْفَكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا ، وَلَا تُشْرَبُوا قُلُوبَكُمْ بِغَضَبِهِمْ فَيَشْتَدَّ لَذَلِكَ غَيْظُكُمْ وَيَطُولَ لَهُ حَزْنُكُمْ وَلَا تُدْرِكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شِراً لَكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كَلّاً عَلَى كُلِّ . وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفَذَ فِيكُمْ أَلْأَمْرَ فَأَنْفَذُوهُ عَلَى إِذْلَالِهِ . وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ أَمْرِيءٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ .

قال : فقام إليه عبد الله بن الأَهمم فقال : «أشهد أيها الأميرُ لقد أُوتيت الحِكمة وفصل الخطاب» . فقال له : «كذبت ، ذاك نبي الله داودُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» قال : فقام الأحنف بن قيس فقال : «إِنَّمَا أَلْتَنَاءُ بَعْدَ أَلْبَلَاءِ ، وَأَلْحَمْدُ بَعْدَ أَلْعَطَاءِ ، وَإِنَّا لَنْ نُثْنِيَ حَتَّى نَبْتَلِيَ» . فقال له زياد : «صدقت» فقام أبو بلال مرداسُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَهُوَ يَهْمِسُ وَيَقُولُ : أَنَبَانَا اللَّهُ بِغَيْرِ مَا قُلْتَ . قال الله : ﴿وَإِنزَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرًا أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٤) وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمُدبر . فسمعها زياد فقال : «إِنَّا لَا نَبْلِغُ مَا نَرِيدُ فِيكَ وَفِي صَحَابِكَ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْكُمْ أَلْبَاطِلَ خَوْضاً» .

خلاد بن يزيد الأرقط قال : سمعت مَنْ يُخْبِرُ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ : مَا سَمِعْتُ مَتَكَلِّمًا عَلَى مَنْبَرٍ قَطُّ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يَسْكُتَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُسَيَّءَ ، إِلَّا زِيَادًا فَإِنَّهُ كَانَ كَلِّمًا أَكْثَرَ كَانَ أَجْوَدَ كَلَامًا . أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : أَوْعَدَ^(٥) عَمْرَ فَعَفَا وَأَوْعَدَ زِيَادَ فَأَبْتَلَى . قَالَ : وَقَالَ الْحَسَنُ : تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعَمْرٍ فَأَفْرَطَ وَتَشَبَّهَ الْحِجَاجُ بِزِيَادٍ فَأَهْلَكَ النَّاسَ .

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبه صدرًا ، وذكرنا من خطب السلف جُملاً ، وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب ألبلاء ومواعظ أَلْنَسَاكُ ، ونقصد من ذلك إلى أَلْقِصَارِ دُونَ أَلطَوَالِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَخْفَ عَلَى

(١) ذَاةٌ : حِمَاة .

(٢) طَارِقاً بَلِيلٌ : طَالِبَةٌ حَاجَةٌ بَلِيلٌ .

(٣) مُجَمَّراً : حَاسِباً .

(٤) سورة النجم ، الآيات : ٣٧ - ٣٩ .

(٥) أَوْعَدَ : هَدَّدَ .

القاريء وأعد من السامة والمال، ثم نعود بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله.

قال أبو الحسن المدائني: قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب بن أبي صفرة في بعض أيامه مع الأزارقة فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال: «أنس الله الإسلام بتلاحقكم، فوالله لئن لم تكونوا أسباط نبوة إنكم لأسباط ملحمة».

قال أبو الحسن: دخل الهذيل بن زفر الكلابي على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ونائب نابتة فقال: «أصلحك الله، إنه قد عظم شأنك عن أن يستعان عليك، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه. وليس العجب بأن تفعل ولكن العجب بأن لا تفعل». فقال يزيد: «حاجتك» فذكرها، فأمر بها وأمر له بمائة ألف درهم، فقال: أما الحمالات فقد قبلتها وأما المال فليس هذا موضعه.

عيسى بن يزيد بن دأب عمن حدّثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال: قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه: «يا بني إني قد أمجدتكم في أمهاتكم، وأحسنتم في مهنة أموالكم، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرّضه، وألناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه، وألعرق السوء قلماً يُنجب ولو بعد حين». قال: فقال ابن عباس: يا غلام أكتب لنا هذا الحديث. قال: ولما هممت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان: «معاشر ثقيف، لا تكونوا آخر العرب إسلاماً. وأولهم ارتداداً».

قال: وسمعت أعرابياً ذكر يوماً قريشاً فقال: «كفى بقريش شرفاً أنهم أقرب الناس نسباً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأقربهم بيتاً من بيت الله».

الأصمعي قال: قيل لعقيل بن علفة. لم تُهيج قومك؟ قال: الغنم إذا لم يُصفر لها لم تشرب. قال: وقيل لعقيل بن علفة: لم لا تُطيل الهجاء؟ قال: «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق».

قال: وسأل عمر رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن سعد فقال: كيف أميركم؟ قال: «خير أمير نبطي في حوبته^(١)، عربي في نموته^(٢)، أسد في نامورته^(٣)، يعدل في القضية، ويُقسّم بالسوية، وينفر بالسرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة». فقال عمر: «لشر ما تقارضتما الشاء».

قال: ولما تورّد الحارث بن قيس الجهضمي بعبيد الله بن زياد منزل مسعود بن

(١) جاء في نسخة أخرى «حوبته» بدلاً من «حوبته» أي في أبويه.

(٢) النمرة: بردته أو شملته. (٣) التامورة: العرين.

عمرو ألعتكِّي عن غير إذن فأراد مسعود إخراجه من منزله قال عبیدُ الله: «قد أجارتني بنت عمك عليك، وعقدها العقد الذي يُلزمك، وهذا ثوبها عليّ وطعامها في مذاخري»^(١) وقد ألْتَفَّ عليّ منزلك». وشهد له الحارث بذلك.

قال مرّ الشعبي بناس من أموالی يتذكرون النحو، فقال: «لئن أصلحتُموه إنَّكم لأول من أفسده».

قال: وتكلم عبد الملك بن عمير، وأعرابي حاضر فقيل له: كيف ترى هذا الكلام؟ قال: لو كان الكلام يُؤتدَم به لكان هذا. وقال: ألعذر طرف من ألبخل. وقال أيضاً: الخرس خير من الخلابة^(٢). وقال أبو عمر الضرير: ألبكم خير من ألبذاء. قال: وقَدِمَ الهيثم بن الأسود بن العُريان على عبد الملك بن مروان فقال: كيف تجدك؟ قال: أجْدُنِي قد أبيض مني ما كنت أحب أن يسود وأسود مني ما كنت أحب أن يبيض، وأشتد مني ما كنت أحب أن يلين ولان مني ما كنت أحب أن يشتد. ثم أنشد:

[الرجز]

إِسْمَعْ أَنْبَتَكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ أَعْتَكُرَ وَقِلَّةُ الطُّغْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيحُ النَّظَرِ^(٣) وَتَرْكِي الْحَسَنَاءِ فِي قَبْلِ الطُّهْرِ
وَحَذَرًا أَرْدَادَهُ إِلَى حَذَرِ وَالنَّاسِ يَبْلُونَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرُ

وقال أكتم بن صيفي: الكرم حسن الفطنة، واللؤم سوء الفطنة. وقال أكتم: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة. وقال آخر لبنيه: تباذلوا تحابوا.

قال: ودخل عيسى بن طلحة بن عبید الله على عروة بن الزبير وقد قُطِعَتْ رجله فقال له عيسى: «والله ما كنا نُعِدُّكَ لِلصَّرَاعِ، ولقد أبقي الله لنا أكثرك: أبقي لنا سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك وإحدى رجليك». فقال له عروة: والله يا عيسى ما عزَّاني أحد بمثل ما عزيتني به.

قال: وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد فكَأَنَّكَ بِالدُّنْيَا لم تكن، وبِالْآخِرَةِ لم تزل.

قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إقرؤوا القرآن تُعرفوا به، وأعملوا به تكونوا من أهله. ولن يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله. ولن يُقَرَّبَ من أجل ولن يُباعد من رزق أن يقوم رجل بحق أو يذكر بعظيم.

وقال أعرابي لهشام بن عبد الملك: «أتت علينا ثلاثة أعوام: فعام أكل الشحم،

(١) مذاخري: مصاريني. (٢) الخلابة: تزين الكلام وتنميته. (٣) حمجت العين: غارت في محجرها.

وعام أكل اللحم، وعام انتفى العظم، وعندكم أموال فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله، وإن كانت لِعباد الله فادفعوها إليهم، وإن كانت لكم فتصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين». قال: فهل من حاجة غير ذلك؟ قال: ما ضربتُ إليك أكبادَ الإبل أدرع الهجير وأخوض الدُّجى لخاص دون عام.

قال شداد الحارثي - ويكنى أبا عبيد الله - قلت لأمة سوداء بالبادية: لمن أنت يا سوداء؟. قالت: لسيد الحضرة يا أصلع. قال: قلت: أولستِ بسوداء؟. قالت: أو لست بأصلع. قال: قلت: ما غضبك من الحق. قالت: الحق أغضبك، لا تسبب ترهب، ولأن تتركه أمثل.

وقال الأصمعي: قال عيسى بن عمر: قال ذو الرمة: قاتل الله أمة آل فلان ما كان أفصحها، سألتها: كيف كان المطر عندكم؟. قالت: غثنا ما شئنا. وأنا رأيت عبداً أسود لبني أسيد قديم عليهم من شقِّ اليمامة، فبعثوه ناطوراً، وكان وحشياً مُحرمًا لطول تغربه كان في الأبل، وكان لا يلقى إلا الأكرة^(١)، فكان لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم. فلما رأني سكن إليّ وسمعته يقول: «لعن الله بلاداً ليس فيها عرب، قاتل الله الشاعر حيث يقول:

[الرجز]

حُرُّ الثَّرَى مُسْتَعْرَبُ الثَّرَابِ

أبا عثمان، إنَّ هذه العرب^(٢) في جمع الناس كمقدار القرحة في جميع جلد الفرس، فلولا أن الله رَقَّ عليهم فجعلهم في حاشية لَطَمَسَتْ هذه العُجَان آثارهم، أترى الأعيار^(٣) إذا رأت العتاق^(٤) لا ترى لها فضلاً، وألله ما أمر الله نبيه بقتلهم إلا لضعفه بهم ولا ترك قبول الجزية منهم إلا لتنزيهاً لهم».

قال ألحنف: أسرع الناس إلى الفتنه أقلهم حياءً من الفرار. قال: ولما مات أسماء بنُ خارجة الفزاري فبلغ الحجاج موته قال: هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ثم مات حين شاء؟ وقال سلم بن قتبية: ربُّ^(٥) المعروف أشد من ابتدائه.

أبو هلال عن قتادة قال: قال أبو الأسود: إذا أردت أن تكذب صاحبك فلقنه. وقال أبو الأسود: إذا أردت أن تعظم فمت. وقال أبو الأسود: إذا أردت أن تُفجِّم عالماً فأحضره جاهلاً.

قال: قيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نومة الضحى؟. قال: مبردة في الصيف مسخنة

(١) الأكرة: الفلاحين الحرائين.

(٢) جاء في نسخة أخرى «هذا العريب» بدلاً من «هذه العرب».

(٣) الأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

(٤) العتاق: النجيب من الخيل.

(٥) رب المعروف: إتمامه بعد إصلاحه.

في الشتاء . وقال أعرابي آخر: نومة ألضحى مُعجزة مُبخرة . وجاء في الحديث: الولد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ . قال: ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال: أما والله لئن أترتموه لَتُمسكنَّ منه بذنابي عيش أغبر . وقال أسماء بنُ خارجة: إذا قُدِمَتِ المصيبة تُرِكَتِ التعزية . وقال: إذا قُدِمَ الأَخاءُ قُبِحَ الشَّناء . وقال إسحاق بن حسان: لا تُشَمِّتِ الأمراء ولا الأصحاب القدماء ^(١) وسئل أعرابي عن راعٍ له فقال: هو السارحُ الآخرُ، أرائح الباكِر، ألحالب العاصر، ألحاذق الكاسر .

قال: وقال عتبة بنُ أبي سفيانَ لعبد الصمد مؤدب ولده: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودةٌ بعينك، فآلحُسن عندهم ما أَسْتَحْسَنَتِ وألقبيح عندهم ما أَسْتَقْبَحَتِ . وعلمهم كتاب الله، ولا تُكْرِهْهم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم رَوْهم من الشعر أعفَه، ومن الحديث أشرفه . ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن أزدحام الكلام في السمع مضلة للفهم . وتهذؤهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجنبهم محادثة النساء . وروهم سيرَ الحكماء . وأستزديني بزيادتك إياهم أزدك . وإياك أن تتكل على عذر مني لك فقد أكلت على كفاية منك . وزد في تأديبهم أزدك في برِّي إن شاء الله تعالى» .

محمد بن حرب الهلالي قال: كتب إبراهيم بنُ أبي يحيى الأسلمي إلى المهدي يعزيه على أبنته: «أما بعد، فإن أحقَّ مَنْ عرف حقَّ الله عليه فيما أخذ منه من عَظَمَ حقَّ الله عليه فيما أبقي له . وأعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك، وأن الباقي بعدك هو المأجورُ فيك، وأن أجر الصابرين فيما يُصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه» .

وقال سهيل بن هارون: التهنية على أجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وقال صالح بن عبد القدوس:

[الخفيف]

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصِبتَ جَلِيلاً فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلٌ
كُلُّ آتٍ لَا شَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهِّ لِمِ مُعْنَى وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلٌ

وقال لقمان لابنه: يا بني إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ فَإِنَّكَ إِذَا كَسَلْتَ لَمْ تَوْدْ حقاً وإذا ضجرت لَمْ تصبر على حق . قال: وكان يقال: «أربع لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفاً أو أميراً: قيامه من مجلسه، لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه، وخدمته للعالم» . وقال بعض الحكماء: إذا رغبت في المكارم فأجتنب المحارم . وكان

(١) لا تُشَمِّت: لا تقل: يرحمك الله .

يقال: لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير. وكتب آخر: «أما بعد فقد كنت لنا كلك فأجعل لنا بعضك، ولا ترض إلا بالكل منّا لك».

وصف اللسان:

ووصف بعض أبلغاء اللسان فقال: «اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يُخبر عن الضمير، وشاهد يُنبئك عن غائب، وحاكم يُفصل به الخطاب، وناطق يُردّ به الجواب، وشافع تُدرك به الحاجة، وواصف تُعرف به الحقائق، ومُعزّ ينفي به الحزن، ومؤنسّ تذهب به الوحشة، وواعظُ ينهي عن القبيح، ومزين يدعو إلى الحسن، وزارع يحرث المودة، وحاصد يستأصل الضغينة، وملهم يُوفق الأسماع». وقال بعض الأوائل: أنما الناسُ أحاديث فإن أستطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل. ولما وصل عبد العزيز بن زُرارة إلى معاوية قال: «يا أمير المؤمنين، لم أزل أستدل بالمعروف عليك، وأمتطي النهار إليك، فإذا ألقى بي الليل فقبض البصر وعفي الأثر أقام بدني وسافر أجلي. والنفس تلوم والأجتهاد يعذر، وإذ بلغتُك فقطني»^(١). قال: وقال لقمان: «ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك إليه» وقال أبو العتاهية:

[مجزوء الرمل]

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجَجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فَوْهُ

وقال علي بن الحسين لأبنه: «يا بُنَيَّ، إصبر على النائبة، ولا تتعرض للحقوق، ولا تُجِبْ أخاك إلى شيء ضرره عليك أعظم من منفعته له». وقال الأحنف: «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات». وقال: «رب غيظ تجرّعته مخافة ما هو أشد منه». وقال: «من كثر كلامه كثرت سقطه، ومن طال صمته كثرت سلامته». وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر النقل»^(٢) وقال محمد بن حرب الهلالي عن أبي الوليد الليثي قال: خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني أبنته عمرة وهي أم عامر بن صعصعة فقال: «يا صعصعة، أنك أتيتني تشتري مني كبدي وأرحم ولدي عندي، أبغيتك أو زودتك، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أب بعد أب، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك، أفر من السر إلى العلانية أنصح ابناً وأودع ضعيفاً قوياً. يا معشر عدوان، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة، أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به».

(٢) أكثر النقل: أي لا يثبت على حال.

(١) قطني: يكفيني.

من أقوال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

قال: وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه -: «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها أباط الإبل لَكُنَّ لها أهلاً: لا يَرْجُونَ أَحَدَكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، ولا يخافنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، ولا يستحي أَحَدٌ إذا سُئِلَ عَمَّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه. وأعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قُطِعَ الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان». قال: وقال الأصمعي: أثنى رجل على علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - فأفرط، فقال علي وكان يتهمه: «أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك». وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه -: «قيمة كل إنسان ما يُحسن». وقال له مالك الأشتر: «كيف وجد أمير المؤمنين أمراته؟» قال: «كالخير من النساء إلا أنها قباء»^(١). قال: «وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين؟» قال: «لا، حتى تُدْفَى الضجيع وتروى الرضيع». قال: وقف رجل على عامر الشعبي فلم يدع قبيحاً إلا رماه به. فقال له عامر: «إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي». وقال إبراهيم النخعي لسليمان الأعمش، وأراد أن يماشيه فقال: «إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش». قال: «وما عليك أن يَأْتُمُوا ونُؤَجِر؟». قال إبراهيم: «وما عليك أن يسلموا ونسلم». قال أبو الحسن: كان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب قال: «إنه كانت السفن لتجري في جوده» قال: مكتوب في الحكمة: «التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والوحدة خير من قرين السوء» قال: وكان مالك بن دينار يقول: «ما أشد فطام الكبير» وكان ينشد قول الشاعر:

[الكامل]

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرَمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
وقال صالح المري^(٢): «كُنْ إلى الاستماع أسرع منك إلى القول، ومن خطأ الكلام أشد حذراً من خطأ السكوت»، وقال الحسن بن هانئ:

[مجزوء الرمل]

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وَأَمَضَ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتَّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلَمَ جَمَّ فَاهُ بِلِجَامِ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحَتْ بِالْمَرْ حَ مَغَالِيقِ الْجِمَامِ
قال أبو عبيدة وأبو الحسن: تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك

(١) قباء: ضامرة الخصر والبطن.

(٢) جاء في نسخة أخرى «المزني» بالزاي بدلاً من «المري».

فأسهبوا في القول . ثم أفتزع المنطقَ رجل من أخرياتِ الناس لا يخرج من حسن إلا إلى أحسن منه . فقال مسلمة : ما شبّهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء إلا بسحابة لبدت عَجاجة^(١) . قال أبو الحسن : علّم أعرابي بنيه الخراءة فقال : اتّبِعوا الخلاء وأبعدوا من الملاء^(٢) وأعلوا الضراء^(٣) وأستقبلوا الريح وأفجوا^(٤) فجاج النعامة^(٥) وأمتسحوا بأشملكم . ويروى عن الحسن أنه قال لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال : «يا بُنيّ أحفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني : إذا مِتُّ فسودوا كباركم ، ولا تُسودوا صغاركم فيسفّهُ الناس كباركم وتُهونوا عليهم . وعليكم باستصلاح الملاء ، فإنّه منبّهة للكريم ويُستغنى به عن اللئيم . وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل» . سُئل دغفل النسابة عن بني عامر بن صصعة قال : أعناق طباء وأعجاز نساء . قيل : فتيمم . قال : حجر أخشن ، إن دنوت منه آذاك وإن تركته أعفاك . قيل : فاليمن . قال : سيد وأنوك .

قال : وكانوا يقولون : «لا تستشيروا معلماً ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء» .

عفان بن شبة^(٦) قال : كنت رديف أبي ، فلقيه جرير على بغل فحياه أبي وأطفه فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال؟ قال : يا بُنيّ أفوسع جرحي؟ قال : ودعا جرير رجلاً من شعراء بني كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلابي : إن نسائي بامتعتهن ، ولم تدع الشعراء في نسائك مترقعا . وقال جرير : أنا لا أبتدي ولكني أعتدي .

وكان الحسن في جنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهم الرجل بالرجوع ، فقال الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك . قال أبو عبدة : لقي المخبل القريعي الزبرقان فقال : كيف كنت بعدي أبا شذره؟ قال : كما يسرك محيلاً مجرباً . قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة - يعني روح بن زُباع - طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز .

وذكر لعمر بن الخطاب إتلاف شباب من قریش أموالهم ، فقال عمر : خِرقة أحدهم أشد عليّ من عيلته . وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - : خِرقة يُعاش بها خير من مسألة الناس . وقال : زياد : لو أن لي ألف ألف درهم ولي بغيراً أجرب لقمّت

(٢) الملاء : بيت الخلاء .

(١) العجاجة : الغبار .

(٤) أفجوا : افتحوا الرجلين وابعدوا ما بينهما .

(٣) الضراء : الأرض الفضاء المستوية .

(٥) فجاج النعامة : اسلكوا مسالك النعامة .

(٦) جاء في نسخة أخرى «عقال بن شبة» بدلاً من «عفان بن شبة» . وفي نسخة أخرى «شبية» .

عليه قيام من لا يملك غيره، ولو أن عندي عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمني حقّ لوضعها فيه.

وقال عمرو بن العاص: البطنة^(١) تُذهبِ الفطنة. وقال معاوية بن أبي سفيان، ما رأيت رجلاً مستهتراً بالباء^(٢) إلاّ تبينت ذلك في منته^(٣). قال الأصمعي: قال أبو سليمان الفقعسي، لأعرابي من طيّئ: أبا مرأتك حمل؟ قال: لا وذو بيته في السماء، ما أدري والله ما لها ذنب تُشال به، وما أتيتها إلاّ وهي ضبعة^(٤). قال أبو الحسن المدايني: إتخذ يزيد بن المهلب بُستاناً بخراسان في داره، فلما ولي قتيبة خراسان جعل ذلك لإبله، فقال له مرزبان مروان: هذا كان بستاناً ليزيد وقد اتّخذته لإبلك؟ فقال قتيبة: إن أبي كان اشتربان - يعني رئيس الجمالين - وأبو يزيد كان بستان بان. قال: وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوماً: لو كان رجل من ذهب لكنته، قال: وكيف ذلك. قال: لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر. فقال له: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب.

قال: ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المري^(٥) فقال: إن كانت مصيبتك في أبنك أحدثت لك عظة في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك. قال: وعزى عمرو بن عبّيد أخاه على ابن مات له فقال: ذهب أبوك وهو أصلك، وذهب أبنك وهو فرعك، فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه؟

قال: وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول: أحذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة. قال: وقال رجل من بني تميم لصاحب له: اصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه. وعذل عاذل شعيب بن زياد على شرب النبيذ، فقال: لا أتركه حتى يكون شرّ عملي. وقال المأمون: أشربه ما استبشعته حتى إذا سهل عليك فأترك.

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا كتب أحدكم فليترّب كتابه، فإن التراب مبارك، وهو أنجح للحاجة». ونظر صلى الله تعالى عليه وسلم إلى رجل في الشمس فقال: «تحول إلى الظل فإنه مبارك».

وقال ألمغيرة بن شعبة: لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب. وكان يقال: ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب.

قال: وقدم سعيد بن العاصي على معاوية فقال: كيف تركت أبا عبد الملك؟ قال:

(١) البطنة: امتلاء البطن من الطعام.

(٢) الباء: الزواج.

(٣) المنة: القوة.

(٤) ضبعة: مستعدة وتريد الجماع.

(٥) جاء في نسخة أخرى «المزني» بدلاً من «المري».

منفذاً لأمرِك ضابطاً لعملِك . فقال معاوية : إنما هو كصاحب الخبزة كُفِّي إنضاجُها فأكلها . فقال سعيد : كلا إنَّه بين قوم يتهاذون فيما بينهم كلاماً كوقع النبل سهماً لك وسهماً عليك . قال : فما باعد بينك وبينه . قال : خِفْتُه على شرفي وخافني على مثله . قال : فأَيُّ شيء كان له عندك في ذلك ؟ قال : أسوءه حاضراً وأُسره غائباً . قال : يا أبا عثمانَ تركتُنا في هذه الحروب ؟ ! قال : نعم تحملتُ الثقل ، وكفيتُ الحزم ، وكنت قريباً لو دُعيت لأجبت ولو أُمِرت لأطعت . قال معاوية : يا أهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

قال : وكان الحجاج يستثقلُ زياد بن عمرو العتكي فلما أثنى ألفود على الحجاج عند عبد الملك - والحجاج حاضر - قال زياد : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ على قلبه منه . وقال شبيب بن شيبه^(١) لمسلم بن قتيبة : والله ما أدري أي يومك أشرف ؟ أيوم ظفرك أم يوم عفوك . قال : وقال غلام لأبيه - وقد قال : لست لي أبنا - : والله لانا أشبه بك منك بأبيك ولانت أشدَّ تحصيناً لأمي من أبيك لأمك .

قال : وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين إلى رجل من إخوانه : «أما بعد ، فقد عاقني الشكُّ في أمرِك عن عزيمة الرأي فيك ، ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم أعقبني جفاء من غير ذنب ، فأطمعني أولك في إخائك وآيسني آخرك في وفائك ، فلا أنا في اليوم مجمع لك أطراحاً ولا أنا في غد ، وانتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأي في أمرِك عن عزيمة الشكِّ فيك ، فأقمنا على اتِّتلاف أو افترقنا على اختلاف ، والسلام» . وكتب إلى أبي مسلم صاحب الدعوة أيضاً من الحبس : «من الأسير في يديه بلا ذنب إليه ولا خلافٍ عليه . أما بعد ، فاتاك الله حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية . فإنك مستودع ودائع ، ومولى الصنائع ، فأحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية ، والصنائع مرعية . وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ، ولا بمبلوغ مداها . فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يُعطيك من هو فوقك من العدل والكرامة والأمن من المخافة . فقد أنعم الله عليك بأن فوَّضَ أمرنا إليك فأعرف لنا لين شكر المودة وأغْتَفَارَ مَسَّ الشَّدَّةِ وَالرَّضَا بِمَا رَضِيتَ وَالْقَنَاعَةَ بِمَا هَوَيْتَ . فإن علينا من سُمك^(٢) الحديد وثقله أذى شديداً ، مع معالجة الأغلال وقلة

(١) جاء في نسخة أخرى «شبة» بدلاً من «شيبه»

(٢) جاء في نسخة أخرى «سهك» ، ومعناها رائحة الحديد بدلاً من «سمك» .

رحمة الأعمال، الذين تسهيلهم الغلظة، وتيسيرهم الفظاظة، وإيرادهم علينا الغموم، وتوجيههم إلينا الهموم، زيارتهم الحراسة، وبشارتهم الإياسة. فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى، فمتى تمل إلينا طرفاً وتولنا منك عطفاً، تجد عندنا نصحا صريحاً، ووداً صحيحاً، لا يضيع مثلك مثله، ولا ينفي مثلك أهله. فأرفع حرمة من أدركت بحرمة وأعرف حجة من فليجت^(١) بحجته، فإن الناس من حوضك رواءً ونحن منه ظماء، يمشون في الإبراد ونحن نحجل في الأقياد، بعد الخير والسعة والخفض والدعة، والله المستعان وعليه التكلان، صريح^(٢) الأخبار مُنجي الأبرار. الناس من دولتنا في رخاء، ونحن منها في بلاء، حين أمن الخائفون ورجع الهاربون. رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن، فإنك أمين مستودع ورائد مصطفى^(٣) والسلام ورحمة الله.

قال هشام بن الكلبي: حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال: شكّت بنو تغلب السنة إلى معاوية فقال: كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج^(٤) البكارة واختلاف المهارة؟

وقال ابن الكلبي: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: «أما بعد، فإنك يهودي ابن يهودي إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك وأستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك. وقد كان أبوك وتر قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر المحن^(٥) وأخطأ المفضل، فخذله قومه وأدركه يومه، ثم مات طريداً بحوران. والسلام». فكتب إليه قيس بن سعد: «أما بعد، فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك. وقد كان أبي وتر قوسه ورمى غرضه، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه. والسلام».

وقال أبو عبيدة وأبو الليقظان وأبو الحسن: قدّم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف، فخرج الأذن فقال: إن أمير المؤمنين يعزّم عليكم أن لا يتكلم أحد إلا لنفسه. فلمّا وصلوا إليه قال الأحنف: «لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة^(٦) دفت^(٧)»

(١) فليجت: غلبت وظهرت.

(٢) جاء في نسخة أخرى «صريح» بالخاء ومعناها المغيث بدلاً من «صريح» بالحاء.

(٣) جاء في نسخة أخرى «مصطنع» بدلاً من «مصطفى».

(٤) جاء في نسخة أخرى «ارتجاج» بدلاً من «ارتجاج».

(٥) جاء في نسخة أخرى «الحز» بالزاي بدلاً من «المحن».

(٦) دافة: هو الجيش يزحف نحو عدوه.

(٧) يقصد أن جماعة أتوا من الصحراء.

ونازلة نزلت، ونائبة نابت^(١)، ونابطة نبتت^(٢)، كلُّهم بهم^(٣) حاجةٌ إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه. قال: «حَسْبُكَ يا أبا بحر فقد كَفَيْتَ الْغَائِبَ وَالشَّاهِدَ».

قال: وقال غيلان بن خرشةٍ لِأُحْنَف: «ما فيه بقاءُ العرب؟». قال: «إذا تقلَّدوا السُّيُوفَ وشدُّوا العِمائِمَ وركبوا الخيلَ ولم تأخذهم حَمِيَّةُ الأوغاد». قال: «وما حَمِيَّةُ الأوغاد؟» قال: «أنَّ يعدُّوا التَّواهبَ فيما بينهم ضيماً». وقال عمر: «العمائم تيجانُ العرب». وقيل لأعرابي: «مالك لا تضع العِمامةَ عن رأسك؟» قال: «إن شيئاً فيه السَّمْعُ والبَصَرُ لحَقِيقٌ بِالصُّون». وقال عليٌّ: رضي الله تعالى عنه: «جمال الرجل في كُمته^(٤) وجمال المرأة في خُفِّها». وقال الأحنف: «استجيدوا النُّعال فإنها خَلَّ خيلُ الرجال». قال: وجرى ذكر رجل عند الأحنف فأغتابوه فقال الأحنف: «ما لكم وماله، يأكل رزقه وتحمل الأرض ثِقْلَهُ ويكفي قرنه».

مسلمة بن مُحارب قال: قال زياد لِحرقة بنتِ النعمان: «ما كانت لَذَّةُ أبيك؟» قالت: «إِدْمَانُ الشُّرابِ ومُحادثةُ الرجال». قال: وقال سليمان بن عبد الملك: «قد ركبنا الفارَةَ، وتبطننا الحُسناءَ، وَلَبَسْنَا اللَّيْنَ حَتَّى اسْتَخْشَنَاهُ، وَأَكَلْنَا الطَّيِّبَ حَتَّى أَجْمَنَاهُ^(٥)». فما أنا اليومُ إلى شيءٍ أَحوجُ مِنِّي إلى جليْسٍ يضع عني مَوْنَةَ التحفظ. وأشاروا على عبيد الله بن زياد بِالْحَقْنَةِ فتفحشها فقالوا: «إنَّما يتولاها منك الطَّيِّب». فقال: «أنا بِالصَّاحِبِ آنَسَ». وقال معاوية بن أبي سفيان للنخار بن أوسِ العذري: «أبغني محدثاً». قال: «أومعي يا أمير المؤمنين» قال: «نعم أستريح منه إليك ومنك إليه». قال: وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - لأبي مريمَ الحنفي: «وَاللَّهِ لَا أَحْبَبُكَ حَتَّى تَحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمِ الْمَسْفُوحَ». قال: «فتمنعني لذلك حقاً؟». قال: «لا» قال: «لا ضيرَ، إنَّما يأسف على أَحَبِّ النِّسَاءِ»، وقال عمر لرجلٍ هَمَّ بِطِلاقِ امرأته: «لِمَ تطلقها؟» قال: «لا أَحِبُّهَا». قال: «أَوَكُلُّ الْبَيُوتِ بُنيت على الْحَبِّ؟»، فأين الرِّعاية والتَّذمُّمُ؟» قال: وأُتِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِرَجُلٍ فَقَالَ: «زُبَيْرِي عَمِيرِي، وَاللَّهِ لَا يَحِبُّكَ قَلْبِي أَبَداً». قال: «يا أمير المؤمنين إنَّما تبكي على أَحَبِّ الْمَرَأَةِ، وَلَكِنْ عَدْلٌ وَإِنصافٌ».

عبد الله بنُ المَبَارِكِ عن هشام بن عروَةَ قال: نازع مروان ابنَ الزبير عند معاوية فرأى ابنُ الزبير أن ضِلْع^(٦) معاوية مع مروان، فقال ابنُ الزبير: «يا أمير المؤمنين إن لك

(١) النائية: هم الضيوف ينوبون قوماً وينزلون عندهم.

(٢) يقصد ازدياد عددهم بما زاد فيهم من مواليد.

(٣) جاء في نسخة أخرى «به» بدلاً من «بهم». (٤) الكمة: القلنسوة.

(٥) أجمنه: كرهناه ومللناه. (٦) ضلع: ميل.

حقاً وطاعةً علينا، وإن لك بسطة^(١) وحُرمةً فينا، فأطع الله نُطْعَكَ، فإنه لا طاعةَ لك علينا إلا في حقِّ الله. ولا تطرقَ إطراقَ الأفعوان في أصول السخبر^(٢).

أبو عبيدة قال: قيل لشيخ مرة: «ما بقي منك؟». قال: «يسبقني من بين يدي ويلحقني من خلفي، وأنسى الحديث وأذكر القديم وأنس في الملاء وأسهر في الخلاء، وإذا قمت قربت الأرض مني وإذا قعدت تباعدت عني». الأصمعي قال: قلت لأعرابي معه ضاجة^(٣) من شاء: «لمن هذه؟» قال: «هي لله عندي». قال: ولما قتل عبدُ الملك بن مروان مصعباً ودخل بالكوفة. قال لهيثم بن الأسود النخعي: «كيف رأيت الله صنع؟» قال: «قد صنع الله خيراً فحفف الوطاة وأقلَّ التثريب».

قال: وقال ابن عباس: «إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله». قال: وكانوا يستحبون أن لا يُجيبوا في كل ما سُئلوا عنه. قال: وقال ابن عمر: «من قال عند ما لا يدري لا أدري فقد أحرز نصف العلم».

قال: وقال ابن عباس: «إن لكل داخلٍ دهشةً فأنسوه بالتحية».

واعتذر رجل إلى مسلم بن قتيبة فقال مسلم: «لا يدعونك أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه». قال: وكان يقال: «دعوا المعاذر فإن أكثرها مفاجر». قال: وقال إبراهيم النخعي لعبد الله بن عوف: «تجنب الاعتذار، فإن الاعتذار يُخالطه الكذب». قال: واعتذر رجل إلى أحمد بن أبي خالد. فقال لأبي عياد: «ما تقول في هذا؟». قال: «يُوهب له جُرمه ويضرب على عذره أربعمئة» وقد قال الأول: «عذره أعظم من ذنبه».

قال: وقيل لابن عباس: «وُلِدَ عمر بنُ أبي ربيعة في الليلة التي مات فيها عمر بنُ الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فسُمِّيَ بأسمه». فقال ابن عباس: «أي حقُّ رُفِعَ وأيُّ باطل وُضِعَ!». وقال عبد الله بن جعفر لأبنته: «يا بنيةُ إياك والغيرةُ فإنها مفتاحُ الطلاق، وإياك والمعاتبةُ فإنها تُورثُ الضغينة، وعليك بالزينة والطيب، وأعلمي أن أزينَ الزينة الكحلُ وأطيبَ الطيب الماء». قال: ولما نازع ابنُ الزبير مروانَ عند معاوية قال ابن الزبير: «يا معاوية لا تدع مروانَ يرمي جماهير فُريش مشاقصه^(٤) ويضربُ صفاتهم^(٥) بمعاوله، ولولا مكانك لكان أخفَّ على رقابنا من فراشة وأقلَّ في نفوسنا من خشاشة^(٦) ولئن ملكَ أعنة

(١) جاء في نسخة أخرى «سطة» ومعناها «وسط» بدلاً من «بسطة».

(٢) السخبر: ضرب من الشجر شبيه بالأذخر. (٣) الضاجة: غنم كثير.

(٤) المشاقص: النصال العريضة. (٥) الصفاة: الحجر الضخم.

(٦) الخشاشة: ضرب من الحشرات.

خيل تَنَقَّادَ له ليركَبَنَ منك طَبَقاً تخافُه». قال معاوية: «إِنْ يَطْلُبُ هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونَه وإن يتركُه يتركُه لِمَنْ هو فوقه، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله إليكم من لا يعطف عليكم بقرابة، ولا يذكركم عند مُلِمَّة، يسومكم خَسْفاً، ويؤرِّدكم تلفاً». فقال ابن الزبير: «إِذْنُ والله نُطْلُقُ عِقَالَ الْحَرْبِ بِكِتَابِ تَمَوُّرٍ كَرَجَلِ الْجَرَادِ^(١) حافاتها الأسل، لها دويٌّ كدويِّ الرِّيح، تتبع غَطْرِيْفاً من فُرَيْشٍ لم تكن أُمُّه براعية ثلَّة^(٢)». قال معاوية: «أنا أبْنُ هند، أطلقت عِقَالَ الْحَرْبِ فَأَكَلْتُ ذُرَّةَ أَلْسَنَامٍ، وَشَرِبْتُ غُنْفَوَانَ الْمَكْرَعِ، وليس للأكل إلاَّ الفُلْدَةُ ولا للشارب إلاَّ الرُنْقُ^(٣)».

بكر بن الأسود قال: قال الحسن بن علي لحبيب بن مسلمة: «رَبِّ مَسِيرٍ لك في غير طاعة الله». قال: «أما مسيري إلى أبيك فلا». قال: «بلى، ولكنَّك أطمعت معاوية على دنيا قليلة، فَلَعُمْرِي لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك، ولو أنَّك إن فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾^(٤) ولكنك كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥)».

قال أبو الحسن سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول: «أما بعدُ، فإنَّا أبناء سبيل، وأنضاء طريق^(٦)، وفل^(٧) سنة^(٨)». تصدَّقوا علينا، فإنه لا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت. أما والله، إنا لنقومُ هذا المقام وفي الصدر حَزَازَةٌ، وفي القلب غَصَّةٌ.

وقال الأحنف بخراسان: «يا بني تميم، تحابوا تجتمع كلمتكم، وتباذلوا تعتدلُ أموركُم، وأبدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم». ومن كلام الأحنف الأسائر في أيدي الناس: «إِلْزَمِ الصَّحَّةَ يَلْزِمُكَ الْعَمَلُ».

وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة: «نحن منابتنا قصب، وأنهارنا عجب، وسماؤنا رطب، وأرضنا ذهب». وقال الأحنف: «نحن أبعد منكم سرية، وأعظم منكم تجربة، وأكثر منكم ذرية، وأغذى منكم برية». وقال أبو بكر الهذلي: «نحن أكثر منكم ساجاً، وعاجاً، وديباجاً، وخراجاً، ونهراً عجاجاً».

قال: كتب صاحبُ لأبي بكر الهذلي إلى رجل يُعزِّيه عن أخيه: «أوصيك بتقوى الله وحده، فإنه خلقك وحده، وبيعثك يومَ القيامة وحده، والعجب كيف يُعزي ميتٌ ميتاً عن ميتٍ والسلام».

(١) رجل الجراد: ضرب من النبت.

(٢) ثلَّة: قطع الغنم.

(٣) الرنق: الماء الكدر.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٦) أنضاء طريق: يقصد أن قطع المفاوز قد أنهكهم.

(٧) قوم فل: أي منهزمون.

(٨) السنة: الجذب.

قال: وقال رجل لأبن عباس: أيُّما أحبُّ إليك رجلٌ قليلُ الذنوب قليلُ العمل أو رجل كثير الذنوب كثيرُ العمل؟ قال: «ما أعدل بالسلامة شيئاً».

وقال آخر: «حماقة صاحبي عليّ أشدُّ ضرراً»^(١) منها عليه. شعبة أبو بسطام قال: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «لا أماري أخي: فإما أن أكذبه، وأما أن أغضبه».

قال وأحدث^(٢) على ابن ليلى رجلٌ من جلسائه، فقال ابن أبي ليلى له: «اهد إلينا من هذا ما شئت». فلما مات ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد - رحمهما الله - قال أبو جعفر المنصور: «ما بقي أحدٌ يستحي منه». قال ولما مات عبد الله بن عامر، قال معاوية: «رحم الله أبا عبد الرحمن بمن يُفاخر مسلمة بن محارب».

قال: قال زياد: «ما قرأت كتاب رجل قطُّ إلا عرفت عقله فيه».

أبو معشر قال: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق قام خطيباً، فقال: «إن أبا ذبان قتل لطيم الشيطان، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٣) ولما جاءه قتل أخيه مصعب بن الزبير قام خطيباً بعد خطبته الأولى فقال: «إن مصعباً قدّم أيره وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حلبة أهل الشام، حتى غشيته في داره ولئن هلك مصعب، إن في آل الزبير خلفاً منه».

قال: ولما قدم ابن الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان فقام خطيباً، فلما فرغ من كلامه قال عثمان: «أيُّها الناس أنكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن، فإنني لم أر في ولد أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - أشبه به من هذا».

قال: وسمع عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أعرابياً يقول: «اللهم أغفر لأُمّ أوفى». قال: ومن أمّ أوفى. قال: «أمراتي، وإنَّها لحمقاء مرغامة»^(٤) أكل قامة^(٥)، لا تُبقي لها حامة. غير أنها حسناء فلا تفرك^(٦)، وأم غلمان فلا تترك».

قال: ودفعوا إلى أعرابية علكا لتمضغه فلم تفعل فقبل لها في ذلك فقالت: «ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجرة».

قال: وكان أبو مسلم استشار مالك بن ألهيثم، حين ورد عليه كتاب المنصور في القدوم عليه بذلك لم يُشِرْ عليه، فلما قُتل أبو مسلم أذكرة ذلك فقال: «إن إخاك إبراهيم الإمام حدّث عن أبيه محمد بن علي أنه قال: لا يزال الرجل يزاد في رأيه إذا نصح لمن استشاره. فكنت له يومئذٍ كذلك وأنا اليوم لك كذلك».

(١) جاء في نسخة أخرى «ضراً» بدلاً من «ضرراً».

(٢) جاء في نسخة أخرى «أخذ» بدلاً من «أحدث».

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.

(٤) المراغمة: المغضبة لزوجها.

(٥) أكل قامة: أكل شره.

(٦) لا تفرك: لا تبغض.

وقال الحسن: «التقدير نصف الكسب، والتودد نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم». قال رجل لعمر بن عبيد: إني لأرحمك مما يقول الناس فيك. قال: أفتسمعني أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا. قال: إياهم فأرحم. قال: ومدح نصيب أبو الحجناء عبد الله بن جعفر فأجزل له من كل صنف. فقيل له: أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ فقال: أما والله لئن كان جلده أسود فإن ثناءه لأبيض وإن شعره لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وإنما أخذ رواحل تنضى وثياباً تبلى ومالاً يفنى وأعطى مديحاً يروى وثناء يبقى.

قال: وقف أعرابي في بعض المواسم فقال: اللهم إن لك عليّ حقوقاً فتصدق بها عليّ، وللناس تبعات قبلي فتحملها عني، وقد أوجبت لكل ضيف قرى، وأنا ضيفك فأجعل قراي في هذه الليلة الجنة. قال: ووقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له: عليك بالصيارفة. قال: هناك والله قرارة اللؤم.

وقال مسلمة: «ثلاثة لا أعذرهم: رجل أحفى^(١) شعره ثم أعفاه^(٢)، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها، ورجل كان عنده سراري فتزوج حرة».

أبو إسحق قال: قال حذيفة: «كن في الفتنة كآبن لبون: لا ظهر فيركب، ولا لبن فيحلب» وقال الشاعر - وليس هذا الباب في الخبر الذي قبل هذا -:

[الطويل]

ألم تر أن الناب^(٣) تحلب علبة^(٤) ويترك ثلب^(٥) لا ضرب^(٦) ولا ظهر

عتبة بن هارون قال: قلت لرؤبة كيف خلفت ما وراءك؟ قال: التراب يابس، والمرعى عابس. قال: وقال معاوية بن أبي سفيان لأبن عباس: إني لأعلم أنك واعظ نفسك، ولكن المصدور إذا لم ينفث جوى^(٧). قال: وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أتقول الشعر مع التمسك والفضل والفق؟ قال: «لا بد للمصدور من أن ينفث».

قال أبو الذيال قال شويس: «أنا والله العربي لا أرفع الجربان^(٨)، ولا ألبس التبان^(٩) ولا أحسن الرطانة، ولأنا أرسى من حجر، وما قرمني^(١٠) إلا الكرم» أبو الحسن وغيره قال: قال عمرو بن عتبة بن أبي سفيان اللوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو

(١) أحفى شاربه: قصه.

(٢) أعفى شاربه: أطاله.

(٣) الناب: الناقة المسنة.

(٤) العلبة: الصلبة.

(٥) الثلب: الجمل الذي تكسرت أنيابه.

(٦) الضراب: نكاح الفحل الناقة.

(٧) الجوى: شدة الحب.

(٨) الجربان: شيء يوضع فيه السيف وغمدته.

(٩) التبان: السروال الصغير.

(١٠) قرمني: أساء الغداء.

بأنجرأ من أرض حِمص: «يا أمير المؤمنين، إنك تستنطقني بالأنس بك، وأكف عن ذلك بالهيبة لك، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك، أفأسكت مطيعاً أم أقول مُشْفِيقاً؟». قال: «كل ذلك مقبول منك، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه». ونعود فنقول قال: فقتل بعد أيام. قال: كان أيوب السخيانِي يقول: «لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف». قال بعضهم: كنت أجالس ابن صغير في النسب، فجلست إليه يوماً فسألته عن شيء من ألفقه فقال: «ألك بهذا حاجة، عليك بذلك» وأشار بذلك إلى سعيد بن المسيب، فجلست إليه لا أظن أن عالماً غيره، ثم تحولت إلى عروة ففتنت به ثبج بحر^(١). قال: وقلت لعثمان البري: دُلني على باب ألفقه. قال: اسمع الاختلاف.

قال: وقيل لأعرابي: عند من تُحب أن يكون طعامك. قال: عند أم صبي راضع، أو ابن سبيل شاسع، أو كبير جائع، أو ذي رجم قاطع. وقال بعضهم: إذا اتسعت المقدرة نَقَصَت الشهوة. قال: قلت: فمن أسوأ الناس حالاً؟ قال: من اتسعت معرفته وبعُدَت همته، وقويت شهوته، وضاعت مقدرته. وذكر عند عائشة الشرف فقالت: «كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به». قال: ودخل رجل على أبي جعفر، فقال له: «أتق الله». فأنكر وجهه فقال: «يا أمير المؤمنين، عليكم نزلت، ولكم قيلت، وإليكم رُدَّت». وقال رجل عند مسلمة: ما أسترخنا من حائك كندة حتى جاءنا هذا المزنوني. فقال مسلمة: «أقول هذا لرجل سار إليه فريقا قريش - يعني نفسه والعباس بن الوليد ويزيد بن المهلب - حاول عظيمًا، ومات كريماً». عبد الله بن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - «خُصَّصْنَا بِخَمْسٍ: فصاحة، وصباحة، وسماحة، ونجدة، وحظوة - يعني عند النساء - علي بن مجاهد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حَبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبَغَضَ مِنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا». وقال الأصمعي: كتب كتاب حكمة فبقيت منه بقية، فقالوا: ما نكتب فيه؟ فقال: «اكتبوا: يُسأل عن كل صناعة أهلها». وقال شبيب بن شيبه للمهدي: «إن الله لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك». قال يحيى بن أكثم^(٢): «سياسة القضاء أشد من القضاء». وقال: «إن من إهانة أعلم أن تجاري فيه كل من جارك». قال: وحمل ورقبة بن مصقلة من

(١) ثبج البحر: معظمه.

(٢) هو: يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد: قاض رفيع القدر، عالي الشهرة من نبلاء الفقهاء. ولد بمرور سنة ١٥٩هـ = ٧٧٥م. اتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢هـ ثم قضاء القضاء ببغداد. توفي بالربذة سنة ٢٤٢هـ = ٨٥٧م. من كتبه في الفقه «الأصول». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤/١٩١ - ٢٠٤، وفيات الأعيان: ٢/٢١٧.

خراسان رجلاً إلى أمّه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها إليها حتى تكون معها ألبينة على أنها أمّه فقالت لخدام لها: اذهب حتى تأتينا ببعض من يعرفنا. فلما أتاها الرجل برزت، وقالت: «الحمد لله أشكو إلى الله الذي أبرزني وشهّر بالفاقة أهلي». فلما سمع كلامها، قال: أشهد أنك أمّه فردي الخادم ولا حاجة بنا إلى أن تجيء ألبينة. قال: وكان الحسن يقول في خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة، وجعل ذلك في سنة من دينه، ومنهاج واضح من أمره. وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة». عامر بن سعد^(١) قال: سمعت الزبير يُعزّي عبد الرحمن على بعض نسائه فقال: وهو قائم على قبرها: «لا يصفر ربك، ولا يوحش بيتك، ولا يضيع أجرك. رحم الله متوفاك، وأحسن أخلاقه عليك». قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «خير صناعات العرب أبيات يُقدّمها الرجل بين يدي صاحبه، يستميل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم». قال: ولیم ابن الزبير على طول خطبته عشية عرفة فقال: «أنا قائم، وهم جلوس، وأتكلم، وهم سكوت، ويضجرون». وقال موسى بن يحيى: كان يحيى بن خالد يقول: «ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه، والرسول على مقدار عقل مُرسله، والهدية على مقدار مُهديها». قال: وذكر أعرابي أميراً [فقال]: يقضي بالعشوة^(٢)، ويُطيل النشوة، ويقبل الرشوة. وقال يزيد بن الوليد: «إن النشوة تحل العقدة وتطلق الحبوة». وقال: «إياكم والغناء فإنه مفتاح الزنا». وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «إذا توجه أحدكم في وجه ثلاث مرات فلم يصب خيراً فليدعه». قال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه: «لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتي، ويبغى الزيادة فيما بقي، وينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويغض المسيئين وهو منهم، ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها في طول حياته». قال أعرابي: «خرجت حيث أنحدرت أيدي النجوم، وشالت أرجلها، فلم أزل أصدع الليل حتى أصدع لي الفجر». وسألت أعرابياً عن مسافة ما بين بلدين فقال: «عمر ليلة، وأديم يوم». وقال آخر: «سواد ليلة أو بياض يوم». وقال بعض الحكماء: «لا يضرّك حب امرأة لا تعرفها». وقال رجل لأبي الدرداء: فلان يقرئك السلام. فقال: «هدية حسنة ومحمل خفيف». قال: وسرق مزبد نافجة^(٣) مسك، فقيل له: إن كل من غل يأتي يوم القيامة يحمله على عنقه، قال: «إذن والله أحملها طيبة الريح، خفيفة المحمل». قال: «ومن أبخل البخل ترك رد السلام». قال ابن عمر: «لعمري إني لأرى

(١) جاء في نسخة أخرى «سعد» بدلاً من «سعيد».

(٢) العشوة: الأمر الملتبس.

(٣) نافجة مسك: قارورة مسك.

حقّ رجع جواب الكتاب كردّ السلام». وجاء رجل إلى سليمان، فقال: يا أبا عبد الله فلان يقرأ عليك السلام، فقال: «أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك». قال مثني بن زهير لرجل: احتفظ بكتابي حتى تُوصّله إلى أهلي. فمن العجب أن الكتاب ملقى والسكران مؤتي. وكان عبد الملك بن حجاج يقول: «لأننا للعافل المديبر أرجى من الأحقق المقبل». قال: «وإياك ومصاحبة الأحقق، فإنه ربّما أراد أن ينفعك فضرّك». وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس: «إبعث إليّ بعسل من عسل خلّار^(١)، من النحل الأبقار، من الدسفسار، الذي لم تمسه النار» وقال الشاعر:

[الطويل]

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فَفِي صَالِحِ الْأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ
قال: ونظر أبو الحارث جمين إلى بردون يستقي عليه الماء فقال: «وما المرء إلا حيث يجعل نفسه، لو أن هذا البرذون هملج^(٢) ما فعل به هذا». عمران بن هذاب قال: قال مسلم بن قتيبة: «دأب المعروف أشد من ابتدائه». وقال محمد بن واسع: «الاتقاء على العمل أشد من العمل». وقال يحيى بن أكثم: «سياسة القضاء أشد من القضاء»، وقال محمد بن محمد الحمراني: «من التوقي ترك الإفراط في التوقي». وقال أبو قرة: «الجوع للحمية أشد من العلة». وقال الجمار: «الحمية إحدى العلتين». وقال القمي: «من أحمى، فهو على يقين من تعجيل المكروه، وفي شك مما يأمل من دوام الصحة». وقال: «اعتبر عزمه بحميته، وحزمه بمتاع بيته». قال: وذكر أعرابي رجلاً فقال: «جناء المبتلى خنوط المعافى». وقالوا: «أمران لا ينفكان من الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار». وقيل لرجل من الحكماء: ما جماع البلاغة؟ قال: «معرفة السليم من الممعل، وفصل ما بين المضمّن والمطلّق، وفرق ما بين المشترك والمفرد، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيّد». وقال سهل بن هارون في صدر كتاب له: «واجب على كل ذي مقالة أن يبتدىء بالحمد قبل استفتاحها كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها». وقال أبو البلاد:

[الطويل]

وَأِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عُودِينَ: طَيِّباً وَعُوداً خَبِيثاً لَا يَبِضُّ^(٣) عَلَى الْعَصْرِ
تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقَهُ وَتَشِينُهُ وَتَذَكُرُ أَخْلَاقُ الْفَتَى وَهُوَ لَا يَدْرِي

وقال آخر في هذا المعنى:

[السريع]

سَابِقُ إِلَى الْخَيْرَاتِ أَهْلُ الْعُلَى فَإِنَّمَا النَّاسُ أَحَادِيثُ
كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ كَادِحٌ فَوَارِثٌ مِنْهُ وَمَوْرُوثُ

ولما قال حمل بن بدر لبني عبس - والأسنة في ظهورهم والبوارق فوق رؤسهم -:

(١) خلّار: اسم موضع بفارس. (٢) هملج: مشى مشية حسنة. (٣) لا يبض: لا يقتر ماء.

«نؤدي السبقَ وندي الصبيان، وتخلون سِرْبنا، وتسودون العرب» انتهره حذيفة وقال:
«يَاكَ وَالْكَلامَ المأثور». وقال الشاعر:

[البسيط]

الْيَوْمَ خَمَرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ وَالْدَهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعامٍ وَإِبْاسٍ
قال: وقال أعرابي «إن المسافر ومتاعه لعلى قلت^(١) إلا ما وقى الله». وقالوا:
«السفر قطعة من العذاب». و «صاحب السوء قطعة من النار». قال: وجلس معاوية -
رضي الله تعالى عنه - بالكوفة يُبايع على البراءة من علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى
وجهه - فجاءه رجل من بني تميم، فأرادته على ذلك، فقال: «يا أمير المؤمنين نُطِيعُ
أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم». فألقت إلى المغيرة فقال: إن هذا رجل فاستوص به خيراً.
وقال الشاعر:

[الكامل]

قالت أُمَامَةُ يَوْمَ بَرْقَةٍ وَاصِلٌ يَا أَبْنَ الْعَذِيرِ^(٢) لَقَدْ جَعَلْتَ تَغْيِرُ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ زَمَانِكَ الْمَاضِي الَّذِي ذَهَبَتْ شَيْبَتُهُ وَغَضُنُكَ أَخْضَرُ
شَيْخاً دِعَامُتُكَ الْعَصَا وَمَشْيَعَا لَا تَبْتَغِي خَبِراً وَلَا تُسْتَخْبِرُ

قالوا: وكان شريح في الفتنة يستخبر ولا يخبر، وكان الربيع بن خيثم^(٣) لا يُخبر
ولا يُستخبر. وكان مُطَرَفُ بن عبد الله يُستخبر ويُخبر. قالوا: فينبغي أن يكون أعقلهم.
وقال أبو عبيدة: كان ابن سيرين لا يُستخبر ولا يخبر، وأنا أخبر وأُستخبر. وقال أبو
عمرو بن العلاء لأهل الكوفة؟ «لكم حذلقة»^(٤) التُّبَطُ وصلفُهم، ولنا دهاء فارس
وأحلامُهم». وأنشدوا للحارث بن جِلْزَةَ الشكري:

[البسيط]

لَا أَعْرِفُكَ إِنْ أَرْسَلْتَ قَافِيَةً تُلْقِي الْمَعَاذِيرَ إِنْ لَمْ تَنْفَعِ الْعِذْرُ^(٥)
إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرٌ

ومعنى المعاذير ها هنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى في القرآن ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾^(٦) ها هنا الستور.

وقال: أراد رجل الحج فسلم على شعبة بن الحجاج فقال له: «أما إنك إن لم تعد
الحِلْمَ ذِلاًَّ والسَّفَهَ أنْفاً سَلِمَ لك حُجُّكَ». قالوا: كان علي - رضي الله تعالى عنه - بالكوفة

(١) قلت: الهلاك، الدمار.

(٢) جاء في نسخة أخرى «العذير» بدلاً من «العذير» بالعين.

(٣) جاء في نسخة أخرى «جشم» بدلاً من «خيثم»، وفي نسخة أخرى «جشم».

(٤) حذلقة: ظرف، كياسة، حسن تصرف. (٥) العذر: جمع عذرة ومعناها المعذرة.

(٦) سورة القيامة، الآيتان: ١٤، ١٥.

قد منع الناس من القعود على الطريق فكلّموه في ذلك فقال: أدعكم على شريطة. قالوا: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: غَضُّ الأبصار وردُّ السلام وإرشاد الضلال. قالوا: قد قبلنا. فتركهم. وكان نوفل بن أبي عقرب لا يجلس إلا على باب داره، وكان عامراً بالمأزّة. فقيل له: إنّ في ذلك نشرة^(١) وصرف النفوس عن الأمانى واعتباراً لمن اعتبر وعِظَةً لمن فكّر. فقال: إنّ في ذلك حقوقاً يعجز عنها ابنُ خيثمة. قالوا: وما هي؟ قال: غَضُّ الطرف، وردُّ التحية، وإرشاد الضال، وضمّ اللقطة، والتعرض لطلاب الحوائج، والنهي عن المنكر، والشغل بفضول النظر الداعية إلى فضول القول والعمل، وعادة إنّ قطعنها وحشتك وإن وصلتها قطعتك عن أمور هي أولى بك. قال فضيل بن عياض لسفيان الثوري: دُلني على جليس أطمئن إليه. قال: هيهات، تلك ضالة لا توجد. وقيل لبعض العلماء: أيّ الأمور أمتع؟ قال: مذاكرة العلماء. وقيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أيّ الأمور أمتع؟ قال: الأمانى. وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو. وقال هزيم بن عدي بن أبي طحمة ليزيد بن عبد الملك بعد ظفّره بيزيد بن المهلب: ما رأينا أحداً ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك. قال: وذم رجل رجلاً فقال: هو سيئ الروية، قليل التقية، كثير السعاية، قليل النكايّة. قال معاوية لمعاوية بن خديج الكندي: ما جرّأك على قتل قريش؟ قال: ما أنصفتُمونا، تقتلون حلماًنا وتلومونا على قتل سفهائكم. وهو الذي قال لأمّ الحَكيم بنت أبي سفيان: واللّه لقد نكحت فما استكرمت وولدت فما أنجبت. قال أبو بكر بن مسلمة عن أبي إسحاق القيسي قال لما قدّم قتيبة بن مسلم خراسان قال: مَنْ كان في يديه شيء من مال عبد الله بن حازم فلينبذه، وإن كان في فيه فليلفظه، وإن كان في صدره فلينفثه. فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم. قال ثم غير بعد ذلك عيال عبد الله بن حازم وما بخراسان أحسن مالا منهم. عنبسة القطان قال شهدت الحسن^(٢) وقال له رجل: بلغنا أنك تقول: «لو كان علي بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له مما صنع» فقال الحسن: «يا لكعُ، أما واللّه لقد فقدتموه سَهْماً من مرامي الله، غير سؤوم لأمر الله، ولا سروقة لِمَالِ الله، أعطى للقرآن عزائمه فما عليه وله، فأحلّ حلاله وحرم حرامه، حتى أوردته ذلك رياضاً موقنة، وحدائق مُعَدِّقة، ذاك ابن أبي طالب يا لكعُ». يزيد بن عقال قال عبد الملك بن صالح يوصي ابنه وهو أمير سرّية، ونحن ببلاد الروم فقال: «أنت تاجر الله لعباده، فكُنْ كالمُضارب الكيس الذي إنّ وجد ربحاً تجرّ وإلاّ احتفظ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة.

(١) النشرة: النسيم.

(٢) يقصد الحسن البصري.

وَكُنْ مِنْ أَحْتِيَالِكَ عَلَى عَدُوِّكَ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْ أَحْتِيَالِ عَدُوِّكَ عَلَيْكَ». وقال بعض الحكماء: «لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفاً: اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السَّبخة، والفاحش فإنه يرى الذي صنعت إليه إنما هو لمخافة فُحْشِهِ، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أُسْدِيتَ إليه. فإذا أصطنعت إلى الكرام فَأَزْدَرِعَ المَعْرُوفَ وَأَحْصَدَ الشُّكْرَ» قال: «وواضع المعروف في غير أهله كالمسرج في الشمس والزراع في السبخ». ومثله البيت السائر في الناس: [الطويل]

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أَمِّ عَامِرٍ
وقالوا: «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ سَوْءَ مَا يُؤْلِي لَمْ يَعْرِفْ حَسَنَ مَا يُؤْلِي». وقال: الاياديُّ صاحب الصرح الذي اتَّخَذَ سُلْماً لِمَنَاجَاةِ أَلْرَبِّ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: «مُرْضَعَةٌ وَفَاطِمَةٌ: الْفَطِيْعَةُ وَالْفَجِيْعَةُ، وَصِلَةُ أَلْرَحْمِ وَحُسْنُ أَلْكَلَمِ». قال: «زَعَمَ رَبُّكُمْ لِيَجْزِيَنَّ بِالْخَيْرِ ثَوَاباً وَبِالشَّرِّ عِقَاباً. إِنْ مِنْ فِي الْأَرْضِ عَبِيدٌ لِمَنْ فِي السَّمَاءِ. هَلَكْتَ جُرْهُمُ وَرَبَلَتْ^(١) إِيَادُ، وَكَذَلِكَ الْأَصْلَاحُ وَالْفَسَادُ. مَنْ رَشَدَ فَاتَّبِعُوهُ، وَمَنْ غَوَى فَارْقُضُوهُ. كُلُّ شَاةٍ بَرَجَلُهَا مَعْلُوقَةٌ وَإِيَّاهُ عَنِ الشَّاعِرِ بِقَوْلِهِ:

[المقارب]

وَنَحْنُ إِيَادُ عَبِيدُ الْإِلَهِ وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فِي السَّلَامِ
وَنَحْنُ وَلاَةُ حِجَابِ الْعَتِيقِ زَمَانُ الرِّعَافِ عَلَى جُرْهُمِ
تعزية امرأة للمنصور على أبي العباس مقدمه من مكة. قالت: «أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فَلَاصِبِيَّةٌ أَجَلٌ مِنْ مَصِيبَتِكَ وَلَا عَوْضَ أَعْظَمَ مِنْ خِلَافَتِكَ».

وقال عثمان بن حريم للمنصور حين عفا عن أهل الشام في إجلالهم مع عبد الله بن علي عمه: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أُعْطِيتَ فَشَكَرْتُ، وَابْتُلِيتَ فَصَبَرْتُ، وَقَدِّرْتُ فَعَفَوْتُ» وقال آخر: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْإِنْتِقَامُ عَدْلٌ، وَالتَّجَاوُزُ فَضْلٌ، وَالْمُتَفَضِّلُ قَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْمُنْصَفِ. فَنَحْنُ نُعِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوْكُسِ النَّصِيبِينَ، دُونَ أَنْ يَبْلُغَ أَرْفَعِ الدَّرَجَتَيْنِ». وقال آخر: «مَنْ أَنْتَقَمَ فَقَدْ شَفَى غِيْظَ نَفْسِهِ، وَأَخَذَ أَقْصَى حَقِّهِ. وَإِذَا أَنْتَقَمْتَ فَقَدْ أَنْتَقَصْتَ، وَإِذَا عَفَوْتَ تَطَوَّلْتَ. وَمَنْ أَخَذَ حَقَّهُ، وَشَفَى غِيْظَهُ، لَمْ يَجِبْ شُكْرُهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي الْعَالَمِينَ فَضْلُهُ. وَكَظُمُ الْغِيْظِ جَلَمٌ، وَالْجَلَمُ صَبْرٌ، وَالتَّشْفِي طَرَفٌ مِنَ الْعَجْزِ. وَمَنْ رَضِيَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَ حَالِهِ وَبَيْنَ حَالِ الظَّالِمِ إِلَّا سِتْرٌ رَقِيقٌ، وَحِجَابٌ ضَعِيفٌ، فَلَمْ يَجْزِمْ فِي تَفْضِيلِ الْجَلَمِ، وَفِي الْأَسْتِثَاقِ مِنْ تَرْكِ دَوَاعِي الظُّلْمِ. وَلَمْ تَرَأْ أَهْلَ النَّهْيِ وَالْمَنْسُوبِينَ إِلَى الْحِجَى وَالتَّقَى مَدَحُوا الْحُكَّامَ بِشِدَّةِ الْعِقَابِ، وَقَدْ ذَكَرُوهُمْ بِحَسَنِ الصَّفْحِ، وَبِكَثْرَةِ الْأَغْتِفَارِ وَشِدَّةِ التَّغَافُلِ. وَبَعْدُ فَالْمَعَاقِبُ مُسْتَعَدَّةٌ لِعِدَاوَةِ أَوْلِيَاءِ الْمَذْنَبِ،

(١) ربلت: كثر عددها وازداد.

والعافي مُستدع لشكرهم آمن من مكافاتهم أيام قدرتهم . ولأن يُثنى عليك بِاتساع الصّدر خير من أن يُثنى عليك بضيق الصّدر . على أن إقالتك عشرة عبادِ الله موجب لإقالتك عثرتك من ربّ عبادِ الله ، وعفوك عنهم موصولٌ بعفوِ الله عنك ، وعقابك لهم موصولٌ بعقابِ الله لك .

قال : «والموت ألفادح خير من أليأس ألفاضح» . وقال الآخر : «لا أقل من الرجاء» فقال الآخر : «بل أليأس المريح» وقال عبد الله بن وهب الراسي : «ازدحام الجواب مَضَلَّةٌ للصواب . وليس الرأي بالارتجال : وليس الحزم بالاعتصاب ، فلا تدعوتك السلامة من خطأ موبق^(١) أو غنيمة من صواب نادر إلى معاودته وألتماس الأرباح من قبله . إن الرأي ليس بنهي ، وخمير الرأي خير من فطيره ، ورُبّ شيء غابّه^(٢) خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه» . ولما قُدم بعد الجبار بن عبد الرحمن إلى المنصور قال : «يا أمير المؤمنين ، قتلة كريمة» . قال : تركتها وراءك يا ابن اللخناء . ولما احتال أبو الأزهر المهلب بن عبيث المهرقي لعبد الحميد بن ربيعي بن خالد بن معداق وأسلمه إلى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد إلى المنصور ، ولما صار إلى المنصور قال : «لا عذر فاعتذر بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفئهم» . قال : «إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيح وعتيق ابن عم» . قال : أخرج فإنك جاهل وأنت عتيقهم ما حييت» . قال زياد بن ظبيان التيمي لابنه عبيد الله^(٣) بن زياد - وزياد يومئذ يكيد بنفسه ، وعبيد الله غلام - «ألا أوصي بك ألامير زياداً؟» قال : «لا» قال «ولم؟» ، قال : «إذا لم يكن للحَيِّ إلا وصية الميت ، فالحَيُّ هو الميت» . ودخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه - وعمرو يومئذ غلام - فقال له معاوية : «إلى من أوصى بك أبوك يا غلام؟» قال : «إن أبي أوصى إليّ ولم يُوصِ بي» قال : وبأي شيء أوصاك؟» قال : «أوصاني أن لا يفقد إخوانه منه إلا وجهه» قال معاوية لأصحابه : «إن ابن سعيد هذا لأشدد» . قال : ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصار سفيان إلى المنصور أمر الربيع فخلع سواده^(٤) ووقف به على رؤوس اليمانية في المقصورة في يوم الجمعة ثم قال : «يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي عنده ، والذي حاول من الفتن والغدر والبغي وشقّ العصا ومعاونة الأعداء . وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفئكم» . قال يونس بن حبيب : «المفحم^(٥) يأتيه دون ما يرضى ويطلب فوق ما يقوى» . وذكر بعض الحكماء أعاجيب

(١) الموبق : المهلك . (٢) غابّه : باثته .

(٣) جاء في نسخة أخرى «عبد» بدون ياء . (٤) سواده : يقصد ما يلبس من رداء أسود .

(٥) المفحم : الساكت ، فلا يستطيع قول شيء من شعر أو سواه .

البحر وتزيّد البحرين فقال: «البحر كثير العجائب، وأهله أصحاب الزوائد، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق، وأدخلوا ما لا يكون في باب ما قد يكاد أن يكون، فجعلوا تصديق الناس لهم في غرائب الأحاديث سُلماً إلى ادّعاء المَحال». وقال بعض العرب: «حدّث عن البحر ولا حرج». و «حدّث عن بني إسرائيل ولا حرج» و «حدّث عن معن ولا حرج» وجاء في الحديث «كفى بالمرء جرّصاً ركوبه البحر». وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - يصف له البحر فقال: «يا أمير المؤمنين، البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير، دود على عود». وقال الحسن: «إملاء الخير خير من الصمت». فألصمت خير من إملاء الشر. وقال بعضهم: «مروا بالأحداث بالمرء، والكهول بالفكر، والشيوخ بالصمت» عبد الله بن شداد قال: «أرى داعي الموت لا يُقْلَع. وأرى من مضى لا يرجع. لا تزهّدن في معروف، فإنّ الدّهر ذو صُروف.

كم من راغب قد كان مرغوباً إليه، وطالب أصبح مطلوباً إليه. والزّمان ذو ألوان، من يصحب الزّمان يرّ أهوان. وإن غلبت يوماً على الماء، فلا تغلبنّ على الحيلة على حال. وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً، أقلّ ما تكون في الباطن مالا». وقيل لقيس بن عاصم: «بِمَ سُدَّتْ قَوْمَكَ؟» قال: «ببذل الأندى، وكفّ الأذى، ونصر المولى». وقيل لشيخ: «أين شبابك؟» قال: «من طال أمدّه، وكثر ولده، ودفّ^(١) عدده، وذهب جلده، ذهب شبابه». وقال زياد: «لا يعدمّك من أجهل كثرة الالتفات وسُرعة الجواب». وقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم^(٢): «لولا ثلاث ما باليت متى مت: تزاحف الأحرار، إلى طعامي، وبذل الأشراف وجوههم إليّ في أمر أجد إليه السبيل وقول المنادي الصلاة أيّها الأمير». وقال ابن الأشعث: «لولا أربع خصال ما أعطيت بشرياً طاعة: لو ماتت أم عمران يعني أمّه، ولو شاب رأسي، ولو قرأت القرآن، ولو لم يكن رأسي صغيراً». وقال معاوية «أعنت على عليّ بثلاث خصال:

كان رجلاً يُظهر سرّه وكنت كتوما لسريّ، وكان في أخبث جند وأشدّه خلافاً وكنت في أطوع جند وأقلّه خلافاً، وخلا بأصحاب الجمل فقلت إن ظفر بهم أعتدّدت بهم عليه وهناً في دينه^(٣) وإن ظفروا به كانوا أهون عليّ شوكةً منه، وكنت أحبّ إلى قريش منه. فكم شتيت جامع إليّ ومفرّق عنه». جهم بن حسان السليطي قال رجل للأحنف: «دُلّني على حمد بلا مُرْزئة». قال: «الخلق السجّيع^(٤) والكفّ عن القبيح، ثمّ أعلموا أن أدوا ألداء اللسان البذيء، والخلق الرديء». وقال محمد بن حرب الهلالي: قال بعض

(١) دفّ: سار.

(٢) جاء في نسخة أخرى «بن أم عبد الحكم» بدلاً من «بن أم الحكم».

(٣) وهناً في دينه: أي نقصاً في دينه. (٤) الخلق السجّيع: الخلق السهل.

الحكماء: «لا يكونَنَّ منكم المحدث ولا يُنصت له، والداخل في سرِّ اثنين لم يُدْخِلْهُ، ولا آتِي الدُّعْوَة لم يُدْعَ إليها، ولا الجالسُ المجلس لا يستحقُّه، ولا الطالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المعترض للخير من عند عدوِّه، ولا المتحمق في الدالة^(١)».

باب مُزْدَوِجِ الْكَلَامِ

قالوا: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في معاوية - رضي الله تعالى عنه -: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ». وقال رجل من بني أسد: مات لشيخ مِنَّا أَبْن فَاشْتَدَّ جَزَعُهُ عَلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهِ شَيْخٌ مِنَّا فَقَالَ: «إِضْبِرْ أَبَا أَمَامَةَ، فَإِنَّهُ فَرَطُ أَفْرُطَتِهِ، وَخَبِرَ قَدَمَتَهُ، وَذَخَرَ أَدَخَرَتَهُ». فقال مُجِيباً لَهُ: «وَلَدَ دَفَنْتَهُ، وَتُكِّلَ تَعَجَّلْتَهُ، وَغِيبَ وُغِدْتَهُ. وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ أَجْزَعْ مِنْ النِّقْصِ لَا أَفْرَحُ بِالْمَزِيدِ». قال الْأَصْمَعِيُّ: قال ابن قصير^(٢): خير الخيل الذي إذا أُسْتَدْبِرْتَهُ حَبًّا^(٣) وإذا أُسْتَقْبِلْتَهُ أَقْعَى، وإذا أُسْتَعْرَضْتَهُ أُسْتَوَى، وإذا مشى رَدَى^(٤) وإذا ردى دحاً». ونظر ابن قصير إلى خيل عبد الرحمن بن أمِّ الْحَكَمِ فَأشار إلى فرس منها فقال: «تجيء هذه سابقة». قالوا «وكيف؟» قال «رَأَيْتَهَا مَشَتْ فَكَتَفَتْ^(٥) وَخَبَتْ فَوَجَفَتْ^(٦) وَعَدَتْ فَنَسَفَتْ^(٧)». وذكرت امرأة زوجها فقالت: «ذهب زَفْرُهُ^(٨)»، وأقبل بَحْرُهُ، وفتر ذكْرُهُ». وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال: «جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر، فقال: «الذي يغرف من بحر أشعرهما».

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال. وسنذكر من الخطب المَسْنَدَة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قراءها، ثم نعود بعد ذلك إلى ما قَصُرَ منها وخَفَّ، وإلى أبواب قد تدخل في هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها والله الموفق:

من خطب عمر بن عبد العزيز:

قال أبو الحسن عن يحيى بن سعيد عن ابن خربوز البكري عن خالد بن صفوان قال: دخل عبد الله بن الأَهمَم على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - مع العامة فلم

(١) الدالة: الجراءة. (٢) ابن قصير: هو نفر من بني أسد بن خزيمة.

(٣) جاء في نسخة أخرى «جنا» بالجيم بدلاً من «حبا» بالحاء.

(٤) ردى الجواد: ضرب الأرض بحوافره. (٥) كتفت: رفعت أكتافها في المشي.

(٦) وجفت: سارت بسرعة. (٧) نسفت: وسعت الخطو.

(٨) جاء في نسخة أخرى «ذفره» بالذال ومعناه ما تحمله الريح من رائحته سواء أكانت طيبة أم خبيثة.

يُفجأ عمرُ إلا وهو ماثل بين يديه يتكلّم، فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإن الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم، آمناً لمعصيتهم. والناسُ يومئذ في المنازل والرأي مختلفون، والعرب بشرٌ تلك المنازل، أهل ألوبر وأهل ألمدر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاعة عيشتها. ميتهم في النار، وحيثهم أعمى، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه. فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث إليهم رسولا منهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) فلم يمنعه ذلك أن جرحوه في جسمه ولقّبوه في اسمه، ومعه كتاب من الله لا يرحل إلا بأمره، ولا ينزل إلا بإذنه، وأضطروه إلى بطن غار. فلما أمر بالغرامة إصغر لأمر الله لوئنه فأفلج الله حجته وأعلى كلمته وأظهر دعوته ففارق الدنيا تقياً صلى الله تعالى عليه وسلّم. ثم قام بعده أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -، فسلك سنّته وأخذ بسبيله، وأرتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم إلا الذي كان قابلاً منهم، فأنضى السيوف من أغمادها وأوقد النيران من شعلها، ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم حتى أدخلهم في الذي خرجوا عنه وقرّهم بالذي نفروا منه. وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوى عليه وحشية تُرضع ولد له، فرأى غصة عند موته في حلقه، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه، وفارق الدنيا تقياً تقياً على منهاج صاحبه - رضي الله تعالى عنه - . ثم قام من بعده عمرُ بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -، فمصرّراً لمصار، وخلط الشدة باللين، فحسّر^(٢) عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعدّ للأموال أقرانها وللحرب ألتها. فلما أصابه قن^(٣) المغيرة بن شعبه أمر ابن عباس يسأل الناس هل يُثبتون قاتله، فلما قيل له قن المغيرة أستهل بحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق في ألفيء فيستحلّ دمه بم أستحلّ من حقه. وقد كان أصاب من مال الله بضعا وثمانين ألفاً، فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا تقياً تقياً على منهاج صاحبه - رضي الله تعالى عنهما - . ثم إنا والله ما أجمعنا بعدهما إلا على ظلع^(٤). ثم إنك يا عمرُ ابن الدنيا ولدتك ملوكها وألقتك ثديها، فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله. فالحمد لله الذي جلا بك حوبتها^(٥) وكشف بك كربتتها. إمض ولا تلتفت فإنه لا يُغني من الحق شيئاً. أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات». قال: ولما أن قال: ثم إنا والله ما أجمعنا بعدهما إلا على ظلع سكت الناس كلهم إلا هشاماً فإنه قال: «كذبت».

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) حسر: كشف.

(٣) القن: العبد.

(٤) الظلع: يقصد الميل عن الحق.

(٥) الحوب: الهم والغم.

خطبة عمر بن عبد العزيز

أبو الحسن قال حدثنا المغيرة بن مُطَرِّف عن شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ عن أبيه قال: خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات - رحمه الله تعالى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيُّها النَّاسُ إنَّكم لم تخلقوا عَبَثاً ولم تُتركوا سُدًى، وإنَّ لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَحُرِّمَ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَانَ غَدَاً لِمَنْ خَافَ رَبَّهُ وَبَاعَ قَلِيلًا بكَثِيرٍ وَفَانِيًا بِبَاقٍ، أَلَا تَرَوْنَ أَنْكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ، وَسَيُخْلَفُهَا مِنْ بَعْدِكُمْ أَلْبَاقُونَ، كَذَلِكَ حَتَّى تُرْذُوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ. ثُمَّ أَنْتُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشْتَعُونَ غَادِيًا وَرَائِحًا إِلَى اللَّهِ قَدْ قَضَى نَجْبَهُ وَبَلَغَ أَجْلَهُ، ثُمَّ تَغْيِبُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ غَيْرَ مُؤْسَدٍ وَلَا مَمَّهَدٍ، قَدْ خَلَعَ الْأَسْبَابَ، وَفَارَقَ الْأَحْبَابَ، وَوَجَّهَ الْحِسَابَ، غَنِيًّا عَمَّا تَرَكَ فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمَ. وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ. وَمَا تَبَلَّغْنَا حَاجَةً يَتَسَّعُ لَهَا مَا عِنْدَنَا إِلَّا سَدَدْنَاهَا وَلَا أَحَدَ مِنْكُمْ إِلَّا وَدَدْتُ أَنْ يَدَهُ مَعَ يَدِي وَيَحْمِي^(١) الَّذِينَ يُلُونَنِي حَتَّى يَسْتَوِيَ، عَيْشُنَا وَعَيْشُكُمْ. وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ لَكَانَ اللِّسَانُ مِنِّي نَاطِقًا ذُلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ، لَكِنَّهُ مَضَى مِنَ اللَّهِ كِتَابٌ نَاطِقٌ وَسُنَّةٌ عَادِلَةٌ دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ». ثُمَّ بَكَى فَتَلَقَّى عَيْنِيهِ بِطَرْفِ رِدَائِهِ، ثُمَّ نَزَلَ فَلَمْ يُرَ عَلَى تِلْكَ الْأَعْوَادِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ.

خطبة أخرى ذهب عني إسنادها

أما بعدُ: فَإِنَّكَ نَاشِئٌ فِتْنَةٍ وَقَائِدٌ ضَلَالَةٍ، قَدْ طَالَ جَثْوُهَا، وَاشْتَدَّتْ غَمُومُهَا، وَتَلَوَّنَتْ مَصَائِدُ عَدُوِّ اللَّهِ فِيهَا وَمَا نَصَبَ مِنَ الشَّرِّكَ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ عَمَّا فِي عَوَاقِبِهَا، فَلَنْ يَهْدَ عَمُودُهَا وَلَنْ يَنْزِعَ أَوْتَادُهَا إِلَّا الَّذِي بِيَدِهِ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ، وَهُوَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ بَقَايَا مِنْ عِبَادِهِ لَمْ يَتَحَيَّرُوا فِي ظِلْمَتِهَا وَلَمْ يُشَايِعُوا أَهْلَهَا عَلَى شُبْهَتِهَا، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَزْهَوُ، وَالسَّنْتُهُمْ بِحَجَجِ الْكِتَابِ تَنْطِقُ، رَكَبُوا نَهْجَ السَّبِيلِ وَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ، هُمْ خُصَمَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَبِهِمْ يُصْلَحُ اللَّهُ الْبِلَادَ وَيُدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ، فَطُوبَى لَهُمْ وَلِلْمُسْتَصْبِحِينَ بِنُورِهِمْ. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ.

خطبة أبي حمزة الخارجي

دخل أبو حمزة الخارجي مكة - وهو أحد نساك الإباضية وخطبائهم وأسمه يحيى بن المختار - فصعد منبرها متوكئاً على قوس له عربية، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيُّها النَّاسُ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَقَدَّمُ إِلَّا

(١) جاء في نسخة أخرى «لحمتي»، واللحمة القرابة بدلاً من «يحمي».

بإذن الله وأمره ووحيه، أنزل الله له كتاباً بين له فيه ما يأتي وما يتقضي فلم يكن في شك من دينه ولا شبهة في أمره، ثم قبضه الله إليه وقد علم المسلمون معالم دينهم وولّى أبا بكر صلاتهم فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر دينهم، فقاتل أهل الردّة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله - رضي الله تعالى عنه - . ثم ولّى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى ألفي وفرض الأعطية وجمع الناس في شهر رمضان، وجلد في الخمر ثمانين، وغزا العدو في بلادهم ومضى لسبيله - رضي الله تعالى عنه - . ثم ولّى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبه، وكان دونهما، ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل، ثم مضى لسبيله رضي الله تعالى عنه. ثم ولّى علي بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع له مناراً، ثم مضى لسبيله رضي الله تعالى عنه. ثم ولّى معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله وأبن لعينه اتّخذ عباد الله حولاً، ومال الله دُولاً، ودينه دَعَلاً، ثم مضى لسبيله فلعنه الله. ثم ولّى يزيد بن معاوية، يزيد الخمر، ويزيد القرد، ويزيد الفهود الفاسق في بطنه المأبون في فرجه فعليه لعنة الله وملائكته - ثم اقتصهم خليفة، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره ثم قال - ثم ولّى يزيد بن عبد الملك الفاسق في بطنه المأبون في فرجه الذي لم يؤنس منه رُشد، وقد قال الله تعالى في أموال اليتامى ﴿إِنِ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١) فأمر أمة محمد أعظم، يأكل الحرام، ويشرب الخمر، ويلبس الحلة قومّت بألف دينار، قد ضربت فيها الأبشار وهتكت فيها الأستار وأخذت من غير حلّها، حبّته عن يمينه وسلامته عن يساره تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كلّ مأخذ قد ثوبه ثم التفت إلى أحديهما فقال: «ألا أظير» نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه، وأما بنو أمية ففرقة ضلالة وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها، ويضعونها في غير أهلها، وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾^(٢) فأقبل صنف تاسع ليس منها فأخذها كلها، تلکم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله. وأما هذه الشيع فشييع ظهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين، ولا بعلم نافذ في القرآن، يتقمون المعصية على أهلها، ويعملون إذا ولّوا بها، يصرون على الفتن ولا يعرفون المخرج منها، جفاة عن القرآن أتباع كهان، يؤملون الدول في بعث

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

الموتى، ويعتقدون الرجعة إلى الدنيا، قلدوا دينهم رجالاً لا ينظر لهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون. ثم أقبل على أهل الحجاز فقال: يا أهل الحجاز، أتعبرونني بأصحابي وترعمون أنهم شباب، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا شباباً؟ أما والله إنني لعالم بتتابعكم^(١) فيما يضركم في معادكم. ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم، شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنضاء^(٢) عبادة وأطلاح^(٣) سهر، فنظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بذكر آية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه، موصول كاللهم بكلالهم، كلال الليل بكلال النهار، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، وأستقلوا ذلك في جنب الله حتى إذا رأوا السهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدماً حتى أختلف رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض وأنحطت إليه طير السماء، فكم من عين في مناقير طير طال ما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله. ثم قال «أوه أوه أوه» ثم بكى ثم نزل.

خطبة قطري بن الفجاءة

صعد قطري بن الفجاءة منبر الأزارقة - وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم - فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وحليت بالآمال، وتزيئت بالغرور، لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها، غرارة ضلالة خيانة غدارة، وحائلة زائلة ونافذة بائدة، أكالة غوالة بذلة نقالة، لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضى عنها أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾^(٤) مع أن أمراً لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً، ولم تطله غيبة رخاء إلا أهطلت عليه مزنة بلاء. وحري إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلة متكرة، وإن جانب منها أعدوذب وأخلولى أمر عليه جانب وأوبى، وإن أتت أمراً من غصارتها

(١) تتابعكم: تهافتكم.

(٢) أنضاء: جمع نضو، وهو خفيف اللحم من الجهد والاجتهاد في الصلاة.

(٣) أطلاح: جمع طلح، وهو المهزول. (٤) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

ورفاهيتها نِعَمًا أرهقته من نوائبها تبعًا، ولم يمس أمرؤ منها في جناح أمنٍ إلا أصبح منها على قوادم خوف، غرارة غرورٍ ما فيها، فإن ما عليها، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقهُ ويُطيل حزنه ويُبكي عينيه. كم واثق بها قد أفجته وذي طمأنينة إليها قد صرغته وذي أختيال فيها قد خدعته وكم من ذي أبهة بها قد صيرته حقيراً وذي نخوة قد رذته ذليلاً، وكم من ذي تاج قد كَبَّته لليدين وألفم، سلطانها دُولٌ وغيبها رُنُقٌ^(١) وعذبها أجاجٌ^(٢) وحلوا صبر وغذاؤها سَمَامٌ وأسبابها رِمَامٌ وقطافها سِلَعٌ^(٣) حيها بعرض موتٍ وصحيحها بعرض سُثمٍ ومنيعها يعرض أهتضام، مليكها مَسْلُوبٌ وعزيزها مغلوبٌ وسليمها منكوبٌ وجامعها محروبٌ^(٤)، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلاع والوقوف بين يدي الحكم العدل، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. أَلَسْتُ في مساكن مَنْ كان أطول منكم أعماراً وأوضح منكم آثاراً وأعدّ عديداً وأكثف جنوداً وأعدّ عنوداً؟، تعبدوا للدنيا أيّ تعبد وآثروها أيّ إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار، فهل بلغكم، أن الدنيا سَمَحَتْ لهم نفساً بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب، بل قد أرهقهم بالقوادح وضععتهم بالنوائب، وعقرتهم بالمصائب، وقد رأيتم تنكرها لمن زان لها وأخلد إليها حين ظعنوا^(٥) عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند، هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة، أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم عليها تطمثنون. يقول الله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦) فبئست ألدار لمن أقام فيها فأعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لأبد، فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو وقد قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا كُلَّ رِيحٍ ءَايَةً تَبْشُرُونَ وَتَتَخَذُونَ مَصَاجِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾^(٧) وذكر الذين قالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ثم قال: حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رَكْبَانًا وَأَنْزَلُوا فَلَا يَدْعُونَ ضَيْفَانًا، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِرَانٌ، فهم جيرةٌ لا يُحييُونَ داعياً ولا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، إِنَّ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ أَقْحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جميع وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد، متناؤون^(٨) لا يزورون ولا يُزارون، حلماء قد ذهب أضغاثهم وجُهلَاء قد ماتت أحقادهم، لا يُخشى فجعهم ولا يُرجى دفعهم، وكما قال الله تعالى: ﴿فَلِللَّهِ

(١) الرنق: الكدر.

(٥) ظعنوا: رحلوا.

(٢) أجاج: مالح.

(٦) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) السلع: نبات سام.

(٧) سورة الشعراء، الآيتان: ١٢٨، ١٢٩.

(٤) المحروب: المسلوب.

(٨) متناؤون: مبتعدون.

مَسْكَنُهُمْ لَوْ شِئْنَا مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ»^(١) استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالنور ظلمة، فجاءوها كما فارقوها حفاةً عراةً فرادى، غير أن طعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد، يقول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أََوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢) فأحذروا ما حذرکم الله وأتبعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله، عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداء حقّه»

خطبة محمد بن سليمان يوم الجمعة - وكان لا يغيرها

الحمد لله أحمدُهُ وأستعينُهُ وأستغفرهُ وأؤمن به وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى وسعد في الأولى والآخرة. ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً. أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطيعُهُ ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سخطه. فإنما نحن له وبه. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذكم على طاعة الله وأرضى لكم ما عند الله. فإن تقوى الله أفضل ما تُحاث الناس عليه وتداعوا إليه وتواصوا به. فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون».

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية وحيث بلغه أن سلمة بن ذؤيب الرياضي^(٣) قد جمع الجموع يريد خلعه فقال: «يا أهل البصرة انسبوني فوالله ما مهاجر أبي إلا إليكم وما مولدي إلا فيكم وما أنا إلا رجل منكم. والله لقد وليكم أبي وما مُقاتلتكم إلا أربعون ألفاً فبلغ^(٤) بها ثمانين ألفاً وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً، وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف. وأنتم أوسع الناس بلاداً وأكثره جُوداً وأبعد مقاداً وأغنى الناس عن الناس. أنظروا رجلاً تولونه أمركم يكف سفهاءكم ويحيي لكم فيئكم ويقسمه فيما بينكم فإنما أنا رجل منكم». فلما أبوا غيره قال: إني أخاف أن يكون الذي يدعوكم إلى تأميري حادثة عهدكم بأمرى.

خطبة معاوية

الهيثم بن عدي عن أبي بكر بن عيَّاش عن أشياخه قال: [لما] حضرت معاوية

(١) سورة القصص، الآية: ٥٨. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) جاء في نسخة أخرى «الرياحي» بالحاء بدلاً من «الرياضي» بالضاد.

(٤) جاء في نسخة أخرى «فبلغ» بالنون.

الوفاء ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عتبة المُرِّي^(١) وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ فقال: «أبلغنا عني يزيد وقولا له: أنظر إلى أهل الحجاز فهُمُ أصلُك وعِترتُك، فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فَتَعَهَّدْهُ. وأنظر [إلى] أهل العراق، فإن سألوك عَزْلَ عامل لهم في كل يوم فأعزله عنهم، فإن عَزَلَ عامل أهونُ عليك من سَلِّ مائة ألف سيف ثم لا تدري على ما أنت عليه منهم. ثم انظر إلى أهل الشام فأجعلهم أشعار^(٢) دون الدثار^(٣) فإن رابك من عدوك رَيْبٌ فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم فأرددْ أهل الشام إلى بلادهم ولا يُقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم. لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين بن علي، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وَقَدَهُ^(٤) الورع، وأما الحسين فإني أرجو أن يكفيكهُ الله بمن قتل أباه وخَذَلَ أخاه، وأما ابن الزبير فإنه خِبٌ ضَبٌّ» وفي غير هذه الرواية: فإن ظفرت بابن الزبير فقطعه أرباً.

فمات معاوية، فقام الضحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ خطيباً فقال: «إن أمير المؤمنين معاوية كان أنف العرب، وهذه أكفانه ونحن مُدْرِجُوهُ فيها، ومخلون بينه وبين ربِّه، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره» فصلَّى عليه الضحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ثم قَدِمَ يزيد ولده فلم يُقدِّم أحدٌ على تعزيتِهِ حتى دخل عليه عبد الله بن هَمَّام السَّلُولِيُّ فأنشأ يقول:

[البسيط]

إِصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا كَرَمٍ^(٥) وَأَشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ
لَا رُزْءَ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا كَمَا رُزِئْتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
أَصْبَحْتَ رَاعِيَّ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَ
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك.

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي

قام بخراسان حين خُلِعَ فقال: أتدرون من تُبَاعُونَ، إنما تُبَاعُونَ يزيدَ بْنَ ثوران - يعني هبنة القيسي - كأني بأمير مذ جاء وحكم^(٦) قد أتاكم يحكم في أموالكم وفر وِجْمَ وأبشاركم. ثم قال: الأعراب وما الأعراب، فلعنة الله على الأعراب، جمعُكم كما يُجمَعُ قرع^(٧) الخريف

(١) جاء في نسخة أخرى «المزني» بالزاي بدلاً من «المري».

(٢) الشعار: ثوب يلبس تحت الثياب الخارجية. (٣) الدثار: الثياب فوق الشعار.

(٤) وقده: ضربه حتى أتخنه فأشرف على الموت. (٥) جاء في نسخة أخرى «ثقة» بدلاً من «كرم».

(٦) جاء في نسخة أخرى «من جاء وحكم» بدلاً من «مذ جاء وحكم». قبيلة حكم من سعد العشيرة.

(٧) جاء في نسخة أخرى «قرع» بالزاي بدلاً من «قرع» بالراء.

من منابت الشَّيْخ وَالْقَيْصُومِ وَمِنَابِتِ الْقَلْقَلِ^(١) وجزيرة ابن كاوان، تركبون البقر وتأكلون العُصْبَةَ^(٢)، فحملتكم على الخيل والبستكم السلاح، حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم ألفىء. قالوا: مرنا بأمرك قال: غرّوا غيري.

قال: وخطب مرة أخرى فقال: «يا أهل العراق، ألسنتُ أعلم الناس بكم؟، أمّا هذا الحيّ من أهل العالية فنعم الصدّقة، وأمّا هذا الحيّ من بكر بن وائل فعليّة بطّراء لا تجمع^(٣) رجليها، وأمّا هذا الحيّ من عبد قيس فما ضرب العير بذنبه، وأمّا هذا الحيّ من الأزد فعُلُوج خلق الله وأنباطه. وأيم الله لو ملكْتُ أمر الناس لنقشت أيديهم، فأما هذا الحيّ من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان».

وخطب مرة أخرى فقال: «يا أهل خراسان، قد جرّبتُمُ الولاية قبلي، أتاكم أمية فكان كاسمِه أمية الرأي وأمية الدين، فكتب إلى خليفته: أن خراج خراسان وسجستان لو كان في مطبخه لم يكفه. ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوّخ بكم البلاد لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية. ثم لم يُجب فيئاً ولم ينكأ^(٤) عدوّاً. ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطباء^(٥) الكلبة، منهم ابن الرحمة حصان يُضرب في عانه^(٦) ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده. ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد وأمن لكم السبل حتى أن الطعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جواز».

خطبة الأحنف بن قيس:

قال بعد حمد الله والثناء عليه، وصلى على نبيه: «يا معشر الأزد وربيعه، أنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الصُّهر وأشقائنا^(٧) في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو. والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام. فإن استشرف شنائكم^(٨) وأبى حسد^(٩) صدوركم ففي أموالنا وسعة أحلامنا لنا ولكم سعة».

خطبة جامع المحاربّي

ومن محارب جامع، كان شيخاً صالحاً خطيباً لسنّاً وهو الذي قال للحجاج حين

(١) القلقل: ضرب من الشجر.

(٢) العُصْبَةُ: ضرب من النبت.

(٣) جاء في نسخة أخرى «لا تبع» بدلاً من «لا تجمع».

(٤) نكأه: أصاب منه.

(٥) الأطباء: أئداء الحيوانات من ذوات الظلف.

(٦) عانة: قطع بقر الوحش.

(٧) شنان: عداوة وبغضاء.

(٨) جاء في نسخة أخرى «حسك» بالكاف، ومعناه الحقد والبغضاء، بدلاً من «حسد».

(٩) صدوركم: أموالكم.

بنى مدينة واسط: «بنيتها في غير بلدك، وأورثتها غير ولدك. وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة».

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم وتسخط طريقتهم فقال له جامع: «أما إنهم^(١) ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، وألتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك. وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك». قال الحجاج: «إني والله ما أرى أن أرد بني اللكية إلى طاعتي إلا بالسيف». فقال: «أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار». فقال الحجاج: «الخيار يومئذ لله». قال: «أجل، ولكن لا تدري لمن يجعله الله». فغضب الحجاج وقال: «يا هنا، إنك من محارب» فقال جامع:

[الطويل]

وَلِلْحَرْبِ سُمَيْنَا وَكَانَ مُحَارِباً إِذَا مَا أَلْقْنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَراً

والبيت للخضري. فقال الحجاج: «والله لهمنت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك» فقال جامع: «إن صدفتك أغضبتك، وإن غششتك أغضبتنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله». قال: «أجل» وسكن وشغل الحجاج ببعض الأمر. وأنسل جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق - وكان الحجاج لا يخلطهم - فأبصر كبكة فيها جماعة من بكر العراق وتميم العراق وأزد العراق وقيس العراق، فلما رأوه أشرأبوا إليه، وبلغهم خروجه، فقالوا له: «ما عندك؟» دافع الله لنا عن نفسك». فقال: «ويحكم، عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة^(٢)، ودعوا التعدادي ما عاداكم، فإذا ظفرتهم به تراجعتم وتعاقبتم. أيها التميمي هو أعدى لك من الأزد، وأيها القيسي هي أعدى لك من التغلبي، وهي ظفر بمن ناواه منكم إلا بمن بقي معه منكم؟». وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزفر بن الحارث.

وخطب الحجاج فقال: «اللهم أرني الغي غياً فأجتنبه، وأرني الهدى هدًى فأتبعه، ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالاً بعيداً. والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه، ولما بقي أشبه بما مضى من الماء بالماء».

وخطبة له، الهيثم بن عدي قال: أنبأني ابن عباس عن أبيه قال: خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة فسمع تكبيراً في السوق فراعته ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: «يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق،

(١) جاء في نسخة أخرى «شنفوك» بالفاء ومعناها «أبغضوك» بدلاً من «شنوك».

(٢) جاء في نسخة أخرى «عموه بالخلع كما يعمكم» بالعين بدلاً من «عموه بالخلع كما يعمكم» بالعين.

وبني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء، والفقع^(١) بالقرقر^(٢) إني سمعت تكبيراً لا يُرادُ الله به وإنما يُراد به الشيطان، وإنما مثلي ومثلكم ما قال عمرو بن براق ألهمداني: [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَايَالِ هَمْدَانَ ظَالِمٌ
مَتَى تَجْمَعُ الْقُلُوبُ الذِّكْيَ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ
أما والله لا تفرع عصا عصا إلا جعلتها كأس الدابر.

خطبة كلثوم بن عمرو:

أما بعد، فإنه لا يُخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تركية نفسه. ولا يُعبر عنه في تركية أصحابه أصدق من اعتمادهم برعبته، وأئتمانه إياهم على حرمة.

خطبة يزيد بن الوليد:

قالوا: ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان قام خطيباً، بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك، وما بي إطراء^(٣) نفسي وإني لظُلوم لها، ولقد خَسِرْتُ إن لم يرحمني ربي. ولكنني خرجت غَضَباً لله ودينه، وداعياً إلى الله وسنة نبيه، لما هُدمت معالم الهدى، وأطفئ نور التقوى، وظهر الجبار العنيد المُستجِل لكل حُرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يؤمنُ بيوم الحساب، ولا يُصدق بالشواب والعقاب، وأنه لأين عمي في النسب وكفئي في الحسب. فلما رأيت ذلك أَسْتَحْرْتُ الله في أمره، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي، ودَعَوْتُ إلى ذلك من أجنبي من أهل ولايتي، حتى أراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد، بِحَوْلِ الله وقوته لا بِحَوْلِي وقوتي. أيها الناس إن لكم عليّ أن لا أَضَع حجراً على حجر، ولا لبنَةً على لبنَةٍ، ولا أكرِي نهراً ولا أكثرُ مالاً، ولا أعطيهِ زَوْجاً ولا وَلَدًا، ولا أنقلُ مالاً من بلدٍ إلى بلد، حتى أَسَدَّ ذلك ألبلد وخصاصة^(٤) أهله بما يُغنيهم، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوَجُ إليه منه. وأن لا أَجْمَرَكم^(٥) في ثغوركم فأفْتِنَكم وأفتن أهاليكم، ولا أَغْلِقَ بابي دونكم فيأكل قوِيكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جَزْيَتِكُم ما أَجْلِيهِم به عن بلادهم وأقطع نسْلهم. ولكم عندي أعطياؤكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدروا المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم. فإذا أنا وفيتُ لكم فعليكم السمع والطاعة وحسنُ

(١) الفقع: كمأة البوض.

(٢) القرقر: الأرض المنخفضة.

(٣) جاء في نسخة أخرى «أطرى» بالألف المقصورة، بدلاً من «إطراء» بالهمزة.

(٤) الخصاصة: شدة الحاجة.

(٥) جَمَرَ البعث: حجزه وأبقاه وحبسه في مكانه.

المؤازرة والمكافئة^(١)، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعوني، إلا أن تستتيبوني فإن أنا تبئت قبلتكم مني، وإن عرفتم أحداً يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل في طاعته. أيها الناس، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصلبه. وكانوا يقرؤون في الكتب «يا مبدّر الكنوز، يا سجاداً بالأسحار، كانت ولايتك رحمة، وعليهم حجة، أخذك فصلبك».

خطبة يوسف بن عمر

قام خطيباً فقال: «تقوا الله عباد الله، فكم من مؤمل أملاً لا يبلغه، وجامع مالا لا يأكله، ومانع عما سوف يتركه، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراماً، وأورثه عدواً، فأحتمل إضره^(٢)، وباء بوزره، وورد على ربه أسفاً لاهفاً، قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين».

كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة والأحنف بن قيس عند عمر

بشار بن عبد الحميد عن أبي ريحانة قال: وفد هلال بن وكيع والأحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر. فقال هلال بن وكيع: «يا أمير المؤمنين، إنا لبأب من خلفنا وغرة من وراءنا من أهل مضرنا، فإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطينا والفرائض ليعيالنا يزيد ذلك الشريف تأمياً وتكن لذوي الأحساب أباً وصولاً، فإننا إن كنن - مع ما نمت^(٣) به من فضائلك ونذلي من أسبابك - كالجدة^(٤) الذي لا يحل ولا يرحل، نرجع بأنف مصلومة وجردود عائرة، فمحننا^(٥) وأهالينا بسجل من سجالك المترعة».

وقام زيد بن جبلة فقال: «يا أمير المؤمنين، سود الشريف وأكرم الحسيب، وأزرع عندنا من أيديك ما نسد به الخصاصة ونطرد به ألفاقة، فإننا بقف^(٦) من الأرض يابس الأكتاف مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع، وإننا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع».

فقام الأحنف فقال: «يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص فائد الحرمين، فاتق الله فيما لا يعني عنك يوم القيامة قتيلاً ولا قال، وأجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود وأستراحة الممتاح^(٧)، فإن كل أمرئ إنما

(١) المكافئة: المعاونة والمساعدة.

(٢) الإضر: الذنب.

(٣) نمت: تنصل.

(٤) الجدة: البئر القليلة الماء.

(٥) محنا: أعطنا، جاءت من الميح وهو العطاء.

(٦) القف: هو ما ارتفع من الأرض.

(٧) الممتاح: الطالب للرفد.

يجمع في وعائه، إلاَّ الأقلَّ ممن عسى أن تَفْتَحِمَهُ الْأَعْيُنُ، وتخونَهُمُ الْأَلْسُنُ، فلا يُوفَدُ إليك يا أمير المؤمنين».

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال: «يا أهلَ العراقِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قد اسْتَبْطَنَكُمْ فخالطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْعَصَبَ وَالْمَسَامِيعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَاءَ وَالشَّغَافَ، ثم أفضى إلى الْأَفْخَاخِ وَالْأَصْمَاحِ، ثُمَّ أَرْتَفَعَ فَعَشَّشَ، ثم باصَّ وْفَرَّخَ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً، وأشعركم خلافاً. أخذتموه دليلاً تَتَّبِعُونَهُ، وقائداً تُطِيعُونَهُ، ومُؤامِراً تَسْتَشِيرُونَهُ. فكيف تنفعكم تجربة؟ أو تعظكم وقعة؟ أو يحجركم إسلام، أو ينفعكم بيان؟ أَلَسْتُمْ أصحابي بِالْأَهْوَازِ؟ حيث رمتُمُ الْمَكْرَ، وسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ، وَاسْتَجْمَعْتُمُ لِلْكَفْرِ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته؟! وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تَسْلُلُونَ لِيْوَإِذَا^(١) وتهزمون سِراعاً. ثُمَّ يَوْمَ الزَّوَايَةِ، وما يومُ الزَّوَايَةِ؟! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءةُ الله منكم ونكوصُ وليكم عنكم، إذ ولَّيْتُمُ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أوطانها، ألنَّوَزَعِ إِلَى أعطانها^(٢)، لا يسألُ الْمَرْءُ عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيهِ، حتى عَضَّكُمْ وَالسَّلَاحَ وقَصَمَكُمْ وَالرِّمَاحَ. ثم يومَ دِيرِ الْجَمَاجِمِ، وما يومُ دِيرِ الْجَمَاجِمِ؟، بها كانت الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ، بضرب يُزِيلُ الْأَهَامَ عن مَقِيلِهِ، ويذهلُ الْخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ. يا أهلَ الْعِرَاقِ، أَلْكَفَرَاتُ بَعْدَ الْفُجَرَاتِ، وَالْغَدَرَاتُ بَعْدَ الْخِثَرَاتِ، وَالنِّزْوَةُ بَعْدَ الْنِزَوَاتِ. إِنْ بُعِثْتُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَّيْتُمْ وَخُثُّتُمْ، وَإِنْ أَمْنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ، وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ، لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة. هل اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ، أو اسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ، أو اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ، أو اسْتَعَصَدَكُمْ خَالِعٌ، إلاَّ تَبِعْتُمُوهُ وَأَوَيْتُمُوهُ، ونصرتُمُوهُ ورحبْتُمُوهُ. يا أهلَ الْعِرَاقِ هل شَغَبَ شَاغِبٌ أو نَعَبَ نَاعِبٌ أو زَفَرَ زَاغِرٌ إلاَّ كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ. يا أهلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ الْمَوَاعِظُ، أَلَمْ تَزَجِرْكُمْ أَلْوَقَائِعُ؟!

ثم أَلْتَفَتَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فقال: «يا أَهْلَ الشَّامِ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظِّلِّيمِ^(٣) الرامح عن فِراخِهِ، ينفي عنها الْمَدَرَ، وَيُبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ، ويَكْنُهَا^(٤) مِنَ الْمَطَرِ، ويَحْمِيهَا مِنَ الضُّبَابِ، وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ. يا أَهْلَ الشَّامِ، أَنْتُمْ الْجُنَّةُ^(٥) وَالرِّدَاءُ، وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْجِذَاءُ».

وقال رجل لحذيفة: «أخشى أن أكون مُنافقاً»، فقال: «لو كُنْتُ مُنَافِقاً لَمْ تَخْشَ

(١) لَوَاذًا: هرباً.

(٢) أعطانها: مرايحها حيث تستريح.

(٤) يَكْنُهَا: يحفظها يجعلها في ملجأ أمين.

(٥) الْجُنَّةُ: الترس، الوقاء.

(٣) الظِّلِّيم: ذكر النعام.

ذلك». وقال آخر: «إعلم أن المصيبة واحدة، إن صبرت، وإن لم تصبر فهما مصيبتان، ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك». وقال صالح بن عبد القدوس^(١):

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصِبتَ جَلِيلاً فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلٌ
وقال آخر: «تعزّ عن الشيء إذا مُنِعْتُهُ، لقلّة ما يصحبك إذا أُعْطِيَتْهُ. وما خفف الحساب وقُلُّهُ، خيرٌ مما كَثُرَ وثَقُلَ».

وقال: حدثنا أبو بكر الهمذلي وأسمه سلمى قال: «إذا جمع الطعامُ أربعاً فقد كَمُلَ: إذا كان حلالاً، وكثرت الأيدي عليه، وسمّى الله في أوله، وحمد في آخره».

خطبة زياد

وخطب زياد فقال: «أستوصوا بثلاثة منكم خيراً: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتيني شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلت به، ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به إلا انتقمْتُ له منه».

علي بن سليم قال: قال حاتم طي لعديّ ابنه: «أي بُنيّ، إن رأيت أن الشرّ يتركك إن تركته فأتركه». قال: وقال عديّ بن حاتم لابن له: قُمْ بِالْبَابِ فَأَمْنَعُ مَنْ لَا تَعْرِفُ وَأَذُنْ لِمَنْ تَعْرِفُ». قال: «لا والله، لا يكون أول شيء وليته من الدنيا منع قوم من طعامك». قال: وقال مديني لعبد الملك بن مروان، ودخل عيه بنوه: «أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك، وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك».

وقال ابن شبرمة: «ذهب العلم إلا عبارات^(٢) في أوعية سوء».

الهيثم بن عدي عن أبي عيَّاش عن أبيه قال: خرج الحجاج إلى الفارسان، فإذا هو بإعرابي في زرع، فقال له: «ممن أنت؟» قال: «من أهل عُمان». قال: «فمن أي القبائل؟» قال: «من الأزد» قال: ما علمك بالزرع؟ قال: «إني لأعلم من ذلك علماً». قال: فأَيُّ الزرع خير؟ قال: ما غُلِظَ قصبه، وأعتَمَ نبتُه، وعظمت جثثُه، وطالت سنبلُته». قال: «فأَيُّ العنب خير؟» قال: «ما غُلِظَ عموذُه، وأخضرَ عودُه، وعظُمَ عنقودُه». قال: «فما خيرُ التمر؟» قال: «ما غُلِظَ لحاؤُه، ودَقَّ نواه، وورقٌ سحاؤُه».

باب من اللغز في الجواب

قالوا: كان الحطيئة يرعى غنماً وفي يده عصا، فمرّ به رجل، فقال: «يا راعي

(١) هو: صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، مولا هم، أبو الفضل: شاعر حكيم، كان متكلماً، يعظ الناس في البصرة. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد سنة ١٦٠هـ = ٧٧٧م انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣٠٣/٩.

(٢) جاء في نسخة أخرى «عبارات» بالغين، ومعناها البقية من كل شيء بدلاً من «عبارات» بالعين.

الغنم، ما عندك؟ قال: «عجراً»^(١) من سَلَمَ يعني عصاه قال: «إني ضيف» قال: للضيفان أعددْهُمَا.

وقال ابن سليم: إن قيس بن سعد بن عبادة قال: «اللهم أرزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال».

قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة: أخرجوا إليّ رجلاً من عقلائكم. فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حبان بن نفيلة الغساني، وهو الذي بنى القصر، وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة. فقال له خالد: «من أين أقصى أترك؟» قال: من صُلب أبي. قال: فمن أين خرجت؟ قال: «من بطن أمي». قال: «فعلام أنت؟» قال «على الأرض». قال: «ففيّمْ أنت؟» قال: «في ثيابي» قال: «ما سيئك؟» قال: «عظم». قال: «أتعقل لا عقلت؟» قال: «أي والله وأقيد». قال: «أبن كم أنت؟» قال: «ابن رجل واحد». قال: «كم أتى عليك من الدهر؟» قال: «لو أتني على شيء لقتلني» قال: «ما تزيدني مسألتك إلا غمّاً». قال: «ما أجبتك إلا عن مسألتك». قال: «أعرب أنتم أم نبط؟» قال: «عرب أستنبطنا ونبط أستعربنا». قال: «فحرب أنتم أم سلم؟» قال: «سَلَم». قال: «فما بال هذه الحُصون؟» قال «بنيناها للسفيه، حتى يجيء الحليم فينهاه». قال: «كم أتت عليك سنة؟» قال: خمسون وثلاثمائة. قال: «ما أدركت؟» قال: «أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا الجرف، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها»^(٢) على رأسها ولا تتزوّد إلا رغيفاً واحداً، فلا تزال في قرى مخصبية متواترة حتى ترد الشام، ثم قد أصبحت خراباً يباباً، وذلك دأب الله في العباد والبلاد».

قال: وأتى أزهَر بن عبد الحارث رجل من بني يَرْبُوع فقال: «ألا أدخل؟» قال: «وراءك أوسع لك». فقال: «إن الشمس أحرقت رجلي». قال: «بل عليهما تبردا» قال: «يا آل يربوع» قال: «ذليلاً دعوت. يا بني حريص أطعمنكم عاماً أول جلة فأكلتم جلتكم وأغرتم على جلة الضيفان».

قال: وقال الحجاج لرجل من الخوارج: «أجمعت القرآن؟» قال: «أمتفرقاً كان فأجمعه؟!» قال: «أتقرأ ظاهراً؟» قال: «بل أقرؤه وأنا أنظر إليه». قال: «أتحفظه؟» قال: «أخشيتُ فراره فأحفظه؟!» قال: «ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك؟» قال: «لعنه الله ولعنك معه». قال: «إنك مقتول فكيف تلقى الله؟» قال: «ألقاه بعملتي وتلقاه بدمي».

وقال لقمان لأبيه، وهو يعظه: «يا بُني، إزحم العلماء بركبتك، ولا تجادلهم فيمقتوك. وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كلَّ

(٢) مكتلها: مأكلها.

(١) العجرا: الكثيرة العقد.

الرَّفْضُ فَتَكُونُ عِيَالاً وَعَلَى أَعْنَاقِ الرِّجَالِ كَلًّا، وَصُمْ يَوْمًا يَكْسِرُ شَهْوَتَكَ، وَلَا تَصُمْ يَوْمًا يَضُرُّ بِصَلَوَاتِكَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ. وَكَانَ كَالأَبِ لِلْيَتِيمِ، وَكَالزَّوْجِ لِلْأَرْمَلَةِ، وَلَا تَحَابُّ الْقَرِيبَ وَلَا تَجَالِسِ السَّفِيهَ، وَلَا تَخَالِطْ ذَا الْوَجْهِينِ أَلْبَتَّةَ.

وَسَمِعَ الْأَحْنَفَ رَجُلًا يُطْرِي يَزِيدَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ اسْتَحْفَرَ^(١) فِي ذِمَّهِمَا، فَقَالَ الْأَحْنَفُ: «مَهْ، إِنْ ذَا الْوَجْهِينِ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا». وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ: «لَأَنْ يَكُونَ لِي نَصْفُ وَجْهِهِ وَنَصْفُ لِسَانِهِ - عَلَى مَا فِيهِمَا مِنْ قَبْحِ الْمَنْظَرِ وَعَجْزِ الْمَخْبَرِ - أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ».

وَقَالَ أَيُّوبُ السَّخْتْيَانِيُّ: «النَّمَامُ ذُو الْوَجْهِينِ أَحْسَنُ الْأَسْتِمَاعِ وَخَالَفَ فِي الْإِبْلَاحِ». حَفْصُ بْنُ صَالِحٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ بَكْتَابٍ فِي الْقَضَاءِ لَمْ أَلِكْ وَنَفْسِي فِيهِ خَيْرًا. الْزَمْ خَمْسَ خِصَالٍ يَسْلُمُ لَكَ دِينُكَ وَتَأْخُذُ فِيهِ بِأَفْضَلِ حَظِّكَ: إِذَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَعَلَيْكَ بِالْبَيِّنَةِ الْعَادِلَةِ وَالْيَمِينِ الْقَاطِعَةِ، وَأَذِنَ الضَّعِيفَ حَتَّى يَشْتَدَّ قَلْبُهُ وَيَنْبَسِطَ لِسَانُهُ، وَتَعَهَّدَ الْغَرِيبَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَهَّدْهُ تَرَكَ حَقَّهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَإِنَّمَا ضَيَّعَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ، وَأَسْرَبَ بَيْنَهُمْ فِي لِحْظِكَ وَطَرْفِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْصَّلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ مَا لَمْ يَسْتَبِنْ لَكَ فَضْلُ الْقَضَاءِ».

أَبُو يَوْسُفَ عَنِ الْعِرْزَمِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ شُرَيْحٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - كَتَبَ إِلَيْهِ: «لَا تَشَارَ وَلَا تُمَارَ وَلَا تَبْغَ وَلَا تَبْتَغَ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانٌ».

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «إِذَا كَانَ فِي الْقَاضِي خَمْسُ خِصَالٍ فَقَدْ كَمُلَ: عِلْمٌ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَنِزَاهَةٌ عَنِ الطَّمَعِ، وَحِلْمٌ عَنِ الْخَصْمِ، وَأَقْتِدَاءٌ بِالْأَثَمَةِ، وَمَشَاوَرَةٌ أَهْلَ الرَّأْيِ». قَالَ الْأَهْلَالِيُّ: لَمَّا وَلَّى يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ سَلَّمَ بْنُ زِيَادٍ عَلَى خُرَّاسَانَ قَالَ لَهُ: «إِنَّ أَبَاكَ كَفَى أَخَاهُ عَظِيمًا وَقَدْ اسْتَكْفَيْتُكَ صَغِيرًا، فَلَا تَتَكَلَّنْ عَلَى عَذْرِ مَنِي لَكَ فَقَدْ أَتَكَلَّتْ عَلَى كَفَايَةِ مَنِكَ. وَإِيَّاكَ مَنِي قَبْلَ أَنْ أَقُولَ إِيَّايَ مَنِكَ، فَإِنَّ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ مِنْكَ أَخْلَفَ مَنِي فِيكَ. وَأَنْتَ فِي أَدْنَى حَظِّكَ فَأَطْلُبْ أَقْصَاهُ. وَقَدْ أَتَعَبَكَ أَبُوكَ فَلَا تُرِيحَنَّ نَفْسَكَ، وَكَنْ لِنَفْسِكَ تَكُنْ لَكَ، وَأَذْكُرْ فِي يَوْمِكَ أَحَادِيثَ غَدِكَ تَسْعُدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

وَمِمَّا قَالُوا فِي التَّشْدِيقِ وَفِي ذِكْرِ الْأَشْدَاقِ، قَالَ الْأَمَازِنِيُّ:

[الكامل]

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ^(٢) أَنْ بَشَرًا مُلْصَقًا^(٣) فَالَلَّهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

(١) اسحفنفر: مضى.

(٢) جاء في نسخة أخرى «يعلم» بدلاً من «يزعم».

(٣) المملصق: هو من يدعي النسب إلى قوم ما.

يُنْبِيكَ نَاطِرُهُ وَقِلَّةُ لَحْمِهِ
إِنَّ الصَّرِيحَ الْمَحْضَ فِيهِ دَلَالَةٌ
أَمَّا لِسَانُكَ وَأَحْتِبَاؤُكَ قَاعِدًا
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَقَالُهُمْ
وفي مثل ذلك يقول مورك العبدى:

[الرجز]

قَدْ عَلِمَ الْعَرَبِيُّ وَالْمُشْرِقُ
عُودَاكَ نَبْعٌ وَهَشِيمٌ بَورِقُ^(١)
وَأَنْتَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقُ
وَصَاحِبٌ جَمُّ الْحَدِيثِ مُونِقُ
كَيْفَ الْفَوَاتُ وَالْمَطْلُوبُ مَورِقُ؟
وَحُنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتُ مُضَلِقُ
وَشَاعِرٌ بَاقِي الرُّسُومِ^(٢) مُفْلِقُ
وَشَاوِرٌ فِيهِ وَلَوْ أَسْحَمُ
وَالْعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
فَزَرَارَةُ الْعُدْسِيِّ عِنْدَكَ أَعْجَمُ
زُورًا وَشَانِيكَ الْحَسُودُ الْمُرْغَمُ

باب في صفة الرائد للغيث وفي نعتيه للأرض

قال أبو المجيب: وصف رائد أرضاً جذبة فقال: «أَغْبَرَتْ جَادَتْهَا، وَذَرَعَ مَرْتَعُهَا، وَقَضَمَ شَجَرُهَا، وَرَقَّتْ كِرْشُهَا، وَخَوَرَ عَظْمُهَا، وَالتَقَى سَرَحَاهَا، وَتَمَيَّزَ أَهْلُهَا، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ»^(٥)، وأموالهم ألْهَزَلُ.

قال: الجادة^(٦): الطريق إلى الماء، والجمع جَوَادٍ. والتقى سرحها يقول: إذا أكل كل سارح ما يليه ألتقيا عند الماء. وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت أكرأشهُ. وقوله تميَّزَ أهلها تفرقوا في طلب الكلاء. ومرتع مذرع^(٧) إذا كان بعيداً من الماء، ومرتع قاصر إذا كان قريباً من الماء، ويقولون كلاً قاصر للقريب، ويقولون ماء مُطْنِبٌ وماء مُطْلَبٌ إذا ألجأهم إلى طلبه من بعده.

(١) جاء في نسخة أخرى «بروق»، وهو نبت ضعيف له ثمر أسود صغير، يضرب به المثل في الضعف بدلاً من «بورق».

(٢) القحمة: المسنة. (٣) الدردق: الصبيان.

(٤) جاء في نسخة أخرى «الوسوم» بدلاً من «الرسوم». (٥) الوهل: الوجل والفرع.

(٦) جاء في نسخة أخرى «الجادة والحرجة والمجبة» معناه كله: «وسط الطريق ومعظمه ومنهجه». وكل هذا غير موجود في هذه النسخة.

(٧) جاء في نسخة أخرى: «مذرع» بالذال بدلاً من «مذرع» بالذال.

شذرات في وصف النبات والماء :

ووصف أعرابي أرضاً أحمدَهَا فقال: «خَلَعَ شَيْخُهَا، وَأَبْقَلَ رِثْمُهَا»^(١) وخَضَبَ عَرَفْجُهَا^(٢)، وَأَتَسَّقَ نَبْتُهَا، وَأَخْضَرَّتْ قَرِيَانُهَا^(٣)، وَأَخْوصَتْ بَطْنَانُهَا^(٤)، وَأَحْلَسَتْ أَكْمَامُهَا^(٥)، وَأَعْتَمَّ^(٦) نَبْتُ جَرَائِمِهَا، وَأَجَرَتْ بَقْلُتُهَا وَذَرْقَتُهَا^(٧) وَخَبَازَتُهَا، وَأَحَوَّرَتْ خَوَاصِرُ إِبِلِهَا، وَشَكَرَتْ حَلَوْبَتُهَا، وَسَمِنَتْ قَتُوبَتُهَا^(٨)، وَعَمَد ثَرَاهَا، وَعَقَدَتْ تَنَاهِيَهَا، وَأَمَاهَتْ^(٩) ثَمَارَهَا^(١٠)، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَائِرِهَا.

قال: ويُقال خلع الشيخ إذا أَوَّرَقَ، أَلْخَالَعُ مِنَ الْعِضَاءِ الَّذِي لَا يَسْقُطُ وَرْقُهُ أَبَدًا وكذلك أَلْسَدُ لَا يَتَجَرَّدُ، وكل شجر له شوك فهو عِضَاءٌ، والواحد عِضْءٌ إِلَّا أَلْقَتَادَ، وَلَا يَعْجَلُ إِلَّا الْأَرطَى. ويقال كَلَحَ الشَّجَرُ إذا أَخْوصَتْ بَطْنَانُهَا إذا نَبَتَ فِيهِ فُضْبَانٌ رِقاق. وَخَضَبَ عَرَفْجُهَا يَقُولُ أَسْوَدُ. وَأَخْوصَ الشَّجَرُ وَهُوَ الَّذِي لَا شَوْكَ لَهُ، وَمِنَ الْعِضَاءِ قِشْرُهُ وَقِصْدُهُ، فَإِذَا يَبَسَتْ فَهِيَ عَنُود. أَتَسَّقَ نَبْتُهَا أَي تَتَأَمَّ. أَجَرَتْ بَقْلُتُهَا أَي نَبَتَ فِيهَا مِثْلُ الْجِرَاءِ جَمْعُ جَرَوْ. وَالْعَلْفَةُ ثَمَرَةُ الطَّلْحِ وَالْحَبْلَةُ لِلسَّلَمِ. وَأَحَوَّرَتْ خَوَاصِرَ إِبِلِهَا: تَشَدُّ أَحْنَاهَا عَلَى خَوَاصِرِهَا كَي لَا تَحْبُطَ، وَالْحَبْطُ انْتِفَاحُ بَطْنِهَا مِنْ مَرَعَى تَرَعَاهُ، قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَضُرُّ الْعَبْطُ؟ قَالَ: نَعَمْ. كَمَا يَضُرُّ الْحَبْطُ. وَشَكَرَتْ يَقُولُ غَزَرَتْ. وَقَوْلُهُ عَمَدُ ثَرَاهَا وَذَلِكَ إِذَا قَبِضَتْ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ فَتَعْقَدُ وَاجْتَمَعَ مِنْ نَدْوَتِهِ، يُقَالُ عَمَدُ الثَّرَى يَعْمَدُ عَمْدًا وَهُوَ ثَرَى عَمَدٍ، فَالْعَمَدُ أَنْ يَجَاوِزَ الثَّرَى الْمُنْكَبَ، وَهُوَ أَنْ تَقِيسَ السَّمَاءَ بِالْمِزْفَقِ، فَيَقُولُ بَلَّغْتَ وَضَحَ الْكَفِّ ثُمَّ أَلْرَسَغَ ثُمَّ الْعِظْمَةُ ثُمَّ الْمِزْفَقُ ثُمَّ يُنْصَفُ الْعِصْدُ ثُمَّ يَبْلُغُ الْمُنْكَبَ، فَإِذَا بَلَغَ الْمُنْكَبَ قِيلَ: عَمَدُ الثَّرَى، فَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ حَيَا سَنِينَ. وَالتَّنَاهِي وَاحِدَتُهَا تَنْهِيَةٌ، وَهُوَ مُسْتَقَرُّ السَّيْلِ، وَعَقْدُهَا أَنْ يَمُرَّ السَّيْلُ مُقْبِلًا حَتَّى إِذَا أَنْتَهَى مُنْتَهَاهُ دَارَ بِأَلْبَطَحٍ حَتَّى يَلْتَقِيَ طَرَفَا السَّيْلِ. وَالْأَصَائِرُ أَلْكَأُ وَالْمَاءُ.

قالوا: قَاتَلَ الْحِجَااجُ أَبْنَ الْأَشْعَثِ فِي الْمَرْبَدِ فَخَطَبَ ابْنَ الْأَشْعَثِ النَّاسَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَدُوِّكُمْ إِلَّا كَمَا يَبْقَى مِنْ ذَنْبِ الْوَزْغَةِ تَضْرِبُ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالًا، فَمَا

- (١) رَمَتْهَا: مَرَعَى الْإِبِلِ، وَالرَّمْثُ أَيْضًا: ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ شَبِيهِ بِالْغُضَا.
- (٢) الْعَرَفْجُ: شَجَرٌ سَهْلِي.
- (٣) الْقَرْبَانُ: مَجْرَى الْمَاءِ فِي الرُّوْضِ.
- (٤) الْبَطْنَانُ: هُوَ مَا غَمَضَ مِنَ الْأَرْضِ.
- (٥) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «وَأَسْتَحْلَسَتْ أَكْمَامُهَا»، وَمَعْنَى اسْتَحْلَسَ: أَخْضَرَ بَدَلًا مِنْ «أَحْلَسَتْ أَكْمَامُهَا».
- (٦) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «أَعْتَمَّ» بِالتَّاءِ بَدَلًا مِنْ «أَعْتَمَّ» بِالنُّونِ، وَمَعْنَاهَا أَبْطَأَ.
- (٧) الذَّرَقُ: نَبْتُ الْخَبَازَةِ.
- (٨) أَقْتَابُ الْإِبِلِ: هِيَ أَكَافُ صِغَارٍ عَلَى قَدَرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ.
- (٩) أَمَاهَتْ: كَثُرَ مَاؤُهَا.
- (١٠) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «ثَمَادَهَا» بِالذَّالِ، وَمَعْنَاهَا: الْحَفَرَاتُ. بَدَلًا مِنْ «ثَمَارَهَا» بِالرَّاءِ.

تلبث إلا أن تموت» فمرّ به رجل من بني قشير فقال: قبح الله هذا ورأيه، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس، ويعدّهم الأضاليل، ويُمْنِيهم الباطل. وناس كثيرٌ يروُن أنَّ ابن الأشعث هو المحسن دون القشيري. قال بشار:

[الطويل]

وَحَمْدُ كَعْصَبِ الْبُرْدِ حَمَلْتُ صَاحِبِي إِلَى مَلِكٍ لِلصَّالِحَاتِ قَرِينِ

وقال آخر:

[الطويل]

وَبِكْرِ كُنُوزِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَرُوقُ^(١) بِوَجْهِ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

أبو الحسن كان معاوية يأذن للأحنف أول من يأذن له. فأذن له يوماً ثم أذن لمحمد بن الأشعث حتى جلس بين معاوية والأحنف، فقال له معاوية: «لقد أحسنت من نفسك ذلاً، إنّي لم آذن له قبلك إلا ليكونَ إليّ في المجلس دونك، وإنّا كما نملك أموركم نملك تأديبكم، فأريدوا ما يُراد بكم فإنّه أبقي لنعمتكم وأحسن لأدبكم».

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأصيل الخزاعي: «يا أصيل، كيف تركت مكة؟» قال: «تركناها وقد أحجن^(٢) ثامها، وأمشر^(٣) سلمها، وأعذق^(٤) أذخرها». فقال عليه السلام: «دع القلوب تقر».

قال: وسأل أبو زياد الكلابي الصقيل العقيلي حين قدم من البادية عن طريقه فقال: «انصرفت من الحج فأصعدت إلى الرَبْذَةِ^(٥) في مقاط الحرة ووجدت بها صلالاً^(٦) من الربيع من خضيمة^(٧) خمص وصليان وقرمل حتى لو شئت لأنخت إبلي في أذن القفعاء، فلم أزل في مرعى لا أحسن منه شيئاً حتى بلغت أهلي».

وقال سلام الكلابي: «رأيت ببطن فلج منظرًا من الكلا لا أنساه، ووجدت ألفصراء والحمراء^(٨) يضربان نحور الإبل، تحتهما قفعاء وحريث، قد أطاع، وأمسك بأفواه الماء - أي لا تقدر أن ترفع رأسها - وتركت الحُوران^(٩) ناقة^(١٠) في الأجارع^(١١) وذم أرضاً فقال: «وجدنا أرضاً ماحلة مثل جلد الأجر، تصيء حيأتها ولا يسكت ذبيها، ولا يقيد راكبها».

(١) جاء في نسخة أخرى «يروق» بالياء بدلاً من «تروق» بالتاء.

(٢) أحجن: بدا ورقه. (٣) أمشر: خرج الورق واكتسى به.

(٤) أعذق: أزهر. (٥) الربذة: هي إحدى قرى المدينة.

(٦) الصلال: أغمار من العشب. (٧) الخضيمة: النبات الأخضر.

(٨) جاء في نسخة أخرى «الخزامى» بدلاً من «الحمراء».

(٩) الحوران: ولد الناقة وقت الرضاع. (١٠) ناقة: راوية.

(١١) الأجارع: الرملة السهلة.

وقال النَّصْرُ: قلت لأبي الخضير: «ما أعجب ما رأيت من الخصب؟» قال: «كنت أشرب ريثة تجرُّها الشفتان جرّاً، وقارصاً ممارصاً^(١) إذ تجشأتُ جدّع أنفي. ورأيت الكمأة تدرسها^(٢) الأبل بمنسَمِها، والوَصْر يشمُّه الكلب فيعطس».

قال الأصمعي: قال المُنتَجِعُ بنُ نبهان؛ قال رجل من أهل البادية: «كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة فيشمّها ويمضي عنها».

محمد بن كُنَاسة قال: أخبرني بعض فصحاء أعراب طيء قال: بعث قوم رائداً. فقالوا: ما وراءك. قال: «عشب وتعاشيب، وكماة متفرقة شيب، تقلعها بأخفافها النيب»^(٣). قالوا: لم تصنع شيئاً، هذا كذب. فأرسلوا آخر، فقالوا: ما وراءك. قال: «عشب ثأدمأد^(٤)، مولي وعهد^(٥)، متبارك جعد^(٦)، كأفخاذ نساء بني سعد، تشبع منه الأناب وهي تعد». وقال: لأنّ الأنبت إذا كان قليلاً وقفت عليه الأبل، وإذا كان كثيراً أمكنها الأكل وهي تعدو.

وقالوا: بعث رجل أولاده يرتادون في خِصْب، فقال أحدهم: «رأيت بَقْلاً، وماء غَيْلاً، يسيل سَيْلاً، وخُوصة تميل مَيْلاً، يحسبها الرائد ليلاً». وقال الثاني: «رأيت دِمْةً على دِمْة في عهد^(٧) غير قديمة، وكلاً تشبع منها الأناب قبل العظيمة».

وقال أبو مُجيب: قيل لأوفى بن عبيد: إئت وادي كذا وكذا فأرته لنا. فقال «وجدت به خُشباً هرْمى، وعشباً شَرْمى» قال: وألهرمى الذي ليس له دُخان إذا أوقد من ييسه وقدمه. والشَرْمى: العُشب الضَّخْمُ يقال: هذا عُشب شَرْمٌ.

وقال هرْم بنُ زيد الكلبي إذا أحيا الناس. قيل: «قد أكلت الأرض وأخر نفشت العنز لأختها ولحس الكلب الوصر».

وقال: آخر نفاش العنز أن ينتفش شعرها، وتنصب رَوْقيها في أحد شِقِّيها لينطح صاحبته، وإنّما ذلك من الأشر، حين أزدَهَتْ وأعجبتها أنفسها. ولحس الكلب الوصر لما يفضلون منه لأنهم في الجذب لا يدعون للكلب شيئاً يلحسه.

قال أبو مُجيب إذا أجذب الرائد، قال: «وجدت أرضاً أرمى وأرضاً عَشْمى». فأما العَشْمى فآلتى يرى فيها الشجر الأعشم، وإنّما يعيش من الهبوة، ويُقال للشيخ: إنّما هو

(١) جاء في نسخة أخرى «قمارصاً» بالقاف بدلاً من «ممارصاً».

(٢) جاء في نسخة أخرى «تدوسها» بالواو بدلاً من «تدرسها» بالراء.

(٣) النيب: النياق المستة.

(٤) ثأدمأد: عشب لين، ناعم.

(٥) العهد: المطر بعد المطر.

(٦) الجعد: المجتمع بعضه إلى بعض.

(٧) جاء في نسخة أخرى «عهد» بالألف، ومعناها: الحديث بدلاً من «عهد».

عَشْمَةً. لاستشنان جلده، وجوف رأسه، وثلوب جسمه. فأما الأرمى فآلتي أَرَمْتُ فليس فيها أصل شجرة.

قال أبو عبيدة: قال بعض الأعراب: «تركت جَرَاداً عَرَاداً كأنَّها نعامَةٌ باركة» يُريد التَّفاف نبتُها وهي من نبت بلاد تميم.

وقيل لأعرابي: ما وراءك؟ قال: «خَلَفْتُ أرضاً تَظْلُم معزاها» يقول: سَمِئَتْ وَأَشْرَتْ فَتَظَالَمَتْ. وتقول العرب: ليس أظلم من حيّة، وتقول العرب: «ليس أظلم من وَرَلٍ»، و «أظلم من ذئب»، كما تقول: «أعْدِرُ من ذئب»، وكما تقول: «أَكْسَبُ من ذئب»، قال الأسدِيُّ:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ لَوْ أَنِّي أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقَعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقَعَسُ
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَتَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لآخر يَقْبِسُ
فَمَا لَكُمْ طُلَساً إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ ذَنَابُ الْعَصَا وَالذَّنْبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ
وقال الفزاري:

[البسيط]

وَلَوْ أَخَاصِمُ أَفَعَى نَابُهَا لَشَقَّ^(١) أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ
وَلَوْ أَخَاصِمُ ذُنْباً فِي أَكِيلَتِهِ^(٢) لَجَاءَنِي جَمْعُهُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّيْبِ

يقول: بَلَغَ من ظُلْمِ قَوْمِنَا لَنَا إِنْ لَوْ خَاصِمْنَا الذَّنَابَ وَالْحَيَاتِ - وبها يضربون المثل في الظلم - لقضوا لهما علينا

وقالت العرب: «إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ». هذا في قلة العشب، وإنَّما تلحسه الناقة لقلته وقصره.

وحدثنا أبو زياد الكلابيُّ قال: بعث قوم رائداً لهم بعد سنين تتابعت عليهم، فلما رجع إليهم قالوا: ما وراءك؟ قال: «رَأَيْتُ بَقْلاً يَشْبَعُ مِنْهُ الْجَمَلُ الْبَرُوكُ، وَتَشَكَّتْ مِنْهُ النِّسَاءُ، وَهَمَّ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ».

قال: أَمَا قَوْلُهُ: الْجَمَلُ الْبَرُوكُ يَقُولُ لَوْ قَامَ قَائِماً لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْهُ لِقَصْرِهِ. وَأَمَا قَوْلُهُ وَتَشَكَّتْ مِنْهُ النِّسَاءُ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّكْوَةِ جَمْعُ الشَّكْوَةِ وَالشَّكْوَةُ: مَسْكُ السَّخْلَةِ مَا دَامَتْ تَرْضَعُ، وَالشَّكَاءُ أَصْغَرُ الْوُطَابِ. يَقُولُ لَمْ يَكْثِرِ اللَّبَنُ بَعْدَ فَيْمَخْضٍ فِي الْوُطَابِ. وَقَوْلُهُ: «وَهَمَّ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ» أَيُّ هَمٍّ أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ كَمَا يَصْنَعُونَ فِي أَيَّامِ الْخَضْبِ.

وقال غيره: «الْخَضْبُ يَدْعُو إِلَى طَلَبِ الطَّوَائِلِ، وَغَزْوِ الْجِيرَانِ، وَإِلَى أَنْ يَأْكُلَ

(٢) الْأَكِيلَةُ: الشاة تنصب له فخاً ليعود إليها.

(١) لَشَقَّ: مبتل.

أَلْقَوِيَّ مِنْ هُوَ أَوْضَعُ مِنْهُ». وقالوا في الْكَلَا: «كَلَا تشبع منه الْإِبِلُ معقلة». وكَلَا حابس فيه كمرسِل. يقول: من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها. وتقول كَلَا يتجع^(١) منه كبد المصرم^(٢). وأنشد الباهلي:

[الرجز]

ثُمَّ مُطِرْنَا مَطَرَةً رَوِيَّهَ فَنَبَتَ الْبَقْلُ وَلَا رَعِيَّهَ
وأنشد الأصمعي:

فَجَنَّبَكَ الْجُيُوشَ أَبَا زُنَيْبٍ وَجَادَ عَلَى مَسَارِحِكَ السَّحَابُ

يجوز أن يكون دعاء عليه. وأن يكون دعاء له. وقال الآخر:

[الرجز]

أَمْرَعَتِ الْأَرْضُ لَوْ أَنَّ مَالًا لَوْ أَنَّ نُوقَالَكَ أَوْ جِمَالًا أَوْ ثَلَّةً مِنْ غَنَمٍ إِمْلَا
وقال ابن الأعرابي: سأل الحجاج رجلاً قدم من الحجاز عن المَطر فقال: «تتابع علينا الْأَسْمِيَّةُ^(٣)، حتى منعَتِ السُّفَارَ، وظالمَتِ الْمِعْزَى، وأَحْثَلَتِ الدَّرَّةُ بالجرة».

لقيط قال: دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر، فقال: «ما أصابني من مطر، ولكنني سمعت رائداً يقول: «هلم أظعنكم إلى محلة تطفأ فيها النيران، وتتنافس فيها المِعْزَى، وتبقى بها الجرة، حتى تنزل الدرة».

أبو زيد قال: تخاصمت امرأتان إلى ابنة الْخُسِّ في مراعي أبييهما، فقالت الأولى: «إبل أبي ترعى الْأَسْلِيحَ»^(٤). قالت ابنة الْخُسِّ: «رغوة وصريح، وسِنَامٌ أَطْرِيحُ»^(٥). قالت الأخرى: «مرعى إبل أبي الْحَلَّةِ». قالت ابنة الْخُسِّ: «سريعة الدرة وَالْجَرَّةُ».

وقال الْأَخْوَصُ بْنُ جَعْفَرٍ بعد ما كبر وعمي وبنوه يسوقون به: «أَيُّ شَيْءٍ تَرْتَعِي الْإِبِلُ؟» قالوا: «عرف أَلْتَمَامَ وَالضَّغَةَ». قال: «سوقوا». ثم إنها عادت فأرتعت بمكانٍ آخَرَ فقال: «أَيُّ شَيْءٍ تَرْتَعِي الْإِبِلُ؟» قالوا: «الْعِضَاءُ وَالْقَضَّةُ»^(٦). قال: «عَوْدٌ عَوِيدٌ شَبْعٌ بعيد». وقال: «سوقوا». حتى إذا بلغوا بلداً آخَرَ، قال: «أَيُّ شَيْءٍ تَرْتَعِي الْإِبِلُ؟» قالوا: «نَصِيًّا وَصِلْيَانًا». قال «مكفية لرعائها، مطولة لذراها، وَأَرْعَوُ وَأَشْبَعُوا». ثم سألهم فقال: «أَيُّ شَيْءٍ تَرْتَعِي الْإِبِلُ؟» قالوا: «الرَّمْثُ». قال: «خَلَقْتُ مِنْهُ وَخَلَقَ مِنْهَا».

قال أبو صاعد: وزعم الناس أن أول ما خلقت الْإِبِلُ مِنَ الرَّمْثِ، وعلمة ذلك أنك لا ترى دابة تُريده إلا الْإِبِلَ.

(١) يتجع: يلحقها الوجع. (٢) المصرم: القليل المال.

(٣) الأسمية: المطر.

(٤) الأسليح: هو نبت يجعل الإبل تسليح إذا أكثر الأكل منه.

(٥) الأطريح: هو الذي مال في أحد شذقيه. (٦) القضة: نبتة سهلية.

قال: وقيل لرؤبة: «ما وراءك» قال: «أثرى يابس، والمرعى عابس» .
 قال: وقالت امرأة من الأعراب: «أصبحنا ما يرقد لنا فرس، وما ينام لنا حرس» .
 قالوا: كان أبو المُجيب كثيراً ما يقول: «لا أرى امرأة تصبر عينيها، ولا شريفاً يهنأ بعيداً»^(١)، ولا امرأة تلبس نطاق يمنية» .
 وخطب بلال بن أبي بردة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه، فقال: «لا يمنعكم سوء ما تعلمون من أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا» .
 قال: وقال عمر بن عبد العزيز: «ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم؟» .

وقال غيلان أبو مروان: «إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب» .
 قال رجل من بني سليم، وسأله الحجاج عن المطر، فقال: «أصابتنا سحائب ثلاث سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كibar فكان الصغار للكبار لحمة. ثم أصابتنا الثانية بسوء، فلبدت الدماث»^(٢)، ورحضت»^(٣) العزاز»^(٤)، وأسالت التلاع، وحرقت الرجع، وصدعت الكماة عن أماكنها. ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين، فمالت الأحاد»^(٥) وأعمت كل وادٍ، وأقبلنا في ماء بحر الضبع ويستخرجها من وجارها»^(٦) .
 وقال رجل من بني أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال: «ظهر الإعصار، وكثر الغبار، وأكل ما أشرف من الخبئة، وأيقنا أنه عام سنة» .
 قال أبو الحسن بن العتّاب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الإسكندر كان لا يدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مرّ بمدينة كان مؤدّبه فيها فخرج إليه فألفظه الإسكندر وأعظمه، فقال له: «أيها الملك، إن أحق من زين لك أمرك وأتاك على كل ما هوئت لأنا، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك، وأحب أن لا تشفعني فيهم وأن تُخالفني في كل ما سألتك لهم» . فأعطاه من ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال: «فإن حاجتي أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها» . قال: «ليس إلى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك» .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - : «أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج» .

(١) هنا البعير: طلاه بالفطران .

(٢) الدماث: السهول .

(٣) جاء في نسخة أخرى «رحضت» بالذال، ومعناها جعلت الأرض مزقة بدلاً من «رحضت» بالراء .

(٤) العزاز: هو ما غلظ من الأرض .

(٥) جاء في نسخة أخرى «الأخاذ» بالخاء والذال، ومعناها «النهر» بدلاً من «الأحاد» .

(٦) الوجار: حجر الضبع .

وقال يزيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، وقد طال عليه حبس الحجاج: «والهفاه على فرج في جبهة أسد، وطلبة بمائة ألف».

قال الْأَصْمَعِيُّ: دخل درستُ بْنُ رِبَاطِ الْفَقْهِيِّ^(١) على بلال بن أبي بردة، وهو في الحبس، فعلم بلال أنه شامِتٌ به، فقال بلال: «ما يَسْرُنِي بنصيبِي مِنْ أَلْكَرِه حَمْرُ النَّعَم». فقال درست: «فقد أكثر الله لك منه».

قال ألْهَيْثَمُ بن عدي: كان سجان يوسفُ بْنُ عَمَرَ يرفع إلى يوسفَ بنِ عَمَرَ أسماء الموتى، فقال له عبد الله بْنُ أَبِي بَرْدَةَ بنِ أَبِي موسى الْأَشْعَرِي: اقْبِضْ هذه الْعَشْرَةَ أَلْآلاف درهم وأرفع اسمي في الموتى، قال فرفع اسمه في الموتى، فقال يوسفُ بْنُ عَمَرٍ: «جَنَنِي بِهِ». فرفع إليه فأعلمه فقال: «ويحكِ اتَّقِ اللَّهَ فِيَّ فَإِنِّي أَخَافُ الْقَتْلَ». قال: وأنا أيضاً أخاف ما تخاف». ثم قال: «قتلُك أهُونُ من قتلي، ولا بُدَّ من قتلِك» فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال.

وأما عبد الله بْنُ الْمَقْفَعِ، فإن صاحب الاستخراج لَمَّا أَلَحَّ عليه في العذاب، قال لصاحب الاستخراج: «أعندك مالٌ؟ وأنا أُزِيحُكَ رِيحاً ترضاه، وقد عرفت وفائي وسخائي وكيتماني، فعيني مقدار هذا النجم» فأجابه إلى ذلك، فلما صار عليه مالٌ ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله.

وقال رجل لعمرُو الْغَزَالِ: «مررتُ بك الْبَارِحَةَ وأنت تقرأ». قال: «لو أخبرتني أي آية كنت فيها لأخبرتُك كم بقي من الليل».

وسمع مورِجُ الْبَصْرِيِّ رجلاً يقول: «أمير المؤمنين يردّ على المظلوم». فرجع إلى مصحفه فردّ على براءة بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

وكان عبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه يعطش، وقيل له: إن شربتَ الْمَاءَ مِتَّ. فأقبل ذاتَ يوم بعضُ الْعَوَادِ فقال: كيف حال أمير المؤمنين؟ قال: أنا صالح الحمد لله. ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

وَمُسْتَخْبِرٌ عَنَّا يُرِيدُ بِنَا الرَّدَى وَمُسْتَخْبِرَاتٍ وَالْعُيُونُ سَوَاجِمُ

وَيَلْكُمْ وَأَسْقُونِي مَاءً وَلَوْ كَانَ فِيهِ تَلْفٌ نَفْسِي. فشرب ثم مات.

وكان حبيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ الْفَهْرِيِّ رجلاً غراءً للترك، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته، فقالت له امرأته «أين موعدُك؟» قال: «سراذق أَلْطَاغِيَّة، أو الْجَنَّةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) جاء في نسخة أخرى «الفيقيمي» بالميم بدلاً من «الفقهي» بالهاء.

(٢) أي أنه أضاف «بسم الله الرحمن الرحيم» إلى سورة براءة، لأنها لا تُبتدأ بالبسملة.

تعالى» قالت: «إني لأرجو أسبقك إلى أيّ الموضعين كنت به». فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تُقاتل أترك.

ولما مدح الكميت بن زيد الأسديّ مخلد بن يزيد بن المهلب قال له ابن بيض: «إنك يا أبا ألمستهل لكالجالب أثمر إلى هجر». قال: «نعم، ولكن تمرنا أجود من تمركم».

وكان السيد الحميريّ مؤلّعاً بالشراب فمدح أميراً من أمراء الأهواز، ثم صار إليه بمدح له، فلم يصل إليه وأغبّ الشراب، فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل إليه فجلس من بعد، فقربه وشم منه ريح الشراب فقال له: «ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا؟ ولكن يُحتمل لمادح آل رسول الله أكثر من هذا» يمازحه. ثم قال: «يا جارية، هلمّي الدواة». ثم كتب إلى بعض وكلائه: «إدفع إلى أبي هاشم مائتي دورق ميتحنجا»^(١) قال السيد: «لقد كنت أظن الأمير أبلغ مما هو». قال: «وأي شيء رأيت من العي؟» قال: «جمعك بين حرفين، وأنت تجتزى بأحدهما، إمح هذه الخيشة»^(٢) بحتجا^(٣) ودع ميتاً على حالها». ففعل. وحمل الكتاب فأخذها غبيطاً. عبد الله بن قائد. قال: قالت امرأة الحصين بن المنذر للحصين: «كيف سُدّت قومك؟ وأنت بخيل، وأنت ذميم» قال: «لأنني شديد الرأي شديد الإقدام».

قال: وقال مسلمة بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك: «كيف تطمع في الخلافة، وأنت بخيل، وأنت جبان؟» قال «لأنني حليم، وأني عفيف». قال زبان:

[الرجز]

إِنَّ بَنِي بَذْرِ يَرَاغُ جُوفُ كُلِّ خَطِيبٍ مِنْهُمْ مَوْوُفٌ^(٤)
أَهْوَجُ لَا يَنْفَعُهُ التَّثْقِيفُ

وقال لبيد بن ربيعة:

[الطويل]

وَأَبْيَضُ يَجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَا خَطِيباً إِذَا أَلْتَفَّ الْمَجَامِعُ فَيَصَلَا

وقال في تفضيل العلم والخطابة وفي مدح الإنصاف وذم الشغب:

[الكامل]

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَأَبْتَلَيْتُ خَلِيقَتِي وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي

(١) جاء في نسخة أخرى «مبيختجا» بالباء، وهي كلمة فارسية معناها العنب المطبوخ، بدلاً من «ميتحنجا» بالتاء والحاء.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الخيشة» بالثاء، بدلاً من «الخيشة».

(٣) جاء في نسخة أخرى «بختجا» بالحاء، بدلاً من «بختجا».

(٤) مؤوف: مصاب بالآفات.

وقال لبید:

[الكامل]

دَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجَلْدٍ الْأَجْرِبِ
يَتَأْكَلُونَ مَعَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْعَبِ

وقال زيد بن جندب:

[البيسط]

مَا كَانَ أَغْنَى رَجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ

وقال لقيط بن زُرارة:

[الرجز]

إِنِّي إِذَا عَاقَبْتُ ذُو عِقَابٍ وَإِنْ تُشَاغِبُنِي فَذُو شِعَابٍ

وقال ابن أحرمر:

[الطويل]

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ تِيحَانٍ سَمِيدِعٍ ^(١) مُصَافِي النَّدَى سَارٍ بِيَهْمَاءٍ مُطْعِمٍ
طَوِيَّ الْبُطْنِ مِثْلَافٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا عَلَى الْأَمْرِ غَوَاصٍ وَفِي الْحَيِّ شَيْظَمٍ

وقال الآخر:

[الكامل]

وَأَعْرُ مُنْخَرِقُ الْقَمِيصِ سَمِيدِعُ يَدْعُو لِيغْزُو ظَالِمًا فَيُجَابُ
قَدْ مَدَّ أَرْسَانَ الْجِيَادِ مِنَ الْوَجَا فَكَأَنَّمَا أَرْسَانُهَا أَطْنَابُ

وقال الآخر:

[الطويل]

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفَ عِنْدَ خِيَانَتِهِ ^(٢) وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّيَّاحِ رَوَانٍ ^(٣)
وَكَاالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَثْنُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشْنَانٍ

وقال آخر:

[الوافر]

يُقَطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّي سُويْدُ وَلَمْ أَذْكَرْ بِسَيِّئَةٍ سُويْدَا
تَوَقَّ حِدَادَ شَوْكِ الْأَرْضِ تَسْلَمُ وَغَيْرَ الْأُسْدِ فَاتَّخِذَنَّ صَيْدَا

وقال آخر:

[الرجز]

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى فَلِئِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ
كَلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنْ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ

(١) السميدع، بالفتح: الكريم، السيد الجميل، الجسيم، الموطأ الأكناف.

(٢) جاء في نسخة أخرى «حياته» بدلاً من «خيانه».

(٣) جاء في نسخة أخرى «دوان» بالبدال، بدلاً من «روان» بالراء.

وللحسين بن مطير:

[الطويل]

رَأْتُ رَجُلًا أَوْدَى بِوَافِرٍ لَحْمِهِ طَلَابُ الْمَعَالِي وَكَتْسَابُ الْمَكَارِمِ
خَفِيفَ الْحَشَا ضَرْبًا كَأَنَّ ثِيَابَهُ عَلَى قَاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الْهِنْدِ صَارِمِ
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبَنَّ فَإِنِّي أَرَى سِمْنَ الْفَتَيَانِ إِحْدَى الْمَشَاتِمِ

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - إذا رأى عبد الله بن عباس يقول في الأمر يعرض مع جِلة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول «غص غواص».

وقال ابن أحمَر:

[الكامل]

هَلْ لَامَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ أَوْ فِي مُخَاصَمَةِ اللَّجُوجِ الْأَصِيدِ

وقال ليبد بن ربيعة في التطبيق على قوله:

[الرجز]

يَا هَرِمَ بَنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصَبَا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبَا
فَطَبَّقِ الْمَفْصِلَ وَأَغْنِمْ طَيِّبَا

وقال آخر:

[الوافر]

فَلَمَّا أَنْ بَدَا الْقَعْقَاعُ لَجَّتْ عَلَى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نَقَالَا
تَعَاوَزْنَ الْحَدِيثَ وَطَبَّقْتُهُ كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ الْمِثَالَا

وقال ابن أحمَر:

[الكامل]

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الْأَمْرِ

وقال:

[الكامل]

لَيْسَتْ بِثَوْنَاةٍ^(١) الْحَدِيثِ وَلَا فَتَقِ مُغَالِبَةً عَلَى الْأَمْرِ

وقال:

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهُمَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال:

[الطويل]

وَحْضَمٍ مُضِلٍّ فِي الصَّجَاجِ تَرَكُّتُهُ وَقَدْ كَانَ ذَا شَعْبٍ قَوْلَى مُوَاتِبَا

وذكر علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - أكتل بَنَ شِمَاخِ الْعُكْلِي فَقَالَ:

(١) جاء في نسخة أخرى «بشوشاة» بالشين بدلاً من «بثوثة» بالثاء.

«الصبيح الفصيح» وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه في داره .

عبد الله بن المبارك عن معمر عن الحسن بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «سيكون بعدي أمراء يُعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف» .

جعفر بن سليمان الضبي عن مالك بن دينار قال: غدوت إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال: «أمرؤ زور عمله، أمرؤ حاسب نفسه، أمرؤ فكر فيما يقرؤه في صحيفته ويراها في ميزانه، أمرؤ كان عند قلبه زاجراً وعند همه ذاكراً، أمرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخيطام جملة، فإن قاده إلى طاعة الله قبله وتبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفه» .

وبعث عدي بن أرطاة إلى المهالبة أبا المليح الهذلي وعبد الله بن عبد الله بن الأهم والحسن البصري، فتكلم الحسن البصري فقال عبد الله: واللّه ما تمنيتُ كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ .

قال: وتنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير علياً - رضي الله تعالى عنه - فقال له أبوه: «والله ما بنى الناس شيئاً قط إلا هدمه الدين، وما بنى الدين شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه. ألم تر إلى علي كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمه، والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعا إلى السماء. وما ترى ما يندبون به موتاهم من التابين والمديح، والله لكأنما يكشفون به عن الجيف» .

أبو الحسن قال: قال عبد الله بن الحسن، لأبنة محمد حين أراد الاستخفاء: «أي بني، إنني مؤد إليك حق الله في حسن تأديبك، فأد إلي حق الله في حسن الاستماع. أي بني، كف الأذى وأرفض البذاء وأستغن عن الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول، فإن للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه. إحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً، فإنه يوشك أن يورطك بمشورتها فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل» .

وكان يقال: «من لانت كلمته وجبت محبته، ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن ألوحشته ما يضره» .

باب أن يقول كل إنسان على قدر طبعه وخلقه

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما السرور؟ قال: «أمرأة حسناء، ودار قوراء^(١)، وفرس فاره مرتبط بالفناء» . وقيل لضرار بن الحسين: ما السرور؟ قال: «لواء

(١) قوراء: شاسعة، واسعة .

منشور، وجلس على السرير، وأسلم عليك أيها الأمير». وقيل لعبد الملك بن صالح: ما السرور؟ قال:

[مجزوء الكامل]

كُلُّ الْكَرَامَةِ نِلْتُهَا إِلَّا التَّجِيَّةَ بِالسَّلَامِ
وقيل لعبد الله بن الأهم: ما السرور؟ قال: «رفع الأولياء، وحط الأعداء، وطول البقاء، مع القدرة على النماء». وقيل للفضل بن سهل: ما السرور؟ قال: «توقيع جائز، وأمر نافذ».

أبو الحسن المديني قال: قيل لإنسان بحري: أي شيء تمنى؟ قال: «شربة من ماء الفنتاس»^(١)، والنوم في ظل الشراع، وريحاً ذنباداً».

وقيل لطفيلي: كم اثنتين في اثنتين؟ قال: «أربعة أرغفة». وقال ألفلاس القصاص: «كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - يوم بدر ثلثمائة وستين درهما». وقلت لملاح لي وذلك بعد العصر في رمضان: أنظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض؟ قال: «أكثر من مريدين ونصف»^(٢) وقال آخر: «وقع علينا اللصوص، فأول رجل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المردى، وكانت فخذة أغلظ من هذا السكان، وأسود وجهه صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا القيير». وأردت الصعود مرة في بعض القناطر، وشيخ ملاح جالس، وكان يوم مطر وزلق، فزلق جماري فكاد يلقيني بجنبى، لكنه تماسك فأفقى على عجزه، فقال الشيخ الملاح: «لا إله إلا الله ما أحسن ما جلس على كوئله»^(٣) ومررت بتل طين أحمر، ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر إلى الطين قال: «أي إداري»^(٤) يجيء من هذا الطين؟» ومررنا بالخلد بعد خرابه. فقال: «أي اصطبلات تجيء من هذا الموضع؟».

وقيل لبعضهم: ما المروءة؟ قال: «طهارة البدن، والفعل الحسن». وقيل لمحمد بن عمران: ما المروءة؟ قال: «أن لا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلانية». وقيل للأحنف: ما المروءة؟ قال: «العفة والجرفة». وقال طلحة بن عبيد الله: «المروءة الظاهرة الثياب الظاهرة». وقيل لأبي هريرة: ما المروءة؟ قال: «تقوى الله، وإصلاح الصنية»^(٥)، والغذاء والعشاء بالأفنية».

قال: ونظر بكر بن الأشعر - وكان سجاناً - مرة إلى سور دار بجاله بن عبدة.

(١) الفنتاس: الحوض.

(٢) المردى: المجذاف.

(٣) الكوئل: مؤخر السفينة.

(٤) جاء في نسخة أخرى «أواري» بالواو، ومعناها موضع العلف، بدلاً من «إداري» بالذال.

(٥) جاء في نسخة أخرى «الضيعة» بالصاد بدلاً من «الصنية» بالصاد.

فقال: «لا إلهَ إلا الله، أيُّ سجنٍ يجيء من هذا؟». وقال إنسانٌ صيرفيٌّ: «باعني فلان عشرين جريباً ودانقين ونصفاً ذهباً».

قال: ونظر عثمان بنُ عفانَ - رضي الله تعالى عنه - إلى غير مُقبلٍ فقال لأبي ذر: ما كنتُ تحب أن تحمل هذه؟ فقال أبو ذر: «رجلاً مثل عمر» وقيل للزهري: ما ألزهد في الدنيا؟ قال: «أما إنه ليس بشعث اللِّمة، ولا قشِف ألهيئة، ولكنه ظلف»^(١) ألنفس عن الشهوة. وقيل للزهري: ما ألزهد في الدنيا؟ قال: «أن لا يغلب ألحرام صبرك، ولا ألحلّ لشكرك». ونظر زاهد إلى فاكهة في ألسوق، فلما لم يجد ما يبتاعها عزى نفسه وقال: «يا فاكهة، موعدِي وإيّاك ألجنة».

قال: مرّ ألْمسيح - صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه - بخلق من بني إسرائيل فشتّموه، فكلما قالوا شراً قال ألْمسيح خيراً فقال له شمعون ألصفيّ: «أكلّمنا قالوا شراً قلت خيراً؟» قال ألْمسيح - صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه - «كلُّ أمرئ يعطي ما عنده».

وقال بعضهم: قيل لأمرئ ألقيس بن حُجر: ما أطيب عيش الدنيا؟ قال: «بيضاء رعبوبة»^(٢)، بِالطّيب مشبوبة^(٣)، بِالشّحم مكروبة^(٤). وسئل عن الدنيا ألأعشى فقال: «صهباء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية»^(٥). وقيل مثل ذلك لطرّفه فقال: «مطعم شهّي، وملبس وفيّ، ومركب وطّي».

وقال: كان محمد بن راشد ألبجليّ يتغذى، وبين يديه شبوطة^(٦)، وخياط يقطع له ثياباً وراءه يلحظ ألبشوطة، فقال: قد زعمت أن ألثوب يحتاج إلى حرقة مقدارها؟ قال: ذراع في عرض ألبشوطة. ودخل آخر على رجل يأكل أترجة بعسل، فأراد أن يقول: السلام عليكم، فقال عسليكم، ودخلت جارية رومية على راشد ألبستي لتسأل عن مولاتها فبصّرت بحمار قد أدلى في الدار، فقالت: قالت مولاتي كيف أيرُ حماركم؟

فيما زعم أبو ألحسن ألمدائنيّ وأنشد ابن الأعرابي:

[الرمل]

وَإِذَا أَظْهَرْتَ أَمْرًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا يُسَرُّ
فَمُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ

وأنشد ابن الأعرابي:

[الطويل]

أَرَى النَّاسَ يَبْنُونَ الْحُصُونَ وَإِنَّمَا غَوَاثِلُ^(٧) آجَالِ الرِّجَالِ حُصُونُهَا

(٢) رعبوبة: حسنة، جميلة.

(١) ظلف: منع.

(٤) مكروبة: مفتولة.

(٣) مشبوبة: حسنّها ظاهر.

(٦) شبوطة: ضرب من السمك.

(٥) غادية: ممطرة.

(٧) جاء في نسخة أخرى «غوابر» بالباء والراء ومعناها بقايا بدلاً من «غوائل» بالهمزة واللام.

وَأَنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ دُونَاً وَصَالِحاً فَصَالِحُهَا يَبْقَى وَيَهْلِكُ دُونُهَا
وَأَنْشُدَ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ:

[مجزوء الكامل]

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادُ يُبْلَغُهُ الْمَحَالُ
خُبُزُ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظِّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلًّا
وقال بعض الأعراب:

[الطويل]

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا شَبَعَةٌ وَتَشْرِقُ^(١) وَتَمُرُّ كَأَخْفَافِ الرَّبَاعِ وَمَاءُ
محمد بن حرب الهلالي قال: قلت لأعرابي: «إني لك لواد». قال: «وإن لك من
قلبي لرائد». قال: وأتيت أعرابياً في أهله مسلماً عليه فلم أجده، فقالت امرأته: «عشر الله
خطاك». أي جعلها عشرة أمثالها. قال: وكان مسلم بن قتيبة يقول: «لم يضيع أمرؤ صواب
القول حتى يضيع صواب العمل».

الحض على تعلم السباحة:

أبو الحسن قال: قال الحجاج لمعلم ولده: «علم ولدي السباحة قبل الكتابة، فإنهم
يُصَيَّبُونَ من يكتب عنهم ولا يُصَيَّبُونَ من يسبح عنهم». أبو عقيل بن دُرُسْت قال: رأيت أبا
هاشم الصوفي مقبلاً من جهة النهر فقلت له: «في أي شيء كنت اليوم؟» قال: «في تعليم ما
ليس يُنسى، وليس لشيء من الحيوان عنه غنى». قال: قلت «وما ذلك؟» قال: «السباحة».
حدثنا علي بن محمد وغيره قال: كتب عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - إلى ساكني
الأمصار: «أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية، ورووهم ما سار من المثل وحسن من
الشعر». وقال ابن التؤم: «علم أبنيك الحساب قبل الكتاب، فإن الحساب أكسب من الكتاب،
ومؤنة تعلمه أيسر، ووجوه منافعه أكثر». وكان يقال: «لا تعلموا بناتكم الكتاب ولا ترووهن
الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور». وقال آخر، «بنو فلان يُعجبهم أن يكون
في نسائهم أباضيات، ويؤخذون بحفظ سورة النور». وكان ابن التؤم يقول: «من تمام ما
يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلمه الكتاب والحساب والسباحة».

خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له: «سل عني بني فلان وبني فلان وبني فلان».
فعدت قبائل، قال: «وما علمهم بك؟» قالت: «في كلهم قد نُكِّحْتُ». قال: «أرى بك
جلنفعة^(٢) قد حزمتمك الحزائم^(٣)» قالت: «لا، ولكنني جواله بالرجل شمريس^(٤)».

(١) التشرق: الجلوس في الشمس.

(٢) الجلنفعة: المرأة المسنة التي لا زال فيها بقية من نضرة الشباب.

(٣) الحزائم: ما يجعل في أنوف الإبل.

(٤) جاء في نسخة أخرى «عتريس» ومعناها الصلبة الشديدة بدلاً من «شمريس».

وقال الفرزدق لامرأته نَوَّار: «كيف رأيت جريراً؟» قالت «رأيت ظلمته أولاً ثم شغرت عنه برجلِك»^(١) آخرًا قال: «أنا أنى» قالت: «نعم أما أنه قد غلبك في حلوه وشاركك في مره».

قال: وتغذى صعصعةُ بَن صَوْحَانَ عند معاويةَ يوماً، فتناول من بين يدي معاويةَ شيئاً فقال: «يا أَبَن صَوْحَانَ لَقَدْ أَتَجَعْتُ من بعيد» قال «من أَجْدَب أَتَجَعُ». وبَصُرَ الْفَرَزْدَقُ بِجَرِيرٍ مُحَرِّمًا فَقَالَ: «وَاللَّهِ أَفْسَدْتُ عَلَى ابْنِ الْمِرَاغَةِ حَبَّةً» ثم جاءه مستقبلاً له فجهزه بمشقص^(٢) كان معه ثم قال:

[الطويل]

وَإِنَّكَ لَاقٍ بِالْمَشَاعِرِ مِنْ مَنَى فَخَارًا فَخَبَّرَنِي بِمَنْ أَنْتَ فَاحِرُ
فَقَالَ جَرِيرٌ: «لِيكَ أَلْهَمَ لِيكَ» وَلَمْ يُجِبْهُ.

قال: وَأَدْخَلَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ سَجْنَ الْكُوفَةِ فَجَلَسَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي مُرَّةَ فَاتَكَأَ الْمَرْيُ عَلَيْهِ يَحْدِثُهُ حَتَّى أَكْثَرَ وَغَمَّهُ ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرِي كَمْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالَ مَالِكُ: «أَمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنَّا فِي الْإِسْلَامِ». قَالَ الْمَرْيُ: «وَمَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؟» قَالَ: «أَنَا قَدْ قَتَلْتَنِي غَمًّا».

قال: ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن زيد^(٣) ألهلالي، وهو عامل على أرمينية، وقد بات في موضع غدير قريب منه فيه ضفادع، فقال عبد الله للمحاربي: «ما تركتنا أشياخ محارب ننام في هذه الليلة لشدة أصواتها». قال المحاربي: «أصلح الله الأمير إنها أضلت برقعاً لها فهي في بغائه»^(٤) أراد ألهلالي قول الأخطل:

[الطويل]

تَنُوقُ بِلَا شَيْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
ضَفَادُعُ فِي ظُلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ
وَأَرَادَ الْمُحَارِبِيُّ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

[الطويل]

لِكُلِّ هِلَالِيٍّ مِنَ اللَّؤْمِ بُرْقُعٌ وَلَإِنِّ هِلَالٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ
وَقَالَ الْعَتَبِيُّ:

[الطويل]

رَأَيْنَ الْعَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ
وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنَنِي أَوْ سَمِعْنَ بِي سَعِينَ فَرَقَعْنَ الْكُوى^(٥) بِالْمَحَاجِرِ^(٦)

(٤) البغاء: الطلب.

(١) شغل الكلب: رفع رجله عند البول.

(٥) الكوى: الفتحات في الحيطان.

(٢) المشقص: السهم، نصله عريض.

(٦) المحاجر: ما حول العيون.

(٣) جاء في نسخة أخرى «يزيد» بالياء بدلاً من «زيد».

لَئِنْ حُجِبْتُ عَنِّي نَوَاطِرُ أَعْيُنٍ
فَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أَصُولُهُمْ
خَلَائِفُ فِي الْإِسْلَامِ فِي الشَّرِّكَ قَادَةٌ
قال لبيد:

وَالشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ إِذَا هُمْ ^(١)
وقال آخر:

أَمْ مَنْ لِبَابٍ إِذَا مَا أَشْتَدَّ حَاجِبُهُ
وقال حاجب بن دينار المازني:

نَحْنُ بَنُو الْفَحْلِ الَّذِي سَالَ بَوْلُهُ
أَبَى النَّاسُ وَالْأَقْلَامُ أَنْ يَحْسِبُوهُمْ
فَإِنْ غَضِبُوا سَدُّوا الْمَشَارِقَ مِنْهُمْ
وقال أعرابي من بني حنيفة وهو يمزح:

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ
فَقَالَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ
وقال آخر يهجو بعض الخطباء:

يُمانٌ وَلَا يَمُونُ ^(٣) وَكَانَ شَيْخاً
ذهب إلى قول الأحوص:

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ فُرْطاً ^(٦)
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى عُنُقٍ ^(٨)

رَمَيْنَ بِأَحْدَاقِ الْمَهَا وَالْجَاذِرِ
لِأَقْدَامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُوسُ الْمَنَابِرِ
بِهِمْ وَإِلَيْهِمْ فَخَرُ كُلُّ مُفَاخِرٍ
[الكامل]

سَلَكُوا طَرِيقَ مُرْقَشٍ وَمُهْلَهْلِ
[البسيط]

أَمْ مَنْ لِحَصْمٍ بَعِيدِ الْغُورِ مَغَوَارِ
[الطويل]

بِكُلِّ بِلَادٍ لَا يَبُولُ بِهَا فَحْلٌ
إِذَا حَصَلَ الْأَخْمَاسُ ^(٢) أَوْ يُحْسَبُ الرَّمْلُ
مَلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلَامُهُمْ فَضْلٌ
[البسيط]

إِلْزَمَ طَرِيقَكَ لَا تُوَلِّعْ بِإِفْسَادِ
إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ
[الوافر]

شَدِيدَ اللَّقْمِ ^(٤) صَلْقَاماً ^(٥) خَطِيباً
[الكامل]

وَبَقِيَتْ كَالْمَقْمُورِ ^(٧) فِي خَلْفِ
مُتَضَجِّعٍ ^(٩) يُكْفَى وَلَا يَكْفِي

(١) جاء في نسخة أخرى «أراهم» بدلاً من «إذا هم».

(٢) جاء في نسخة أخرى «الأجناس» بدلاً من «الأخماس».

(٣) يمون: ينفق. (٤) اللقم: سرعة الأكل.

(٥) جاء في نسخة أخرى «هلقاماً» بالهاء، ومعناها واسع الشدين كثير الأكل بدلاً من «صلقماً» بالصاد، وهو الذي يقرع أنيابه ببعضها.

(٦) الفرط: الأمر المجاوز حدّه. (٧) المقمور: المغلوب في القمار.

(٨) جاء في نسخة أخرى «حنق» بدلاً من «عنق».

(٩) جاء في نسخة أخرى «مضطجع» بالضاد، بدلاً من «متضجع».

وقال الحسنُ بنُ هانئٍ :

[الطويل]

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَلِمَّا كَفَيْتَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ بِأَلْكَفِيءٍ تُشِيرُ

وقال آخر :

[الطويل]

دَرِينِي لَا أَعْيَى بِمَا حَلَّ سَاحَتِي أَسُودُوا أَكْفَى ^(١) أَوْ أَطِيعُ الْمُسَوِّدَا

وقال بشار :

[الطويل]

وَفِي الْعِبْرَاتِ الْعُرَّ صَبْرٌ عَلَى النَّدَى أَوْلَيْكَ حَيٍّ مِنْ حَزِيمَةِ أَغْلَبٍ
وَالْأَمُّ مَنْ يَمْشِي ضَبِيعَةً إِنَّهُمْ زَعَانِفُ ^(٢) لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبٌ ^(٣)

وكذلك قول أعشى بنِ ثعلبة ^(٤) :

[البيط]

مَا ضَرَّ غَازِي نِزَارٍ أَنْ يُفَارِقَهُ كَلْبٌ وَجَرْمٌ إِذَا أَبْنَاؤُهُ اتَّفَقُوا
قَالَتْ قُضَاعَةٌ إِنَّا مِنْ ذَوِي يَمَنٍ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا بَرُّوا وَلَا صَدَقُوا
يَزْدَادُ لَحْمُ الْمَنَاقِي ^(٥) فِي مَنَازِلِنَا طِيبًا إِذَا عَزَّ فِي أَعْدَائِنَا الْمَرْقُ
وَمَا خَطَبْنَا إِلَى قَوْمٍ بَنَاتِهِمْ إِلَّا بِأَرْعَنَ ^(٦) فِي حَافَاتِهِ الْهَرْقُ ^(٧)

قوله : خطبنا هاهنا من الخطبة وقولهم في الشعر الأول من الخطبة . وقال بلعاء بن

قيس :

[الطويل]

أَبَيْتُ لِنَفْسِي الْخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ وَدَلَّيْتُهِمْ ^(٨) شَتْمِي وَمَا كُنْتُ مُفَحِّمًا

وقال بلعاء بن قيس لسراقَةَ بن مالك بن جعشم ^(٩) :

[الوافر]

أَلَا أَبْلُغُ سُرَاقَةَ يَا ابْنَ مَالِكٍ فَبئْسَ مَقَالَةُ الرَّجُلِ الْخَطِيبِ
أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ ^(١٠) بِطَغْنِ لَيْثٍ فَهَذَا حِينَ تُبْصِرُ مِنْ قَرِيبِ

وقال منصور الضبي :

[البيط]

لَيْتَ الْفَتَى عَجَرْدًا مِنَّا مَكَانَهُمْ وَلَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَخْضَرِ الْجَارِي

(١) جاء في نسخة أخرى « فأكفي » بدلاً من « وأكفي » .

(٢) زعانف : أحياء قليلة في أحياء كثيرة . (٣) المحجب : الملك ذو الحرس .

(٤) جاء في نسخة أخرى « بني » بدلاً من « بن » . (٥) المناقي : ذوات الشحم .

(٦) الأرعن : الجيش العرمرم . (٧) الحرق : النار .

(٨) جاء في نسخة أخرى « وليتهم » بالواو بدلاً من « دليتهم » .

(٩) جاء في نسخة أخرى « جعشم » بالثاء بدلاً من « جعشم » .

(١٠) جاء في نسخة أخرى « تؤدب » بدلاً من « تسود » .

قَدْ قَامَ سَيِّدُهُمْ عَمْرَانُ يَخْطُبُهُمْ مَا كَانَ لِلْخَيْرِ عَمْرَانُ بِأَمَارِ
تقول العرب: «الْحَلَّةُ تَدْعُو إِلَى السَّلَّةِ». وكانوا إذا أسروا أسيراً قال المادح: «أسره
في مزاحفة، ولم يأسره في سَلَّةٍ». وفي الحديث: «لا أسلال»^(١) ولا إغلال»^(٢). قال:
وفي المثل: «الحاجة تفتح باب المعرفة». ونذكر هاهنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة. قال سويد المرائد الحارثي أو
غيره:

[الطويل]

بَنِي عَمِنَّا لَا تَذْكُرُوا الشَّعَرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيمِ^(٣) الْقَوَافِيَا
فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً فَتَقْبِلُ عَقْلًا^(٤) أَوْ تُحَكِّمَ قَاضِيَا
وَلَكِنْ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلِّطٌ فَنَرُضِي إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا
فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلِمْنَا فَإِنَّكُمْ بَدَأْتُمْ وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا
وَقَدْ سَاءَ نِي مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمِنَّا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيَا
وقال ضابيء بن الحارث:

[الطويل]

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ^(٥) وَجِيبٌ^(٦)
وقال حارثة بن بدر:

[الطويل]

وَقُلْ لِلْفَوَادِ إِنْ نَزَابِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرُّوعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ الرُّوعِ بَاطِلُهُ^(٧)
وقال لبید:

[الرملي]

وَأَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنْ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرِي بِالْأَمَلِ
وقال الشاعر وهو حبيب بن أوس الطائي:

[الطويل]

وَطَوَّلُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدَيْبَاجَتِيهِ فَأَغْتَرِبَ تَتَجَدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ
وقال آخر:

[الطويل]

هُوَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّ لِلشَّمْسِ غَيْبَةً وَهَذَا الْفَتَى الْجَرْمِيُّ لَيْسَ يَغِيبُ

(١) الأسلال: الرشوة أو السرقة.

(٢) الإغلال: الخيانة.

(٣) الغميم: اسم موضع بين الجحفة ورايح قرب المدينة.

(٤) العقل: الدية.

(٥) المخشاة: الخوف.

(٦) الوجيب: الاضطراب والخفقان.

(٧) أفرخ الروع: أخرج الخوف من قلبه.

يَرُوحُ وَيَعْدُو لَيْسَ يَفْتُرُ سَاعَةً وَإِنْ قِيلَ نَاءٌ مِنْكَ فَهُوَ قَرِيبٌ
وقال آخر:

[الطويل]

خِلَافاً لِقَوْلِي مَنْ فِيَالَةِ رَأْيِهِ كَمَا قَبْلَ الْيَوْمِ خَالَفَ فَتَذَكَّرَا
وقال حارث بن بدر:

[الوافر]

إِذَا مَا مِتُّ سَرَّ بَنُو تَمِيمٍ عَدُوٌّ عَدُوَّهُمْ أَبَدًا عَدُوِّي
عَلَى الْحَدَثَانِ لَا يَلْقَوْنَ مِثْلِي كَذَلِكَ شَكْلُهُمْ أَبَدًا وَشَكْلِي
وهذا شبيه بقول الأعشى:

[البسيط]

عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
وقال عمرو لمعاوية: من أصبر الناس؟ قال: «من كان رأيه راداً لهواه». وأختلوا
بحضرة الزُّهري في معنى قول القائل: «فلان زاهد». فقال الزُّهري: «الزاهد الذي لا يغلب
الحرام صبره، ولا الحلال شكره». وقال ابن هُبيرة، وهو يؤدّب بعض بني: «لا تكوننَّ أول
مشير، وإياك والهُوى والرأي الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تُشِرْ على مُسْتَبِدٍّ ولا على
وَعْدٍ ولا على متلون ولا على لُحُوج، وخفِ اللَّهَ في موافقة هوى المستشير فإن التماس
موافقته لؤم وسوء الاستماع منه خيانة». وقال: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن ساء خلقه
قلَّ صديقُه». وقال عمر للأحنف: «من كثر ضحكك قلت هيبته، ومن أكثر من شيء عُرِفَ
به، ومن كثر مُزَاحُه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه ذهب حياؤه، ومن
ذهب حياؤه مات قلبه». وقال المهلب: «يا بني، تباذلوا تحابُّوا، وإن بني الأم يختلفون
فكيف بنو العلات^(١)؟! إن البرَّ ينسأ في الأجل ويزيد في العدد، وإن القطيعة تُورث القلَّةَ
وتُعقبُ النارَ بعد الذل. وأتقوا زَلَّةَ اللسان فإن الرجل تزل رجله فينتعش ويزل لسانه فيهلك.
وعليكم في الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة، فإن القتال إذا وقع وقع القضاء، فإن
ظفر فقد سعد وإن ظفر به لم يقولوا فرط». ولقي الحسين - رضي الله تعالى عنه - الفرزدق
فسأله عن الناس فقال: «القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر في السماء». وقال
بعضهم حُجَبَ إعرابيٌّ على باب سلطان فقال:

[الطويل]

أُهَيْنَ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمِهَا بِهِمْ وَلَا يُكْرِمُ النَّفْسَ الَّذِي لَا يَهِينُهَا
وقال جرير:

[الكامل]

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نَتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

(١) بنو العلات: إخوة من أب واحد وأمّهات متعدّدات.

وقال آخر:

[الطويل]

نَهَيْتُ جَمِيعَ الْحَضَرِ عَنْ ذِكْرِ خُطَةٍ يُدَبِّرُهَا فِي رَأْيِهِ ابْنُ هِشَامٍ
فَلَمَّا وَرَدْتُ الْبَابَ أَتَقَنَّتْ أَنَّنَا عَلَى اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ غَيْرُ كِرَامٍ

وقال آخر:

[البسيط]

وَافَى الْوُفُودُ فَوَافَى مِنْ بَنِي حَمَلٍ بِكُرُ الْحَمَالَةِ قَانِي السِّنِّ عَزُومٍ

وقال تميم:

[الطويل]

فَدَيْتُكَ أَنْ لَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً وَلَا تَنْكِئِي قُرْحَ الْفُؤَادِ فَيَنْجَعَا

وقال آخر:

[الطويل]

قَلِيلَ التَّشَكِّي لِلْمَصَائِبِ ذَاكِرًا مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ

وقالوا: «أشدُّ من الموت ما يُتَمَنَّى له الموت» وقال الفرزدق وهو يصف طعنة:

[الطويل]

يَوَدُّ لَكَ الْأَذْنُونَ لَوْ مِتَّ قَبْلَهَا يَرُونَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ

قال: وقيل للأحنف: «ما بلغ من حُزْمِك؟» قال: «لا ألي ما كفيت ولا أضيع ما وليت» وقال آخر: «لا تُقيموا ببلاد ليس فيها نهرٌ جارٍ، وسوق قائمة، وقاض عدل» وقالوا: «لا تُبنى المدنُ إلَّا على الماء والمرعى والمحتطب». وقال مالك بن دينار: «لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره، ويذكر حسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم إليه، حتى إنه ليخيلُ إليَّ أنه صادق مظلوم». أبو عبد الله الثقفي عن عمه قال: سمعت الحسن يقول: «لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج». قلت: «وإن كلام الحجاج ليقذك!» قال: «نعم، سمعته على هذه الأعواد يقول: إنَّ أمرءاً ذهب سَاعَةٌ من عمره في غير ما خُلِقَ له لحرٍّ أن تطول عليها حسرتُه». وقال بعضهم: كان يقال: «ما وجدنا أحداً أبلغ في خير وشر من صاحب عبد الله بن سلمة». قال: «دخل الزبرقان بن بدر على زياد، وقد كُفَّ بصره فسلم تسليمًا جافيًا فأدناه زياد فأجلسه معه، وقال: يا أبا عباس القومُ يضحكون من جفائك، قال: وإن ضحكوا فوالله إنَّ منهم رجلٌ إلَّا يودُّ أني أبوه دون أبيه لغيه أو لرشده». قال: ونظر هشام بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيان المري، فقال: «جثة^(١) من جثي النار». قال: وكان يقال: صاحب السوء قطعة من النار، والسفر قطعة من العذاب». قال آخر: وكان يقال: «عذابان لا يكثر ثل لهما الدخالُ

(١) الجثة: الحجارة المجموعة.

فيهما: السفر الطويل، وأبناء الكثير». وقال رجل من أهل المدينة: «من ثقل على صديقه خف على عدوه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون». وقال سهل بن هرون: «ثلاثة يعودون إلى أجن المجانين وإن كانوا أعقل العقلاء: الغضبان والغيران والسكران». فقال له أبو عبدان المخلع الشاعر: «ما تقول في المنعظ؟» فضحك حتى استلقى ثم قال:

[الوافر]

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمَّ عَمُرُو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تُصْبِحِيْنَا
وقال أبو الدرداء: «أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب». قال: وقال ناس: «البخل قيد والغضب جنون والسكر مفتاح الشر». وقال بعض البخلاء: «ما نصب الناس لشيء نصبهم لنا، هبهم يلزموننا الذم فيما بيننا وبينهم، ما لهم يلزموننا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا؟». قال: وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه: «ما شعر كثير عندي كما يصفه الناس». فقال له أبوه: «إنك لن تضع كثيراً بهذا، إنما تضع بهذا نفسك».

قال أنشد رجل: عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قول طرفة:

[الطويل]

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ ^(١) لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي ^(٢)
فقال عمر: «لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهتي لله، وأجالس أقواماً ينتقون أطيب الحديث كما ينتقون أطيب الثمر، لم أبال أن أكون قديم». وقال عامر بن عبد قيس: «ما آسى من العراق إلا على ثلاث: على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين، وإخوان لي منهم الأسود بن كلثوم». وقال آخر: «ما آسى من البصرة إلا على ثلاث: رطب السكر، وليل الخزير، وحديث أبي بكر». وقال سهل بن هرون:

[الطويل]

تَكَنَّفَنِي هَمَانٍ قَدْ كَسَفَا بِأَلِي وَقد تركا قلبي محلة بلبال
هَمَا أَذْرِيَا دَمْعِي وَلَمْ تَذِرْ عِبْرَتِي رِيبة خدر ذات سَمْطٍ وَخَلْخَالٍ
وَلَكِنِّي أَبْكِي بَعَيْنِ سَخِينَةٍ عَلَى جَلَلٍ تَبْكِي لَهُ عَيْنُ أَمْثَالِي
فِرَاقِ خَلِيلٍ أَوْ شَجَى يَسْتَشْفُنِي لِخَلَّةِ أَمْرٍ لَا يَقُومُ لَهَا مَا لِي
فِيَا كَبِدِي حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مُوجَعٌ بِكُلِّ حَبِيبٍ أَوْ تَعَذَّرَ أَفْضَالٍ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَطُولَ بَنَائِلٍ وَإِلَّا لِقَاءُ الْآخِ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِي
وقال أعرابي: «لولا ثلاث هُنَّ عيش الدهر، الماء والنوم وأم عمرو لما خشيت من

(١) الجد، بفتح الجيم: الحظ.

(٢) العود: زائر المريض.

مضيق القبر». قال: وقال الأحنف: «أربع من كُنَّ فيه كان كاملاً، ومن تعلق بخصلة منهنَّ كان من صالح قومه: دينٌ يرشده، أو عقلٌ يسدُّه، أو حسَبٌ يصونه، أو حياءٌ يقناه». وقال: «المؤمن بين أربع: مؤمنٌ يحسده، ومنافقٌ يُبغضه، وكافرٌ يُجاهده وشيطانٌ يفتنه. وأربع ليس أقلُّ منهن: اليقين، والعدل، ودرهم حلال، وأخ في الله». وقال الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما -: «من أتانا لم يعدم خصلةٌ من أربع: آيةٌ محكمة، أو قضيةٌ عادلة، أو أخاً مستفاداً، أو مُجالسةَ العلماء». وقالوا: من أعطى أربعاً لم يُمنع أربعاً: من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخيرة، ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب».

قال أبو ذر الغفاري: «كان الناس ورعاً لا شوك فيه فصاروا شوكاً لا ورق فيه». وقالوا: «تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين، وبالحياء حتى ذهب الحياء، وبالمروءة حتى ذهب المروءة، وقد صاروا إلى الرغبة والرغبة وأحرى بهما أن تذهب». وقال بعضهم: دعا رجل علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - إلى طعام، فقال: «نأتيك على أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك». وقال الحصين بن المنذر:

[الطويل]

وَكُلُّ خَفِيفِ السَّاقِ يَسْعَى مُشْمِراً إِذَا فَتَحَ الْبَوَّابُ بَابَكَ إضْبَعَا
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكِثُونَ تَوَقُّراً حَيَاءً إِلَى أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ أَجْمَعَا
وقال آخر:

[الطويل]

وَنَفْسِكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهُنَّ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرَمَا
اعتذر ابنُ عوف^(١) إلى إبراهيم النخعي فقال له: «أسكت معذوراً فإنَّ الأعذار يخالطه الكذب». أبو عمرو الزعفراني قال: كان عمرو بن عبَّيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من حشمة في ذلك اليوم شيئاً إلا قال: «لا». فقال عمرو: «أقلُّ من قول لا، فإنه ليس في الجنة قول لا، وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا سئل ما يجده أعطى وإذا سئل ما لا يجد قال يصنع الله». قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «أكثروا لهنَّ من قول لا، فإنَّ قول نعم يُضِرُّ بهنَّ على المسألة». قال: وإنما خصَّ عمر - رضي الله تعالى عنه - بذلك النساء. وقال بعضهم: ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - فقال علي: «الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهمَّ عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبطٌ وحي الله، ومُصلَّى ملائكته، ومسجدُ أنبيائه، ومتجرٌ أوليائه ربحوا فيها الرحمة وأكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا الذي يذمها وقد

(١) جاء في نسخة أخرى «عون» بالنون بدلاً من «غوف» بالفاء.

أذنت ببينها، ونادتُ بفراقِها، وشَبَّهَتْ بسرورها السرور، وببلائها البلاء، ترغيباً وترهيباً. فيا أيُّها الدائمُ للدنيا المَعْلَلُ نفسه، متى خدَعْتُكَ الدنيا؟ أم متى أَسْتَدَمَّتْ إِلَيْكَ بِمِصَارِ آبائِكَ في البلى أم بمِصَاجِعِ أُمَهَاتِكَ في الثرى؟ كم مرَضَتْ بيدِكَ وكم عَلَّتْ بكفِكَ، تطلبُ له الشفاء وتستوصفُ له الأطباء، غدا لا يُغني عنه دواؤُك ولا يَنْفَعُهُ بكاؤُك». وقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: «ما بالُ أحدِكُم ثاني وسادة عند امرأة مغيبة، إن المرأةَ لحمٌ على وَضْمٍ، إلّا ما ذَبَّ عنه».

أقوال بعض البلغاء في التعزية:

وقال بعضهم: مات أبْنُ لبعضِ العظماء، فعزاه بعضهم فقال: «عَشْ أيُّها الملكُ العَظِيمُ سعيداً، ولا أراكَ اللَّهُ بعد مصيبتِكَ ما يُنْسيكها». وقال: لَمَّا توفي معاويةُ جلس ابنُه يزيدُ ودخل عليه عطاءُ بْنُ أَبِي صِيفِي الثَّقَفِيُّ فقال: «يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَصْبَحْتَ وَقَدْ رَزَّيْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ، وَأُعْطِيتَ خِلافةَ اللَّهِ، وَقَدْ قَضَى مُعاويةُ نَحْبَهُ فغَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ، وَقَدْ أُعْطِيتَ بَعْدَهُ الرِّئَاسَةَ وَوَلِيْتَ السِّيَاسَةَ، فَأَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمَ الرِّزْيَةِ وَأَشْكُرُهُ عَلَى أَفْضَلِ الْعُطْيَةِ». وَلَمَّا توفي عبد الملك وجلس ابنُه الوليدُ دخل عليه النَّاسُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ أَيُّهُنَّوْنَهُ أَمْ يُعْزُونَهُ؟ فَأَقْبَلَ غِيْلَانُ بْنُ مَسْلَمَةَ الثَّقَفِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَصْبَحْتَ قَدْ رَزَّيْتَ خَيْرَ الْأَبَاءِ، وَسُمِّيتَ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ، وَأُعْطِيتَ أَفْضَلَ^(١) الْأَشْيَاءِ، فَعَظَّمَ اللَّهُ لَكَ عَلَى الرِّزْيَةِ الصَّبْرَ، وَأَعْطَاكَ فِي ذَلِكَ نَوَافِلَ الْأَجْرِ، وَأَعَانَكَ عَلَى حَسَنِ الْوَلَايَةِ وَالشُّكْرِ. ثُمَّ قَضَى عَبْدُ الْمَلِكِ بِخَيْرِ الْقَضِيَةِ، وَأَنْزَلَهُ بِأَشْرَفِ الْمَنَازِلِ الْمَرْضِيَّةِ، وَأَعَانَكَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الرِّعْيَةِ». فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَأَنْتَسَبَ لَهُ، قَالَ «فِي كَمْ أَنْتَ؟» قَالَ: «فِي مِائَةِ دِينَارٍ» قَالَ فَالْحَقَهُ بِأَهْلِ الشُّرَفِ. وَلَمَّا توفي الْمَنْصُورُ دَخَلَ ابْنُ عَتَبَةَ مَعَ الْخُطَبَاءِ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَسَلَّمَ، قَالَ: «أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ، وَبَارَكَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا خَلَفَهُ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَهُ، فَمَا مَصِيبَةُ أَعْظَمَ مِنْ فَقْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا عُقْبَى أَفْضَلَ مِنْ وَرَاثَةِ مَقَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَقْبَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعُطْيَةِ، وَأَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ الرِّزْيَةِ». وَكَتَبَ مِمُّونُ بْنُ مَهْرَانَ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يُعْزِيهِ عَنِ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ: «كَتَبْتُ إِلَيْكَ تُعْزِيَنِي عَنْ ابْنِي عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُهُ فَلَمَّا وَقَعَ لَمْ أَنْكَرُهُ» وقال الشاعر:

[الطويل]

عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانُ مُتَرَعٍّ
وَلَكِنْ نَكَا الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ

(١) جاء في نسخة أخرى «أعظم» بدلاً من «أفضل».

وقيل: «قدّم ما عندك ولا تدخِر عَنّا ما عندك». وقال آخر: كان شيخ يأتي أبنَ المقفع، فألحّ عليه يسأله الغداء عنده، وفي ذلك يقول: «إنّك تظنّ أني أتكلّف لك شيئاً، لا والله، لا أقدّم إليك إلّا ما عندي». قال: فلما أتاه إذا ليس في منزله إلّا كسرة يابسة وملح جريش، ووقف سائل بالباب فقال له: «بورك فيك» فلمّا لم يذهب قال: «والله لئن خرجت إليك لأدقّن ساقيك». فقال ابن المقفع للسائل: «إنّك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تراه كلمة ولم تقف طرفه عين».

قال: وكان يقال: «أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره». وقال آخر كان يُقال: «لا وحشة أوحش من عجب، ولا ظهير أعون من مشورة، ولا فقر أشد من عدم العقل». وقال موركّ العجلي: «ضاحك معترف بذنبه خير من الباكي المُدِلّ على ربّه». وقال: «خير من العجب بالطاعة أن لا يأتي بطاعة». وقال شبيب لأبي جعفر: «إن الله لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعل فوقك شكرك شكراً». وقال آخر لأبي جعفر في أول ركبة ركبها: «إن الله قد رأى أن لا يجعل أحداً فوقك فز نفسك أهلاً أن لا يكون أحداً أطوع لله منك». وسقّه رجل على ابن له فقال: «والله لأنا أشبه بك منك بأبيك، ولأنت أشدّ تحصيناً لأمي من أبيك لإمك». وقال عمرو بن عبّيد لأبي جعفر: «إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها فأشتر نفسك منه ببعضها».

وقال الأحنف: «ثلاث لا أناة فيهنّ عندي». قيل: «وما هنّ يا أبا بحر» قال: «المبادرة بالعمل الصالح، إخراج مبيك، وأن تُنكح الكفء أيمك». وكان يقول: «لأفعي تحكك في ناحية بيتي أحب إليّ من أيم ردّدت عنها كفؤاً». وكان يقال: «ما بعد الصواب إلّا الخطأ، وما بعد منعهنّ من الأكفاء إلّا بذلهنّ للسفلة والغوغاء».

وكان يقال: «لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة: إلى كذوب فإنّه يقربها وإن كانت بعيدة وبباعدها وإن كانت قريبة، ولا إلى الأحمق فإنّه يُريد أن ينفعك فيضرك، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنّه يجعل حاجتك وقايةً لحاجته». وكان الأحنف يقول: «لا مروءة لكذوب، ولا سُودد لبخيل، ولا ورع لسيئ الخلق». وقال الشعبي: «عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنّه ينفعك، واجتنب الكذب في موضع ترى أنه ينفعك فإنّه يضرك». قالوا: «لا تصرف حاجتك إلى من معيشته من رؤوس المكايل والسنّة الموازين». وقالوا: «إنفرد الله عز وجلّ بالكمال ولم يُبرئ أحداً من النقصان». وقال: قال عامر بن ظرب العدواني: «يا معشر عدوان، إنّ الخير ألوف عزوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه، وإنّي لم أكن حليماً حتى اتبعت الحلماء، ولم أكن سيّداً حتى تعبدت لكم». قال: وقال الأحنف: «لأن أدعى من بعيد أحب إليّ من أن أقصى من

قريب». وكان يقول: «إِيَّاكَ وصدرَ المجلس وإن صدرك صاحبه فإنه مجلس قلعة»^(١) قال: وقال زياد: «ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه ما لو أخذته كان لي، وترك مالي أحب إلي من أخذي ما ليس لي». وقال الأحنف: «ما كشفت أحداً عن حالي عنده إلا وجدتُها دون ما كنتُ أظنُّ». قال: وأثنى رجل على علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - فأفرط وكان علي له متهما. فقال: «أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك». قال: وكان يُقال: «خمس خصال تكون في الجاهل: الغضب في غير غضب، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضع، والثقة بكل أحد، وأن لا يعرف صديقه من عدوه» وأثنى أعرابي على رجل فقال: «إن خيرك لسريح، وإن منعك لمريح، وإن رفدك لريح».

وقال سعيد بن مسلم: كنت والياً بأرمينية، فغبر أبو زهمان العلاتي^(٢) على بابي أياماً، فلما وصل إلي مثل بين يدي قائماً بين السماطين، وقال: «والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لازماً فيهم، إشاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي. أما والله إني لبيعد الوثبة بطيء العطفة، إنه والله ما يُثني عليك، إلا مثل ما يصرفني عنك، ولأن أكون مقبلاً مقرباً أحب إلي من أن أكون مكثراً مبعداً. والله ما نسال عملاً لا نضبطه، ولا مالا إلا نحن أكثر منه. وهذا الأمر الذي صار إليك في يديك كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثاً، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. فتجب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب، فإن حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله، لأنهم شهداء الله على خلقه ورقبائه على من أعوج عن سبيله».

ودخل عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام على خالد بن عبد الله القسري بعد حجاب شديد وكان عتبة سخيّاً. فقال يعرض به: «إن هاهنا رجالاً يُدانون في أموالهم فإذا فنيت أدانوا في أعراضهم». فعلم عتبة أنه يُعرض به فقال: «أصلح الله الأمير، إن رجالاً من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروءاتهم، فأولئك تبقى لهم أموالهم، ورجالاً تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم فإذا نفذت أدانوا على سعة ما عند الله» فحجل خالد، وقال: «إنك لمنهم ما علمت».

قال: وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كوز^(٣): «هلا أجبت أمير المؤمنين إذا سألك عن مالك؟! قال: «إنه إن استكثره حسدني وإن استقله حقرتني». أبو الحسن قال:

(١) القلعة: الارتحال.

(٢) جاء في نسخة أخرى «دهمان الغلابي» بدلاً من «زهمان العلاتي».

(٣) جاء في نسخة أخرى «كرز» بالراء بدلاً من «كوز» بالواو.

ووعظ عروة بنيه فقال: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَكُونُوا صِغَارَ قَوْمٍ فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ». ثم قال: «النَّاسُ بِأَزْمَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِأَبَائِهِمْ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ رَجُلٍ خَلَّةً فَأَحْذَرُوهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدَهُ لَهَا أَخَوَاتٌ». قال: وقال رجل لرجل: «هَبْ لِي ذُرِّيَهُمَا». قال: «أَتَصْغُرُهُ، لَقَدْ صَغُرَتْ عَظِيمًا: الدَّرْهَمُ عَشْرَ الْعَشْرَةِ، وَالْعَشْرَةُ عَشْرَ الْمِائَةِ، وَالْمِائَةُ عَشْرَ الْأَلْفِ، وَالْأَلْفُ عَشْرَ أَلْفِيَّةٍ». قال الْأَصْمَعِيُّ: خَرَجْتُ بِالْأَدَارِمِيِّ قَرْحَةً فِي جَوْفِهِ، فَبِزْقِ بَزَقَةِ خَضِرَاءَ، فَقِيلَ لَهُ: «قَدْ بَرِئْتَ إِذْ بَزَقْتَهَا خَضِرَاءَ». قال: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا زَمْرَدَةٌ خَضِرَاءُ إِلَّا بِزَقَتِهَا مَا نَجَوْتُ».

مرَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَعْلَمٍ صَبِيانٍ فَرَأَى جَارِيَةً فَقَالَ: «وَيْلَكَ مَا لِهَذِهِ الْجَارِيَةِ؟» قَالَ: «أَعْلَمُهَا الْقُرْآنَ». قال: «فَلْيَكُنِ الَّذِي يَعْلَمُهَا أَصْغَرَ مِنْهَا».

إِسْحَاقُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: هَرَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الطَّاعُونَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾»^(١) قال: «ذلِكَ الْقَلِيلُ تُرِيدُ؟» وَهَرَبَ رَجُلٌ مِنَ الطَّاعُونَ إِلَى النَّجَفِ أَيَّامَ شَرِيحٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْفِرَارَ لَنْ يُبْعِدَ أَجْلاً وَلَنْ يُكْثِرَ رِزْقاً، وَإِنَّ الْمَقَامَ لَنْ يَقْرَبَ أَجْلاً، وَلَنْ يُقَلَّلَ الرِّزْقُ، وَإِنَّ مَنْ بِالنَّجَفِ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٌ».

قال: ودخل على الوليد فتى من بني مخزوم. فقال له: «زوجني أبنتك». فقال: «هل قرأت القرآن؟» قال: «لا». قال: «أذنوه مني» فأذنوه فضرب عمامته بقضيب كان في يده، وقرع رأسه به قرعاتٍ، ثم قال لرجل: «ضُمَّهُ إِلَيْكَ فَإِذَا قَرَأَ زَوْجَنَاهُ».

وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ بَعْدَ الْحِجَاجِ قَالَ: «أَنَا كَمَنْ سَقَطَ مِنْهُ دَرَاهِمُ فُوجِدَ دِينَاراً». وقال يزيد لابن أبي مسلم: «قال أبي للحجاج: إنما أنت جلدة ما بين عيني. وأنا أقول: إنك جلدة وجهي كله». ومع هذا إنه صعد المنبر فقال: «علي بن أبي طالب لُصٌّ أُنْبِ لُصٌّ، صُبَّ عَلَيْهِ شُؤْبُوبٌ عَذَابٍ». فقال أعرابي كان تحت المنبر: «ما يقول أميركم هذا» وفي قوله لص ابن لص أعجوبتان إحداهما رميه علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه أنه لص، والآخرى أنه بلغ من جهله ما لم يجهله أحد أنه ضم اللام في لص.

ذكر لحن الوليد بن عبد الملك:

بَكَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّمَشَقِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَنْبَرِ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَكَذَّبْتُكُمْ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، وَإِذَا وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، وَإِذَا أَغْرَبْتُكُمْ فَجَمَرْتُكُمْ»^(٢) فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. فيقول

(٢) جمر الجند: أبقاكم في أراضي الأعداء.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

مثل هذا الكلام، ثم يقول لأبيه: «يا أمير المؤمنين أقتل أبي فديك». وقال مرة أخرى: «يا غلام، ردّ أفرسان أصادان عن أُميدان». قال: وقال عبد الملك: «أضرّ بالوليد حبنا له فلم نوجّههُ إلى ألبادية». قال: ولحن الوليد على المنبر، فقال النكروس: «لا والله إن رأيتهُ على هذه الأعواد قطّ فأمكنني أن أملأ عيني منه من كثرته في عيني وجلالته، فإذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندي كبعض أعوانه». وصلى يوماً الغداة فقرأ السورة التي تذكر فيها الحاقة فقرأ: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾^(١) فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال: «أما أنّه إن كان قالها إنّهُ لأحدُ الأَحدين». قالوا: وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لَحَّانين، ولم يكن في ولده أفصح من هشام ومسلمة. قال: وقال صاحب الحديث أخبرني أبي عن إسحاق بن قبيصة قال: كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة، وكذلك كتب محمد، فقلت لمولّي لمحمد: «ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة؟!» فأخبره المولى بقولي، فإذا كتاب قد ورد علي: «أما بعد، فقد أخبرني فلان بما قلت، وما أحسبك تشك أن قريشاً أفصح من الأشعرين والسلام».

ومن بني الصّريم الصّديّ بنُ الخلق وَفَدَ بِهِ الْحِجَاجَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: «ممن أنت؟» فقال له: «من بني صريم» قال له: «ما اسمك؟» قال: «الصّدي بن الخلق». قال: «دعاً»^(٢) في عنقه، خارجي خبيث. هذا يدل على أن عامة بني صريم كانوا خوارج. وكان منهم البرك الصريمي وأسمه الحجاج الذي ضرب معاوية بالسيف، وله حديث. والخزرج بن الصّدي بن الخلق كان خطيباً. وقال الشاعر في بني صريم: [الوافر]

أَصْلِي حَيْثُ تُدْرِكُنِي صَلَاتِي وَبِئْسَ الدِّينُ دِينُ بَنِي صَرِيمٍ
قِيَاماً يَطْعَنُونَ عَلَى مَعَدٍّ وَكُلُّهُمْ عَلَى دِينِ الْخَطِيمِ

والخطيم باهلي. قال الأصمعي وأبو الحسن: دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان، فقال أحدهما: «نجدك تملك عشرين سنة». وقال الآخر: «كذبت بل نجدك تملك ستين سنة». قال: فقال الوليد: «ما أَلْذِي قال هذا لائط»^(٣) بصفري^(٤)، ولا ما قال هذا يغر مثلي، والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبداً، ولأفرقته تفريق من يموت غداً. وخطب الوليد فقال: «إنّ أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول: إن الحجاج جلدٌ ما بين عيني، ألا وإنه جلدة وجهي كله».

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٧.

(٢) اللائط: اللاصق.

(٣) الدغ: الدفع الشديد.

(٤) الصفر: الروع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

باب اللحن

قال أبو عثمان عمرو بن بحر: حدثنا عثمان أبو يحيى^(١) عن الأعمش^(٢) عن عمارة بن عمير قال: «كان أبو معمر يحدثنا فيلحن يتبع ما سمع» أبو الحسن قال: أوفد زياد عبيد الله بن زياد إلى معاوية فكتب إليه معاوية: «إن أبتك كما وصفت ولكن قوم من لسانه». وكانت في عبيد الله لكنة لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة، وكان زياد تزوجها من شبرويه الأسواري، وكان قال مرة: «افتحوا سيوفكم» يريد: سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مفرغ:

[الوافر]

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضَعْتَ وَكُلَّ أَمْرِكَ لِلضَّيَاعِ
وَلَمَّا كَلَّمَهُ سُوَيْدُ بْنُ مَنجُوفٍ فِي الْهَيْثَاتِ بَنُ ثَوْرٍ قَالَ لَهُ: «يَا أَبْنُ الْبُظْرَاءِ». فقال له سويد: «كذبت على نساء بني سدوس». قال: «اجلس على أسن الأَرْضِ». قال سويد: «ما كنت أحسب أن للارض أسناً» قالوا: قال بشر بن مروان - وعنده عمر بن عبد العزيز - لِعَلَامٍ لَهُ: «أدع لي صالحاً» فقال العلام: «يا صالحاً». فقال له بشر: «ألق منها ألفاً». وقال له عمر: «وأنت فرد في ألفك ألفاً» وزعم يزيد مولى عوف قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء فكان إذا دعاها قال: «يا ضمياء» بالضاد فقال له ابن المقفع: «قل يا ظمياء» فناداها: «يا ضمياء» قال: فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثاً قال: «هي جاريتي أو جاريتك؟» قال نصر بن سيار: «لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك». وكان محمد بن الجهم ولّى المكي صاحب النظام موضعاً من مواضع كسكر، وكان المكي لا يحسن أن يسمي ذلك المكان ولا يتهجأه ولا يكتبه، وكان اسم ذلك شانمنا. وقيل لأبي حنيفة: «ما تقول في رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيد به؟» قال: «لا، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس». وقال يوسف بن خالد التميمي لعمر بن عبيد: «ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها؟» قال له عمرو: «أحسن». قال: «من قفاؤها». قال: «أحسن». قال: «من قفائها» قال له: «من عناك هذا، قل من قفاها وأسترخ». قال:

(١) جاء في نسخة أخرى «علي» بدلاً من «يحيى».

(٢) هو: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد: تابعي، ولد في الكوفة سنة ٦١هـ = ٦٨١م وبها توفي سنة ١٤٨هـ = ٧٦٥م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/٩، وفيات الأعيان: ٢١٣.

وسمعت من يوسف بن خالد يقول: «لا حتى يشجه» بكسر الشين يريد حتى يشجّه بضم الشين. وكان يوسف يقول: «هذا أحمر هذا» يريد هذا أشدّ حمرةً من هذا. وقال بشر المريسي^(١) «قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها» فقال قاسم التمار هذا على قوله:

إِنْ سُلِّمَى وَاللَّهْ يَكْلُوْهَا ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُوْهَا

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر. وقال مسلم بن سلام حدّثني أبان بن عثمان، قال: كان زياد النبطي أخو حسان النبطي شديد اللكنة، وكان نحوياً، قال: وكان بخيلاً، دعا غلامه ثلاثاً فلماً أجابه قال: «فمن لدن دأوتك فقلت لي إلى أن أجبتني ما كنت تصنع؟» يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع؟ قال: وكانت أم نوح وبلال ابني جرير أعجميةً فقالا لها: «لا تكلمي إذا كان عندنا رجال». فقالت يوماً: «يا نوح جُرْذان دخل في عجان أمك» وكان الجرد أكل من عجنيها. قال أبو الحسن أهدِي إلى فيل مولى زياد حماراً وحش فقال لزياد: «أهدوا لنا همار وهش» قال: «أي شيء تقول ويليك؟!» قال: «أهدوا لنا أيراً» يريد عيراً، قال زياد «الثاني شرٌّ من الأول» قال يحيى بن نوفل:

[المقارب]

وَإِنْ يَكُ زَيْدٌ فَصِيحُ اللِّسَانِ خَطِيباً فَإِنَّ أَسْتَهُ تَلَحَّنْ
عَلَيْكَ بِسُكٍّ^(٢) وَرَمَانَةٍ وَمِلْحٌ يُدَقُّ وَلَا يُطْحَنُ
وَحَلْتِي^(٣) كِرْمَانٍ أَوْ نَانَحَاهُ^(٤) وَشَمْعٌ يُسَخَّنُ فِي مُدْهَنٍ^(٥)

وهذا الشعر في بعض معانيه يُشبه قول ابن منذر:

[الهزج]

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ وَاحِدٍ بَحْبُلٍ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ وَاحِدٍ هِنِ الْقُوَّةِ مُنْبَتٍ
فَخُذْ مِنْ شَعْرِ كَيْسَانَ وَمِنْ أَظْفَارِ سَبَّخَتِ
أَلَمْ يَبْلُغَكَ تَسَالِي لَدَى الْعَلَامَةِ الْبُرْتِ^(٦)

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، العدوي بالولاء، أبو عبد الرحمن: فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة وهو رأس الطائفة «المريسية» القائلة بالإرجاء. كان أبوه يهودياً، وهو من أهل بغداد عاش فيها نحو ٧٠ عاماً حيث توفي سنة ٢١٨ هـ = ٨٣٣ م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥٦/٧، وفيات الأعيان ٩١/١.

(٢) السك: ضرب من الطيب، يعرف عند الأطباء «بسك المسك».

(٣) الحلتي: صمغ الأنجازان.

(٤) النانحاه: الكمون الملوكي.

(٥) المدهن: آلة الدهن وقارورته.

(٦) البرت: الدليل الماهر.

وَقَالَ الْمَرْءُ مَا سَرَجِيسٌ ^(١) داء المرء من تحت
وقال البردخت:

[الطويل]

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِكَ يَا حَفْصُ شَاغِلٌ وَأَنْفٌ كَثِيلٌ ^(٢) الْعُودُ ^(٣) عَمَّا تَتَّبِعُ
تَتَّبِعُ لَحْنًا فِي كَلَامٍ مُرَقَّشٍ ^(٤) وَخَلَقَكَ مَبْنِيٍّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ
وَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ ^(٥) وَأَنْفُكَ مُكْفَأٌ ^(٦) وَوَجْهُكَ إِيْطَاءٌ ^(٧) فَأَنْتَ الْمُرْقَعُ
وقال الميساني في هجائه أهل المدينة:

[الوافر]

وَلَحْنُكُمْ بِتَقْصِيرٍ ^(٨) وَمَدٌّ وَأَلَامٌ مَن يَدُبُّ عَلَى الْعِفَارِ
عليُّ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى فَتَى كِتَابًا فَأَجَابَنِي، فَإِذَا عُنْوَانُ الْكِتَابِ: «إِلَى ذَاكَ
الَّذِي كَتَبَ إِلَيَّ» وَقَرَأْتُ عَلَى عُنْوَانِ كِتَابٍ لِأَبِي أُمَيَّةَ الْأَشْمَرِيِّ: «لِلْمَوْتِ أَتَا قَبْلَهُ» وَكَتَبَ أَبُو
الْمُرَادِيِّ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ بَغْدَادَ: «جُعِلْتُ فِدَاكَ بِرَحْمَتِهِ». وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّارٍ: «أَنَا لَا
أَقُولُ: مِتَّ قَبْلَكَ، لِأَنِّي إِذَا مِتَّ قَبْلَكَ مَاتَ هُوَ بَعْدِي، وَلَكِنْ أَقُولُ مِتَّ بِذَلِكَ». وَكَتَبَتْ
عِقَالُ بْنُ شَبَّةَ بْنِ عِقَالٍ إِلَى زَهِيرِ بْنِ الْمُسَيَّبِ:

[الخفيف]

لِأَمِيرِ الْمُسَيَّبِ بْنِ زُهَيْرٍ مِّنْ عِقَالِ بْنِ شَبَّةَ بْنِ عِقَالٍ
وَلَمَّا كَتَبَ بِشِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ عَلَى خَاتَمِهِ: «بَشِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ بِالرَّحْمَنِ لَا يَشْرِكُ».
قَرَأَهُ أَبُوهُ عَلَى خَاتَمِهِ قَالَ: «هَذَا أَقْبَحُ مِنَ الشَّرِكِ». وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: «الْأَلْحَنُ
هُجْنَةٌ عَلَى الشَّرِيفِ، وَالْعَجَبُ أَفْهُ الرَّأْيِ». وَكَانَ يُقَالُ: «الْأَلْحَنُ فِي الْمَنْطِقِ أَقْبَحُ مِنْ آثَارِ
الْجُدَرِيِّ فِي الْوَجْهِ». وَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ فِي خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ:

[البيسط]

وَالْحَنُ النَّصَاسِ كُلِّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ
وَزَعَمَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالتَّشْدِيقِ - قَالَ: «إِنْ كُنْتُمْ رَجَبِيونَ
فَأَنَا رَمْضَانِيونَ». وَلَوْلَا أَنَّ تِلْكَ الْعَجَائِبَ قَدْ صَحَّحَتْ عَلَى الْوَلِيدِ مَا جَوَزْتَ هَذَا عَلَى

(١) جاء في نسخة أخرى «ماسرجويه» وهو الطبيب المشهور الذي ترجم لعمر بن عبد العزيز كتاب «أهرن
القس» في الطب.

(٢) الثيل: القضيبي. (٣) العود: الجمل المسن.

(٤) مرقيش: مزخرف.

(٥) الإقواء: مخالفة حركة بيت من الشعر لحركة سائر الأبيات في نفس القصيدة.

(٦) الإكفاء: هو مخالفة أحرف الروي في نفس القصيدة.

(٧) الإيطاء: هو تكرار نفس الكلمة في بيتين متتاليين.

(٨) جاء في نسخة أخرى «بتقغير» بالعين، بدلاً من «بتقصير» بالصاد.

خالد. قال: وكتب الحُصَيْنُ بْنُ أَبِي الْحُرِّ كتاباً إلى عمرَ فلحن في حرف فيه، فكتب إليه عمر: أَنْ قَتَعَ كَاتِبَكَ سُوطاً^(١). وبلغني عن كثيرِ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ زَهْرٍ بْنِ سِيَارٍ أَنَّهُ كَانَ يَنْشُدُ بَيْتَ أَبِي دُلْفٍ:

أَلْبَسِينِي الدَّرْعَ قَدْ طَا لَ عَنِ الْحَرْبِ جَمَاحِي^(٢)
فَسأَلته عن ذلك فحلف أنه إنَّما قال:

أَلْبَسِينِي الدَّرْعَ قَدْ طَا لَ عَنِ الْحَرْبِ جَمَاصِي^(٣)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٤) فاللحن في ذلك الموضع غيرُ اللحن في ذلك الموضع. وكان سليمان بن عبد الملك يقول: المغيرةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ يُفَحِّمُ اللَّحْنَ كَمَا يُفَحِّمُ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ الْأَعْرَابِ. وقال الشاعر في نحو ذلك:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ قَعَبْتُ حِينَ لَقِيتَنَا وَأَنْتَ بِتَقْعِيبِ^(٥) الْكَلَامِ جَدِيرُ
وقال خلف الأحمر:

[المقارب]

وَفَرَّقَهُنَّ بِتَقْعِيبِهِ كَفَرَّقَعَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ
وقال الميساني:

[الوافر]

وَلَحْنُكُمْ بِتَقْعِيبٍ وَمَدٍّ وَالْأُمُّ مَنْ يَدُبُّ عَلَى الْعَفَارِ

وقال الْأَصْمَعِيُّ: خاصم عيسى بن عمرَ النحويُّ الثَّقَفِيُّ رجلاً إلى بلالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، فجعل عيسى يشبع^(٥) الأعراب وجعل الرجل ينظر إليه، فقال له بلال: «لأن يذهب بعضُ حقِّ هذا أحبُّ إليه من تركِ الأعراب، فلا تتشاغل به وأقصِدْ بحجَّتِكَ». وقَدَّمَ رجل من النحويين رجلاً إلى السُّلْطَانِ فِي دِينٍ لَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، لِي عَلَيْهِ دَرَهْمَانِ. قَالَ خَصْمُهُ: لَا وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ هِيَ إِلَّا ثَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ، لَكِنَّهُ لِيُظْهِرَ الْأَعْرَابَ تَرْكَ مِنْ حَقِّهِ دَرَهْمًا. قَالَ خَاصِمُ رَجُلٍ إِلَى الشَّعْبِيِّ أَوْ إِلَى شَرِيحٍ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ هَذَا بَاعَنِي غَلَامًا فَصِيحًا صَبِيحًا. قَالَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَطَارِدِ بْنِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ. قَالَ مَرَّ مَاسِرْجُوهِ الطَّبِيبُ بِجَدِّ مُعَاذِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدِ الْحَمِيرِيِّ فَقَالَ: يَا مَاسِرْجُوهِ إِنِّي

(١) قنع كاتبك سوطاً: اضربه سوطاً.

(٢) جاء في نسخة أخرى «جمامي» بالميم، بدلاً من «جماحي» بالحاء، و «جماصي» بالصاد.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٤) التقعيب في الكلام: التكلم بأقصى الحلق.

(٥) جاء في نسخة أخرى «يتبع» بدلاً من «يشبع».

أجد في حلقي بحجا. قال: إنه عملٌ بلغم. فلما جاوزه قال: أنا أحسنُ أن أقولَ بلغم، ولكنه كلمني بالعربية فكلَّمته بالعربية.

ذكر من سمع منه اللحن في القرآن الكريم:

وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ: «إنا من المجرمون المنتقمون»^(١) وقد زعم رؤيةُ بنُ العجاج وأبو عمرو بن العلاء أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج. وغلط الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ﴾^(٢) والحرف الآخر: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ﴾^(٣). أبو الحسن قال: كان سابقُ الأعمى يقول: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(٤) فكان ابن جابان إذا لقيه قال: يا سابقُ ما فعلَ الحرفُ الذي تُشرك بالله فيه، قال وقرأ: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(٥) وقال ابن جابان: وإن آمنوا أيضاً لم تنكحهم. وقال مسلمة بن عبد الملك: إنني لأحبُّ أن أسأل هذا الشيخ يعني عمرو بن مسلم فما يمنعني منه إلا لحنه. قال: وكان أيوبُ السخيتاني يقول: «تعلموا النحو، فإنه جمالٌ للوضع وتركه هجنةٌ للشريف». وقال عمر أيضاً: «تعلموا النحو، كما تعلمون السُّننَ والفرائضَ». قال رجل للحسن: «يا أبا سعيد» فقال: كَسِبُ الدوانيق شغلَكَ عن أن تقول يا أبا سعيد. قالوا: وأول لحن سمع بالبادية: «هذه عصاتي» وأول لحن سمع بالعراق: «حي على الفلاح».

باب ومن أَلْحَانِ أَلْبَغَاءِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ، وخالدُ بْنُ صفوانٍ الْأَهْنَمِيُّ، وعيسى بْنُ الْمَدُور. وقال بعض النساك: «أعربنا في كلامنا فما نلحن حرفاً، ولحنّا في أعمالنا فما نُعَرِّبُ حرفاً». قال: «أخبرنا الربيعُ بنُ عبد الرحمن السُّلَمِيُّ قال: قلت لأعرابي: «أتهمز إسرائيل؟» قال: «إني إذن لرجل سوء» قال: قلت: «فتجر فلسطين». قال: «إني إذن لقوي». وكان هُشَيْمٌ يقول: «حدثنا يونس عن الحسن» يقولها بفتح الياء وكسر النون. وكان عبدُ الأعلى بنُ الأعلى السامي يقول: «فأخذه فصرعه فذبحه فأكله» بكسر هذا أجمع. وكان مهديُّ بنُ مهلهل يقول: «حدثنا هشام» مجزومة ثم يقول «ابن» ويجزمه ثم يقول «حسان» ويجزمه لأنّه حين لم يكن نحوياً رأى أن السلامة في الوقف.

وأما خالدُ بْنُ الْحَارِثِ وَبِشْرُ بْنُ الْمَفْضَلِ الْفَقِيهَانِ فَإِنَّهُمَا كَانَا لَا يَلْحَنَانِ. وممن كان لا يلحن ألبته حتى كان لسانه أعرابي فصيح أبو زيد النحوي، وأبو سعيد المعلم.

قال خلف: قلت لأعرابي: «ألقي عليك بيتاً ساكناً». قال: «على نفسك فألقه» وقال

(١) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٢) سورة ص، الآية: ١.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٠.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

أبو الفضل العنبريُّ لعلِّي بن بشير: «إني أَلْتَقَطْتُ كِتَاباً مِنْ الطَّرِيقِ فَأَنْبِثْتُ أَنْ فِيهِ شِعْراً أَفْتَرِيدهُ حَتَّى آتِيكَ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنْ كَانَ مَقِيداً. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَمَقِيدٌ هُوَ أَمْ مَغْلُولٌ. أَلْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِي: أَتَهْمَزُ الرَّمْحَ. قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ لَهُ: فَقَلِمَا مَهْمُوزَةٌ. فَقَالَهَا مَهْمُوزَةً. قَالَ: أَتَهْمَزُ التَّرْسَ. قَالَ: نَعَمْ. فَلَمْ يَدَعْ سَيْفاً وَلَا تَرْساً إِلَّا هَمَزَهُ. فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ - وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ - دَعُوا أَخِي فَإِنَّهُ يَهْمَزُ السِّلَاحَ أَجْمَعُ.

وقال بعضهم: ارتفع إلى زياد رجلٌ وأخوه في ميراث، فقال: «إِنْ أَبُونَا مَاتَ وَإِنْ أَحِينَا وَثَبَ عَلَى مَالِ أَبَانَا فَأَكُلْهُ» فقال زياد: الذي أَضَعْتُ مِنْ لِسَانِكَ أَضُرُّ عَلَيْكَ مِمَّا أَضَعْتُ مِنْ مَالِكَ. وَأَمَّا الْقَاضِي فَقَالَ: فَلَا رَحِمَ اللَّهِ أَبَاكَ وَلَا تَنْحَ عَظْمَ أَخِيكَ، قُمْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ. وقال أبو شيبَةَ قَاضِي وَاسِطٍ «آتَيْتُمُونَا بَعْدَ أَنْ أَرَدْنَا أَنْ نَقِمَ؟».

قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب مِنْ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وفي بعض الْجُزْءِ الثَّانِي كَلَاماً مِنْ كَلَامِ الْعُقَلَاءِ وَالْبُلْغَاءِ وَمَذَاهِبِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ. وَقَدْ رَوَيْنَا نَوَادِرَ مِنْ كَلَامِ الصَّبِيَّانِ وَالْمَجْرُمِينَ^(١) مِنْ الْأَعْرَابِ وَنَوَادِرَ كَثِيرَةً مِنْ كَلَامِ الْمَجَانِينِ وَأَهْلِ الْمَرَّةِ^(٢) مِنَ الْمُوسُوسِينَ وَمِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ مِنَ التَّوَكِّيِّ وَأَصْحَابِ التَّكَلُّفِ مِنَ الْحَقَمِيِّ، فَجَعَلْنَا بَعْضَهَا فِي بَابِ الْهَزْلِ وَالْفُكَاةِ، وَلِكُلِّ جَنْسٍ مِنْ هَذَا مَوْضِعٌ يَصْلَحُ لَهُ، وَلَا بُدَّ لِمَنْ اسْتَكْدَهُ الْجِدُّ مِنَ الْأَسْتِرَاحَةِ إِلَى بَعْضِ الْهَزْلِ.

قال أبو عبيدة: أرسل ابنُ لِعَجَلٍ بَنُ لَجِيمٍ فِرْساً فِي حَلْبَةِ فِجَاءٍ سَابِقاً، فَقَالَ لِأَبِيهِ: «يَا أَبَتِ بَأْيَ شَيْءٍ أَسْمِيهِ؟» فَقَالَ: «إِفْقاً إِحْدَى عَيْنِيهِ وَسَمَهُ الْأَعُورَ» وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد، ويستخفون أخلاقهم، قال عمرُ بنُ لَجَأٍ:

[الرجز]

تَضَطَّكَ الْحَيِّهَا^(٣) عَلَى دِلَائِهَا تَلَاطَمَ الْأَزْدُ عَلَى عَطَائِهَا

وقال بشار:

[الكامل]

وَكَأَنَّ عَلَيَّ دِنَانِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَغَطُ الْعَتِيكِ عَلَى خَوَانِ زِيَادٍ

وقال الأراجز:

[الرجز]

لَبَّيْكَ بِي أَرْفُلُ^(٤) فِي بَجَادِي^(٥) حَازِمَ حَقْوَيَّ^(٦) وَصَدْرِي بَادِي

(١) جاء في نسخة أخرى «المحرمين» بالحاء بدلاً من «المجرمين» بالجيم، والمحرم من لم يؤدب.

(٢) المرة: أخلاط البدن كالدَّمِ والبلغم، وقد يكون معناها من ابيضت حماليق عينيه وبواطن أجفانه.

(٣) ألحيتها: جمع لحية.

(٤) أرفل: أتتعم.

(٥) البجاد: ضرب من الأكسية مخطط.

(٦) الحقو: الإزار يعقد عند الكشحين.

أَفْرَجُ الظُّلُمَاءِ عَنْ سَوَادٍ أَقْوَى لِشَوْلٍ ^(١) بَكَرَتْ صَوَادِي ^(٢)
 كَأَنَّمَا أَصْوَاتُهَا بِالصَّوَادِي أَصْوَاتُ حَجٍّ عَنْ عُمَانَ غَادِي
 وقال الآخر:

[الكامل]

وَإِذَا سَمِعْتَ هَدِيلَهُنَّ حَسِبْتَهُ لَغَطَ الْمَعَاوِلِ فِي بُيُوتِ هَدَادٍ
 وبسبب هذا يدخلون في هذا المعنى قبائل اليمانية. وقال ابن أحمَر:

[البسيط]

إِخَالُهَا سَمِعْتَ عَزْفًا فَتَحَسَّبُهُ إِهَابَةً ^(٣) الْقَسْرِ لَيْلًا حِينَ تَنْتَشِرُ
 وقال الْكُمَيْت:

[المتقارب]

كَأَنَّ الْغَطَامِطَ ^(٤) مِنْ غَلِيهَا أَرَاغِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غَفَارَا
 فجعل الأراجيز التي شبهها في لَغَطِهَا وَالتَّفَافِهَا بصوت غليان الْقَدَرِ لِأَسْلَمَ دون
 غفار.

(١) الشول: جمع شائلة وهي من الإبل مرّ على حملها سبعة أشهر، فارتفع ضرعها وجفّ لبنها.

(٢) صوادي: مفردا صادية، وهي العطشى.

(٣) الإهابة: زجر ودعاء الإبل والخيّل والغنم.

(٤) الغطامط: صوت غليان القدر.

باب النُّوْكِ

قالوا: وَمِنْ النُّوْكِ (مالك بن زيد مناة بن تميم) الَّذِي لَمَّا دَخَلَ عَلَى أُمِّرَائِهِ فَرَأَتْ مَا رَأَتْ بِهِ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَهْلِ، وَجَلَسَ فِي نَاحِيَةٍ مَنَقِبُضاً مُشْتَمِلاً قَالَتْ: ضَعْ عِبَاءَكَ. قَالَ: يَدِي أَحْفَظُ لَهَا. قَالَتْ: فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ. قَالَ: رَجُلَايَ أَحْفَظُ لِهَمَّا. قَالَتْ: فَضَعْ شِمْلَتَكَ. قَالَ: ظَهْرِي أَوْلَى بِهَا. فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ قَامَتْ، فَجَلَسَتْ إِلَى جَانِبِهِ فَلَمَّا شَمَّ رِيحَ الطَّيِّبِ وَثَبَ عَلَيْهَا^(١).

وَمِنْ الْمَجَانِينِ وَالْمُوسُوسِينَ وَالنُّوْكِ ابْنُ فُتَيَانَ^(٢) وَصَبَاحُ الْمُوسُوسِ، وَرَيْسُمُوسُ الْيُونَانِيُّ، وَأَبُو حَيَّةِ الْنَمِيرِيِّ، وَأَبُو يَسَّ الْحَاسِبِ^(٣) وَجَعِيفَرَانُ الشَّاعِرِ، وَجَرْنَفَشُ. وَمِنْهُمْ سَارِيَةُ اللَّيْلِ، وَمِنْهُمْ رَيْطَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ مُرَّةَ وَهِيَ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا أَنْكَائاً فَضَرَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا الْمَثَلَ. وَهِيَ الَّتِي قِيلَ لَهَا: «خَرَقَاءُ وَجَدَتْ صَوْفاً». وَمِنْهُمْ دَغَةُ، وَجَهِيْزَةُ، وَشَوْلَةُ، وَدُرَاعَةُ الْمَعْدِيَةِ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ قِصَّةٌ سَنَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَأَمَّا (رَيْسُمُوسُ) فَكَانَ مِنْ مُوسُوسِي الْيُونَانِيِّينَ. قَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا بَالُ رَيْسُمُوسٍ يَعْلَمُ النَّاسَ الشَّعَرَ وَلَا يَسْتَطِيعُ قَوْلَهُ؟ قَالَ: مِثْلُهُ مِثْلُ الْمَسْنَنِ الَّذِي يَشْحَذُ وَلَا يَقْطَعُ. وَرَأَى رَجُلٌ يَأْكُلُ فِي السُّوقِ فَقَالَ: مَا بَالُ رَيْسُمُوسٍ يَأْكُلُ فِي السُّوقِ؟ قَالَ: إِذَا جَاعَ فِي السُّوقِ أَكَلَ فِي السُّوقِ. وَأَلَحَّ عَلَيْهِ بِالشَّتِيمَةِ رَجُلٌ وَهُوَ سَاكِتٌ فَقِيلَ لَهُ: يَشْتَمُكَ مِثْلُ هَذَا وَأَنْتَ سَاكِتٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ نَبَحَكَ كَلْبٌ أَتَنْبَحُهُ، وَرَمَحَكَ حِمَارٌ أَتَرْمَحُهُ؟ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ فِي الْفَجْرِ يُرِيدُ الْفِرَاتَ أَلْقَى فِي دَوَارَةِ بَابِهِ حَجَراً حَتَّى لَا يُعَانِي دَفْعَ بَابِهِ إِذَا رَجَعَ. وَكَانَ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَى بَابِهِ وَجَدَ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً وَالْبَابَ مُنْصَفِيقاً فَعَلِمَ أَنَّ أَحَدًا يَأْخُذُ الْحَجَرَ مِنْ مَكَانِهِ، فَكَمَنَ لِمُصَاحِبِهِ يَوْمًا فَلَمَّا رَأَى قَدْ أَخَذَ الْحَجَرَ قَالَ: مَا لَكَ تَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَكَ؟ قَالَ: لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ. قَالَ: فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ.

أَمَّا (جَعِيفَرَانُ) الْمُوسُوسُ الشَّاعِرُ فَشَهِدْتُ رَجُلًا أَعْطَاهُ دَرَهْمًا وَقَالَ: قُلْ شِعْرًا عَلَى الْجِيمِ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[مَجْزُوءُ الْخَفِيفِ]

عَادَنِي أَلْهَمُ فَأَعْتَلَجُ كُلُّهُمْ إِلَى فَرَجٍ

(١) جاء في نسخة أخرى «على جانبها» بدلاً من «عليها».

(٢) جاء في نسخة أخرى «قنان» بالقاف بدلاً من «فتيان».

(٣) جاء في نسخة أخرى «الحاجب» بالجيْم بدلاً من «الحاسب» بالسين.

سَلَّ عَنْكَ الْهُمُومَ بَالٍ كَأْسٍ وَالرَّاحَ تَنْفَرِجَ
وهي أبياتٌ، وكان يتشيعُ، قال له قائل: أتشتم فاطمة وتأخذ درهمًا؟ قال: لا بل
أشتم عائشة وأخذ نصف درهم. وهو الذي يقول:

[مجزوء الرجز]

مَا جَعَفَرُ لِأَبِيهِ وَلَا لَهُ بِشَبِيهِ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثَ يَرِفُ كُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنَيَّ وَذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
وَالَأُمُّ تَضْحَكُ مِنْهُمْ لِعِلْمِهَا بِأَبِيهِ

وهو الذي يقول في قوم لاطة:

[المنسرح]

كَأَنَّهُمْ وَالْأَيُّورُ عَامِدَةٌ صَيَاقِلٌ فِي جِلَابَةِ النَّضْلِ
وأما (أبو يس الحاسب) فإنَّ عقله ذهب بسبب تفكره في مسألة، فلمَّا جُنَّ كان
يهذي أنه سيصيرُ ملكاً، وقد أُلْهِمَ ما يحدثُ في الدنيا مِنَ الملاحم. وكان أبو نواس
وَالرَّقَاشِيُّ يقولان على لسانِهِ أشعاراً على مذاهب أشعار ابن عقبة اللَّيثِي وِرويانها أبا يَسٍ
إذا حفظها لم يُشكَّ أنه الَّذِي قالها. فمن تلك الْأَشْعَارُ قول أبي نواس:

[الرمل]

مَنَعَ النَّوْمَ إِذْكَارِي زَمَنًا ذَاتَهَا وَيْلٌ وَأَشْيَاءٌ نُكِرَ
وَأَعْتَرَاكَ الرُّومُ فِي مَعْمَعَةٍ لَيْسَ فِيهَا لِجَبَانٍ مِنْ مَفَرٍ
كَائِنَاتٍ لَيْسَ عَنْهَا مَذْهَبٌ خَطَّهَا يَوْشَعٌ فِي كُتُبِ الزُّبُرِ
وَعَلَامَاتٍ سَتَاتِي قَبْلَهُ جَمَّةٌ أَوَّلُهَا سَكْرُ النَّهْرِ
وَيَلِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ هَاشِمٍ أَقْنَصُ النَّاسِ جَمِيعاً لِلْحُمُرِ
يُبْتَنِي فِي الصَّخْنِ مِنْ مَسْجِدِهِمْ لِلْمُصَلِّينَ مِنَ الشَّمْسِ سُبُرُ
وَرَجَاءٌ يَبْتَنِي مَطْهَرَةً ضَخْمَةً فِي وَسْطِهَا طُشْتُ صُفْرُ
فَهُنَاكُمُ حِينَ يَفْشُوا أَمْرُكُمْ وَهُنَاكُمُ يَنْزِلُ الْأَمْرُ النُّكُرُ
فَاتَّبِعُوهُ حَيْثُ مَا سَارَ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَإِنْ طَالَ السَّفَرُ
وَدَعُوا بِاللَّهِ أَنْ تَهْزُوا بِهِ لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ مِنْهُ سَخِرُ

والبصريون يزعمون إن أبا يس كان أحسب الناس.

أما (أبو حيّة النميري) فإنه أجنُّ من جُعَيْفَرَانِ، وكان أشعر الناس وهو الذي
يقول:

[الطويل]

أَلَا حَيَّ أَطْلَالَ الرُّسُومِ الْبَوَالِيَا لَبَسْنَ الْبَلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا

وفي هذه القصيدة يقول:

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يملّ التقاضيا

وهو الذي يقول:

[الطويل]

فَأَلَقْتُ ^(١) قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقْتُ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٌّ وَمِعْصَمٍ

وحدثني أبو المنجوف قال: قال أبو حيّة: «عنّ لي ظبي فرميتّه، فراخ عن سهمي، فعارضه، والله السهم، ثم راع، فراوَعَه حتى صرَعَه ببعض الجنارات» ^(٢). وقال: «والله رميتُ ظبيةً، فلمّا نفذ السهمُ ذكُرْتُ بالطّبية حبيبةً لي فشددتُ وراء السهم حتى قبضتُ على قذذه» ^(٣) وكان يكلّم العمار ^(٤) ويخبر عن مفاوضته للجَنِّ.

وأما (جرنفش) فإنه لمّا خلع ألفرزدق لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جرنفش: «نَحْ بَغْلَتِكَ حَلَقَ اللَّهُ سَاقِيكَ». قال: «ولِمَ عافاك الله؟» قال: «لأنّك كذوبُ المبخرة، زاني الكمرة». قال أبو الحسن: وبلغني أنّ ألفرزدق لمّا أن قال له الجرنفش ما قال نادى: «يا بني سدوسٍ» فلما اجتمعوا إليه قال: «سودوا الجرنفش عليكم فإني لم أر فيكم أعقل منه».

ومن مجانيين الكوفة (عينادة) ^(٥) و(طاق البصل). حدثني صديق لي قال: قلتُ لعينادة: «أيُّما أجَنُّ: أنت أو طاقُ البصل؟» قال: أنا شيء وطاقُ البصل شيء.

ومن مجانيين الكوفة (بهلول) وكان يتشيع، قال له إسحاق بن الصَّبَّاح: «أكثر الله في الشيعة مثلك». قال: «بل أكثر الله في المرجئة مثلي، وأكثر في الشيعة مثلك». وكان جيد القفاء فربّما مرّ به من يُحبُّ العبث فيقفذه ^(٦)، فحشا قفاه خَرءاً وجلس على قارعة الطريق، فكلّما قفذه إنسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به «يا فتى شم يدك» فلم يعدّ بعده أحدٌ يقفذه. وكان يُغني بغيرا ويسيكت بدائق. وكانت بالكوفة امرأة رَعْناء يُقال لها مجيبة ففقد بهلولا فتى كانت مجيبة أَرْضَعْتُهُ، فقال له بهلول: «كيف لا تكون أرعن وقد أَرْضَعْتِكَ مُجِيبَةً؟ فوالله لقد كانت تزق لي الفرخ فأرى الرعونة في طيرانه».

قال حدثني حُجْرُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قال مرّ موسى بْنُ أَبِي رَظَاءٍ فناداه (صباح)

(١) جاء في نسخة أخرى «فأرخت» بدلاً من «ألقت».

(٢) جاء في نسخة أخرى «الخبارات» بالخاء والباء، ومعناها هو ما تحفر من الأرض، بدلاً من «الجنارات».

(٣) القذذ: ريش السهام.

(٤) العمار: سكان البيت.

(٥) جاء في نسخة أخرى «عيناوة» بالواو بدلاً من «عينادة» بالذال.

(٦) قفد: صفع.

الموسوس: «يا أبن أبي الردقاء، أَسَمَنْتَ برذونَكَ وأَهْرَلْتَ دينَكَ، أما واللهِ إنَّ أمامَكَ لَعَقْبَةً ولا يُجاوِزُها إلَّا المَخَفُ». فحبس موسى برذونَه وقال: «من هذا» ف قيل له: «هذا صباحُ الموسوس». فقال: «ما هو بموسوس، هذا نذير».

قال أبو الحسن: دعا بعضُ السلاطين مجنونين ليحرَكهما فيضحكُ مما يَجِيءُ منهما، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف، فقال أحدهما لصاحبه: «كنا مجنونين فصرنا ثلاثة».

وقال عمرُ بنُ عثمان: شَيَّعْتُ عبدَ العزيز بنَ عبد الملك المخرومي، وهو قاضي مكة إلى منزله وباب المسجد مجنونة تصفق وهي تقول:

[الرجز]

أَرْقَ عَيْنِي طَراطِرُ^(١) الْقَاضِي هَذَا الْمَقِيمُ لَيْسَ ذَاكَ الْمَاضِي

فقال: «يا أبا حفص، أتراها تعني قاضي مكة؟».

وقال: تذاكروا اللثغ. فقال قوم: أحسن اللثغ ما كان على السنين، وهو أن يصير ثاء. وقال آخرون: على الراء، وهو أن يصير غيناً. فقال مجنون البكرات: «أنا أيضاً ألثغ وإذا أردتُ أن أقول شرائط قلت رشيط».

قال: وبعث عُبيد الله بنُ مروانَ عُمَ الوليد إلى الوليد بِقُطَيْفَةٍ حمراء فكتب إليه الوليد: «قد وصلت إلي القُطَيْفَةُ وأنت يا عُمُ أحمق أحمق».

وقال محمد بن بلال لوكيله زيد: «إشترِ طيباً سِرافياً». قال: «تريده سِرافِي أو سِرافِي سِرافِي؟» وقال محمد بنُ الجهم للمكي: «أراك مستبصراً في اعتقاد الجزء الذي لا يتجزأ، فينبغي أن يكونَ عندك حقاً حقاً». قال: «أما أن يكونَ عندي حقاً حقاً فلا، ولكنه عندي حق».

ودخل أبو طالب صاحبُ الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنتِ الرُشيد على أن يشتري طعاماً من طعامها في بعض البيادر فقال لها: «إنِّي قد رأيت متاعكِ». قالت هاشمية: «قل طعامكِ». قال: «وقد أدخلت يدي فيه فإذا متاعكِ قد ضَمَّ وحمَّى وصار مثل الجيفة». قالت: «يا أبا طالب أَلَسْتُ قد قبلتُ الشَّعِيرَ فأعطينا ما شِئْتُ وإن وجدتهُ فاسداً». ودخل أبو طالب على المأمون، فقال: «كان أبوك يا خيّر لنا منك، وأنت يا أبا ليس تَعِدُنَا وليس تبعثُ إلينا، ونحن يا أبا تجارُك وجيرانُك» والمأمونُ في كل ذلك يتبسم.

قيل للمثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة، وهو على الإمامة: إن هاهنا مجنوناً له

(١) جاء في نسخة أخرى «ضراط» بدلاً من «طراط».

نوادِر، فَأَتَوْهُ بِهِ، فَقَالَ: «ما هجاء النشاش» قال: «الفلج القادي» فغضب أبْنُ هبيرة وقال: ما جتتموني بِهِ إِلَّا عَمْدًا، ما هذا بمجنون.

والنشاش: يومٌ كان لقيس على حنيفة، والفلج: يومٌ كان لحنيفة على قيس. وأنشدوا:

[الطويل]

تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَاءَ إِذَا حُسِبُوا مَعًا وَفِي الْقَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ
وقال:

[الطويل]

فَتَى زَادَهُ عِزُّ الْمَهَابَةِ ذِلَّةً وَكُلُّ عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعٌ
وقال:

[البسيط]

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهْلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ
إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا أَعْتَدَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْخَشَبُ

باب في العِي

قال جعفر ابن أخت واصل: كتب رجل إلى صديق له: «بلغني أن في بستانك آسا يهمني، فهب لي منه أمراً من أمر الله عظيم».

وقال أبو عبد الملك - وهو الذي كان يُقال له عناق -: «كان عياش وُثْمامةً حي كان يُعْظَمُني تعظيماً ليس في الدنيا مثله، فلما مات ثُمامة صار ليس يُعْظَمُني تعظيماً ليس في الدنيا مثله». وقال له عياش بنُ القاسم: «بأي شيء تزعمون أن أبا علي الأسواري أفضل من سلام أبي المنذر؟» قال: «لأنه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو علي في جنازته، فلما مات أبو علي لم يذهب سلام في جنازته». وكان يقول: «فيك عشر خصال من الشر، أما الثانية والرابعة كذا وأما السابعة كذا وأما العاشرة كذا».

قال: «قلنا للفقعسي: كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب؟ قال: «هو والله عندي الكذا والكذا».

وقال الخرداذي: «أجرك الله وعظم أجركم وأجركم». ف قيل له في ذلك فقال: هذا كما قال عثمان بن الحكم: «بارك الله لكم وبارك الله عليكم وبارك الله فيكم». قالوا له: ويلك إن هذا لا يشبه ذلك. وكتب إلى بعض الأمراء: «أبقاك الله وأطال بقاءك ومد في عمرك».

وكان أبو إدريس السمان يقول: «وأنت فلا صبحك الله إلا بالخير». ويقول: «وأنت فلا حيا الله وجهك إلا بالسلام، وأنتم فلا بينكم الله إلا بالخير».

ومر ابن أبي علقمة فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه ضفيرتان فقال له: ﴿يَذَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

وقال المهلب لرجل من بني مَلْكَانَ أحد بني عدي: «متى أنت؟» قال: «أيام عتيبة بن الحارث بن شهاب». وأقبل على رجل من الأزد فقال له: «متى أنت؟» قال: «أكلت من حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عامين» قال: «أطعمك الله لحماً» وأنشد المعيطي:

[الطويل]

وَأَنْزَلَنِي طُولَ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ الَّذِي لَا أَشَاكِهُ

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

فَحَامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
قال: وخطب والي أليمة فقال: «إن الله لا يقار عباده على المعاصي، وقد أهلك
الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم» فسَمِّيَ مَقْوَمَ نَاقَةِ اللَّهِ .
وهؤلاء من الجفاة والأعراب المُحْرَمِينَ، وأصحاب العجرفية، ومن قلَّ فقهه في
الدين إذا خطبوا على المنابر، فكأنهم في طباع أولئك المجانين .

وخطب وكيع بن أبي سواد^(١) بخراسان فقال: «إن الله خلق السموات والأرض في
سنة أشهر». فقيل له: «إنها ستة أيام». قال: «وأبيك لقد قلتها وإنني لأستقلها» وصعد
المنبر فقال: «إن ربيعة لم تزل غضاباً على الله مُذْ بعث نبيه من مَضَر، ألا وإن ربيعة قومٌ
كُشِفَ^(٢)، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل في مناخرها فإن فرساً لم يُطعن في منخره إلا كان
أشدَّ على فارسه من عدوه» .

وضربت بنو مازن الحنات بن يزيد المُجاشعي فجاءت جماعة منهم فيهم غالب أبو
الفرزدق فقال: «يا قوم كونوا كما قال الله: لا يعجز القوم إذا تعاونوا» .

وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شيمان قال في حرب مسعود والأحنف: «إن جاء
حنات جئت، وإن جاء الأحنف جئت، وإن جاء حارثة جئت، وإن جاؤوا جئنا، وإن لم
يجيئوا لم يجيء». وهذا باطل، وقد سمعنا لصبرة كلاماً لا ينبغي أن يكون صاحب ذلك
الكلام يقول هذا الكلام .

ولما سمع الأحنف فتیان بني تميم يضحكون من قول العرندس:

[المقارب]

لَحَا اللَّهُ قَوْمًا شَوْوًا جَارَهُمْ إِذَا الشَّاءُ بِالْذَرَّهَمَيْنِ الشُّصْبُ^(٣)
أَرَى كُلَّ قَوْمٍ رَعَوْا جَارَهُمْ وَجَارُ تَمِيمٍ دُخَانٌ ذَهَبُ
قال: «تضحكون، أما والله إن فيه لمعنى سوء» .

قال: وكان قبيصة يقول: «رأيت غرفة فوق البيت». ورأى جراداً يطير، فقال: «لا
يهولنكم ما ترون، فإن عامتها موتى». وإنه في أول ما جاء الجرادة قبل جرادة ووضعها
على عينيه على أنها من الباكورة .

وهذه الأشياء ولدها الهيثم بن عدي عند صنيع داود بن يزيد في أمر تلك المرأة ما صنع .
قال أبو الحسن وتغذى أبو السرايا عند سليمان بن عبد الملك، وهو يومئذ وليّ

(١) جاء في نسخة أخرى «سود» بدون ألف .

(٢) كشف: مفردة أكشف وهو من لا يحمل ترساً أثناء القتال .

(٣) الشصب: الشاة المسلوخة .

عهد وقدامه جَدِّي فقال: «كل من كليته فإنه يزيد في الدماغ». فقال: «لو كان هذا هكذا لكان رأس الأمير مثل رأس البغل».

قال أبو كعب: كُنَّا عند عِيَّاشِ بْنِ الْقَاسِمِ، ومعنا سيفويه القاصُّ فأتينا بفالوذجة حارّة فابتلع سيفويه منها لقمة فغشي عليه من شدّة حرّها فلمّا أفاق قال: «مات لي ثلاثة بنين ما دخل جوفي عليهم من الحُرقة ما دخل جوفي من حُرقة هذه اللقمة».

سعيد بن مالك قال: جالسي رجل فقير^(١) لا يكلمني ساعة ثم قال لي: «جلست قطّ على رأس تنور فخريت فيه آمناً مطمئناً». قال: قلت: «لا» قال: «فإنك لم تعرف شيئاً من النعيم قطّ».

قال: وقال هشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه: «أي شيء ألدُّ؟» قال له الأبرش بن حسان: «أصابعك جربٌ قطّ فحككته؟» قال مالك: «أجرب الله جلدك ولا فرّج الله عنك» وكان آنس الناس به.

ومن غرائب الحمق المذهب الذي ذهب إليه الكميّ بن زيد في مديح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يقول:

[المنسرح]

فَأَعْتَبْتُ ^(٢) الشَّوْقُ مِنْ فُؤَادِي وَالشَّعْ	رُ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ مُعْتَتَبُ
إِلَى السَّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدُ لَا	تَعْذِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهْبُ
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّ	سُ إِلَيَّ الْعُيُونُ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أَفَرَطْتُ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ	عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتْ أَلْ	أَرْضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعَيْبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ	أَكْثَرَ فَيْكَ اللَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن رأى شاعراً مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم أن ناساً يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه، ولقد مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زاد على قوله:

[الطويل]

وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكَتْ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرِبُ

يعني قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ويثرب يعني المدينة:

لَقَدْ غَيَّبُوا بِرَأٍ وَحَزْماً وَنَائِلاً عَشِيَّةً وَارَاهُ الصَّفِيحُ^(٣) الْمُنْصَبُ^(٤)

(١) جاء في نسخة أخرى «فغير» ومعناها مكث، بدلاً من «فقير».

(٢) اعتتب: انصرف.

(٣) الصفيح: الحجارة يغطى بها الميت في قبره.

(٤) المنصب: المنسوب.

وهذا شعر يصلح في عامة الناس .

وكتب مسلمةُ بْنُ عبد الملك إلى يزيدَ بْنِ المهلب : «إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِصاحب هذا الأمر، صاحبُ هذا الأمر مغمور وموتور، وأنت مشهور غير موتور» . فقال له رجل من الأزد يقال له عثمان بن المفضل : «قَدِّمَ ابْنُكَ مَخْلُداً حَتَّى يَقْتَلَ فَتَصِيرَ مَوْتُوراً» . وقال : جاء ابْنُ الخديعِ بْنِ علي - وكان ابن خال يزيدَ بْنِ المهلب - فقال ليزيدَ : «زَوِّجْنِي بَعْضَ وَلَدِكَ» . فقال له عثمان بن المفضل : «زَوِّجْهُ ابْنُكَ مَخْلُداً فَإِنَّهُ إِنَّمَا طَلَبَ بَعْضَ الْوَلَدِ وَلَمْ يَسْتَشِنْ شَيْئاً» .

وَمِنْ الْحَمَقَاءِ كَثِيرٌ عَزَّةٌ، وَمِنْ حَمَقِهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ فَمَدَحَ بِمَدِيحِ اسْتِجَادِهِ فَقَالَ لَهُ : «سَلِّنِي حَوَائِجَكَ» . فَقَالَ : «تَجْعَلْنِي فِي مَكَانِ ابْنِ زَمَانَةَ» . قَالَ : «وَيْلَكَ، ذَلِكَ رَجُلٌ كَاتِبٌ وَأَنْتَ شَاعِرٌ» . فَلَمَّا خَرَجَ وَلَمْ يَنْلِ شَيْئاً قَالَ :

[الطويل]

عَجِبْتُ لِأَخْذِي خِطَّةَ الْعَيِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبُولُهَا
فَإِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إِذْنٌ لَا أَقِيلُهَا
قال أبو الحسن : قال طارق : قال ابن جابان : لقي رجل رجلاً ومعه كلبان ، فقال :
«هب لي أحدهما» . قال : «أيُّهما تريد؟» . قال : «الأسود» . قال : «الأسود أحبُّ إليَّ من
الأبيض» . قال : «فهب لي الأبيض» . قال : «الأبيض أحبُّ إليَّ من كليهما» .
قال : وقال رجل لرجل : «بكم تبيعُ الشاة؟» قال : «أخذْتُها بستة وهي خير من سبعة
وقد أعطيتُ بها ثمانية فإن كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة» .

قال أبو الحسن : قال طارق بْنُ المبارك : دخل رجل على بلال فكساهُ ثوبين فقال :
«كساني الأمير ثوبين فاتزرت بالآخر وأرتديت بالآخر» . وقال : مرض فتى عندنا فقال له
عمُّه : «أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي؟» قال : «رأس كبشين» . قال : «لا يكون» . قال : «فرأسي كبش» .
طارق قال : وقع بين جارٍ لنا وجارٍ له يُكنى أبا عيسى كلامٌ فقال : «اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِأَبِي
عيسى» . قالوا : «أَتَدْعُو اللَّهَ عَلَى نَفْسِكَ؟» قال : «فخذ لأبي عيسى مِنِّي» .

أبو زكريا العجلاني قال : دخل عمرو بْنُ سعيد على معاوية ، وهو ثقیل ، فقال :
«كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟» قال : «أصبحتُ صالحاً» . قال : «أصبحت عينك
غائرة ، ولونك كاسفاً ، وأنفك ذابلاً ، فأعهدُ عَهْدَكَ وَلَا تَخْدَعَنَّ عَنْ نَفْسِكَ» .

قال : وقال عبد الله بْنُ زيادِ بْنِ ظبيانَ التيمي : «يرحمُ اللهَ عمرَ بْنَ الخطاب ، كان
يقول : اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الزَّانِيَاتِ وَأَبْنَاءِ الزَّانِيَاتِ» . فقال عبيد الله بن زيادِ بْنِ أبيه
«رحم الله عم ، كان يقول : لم يَقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقاً»^(١) .

(١) مائقاً: باكياً .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون: «كونوا بلها كالحمام». وقال قائل: «حماقة صاحبي علي أشد ضرراً منها عليه». وقالوا: شرد بعير لهبنقة القيسي - وبجنونه يضرب المثل - فقال: «من جاء به فله بعيران؟» ف قيل له: «أتجعل في بعير بعيرين؟» فقال: «إنكم لا تعرفون فرحة ألوجدان». واسمه يزيد بن ثروان وكنيته أبو نافع. قال الشاعر:

[الخفيف]

عِشْ بِجَدٍّ ^(١) وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكُ ^(٢) إِنَّمَا عِشْ مَنْ تَرَى بِأَلْجُدُودِ
عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةً أَلْقِي سَيِّ نَوْكاً أَوْ شَيْبَةً بَنَ أَلْوَلِيدِ
وهبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة.

ولما خلع قتيبة بن مسلم سليمان بن عبد الملك بخراسان قام خطيباً فقال: «يا أهل خراسان، أتدرون من وليكم؟ إنما وليكم يزيد بن ثروان». كنى به عن هبنقة وذلك أن هبنقة كان يحسن من إبله إلى السمان ويدع ألمهازيل ويقول: «إنما أكرم من أكرم الله وأهين من أهان الله». وكذلك كان سليمان يعطي الأغنياء ولا يعطي الفقراء ويقول: «أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله».

وقال الفرزدق: ما عَيَّيْتُ بجواب أحدٍ قط ما عييت بجواب مجنونٍ بدبر هرقل دخلت فإذا هو مشدود إلى أسطوانة فقلت: «بلغني أنك حاسب». قال: «ألق علي ما شئت». قال: فقلت: «أمسك معك خمسة وجلدتها». قال: «نعم». قلت: «أمسك معك أربعة وجلدتها». قال: «نعم» فقلت: «كم معك؟» قال: «تسعة وجلدتها مرتين».

وكان زريق الفزاري يمر بالليل، وهو شارب فيشتم أهل المجلس، فلما أن كان بالغداة عاتبوه قال: «نعم زينت أمهاتكم فما ذا عليكم؟».

قال: وخطب يوماً عتاب بن ورقاء فقال: «هذا كما قال الله تبارك وتعالى: إنما يتفاضل الناس بأعمالهم، وكل ما هو آت قريب». قالوا له: «إن هذا ليس من كتاب الله». قال: «ما ظننت إلا أنه من كتاب الله».

قال: خطب عدي بن زياد الأيادي فقال: «أقول كما قال العبد الصالح: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾» قالوا له: «ليس هذا من قول عبد صالح، إنما هو من قول فرعون» قال: «من قاله فقد أحسن». وقال أعرابي:

[الكامل]

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جُمُعَةٍ وَأَبُوكَ يَمْدُرُ ^(٣) حَوْضُهُ فِي عَامِ

(١) الجد، بفتح الجيم: الحظ.

(٢) النوك: الحمق.

(٣) يمدد الحوض: يسد ما بين حجارته بشيء من الطين الجاف.

وكان عبد الملك بن مروان أول خليفة من بني أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء، وتقدم فيه وتوعد عليه، وقال: «إن جامعة عمرو بن سعيد بن العاصي ندي، وإنني والله لا يقول أحدكم هكذا إلا قلت به هكذا». وفي خطبة له أخرى: «وإنني والله ما أنا بالخليفة المستضعف - وهو يعني عثمان بن عفان - ولا أنا بالخليفة المدهن - يعني معاوية - ولا أنا بالخليفة المأبون - يعني يزيد بن معاوية -». قال أبو إسحاق: «والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المدهن لكنت منها أبعد من العيوق^(١)، والله ما أخذتها من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة. لا تدعى شوري ولا وصية».

قال أبو الحسن: دخل كردم السدوسي على بلال بن أبي بردة فدعاه إلى الغداء، فقال: «قد أكلت». قال: «وما أكلت؟» قال: «قليل رز فأكثرته منه». ودخل كردم الذراع أرض قوم يذرعاها، فلما انتهى إلى زنقة^(٢) منها لم يحسن تذريعها قال: «هذه ليس لكم». قالوا: «هي لنا ميراث، وما نازعنا فيها إنسان قط». قال: «لا والله ما هي لكم». قالوا: «فحصل لنا حساب ما لا نشك فيه». قال: «عشرين في عشرين مائتين». قال: قالوا: «من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا».

قال: ودخل عكابة بن نُميلة النميري دار بلال بن أبي بردة فرأى ثوراً مجلداً، فقال: «ما أفرهه من بغل! لولا أن حوافره مشقوقة». ومن النوكى وممن ربما عدوه في المجانين ابن فنان الأزدي، وضرب به المثل ابن ضب العتكى في قوله بجديع بن علي خال يزيد بن المهلب حيث قال:

[الكامل]

لَوْلَا الْمُهْلَبُ يَا جَدِيعُ وَرُسْلُهُ تَعْدُو عَلَيْكَ لَكُنْتَ كَابْنِ فَنَانٍ
أَنْتَ الْمُرْدُدُّ فِي الْجِيَادِ وَإِنَّمَا تَأْتِي سَكِيتاً^(٣) كُلَّ يَوْمٍ رِهَانٍ
وقال آخر يهجو أمراته وأنها مضياغ خرقاء:

[الطويل]

وَإِنَّ بِلَائِي مِنْ دَرِينَةٍ^(٤) كُلَّمَا رَجَوْتُ أَنْتِ عَاشَاً أَدْرَكْتَنِي بِعَاشِرِ
تُبْرِدُ مَاءَ السُّعْنِ^(٥) فِي لَيْلَةِ الصَّبَا وَتَسْتَعْمِلُ الْكَرْكُورَ^(٦) فِي شَهْرِ نَاجِرِ^(٧)

(١) العيوق: هو كوكب أحمر يضيء في الجانب الأيمن من السماء.

(٢) الزنقة: الطريق الضيق. (٣) السكيت: هو آخر الخيل وصولاً في السباق.

(٤) جاء في نسخة أخرى «رزينة» بالراء بدلاً من «درينة» بالذال.

(٥) السعن: دلو يستعمل لتبريد الماء. (٦) الكركور: هو الوادي البعيد الفعر.

(٧) ناجر: أحد أشهر الصيف.

وفي خطأ العلماء قال أبو الحسن: قال الشعبي: سائرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف فكان بيني وبين أبي الزناد فقال: «بينكما عالم أهل المدينة» فسألتها امرأة عن مسألة فأخطأ فيها. وقال طرفة بن العبد يهجو قابوس بن هند الملك: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لِيَخْلِطَ مُلْكَهُ نَوْكَ كَثِيرُ
قَسَمْتُ الدَّهْرَ فِي زَمَنِ رَخِيٍّ كَذَاكَ الْحَكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا تَطِيرُ
فَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظِلُّ رَكْبًا وَقُوفًا مَا نَحِلُّ وَمَا نَسِيرُ
وَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمٌ سُوءٍ يُطَارِدُهُنَّ بِالْجَذْبِ الصُّقُورُ

الفلوشكى قال: قلت لأعرابي: «أي شيء تقرأ في صلاتك؟» قال: «أم الكتاب، ونسبة الرب، وهجاء أبي لهب».

وكان الفلوشكى البكرادي أجنَّ الناس وأعشى الخلق لساناً وكان شديد القمار شديد اللعب بالودع. قال ابن عم له: وقفت على بقية تمر في بيدر لي، فأردت أن أعرفه بالحزر ومعنا قوم يجيدون الخرص^(١) وقد قالوا فيها وأختلفوا. فهجم علينا الفلوشكى، فقلت له: كم تحرز في هذا التمر؟ فقال: أنا لا أعرف الأكرار^(٢) وحساب القفران، ولكن عندي مرجل أطبخ فيه تمر نبذي، وهو يسع مكوكين، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مرجلاً. قال: فلا والله ما أخطأ بقفيز واحد. قال المهلب والأزد: حوله أرايتم قول الشاعر:

[الكامل]

إِذَا غَرَزَ^(٣) الْمُحَالِبُ^(٤) أَتَاقَتْهُ^(٥) يَمِجُ^(٦) عَلَى مَنَاكِبِهِ^(٧) الثُّمَالَا^(٨)

وإلى جنب غيلان بن خرسة شيخ من الأزد فقال له: قل: «هو ابن الفحل» فقالها، فقال المهلب: «ويلكم ما جالستم الناس» وأنشد بعض أصحابنا:

[الطويل]

الْكُنْيَا^(٩) إِلَى مَوْلَى أَكْثِمَةٍ وَأَنْهَهُ وَهَلْ يَنْتَهِي عَنْ أَوَّلِ الزَّجْرِ أَحْمَقُ

(١) الخرص: الحدس والتقدير بالظن.

(٢) الإكرار: مفردا كَرَّ، وهو من مكاييل أهل العراق.

(٣) غرزت الناقة: قلّ لبنها.

(٤) المحالب: أوعية يوضع فيها المحلوب من اللبن.

(٥) أتاقته: ملأته. (٦) يمج: يلقى ما في فمه.

(٧) المناكب، مفردة منكب، وهو العارض عند الإنسان والجانب.

(٨) الثمالة: الرغوة.. (٩) الكني: أبلغني الرسالة.

وزعم الهيثم بن عدي عن رجاله أن أهل يبرين أخف بني تميم أحلاماً وأقلهم عقولاً.

قال الهيثم: ومن النوكى عبيد الله بن الحرّ وكنيته أبو الأبرش.

قال الهيثم: خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان، وأتاه كتابه فقال: «هذا كتاب الأمير، وهو، والله أهل لأن أطيعه، وهو أبي وأكبر مني».

وكان فيما زعموا ابنُ السعيد الجوهري يقول: «صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم».

قال أبو الحسن سعد عدي بنُ أَرطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حَصَرَ فقال: «الحمد لله الذي يُطعم هؤلاء وَيَسْقِيهم».

وصعد روحُ بنُ حاتم المنبر، فلما رآهم قد شَفَنُوا أَبْصَارَهُمْ^(١) وفتحوا أسماعهم نحوه قال: «نَكَسُوا رُؤُوسَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ الْمَنْبَرَ مَرْكَبٌ صَعْبٌ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قَفْلَ تَيْسَرٍ».

قالوا: وصعد عثمانُ بنُ عفان - رضي الله تعالى عنه - المنبر فارتج عليه، فقال: «إن أبا بكر وعمرَ كانا يُعِدَّانِ لهذا المَقامَ مقالاً، وأنتم إلى إمام عادلٍ أحوجُّ منكم إلى إمام خطيب».

قال: قالوا لزيادٍ الأعجم: لم لا تهجو جريراً؟ فقال: أليس الذي يقول:

[الوافر]

كَأَنَّ بَنِي طَهْيَةَ رَهْطٌ سَلَمَى حِجَارَةُ خَارِيٍّ يَرْمِي كِلَابَا

قالوا: بلى، قال: ليس بيني وبين هذا عمل.

قال أبو الحسن: خطب مصعبُ بنُ حَيَّانَ أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». فقالت أم الجارية: «عَجَلَ اللَّهُ مَوْتَكُ، أَلْهَذَا دَعْوَانَا».

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح فحصر فقال: «اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشكرك»^(٢).

وقال مولى لخالد بن صفوان: «زوجني أمتك فلانة». قال: «قد زوجتكها». قال: «أفأَدْخِلُ الْحَيَّ حَتَّى يَحْضُرُوا الْخُطْبَةَ؟» فقال: «أَدْخِلْهُمْ» فلما دخلوا أبتدأ خالد فقال: «أما بعد، فإن الله أجل وأعز من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا أبن الفاعلة».

(١) شَفَنُوا أَبْصَارَهُمْ: تَطَلَعُوا بِمَوْخَرَةٍ أَعْيَنَهُمْ، مَتَعَجِبِينَ مُسْتَغْرِبِينَ.

(٢) جاء في نسخة أخرى «ولا نشرك بك» بدلاً من «ولا نشكرك».

قال: وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ لمنصور بن المعتمر: «سَلْ مسألةَ الحمقى وأحْفَظْ حِفْظَ الأكياس».

قال: ودخل كثير عزة - وكان محمقاً ويكنى أبا صخر - على يزيد بن عبد الملك فقال: «يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بن ضرار بقوله؟»

[الوافر]

إِذَا الْأَرْطَى ^(١) تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خُدُودَ جَوَازِي ^(٢) بِالرَّمْلِ عَيْنِ

قال يزيد: «وما يضرب أمير المؤمنين أن لا يعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف؟». وأستحمقه وأخرجه.

قالوا: وكان عامر بن كُريز يحمق، قال عوانة: قال عامر لأمه: «يا أمه، مَسَسْتُ اليوم بردَ الأعاصي بن وائل السَّهمي». فقالت: «ثكلتك أمك، رجل بين عبد المطلب بن هاشم وبين عبد شمس بن عبد مناف يفرح أن تُصيب يده بردَ رجل من بني سَهْم».

ولمَّا حَصَرَ عبد الله بن عامر على منبر البصرة فشقَّ ذلك عليه قال له زياد: «أيُّها الأمير إنك إن أقيمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك».

وقيل لرجل من الوجوه: «قُمْ فَأصعد المنبر وتكلَّم» فلما صعد حَصَرَ وقال: «الحمد لله الذي يرزق هؤلاء» وبقي ساكتاً، فأنزلوه. وصعد آخر فلماً أَسْتَوَى قائماً وقابل بوجهه وجوه الناس، وقعت عينه على صلعة رجل فقال: «اللهم ألعن هذه الصلعة». وقيل لوازع اليشكري: «قُمْ فَأصعد المنبر وتكلَّم» فلما رأى جمع الناس قال: «لولا أنَّ امرأتي لعنها الله حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما جمعتُ، وأنا أشهدكم أنها مِنِّي طالق ثلاثاً». ولذلك قال الشاعر:

[الطويل]

وَمَا ضَرَّنِي أَنْ لَا أَقُومَ بِخُطْبَةٍ وَمَا رَغَبَتِي فِي ذَا الَّذِي قَالَ وَازِعُ

قال: ودخلت على أنس بن أبي شيخ وإذا رأسه على مرفقه، والحجام يأخذ من شعره، فقلت له: ما يحملك على هذا؟ قال: ألكسل. قال: قلت: فإن لقمان قال لابنه: «إياك وألكسل، وإياك والضبجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق» قال: «ذاك والله أنه لم يعرف لذة الكسولة».

قال: وقيل لبحر بن الأحنف: «ما يمنعك أن تكون مثل أبيك؟» قال: «الكسل» وقال الآخر:

[الوافر]

أَطَالَ اللَّهُ كَيْسَ بَنِي رَزِينٍ وَحُمُقِي أَنْ شَرِبْتُ لَهُمْ بَدِينِي

(١) الأرطى: ضرب من الشجر.

(٢) الجوازي: الوحوش سميت بذلك لأنها لا تجترىء بالكلاً عن كثرة الماء.

أَكْتُبُ إِلَهُمْ شَاءَ وَفِيهَا بَرِيعٌ ^(١) فَصَالِهَا ^(٢) بِنْتَا لَبُون ^(٣)
فَمَا خَلِقُوا بِكَيْسِهِمْ دُهَاءً وَلَا مَلَجَاءً ^(٤) بَعْدُ فَيُعْجِبُونِي

وذكر آخر الكيس في معانيته لبني أخيه حين يقول:

[الوافر]

عَفَارِيَتَا عَلِيٍّ وَأَكْلِ مَالِي وَعَجْزًا عَنْ أَنَاسٍ آخِرِينَا
فَهَلَا غَيْرَ عَمَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مُتَظَلِّمِينَ
فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةٍ أَكَّاسَتْ وَكَيْسُ الْأُمِّ أَكَيْسُ لِلْبَنِينَا

وقال بعضهم: «عبادة النوكي الجلوس فوق القدر والمجيء في غير وقت». وعاد رجل رقة بن الحر ^(٥) فنعى رجالاً أعتلوا مثل علته، فنعى بذلك إليه نفسه، فقال له رقة: «إذا دخلت على المريض فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا».

وسئل معاوية بن الكواء عن أهل الكوفة، فقال: «أبحث الناس عن صغيرة وأتركه الكبيرة». وسئل شريك عن أبي حنيفة فقال: «أعلم الناس بما لا يكون، وأجهل الناس بما يكون». وسأل معاوية دغفلاً النسابة عن أليمن فقال: «سيد وأنوك». وذكر عتبة بن حصين عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: «الأحمق المطاع».

قال: وجن أعرابي من أعراب المزيدي ورماه الصبيان فرجم فقالوا له: «أما كنت وقوراً حليماً؟» فقال: «بلى، بأبي أنتم وأمي، واللّه ما أستحمق إلا قريباً». وكان أول جنونه من عبث الناس به. ورمى إنساناً فشجّه فتعلق به، وهو لا يعرفه وضمّه إلى ألوالى فقال له ألوالى: «ولم رميت هذا وشججته؟» قال: «أنا لم أرمه، هو دخل تحت رميتي».

وكان وكيع بن الدورية يحمق. قال الوليد بن هشام القحزمي، أبو عبد الرحمن قال: أخبرني أبي قال: لما قدم أمية خراسان قيل له: «لم لا ندخل وكيع بن الدورية في صحابتك؟» قال: «هو أحمق». فركب يوماً وسائره فقال له: «ما أعظم رأس بردونك!» قال: «قد كفاك الله حملة» ثم سائره قليلاً فقال: «أصلحك الله، أرايت يوم لقيت أبا فديك ما منعك أن تكون قدّمت رجلاً وأخّرت رجلاً وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك؟» قال: «اغزب، قبّحك الله» وأمر به فُنّحي.

وساير سعيد بن مسلم موسى أمير المؤمنين، والحربة في يد عبد الله بن مالك، وكانت الريح تسفي التراب الذي تُثيره دابة عبد الله بن مالك في وجه موسى، وعبد الله لا

(١) الربع: الزيادة.

(٢) الفصل: جمع فصيل، وهو ولد الناقة.

(٤) المليج: الرجل الجليل.

(٥) جاء في نسخة أخرى «الحري» بالياء.

(٣) بنت لبون: ذات لبن.

يشعرُ بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسيرَ موسى، فيتكلف أن يسيرَ على محاذاته، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب، فلمَّا طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن مسلم فقال: «ألا ترى ما نلقى من الخائن في مسيرنا هذا؟» قال: «والله يا أمير المؤمنين ما قصّر في الاجتهاد ولكنه حُرِمَ التوفيق».

وساير البطريقُ الذي خرج إلى المعتصم من سور عمورية محمد بن عبد الملك والأفشين بن كاوس فسَاوَمَ كُلَّ واحد منهما ببرذونه، وذكر أنه كان يرغبهما أو يريجهما. فإذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنُّك بمن هو دونه منهم؟ ولمَّا استجلس المعتصم بطريقَ خرشنة تربّع ومدّ رجليه.

وقال زياد: وقرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي، ما كتب إليّ إلا في اجترار منفعة أو دفع مضرة، وما كان في موكبي قط فتقدم عنانُ دابته عنان دابتي ولمست ركبته ركبتي ولا شاورت الناس قط في أمر إلا سبقهم إلى الرأي فيه.

كان على شُرط زياد عبدُ الله بنُ الحصين صاحب مقبرة بني حُصين والجعد بن قيس النمري صاحب طاق^(١) الجعدي^(٢)، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة. فإذا كان يوم حمل الحرب سارا بين يديه معاً، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه، فكان صوت الجعدي أرفع وصوت عبد الله أخفض، فقال زياد لصاحب حربته. تناول الحربة من يد الجعدي ومُرّه بِالْانصراف إلى منزله.

وعدا رجل من أهل العسكر بين يدي المأمون فلما أنقضى كلامه قال له بعض من يسير بقره: «يقول لك أمير المؤمنين: اركب» قال: قال المأمون: «لا يقال لمثل هذا: اركب، إنما يقال لمثل هذا: انصرف».

وكان الفضل بنُ الربيع يقول: «مساءلةُ الملوك عن أحوالهم من تحية النوكى، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير. فقل: صَبَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ. فإذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه؟ فقل: أنزلَ اللَّهُ عَلَى الْأَمِيرِ الشِّفَاءَ وَالرَّحْمَةَ». والمساءلة تُوجب الجوابَ فإن لم يُجبك أَشَدَّ عليك وإن أجابك أَشَدَّ عليه.

وقال محمد بنُ الجهم: دخلت على المأمون فقال لي: «ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقاً». فلم أدر ما جواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصّر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الشناء.

قال أبو الحسن: قال ابنُ جابان: قال المهدى: كان شبيب بنُ شيبه يُساورني في طريق خراسان فيتقدمني بصدر دابته، فقال لي يوماً ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون

(٢) جاء في نسخة أخرى «الجعدي» بالياء.

(١) جاء في نسخة أخرى «طاق» بالياء.

بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لا يلتفت إليه، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس. قال: فبينما نحن كذلك إذ أنتهينا إلى مخاضة^(١) فأقحمت دابتي ولم يقف وأتبعني فملاً ثيابي ماءً وطيناً. قال: فقلت: يا أبا معمر، ليس هذا في الكتاب.

قال الهيثم بن عدي: كنت قائماً إلى حميد بن قحطبة، وهو على بردون فتفاج^(٢) البردون ليول، فقال لي: تنح لا يهريق عليك البردون الماء.

وجاء رجل إلى محمد بن حرب الهلالي بقوم فقال: إن هؤلاء الفساق ما زالوا في ميسيس هذه الفاجرة، قال: ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي أن يكتفى عن الفجور بهن.

وقلت لرجل من الحساب: كيف صار البردون المتحصن إلى البغلة أحرص منه على الرمكة^(٣) والرمة أشكل بطبعه؟ قال: بلغني أن البغلة أطيب حلوة.

وقال صديق لنا: بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالاً له عليه، فرجع إليه مضروباً، فقال: ما بالك وملك؟ قال: سبك فسيبته فضر بني. قال: وبأي شيء سبني؟ قال: قال: هن الحمار في جر أم من أرسلك. قال: دعني من أفترائه علي أنت كيف جعلت لأير الحمار من الحرمة. ما لم تجعله لحر أمي؟ فهلا قلت أير الحمار في هن أم من أرسلك؟!

أبو الحسن قال: كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرّة أراد ألوثوب بالشام، فحمل إلى المهدي فخلّى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه، فقال له يوماً: أنشدني قصيدة زهير التي أولها «لن الديار بقنة الحجر» وهي التي على الرء:

[الكامل]

لَمَنْ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحَجَرِ أَقْوَيْنَ^(٤) مِنْ حَجَجٍ^(٥) وَمِنْ شَهْرٍ
فأنشده، فقال المهدي: ذهب والله من يقول مثل هذا. قال السمرّي: وذهب والله من يُقال فيه مثل هذا فغضب المهدي وأستجهله ونحاه ولم يعاقبه وأستحمله الناس. ولما دخل خالد بن طليق على المهدي مع خصومه وأنشد قول شاعرهم:

[الوافر]

إذا القُرشي لم يضرب بعرق خَزاعي فليس من الصّميم
فغضب المهدي وقال: «أحمق» فأنشد خالد فقال:

[الطويل]

إذا كُنت في دارٍ فحاولت رحلةً فدعها وفيها إن أردت معاد

(١) المخاضة: المعبر الضيق.

(٢) تفاج: فرج ما بين رجله.

(٣) الرمكة: الفرس أو البردون تتخذ للنسل.

(٤) أقوين: أقفرن.

(٥) الحجج: السنون.

فسكن عند ذلك ألمهدي. وقال بشار:

[الطويل]

خَلِيلِي إِنْ أَلْعَسَرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنْ يَسَاراً مِنْ غَدٍ لَخَلِيْقُ
وما كنتُ إِلَّا كَالزَّمانِ إِذَا صَحَا صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمانِ أُمُوقُ

قالوا: ومن النوكى أبو الربيع العامري وأسمه عبد الله، وكان ولي بعض منابر الإمامة وفيه يقول الشاعر:

[الطويل]

شَهِدْتُ بَأَنَّ أَللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ وَأَنَّ الرَّبَّيْعَ الْعَامِرِي رَقِيعُ
أَفَادُ^(١) لَنَا كَلْباً بِكَلْبٍ وَلَمْ يَدْعُ دِمَاءَ كِلَابِ الْمُسْلِمِينَ تَضِيعُ

قالوا: ومن النوكى ربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع وأخوه ضبيع بن عسل. وقد ربيعة على معاوية فقال معاوية: «حاجتك» قال: «زوجني ابنتك». قال: «استقوا ابن عسل عسلاً». فأعاد عليه، فأعاد عليه العسل ثلاثاً، فتركه وقد كاد تنفذ^(٢) بطنه. قال: «فأستعملني على خراسان» قال: «زياد أعلم بثغوره». قال: «فأستعملني على شُرْطَةِ البصرة». قال: «زياد أعرف بشرطته». قال: «فأكسني قطيفة». أو قال: «هب لي مائة ألف جذع لداري». قال: «وأين دارك؟» قال: «بالبصرة». قال: «كم ذرعها؟» قال: «فرسخان في فرسخين». قال: «فدارك في البصرة، أو البصرة في دارك؟».

قال عوانة أستعمل معاوية رجلاً من كلب، فذكر يوماً المَجُوس وعنده الناس فقال: «لعن الله المَجُوس، يَنْكِحُونَ أمهاتهم، وألله لو أُعْطِيتُ مائة ألف درهم ما نكحتُ أمي» فبلغ ذلك معاوية فقال: «قاتله الله، أترونيه لو زاده على مائة ألف فعل؟» فعزله.

وقال أبو الحسن: وقد ربيعة بن عسل على معاوية بن يربوع، وهو من بني عمرو بن يربوع فقال لمعاوية أعني بعشرة آلاف جذع في بناء داري بالبصرة. فقال له معاوية: «كم دارك؟» قال: «فرسخان في فرسخين» قال معاوية: «هي في البصرة أم البصرة فيها؟» قال: «بل هي في البصرة». قال معاوية: «فإن البصرة لا تكون هذا». وقال أبو الأحوص الرياحي^(٣):

[الطويل]

وَلَيْسَ بَيْرُبُوعَ إِلَى الْعَقْلِ حَاجَةٌ سَوَى دَنْسٍ تَسْوَدُ مِنْهُ ثِيَابُهَا
فَكَيْفَ بِنُوكَى مَالِكٍ إِنْ كَفَرْتُمْ لَهُمْ هَذِهِ أَوْ كَيْفَ بَعْدُ خَطَابُهَا
مَشَائِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٌ إِلَّا بِبَيْنِ غَرَابُهَا

الهيثم عن الضحاک بن زُمَل قال: بينا معاوية بن مروان، واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان، وحماراً له يدور بالرحى في عنقه جُلْجُلٌ إذ قال للطحان: «لِمَ

(١) القود: القصاص والحكم بقتل القاتل. (٢) ينقد: يقطع.

(٣) جاء في نسخة أخرى «الرياحي» بالحاء بدلاً من «الرياهي» بالهاء. والأول أوجب بالصحة.

جعلت في عنق هذا الحمار هذا الجُلْجُل؟» قال: «ربّما أدركتني سامة أو نَعْسَة، فإذا لم أسمع صوت الجُلْجُل علمتُ أنه قد قام فصَحْتُ به». قال معاوية: «أفرايت إن قام ثم قال برأسه^(١) هكذا هكذا - وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة - وما يُدريك أنت أنه قائم؟» قال الطحّان: «ومَن لي بحمار يعقل مثل عقل الأمير؟» ومعاوية بن مروان هذا هو الذي قال لأبي امرأته: «ملائتُنا ابتُك ألبارحةً بالدم». قال: «إنها من نسوة يخبأن ذلك لأزواجهن».

وصعد يوسف بن عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «قد قتل الله زيداً ونَصَرَ ابنَ سيار». يريد نصر بن حَزِيْمَة. وقال علي الأسواري: «عمر بن الخطاب معلقٌ بشعره». قلت: «وما صيّرهُ إلى ذلك؟» قال: «لَمَّا صنع بنصر بن سيار» يريد نصر بن الحجاج بن علاط.

وقالوا أحب الرشيد أن ينظر إلى أبي شُعَيْبٍ الْقَلَالِ كيف يعمل الْقَلَالِ، فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل، فبينما هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه، فلما رآه نهض قائماً فقال له الرشيد: «دونك ما دُعِيتُ له، فَإِنِّي لم آتِكَ لَتَقُومَ إِلَيَّ، وإِنَّمَا أَتَيْتُكَ لتعمل بين يدي». قال: «وأنا لم آتِكَ ليسوء أدبي، وإِنَّمَا أَتَيْتُكَ لأزداد بك في كثرة صوابي». فقال له الرشيد: «إِنَّمَا تَعَرَّضْتَ لي حين كَسَدْتُ سَوْقَكَ». قال أبو شُعَيْبٍ: «يا سيد الناس، وما كسأد عملي في جلال وجهك؟». فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال: «والله ما رأيتُ أنطق منه أولاً، ولا أعيا منه آخراً، ينبغي لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجَنُّ الناس».

عبد الله بن شداد قال: «أرى داعي الموت لا يُقْلَع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزِعُ. ولا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف. فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه: وطالب قد كان مطلوباً إليه! والزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الّهوان».

الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن أبيه عن جدّه عن النّبِيّ صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء: إذا أكلوا الأموال دُولاً، وأتخذوا الأمانة مَغْنَمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعقّ أمّه، وبرّ صديقه، وجفّ أباه، وأرتفعت الأصوات في المساجد، وأكرم الرجل مخافة شرو، وكان زعيم القوم أرذلهم، وإذا لبس الحرير، وشربت الخمر، وأتخذت القِيَانُ، والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها. فَلْيَرْتَقِبُوا بعد ذلك ثلاث خصال: ريحا حمراء، ومَسْخًا، وخَسْفًا».

الهيثم قال: أخبرنا الكلبّي: قال: كانت قريش تعد أهل الجزالة في الرأي

(١) قال برأسه: أي أشار برأسه.

العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان وبنيهما وأمية بن خلف . قال : وقال ابن عباس : « لم يكن في العرب أمرد ولا أشيب أشد عقلاً من السائب بن الأقرع » . قال : حدثني الشعبي أن السائب شهد فتح مهرجان قذق^(١) ودخل منزل الهرمزان ، وفي داره ألف بيت فطاف فيه فإذا ظبي من جص في بيت منها ماذ يده فقال : « أقسم بالله أنه يشير إلى شيء ، انظروا » فنظروا فاستخرجوا سَفَط^(٢) كنز الهرمزان فإذا فيه ياقوت وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عمر ، وأخذ منه فصاً أخضر وكتب إلى عمر : « إن رأى أمير المؤمنين أن يهبه لي فليفعل » . فلما عرض عمر السَفَط على الهرمزان قال : « فأين الفص الصغير؟ » قال عمر : سألتني صاحبنا فوهبته له » . فقال : « إن صاحبك بالجواهر لعالم » . قال أخبرنا مجالد عن الشعبي : قال : قال السائب لجميل بن يصبهرى : « أخبرني عن مكان من القرية لا يخرب حتى أقطع ذلك المكان » . قال : « ما بين الماء إلى دار الإمارة » . قال فأخطت لثيف في ذلك الموضع قال الهيثم : « بتُّ عندهم ليلة فإذا ليلتهم مثل النهار » .

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : « أما والله لو كنّا على السواء بمكة لعلمت » قال معاوية : « إذن كنت أكون معاوية بن أبي سفيان منزلي الأبطح^(٣) ينشق عني سيله ، وكنت أنت عبد الرحمن بن خالد منزلك أجياد^(٤) أعلاه مدرّة وأسفله عذرة » .

وقال سهيل بن عمرو : « أشبه أمراء بعض بزه » فصار مثلاً . وقال مُحَرَّر بن علقمة :

[الوافر]

لَقَدْ وَارَى الْمُقَابِرُ مِنْ شَرِيكِ
صُمُوتاً فِي الْمَجَالِسِ غَيْرَ عِيٍّ
كَثِيرٍ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلِ عَابٍ^(٥)
جَدِيراً حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ

وقال ابن الرقاع :

[الكامل]

أُمٌّ تَدَاخَلَتِ الْحُتُوفُ عَلَيْهِمْ
فَإِذَا الَّذِي فِي حِصْنِهِ مُتَحَرَّرٌ
وَالْمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ
بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الْأَشْيَاءِ

(١) جاء في نسخة أخرى « قذق » بالفاء بدلاً من « قذق » .

(٢) السَفَط : وعاء كالقفة .

(٣) الأبطح والبطحاء : رمل منبسط يضاف إلى مكة وإلى منى .

(٤) أجياد : موضع في مكة . (٥) العاب : لغة في العيب .

وقال بعضهم:

[الكامل]

بَيْضَاءُ نَاصِعَةٌ أَلْبِيَاضِ كَأَنَّهَا
مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ
وَتَرَى مَا قِيَهَا تُقَلِّبُ مُقَلَّةً
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ الْحَدِيثُ تَعَوَّدَتْ

وقال آخر:

[الطويل]

لِسَانُكَ خَيْرٌ وَحَدُّهُ مِنْ قَبِيلَةٍ
سِوَى طَبَعِ^(١) الْأَخْلَاقِ وَالْفُحْشِ وَالْخَنَا

وقال الآخر:

[البيسط]

كَأَنَّهُ مِنْ دَوِي الْأَحْلَامِ مِنْ عَادٍ
عَلَى أَمْرٍ هَدَّ عَرْشَ الْحَيِّ مَضْرَعُهُ

وقال النابغة:

[البيسط]

أَحْلَامٌ عَادٍ وَأَجْسَامٌ مُطَهَّرَةٌ
مِنَ الْمَعَقَّةِ وَالْآفَاتِ وَالْأَثَمِ

وقالت الخنساء:

[البيسط]

إِنْ جَاءَ مُفْطَعَةٌ هَيَّا لَهَا بَابَا
خَطَّابُ مُعْضِلَةٍ فَرَّاجُ مَظْلَمَةٍ
وَعَدَّ الْأَصْمَعِيُّ^(٢) خِصَالٍ مَعَدَّ فَقَالَ:

[السرّيع]

كَانُوا أَدِيمًا^(٣) مَا عِزًّا شَأْنُهُ
أَوْ مُرْقِيٍّ^(٥) عَرَفَ دَمَ مُفْرَجٍ
أَوْ ذِمَّةً يُوفِي بِهَا عَاقِدٌ
أَوْ حَائِطٌ^(٩) مِنْ غَيْرِ لَا نِعْمَةٌ

أَخْلَصَ فِيهِ الْقِرْطُ^(٤) الْآهَبُ
أَوْ سَائِلٌ فِي لَزْبَةٍ^(٦) زَاعِبٌ^(٧)
أَوْ عَقْدَةٌ يُحْكُمُهَا أَرْبٌ^(٨)
أَوْ رَحِمٌ^(١٠) مَتَّ بِهَا جَانِبٌ^(١١)

(١) الطبع: سوء الأدب.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الأسمع» وهو خطأ، والصواب ما جاء هنا.

(٣) الأديم: الجلد.

(٥) أرقأ الدم: حقنه.

(٧) الزاغب: الذي يهدي السياح في الأرض.

(٩) جاء في نسخة أخرى «خابط» ومعناها من يعطي غيره بلا سابق معرفة، بدلاً من «حائط» ومعناها الحافظ الصائن.

(١٠) الرحم: القربى.

(١١) الجانب: الغريب.

(٤) القرط: ضرب من الشجر يستعمل ورقه للدباغة.

(٦) اللزبة: السنة الشديدة.

(٨) أرب العقدة: أحكم شداها وعقدها.

أَوْ خُطْبَةٍ^(١) بَزْلَاءَ^(٢) مَفْصُولَةً يَرْضَى بِهَا الشَّاهِدُ وَالْعَائِبُ

وقال ابن نوفل يهجهو:

[الوافر]

وَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا^(٣) وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا
وَأَنْ قِيلَ أَحْمَلِي قَالَتْ فَإِنِّي وَكُنْتُ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَيْرَ سَوَايَ
لِأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ تَقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي
يَصِيرُ إِلَى الْخَبِيثِ مِنَ الْمَصِيرِ تَعَاظُمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طِيرِي
مِنَ الطَّيْرِ الْمُرَبَّةِ بِالْوُكُورِ^(٤) تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ
كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرِ شَرَابًا ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ

وقال عبد يغوث:

[الطويل]

أَلَا لَا تُلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا
فِيَا زَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ أَبَا كَرْبِ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلابِ^(٦) مَلَامَةً أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ
وَتَضَحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشُمِيَّةٌ^(٧) فَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
قَلِيلٌ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(٥) نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا صَرِيحَهُمْ وَآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا كَأَنْ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

قال أبو عثمان: وليس في الأرض أعجب من طرة بن العبد وعبد يغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية.

وأبو عبيدة قال: حدثني أبو عبد الله الفزاري عن مالك بن دينار قال: ما رأيت أحداً أبين من الحجاج، إن كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه، حتى أقول في نفسي إني لأحسبه صادقاً وإنِّي لأظنهم ظالمين له.

قال: وكانت العرب تخطب على رواحليها، وكذلك روى النبي صلى الله تعالى عليه

(١) جاء في نسخة أخرى «خطة» بدلاً من «خطبة» بالباء.

(٢) البزلاء: الرأي الحصيف والعقل السليم. (٣) الحشاياء: الفراش المحشو.

(٤) المربة بالوكور: الملازمة لأوكارها. (٥) شمالي: أخلاقي.

(٦) الكلاب: من أيام العرب، حصل بين بني سعد وبني الرباب.

(٧) عبشمية: نسبة إلى عبد شمس.

وسلم عن قيس بن ساعدة. قال: أخبرني عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بن أنس قال: الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة، وألقيام على الأقدام رخصة. وجاء في الأثر؛ لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس. ووقف الهيثم بن مطهر^(١) الفأ فاء على ظهر دابته على باب الخيزران، ينتظر بعض من يخرج من عندها، فلما طال وقوفه بعث إليه عمر الكلوذي^(٢) فقال: إنزل عن ظهر دابتك، فلم يرد عليه شيئاً، فكرر الرسول إليه، فقال: إني رجل أعرج، وإن خرج صاحبي من عند الخيزران في موكبه خفت أن لا أدركه، فبعث إليه: إن لم تنزل أنزلناك، فبعث إليه قال: هو حبيس في سبيل الله إن أنزلتني عنه أن أقضمته^(٣) شهراً، فأنظر أيهما خير له أراحة ساعة أو جوع شهر، قالوا له: هذا الهيثم بن مطهر، قال: هذا شيطان.

وقال أبو علقمة النحوي: «يا آسي^(٤)، إني رجعت إلى المنزل وأنا سنيق^(٥) لقيس^(٦)، فأتيت لشنينة^(٧) من لوية^(٨) ولكيك^(٩) وقطيع أقرن^(١٠) قد غدرن^(١١) هناك من سمن ورقاق^(١٢) سر شصان وسقيط^(١٣) عطعط^(١٤)، ثم تناولت عليها كاساً» فقال له الطيب: «خذخرفقاً وسفلقاً وجرفقاً». فقال: «ويلك، أي شيء هذا؟» قال: «وأي شيء ما قلت؟».

وقال الزبرقان «أحب صبياننا إلينا العريض ألورك، ألسبط الغرة، الطويل الغرة^(١٥) الأبله العقول. وأبغض صبياننا ألينا الأقيعس^(١٦) الذكر، الذي كأنما ينظر من حجر، وإذا سأله ألقوم عن أبيه هرّ في وجوهم^(١٧)». قال الهيثم: قال الأشعث: «إذا كان الغلام سائل الغرة، طويل الغرة، ملثا^(١٨) الأزرّة، كأن به لوثة^(١٩)، فما يشك في سؤده».

(١) جاء في نسخة أخرى «طاهر» بدلاً من «مطهر»، بالميم.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الكلوى إذ» بدلاً من «الكلواذي» بالذال.

(٣) أقضمته: علفته، وجاء في نسخة أخرى «أفض فيه».

(٤) الآسي: الطيب.

(٥) السنق: المتخم.

(٦) اللقس: ذو الغثيان.

(٧) الشنينة: القطعة من اللحم.

(٨) اللوية: ما خبيء للآخرين من طعام.

(٩) اللكيك: اللحم المكتنز.

(١٠) الأقرن: الكبش الكبير السمين.

(١١) جاء في نسخة أخرى «عدرنا» بالعين، بدلاً من «غدرن».

(١٢) الرقاق: الخبز. وجاء في نسخة أخرى «وراق».

(١٣) جاء في نسخة أخرى «سقية» بدلاً من «سقيط».

(١٤) العطعط: الجددي.

(١٥) الغرة: جلدة عضو التناسل.

(١٦) الأقيعس: هو من خرج صدره ودخل ظهره. (١٧) هرّ في وجوهم: استقبلهم بوجه كربه.

(١٨) الملتا: المختلط المجنون.

(١٩) اللوثة: الحمق.

قال أبو المخبش: «كان المخبش أشدق خُرطمانياً سائلاً لعبابه كأثما ينظر من قُلْتين^(١). كَأَن تَرْقُوتَهُ بُوَانٌ أَوْ خَالِفَةٌ وَكَأَن كَاهِلَهُ كِرْكِرَةٌ جَمَلٌ، فَقَدْ اللَّهُ عَيْنِي هَاتَيْنِ إِنْ كُنْتُ رَأَيْتَ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ».

وكان زياد حوّل المنبر وبيوت الأموال وألدواوين إلى الأزد وصلّى بهم، وخطب في مسجد حدان فقال عمرو بن العرنس:

[الطويل]

فَأَصْبَحَ فِي الْحُدَانِ يَخْطُبُ آمِنًا وَلِلْأَزْدِ عَزٌّ لَا يَزَالُ تِلَادًا
وقال الأعرج:

وَكُنَّا نَسْتَطِبُّ إِذَا مَرَضْنَا فَكَيْفَ نُجِيزُ غَصْتَنَا بِشَيْءٍ
فَصَارَ سِقَامُنَا بِيَدِ الطَّبِيبِ وَنَحْنُ نَغْصُ بِالْمَاءِ الشَّرِيبِ
وقال أيضاً:

[الكامل]

وَالْقَائِلِينَ فَلَا يُعَابُ خَطِيبُهُمْ يَوْمَ الْمَقَامَةِ بِالْكَلامِ الْفَاصِلِ
وقال ابن مفرغ:

[الكامل]

وَمَتَى تَقُمْ يَوْمَ اجْتِمَاعِ عَشِيرَةٍ خُطَبَاؤُنَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تَفْصِلِ
وقال أيضاً:

[الطويل]

فَيَا رَبَّ خَصْمٍ قَدْ كُفِيتُ دِفَاعَهُ وَقَوِّمْتُ^(٢) مِنْهُ دِرَاهُ^(٣) فَتَنَكَّبَا^(٤)
وقال آخر:

[الوافر]

وَحَامِلِ ضِبِّ^(٥) ضِعْنٍ لَمْ يَضُرَّنِي بَعِيدِ قَلْبُهُ حُلُوِّ اللِّسَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَغَبٍ مِنْ لِسَانٍ تِيْحَانٍ^(٦)
وقال:

[الطويل]

عَهْدْتُ بِهِ هِنْدًا وَهِنْدُ عَزِيزَةٌ رَوَاحُ^(٧) الضُّحَى مِيَالَةً بِخَتْرِيَّةٍ^(٨)
عن الفحش بلهاء العشاء نؤوم
لها منطوق يُضْبِي الْحَلِيمَ رَحِيمُ

(١) القلتين: النقرتين.

(٢) قومت: أصلحت، عدلت.

(٣) الدرء: الإعوجاج.

(٤) تنكب: عدل واستقام.

(٥) الضب: الحقد الخفي.

(٦) التيْحان: هو من يتصدى لكل أمر.

(٧) جاء في نسخة أخرى «رداح» بدلاً من «رواح».

(٨) بخترية: تمشي بخيلاء واعتزاز.

وقال آخر:

[الوافر]

وَحْصَمَ يَرْكَبُ الْعَوْصَاءَ^(١) طَاطِ^(٢) عَلَى الْمُثْلَى فُصَارَاهُ الْقِرَاعُ
وَمَلُمُومٍ جَوَانِبُهَا رَدَاحٌ^(٣) تَزْجِي^(٤) بِالرَّمَاكِ لَهَا شُعَاعُ

وقال محلم بن فِرَاس يرثي منصوراً وهما ابني المسجاح:

[البسيط]

كَمْ فِيهِمْ لَوْ تَمَتَّعْنَا حَيَاتَهُمْ مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ رُوحٍ^(٥) الْحَيِّ مِقْدَامٍ
وَمَنْ فَتَى يَمَلاً الشَّيْزَى^(٦) مُكَلَّلَةً شَحْمَ السَّدِيفِ^(٧) نَدِيَّ الْحَمْدِ مِطْعَامٍ
وَمِنْ خَطِيبٍ عَدَاةَ الْحَفْلِ مُرْتَجِلٍ ثَبَتِ الْمَقَامَ أَرِيبَ غَيْرِ مِفْحَامٍ

وقال خالد للقعقاع: «أنا فرك على أيتنا أظعن بالرماح، وأطعم للمسجاح، وأنزل بالبراح». قال: «لا بل على أيتنا أفضل أبا وجداً وعمّاً، وقديماً وحديثاً». قال خالد: «أعطيت يوماً من سأل، وأطعمت حولاً من أكل، وطعنت فارساً طعنة شككت فخذيه بجانب الفرس». قال القعقاع: وأخرج نعلين. فقال: «ربع أبي عليهما أربعين مِرباعاً»^(٨) لم تشكل فيهن تميمة ولداً.

كان مالك بن الأخطل التغلبي - وبه كان يُكنى - أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق، فلما قَدِمَ على أبيه سأله عن شعرهما فقال: «وجدتُ جريراً يغرف من البحر، ووجدتُ الفرزدق ينحت من صخر». فقال الأخطل: «الذي يغرف من بحر أشعرهما». وقال بعضهم:

[الطويل]

وَمَا خَيْرٌ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْأَهْلَ عَيْشُهُ وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
كَهَامٍ^(٩) عَلَى الْأَقْصَى كَلِيلٌ لِسَانُهُ وَفِي بَشَرِ الْأَدْنَى حَدَادٌ مَخَالِبُهُ

وقال العُماني:

[الرجز]

إِذَا مَشَى لِكُلِّ قَرْنٍ مُفْرِنٍ^(١٠) ثُمَّ مَشَى الْقِرْنُ لَهُ كَالْأَرْعَنِ^(١١)
بَصَارِمٍ يَفْرِي صَفِيحَ الْجَوْشَنِ^(١٢) مُقَرَطُنْ ذَافٍ^(١٣) إِلَى مُقَرَطُنِ

(١) يركب العوصاء: يتصدى لأصعب الأمور. (٢) الطاط: الشجاع.
(٣) الرдах: الكتبية الجرامة. (٤) تزجي: تدفع، توجه.
(٥) جاء في نسخة أخرى «روح» بالعين، بدلاً من «روح» بالحاء.
(٦) الشيزي: ضرب من الجفان المصنوعة من الأبنوس.
(٧) السديف: السنام.
(٨) المرباع: ربع الغنيمة.
(٩) الكهام: العي البطيء.
(١٠) المقرن: الرامي.
(١١) الأرعن: الأهوج.
(١٢) الجوشن: الدرع.
(١٣) ذاف: قارب بين خطوه.

يَقْضِي إِلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْمُكْمِنِ حَيْثُ يَقُولُ الْهَامَةُ ^(١) أَسْقِنِي أَسْقِنِي
كَمْ لِأَبِي مُحَمَّدٍ مِنْ مَوْطِنٍ

وقال العُمَانِيُّ:

[الرجز]

وَمَقُولُ نِعَمَ لَزَارُ الْخَصْمِ ^(٢) أَلَدُّ يَشْتَقُّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ
بِبَاطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الْخَصْمِ حَتَّى يَصِيرُوا كَسَحَابِ أَلْيَكُمِ

وقال عبيد في حديث علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - حين رأى فلاناً
يخطب فقال: «هذا الخطيب الشحشح» قال: هو الماهر الماضي. قال الطُّرْمَاحُ:

[الطويل]

كَأَنَّ الْمَطَايَا لَيْلَةُ الْخَمْسِ عُلِقَتْ بِوُثَابَةٍ تَنْضُو الرُّوَاسِمَ شَخْشَحَ ^(٣)
وقال ذو الرمة:

[الطويل]

لَدُنْ غُدُوءَةٍ حَتَّى إِذَا أَمْتَدَّتِ الضُّحَى وَحَثَّ الْقَطِيبُ الشَّحْشَحَانَ ^(٤) الْمَكْلَفُ
يعني الحادي. قال: وكان أسد بن كُرْزٍ يقال له: خطيب الشيطان، فلَمَّا أَسْتَعْمَلَ
أَبْنُهُ عَلَى الْعِرَاقِ قِيلَ لَهُ: خطيب الله، فجرت إلى اليوم، قال أبو أسلم الهذلي:

[الطويل]

أَصْخَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَإِنَّكَ لَا تُهْدِي الْقَرِيضَ لِمُفْحَمٍ
وقال بلعاء بن قيس:

[الطويل]

أَبَيْتُ لِنَفْسِي الْخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ وَوَلَّيْتُهُمْ سَمْعِي وَمَا كَانَ مُفْحَمَا
وقال عبد الله بن مصعب: وقف معاوية على امرأة من بني كِنَانَةَ فقال لها: «هل من
قِرَى؟» قالت: «نعم» قال «وما قِرَاك؟» قالت: «عندي خبز خمير، ولبن فطير» ^(٥)، وماء
نمير». وقال أُحَيْحَةُ:

[مجزوء الكامل]

وَالصَّمْتُ أَكْرَمُ ^(٦) بِالْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهُ
وَالْقَوْلُ ذُو خَطْلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ

وقال أبو ثُمَامَةَ الضَّبِّيُّ:

[الطويل]

وَمِنَّا حُصَيْنٌ كَانَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمٍ

(١) الهامة: طائر يخرج من رأس القتيل يصرخ بأهله ليثأروا له من قاتله أو أقارب قاتله، وتلك من عادات
الجاهليين.

(٢) لزار الخصم: ملازم لخصمه.

(٣) الشحشح: الممسك البخيل.

(٤) الشحشحان: القوي.

(٥) الفطير: اللبن عند حلبه.

(٦) جاء في نسخة أخرى «خير» بدلاً من «أكرم».

وقال عبيد بن أُمَيَّة الضُّبِّي، وَأَسْتَبَّ هو وَالْحَارِثُ بْنُ شَيْبَةَ الْمَجَاشِعِيِّ عِنْدَ النِّعْمَانِ،
فَقَالَ:

[الرجز]

تُرَى بَيُوتٌ وَتُرَى رِمَاحُ وَنَعَمٌ مُزَنَّمٌ ^(١) سِحَاحُ ^(٢)
وَمَنْطِقٌ لَيْسَ لَهُ نَجَاحُ يَا قَصَباً طَارَ بِهِ الرِّيَاحُ
وَأَذْرَعاً لَيْسَتْ لَهَا أَلْوَا حُ

[الوافر]

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ:
وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ حَصَاةٌ ^(٣) كَمَخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ ^(٤)
وَهَذَا شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ:

[الطويل]

كُسَالَى إِذَا لَا قَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُلَهَّى بِهِ الْمَتَّبُولُ وَهُوَ عَنَاءُ
وَقَالَ أَبُو ثُمَامَةَ:

[المقارب]

أَخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِماً وَأَجِثُوا إِذَا مَا جِثُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا مَنْطِقٌ قَالَهُ صَاحِبِي تَعَقَّبْتُ آخِرَ ذَا مُعْتَقَبِ
وَقَالَ الشَّمَاخُ:

[الطويل]

وَمُرْتَبَةٍ لَا يُسْتَطَاعُ بِهَا الرَّدَى تَرَكْتُ بِهَا الشَّكَّ الَّذِي هُوَ عَاجِزُ
وَيُرْوَى:

تَلَا فَيَ بِهَا حَلْمِي عَنِ الْجَهْلِ حَاجِزُ

(٣) الحصاة: العقل والرأي.

(٤) الأتاء: الزيد.

(١) المزنم: صغار الإبل.

(٢) السحاح: السمان.

باب من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول. هيثم^(١) عن يونس عن الحسن يرفعه أن المهاجرين قالوا: «يا رسول الله إن الأنصار فضلونا بأنهم آوؤا ونصروا وفعلوا وفعلوا». قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «أتعرفون ذاك لهم؟» قالوا: «نعم». قال: «فإن ذاك» ليس في الحديث غير هذا، يريد: إن ذاك شكر ومكافأة.

قال: وكلّم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - في حاجة، وجعل يمتّ بقرابة، فقال عمر: «وإنّ ذاك». ولعلّ ذاك» فإنّ ذاك كما قلّت، ولعل حاجتك أن تُقضى. وقال عبد الله بن قيس:

[مجزوء الكامل]

بَكَرْتُ عَلَيَّ عَوَازِلِي يَلْحَيِّنَنِي وَأَلُومُهُنَّ
وَقُلْنِ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

وقال الأسدي لعبد الله بن الزبير: «لا حملت ناقة حملتني إليك». قال ابن الزبير: «إنّ وراكبها». عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي هاشم القاسم بن كثير عن قيس الخارجي أنه سمع عليّاً يقول: «سبق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وصلى أبو بكر، وثلث عمر، وخبطنا فتنة فما شاء الله». ليس في الحديث أكثر من هذا. ولما كتب أبو عبيدة إلى عمر جواب كتاب عمر في أمر ألعاعون فقرأ عمر الكتاب أسترجع فقال له المسلمون: «مات أبو عبيدة». قال: «لا. وكان قد» وقال النابغة:

[الكامل]

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ
وَأُنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِي:

[الطويل]

إِذَا قِيلَ أَعْمَى قُلْتُ إِنَّ وَرَبَّما أَكُونُ وَإِنِّي مِنْ فَتَى لَبِصِيرُ
إِذَا أَبْصَرَ الْقَلْبُ الْمُرُوءَةَ وَالتُّقَى فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ
وَإِنَّ الْعَمَى أَجْرٌ وَذُخْرٌ وَعِصْمَةٌ وَإِنِّي إِلَى هَذِي الثَّلَاثِ فَقِيرُ

ابن أبي الزناد قال: كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -، وكان

(١) جاء في نسخة أخرى «هشيم» بالشين بدلاً من «هيثم».

يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعهُ، فكتب إليه: «إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي لَوْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَعْطِيَ رَجُلًا شَاةً، لَكَتَبْتُ إِلَيْ: أَضَانُ أَمْ مَاعَزُ؟، وَإِنْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا، كَتَبْتُ إِلَيْ: أَذْكَرُ أَمْ أَثْنَى؟. فَإِنْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا كَتَبْتُ إِلَيْ: صَغِيرُ أَمْ كَبِيرُ؟. فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فِي مَظْلَمَةٍ فَلَا تَرَا جَعْنِي وَالسَّلَامَ». وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «إِنِّي لَأَسْتَعِينُ بِالرَّجُلِ الَّذِي فِيهِ». ليس في الحديث غير هذا، ثم أبتدأ بالكلام فقال: «ثُمَّ أَكُونُ عَلَى قَفَائِهِ إِذَا كَانَ أَقْوَى مِنَ الْمُؤْمَنِ الضَّعِيفِ» وأراد^(١) هو قول الأسدي:

[الوافر]

سُوَيْدٌ فِيهِ فَأَبْغُونَا سِوَاهُ أَبَيْنَاهُ وَإِنْ بَهَّاهُ تَاجٌ

ولم يقل: فيه كذا وفيه كذا. وقال الراجز:

بَشْنَا بِحَسَانٍ وَمِعْزَاهُ تَيْطُ^(٢) فِي سَمِينِ حَمٍّ^(٣) وَتَمْرٍ وَأَقِطُ^(٤)

حَتَّى إِذَا كَادَ الظَّلَامُ يَنْكَشِطُ جَاءَ بِمَذْقٍ^(٥) هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُ

وقيل للمنتجع بن نيهان - أو لأبي مهدية - «ما أَلْنَضْنَاضُ؟» فأخرج طرف لسانه وحركه. وقيل له: «ما الد لَنْظَى؟» فَزَحَرَ وتقاوس وفرج ما بين منكبَيْهِ.

ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾^(٦) وقال: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾^(٧) وقال: ﴿وَبِأَيِّهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾^(٨) وسئل المفسر عن قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٩) فقال: ليس فيها بكرة ولا عشي. وقال لنبية صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿إِن كُنْتُ فِي شَكِّ مِمَّا أُنْزِلَنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(١٠). قالوا: لم يشك ولم يسأل. وقال عمر - رضي الله تعالى عنه في جواب كلام قد تقدم وقول قد سلف منه: «مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَنَهَيْتُهُمَا وَأَضْرَبْتُ عَلَيْهِمَا». وهذا مثل قائل لو قال: «أَتَضْرِبُنَا عَلَى الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَعَلَى التَّطْبِيقِ إِذَا رَكْعَتَانَا؟» فيقول: «نعم، أَشَدَّ الضَّرْبِ» إذا كان قد تقدم منه

(١) جاء في نسخة أخرى «وارد» ومعناها أنفع، بدلاً من «وأراد» بالألف.

(٢) تَيْطُ: تصوت من الجوع.

(٣) جاء في نسخة أخرى «جَم» بالجيم بدلاً من «حَم» بالحاء، ومعناها ذائب.

(٤) الْأَقِطُ: الجبن المصنوع من اللبن الحامض.

(٥) الْمَذْقُ: اللبن الممزوج بالماء.

(٦) سورة الحج، الآية: ٢.

(٧) سورة طه، الآية: ٧٤.

(٨) سورة إبراهيم، الآية: ١٧.

(٩) سورة مريم، الآية: ٦٢.

(١٠) سورة يونس، الآية: ٩٤.

إعلامه إيَّاهم بحال الناسخ والمنسوخ . وقد سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - وقد أقبل من جهة الحلبة - فقال له : « من سبق؟ » قال : « سبق المقربون » قال : « إنَّما أسألك عن الخيل » . قال : « وأنا أجيبك عن الخير » . فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له .

حدثنا عبد الملك بن شيبان قال حدثني : يعقوبُ بنُ الفضل الهاشميُّ . قال : كتب أبو جعفر إلى سلَمَ يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم وعُقر نخلهم ، قال : فكتب إليه سلَمَ : « بأي ذلك نبدأ : بالدور أم بالنخل؟ » فكتب إليه أبو جعفر : « أما بعدُ فإنني لو كتبت إليك بإفساد ثمرهم لكتبت إليَّ تستأذني بأية نبدأ : بالبرني أم بالشهيري »^(١) وعزله ، وولى محمد بن سليمان .

وقال ابن مسعود : « إنَّ طول الصلاة وقصر الخطبة مئينة من فقه الرجل » مئينة كقولك مخلقة ومجدرة ومجراًة قال الأصمعيُّ : « مئينة : علامة » .

وقال عبد الله : « عليكم بالعلم فإنَّ أحدكم لا يدري متى يُخيّل إليه » . ولَمَّا أقدم عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - عمرو بنُ العاصي من مصرَ قال له عمر : « لقد سرت سيرَ عاشق » . قال عمرو : « وإني والله ما تأبطتني الإماء ولا حملتني البغايا في غُبرات^(٢) المآلي^(٣) » . قال له عمر : « والله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل ، والأبيضة منسوبة إلى طرفها » . وقام عمر فدخل ، وقام عمرو فقال : « قد أفحش أمير المؤمنين علينا » .

وجاء في الحديث : « لا يُمنع فضلُ أَلَماءٍ ليمنع به فضلُ الكلاء » وقال أعرابيُّ : « اللهم لا تُنزِلني ماء سوء فأكونُ أمراً سوء » . وقال بلعاء بنُ قيس :

[الطويل]

وَكَمْ كَانَ فِي آلِ الْمُلُوحِ مِنْ فِتْيٍ مُنَادَى مُفْدَى حِينَ تُبْلَى سَرَائِرُهُ
وَكَمْ كَانَ فِي آلِ الْمُلُوحِ مِنْ فِتْيٍ يُجِيبُ خَطِيباً لَا يُخَافُ عَوَائِرُهُ

وقال آخر :

[الكامل]

وَمُخَاصِمٍ قَاوَمْتُ فِي كَبَدٍ^(٤) مِثْلَ الرِّهَانِ فَصَارَ لِي الْعُدْرُ

وقال آخر :

[الرجز]

وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسَانٌ أَبْكَمُ وَمِشْفَرٌ لَا يَتَوَارَى أَضْحَمُ

(١) البرني والشهريز : صنفان من أصناف التمر .

(٢) غبرات الشيء : بقاياها .

(٣) المآلي : جمع مثلاة ، وهي خرقة الحائض .

(٤) الكبد : المشقة .

وَلَمَّا رَأَى الْفَرَزْدَقُ دُرْسْتَ بْنَ رَبَاطٍ الْفُقَيْمِيَّ عَلَى الْمَنْبَرِ وَكَانَ أَسْوَدَ دَمِيمًا قَصِيرًا
قال :

[الطويل]

بَكَى الْمَنْبَرُ الشَّرْقِيَّ إِذْ قَامَ فَوْقَهُ أَمِيرُ فُقَيْمِيٍّ قَصِيرُ الدَّوَارِجِ ^(١)

وقال :

[الطويل]

بَكَى الْمَنْبَرُ الشَّرْقِيَّ وَالنَّاسُ إِذْ رَأَوْا عَلَيْهِ فُقَيْمِيًّا قَصِيرَ الْقَوَائِمِ

وإنما كان يُعادي بني فُقَيْمٍ لأنهم قتلوا أباه غالباً.

قال أبو عبيدة: قال رجل ليونس بن حبيب: «إذا أخذتم في مذاكرة الحديث وقع عليّ النعاس». قال: «فأعلم أنك حمار في مسلاخ» ^(٢) إنسان قال: ودخل عبد الله بن خازم على عبيد الله بن زياد - وهو يخطر في مشيته - فقال للمنذر بن الجارود «حرّكه». فقال: «يا ابن خازم، إنك لتجرّ ثوبك كما تجر المرأة البغي ذيلها». قال: «أما والله إني مع ذلك لأنفذ بالسرية، وأضرب هامة البطل المُشيع» ^(٣)، ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثر شعراً». وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ثم قال: «لعنك الله من دراهم، والله ما تقومين بمؤنة خيلنا». وقال علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه -: «خذ الحكمة أنى أتتك، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها».

وقال عمرو بن العاص لأهل الشام يوم صيفين: «أقيموا صفوفكم مثل قصّ الشارب، وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار، فقد بلغ الحقّ مقطعه، فإنما هو ظالم أو مظلوم». وقال علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - يومئذ: «عضوا على أنواجذ من الأضراس، فإنّه أنبا للسيوف عن ألهم».

وقال رجل: «طدّ» ^(٤) رجلك إذا اعتقبت ^(٥) بالسيف والعصا، وأنت مخير في رفعها ساعة المسالمة والموادة». ولما أقاموا ابن قميّة بين العقابين قال له أبوه: «طدّ رجليلك الأرض، وأصرّ إصرار الفرس، وأذكر أحاديث غد. وإياك وذكر الله في هذا الموضع فإنّه من الفشل».

قال: وقيل للحجاج: «من أخطب الناس؟» قال: «صاحب العِمامة السوداء بين

(١) الدوارج: الأرجل.

(٢) مسلاخ: جلد.

(٣) المشيع: الحازم.

(٤) وطد رجله: أثبتها وثقلها.

(٥) جاء في نسخة أخرى «اعتصيت» بالصاد بدلاً من «اعتقبت». واعتصى بالسيف: أمسك بالسيف كما يمسك بالعصا وهو يضرب به.

أخصاص البصرة». يعني الحسن. وقال الأحنف: قال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا». وقال عمر: «احذر من فلتات الشباب كل ما أورثك النبز»^(١) وأعلقك القلب، فإنه إن يعظم بعدها شأنك يشتد على ذلك ندك». ولما بنى عتبة بن غزوان وأصحابه بالبصرة بناء اللبن كتب إليهم عمر: «قد كنت أكره لكم ذلك، فإذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا ألبصير وأرفعوا السمع وقاربوا بين الخشب». ولما بلغه أنهم قد أخذوا الضياع وعمرؤا الأرضين كتب إليهم: «لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمتها فيه». وقال عمر: «بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك». وقال: فرّقوا بين المنايا وأجعلوا الرأس رأسين». وقال: «أملكوا العجين فإنه أحد الربيعين». وقال: «إذا اشتريت بغيراً فأجعلهُ ضخماً فإن أخطأك خبر لم يخطئك سوق». وقال عمر: «العمائم تيجان العرب». وقال: «نعم المستند ألاحتماء». وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «الناس كالإبل ترى المائة لا تجد فيها راحلة» وأنشدوا:

[الكامل]

وَكَأَنَّ مِنْ زَهْرِ الْخُزَامَى وَالنَّدَى وَالْأَفْحَوَانِ عَلَيْهِ رَيْطَةٌ^(٢) بُرْنَسٍ^(٣)
وَإِذَا تَرَنَّمْ حَوْلَهُ ذَبَانُهُ أَضْعَى تَسْمَعُ خَائِفٍ مُتَوَجِّسٍ
خَرَجْتُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرَاءِ^(٤) دَوَاجِنُ^(٥) تَحْتُ^(٦) نَحْوَ مَلَاذٍ وَإِنْ أَشْوَSِ^(٧)
يَسْعَى يُمَثِّلُ وَالصَّفِيرُ كَلَامُهُ وَتَحِي^(٨) يَدَاهُ لَهُنَّ وَحْيَ الْآخِرِسِ

وقال الراعي:

[الطويل]

أَبَا خَالِدٍ لَا تَنْبِذْنَا فَصَاحَةً كَوْحِي الصَّفَا خُطْتُ لَكُمْ فِي فُؤَادٍ

وقال الشاعر:

[مجزوء الخفيف]

رُبَّ طَرْفٍ مُصَرِّحٍ عَنْ ضَمِيرٍ بِمَا هَجَسَ

وقال آخر:

[الوافر]

بَلَحْنِ الْقَوْلِ وَالطَّرْفِ الْفَصِيحِ

وقال المَثَقَبُ العَبْدِيُّ^(٩) في أَسْتِمَاعِ الثَّوْرِ وَتَوَجُّسِهِ وَجَمْعِ بَالِهِ إِذَا أَحْسَسَ بِشَيْءٍ مِنْ

(١) النبز: اللقب للذم.

(٢) الرِيطة: الملاعة.

(٣) البرنس: ثوب مخيط به غطاء الرأس.

(٤) الضراء: أرض مستوية تأوي إليها الوحوش لوجود الشجر الملتف بها.

(٥) الدواجن: المقيمة في مكان تعيش فيه.

(٦) تحت: تسرع.

(٧) الأشوس: الجريء.

(٨) تحي: تشير.

(٩) هو: العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين.

أسباب القانص وذكر ناقة:

[السريع]

كَأَنَّهَا أَسْفَعُ^(١) ذُو جُدَّةٍ^(٢) يَضُمُّهُ الْقَفْرُ وَلَيْلٌ سَدِي^(٣)
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مَنْ بَرْقَعٍ مِنْ تَحْتِ رَوْقٍ^(٤) سَكَبَ مَذُودَ
تُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ
وَيُوجِسُ السَّمْعَ لِنُكْرَائِهِ^(٥) مِنْ خَشْيَةِ الْقَانِصِ وَالْمُؤْسَدِ

وقال بعض العبيد شعراً يقع في ذكر الخطباء، وفي ذكر أصدقائهم وتشادقهم: [الطويل]

أَعْرَكَ مَنِّي أَنَّ مَوْلَايَ مَزِيداً سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي الطَّعَامِ سَرُوطٌ^(٦)
عُلَامٌ أَتَاهُ الذُّلُّ مِنْ نَحْوِ شِدْقِهِ لَهُ نَسَبٌ فِي الْوَاعِلِينَ^(٧) بَسِيطٌ
لَهُ نَحْوُ دُورِ الْكَاسِ إِمَّا دَعَوْتَهُ لِسَانٌ كَذَلِقِ^(٨) الزَّاعِبِيِّ سَلِيطٌ^(٩)
وقال الأول:

[الرجز]

إِنَّ سَلِيطاً كَأَسْمِهِ سَلِيطٌ

[الطويل]

وقال بعض العبيد في بعض العبيد:

وقد كان مفتوقُ ألْهَاءِ وشاعراً أَشْدَقُ يَفْرِي حِينَ لَا أَحَدٌ يَفْرِي
وقال موركُ العبد يتوعد مولاة:

[الرجز]

لَوْلَا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ^(١٠) وَدَرْدَقُ^(١١) وَصَاحِبُ جَمِّ الْحَدِيثِ مُونِقُ^(١٢)
كَيْفَ الْفُوعَاتُ وَالطَّلُوبُ^(١٣) مُورِقُ^(١٤) شَيْخٌ مَغِيطُ^(١٥) وَسِنَانٌ يُبْرِقُ
وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتُ مُصْلَقُ^(١٦) وَشِدْقُ ضِرْعَامٍ وَنَابٌ مُخْرِقُ

= اتصل بالملك عمرو بن هند، وله فيه مدائح، كما مدح النعمان بن المنذر انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ١٤٧، طبقات ابن سلام: ٢٢٩.

(١) الأسفع: الثور الوحشي ذو سواد في خديه، يضرب إلى الحمرة.

(٢) الجُدَّة: بضم الجيم، العلامة.

(٣) السدى: الندى في أول الليل.

(٤) الروق والمذود: القرن.

(٥) النكراء: الحذر الشديد.

(٦) سروط: أكل.

(٧) الواغل: الطفيلي الذي يدخل على الناس في طعامهم ومشربهم.

(٨) الذلق: السنان.

(٩) سلبط: طويل.

(١٠) القحمة: العجوز المسنة.

(١١) الدردق: الأطفال.

(١٢) المونق: المعجب.

(١٣) الطلوب: المطالب الكثيرة.

(١٤) المورق: الغانم.

(١٥) المغيظ: المغضب.

(١٦) المصلق: الشديد.

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصفين فقال: «تلك دماء كفَّ الله يدي عنها فلا أحب أن أغمس لساني فيها». ويقع في باب التطبيق قول الشاعر:

[الطويل]

لَأَنْتُمْ بِبَيْعِ اللَّحْمِ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِضَرْبِ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاطِعِ
وقال عمرو بن هذاب: «إنَّما كنَّا نعرف سؤدد مسلم بن قتيبة أنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين». وقال الأصمعي: دخل حبيب بن شوذب الأسدِّي على جعفر بن سليمان بالمدينة فقال: «أصلح الله الأمير، حبيب بن شوذب وادَّ الصدر جميل الذكر، يكره الزيارة المملَّة والعقدة^(١) المنسية^(٢)». وفي الحديث: «زُرْغَبًا تزددُ حُبًّا». وقال بعضهم عن الثوري عن محمد بن عجلان عن عياض بن عبد الله قال: «إنَّ الدِّينَ مجمع لكلِّ همٍّ: همٌّ بالليل وذُلٌّ بالنهار، وراية الله في أرضه، فإذا أراد الله أن يذلَّ عبداً جعله طوقاً في عنقه». عمر بن ذر قال: «الحمد لله الذي جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات ولا تُقبل من غيرهم الحسنات». ابن أبي زياد: «كنَّا لا نكتب إلاَّ سنةً، وكان الزُّهري يكتب كل شيء، فلمَّا احتيج إليه عُرِفَ أنه أوعى الناس». قال فيروز بن حصين: «إذا أراد الله أن يُزيل عن عبده نعمة كان أول ما يغيِّر منه عقله». وقيل لمحمد بن كعب القرظي: «ما علامة الخذلان؟» قال: «أن يستقبح الرجل ما كان عنده حسناً ويستحسن ما كان عنده قبيحاً». وقال محمد بن حفص: «كُنْ إِلَى الْأَسْتِمَاعِ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى الْقَوْلِ، وَمَنْ خَطَأَ الْقَوْلَ أَشَدَّ حَذَرًا مِنْ خَطَأِ السَّكُوتِ». وقال الحسن: «إذا جالست العلماء فكُنْ على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه». سفيان بن عُيينة قال: «كان يقال: العالم مثل الأسراج من مرَّ به اقتبس منه». وقال الشاعر أبو دهمان الغلابي:

[الطويل]

لِئِنْ مِصْرُ فَاتَتْني بما كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ أَمَلُ
فَمَا كُلُّ مَا يَخْشَى الْفَتَى بِمُصِيبِهِ وَمَا كُلُّ مَا يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نَائِلُ
فَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقَيْتُكَ سَالِمًا وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ
وقال الآخر:

[الطويل]

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لِكَالْبُئْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
وقال كعب الأحبار: «قرأت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه - عليهم السلام -: الهدية تفقأ عين الحكيم، وتُسَفِّه عقل الحليم». قال: زحم رجل سالم بن عبد الله فزحم سالم الذي يليه فقال له: «يا شيخ، ما أحسبك إلاَّ شيخ سوء». قال سالم: «ما أحسبك

(١) جاء في نسخة أخرى «القعدة» بدلاً من «العقدة». (٢) المنسية: الطويلة.

أبعذت». قال: وسأل رجل محمد بن عُمير بن عَطَّارِد وعَتَّاب بن ورقاء في عشر ديات فقال محمد: «عليّ دية». فقال عتاب: «ألباقي عليّ» فقال محمد: «نعم ألعون أليساؤ المروءة».

وقال الأحنف:

[المتقارب]

فلو مدَّ سَرُويَ بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ بِهِ بَاذِلًا
فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا

وقال يزيد بن حجية، حين بلغه أن زياد بن خصفة تبعه ولم يلحق به:

[الطويل]

أَبْلِغْ زِيَادًا أَنَّنِي قَدْ كَفَيْتُهُ أُمُورِي وَخَلَيْتُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
وَبَابٍ شَدِيدٍ دَاوُهُ قَدْ فَتَحْتَهُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَعَيْتُ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ
هَبِلْتُ فَمَا تَرْجُو عَنَّا وَمَشْهَدِي إِذَا كَانَ يَوْمٌ لَا تَوَارَى كَوَاكِبُهُ

قال آخر:

[الرجز]

وَمَنْطِقٍ حَرَقَ بِالْعَوَاسِلِ

قال تجردت حضرمية لزوجها ثم قالت: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّجَمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾^(١)
قال: «أرى فطوراً». وقال آخر: راودت امرأة شيخاً وأستهدفت له وأبطأ عليه لأن انتشار
فلامته فقال لها: «إنك تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً».

علي بن محمد بن عمر بن مجاشع أن عمر - رضي الله تعالى عنه - كتب إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا، فإن الدنيا تنفذ والآخرة تبقى، وكُنْ من خشية الله على وجل، وأخف الفساد وأجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً. وإذا كانت بين القبائل نائرة^(٢) وتداعوا يا آل فلان فإنما تلك نجوى الشيطان فأضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإمام، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو يا آل ضبة، وإنني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً قط، ولا منع بها من سوء قط، فإذا جاءك كتابي هذا فأهلكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا. وألصق بغيلان بن خرسة من بينهم، وعُدْ مرضى المسلمين، وأشهد جنائزهم، وأفتح بابك، وباشر أمرهم بنفسك، فإنما أنت أمرؤ منهم

(١) سورة الملك، الآية: ٣.

(٢) النائرة: العداوة والفتنة.

غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً . وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرّت بوادٍ خصب فلم يكن لها همّة إلاّ السمن وإنّما حتفها في السمن . وأعلم أن للعامل مَرَدًا إلى الله، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإنّ أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

عوانة قال : قدّم علينا أعرابي من كلب، وكان يُحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه، فقال له رجل : «أما لحديثك هذا آخر؟» فقال : «إذا عجز وصلناه» .

قال : قال معاوية ليونس الثقفى : «أتق أن أطير بك طيرةً بطيئاً وقوعها» قال : «أليس لي ولك المرجع بعد إلى الله؟» قال : «بلى فأستغفر الله» .

رقبة بن مصقلة قال : «ما سمعت عمر بن ذرّ يتكلم إلاّ ذكرت النفخ في الصُور، وما سمعت أحداً يحكيه إلاّ تمنيت أن يُجلد ثمانين» . قال : وتكلم عمر بن ذرّ فصاح بعد الزفانين صيحة فلطمه رجل . قال عمر بن ذرّ : «ما رأيت ظلماً قطّ أوفق لي من هذا» . قال : وقال طاوس : كنت عند محمد بن يوسف فأبلغه رجل من بعض أعدائه كلاماً فقال : رجل من القوم : «سبحان الله» . فقال طاوس : «ما ظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم» . كأنه عنده إنّما سبّح ليُظهر أستعظام الذي كان من الرجل ليوقع به . وقال الآخر :

[الرجز]

لَوْ كَانَ عَدُوَّاكَ ^(١) الْبَطِيءُ الْمُسْهِمُ إِذَا بَدَا مِنْكَ الَّذِي لَا يُكْتَمُ
وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسَانٌ أَبْكُمُ وَمِشْفَرٌ لَا يَتَوَارَى أَضْحَمُ

وقال الآخر :

[الرجز]

يُقَعَّرُ الْقَوْلَ لِكَيْمَا تَحْسَبَهُ مِنْ الرِّجَالِ الْفُصْحَاءِ الْمُعْرِبَةِ
وَهُوَ إِذَا نَسَبْتَهُ مِنْ كَرِبَةٍ مِنْ نَخْلَةٍ نَابِتَةٍ فِي خَرِبَةٍ

قالت امرأة الحطيئة للحطيئة حين تحوّل عن بني رباح إلى بني كليب : «بئس ما استبدلت من بني رباح بعزّ الكيش» . لأنهم متفرقون وكذلك بعزّ الكيش يقع متفرقا . علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن داود بن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال : قال : بعثني وعمران بن حصين عثمان بن حنيف إلى عائشة - رضي الله تعالى عنها - فقلنا : «يا أم المؤمنين، أخبرينا عن مسيرك هذا أعهد عهدك إليك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم رأي رأيته؟» قالت : «بل رأي رأيته حين قتل عثمان، إنّنا نقيمنا

(١) جاء في نسخة أخرى «غاداك» بدلاً من «عدواك» .

عليه ضربة بالسوط وموقع السحابة الممحاة وإمرة سعيد وأوليد، فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحرم الثلاث: حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام، بعد أن مصناه كما يماص^(١) الإناء، فاستنقني، فركبتم منه هذه ظالمين، فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نعضب لعثمان من سيفكم!». قلت: «فما أنتِ وسيقنا وسوط عثمان، وأنتِ حبيس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمرك أن تقرّي في بيتك فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض». قالت: «وهل أحد يُقاتلني أو تقول غير هذا؟» قلنا: «نعم». قالت: «ومن يفعل ذلك، أزينم^(٢) بني عامر؟». ثم قالت: «هل أنت مبلغ عني يا عمران؟» قال: «لا، لست مُبلغاً عنك خيراً ولا شراً». فقلت: «لكنّي مبلغٌ عنك، فهاتي ما شئت». قالت: «اللهم أقتل مذمماً قصاصاً بعثمان - تعني محمد بن أبي بكر - وأرم الأشر بسهم من سهامك لا يُشوى، وأدرك عماراً بحفرته في عثمان».

حدثنا يزيد بن هاورن قال: أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن أن زياداً بعث الحكم بن عمرو على خراسان فأصاب مغنماً، فكتب إليه زياد: «إن أمير المؤمنين معاوية كتب إليّ يأمرني أن أصطفي له كل صفراء وبياض، فإذا أتاك كتابي هذا فأنظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه وأقسم ما سوى ذلك». فكتب إليه الحكم: «إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، ووالله لو أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاَ على عبد فأتقَى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً والسلام». ثم أمر المنادي فنادى في الناس أن: «أغدوا على غنائمكم» فغدوا فقسمها بينهم.

قال: وقال خالد بن صفوان: «ما رأينا أرضاً مثل الأيلة أقرب مسافة ولا أطيب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد».

قال الكسائي: لقيت أعرابياً فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف والشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال: «تالله ما رأيت رجلاً أقدر على كلمة إلى جنب كلمة منها أشبه شيء بها وأبعد شيء منها منك». ووصف أعرابي رجلاً فقال: «ذاك والله ممن ينفع سلمه، ويتواصف جلمه، ولا يستمرأ ظلمه». وقال آخر لخصمه: «لئن هملجت^(٣) إلى الباطل إنك لقطوف^(٤) إلى الحق». قال: ورأى رقبة بن مصقلة العبدئي جارية عند العطار فقال له: «ما تصنع هذه عندك؟» قال: «أكيل لها حنأ». قال: «أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأكرك الله عليه».

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن خويطب قال: قال عمرو بن العاصي لعبد الله بن

(٣) الهملجة: حسن سير الدابة بسرعة.

(٤) القطف: تقارب الخطو في بطة.

(١) ماص الإناء: غسله.

(٢) الزنيم: الدعي في النسب.

عباس: «إن هذا الأمر ألذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده ألبلاء، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما نرى، وما أبقت لنا هذه الحرب حياءً ولا صبراً، ولسنا نقول: ليت الحرب عادت ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت، فأنظر فيما بقي بغير ما مضى فإنك رأس هذا الأمر بعد علي، وإنما هو أمير مطاع ومأمور مطيع ومُشاوَر مأمون، وأنت هو.

وقال عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلي برجله فقطعها! «يا أبا عبد الله ذهب أهونك علينا وبقي أكثرك لنا». قال أبو الحسن: خطب الحجاج يوم الجمعة فأطال الخطبة فقال رجل: «إن الوقت لا ينتظرك وألرب لا يعذرک». فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا: «إنه محنون». فقال: «إن أقر بالجنون خلئت سبيله». فقيل له: «أقر بالجنون». قال: «لا والله، لا أزعم أنه أبتلاني وقد عافاني».

قالت أم هاشم السلولية: «ما ذكر الناس مذكوراً خيراً من الإبل أحناء على أحد بخير، إن حملت أثقلت، وإن مشت أبعدت، وإن نُجرت أشبعت، وإن حُلِبَّت أروت».

حدثني سليمان بن أحمد الخرساني قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حبيب قال: طلب زياد رجلاً كان في الأمان ألذي سألَه الحسن بن علي لأصحابه، فكتب فيه ألحسن - رضي الله تعالى عنه - إلى زياد: «من ألحسن بن علي إلى زياد. أما بعد، فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا، وقد ذكر لي فلان أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير». فلما أتاه الكتاب - ولم ينسبه ألحسن إلى أبي سفيان - غضب فكتب: «من زياد بن أبي سفيان إلى ألحسن، أما بعد، أتاني كتابك في فاسق يؤويه^(١) ألفساق من شيعةك وشيعة أبيك. وأيم الله لأطلبهم ولو بين جلدك ولحمك. وأن أحب لحم إلي أكله للحم أنت منه». فلما وصل الكتاب ألحسن وجه به إلى معاوية فلما قرأه معاوية غضب وكتب: «من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان. أما بعد، فإن لك رأيين: رأياً من أبي سفيان ورأياً من سمية، فإما رأيك من أبي سفيان فحلّم وحزم، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأي مثلها. وقد كتب إلي ألحسن بن علي أنك عرضت لصاحبه فلا تعرضن له فإنني لم أجعل لك إليه سبيلاً. وإن ألحسن بن علي ممن لا يرمي به ألرجوان. وألعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه، أفاإلى أمه وكلته وهو ابن فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فالآن حين أخترت له وألسلام».

قدّم مصعب بن الزبير ألعراق فصعد المنبر ثم قال: ﴿طَسَمَ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتَلَوُا عَلَیْكَ مِنْ نَبَاٍ مُّوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا یَسْتَضِعُّ طَآئِفَةً مِنْهُمْ یُذِیْحُ أَبْنَاءَهُمْ وَیَسْتَحِیءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ -

(١) جاء في نسخة أخرى «يؤديه» بدلاً من «يؤويه».

وأشار بيده نحو الشام - **وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكَِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ^(١) - وأشار بيده نحو العراق .

قال كتب محمد بنُ كعب القرظيُّ فقيل له: «والأنصاري» قال أكره أن أمن على الله بما لم أفعل» .

قال: قام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى معاوية وبني أمية وتناول بني هاشم ثم ذكر مشاهده بصفين فقال ابن عباس: «يا عمرو، إنك بعث دينك من معاوية فاعطيته ما في يدك ومثاك ما في يد غيره، فكان الذي أخذ منك فوق الذي أعطاك، وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته، وكل راض بما أخذ وأعطى، فلمّا صارت مصر في يدك تتبّعك فيها بالعزل والتنقّص حتى لو أن نفسك فيها ألقيتها إليه. وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقلت علينا يومئذ وطأتك ولا نكتنا فيها حربك، وإن كنت فيها لطويل اللسان قصير السنّان وآخر الحرب إذا أقبلت وأولها إذا أدبرت، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير ويد لا تقبضها عن شر. ووجهان: وجه مؤنس ووجه موحش. ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن يطول حزنه على ما باع وأشترى. لك بيان وفيك خطل، ولك رأي وفيك كد، ولك قدر وفيك حسد، فأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك». فقال عمرو: «أما والله ما في قريش أحد أثقل وطأة عليّ منك، ولا لأحد من قريش قدر عندي مثل قدرك» .

قال: ورأى عمرو بن عُتبة بن أبي سفيان رجلاً يشتم رجلاً، وآخر يسمع منه فقال للمستمع: «نزه سمعك عن أستماع إلخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به، فإنّ السامع شريك القائل، وإنّما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولوردت كلمة جاهل في فيه لسعد رادها كما شقي قائلها» .

عوانة قال: اختصم إلى زياد رجلان في حق كان لأحدهما على الآخر، فقال المدّعي: «أيها الأمير، إنّه ليسطو عليّ بخاصة ذكر أنها له منك» فقال زياد: «صدق، وسأخبرك بمنفعتها له، إن يكن الحق له عليك أخذتك به، وأن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه» .

قال: ولما توفي أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - قامت عائشة - رضي الله تعالى عنها - على قبره فقالت: «نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مُدلاًّ بإدبارك عنها وللآخرة مُعزاً بإقبالك عليها، وإن كان لأجل الأرزاء بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك، وإن كتاب الله ليعدّ بجميل

(١) سورة القصص، الآيات: ١ - ٦.

العزاء حسنَ العِوضِ منك، فأنْتجز منَ الله موعدهَ فيكَ بِالصبرِ عنكَ وأستخلصه بالاستغفار لك». وقامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الأحنف بن قيس، وهي على راحلة فقالت: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، أبا بحر، من مِجَنٍّ في جَنٍّ، ومدرج في كفن، فوالذي أبتلاني بفقدك، وبلغنا يوم موتك، لقد عشت حميداً وميت فقيداً، ولقد كنت عظيم الجلم فاضل السلم رفيع العمد واري الزناد منيع الحريم سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن الناس لقريباً وفيهم لغيرياً، وإن كنت لمسوداً وإلى الخلفاء لموقداً، وإن كانوا لقولك لمستمعين ولرأيك لمتبعين». ثم انصرفت.

أبو الحسن قال: قال عمرو بن العاص: «ما رأيت معاوية قط متكئاً على يساره واضعاً إحدى رجله على الأخرى كاسراً إحدى عينيه، يقول للذي يكلمه: يا هناه^(١) إلا رحمتُ الذي يكلمه».

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضيركم أن لا يكثر لكم».

وكتب معاوية إلى عائشة أن أكتبي إليّ بشيء سمعته من أبي القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم، فكتبت إليه، سمعت أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «من عمل بما يُسخط الله عاد حامده من الناس له ذاماً».

أوصى بعض العلماء ابنه فقال: «أوصيك بتقوى الله، ولئسعلك بيتك، وأملك عليك لسانك، وإباك على خطيئتك». بكر بن أبي بكر القرشي قال: قال أعرابي: «ما غبت قط حتى يغبن قومي». قيل: «وكيف ذلك؟» قال: «لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم». قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم! قال: «نحن ألف رجل، وفينا حازم ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم».

قال أبو الحسن: «أول من أجرى في البحر السفن المقيرة^(٢) المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجأجى^(٣)، وكان أول من عمل المحامل الحجاج». قال بعض رجاز الأكرياء^(٤):

أَوَّلَ عَبْدٍ عَمِلَ الْمَحَامِلَا أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلًا
وقال آخر:

[الرجز]

شَيَّبَ أَصْدَاغِي وَهُنَّ بِيضٌ مَحَامِلٌ لِقَدْهَا نَقِيضٌ

(١) ياهناه: يا رجل.

(٢) المقيرة: المطلية بالقار.

(٣) الجأجىء: مفردا جوجؤ، وهو مقدم السفينة.

(٤) الأكرياء: مفردا المكاري، وهو مصاحب القافلة من الدواب.

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: «لو تنحل»^(١) رجل أخاً شقيقاً لم يأمن أن يبدو منه ما يبدو من الثوب ذي الخرق، فرحم الله رجلاً أغضى على الأعداء وأستمع بالظاهر». وقال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: «من ولد الخير أنتج له فراخاً تطير بالسرور، ومن ولد الشر أنبت له نباتاً مرّ مذاقه قضائه الغيظ وثمره الندم». وأنشد النضر بن شميل: [الطويل]

يُحِبُّ بَقَائِي الْمُسْفِقُونَ وَمُدَّتِي وَمَا أَرَبِي فِي أَرْذَلِ الْعُمَرِ بَعْدَمَا
إِلَى أَجَلٍ لَوْ يَعْلَمُونَ قَرِيبٍ لَبِثْتُ شَبَابِي قَبْلَهُ وَمَشِيبِي

[البيط]

يا أَبْنَ الزُّبَيْرِ جَزَاكَ اللَّهُ لَائِمَةً تَنْزَوُ^(٣) لِيَتَدْرِكَ مِنْ كَعْبٍ غَطَارِفَةٌ^(٤) كَمَا تَرَى فَرْخَ عُشٍّ لَا حَرَاكَ بِهِ مَا فِيكُمْ قَدْ عَلِمْنَا مِنْ مُحَافَظَةٍ وَأَنْتُمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الْبُيُوتِ إِذَا أَنْتُمْ مَنَاخُ الْخَنَا فُبْحاً لِيَخْلَتِكُمْ فِي ذِمَّتِي أَنْ تَضْجَحُوا مِنْ مُصَادِمَتِي مَا بَيْنَ أَدْبَسَ^(١١) نَتَاجَ لَهُ ذَفَرٌ^(١٢) خَالِي سَمَاعُهُ فَأَعْلَمُ لَا خَفَاءَ بِهِ صَعْبٌ مَنَاكِبُهُ تَعْيَا^(١٥) الْكُمَاةُ بِهِ وَأَنْشُدُ ابْنَ الْمَعْدَلِ:

[الطويل]

تَوَاعَدَ اللَّبَيْنِ الْخَلِيطُ^(١٦) لِيَنْبُتُوا^(١٧) وَقَالُوا لِرَاعِي الظَّهْرِ مَوْعِدُكَ السَّبْتُ

(١) التنخل: الاختيار.

(٢) التعتيب: الإبطاء.

(٣) تنزو: تشب.

(٤) الغطارفة: الشرفاء الأسخياء.

(٥) البسرة: الواحدة من البلح قبل تحوله إلى رطب.

(٦) العرجون: أصل العذق الباقي يابساً على أمه النخلة.

(٧) الدرن: الوسخ.

(٨) الطحاريب: الفساء.

(٩) المقشوب: جاءت هنا بمعنى المذموم.

(١٠) الجناديب: مفردة جندب، وهو صغير الجراد.

(١١) الأدبس: هو ما لونه بين السواد والحمرة من طير أو حيوان.

(١٢) الذفر: شدة الرائحة، سواء أكانت خبيثة أم طيبة.

(١٣) المقصد: هو من مرض ثم مات بسرعة.

(١٤) المعصوب: المتصور من الجوع.

(١٥) جاء في نسخة أخرى «تهوى» بدلاً من «تعيا».

(١٦) الخليط: الجماعة على رأي واحد.

(١٧) انبت: انقطع.

فَفَاجَأَنِي بَغْتاً وَلَمْ أَخَشَ بَيْنَهُمْ
مَضَى لِسُلَيْمَى مُنْذُ مَا لَمْ أَلْقِهَا
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكُمْ كَثِيرَةٌ
تَأَيَّمْتُ حَتَّى لَأَمْنِي كُلِّ صَاحِبٍ
لِئِنْ بَعْتُ حَظِي مِنْكَ يَوْماً بغيرِهِ
تَمَتَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَعَهْدُهُمْ
وَقَدْ عَلِمُوا عِنْدَ الْحَقَائِقِ أَنَّي
وَإِنِّي وَقَدْ سَيَّرْتُ نَبْلِي وَإِنِّي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَعْدَلِ أَنَشِدَنِي أَعْرَابِيٌّ مِنْ طِي:

[الطويل]

وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى
وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَتُوبُنِي
إِذَا كَانَتِ الْعُلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وَحَسْبُكَ أَنْ أَلَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

خطبة للحجاج

حدثني محمد بن يحيى بن علي عن عبد الحميد عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر ركباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين أنتشر النهار - وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية - فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر، وهو متلثم بعمامة خز حمرء فقال: «علي بالناس» فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال:

[الوافر]

أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَلَّحُ الثَّنَايَا
مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْتَمِلُ الشَّرَّ بِحَمْلِهِ، وَأَحْذَوْهُ بِنَعْلِهِ، وَأَجْزِيَهُ بِمِثْلِهِ. وَإِنِّي لَأَرَى رُؤُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قَطَافُهَا. وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا. وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَرْفُقُ بَيْنَ الْعِمَائِمِ وَاللِّحَا:

[الرجز]

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرَ

ثم قال:

[الرجز]

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ (٣)
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٌ (٤)

(٣) زيم: الغارة.

(٤) حطم: الراعي الغاشم الظالم.

(١) وني: ضعف.

(٢) أنت: تأخر.

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍّ^(١)
وقال أيضاً:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بَعْضَلَبِي^(٢) أَرْوَعَ^(٣) خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ^(٤)
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، وَالشُّقَاقِ وَالنُّفَاقِ، وَمَسَاوِيءَ الْأَخْلَاقِ، مَا أَغْمَزَ تَغْمَازَ
التِّينِ، وَلَا يُفَعِّعُ لِي بِالشُّنَانِ^(٥). ولقد فررت^(٦) عن ذكاء^(٧)، وفشتت عن تجربة،
وجريت من الغاية. إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَبَّ كِنَانَتَهُ، ثُمَّ عَجَمَ^(٨) عِيدَانَهَا، فوجدني أمرها
عوداً وأصلبها عموداً، فوجهني إليكم. فَإِنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ^(٩) فِي الْفِتَنِ، وَأَضْطَجَعْتُمْ
فِي مِرَاقِدِ الضَّلَالِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْغِيِّ. أَمَّا وَاللَّهِ لَأَلْحُونَكُمْ لِحَوْ الْعَصَا^(١٠)، وَلَا عَصَبَتَكُمْ
عَضْبَ السَّلَمةِ^(١١)، وَلَا أَضْرَبُكُمْ ضَرْبَ غَرَابِ الْإِبِلِ. فَإِنَّكُمْ لَكَاهِلُ قَرِيَةٍ ﴿كَانَتْ أَمْنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١٢). إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفِيَتْ، وَلَا أَهْمُ إِلَّا أَمْضَيْتُ،
وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ. فَإِيَّايَ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتِ، وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا تَقُولُ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَذَاكَ. أَمَّا
وَاللَّهِ لَتَسْتَقِيمَنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَأَدْعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شِغْلًا فِي جَسَدِهِ. مِنْ وَجَدْتُ
بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِنْ بَعْثِ الْمَهْلَبِ سَفَكْتُ دَمَهُ وَأَنْهَبْتُ مَالَهُ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: كَتَبَ الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ إِلَى قَطْرِي بْنِ
الْفُجَاءَةِ: «سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مَرَقْتَ مِنَ الدِّينِ مَرُوقٌ أَلْسَهُمُ مِنَ الرَّمِيَةِ. قَدْ
عَلِمْتَ حَيْثُ تَجَرَّمْتَ^(١٣) ذَلِكَ أَنْكَ عَاصٍ لِلَّهِ وَلَوْلَاةُ أَمْرِهِ، غَيْرَ أَنَّكَ أَعْرَابِيٌّ جِلْفٌ أَمِيٌّ
تَسْتَطِيعُ الْكُسْرَةَ وَتَسْتَفِي بِالثَّمَرَةِ وَالْأُمُورِ عَلَيْكَ حَسْرَةٌ. خَرَجْتَ لَتَنَاقُلَ شَبْعَةَ فَلَحِقَ بِكَ
طَعَامٌ صَلُّوا بِمِثْلِ مَا صَلَّيْتَ بِهِ مِنَ الْعَيْشِ، يَهْزُونَ الرِّمَاحَ، وَيَسْتَنْشِثُونَ الرِّيحَ، عَلَى خَوْفٍ
وَجَهْدٍ مِنْ أُمُورِهِمْ. وَمَا أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ أَعْظَمَ مِمَّا جَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ. ثُمَّ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ
بِنَزْحَتَيْنِ وَالسَّلَامِ».

فَأَجَابَهُ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ: «مِنْ قَطْرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ. سَلَامٌ

(١) وضَم: خشبة الجزار، يقطع عليها اللحم.

(٢) العصلبي: الرجل القوي.

(٣) الأروع: الشجاع الذكي الفؤاد.

(٤) الدوي: هي الأرض غير الموافقة.

(٥) الشنان: القرب البالية.

(٦) فَرَّ: كشف عن أسنانه ليعرف عمره.

(٧) الذكاء: نهاية الشباب.

(٨) عجم: قتل.

(٩) الإيضاع: السير بين الناس.

(١٠) لحا العصا: قشر لحاءها.

(١١) السلمة: شجر يدبغ به، ذو شوك.

(١٢) سورة النحل، الآية: ١١٢.

(١٣) تجرَّم: سقط.

على الهداة من ألوالة الذين يرعون حرم الله ويرهبون نِقَمَه . فالحمد لله على ما أظهر من دينه، وأطلع^(١) به أهل السَّفالة، وهدى به من الضلالة، ونصر به عند استخفافك بحقه . كتبت إليّ تذكر أنني أعرابي جِلْفُ أمي أستطعم الكسرة وأشتفي بالتمر . ولعمري يا ابن أم الحجاج إنك لميت^(٢) في جبلتك^(٣) مُطْلَخِم^(٤) في طريقتك، وإي في وثيقتك، لا تعرف الله، ولا تجزع في خطيئتك . يئست وأستياست من ربك : فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقك، ولا تنازعه خناقك . فالحمد لله الذي لو شاء أبرز لي صفحتك، وأوضح لي طلعتك . فوالذي نفس قطري بيده لعرفت أن مقارعة الأبطال ليس كتصدير المقاتل، مع أنني أرجو أن يدحض الله حجتك، وأن يمتعني مهجتك .

خالد بن يزيد الطائي . قال : كتب معاوية إلى عدي بن حاتم : « حاجيتك ما لا ينسى » يعني قتل عثمان . فذهب عدي بالكتاب إلى عليّ فقال : « إن المرأة لا تنسى قاتل بكرها ولا أبا عذرها » فكتب إليه عدي : « إن ذلك مني كليله شييء » .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : « يا غلام إرفع ذلك النشيل »^(٥) يعني روثا . وقيل له : « أين خرج هذا الحبن^(٦) ؟ » قال : « تحت منكبي » . وقيل لقتيبة : « أين خرج بك هذا الخراج^(٧) ؟ » قال : « بين الرانفة^(٨) والصفنة^(٩) » . قال : وقيل لرقبة : « ما بال القراء أشد شيء نهمة وغلمة ؟ » قال : « أما الغلمة فإنهم لا يزنون ، وأما النهمة فلائهم يصومون » . وعرض عليه رجل الغداء فقال له : « يا هذا إن أقسمت عليّ وإلا فدعني » . وقال مورك العجلي : « ما تكلمت بكلمة في الغضب أندم عليها في الرضى ، وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابني ولا يئست منها ، ولا أتكلم إلا فيما يعنيني » . قال : مكتوب في حكمة داود - عليه السلام - : « على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه ، مالِكاً للسانه ، مُقبلاً على شانه » . قال : ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير - وكان هناك - : « ما ظننت أنك تقدم بلداً أنا فيه » . قال الفرزدق : « إنني خالفت رأي العجزة » . وقال يونس بن حبيب : « إذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلب فهو المغلوب » . قال امرؤ القيس :

[الطويل]

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

(١) أطلع : غمز في مشيه .

(٢) جاء في نسخة أخرى « الميتة » بدلاً من « الميت » والميتة : المضلل .

(٣) الجبلية : الطبيعة . (٤) المطلقم : المظلم .

(٥) جاء في نسخة أخرى « النشيل » بالثاء بدلاً من « النشيل » بالشين .

(٦) الحبن : الدم . (٧) الخراج : هو ما يخرج من البدن من القروح .

(٨) الرانفة : أسفل الألية . (٩) الصفن : وعاء الخصية .

وقال بعضهم:

[الرجز]

إِنِّي أُمَرُّوْ يُنْفَعُ قَوْمِي مَشْهَدِي أَذُبُ عَنْهُمْ بِلِسَانِي وَيَدِي
وقال قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ: «إِذَا غَزَوْتُمْ فَأَطِيلُوا الْأَظْفَارَ، وَقَصِّرُوا الشُّعُورَ». قال: ونظر
مُحَنِّثٌ إِلَى شَيْخٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ: «أَلَمْ يَنْهَكُم سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
عَنِ الْخُرُوجِ بِالنَّهَارِ؟». قال: وعزَّى أَعْرَابِيٌّ نَاسًا فَقَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ فَلَانًا، لَقَدْ كَانَ كَثِيرُ
الْإِهَالَةِ، وَسَمِ الْأَشْدَاقُ» وقال الشاعر:

[الوافر]

تَرَى وَدَكَ^(١) السَّدِيفِ^(٢) عَلَى لِحَاهُمْ كَلَوْنِ الرَّاءِ^(٣) لَبْدُهُ^(٤) الصَّقِيعُ
وقال أَعْرَابِيٌّ: «رَحِمَ اللَّهُ فَلَانًا، إِنْ كَانَ لَضَخَمَ الْكَاهِلُ» ثم جلس وسكت. وقال
آخَرُ: «كَانَ وَاللَّهِ نَقِي الْأَظْفَارِ، قَلِيلُ الْأَسْرَارِ» وقال صَدِيقٌ لَنَا: رَأَيْتُ سَكَرَانًا وَقَدْ رَكَبَ
رَدْعَهُ، ثُمَّ أَنَّهُ اسْتَقَلَّ فَقَالَ: أَنَا السَّدِيفُ الْمَسْرَهُدُ^(٥). وَسَارَ رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا بِحَدِيثِ فَقَالَ:
«أَفْهَمْتُ؟» قَالَ: «بَلْ نَسِيتُ».

قال واثلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب:

[الطويل]

لَقَدْ صَبَرْتَ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ
بَكَى الْمَنْبَرُ الْعَرَبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ
رَأَيْتُكَ لَمَّا شَبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي
سَفَاهَهُ أَحْلَامٌ وَبُخْلٌ بَنَائِلٌ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَائِقُ فَارِسٍ
إِذَا غُصْبَةٌ ضَجَّتْ مِنَ الْجُرْحِ نَاسَبَتْ
تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبٌ
وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَذُوبُ
يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ
وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمُزُونَ غُيُوبُ
وَبِالْمُضَرِّ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ
مَزُونِيَّةٌ إِنْ النَّسِيبَ نَسِيبُ

وقال بشار الأعمى في عمر بن حفص:

[الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبٌ
وَكَذَلِكَ مَنْ صَحِبَ الْحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ
يَا أَرْضُ وَيَحْكُ أَكْرَمِيهِ فَإِنَّهُ
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ الْمَنَابِرِ قَائِمًا
إِنْ الرَّرِيزَةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا
حَرَبَتْ فَأَنْتَ بَنُومُهَا مُحْرُوبٌ
تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبٌ
لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكَ ضَرِيبٌ
يَوْمًا وَأَحْزَمٌ إِنْ تَشَبَّ حُرُوبٌ
يَوْمَ أَبْنُ حَفْصٍ فِي الدِّمَاءِ خَضِيبٌ

(١) الودك: الدسم.

(٢) السديف: شحم السنام.

(٣) الرءاء: ضرب من الشجر.

(٤) لبده: جمعه بعضه فوق بعض.

(٥) المسرهه: المقطع.

لَا يَسْتَجِيبُ وَلَا يَحِيرُ لِسَانُهُ وَلَقَدْ يَحِيرُ لِسَانُهُ وَيُجِيبُ
عُلبَ الْعَزَاءِ عَلَى ابْنِ حَفْصٍ وَالْأَسَى إِنَّ الْعَزَاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ
إِذْ قِيلَ أَصْبَحَ فِي الْمَقَابِرِ ثَاوِيًّا عُمَرُ وَشَقَّ لِوَاؤُهُ الْمَنْصُوبُ
فَظَلْتُ أُنْدُبُ سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ عُمَرَا وَعَزَّ هُنَالِكَ الْمَنْدُوبُ
فَعَلَيْكَ يَا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّا بَاكُوكَ مَا هَبَّتْ صَبَاً وَجُنُوبُ

قال إسماعيلُ بْنُ غَزْوَانَ: «الأصواتُ الحسنة والعقولُ الحسان كثيرة، والبيانُ الجيد والجمالُ البارع قليل». وذكر أبو الحارث صاحبَ مسجد ابنِ رغبان فقال: «إن حدثته سابقك إلى ذلك الحديث، وإن سكت عنه أخذ في الترهات». وقال أبو وهب: «أنا أستثقلُ الكلام كما يستثقلُ حُرَيْثُ السُّكُوت». كما قال ابنُ شُرَيْمَةَ لِإِيَّاسِ بْنِ معاويةَ: «شكلي وشكلُك لا يتفقان: أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع». وقال أبو مُقْبِلٍ^(١) بِنُ درست: «إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلَّة بالاستماع منه». وقال ابنُ بَشَّارِ البرقي: كان عندنا واحد يتكلم في البلاغة فسمعه يقول: «لو كنت أنا ليس أنا، وأنا ابن من أنا منه، لكنت أنا أنا ابن من أنا منه، فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه». وقالوا: «ثلاث يسرع إليهنَّ الخلف: الحريق، والتزويج، وألحج» قال المهلب: «ليس شيء أنمى من بقية السيف». فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من الأنماء. وقال علي بْنُ أَبِي طالب - كرم الله تعالى وجهه: «بقية السيف أنمى عدداً، وأكثر ولداً». ووجد الناس ذلك بالعيان للذي صار إليه ولده من نهك السيف، وكثرة الذرء، وكرم النجل. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي﴾^(٢) وقال بعض الحكماء: «قتل البعض إحياء للجميع» وقال همَّامُ الرقاشي:

[البسيط]

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً^(٣) وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ
قَدَّمْتُ قَبْلِي رِجَالاً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْجُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا وَتَبَعْدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الْأَذَامِ
حَتَّى جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضْتُ بَبَابٍ قَضَرِكَ أَذْلَوْهَا بِأَقْوَامٍ^(٤)

وقال الحجاج، لامرأة من الخوارج: «والله لأعدنكم عداءً ولأحصدنكم حصداً» فقالت: «أنت تحصدُ والله يزرعُ، فأنظر أين قدرةُ المخلوق من قدره الخالق». ولم يظهر

(١) جاء في نسخة أخرى «عقيل» بدلاً من «مقبل». (٢) مغلغلة: محمولة من بلد إلى آخر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٩. (٤) أدلى بأقربائه: توسل بهم.

من عدد القتل مثل الذي ظهر في آل أبي طالب وآل الزبير وآل المهلب . وقال الشاعر في آل الزبير :

[المقارب]

أَلْزُبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ مَرَوْا^(١) بِالسُّيُوفِ ضُورًا إِحْنَاقًا
يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ^(٢) يُغِيثُونَ^(٣) يَوْمَ السَّبَاقِ السَّبَاقَا
إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ مِنْ عِيصِهِمْ أَبَى ذَلِكَ الْعَيْصُ^(٤) إِلَّا اتَّفَاقَا

قال : احترقت دار ثُمَامَة فقالوا له : « ما أسرع خلفَ الحريقِ ؟ » . قال : « فأنَا أَسْتَحْرِقُ الله » . وقال ثُمَامَة : سمعت قاصًّا بعبادانَ يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ » . قال وتساقط الذبان على وجهه فقال : « الله أكبر كثرَ اللَّهُ بِكُمْ الْقُبُورَ » . قال : وسمع أعرابيُّ رجلًا يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » قيل له « وكم » قال : « رأيت عهودًا تنبذ » . وقال أبو عبد العزيز : قال الغزال القاصُّ في قصصه : « ليت الله لم يكن خلقي وأنا السَّاعَة أعور » . فحكيت ذلك لأبي عَتَابٍ الْجَزَارِ فقال أبو عَتَابٍ : « بئس ما قال ، وَدِدْتُ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْ اللهُ لَمْ يَكُنْ خَلْقَنِي وَأَنِّي السَّاعَة أعمى مقطوع اليدين والرجلين » . قال : وَلَمَّا أَسْتَعْدَى الزَّبْرَقَانُ عَلَى الْحَطِيئَةِ فَأَمَرَ عَمْرٍو بقطع لسانه قال الزَّبْرَقَانُ : « نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعْلًا فَلَا تَقْطَعُهُ فِي بَيْتِ الزَّبْرَقَانِ » قيل له : « إِنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ هُنَاكَ ، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ لِسَانَهُ عَنْكَ بَرِغْبَةً أَوْ رَهْبَةً » .

وتقول العرب : « قَتَلْتُ أَرْضَ جَاهِلِهَا وَقَتَلَ أَرْضًا عَالِمُهَا » . وتقول : « ذَبَحَنِي الْعَطَشُ » و « الْمَسْكُ الذَّبِيحُ » . و « رَكِبَ بَنُو فُلَانٍ الْفَلَاةَ فَقَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَهُمْ » . وتقول العرب : « فُلَانٌ لِسَانُ الْقَوْمِ وَنَابُهُمْ الَّذِي يَفْتَرُونَ عَنْهُ » . و « هُوَ لَا أَنْفَ الْقَوْمِ وَخِرَاطِيمَهُمْ » . و « بَيَانُ لِسَانِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . و « فُلَانٌ أَصْطَلَمَهُ الْوَادِي » . و « فُلَانٌ عَيْنُ الْبِلَدِ » . قال الْأَصْمَعِيُّ : قال رجل لأبي عمرو بن العلاء : « أَكْرَمَكَ اللَّهُ » . قال : « مُحَدَّثُهُ » قال : وكان أبو عمرو يقول : « كَيْفَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ » وكان الْأَصْمَعِيُّ يقول : قولهم : « جَعَلْتَ فِدَاكَ » و « جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ » مُحَدَّثٌ . وقد روى علماء البصريين أن الحسنَ لَمَّا سَمِعَ صُرَاخًا فِي جَنَازَةِ أُمِّ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فَالْتَفَتَ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى : « جُعِلَتْ فِدَاكَ ، لَا وَاللَّهِ مَا أَمَرْتُ وَلَا شَعَرْتُ » . قال الْأَصْمَعِيُّ : صَلَّى أَعْرَابِيٌّ

(١) مروا : ضربوا .

(٢) جاء في نسخة أخرى « من دأبهم » بدلًا من « داء لهم » .

(٣) جاء في نسخة أخرى « يغشون » بدلًا من « يغيثون » .

(٤) العيص : الأقرباء من أب وأخ وعم وخال .

فأطال الصلاة وإلى جانبه ناس فقالوا ما أحسن صلاته! قال: «وأنا مع هذا صائم» قال الشاعر:

[الكامل]

صَلَّى فَأَعْجَبَنِي وَصَامَ فَرَابَنِي عَدَّ^(١) الْقُلُوصَ^(٢) عَنْ الْمُصَلِّي الصَّائِمِ
وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي: «منذ كم صرّت إلى العراق يا أبا عبد الله؟» قال: «دخلت العراق منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة» قال «يا أبا عبد الله، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين».

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عوانة: قال زياد بن أبيه: «من سعادة الرجل أن يطول عمره، ويرى في عدوه ما يسره». قال الباهلي قيل لأعرابي «ما بال المراتي أجود أشعاركم؟» قال: «لأننا نقول وأكبادنا تحترق». قال أبو الحسن: «كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمراتي» قيل: ولم ذاك؟ قيل «لأنها تدل على مكارم الأخلاق». وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم». وقال شعبة: كان سماك بن حرب إذا كان له إلى الوالي حاجة قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجته.

قال أبو الحسن كان شظاظ لصاً فأغار على قوم من العرب فطرد نعيمهم فساقها ليلته حتى أصبح، فقال رجل من أصحابه: «لقد أصبحنا على قصد من طريقنا». قال: «إن المحسن مغان».

وقال أبو الحسن: أربى غلام من بني عليّ على عبد الملك - وعبد الملك يومئذ غلام - فقال له كهّل من كهولهم لما رآه ممسكاً عن جواب المُرَبّي عليه: «لو شكوتَه إلى عمّه أنتقم لك منه» قال: «أمسك يا كهّل، فإنّي لا أعدّ أنتقام غيري أنتقاماً». قال أبو الحسن: خاض جلساء عبد الملك يوماً في قتل عثمان فقال رجل منهم: «يا أمير المؤمنين، في أيّ سنك كنت يومئذ؟» قال: «كنت دون المحتلم». قال: «فما بلغ من حزنك عليه؟» قال: «شغلني الغضب له عن الحزن عليه».

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه إذا اشترى رقيقاً قال: «اللهم أرزقني أنصحهم حياة»^(٣) وأطولهم عمراً، وكان إذا استعمل رجلاً قال: «إنّ العمل كبير، فأنظر كيف تخرج منه».

(١) عَدَّ: اصرف. (٢) القلوص: الفتية من الإبل.

(٣) جاء في نسخة أخرى «حبيباً» ومعنى ناصح الحبيب: نقي القلب، لا غش فيه بدلاً من «حياة».

قال: ومضى أبو عبد الله الْكَرْخِيُّ إلى الْربض فجلس على بابه ونفس لحيته وأدعى الفقه، فوقف عليه رجل فقال له: «إني أدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليها دم» فقال: «احتجم» قال: «جلست طبيباً أو فقيهاً؟». قالوا: بينا الشَّعْبِيُّ جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه وإذا شيخ يقربه قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له: «إني أجد في قفاي حكة أفترى لي أن أحتجم؟» قال الشَّعْبِيُّ: «الحمد لله الذي حوّلنا من الْفقه إلى الْحِجامة». قال: وذكر ناس رجلاً بكثرة الصّوم وطول الصلاة وشِدَّة الاجتهاد فقال أعرابي: كان شاهداً لكلّاهم «بئس الرجل هذا أظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب». وقال ابن عَوْن: «أدركت ثلاثة يتشدّدون في السّماع وثلاثة يتساهلون في المغاني: فأما الذين يتساهلون فالحسن والشَّعْبِيُّ والنخعي، وأما الذين يتشدّدون فمحمد بن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة».

وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة: «ما رأيت أحسن أدباً من عبد الله بن المبارك والمعاوية بن عمران» قال أبو الحسن: حدثني عبد الأعلى قال: رأيت الطُّرْمَاحَ مؤدّباً بالرّي، فلم أر أحداً أخذ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديثه منه. ولقد رأيت الصّبّيان يخرجون من عنده كأنّهم قد جالسوا العلماء».

قال: كان رجل يبلغه كلام الحسن البصري، فبينما الرجل يطوف بالبيت إذ سمع رجلاً يقول: «عجباً لقوم أمروا بالزاد، وتؤدّي فيهم بالرحيل، وحيس أولهم على آخرهم» قال: فقلت في نفسي: «هذا الحسن».

قال: وأربعة من قریش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار: مخرمة بن نوفل بن وهيب عبد مناف بن زُهْرَةَ^(١)، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف^(٢)، وخويطب بن عبد العزى^(٣)، وعقيل بن أبي طالب^(٤).

(١) هو: مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف الزهري القرشي، أبو صفوان: صحابي عالم بالأنساب، أسلم يوم فتح مكة. مات بالمدينة سنة ٥٤هـ = ٦٧٤م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٧٨٤٢، نسب قریش: ٢٦٢.

(٢) هو: عامر بن حذيفة بن غانم، من قریش من بني عدي بن كعب: أحد المعمرين. أسلم يوم فتح مكة، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان، وله خبر مع معاوية. مات نحو سنة ٧٠هـ = نحو سنة ٦٩٠م. انظر ترجمته في: نسب قریش: ٣٦٩.

(٣) هو: خويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ، من بني عامر بن لؤي: صحابي قرشي أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف مات في المدينة سنة ٥٤هـ = ٦٧٤م. انظر ترجمته في: الأعلام: ٢/ ٢٨٩.

(٤) هو: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي. وكنيته أبو يزيد: أعلم قریش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها. وهو أخو علي وجعفر لأبيهما. وكان أسنّ منهما. أسلم بعد =

مزاياء عقيل بن أبي طالب:

وكان عقيل أكثرهم ذكراً لِمِثَالِبِ النَّاسِ، فَعَادَوْهُ لَذلك، وقالوا فيه وحمّقه، وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول: «قد سمعت الرجل يحمّقه». حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث. فمنها قولهم: «ثلاثة حمقاء كانوا إخوة ثلاثة عقالاً والأُمّ واحدة: عليّ وعقيل وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعتبة ومعاوية ابنا أبي سفيان وأمهما هند بنت عتبة بن ربيعة، وعبد الملك ومعاوية بن مروان وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص». فكيف وجعدة بن هبيرة يقول:

[الطويل]

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى^(١) عليّ بخاله وخالي عليّ ذو الندى وعقيل

وقال قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون:

[الطويل]

وخالي بغاه تعلم أنه جدير تقول الحق لا يتوعر^(٢)
وجدي عليّ ذو الثقي وأبن أمه عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر
فنحن ولأه الخير في كل موطن إذا ما ونى عنه رجال وقصروا

وقال حسان:

[الخفيف]

إن خالي خطيب جابية الجؤ لان عند النعمان حين يقوم
وهو الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان في الكبول^(٣) سقيم^(٤)
وسطت نسبتي^(٥) الذوائب^(٦) منهم كل دار فيها أب لي عظيم
وأبي في سميحة^(٧) القائل الفا صل يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأ ي من القوم ظالع^(٨) مكموم^(٩)
تلك أفعاله وفعل الزبعرى^(١٠) حامل في صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

= الحديبية. لحق معاوية في صراعه مع أخيه توفي سنة ٦٠هـ = ٦٨٠م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٥٦٣٠، طبقات ابن سعد: ٢٨/٤.

(٢) توعر: تشدد.

(١) يبأى: يفخر ويتباهى.

(٣) الكبول: مفردة كبل، وهو القيد العظيم.

(٤) جاء في نسخة أخرى «مقيم» بدلاً من «سقيم».

(٥) سطت نسبتي: نسبي شريف.

(٦) ذؤابة: رأس كل شيء.

(٧) سميحة: بئر في المدينة.

(٨) الظالع: المتهم.

(٩) المعكوم: هو البعير المشدود فوه بالكام.

(١٠) الزبعرى: السيئ الخلق.

وَلِيَ النَّاسَ ^(١) مِنْكُمْ إِذَا أَبَيْتُمْ
وَفَرِشْتُمْ تَجُولُ مِنَّا لَوَاذًا ^(٢)
أُسْرَةً مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمٌ
أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْحُلُومُ
لَمْ تُطَقْ حَمْلُهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ
إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءُ النُّجُومُ

وكان عقيل رجلاً قد كُفَّ بصره، وله بعدُ لسانه ونسبه وأدبه وجوابه، فلَمَّا فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول، وغاضب عليها وأقام بالشام فكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغي والحاسد فيه. وزعموا أنه قال له معاوية: «هذا أبو يزيد، لولا أنه عَلِمَ أَنِّي خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَخِيهِ لَمَّا أَقَامَ عِنْدَنَا وَتَرَكَهُ». فقال له عقيل: «أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دُنْيَايَ». وقال له مرة: «أنت معنايا أبا يزيد» قال: «ويوم بدر قد كنت معكم». وقال معاوية يوماً: «يا أهل الشام، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿تَبَّتْ يُدَا أُمِّي لَهُبٍ وَتَبَّ﴾ ^(٣) قالوا: «نعم». قال: «فإن أبا لهب عمه» فقال عقيل: «فهل سمعتم قول الله عز وجل: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ^(٤) قالوا: «نعم». قال: «فإنها عمته». قال معاوية: «حسبنا ما لقينا من أخيك». وذكروا أن امرأة عقيل وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت: «يا بني هاشم، لا يحبُّكم قلبي أبداً. أين أبي؟ أين عمي؟ أين أخي؟، كَأَنَّ أَعْنَاقَهُمْ أَبَارِيقُ أَلْفِضَّةٍ أَنْفَهُمْ قَبْلَ شِفَاهِهِمْ». قال لها عقيل: «إذا دخلتِ جهنم فخذني على شِمَالِكَ».

وقيل لعمر - رضي الله تعالى عنه: «فلان لا يعرف الشر». قال: «ذلك أجدر أن يقع فيه». قال: وسمع أعرابي رجلاً يقرأ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ ^(٥) قالها بفتح الكاف، فقال الأعرابي «لا يكون» فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الأعرابي «يكون».

(١) جاء في نسخة أخرى «ولي البأس» بدلاً من «ولي الناس».

(٢) لاذا: لجأ واحتتمى.

(٣) سورة المسد، الآية: ١.

(٤) سورة المسد، الآية: ٤.

(٥) سورة القمر، الآية: ١٣.

باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بشيء

قال الشاعر :

[الطويل]

بَدَا الْبَرْقُ مِنْ نَحْوِ الْجَجَازِ فَشَاقَنِي وَكُلُّ حِجَازِي لَهُ الْبَرْقُ شَائِقُ
سَرَى مِثْلُ نَبْضِ الْعِرْقِ وَاللَّيْلُ دُونَهُ وَأَعْلَامُ أُبْلَى ^(١) كُلُّهَا وَالْأَسَالِقُ

وقال الآخر :

[الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ يَلْمَعُ سَرَى دَائِباً فِيهَا ^(٢) يَهْبُ وَيَهْجَعُ
سَرَى كَأَحْتِسَاءِ الطَّيْرِ وَاللَّيْلِ ضَارِبُ بِأَزْوَاقِهِ وَالصَّبْحُ قَدْ كَادَ يَسْطَعُ

حدثني إبراهيم بن السندي عن أبيه قال : دخل شاب من بني هاشم على المنصور فسأله عن وفاة أبيه قال : «مرض أبي - رضي الله تعالى عنه - يوم كذا، ومات رضي الله تعالى عنه يوم كذا، وترك - رضي الله تعالى عنه - من المال كذا ومن الولد كذا» فأنتهره الربيع وقال : «بين يدي أمير المؤمنين توالي بالدعاء لأبيك!» فقال الشاب ! «لا ألومك، لأنك لم تعرف حلاوة الآباء». قال : فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه ضحكاً قط أفتر عن نواجهه إلا يومئذ. وحدثني إبراهيم بن السندي عن أبيه قال : دخل شاب من بني هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى : «أدنه» فقال : «قد تغديت يا أمير المؤمنين» فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفتن لخطابه، فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء أستر دفع في قفاه، فلما رأى ذلك الحجاب منه دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور، فقال المنصور : «إن الربيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفي يديه حجة، فإن شئت أغضيت على ما فيها وإن شئت سألته، وأنتم تسمعون». قالوا : «فأسأله». ودعا الربيع وقصوا قصته فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب. ثم أمره بالجلوس. ثم تبذل بين يديه وأكل. ثم دعا إلى طعام ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التي صيره فيها إلى أن قال حين دعا

(١) أبلَى : اسم لبعض الآبار على طريق مكة بين مكة والمدينة.

(٢) جاء في نسخة أخرى «حيناً» بدلاً من «فيها».

إلى غدائه: قد تغديتُ. وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سدّ خلّة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل»، حدثني إبراهيم بنُ السندي عن أبيه قال: والله إنني لواقفٌ على رأس الرشيد، والفضل بن الربيع واقف في الأيسر، والحسن اللؤلؤي يُسأله ويُحدثه عن أمور. وكان آخر ما سأله عن بيع أمهات الأولاد، فلولا أنني ذكرت أن سلطان ما وراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحرس وأن سلطاني إنما هو على من خرج من حدود الدار لقد كنت أخذت بضبعه وأقمته. فلما أن صرنا وراء الستر قلت له، والفضل يسمع: «أما والله لو كان هذا في مسامرة أو موقف لعلمتُ أن للخلافة رجالاً يصونونها عن مجلسك». وحدثني إبراهيم بنُ السندي قال: بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقّة يحدث المأمون - والمأمون يومئذ أمير - إذ نعى المأمون فقال له اللؤلؤي: «نمت أيها الأمير» ففتح المأمون عينه وقال: «سوقي والله، خذ يا غلام بيده» قال: «وكنّت يوماً عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد - وقد هياً لنا الفضل بن محمد طعاماً، ومعنا في المجلس خادم وكان لا يهتم - فجاء رسول الفضل إلى زياد فقال: «يقول لك أخوك قد أدرك طعامنا، فتحولوا» ومعنا في المجلس إبراهيم النظام وأحمد بن يوسف وقطرب النحوي في رجال من أدياء الناس وعلمائهم فما مئاً أحد فطن لخطأ الرسول، فأقبل عليه بمشر الخادم فقال: «يا ابن اللخناء، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتح الرجل من عرض الناس، ألا تقول: يا سيدي يقول لك أخوك ترى أن تصير إلينا بإخوانك فقد تهيأ أمرنا». وأتبعته خادماً كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك، فمرّ به خادم من معارفه ممن قد خدم الملوك فقال: «إن الأديب - وإن لم يكن ملكاً - فقد يحبُّ على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك، فأنظر أن تخدمه خدمة تامة». قلت له: «وما الخدمة التامة؟» قال: «الخدمة التامة أن تقوم في دارك لبعض الأمر وبينك وبين النعل ممشى خمس خُطى فلا يدعك أن تمشي إليها ولكن يأخذها ويُدنيها منك. ومن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغي لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب. ومن الخدمة التامة أن يكون إذا رأى مُتَكَبِّراً يحتاج إلى مَخْدَة أن لا ينتظر أمرَكَ. ويتعاهد ليقة الدواة قبل أن تأمره أن يَصُبَّ فيها ماء أو سواداً وينفض عنها الغبار قبل أن يأتيتك بها. وإن رأى بين يديك قِرطاساً على طية قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره وأشباه ذلك». قال: ولما كلم عروة بن مسعود الثقفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ربّما مس لحية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له المغيرة بن شعبة: «نحّ يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع إليك يدك». فقال عروة: «يا غدر، وهل غسلت رأسك من غدرك إلا بالأمس؟» قال: ونادى رجال من وفد بني تميم النبي صلى الله عليه وسلم بأسمه من وراء

الحجرات [فقال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾] ^(١)
وقال الله عز وجل ذكره: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ ^(٢).
وقال ابن هزيمة أو غيره:

[الكامل]

لِلَّهِ دُرٌّ سَمَيْدِعٌ فَجَعَتْ بِهِ يَوْمَ الْبَقِيْعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ
فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيْقَهُ وَصَدِيْقَهُ ^(٣) لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ

من نواذر الأعراب:

قال أبو الحسن: بينا هشام يسير، ومعه أعرابيٌّ إذ أنتهى إلى ميل عليه كتاب فقال للأعرابي: «أنظر أي ميل هذا» فنظر ثم رجع إليه فقال: «عليه محجن وحلقة وثلاثة كأطباء الكلبة» ^(٤) ورأس كأنه رأس قطاة. فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابي وكان عليه «خمس» وهي من نواذر الأعراب. استشهدوا أعرابياً على رجل وأمرأة فقال: «رأيتاه قد تقصصهما، يخفهما بمؤخره ويجذبها بمقدمه، وخفي عليّ المسلك». وقال آخر «رأيتاه قد تبطنها، ورأيت خلعها شائلاً، وسمعت نفساً عالياً، ولا علم لي بشيء بعد». وقال أعرابي: «رأيت هذا قد تناول حجراً فالتف بهذا وحجز الناس بينهم، وإذا هذا يستدمي».

ما قيل في الشيب:

وقال بعضهم: «الشيب نذير الآخرة». وقال قيس بن عاصم: «الشيب خطام المنية». وقال آخر: «الشيب توأم الموت». وقال الحكيم: «شيب الشعر موت الشعر، وموت الشعر علّة موت البشر». وقال المعتمر بن سليمان: «الشيب أول مراحل الموت». وقال السهمي: «الشيب تمهيد الحمام». وقال العتابي: «الشيب تاريخ الكتاب». وقال النمرى: «الشيب عنوان الكبر» وقال عدي بن زيد العبادي:

[الخفيف]

وَأَبْيَضَاضُ السَّوَادِ مَنْ نُذِرِ الشَّـ رَّ ^(٥) وَهَلْ مِثْلُهُ لِحَيِّ نَذِيرُ؟!

[الخفيف]

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضِ قِنَاعَا

(١) سورة الحجرات، الآية: ٤. (٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٣) جاء في نسخة أخرى «صديقه وشقيقه» عكس ما جاء هنا.

(٤) أطباء الكلبة: أئداؤها. (٥) جاء في نسخة أخرى «الموت» بدلاً من «الشر».

ثُمَّ وَلَّى الشَّبَابَ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْتِي الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعاً
قال: وقال رجل لأشعب: «ما شكرت معروفى عندك». قال: «لأن معروفك جاء
من عند غير محتسب فوقع إلى غير شاكر». وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل
المسجد: «خففت صلاتك جداً». فقال: «لأنه لم يخالطها رياء».

كلام بعض المتكلمين من الخطباء

الحمد لله كما هو أهله، والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين. أخي، لا تغترنَّ
بطول السلامة مع تضييع الشكر، ولا تعملنَّ نعمة الله في معصيته، فإنَّ أقلَّ ما يجب
لمُهديها ألا يجعلها ذريعة في مخالفته. وأعلم أن النعم نوافر، ولقلَّما أقشعت^(١) نافرة
فرجعت في نصابها. فاستدع شاردها بالتوبة، وأستدم الأراهن منها بكرم الجوار، وأستفتح
باب المزيد بحسن التوكل، ولا تحسب أن سيوغ ستر نِعَم الله عليك غير متقلَّص عمَّا
قريب إذا لم ترجُ الله وقاراً. وإنِّي لأخشى أن يأتيك أمر الله بغتةً أو الإملاء^(٢)، فهو
أولى^(٣) مغبةً وأثبت في الحُجَّة. ولأن لا تعلم ولا تعمل خير من أن تعلم ولا تعمل: إن
الجاهل العامل لم يؤت من سوء نية، ولا أستخفاف بربوبيه. وليس كمن قهرته الحُجَّة،
وأعرب له الحق مُفصِّحاً عن نفسه، فأثر الغفلة والخسيس من الشهوة على الله تبارك
وتعالى^(٤)، فأسمحت نفسه عن الجنة وأسلمها لأبد العقوبة. فاستشر عقلك، وراجع
نفسك، وأدرس نِعَم الله عليك، وتذكر، إحسانه إليك، فإنه مجلبة للحياة ومردعة للشهوة
ومشحذة على الطاعة، فقد أظلم البلاء أو كان قد. فكفكف عنك غرب^(٥) شؤبويه^(٦)
وجوائح سطواته بسرعة النزع وطول التضرع. ثلاث هي أسرع في العقل من النار في
بيس العرفج: إهمال الفكرة، وطول التمني، والاستغراب في الضحك، إن الله لم يخلق
النار عبثاً، ولا الجنة هملاً، ولا الإنسان سدى. فاعترف رق العبودية، وعجز البشرية.
فكل زائد ناقص، وكل قرين مُفارق، وكل غني مُحْتَاج، وإن عصفت به الخيلاء، وأبطره
العجب، وصال على الأقران، فإنه مُذال مُدبَّر ومقهوَر ميسر. إن جاع سخط المحنة، وإن
شبع بطر النعمة. تُرضيه اللمة فيستشري مَرَحاً، وتُغضبه الكلمة فيستطير شفقاً. حتى
تنفسخ لذلك مثته، وتنتقض مريته، وتضطرب فريضته^(٧)، وتنتشر عليه حُجته. وللعجب
من لبيب توبقه الحياطة، ويسلم مع الإضاعة، ويؤتي من الثقة، ولا يشعر بالعاقبة. إن

(١) اقشعت: انكشفت.

(٢) الإملاء: الإهمال والتأخير.

(٣) جاء في نسخة أخرى «أوباً» بدلاً من «أولى».

(٤) جاء في نسخة أخرى «عز وجل» بدلاً من «تبارك وتعالى».

(٥) غرب: حد.

(٦) شؤبويه: زحمه.

(٧) الفريضة: هي لحمة بين الجنب والكف.

أهمل عمي، وإن علم نسي. كيف لم يتخذ الحق معقلاً يُنجيه، والتوكل ذايداً يحميه. أعمي عن الدلائل وعن وضوح الحجة؟، أم أثر الخسيس على الأجل النفيس؟. وكيف توجد هذه الصفة مع صحة العقيدة وأعتدال الفطرة، وكيف يُشير رائد العفل بإيثار القليل الفاني على الكثير الباقي. وما أظن الذي أفعذك عن تناول الحظ مع قرب مجناه - حتى صار لا يُثنيك زجر الوعيد، ولا يقدر في عزماتك فوت الجنة، وحتى ثقلت على سمعك الموعظة، ونأت عن قلبك العبرة - إلا طول مجاورة التقصير، وأعتياد الراحة، والأنس بالهويناء، وإيثار الأخف، وإلف قرين السوء. فأذكر الموت وأدم الفكرة فيه، فإن من لم يعتبر بما رأى لا يعتبر بما لا يرى. وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت عليه، وهجنة ما أصبحت فيه - من إيثار باطلك على حق الله، واختيار ألوهن على القوة، والتفريط على الحزم، والإشفاق على الدون، وأصطناع العار، والتعرض للمقت، وبسط لسان العائب - فمستنبطات الغيب أخرى بالعجز عن تحريكك ونقلك عن سوء العادة التي أثرتها على ربك. فاستحي للبك، وأستيق ما أفضل الخذلان من قوتك، قبل أن يستولي عليه الطبع، ويشدد عليه العجز. أو ما علمت أن المعصية شمر المذلة؟ وتفل غرب اللسان مع السلاطة. بل ما علمت أن المستشعر بذل الخطيئة، المخرج نفسه من كنف العصمة، المتحلي بدنس ألفاحشة، نطف^(١) الشناء، زمر^(٢) المروءة، قصي المجلس. لا يُشاوَر وهو ذو بزلأ^(٣) ولا يصدر وهو جميل الرواء. يُسالم من كان يسطو عليه، ويضرع لمن كان يرغب إليه. يجذل بحاله المُبغض الشانيء، ويثلب بقربه القريب الدانيء. غامض الشخص، ضئيل الصوت، نزر الكلام، متلجلج الحجة، يتوقع الإسكات عند كل كلمة. وهو يرى فضل مزيته، وصريح لُبه، وحسم فضيلته، ولكن قطعه سوء ما جنى على نفسه. ولو لم تطلع عليه عيون الخليفة، لجت العقول بإذهانه. وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المتفرس من - عري - من حلية التقوى، وسلب طائع الهدى. ولو لم يتغشّه ثوب سريره، وقبيح ما أحتجن^(٤) إليه من مخالفة ربه، لأضرعته^(٥) الحجة، ولفسخه وهن الخطيئة، ولقطعه العلم بقبيح ما قارف^(٦) عن اقتدار ذوي الطهارة في الكلام، وإدلال أهل البراءة في النداء. وهذه حال الخاطيء في عاجل الدنيا، فإذا كان يوم الجزاء الأكبر فهو عان لا يُفك، وأسير لا يُفادي، وعارية لا تُؤدى. فأحذر عادة العجز، وإلف الفكاهة وحب الكفاية، وقلة الإكتراث للخطيئة،

(١) النطف: الملطخ بالفجور.

(٢) زمر المروءة: قليلها.

(٣) البزلأ: الرأي الحسن.

(٤) احتجن: أمسك، ضم.

(٥) أضرعته: أخضعته، أذلته.

(٦) قارف: قارب.

والتأسف على ألفائت منها، وضعف الندم في أعقابها. أخي أنعى إليك القاسي، فإنه ميت وإن كان متحركاً، وأعمى وإن كان رائيماً. فأحذر القسوة فإنها رأس الخطايا، وأمرة الطبع. وهي الشوهاء العاقر، والداهية العقام. وأراك تركض في حبالها، وتستقبس من شررها. ولا بأس أن يعط المقتصّر ما لم يكن هاذياً، ولن يهلك أمرؤ عرف قدره، ورُبّ حامل علم إلى من هو أعلم منه. علمنا الله وإياكم ما فيه نجاتنا، وأعانا وإياكم على تأدية ما كلفنا، والسلام».

قال: وقلت لحباب: «إنك تكذب في الحديث». فقال: «وما عليك إذا كان الذي أزيد فيه أحسن منه، فوالله ما ينفعك صدقه، ولا يضرك كذبه، وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن. ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك، وذهب كلامك».

قال أبو الحسن: سمع أعرابي رجلاً يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله». قال: «يفعل ماذا؟» قال: وكان يقال أول أعلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره».

أبو الحسن قال: قرأ رجل في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: ﴿فَإِنْ زَلَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾^(١) غفور رحيم. فقال لأعرابي: «لا يكون».

قال: ودخل على المهدي صالح بن عبد الجليل، فسأله أن يأذن له في الكلام. فقال: «تكلم» فقال: «إنّا لمّا سهّل علينا ما توّعّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عُذر الكتمان في التقيّة، ولا سيّما حين اتّسمت بميسم التواضع، ووعدت الله وحمله كتابه إثبات الحق على ما سواه، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص، ليتّم مؤدينا على موعود الأداء عنهم، وقابلنا على موعود القبول، أو يردنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السرّ والعلانية ويحلينا بحلّة الكاذبين. فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون: «من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل» وأشدّ منه عذاباً من أقبل إليه العلم وأدبر عنه. ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصّر بها. فأقبل ما أهدى الله إليك من السنن قبول تحقيق وعمل لا قبولاً فيه سمعة ورياء، فإنه لا يخلفك منّا إعلام لمّا تجهل أو مواطاة على ما تعلم أو تذكير لك من غفلة، فقد وطّن الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نزولها تعزية عمّا فات وتحصيناً من التماذي ودلالة على المخرج فقال: ﴿وَأَمَّا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.

يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١) فأطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إثارة الحق ومنازلة الأهواء، فإنك إن لم تفعل ذلك ير أثرك وأثر الله عليك فيه. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: ودخل رجل على معاوية، وقد سقطت أسنانه فقال: «يا أمير المؤمنين، إن الأعضاء يرث بعضها بعضاً. فالحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثك».

وحدثنا إسماعيل بن علفة قال حدثنا زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك، فلما سوى عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه، والأخرى عند رجليه، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة وأستوى قائماً وأحاط به الناس قال: «رحمك الله يا بني فقد كنت برأ بأبيك، وما زلت مذ وهبك الله لي بك مسروراً، ولا والله ما كنت قط مسروراً بك ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه. فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيئاتك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله وسلّمنا لأمره، فالحمد لله رب العالمين». ثم انصرف.

وحدثني محمد بن عبيد بن عمر قال: أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال: قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة: جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن، كثير العيال، منتشر الأموال. فكنت لا أكون في قبيلة إلا شهر أمري. فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدي حرّمي بنفسي. قال المبارك فأرسل إليّ أن وافني عند باب الأمير سليمان بن عبد الملك. قال: فأتيته، فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشي مسدولة. قال: فقلت: يا سبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها!، إن هذا ليس من لباس هذا اليوم. قال: ولا والله، لكن ليس عندي ثوب إلا أشهى ما ترى. قال: فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه، ولويت سراويله إلى ركبتيه. قال: فدخل ثم خرج إليّ مسروراً. قال: فقلت له: حدثنا ما جرى بينك وبين الأمير. قال: دخلت عليه - ولم يرني قبل ذلك - فقلت: «أصلح الله الأمير لفظني ألباء إليك، ودلني فضلك عليك، فإمّا قبلتني غانماً، وإما ردّدتني سالماً». قال: «من أنت أعرفك؟» قال: فانتسبت له فقال: «أقعد فتكلّم غانماً سالماً» ثم أقبل عليّ فقال: «حاجتك يا ابن أخي». قال: فقلت: «إن الحرم اللاتي أنت أقرب الناس إليهنّ معنا، وأولى الناس لهن بعدنا، قد خفنّ بخوفنا، ومن خاف خيف عليه» قال: فوالله ما أجابني إلا بدموعه، فقال: «يا ابن أخي، يحقن الله دمك، ويحفظ حرّمك، ويوفّر عليك مالك. ولو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت».

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

قال: فقلت: «أكون متوارياً أو ظاهراً؟» فقال: «كن متوارياً كظاهر» فكنت واللّه أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه. قال: فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه فقال: «مهلاً، إن ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا».

ومن أحاديث النوكي^(١) حدثت عن أبي سعيد الرفاعي أنه سئل عن الدنيا والدائسة فقال: «أما الدنيا فهذه التي أنتم فيها. وأما الدائسة فهي دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشيء من أمرها، إلا أنه قد صحّ عندنا أن بيوتهم من قِثاء، وسقوفهم من قِثاء، وأنعامهم من قِثاء وخيلهم من قِثاء، وهم في أنفسهم من قِثاء، وقِثاؤهم أيضاً من قِثاء». قالوا له: «يا أبا سعيد، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشيء من أمرها، وكذلك نحن لهم، وأراك تُخبرنا عنهم بأخبار كثيرة». قال: «فمن ثمة أعجب زيادة».

قالوا: ذم رجل عند الأحنف الكماة بالسمن فقال: «ربّ معلوم لا ذنب له». عبد الله بن مسلم عن شيبّة بن عقال أن رجلاً قال في مجلس عبيد الله بن زياد: «ما أطيب الأشياء؟» فقال رجل: «ما شيء أطيب من ثمرة برسيان^(٢)، كأنها من أذان النوكي عليها بزبدة» وقال أوس بن جابر لابن عامر:

[الكامل]

ظَلَّتْ عُقَابُ النَّوْكَ تَخْفِقُ فَوْقَهُ رِخْوُ طِفَاطِفُهُ^(٣) قَدِيمُ الْمَلْعَبِ
قَدْ ظَلَّ يُوعِدُنِي وَعَيْنُ وَزِيرِهِ خَضْرَاءُ خَاشِعَةٌ كَعَيْنِ الْعُقْرَبِ
يعني بوزيره عبد الله بن عمير الليثي وكان أخاه لأُمّه، أمهما^(٤) دجاجة بنت أسماء السلمية. وقال ابن مُناذر في خالد بن عبد الله بن طليق الخُزاعي، وكان المهديّ استقصاه وعزل عبيد الله بن الحسن العنبري:

[الطويل]

أَتَى دَهْرُنَا وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ بَاعِدَ دَهْرُنَا وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ
بَعَزَلِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنَّا فَيَا لَهُ خِلَافاً وَبِاسْتِعْمَالِ ذِي النَّوْكَ خَالِدِ
بِخَيْرَانِ عَنْ قُضْدِ السَّبِيلِ تَصُدُّهُ خِيَانَةُ سَلَامٍ وَلِخِيَةِ قَائِدِ
أَذْلَكَ مَنْ رَيْبِ الزَّمَانِ وَصَرَفِهِ وَأَحْدَاثِهِ أَمْ نَحْنُ فِي حُلْمٍ رَاقِدِ
وقال أيضاً:

[الرجز]

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي مِنْ هَاشِمٍ فِي سِرِّهَا وَاللُّبَابِ

(٣) الطفاطف: جمع طفطفة، وهي اللحم المضطرب.

(٤) جاء في نسخة أخرى «أمها» بدلاً من «أمهما».

(١) النوكي: الحمقى.

(٢) البرسيان: ضرب من التمر.

بِخَالِدٍ فَهُوَ أَشَدُّ الْعَذَابِ
قد ضرب الْجَهْلُ عَلَيْهِ الْجَبَابِ
يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ

[الرمل]

يا أبا الْهَيْثَمِ ما كُنْتُ لِهَذَا بِخَلِيقٍ
أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلظُّلَمِ وَتَعْطِيلِ الْحَقُوقِ^(٢)

[السريع]

وَيَجْلِدُ الْلِصَّ ثَمَانِينَ
يُحْيِي لَنَا السُّنَّةَ وَالْدِّينَا

[السريع]

يَعْلَمُ مَا حَدُّ خُرِّ سَارِقٍ

[الطويل]

وَلَوْ ظَلَّ يَنْهَانِي أَخْيَفُشُ^(٣) شَاجِحُ^(٤)
وَفِيهَا لِأَكْيَاسِ الرِّجَالِ مَخَارِجُ

[الطويل]

وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرًا

[الطويل]

عَلَيْهَا وَرَدُّوا وَفَدَهُمْ يَسْتَقِيلُهَا

[الطويل]

وَلَا يَخْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا زِبِ

والعرب تقول: «أخزى الله الرأيَ الدبري»^(٥) وقالوا: وجَّه الحجاج إلى مطهر بن
عمَّار بن ياسر عبد الرحمن بن سليم الكلبي، فلمَّا كان بخلوان أتبعه الحجاج مدداً،

إِنْ كُنْتَ لِلْسَّخْطَةِ عَاقِبَتَنَا
أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى
يَا عَجَباً مَنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا
وقال:

خَالِدٌ يَحْكُمُ فِي النَّاسِ بِحُكْمِ الْجَائِلِيقِ^(١)
لَا وَلَا كُنْتُ لِمَا حُمِلَتْ مِنْهُ بِمُطِيقٍ
وقال:

يَقْطَعُ كَفَّ الْقَازِفِ الْمُفْتَرِي
سَفِيّاً وَرَعِيّاً لَكَ مِنْ حَاكِمٍ
وقال زهرة الأهوازي:

يَا قَوْمُ مَنْ دَلَّ عَلَى عَالِمٍ
وقال آخر:

وَأِنِّي لَمَضَاءٌ عَلَى الْهَوْلِ وَاحِداً
تُشَبِّهُ لِلنَّوْكَى أُمُورٌ كَثِيرَةٌ
وقال آخر:

وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ
غيره:

إِذَا طَعَنُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعَاذَلُوا
وقال النابغة:

وَلَا يَخْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرًّا بَعْدَهُ

(١) الجائليق: رئيس الأساقفة. (٢) جاء في نسخة أخرى الشطران متعاكسين.

(٣) الأخيفش: تصغير الأخفش، وهو من ضعف بصره.

(٤) شحج البغل والغراب: غلظ صوتاهما. (٥) الرأي الدبري: الرأي السانح بعد فوات الأوان.

وعجل عليه بالكتاب مع تحيت^(١) الغلط - وإثماً قيل له ذلك لكثرة غلطه - فمر تحيت بالمدد، وهم يعرضون بخانقين، فلماً قديم على عبد الرحمن قال له: «أين تركت مددنا؟» قال: «تركتهم يخنفون بعارضين». قال: «أو يعرضون بخانقين؟» قال: «نعم، اللهم لا تخانق في باركين». ولماً ذهب يجلس شرط. وكان عبد الرحمن أراد أن يقول: «ألا تغدى؟» فقال: «ألا تضرط». قال: «قد فعلتُ أصلحك الله». قال: «ما هذا أردت». قال: «صدقت، ولكن الأمير غلط كما غلطنا». فقال: «أنا غلطت من فمي وغلط هو من أسته».

(١) جاء في نسخة أخرى «تخيت» بالخاء بدلاً من «تحيت» بالحاء.

باب من أبله الذي يعتري من قبل العبادة

وترك التعرض للتجارب

وهو كما قال أبو وائل: «أسمعكم تقولون: ألدائق وألقيراط، فأئماً أكثر؟» قالوا: وكان عامر بن عبد الله بن الزبير في المسجد - وكان قد أخذ عطاءه - فقام إلى منزله ونسيه، فلمّا صار في منزله وذكره بعث رسولاً ليأتيه به فقال له: «وأين تجد ذلك المال؟» قال: «سبحان الله، أو يأخذ أحد ما ليس له؟». أبو الحسن قال: قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيري: سرقت نعل عامر بن عبد الله الزبيري فلم يتخذ نعلًا حتى مات وقال: «أكره أن أتخذ نعلًا فلعل رجلاً أن يسرقها فيأثم» وقالوا: إن الخلفاء والأئمة أفضل من الرعية، وعامة الأحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم، لأنهم أفقه في الدين وأقوم بالحقوق وأردّ على المسلمين. وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العباد، ولأنّ نفع ذلك لا يعدو قِمم رؤوسهم ونفع هؤلاء يخصّ ويعمّ، والعبادة لا تدلّه ولا تورث أبله إلا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومُجالسة أهل المعرفة، فمن هناك صاروا بُلهاً، حتى صار لا يجيء من أعبدهم حاكم ولا إمام، وما أحسن ما قال أيوب السخيتاني حيث يقول: «في أصحابي من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته». فإذا لم يجز في الشهادة كان من أن يكون حاكماً أبعد. وقال الشاعر:

[البسيط]

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاغٌ لِمُفْرَصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَا
ومن غير هذا الباب قوله:

[الوافر]

إِذَا مَا الشَّيْخُ عُوتَبَ زَادَ شَرًّا وَيَعْتَبُ بَعْدَ صَبَوْتِهِ ^(١) الْوَلِيدُ
وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه: «من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج». وقال الشاعر:

[البسيط]

إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَانْتَظِرْ فَرَجًا فَأَضِيقُ الْأَمْرَ أَذْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ
وقال الفرزدق:

[الطويل]

وَإِنِّي وَسَعْدًا كَالْحُورِ ^(٢) وَأُمِّهِ إِذَا وَطِئَتْهُ لَمْ يَضِرْهُ اعْتِمَادُهَا

(١) الصبوة: الميل إلى الجهل.

(٢) الحُور: صغير الناقة يرضع حتى يظم.

وقال أعرابي:

[الطويل]

تُعَلِّمُنِي ^(١) بِالْعَيْشِ عِرْسِي كَأَنَّمَا
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْفَقْرِ يَوْمًا وَبِالْغِنَى

وقال آخر:

[الطويل]

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَارِدُ الثَّ

وقال غيره:

[الكامل]

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا مُغِيرَةَ أَنَّنِي
وَأَخَذْتُهَا أَخْذَ الْمُقْصَبِ ^(٣) شَاتَهُ

وقال آخر:

[الطويل]

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَارِدُ الثَّ
وَأَنَّكَ مَشْبُوحٌ ^(٤) الذَّرَاعَيْنِ خَلَجَمٌ ^(٥)

وقال آخر:

[الوافر]

فَهَلَّا مِنْ وَزَارٍ أَوْ حُصَيْنٍ
وَأُقْسِمُ أَنَّهُ قَدْ حَلَّ مِنْهَا

وقال آخر:

[الوافر]

أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تُعْنَى ^(٦)

وقال الهذلي:

[الوافر]

وإن سيادة الأقبام فأعلم

وقال جرير بن الخطفي:

[الطويل]

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتَ بِخَيْلَةٍ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبُخْلِ

(١) جاء في نسخة أخرى «تبصرني» بدلاً من «تعلمني».

(٢) الهيكل: العظيم الضخامة.

(٣) القصاب: الجزار. وقصب الشاة: قطعها جزءاً جزءاً.

(٤) مشبوح: عريض.

(٥) خلجم: عظيم الجسم.

(٦) تعنى: تجهد.

(٧) الصعداء: المشقة.

وقال إسحاق بن حسان بن قوهي^(١):

[الطويل]

لَهَا مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ
إِذَا مَا أَنْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ

وَدُونُ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ

وقال آخر:

[الوافر]

لِشَيْءٍ^(٢) مَا يَسُودُ مِنْ يَسُودُ

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ

وقال آخر:

[الطويل]

وَأَعْجَبُ مِنْهُ مَا تُحَاوِلُ مِنْ ظُلْمِي
لِعَرْضِكَ مِنْ شَتَمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وَتَعْجَبُ إِنْ حَاوَلْتُ مِنْكَ تَنْصُفًا
أَبَا حَسَنِ يَكْفِيكَ مَا فِيكَ شَاتِمًا

وقال آخر:

[الوافر]

لَقَدْ جُمِعَتْ مِنْ شَتَى لِأَمْرِ
وَمَتْنٌ جُلَالَةٍ^(٤) مِنْ رِيَشٍ نَسْرِ

كَمَا قَالَ الْجِمَارُ لِسَهْمٍ رَامٍ
أَرَاكَ حَدِيدَةً فِي رَأْسٍ قِدْحٍ^(٣)

وقال آخر:

[الوافر]

يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ

إِذَا مَا مَاتَ مِثْلِي مَاتَ شَيْءٌ

وأشعر منه عبدة بن الطبيب حيث يقول في قيس بن عاصم:

[الطويل]

وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ وَاحِدٍ

وقال عمرو القيس في شبيه بهذا المعنى:

[الطويل]

وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً

وقال آخر:

[الطويل]

رَأَيْتُ يَدِي فِي صَالِحِ الْعَيْشِ قَلَّتِ

وَزَهْدَنِي فِي صَالِحِ الْعَيْشِ أَنْنِي

وقال معن بن أوس:

[الكامل]

عَنِّي وَقَلْبِي لَوْ بَدَا لَكَ أَذْهَلُ

وَلَقَدْ بَدَا لِي أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ

(١) هو: إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي: شاعر مطبوع. خراساني الأصل من أبناء

السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد حيث توفي سنة ٢١٢هـ = ٨٢٧م. انظر ترجمته في:

تاريخ بغداد ٣٢٦/٦، الشعر والشعراء (تحقيق أحمد شاكر) ٨٢٩ - ٨٣٥.

(٢) جاء في نسخة أخرى «لأمر» بدلاً من «لشيء».

(٣) القدح: السهم قبل أن يراش وينصل. (٤) الجلالة: الناقة المستة.

كُلُّ يَجَامِلُ وَهُوَ يُخْفِي بُغْضُهُ
وقال ركاض:

[الطويل]

نُرَامِي فَتَرْمِي نَحْنُ مِنْهُمْ فِي الشَّوَى ^(٣)
إِذَا مَا لَبَسْنَا الْحَلِيَّ وَالْوَشْيَ أَشْرَقَتْ
لَبَسْنَا السُّبُوبَ ^(٧) حُمْرَةً قُرْشِيَّةً
وقال آخر:

[المقارب]

أَعْلَلُ نَفْسِي بِمَا لَا يَكُو
وقال آخر:

[مجزوء الوافر]

تَوَلَّيْتُ بِهَجَّةِ الدُّنْيَا
وَخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
رَأَيْتُ مَعَالِمَ الْخَيْرِ
فَلَا حَسَبٌ وَلَا أَدَبٌ
وقال أبو الأسود الدؤلي:

[الطويل]

لَنَا جِيرَةٌ سَدُّوا الْمَجَازَةَ بَيْنَنَا
وَمَنْ خَيْرَ مَا أَلْصَقَتْ بِالْأَدَارِ حَائِطٌ
وقال آخر:

[الرملي]

عَقِمَتْ أُمَّ أَتَيْنَا بِكُمْ
وَإِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا شَرَفًا
وقال آخر:

[الرملي]

قَدْ بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِنْ أَعْنَى الْبَلَاءُ

(٢) يتجمل: يصبر.

(٤) عدل السهم: أقامه.

(١) القلا: البغض.

(٣) الشوى: الأطراف.

(٥) اللبات: مفردة لبة، وهي مكان النحر من العنق.

(٦) جاء في نسخة أخرى «يسلبنا» بالسین بدلاً من «يثلبنا» بالثاء، وهما بمعنى واحد.

(٧) السبوب: مفردة سبب بكسر السين وهو الخمار.

(٨) العلم: العلامة.

(٩) المائق: الشديد الغباء.

(١٠) الصقع: مفردة أصقع، وهو ما في رأسه صقعة أي بياض من الطير.

فإذا كلُّ مَوَاعِيدِكَ وَالْجَحْدُ سَوَاءٌ

وقال آخر:

[الكامل]

وَلَقَدْ هَزَزْتُكَ لِلْمَدِيحِ فَكُنْتَ ذَا نَفْسٍ لَكِيْعَةٍ
أَنْتَ الرَّقِيعُ ابْنُ الرَّقِيعِ ابْنُ الرَّقِيعِ

وقال آخر:

[الطويل]

وَلَيْسَ إِلَيْنَا فِي السَّلَالِيمِ مَطْلَعُ
وَكُلُّ حِجَازٍ إِنْ هَبَطْنَاهُ بَلَقَعُ
إِلَى وَحْشِنَا وَحْشُ الْبِلَادِ فَيَرْتَعُ

لِكُلِّ أَنْاسٍ سُلَّمٌ يُرْتَقَى بِهِ
وَعَايَتُنَا الْقُصْوَى حِجَازٌ لِمَنْ بِهِ
وَيَنْفُرُ مِنَّا كُلُّ وَحْشٍ وَيَنْتَمِي

وقال آخر:

[مجزوء الرمل]

لَجَرَتْ خَيْلٌ دِفَافُهُ^(٢)
لَا وَلَا خَيْلٌ مَحَافُهُ

لَوْ جَرَتْ خَيْلٌ نُكُوصًا^(١)
هِيَ لَا خَيْلٌ رَجَاءٍ

وقال الخزيمي:

[الكامل]

وَأَهْرُبُ مِنَ الْفَجْجَاجَةِ^(٣) الصِّلَفِ^(٤)
وَجْهٌ يُضِيءُ كَذُرَّةِ الصَّدَفِ
عِنْدَ الْفِعَالِ مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

إِخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْ أَبِي دُلْفٍ
لَا يُعْجَبَنَّكَ مِنْ أَبِي دُلْفٍ
إِنِّي رَأَيْتُ أَخِي أَبَا دُلْفٍ

وأنشد ابن الأعرابي:

[الرمل]

وظُنُونٌ بِفُلَانٍ حَسَنَهُ
نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَهُ
طَمَعًا أَذْخَلَهُ فِي سَجْنِهِ
أُورِثْتُ مِنْ بَعْدِ فَقْرٍ مَسْكَنَهُ

أَهْلَكَتْنِي بِفُلَانٍ ثَقَتِي
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ
كُنْتُ كَالْهَادِي مِنَ الطَّيْرِ رَأَى
زَادَنِي قَرُبُ صَدِيقِي فَاقَةً

وأنشدنا:

[الطويل]

هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهُ
فَذَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأُولِهِ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهِنَهُ

(٣) الفججاجة: الكثير الكلام والمدعي بما ليس فيه.

(٤) الصلف: التكبر والتعجرف.

(١) النكوص: الإحجام، والرجوع إلى الوراء.

(٢) دَف: سار بخفة ونشاط.

وَقَارِبَ إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لَكَ قُدْرَةٌ
وَقَالَ بَعْضُ ظُرَفَاءِ الْأَعْرَابِ:

[الكامل]

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفُؤَادِ لَجَاجَةً
وهذا من شكل قوله:

[الوافر]

ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً فَأَصْطَدْتُ ضَبًّا
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ:

[السريع]

مَا أَشْبَهَ الْإِمْرَةَ بِالْوَصْلِ
وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ:

[البسيط]

لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ^(١) لَمْ تَدْنُسْ عَمَامَتُهُ
وَقَالَ آخَرُ:

[البسيط]

نَادَيْتُ هَيْذَانَ وَالْأَبْوَابَ مُغْلَقَةً
كَالْهَيْدُونَانِيِّ لَمْ تَفْلُلْ مَضَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ:

[الطويل]

أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً
وَلَسْتُ بِقَوَالٍ إِذَا قَامَ حَالِبٌ
وَلَكِنْ إِذَا جَادَتْ بِمَا دُونَ صُلْبِهَا^(٣)
وَقَالَ آخَرُ:

[الطويل]

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَغَايَتِي
وَمَا رَغْبَتِي فِي آخِرِ الدَّهْرِ^(٥) بَعْدَمَا
وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ كَأَنْ لَسْتُ مِنْهُمْ

(١) الرديني: ضرب من الرماح ينسب إلى ردينة. وهي امرأة كانت تقوم الرماح.

(٢) الإسوار: الرامي بالسهم، أو الثابت على ظهر الحصان.

(٣) جاء في نسخة أخرى «حليها» بالحاء بدلاً من «صلبها» بالصاد.

(٤) جاء في نسخة أخرى «لو تعلمون» بدلاً من «أقصى مداه».

(٥) جاء في نسخة أخرى «أرذل العمر» ومعناه آخره، بدلاً من «آخر الدهر».

وقال :

[الوافر]

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي وَأَكْثَرْتُ الْعَرَامَةَ وَدَّعُونِي
فَلَمَّا أَنْ غَنِيْتُ وَثَابَ وَفَرِي إِذَا هُمْ لَا أَبَالِكَ رَاجِعُونِي

وقال آخر :

[الوافر]

وَكُنَّا نَسْتَطِيبُ إِذَا مَرِضْنَا فَصَارَ سِقَامُنَا بِيَدِ الطَّبِيبِ
فَكَيْفَ نُجِيزُ غُصَّتَنَا بِشَيْءٍ وَنَحْنُ نَعَصُّ بِالمَاءِ الشَّرِيبِ

وقال عدي بن زيد :

[الرميل]

لَوْ بَغِيرَ المَاءِ حَلْقِي شَرْقُ كُنْتُ كَالْعَصَّانِ بِالمَاءِ اعْتَصَارِي ^(١)
وقال ألتوت أليمانئي - ويروى اللوب ^(٢) بالباء والتوت هو الصواب - وهو المعروف

بتويت فكبره هنا :

[الطويل]

عَلَى أَيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الْإِذْنَ بَعْدَمَا حُجِبْتُ مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ
وقال آخر :

[البيسط]

لَا تَضْجِرَنَّ وَلَا تَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ فَالْتَجِحْ يَهْلِكُ بَيْنَ الْعَجَزِ وَالضَّجْرِ
وقال محمد بن بشر ^(٣) :

[البيسط]

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ ^(٤) مَسَالِكُهَا فَالْصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلَقَ بَذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
لَا يَمْنَعُنَّكَ بَأْسٌ مِنْ مُطَالِبَةٍ فَضِيْقُ السُّبُلِ يَوْمًا رَبِّمَا أَنْتَهَجَا
وقال بعض ظرفاء الأعراب :

[الطويل]

فَإِنَّ طَعَاماً ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا لَعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مُبَارَكُ
فَمِنْ أَجْلِهَا اسْتَوْعَبَ الزَّادَ كُلَّهُ وَمِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي يَدِي وَتُدَارِكُ

(١) اعتصر بالماء : شربه قليلاً ليلتلع به ما غص من طعام.

(٢) جاء في نسخة أخرى «التوب» بالتاء بدلاً من «اللوب» باللام.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بسر» بالسين بدلاً من «بشر» بالشين.

(٤) جاء في نسخة أخرى «اشتدت» بالشين بدلاً من «انسدت» بالسين.

وقال آخر:

[الطويل]

مِنْ الْعُجْمِ صَعْبٌ أَنْ يُقَادَ نَقُورٌ
صَبُورٌ عَلَى مَسِّ السَّيَاطِ وَقُورٌ
جَزُوعٌ عَلَى مَسِّ السَّيَاطِ ضَجُورٌ

كَأَنِّي لَمَّا مَسَّنِي السَّوْطُ مُقْرَمٌ^(١)
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ لَتِيمٍ مُوْطٍ^(٢)
وَذِي كَرَمٍ فِي الْقَوْمِ نَهْدٍ^(٣) مُشَّيعٍ^(٤)
وقال أحيحة بن الجلاح:

[البيط]

إِنَّ الْغِنَى مَنِ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ
لِبَاسَ ذِي إِزْبَةٍ^(٥) لِدَهْرٍ لِبَاسِ
قَدْ يُضْرَبُ الدُّبُرُ الرَّامِي بِأَحْلَاسِ^(٦)

اسْتَعْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ
وَالْبِسْ عَدُوَّكَ فِي رِفْقِي وَفِي دَعَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ أَضْعَانُ مُزْمَلَةٌ
وقال أحيحة أيضاً:

[البيط]

مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْأَقْوَامِ ذُو الْمَالِ
وَعَنْ عَشِيرَتِهِمْ وَالْمَالُ بِالْوَالِي

اسْتَعْنِ أَوْ مِتْ وَلَا يَغُرُّكَ ذُو نَشَبٍ^(٧)
إِنِّي أَكْبُ عَلَى الزَّوْرَاءِ أَغْمُرُهَا
يُلَوْنُ مَا عِنْدَهُمْ عَنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ
وقال آخر:

[الطويل]

أَرَى عَازِبَ^(٨) الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

سَأْنَبِيكَ^(٨) مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنَّنِي
وقال آخر:

[الطويل]

عَلَى طَوْلِ مَرِّ الْحَادِثَاتِ بَقَاءٌ

وَلَا خَيْرَ فِي فَضْلِ^(١٠) إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
وقال العباس بن الأحنف:

[البيط]

وَصَلاً يَمُرُّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ الْعَسَلُ

لَمْ يَصْفُ حُبٌّ لِمَعْشُوقَيْنِ لَمْ يَذُقَا
وقال بعض سُفْهَاءِ الْأَعْرَابِ:

[الرجز]

أَوْ يَلْتَقِي أَشْعُرُهَا وَأَشْعَرِي

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ أَبَا السَّنَوَرِ^(١١)

(١) المقرم: الفحل من الجمال يترك، فلا يستعمل لفحولته.

(٢) الموْطأ: المذلّل.

(٣) النهْد: القوي الذي ينهض لمعالي الأمور.

(٤) المشيع: الشجاع.

(٥) الإزبة: الدهاء، والبصر بالأمور.

(٦) الأحلاس: مفردة حلس، وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت الرجل والسرّج.

(٧) النشب: المال والعقار.

(٨) العازب: هو من يرمى بعيداً عن أهله.

(٩) جاء في نسخة أخرى «وصل» بالواو بدلاً من «فضل» بالفاء والضاد.

(١٠) السنور: كل نوع من السلاح صنع من حديد.

وَأَطْبِقُ الْخُصِيَّةَ فَوْقَ الْمَبْعَرِ

وقال آخر:

[الوافر]

وَحَظُّكَ زُورَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مَوَافِقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلاماً خَالِياً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ

وقال عطار بن قران:

[الطويل]

وَلَا يَلْبُثُ الْحَبْلُ الضَّعِيفُ إِذَا أَلْتَوَى وَجَاذِبُهُ الْأَعْدَاءُ أَنْ يَتَخَذَمًا^(١)
وَمَا يَسْتَوِي السَّيْفَانِ سَيْفٌ مُؤْتَّ^(٢) وَسَيْفٌ إِذَا مَا عَضَّ بِالْعَظْمِ صَمَمًا^(٣)

وقال طريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

[الطويل]

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ بِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوباً وَإِنِّي لَشَاكِرُ
لَأَنْتَ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ
فَأَرْجِعْ مَغْبُوطاً وَأَرْجِعْ بِأَلْتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ
وَقَدْ قُلْتُ شِعْراً فِيكَ لَكِنْ تَقُولُهُ مَكَارِمُ فِيمَا تَبَتَّنِي وَمَقَاخِرُ
قَوَاصِرُ عَنْهَا لَمْ تُحِطْ بِصِفَاتِهَا

وقال آخر:

[الطويل]

فَكَمْ مِنْ مُلِيمٍ لَمْ يُصَبِّ بِمَلَامَةٍ وَمُتَّبَعٍ بِالذَّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذَنْبُ
وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ صَدَعْنَ غَيْرَ عِلَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَضَلٍ خَلَّتِهِ عَثْبُ

وقال آخر مسلم بن الوليد:

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمُ

كما قال الأحنف: رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ. وقال ابن المقفع:

[المتقارب]

فَلَا تَلُمِ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ فَرُبَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري:

[الطويل]

وَإِنْ أَمْرًا يُمَسِّي وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) يتخذم: يتقطع.

(٢) المؤت: هو السيف الذي لا يقطع.

(٣) صمم: مضى في العظم.

البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن
أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي «أدب
الكاتب لابن قتيبة» و «كتاب الكامل للمبرد»
و «كتاب البيان والتبيين للجاحظ» و «كتاب
النوادر لأبي علي القالي» وما سوى هذه الأربعة
فتبع لها وفروع عنها.

ابن خلدون

الجزء الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب العصا

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلّى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة هذا - أبقاك الله تعالى - الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث، وشاكله من عيون الخطب. ومن الفقر المستحسنة، وألثتف المتخيرة^(١)، والمقطعات المستخرجة^(٢)، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة، والجوابات المنتخبة.

ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية، ومن يتحلى باسم التسوية، ويمطاعنهم على خطباء العرب، بأخذ المخرصة^(٣) عند مناقلة^(٤) الكلام، ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى، والمنثور الذي لم يقف، وبالأرجاز عند المتح^(٥)، وعند مجاثاة^(٦) الخصم، وساعة المشاورة^(٧)، وفي نفس المجادلة والمحاولة^(٨). وكذلك الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة، وأستعمال المنثور في خطب الحمالة، وفي مقامات الصلح وسلّ السخيمة^(٩)، وألقول عند المعاقرة^(١٠) والمعاهدة، وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة، ولا اختلاف تأليف، ولا التماس قافية، ولا تكلف لوزن. مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي، والإتكاء على أطراف القسي، وخذ الأرض

(١) جاء في نسخة أخرى «المستخرجة» بدلاً من «المتخيرة».

(٢) جاء في نسخة أخرى «المتخيرة» بدلاً من «المستخرجة».

(٣) المخرصة: هي ما أمسك الخطيب بيده من عصا أو قضيب أو ما شاكل ذلك.

(٤) مناقلة الكلام: مراجعته.

(٥) المتح: الاستسقاء من البئر.

(٦) مجاثاة الخصوم: مقارعتهم، وهي بمعنى الجلوس على الركبتين.

(٧) المشاورة: أن يتناول بعضهم بعضاً بالرماح.

(٨) جاء في نسخة أخرى «المحاورة» بالراء بدلاً من «المحاولة».

(٩) السخيمة: «الحقد والكراهية».

(١٠) جاء في نسخة أخرى «المعاقرة» بالبدال بدلاً من «المعاقرة» بالراء.

بها، وأَعْتَمَدَها عليها، إذا أَسْتَحْفَزْتُ^(١) في كلامها، وَأَقْتَنْتُ يومَ الحفل في مذهبها. ولزومهمُ الْعَمَائِمَ في أيامِ الْجُوعِ، وأخذُ الْمُخَاصِرِ في كلِّ حال، وجلوسها في خطب النِّكاح، وقيامها في خطب الصِّلح، وكل ما دخل في باب الحِمالة، وأكد شأنَ الْمُحَالِفَةِ، وحقق حرمةَ الْمُجَاوِرَةِ. وخطبهم على رواحِلهم في الْمَوَاسِمِ الْعِظَامِ، وَالْمَجَامِعِ الْكِبَارِ. وَالْتِمَاسِ^(٢) بِالْأَكْفِ، وَالْتِحَالِفِ عَلَى النَّارِ، وَالْتِعَاقُدِ عَلَى الْمِلْحِ، وَأَخَذِ الْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ، وَالْيَمِينِ الْعَمُوسِ، مثل قولهم: «ما سَرَى نَجْمٌ، وَهَبَّتْ رِيحٌ، وَبَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً، وَخَالَفَتْ جِرَّةَ دَرَةٍ» ولذلك قال الحارث بن حِلْزَةَ الْيَشْكِرِيُّ:

[الخفيف]

وَأَذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا فُ
حَذَرَ الْخُونِ وَالْتَّعَدِّي وَهَلْ تَنْ
دَمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ
قُضِيَ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ
الْخُونُ: الخيانة ويروى «الجور» وقال أوس بن حجر:

ذكر بعض عادات العرب في القسم والخطابة:

[الطويل]

إِذَا أَسْتَقْبَلْتُهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ
كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهْوَلِ^(٣) حَالِفُ
وقال الْكُمَيْتُ:

[المقارب]

كَهُولَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُحْلِفُونَ
لَدَى الْحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا^(٤)
وقال الْأَوَّلُ:

[المنسرح]

حَلَفْتُ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالنَّ
حَتَّى يَظُلَّ الْجَوَادُ مُنْعَقِرًا^(٥)
وَبِاللَّهِ تُسَلِّمُ الْحَلَقَةَ
وَتَخْضِبُ النَّبْلَ غُرَّةَ الْوَرَقَةِ^(٦)
وقال الْأَوَّلُ:

[الطويل]

حَلَفْتُ لَهُمْ بِالْمِلْحِ وَالْجَمْعِ شَهْدُ
وَبِالنَّارِ وَاللَّاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ
وقال الْحِطِيَّةُ فِي إِضْجَاعِ الْقِسِيِّ:

[الكامل]

أَمْ مَنْ لِحْضَمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَهُمْ
صُغُرُ خُدُودُهُمْ عِظَامُ الْمَفْخَرِ

(١) جاء في نسخة أخرى «استحفرت» بدلاً من «استحفزت» بالزاي ومعنى استحفرت مضت دون تمهل.

(٢) التماسح: التصافح.

(٣) المهول: المحلف.

(٤) الهولة: كان من عادة العرب إذا ما تحالفوا فيما بينهم أن يوقدوا ناراً على بشر فيطرحون فيها ملحاً وكبريتاً تأكيداً للقسم.

(٥) جاء في نسخة أخرى «منعقراً» بالفاء بدلاً من «منعقراً» بالقاف.

(٦) الدرفة: الترس، يتخذ من الجلود.

وقال لبید بن ربیعۃ فی خذّ وجه الأرض بالقسیّ والعصیّ :

[الطویل]

نَشَيْنَ صِحَاحَ الْبِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِعُوجِ السَّرَّاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبٍ
ومثله :

[المتقارب]

إِذَا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَّارِ أَطَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ مَيْلَ الْعَصَا
ومثله :

[الكامل]

حَكَمْتُ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرَّقٍ أَيَّامُنَا فِي النَّاسِ حُكْمًا فَيَصَلَا
وقال لبید بن ربیعۃ فی ذکر القسیّ :

[الكامل]

مَا إِنْ أَهَابَ إِذَا السُّرَادِقُ عَمَّهُ قَرَعُ الْقِسِيِّ وَأُرْعَشَ الرُّعْدِيدُ
وقال کثیر فی الإسلام :

[الوافر]

إِذَا قَرَعُوا الْمَنَابِرَ ثَمَّ خَطُّوا بِأَطْرَافِ الْمَخَاصِرِ كَالْغِضَابِ
وقال أبو عبیدة : سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب : «أيُّ العرب رأيته أضخم شأنًا؟» قال : «حصين»^(١) بن حذيفة، رأيته متوكئاً على قوسه يُقسم في الحليفين أسد وغطفان» وقال لبید بن ربیعۃ فی الإشارة :

[الكامل]

غُلِبَ^(٢) تَشَذَّرَ^(٣) بِالذُّحُولِ^(٤) كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدِيِّ^(٥) رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا
وقال معن بن أوس المزني :

[الوافر]

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرِّسَالَا
تُعَاقِلُ^(٦) دُونَنَا أَبْنَاءَ ثَوْرٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا
إِذَا اجْتَمَعَ الْقَبَائِلُ جِئْتَ رِدْفًا أَمَامَ^(٧) الْمَاسِحِينَ لَكَ السَّبَالَا
فَلَا تُعْطَى الْعَصَا الْخُطْبَاءَ يَوْمًا^(٨) وَقَدْ تَكْفِي الْمَقَادَةُ وَالْمَقَالَا

(١) جاء في نسخة أخرى «حصن» بدون الباء .

(٢) الغلب : غلاظ الأعناق .

(٣) تشذر : رفع اليد ووضعها .

(٤) الذحول : الحقد والثأر .

(٥) البدّي : البادية .

(٦) جاء في الجزء الأول «تغافل» بالفاء بدلاً من «تعامل» بالقاف .

(٧) جاء في نسخة أخرى «وراء» بدلاً من «أمام» .

(٨) جاء في الجزء الأول : «فلا تعطى عصا الخطباء فيهم» .

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال الآخر في حمل القناة :

[البسيط]

إِنِّي أَمْرُؤٌ لَا تَخْطَأُ الرِّفَاقُ وَلَا جَذْبُ الْخَوَانِ إِذَا مَا اسْتُثْنِيَ الْمَرْقُ
صَلْبُ الْحَيَازِيمِ لَا هَذَرُ الْكَلَامِ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ وَلَا مُسْتَعَجِلُ زَهَقُ
وقال جرير الخطفي في حمل القناة :

[البسيط]

مَنْ لِلْقَنَاءِ إِذَا مَاعِي قَائِلُهَا وَلِلْأَعْنَةِ يَا عَمْرُو بَنَ عَمَارٍ
قالوا: وهذا مثل قول أبي المُجِيب الرُبْعِي حيث يقول: «لا تزال تحفظ أخاك حتى
يأخذ القناة، فعند ذلك يفضحك أو يمدحك»، يقول: إذا قام يخطب فقد قام المقام الذي
لا بد من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً. وقال عبد الله بن روبة: سأل رجل رؤية عن
أخطب بني تميم فقال: «خداش بن لبيد بن بشر بن خالد» يعني البعث الشاعر، وإنما
قيل له البعث لقوله:

[الطويل]

تَبَعْتُ مَنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أَمَرْتُ حِبَالِي كُلَّ مَرَّتْهَا شَزْرَا
البعث أخطب شعراء بني تميم

وقال أبو اليقظان: كانوا يقولون: «أخطب بني تميم البعث إذا أخذ القناة فهِزَّها ثم
اعتمد بها على الأرض ثم رفعها». قال يونس: «لعمري لئن كان مغلباً في الشعر لقد كان
غلب في الخطب».

وإذا قالوا: «غَلَبَ» فهو الغالب وإذا قالوا «مُغْلِباً» فهو المغلوب.

وفي حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه جاء البقيع، ومعه مخصرة،
فجلس فنكت بها الأرض ثم رفع رأسه فقال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كُتِبَ مكانها
من الجنة أو النار». وهو من حديث أبي عبد الرحمن السلمي.

ومما يدل على استحسانهم شأن المخصرة حديث عبد الله بن أنيس ذي
المخصرة، وهو صاحب لبلة الجهنني، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعطاه
مخصرة فقال: «تلقاني بها في الجنة» وهو مهاجر عقبي أنصاري وهو ذو المخصرة في
الجنة.

رأى الشعوبية بأدوات الخطابة عند العرب:

وقالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية: «القضب للاقاع، والقناة للقار، والعصا
للقنات، والقوس للرمي. وليس بين الكلام وبين العصا سبب، ولا بينه وبين القوس
نسب. وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضوا على الذهن أشبه. وليس في

حملها ما يشحذ الذهن، ولا في الإشارة بها ما يجلب اللفظ. وقد زعم أصحاب الغناء أن المغني إذا ضرب على غنائه قصر عن المغني الذي لا يضرب على غنائه. وحمل العصا بأخلاق الفدّادين^(١) أشبه، وهو بجفاة الأعراب وعنجهية أهل البدو ومزاولة إقامة الإبل على الطرق^(٢) أشكل وبه أشبه».

الخطابة فن شائع عند سائر الأمم:

قالوا: «والخطابة شيء في جميع الأمم، وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة، حتى أن الزنج - مع الغثارة^(٣) ومع فرط الغباوة، ومع كلال الحد، وغلظ الحس، وفساد المزاج - لتطيل الخطب وتفوق في ذلك جميع العجم، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ، وألفاظها أخطأ^(٤) وأجهل. وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس، وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأحسنهم ولاء^(٥) وأشدّهم فيه تحنكاً أهل مرو، وأفصحهم بالفارسية الدرية وباللغة الفهلوية أهل قسبة الأهواز. فأما نغمة الهزبد^(٦) ونغمة الموبدان^(٧) فلصاحب تفسير الزمزمة^(٨). قالوا: ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند^(٩)، ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثالات^(٩) والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فلينظر إلى سير الملوك. فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها، وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيورها وعللها. فمن قرأ هذه الكتب عرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم، وعرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة. فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني وتخير الألفاظ وتمييز الأمور أن يشيروا بالقنا والعصي والقضبان والقيسي، كلا ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم، فحملتم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها

(١) الفدّادين: هم من الفلاحين والرعاة، ممن يغلب عليهم الصباح في أعمالهم.

(٢) يقصد بذلك توجيه الإبل الجهة المستقيمة.

(٣) الغثارة: الحمق والجهل.

(٤) جاء في نسخة أخرى «أخطل» باللام ومعناها أجهل بدلاً من «أخطأ» بالهمزة.

(٥) جاء في نسخة أخرى «دلاً» بالdal، ومعناها «هدياً» بدلاً من «ولاء».

(٦) جاء في نسخة أخرى «هريضة» بالتاء المربوطة ومعناها: بيوت النار عند الهنود.

(٧) جاء في نسخة أخرى «موابدة» بالتاء المربوطة، ومفردها موبد، وهو قاضي المجوس.

(٨) الزمزمة: الصوت الذي لا يستعمل لإحداثه الشفة واللسان.

(٩) المثالات: العقوبة والتنكيل.

في السفر، وحملتوها في ألمدر بفضل عادتكم ليحملها في الوبر، وحملتوها في
السلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب. ولطول أعتيادكم لمخاطبة الأبل جفا
كلامكم وغلظت مخارج أصواتكم حتى كأنكم إنما تخاطبون الصمان إذا كلمتم
الجلساء. وإنما كان جل قتالكم بالعصي، ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب.
فقال:

[مجزوء الكامل]

لَسْنَا نُقَاتِلُ بِالْعِصِيِّ وَلَا نُرَامِي بِالْحِجَارَةِ
إِلَّا عُلَالَةً^(١) أَوْ بَدَا هة^(٢) قَارِحِ^(٣) نَهْدِ^(٤) الْجُزَارَةِ^(٥)

وقال الآخر:

[الطويل]

فَإِنْ تَمَنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ
جَنَادِلُ^(٦) أَمْلاءُ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

وقال جندل الطهوي:

[الرجز]

حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحَى لَا تَجْرِي صَاخَتْ عِصِيٌّ مِنْ قَنَا^(٧) وَسِدْرِ^(٨)

وقال آخر:

[الطويل]

دَعَا أَبْنُ مُطِيعٍ لِلْبَيْاعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ الْفِ
فَنَاولَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمْسُتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ
مِنَ الشَّثَاتِ^(٩) الْكُزْمِ^(١٠) أَنْكَرْتُ مَسَّهَا وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ اللَّطَائِفِ
مَعَاوِدَةَ حَمَلِ الْهَرَاوِي^(١١) لِقَوْمِهَا فَرُوراً إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ التَّنَائِفِ^(١٢)

(١) العلالة: بقية السير.

(٢) البداهة: سرعة الخاطر.

(٣) القارح: الفرس الذي شن نابه وخرج.

(٤) النهدي: المرتفع.

(٥) الجزارة: أطراف المذبوح من الناقة، وهي البدان والرجلان والرأس.

(٦) جنادل، مفردة جندل، وهو الصخر.

(٧) القناة: العصا.

(٨) السدر: شجر النبق.

(٩) جاء في نسخة أخرى «الشثات» بالشين، والصحيح ما جاء هنا «الشثات». والشث من الرجال الغليظ.

(١٠) الكزم: القصيرة الأصابع.

(١١) الهراوي: مفردها هراوة وهي العصا الضخمة.

(١٢) التسايف: القتال بالسيوف.

وقال آخر:

[البسيط]

مَا لِلْفَرْزَدَقِ مِنْ عَزٍّ يَلُودُ بِهِ إِلَّا بَنِي أَلْعَمِّ فِي أَيْدِيهِمِ الْخَشَبُ
قالوا: وإنّما كانت رماحكم من مران، وأسنتكم من قرون البقر، وكنتم تركبون
الخيّل في الحرب أعراء، فإن كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من آدم، ولم يكن ذا
ركاب، والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه، وربّما قام فيهما أو
اعتمد عليهما. وكان فارسكم يطعن بالقناة الصّماء، وقد علمنا أنّ الجوفاء أخف محملاً
وأشد طعنة. وتفخرون بطول القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد^(١)، وإنّما ألقنا الطوال
للرجالة والقصار للفرسان والمطارد لصيد الوحش. وتفخرون بطول الرمح وقصر السيف
فلو كان المفتخر بقصر السيف الراجل دون الفارس لكان الفارس يفخر بطول السيف،
وإن كان الطول في الرمح إنّما صار صواباً لأنّه ينال به البعيد ولا يفوته العدو، ولأن ذلك
يدلّ على شدة سير الفارس وقوة يده، فكذلك السيف العريض الطويل. وكنتم تتخذون
للقناة زجا وسنانا حين لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ويعتمد عند طعنته بفخذه
ويستعين بحمية فرسه، وكان أحدكم يقبض على وسط القناة ويخلف منها على مثل ما
قدّم، فإنّما طعنكم الدّره^(٢) والنّهزة^(٣) والخلس^(٤) والزج^(٥). وكنتم تتساندون في
الحرب، وقد علم أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء: في الملك والحرب والزوجة. وكنتم
لا تُقاتلون بالليل، ولا تعرفون البيات^(٦) ولا الكمين، ولا اليمينه ولا الميسرة ولا القلب
ولا الجناح ولا السّاقة^(٧) ولا الطليعة ولا النفاضة^(٨) ولا الدراجة^(٩)، ولا تعرفون من آلة
الحرب الرتيلة^(١٠) ولا العرادة^(١١) ولا المجانيق ولا الدباب ولا الخنادق ولا الحسك،
ولا تعرفون الأقبية ولا السروايلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البندود
والتجافيف^(١٢) ولا الجواشن^(١٣) ولا الخود ولا السواعد ولا الأجراس ولا الوهق^(١٤) ولا

(١) المطارد: الرماح القصيرة.

(٢) جاء في نسخة أخرى «الرزّة» بالراء، ومعناها الطعنة بدلاً من «الدّره» ومعناها الهجوم.

(٣) النهزة: الفرصة، أو الطعن دفعا مرة تلو الأخرى.

(٤) الخلس: الطعن بسرعة.

(٥) الزج: الطعنة العاجلة.

(٦) البيات: الإيقاع بالعدو.

(٧) الساقة: مؤخرة الجيش.

(٨) النفاضة: الجند ينفضون الطريق للملك.

(٩) الدراجة: الجند يتقدمون الملك.

(١٠) الرتيلة: تنظيم الصفوف، صفّاً وراء الآخر.

(١١) العرادة: المنجنيق.

(١٢) التجافيف: غطاء يجلل به الحصان من السلاح.

(١٣) الجواشن: مفردة جوشن وهو الزرد يحمي به المقاتل صدره.

(١٤) الوهق: هو حبل غليظ شديد الفتل يستعمل لربط الحيوان أو الإنسان.

الرَّمِي بِالْبَنْجَكَانِ وَلَا الزَّرْقُ بِالْفَنطِ وَلَا الْبَيْرَانُ، وَلَيْسَ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَاحِبٌ عِلْمٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ الْمُنْحَازُ، وَيَتَذَكَّرُ الْمُنْهَزَمُ، وَقِتَالُكُمْ إِمَّا سِلَّةٌ وَإِمَّا مِزَاحِفَةٌ، وَالْمِزَاحِفَةُ عَلَى مَوَاعِدٍ مُتَقَدِّمَةٍ وَالسِّلَّةُ مَسَارِقَةٌ وَفِي طَرِيقِ الْإِسْتِلَابِ وَالْخِلَاسَةِ.

قالوا: والدليل على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامري:

[البسيط]

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

ويدل على ذلك أيضاً على ذلك قول ألحارث بن ضرار:

[الوافر]

وَعَمَّرُوا إِذْ أَتَانَا مُسْتَمِيتاً كَسَوْنَا رَأْسَهُ غَضَباً^(١) صَقِيلَا
فَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَبَوَا بِشَخْصٍ يُخْبِرُ أَهْلَهُمْ عَنْهُمْ قَلِيلَا

وقال أُمَيَّةُ بْنُ الْأَشْكَرِ:

[الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ غَضَابٌ حَبَّذَا غَضَبُ الْمَوَالِي
تَرَكْتُ مُصَرِّفًا لَمَّا أَلْتَقَيْنَا صَرِيحاً تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي
وَلَوْلَا اللَّيْلُ لَمْ يَغْلِبْ ضِرَارٌ وَلَا رَأْسُ الْحِمَارِ أَبُو جُفَالٍ

قلنا: ليس لكم فيما ذكرتم في هذه الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدين وهول الليل، وربما تحاجز الفريقان وإن كان كل واحد منهما يرى البيات^(٢)، ويرى أن يقاتل إذا بيته. وهذا كثير. والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك في قتل كعب بن مزريقا الملك الغساني:

[الوافر]

وَلَيْلَةَ تُبَّعٍ وَخَمِيسِ سَعْدٍ^(٣) أَتَوْنَا بَعْدَ مَا نَمْنَا دَبِيبَا
فَلَمْ نَهْدُ^(٤) لِبَاسِهِمْ وَلَكِنْ رَكِبْنَا حَدَّ كَوَكِبِهِمْ^(٥) رُكُوبَا
بِضَرْبٍ. تُفَلِّقُ الْهَامَاتُ مِنْهُ وَطَعْنٍ يَفْصِلُ الْحَلَقَ الصَّلِيبَا

وقال بشر بن أبي حازم:

[المتقارب]

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمٌ بَنُ مَرٍّ فَأَلْفَاهُمْ الْقَوْمُ رَوْبَى نِيَامَا
يقول: شربوا اللبن الرائب فسكروا منه، وهو الذي قد أخرجت زبدته^(٦). يقال منه

(١) الغضب: السيف القاطع.

(٢) جاء في نسخة أخرى «كعب» بدلاً من «سعد».

(٣) جاء في نسخة أخرى «نهدد» بالبدال ومعناها: لم نكسر بدلاً من «نهدد» بالهمزة.

(٤) كوكبهم: معظمهم.

(٥) جاء في نسخة أخرى «أدرك ليمخض» بدلاً من «أخرجت زبدته».

(٦) جاء في نسخة أخرى «أدرك ليمخض» بدلاً من «أخرجت زبدته».

راب يروب روباً ورؤوباً، ورؤية اللبن: خميرة تلقى فيه من الحامض. ورؤية الليل: ساعة منه. يقال أهرق عنا من رؤية الليل. وقال بعضهم: منه قول الشاعر:

فألفاهم القوم روبي نياما

ويقال: روبي: خثراء الأنفس مختلطون. ويقال: شربوا من الرائب فسكروا. وقال عياض السندي:

[الطويل]

وَنَحْنُ نَجَلْنَا^(١) لِإِنِّ مَيَلَاءَ نَحْرَهُ
وَيَوْمَ بَنِي الذَّبَانِ^(٤) نَالَ أَخَاهُمْ
بِأَرْمَاحِنَا بِالسَّبِي^(٥) مَوْتُ مُحَدَّقُ
وَمِنَّا حُمَاةُ الْجَيْشِ لَيْلَةً أَقْبَلَتْ
وقال آخر:

[الكامل]

وَعَلَى شَتِيرٍ^(٧) رَاحَ مَيَّارٍ رَائِحُ
يَرْدِي^(١٠) بِشَرْحَافٍ^(١١) الْمَغَادِرِ^(١٢) بَعْدَمَا
وقال عياض السندي^(١٣):

[الكامل]

لِحِمَامٍ بِسُطَامٍ بُنِ قَيْسٍ بَعْدَمَا
وقال أوس بن حجر:

[السريع]

بَاتُوا يُصِيبُ الْقَوْمَ ضَيْفَالَهُمْ
حَتَّى إِذَا مَا لَيْلُهُمْ أَظْلَمَا

(١) نجل: طعن بقوة.

(٢) الجوانح: الأضلاع في الصدر.

(٣) تشهق: تخرج صوتاً مع قوة اندفاع الدم.

(٤) جاء في نسخة أخرى «الديان» بدلاً من «الذبان».

(٥) جاء في نسخة أخرى «بالسي» وهو اسم موضع بدلاً من «السي» بالباء.

(٦) المحرق: هو عمرو بن هند، سمي الملك بذلك لا حراقة بني تميم.

(٧) شتير: اسم موضع.

(٨) الفتيق من الجمال هو الذي ينفثق سمناً.

(٩) المقرم: هو الفحل للفحلة، لذا لا يحمل عليه تكريماً له.

(١٠) ردى الفرس: ضرب الأرض بحوافره لشدته.

(١١) الشرحاف: السريع.

(١٢) جاء في نسخة أخرى «الماور» بالواو بدلاً من «المغادر» بالdal.

(١٣) جاء في نسخة أخرى في كلا الموضعين «السيدي» بالياء بدلاً من «السندي» بالنون.

(١٤) العظم: ضرب من النبات يستعمل للصباغ.

فَرَدَّهْمَ^(١) شَهْبَاءَ مَلْمُومَةٍ مِثْلَ حَرِيقِ النَّارِ أَوْ أَضْرَمَا
وَأَلَّهِ لَوْلَا قُرْزُلُ مَائِجَا وَكَانَ مِثْوَى خَدِّكَ الْأَخْرَمَا
نَجَّاكَ^(٢) جِيَّاشُ^(٣) هَزِيمٍ لَهُ^(٤) أَحْمَيْتَ وَسْطَ الْوَبْرِ الْمَيْسَمَا^(٥)

وبعد، فهل قتل ذؤاب الأسد عتيبة بن الحارث بن شهاب إلا وَسْطَ اللَّيْلِ الأعظم حين تبعوهم فلحقوهم؟. وكانوا إذا اجتمعوا للحرب دَخَنُوا بِالنَّهَارِ وأوقدوا بِاللَّيْلِ، قال عمرو بن كلثوم، وذكر واقعة لهم:

[الوافر]

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازَى^(٦) رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ^(٧) الرِّافِدِينَا
وقال خمخام السدوسي^(٨)

[الوافر]

وَأَنَا بِالصُّلَيْبِ بِبَطْنِ فَخٍّ^(٩) جَمِيعاً وَاضِعِينَ بِهِ لَظَانَا
نُدْخِنُ بِالنَّهَارِ لِيُبْصِرُونَا وَلَا نَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَتَانَا
وأما قولهم: «لا يعرفون الكمين» فقد قال أبو قيس بن الأصلت^(١٠):

[الوافر]

وَأَحْرَزْنَا الْمَغَانِمَ وَأَسْتَبَحْنَا حَمَى الْأَعْدَاءِ وَأَلَّهِ الْمُعِينُ
بَغَيْرِ خَلَابَةٍ وَبَغَيْرِ مَكْرٍ مُجَاهَرَةً وَلَمْ يُخْبَأْ كَمِينُ
وأما ذكرهم للركب^(١١) فقد أجمعوا على أن الركب كانت قديمة إلا أن ركب الحديد لم تكن في العرب إلا أيام الأزارقة، وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها في الركب، وإنما كانت تنزو نزواً. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «لا تخور قوى ما كان صاحبها ينزو وينزع». يقول أي لا تنتكث قوته ما دام ينزع في القوس وينزو في السرج من غير أن يستعين بركاب. وقال

(١) جاء في نسخة أخرى «قرهم» بالقاف بدلاً من «فردهم».

(٢) جياش: سريع الجري.

(٣) هزيم: شديد الصوت.

(٤) جاء في نسخة أخرى «كما» بدلاً من «له».

(٥) الميسم: المكواة يوسم بها البعير.

(٦) خزازی: اسم جبل.

(٧) رفد: أعطى.

(٨) جاء في معجم البلدان لياقوت أن هذين البيتين للأعشى.

(٩) جاء في نسخة أخرى «فخ» بدلاً من «فخ» بالخاء بينما جاء في معجم البلدان «فلج» باللام.

(١٠) جاء في نسخة أخرى «الأسلت» بالسين بدلاً من «الصلت» والصحيح بالسين.

(١١) الركب: مفرد ركاب، وهو ما يضع الفارس فيها رجله.

عمر: «الراحة عُقْلَة، وإِيَّاكُمْ وَالسُّمْنَةَ فَإِنَّهَا عُقْلَة»^(١) ولهذه العِلَّة قُتِلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي حِينَ غَشِيَهُ الْعَدُوُّ وَأَرَادَ الرُّكُوبَ وَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَحْمِلُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرٌ حِينَ رَأَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ لَمَّا أَخْصَبُوا وَهَمَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِمُقَارَبَةِ عَيْشِ الْعَجَمِ «تَمْعِدُوا، وَأَخْشَوْشِنُوا، وَأَقْطَعُوا الرُّكْبَ، وَأَنْزُوا عَلَى الْخَيْلِ نَزْوَاً». وقال: «احفوا وأنتعلوا، فإنَّكم لا تدرون متى تكون الجفلة»^(٢)، وكانت العرب لا تدع اتِّخَاذَ الرُّكَّابِ لِلرَّحْلِ فَكَيْفَ تَدْعُ الرُّكَّابَ لِلسَّرْجِ؟ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وَإِنْ اتَّخَذُوا الرُّكَّابَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهَا إِلَّا عِنْدَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَتَكَلَّوْا عَلَى بَعْضِ مَا يُورِثُهُمُ الْإِسْتِرْخَاءَ وَالْتِفْتِخَ^(٣) ويضاهون أصحاب الترفه^(٤) والنعمة. قال الأصمعي: قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه أيسرى ثم يجمع جراميزه^(٥) ويثب. فكأنما خُلِقَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ. وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد، وهو يومئذ ولي عهد هشام ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له: «أبوك يُحَسِّنُ مِثْلَ هَذَا؟» فقال مسلمة: «لأبي مائة عبد يُحَسِّنُونَ مِثْلَ هَذَا» فقال الناس: لم يُصِفْهُ فِي الْجَوَابِ.

وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية.

وأما ما ذكروا في شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهَّمون وللرمح طبقات فمنها (النيزك)^(٦) ومنها (المربوع)^(٧) ومنها (المخموس)^(٨) ومنها (النام) ومنها (الخطل) وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله. فإذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر متمم بن نوبة أخاه مالكا فقال: «كان يخرج في الليلة الصنبرة»^(٩)، عليه الشملة الفلوت^(١٠)، بين المزداتين النضوحين، على الجمل الثفال، معتقل الرمح الخطل قالوا له: وأبيك إن هذا لهو الجلد. ولا يحمل الرمح الخطل منهم

(١) عقلة: يعني أنها تعقل وتحبس صاحبها.

(٢) الجفلة: الانزعاج.

(٣) جاء في نسخة أخرى «التفتخ» بمعنى القهر والإذلال بدلاً من «التفتخ» بمعنى الاسترخاء.

(٤) الترفه: النعمة.

(٥) جرمز الرجل: تقبض الرجل واجتمع بعضه إلى بعض.

(٦) النيزك: الرمح القصير.

(٧) المربوع: هو ما طوله أربعة أذرع.

(٨) المخموس: هو ما طوله خمسة أذرع.

(٩) ليلة صنبر: شديدة البرد.

(١٠) الشملة الفلوت: هي التي لا ينضم طرفاها.

إِلَّا الشَّدِيدُ الْأَيْدِي ^(١) وَالْمُدِلُّ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ عَلَيْهِ الَّذِي إِذَا رَأَاهُ الْفَارَسُ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ هَابٌ وَحَادٌ عَنْهُ، فَإِنْ شَدَّ عَلَيْهِ كَانَ أَشَدَّ لاسْتِخْدَامِهِ ^(٢) لَهُ. وَالْحَالُ الْآخَرَى أَنْ يَخْرُجُوا فِي الْطَلْبِ بِعَقَبِ الْفَارَةِ، فَرَبَّمَا شَدَّ عَلَى الْفَارَسِ الْمُؤَلِّي فِيغُوتُهُ بِأَنْ يَكُونَ رَمَحُهُ مَرْبُوعاً أَوْ مَخْمُوساً وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَعْمِلُونَ الْنِيزَاكَ، وَالنِيزَاكَ أَقْصَرُ الرِّمَاحِ، وَإِذَا كَانَ الْفَارَسُ الْهَارِبَ يَفُوتُ الْفَارَسَ الطَّالِبُ زَجَّهُ بِالنِيزَاكَ، وَرَبَّمَا هَابَ مَخَالِطَةُ فَيَسْتَعْمِلُ الزَّجَّ دُونَ الطَّعْنِ، صَنِيعَ ذَوَابِ الْأَسَدِيِّ بَعْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

[الطويل]

وَأَسْمَرَ خَطِيَا كَأَنَّ كُغُوبَهُ ^(٣) نَوَى الْقَسْبِ ^(٤) قَدْ أَرْمَى ذِرَاعاً عَلَى الْعَشْرِ

وقال آخر:

هَاتِيكَ تَحْمِلُنِي وَأَبْيَضَ صَارِمًا وَمُحَرَّبًا فِي مَارِنٍ ^(٥) مَخْمُوسٍ ^(٦)

[الطويل]

وقال آخر:

تَوَلَّوْا ^(٧) وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ بَوَادِرُ ^(٨) مَرْبُوعَاتُهَا وَطَوَائِلُهَا

وَهُمْ قَوْمٌ، الْغَارَاتُ فِيهِمْ كَثِيرَةٌ. وَبَقَدَرُ كَثَرَةِ الْغَارَاتِ كَثُرَ فِيهِمُ الْطَلْبُ. وَالْفَارَسُ رَبَّمَا زَادَ فِي طَوْلِ رَمَحِهِ لِيُخْبِرَ عَنْ فَضْلِ قُوَّتِهِ، وَيُخْبِرَ عَنْ قَصْرِ سَيْفِهِ لِيُخْبِرَ عَنْ فَضْلِ نَجْدَتِهِ. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

[الكامل]

نَصِلُ السَّيُوفَ إِذَا قُضِرْنَ بِخَطُونَا قُدُمًا وَنُلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقال آخر:

[البسيط]

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطَّبْأَةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

وقال رجل من بني تميم نمير:

[الطويل]

وَصَلْنَا الرِّقَاقَ الْمُرْهَفَاتِ بِخَطُونَا عَلَى الْهُوْلِ حَتَّى أَمَكَّنْتُنَا الْمَضَارِبُ

وقال حميد بن ثور الهلالي:

[الطويل]

وَوَصَلَ الْخُطَا بِالسَّيْفِ وَالسَّيْفُ بِالْخُطَا إِذَا ظَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قَاصِرُ

(١) جاء في نسخة أخرى «الأيد» بدون الياء، ومعناها القوي.

(٢) جاء في نسخة أخرى «لاستخدامه» بدلاً من «لاستخدامه».

(٣) الكعوب: جمع كعب، وهو عقدة قصب الرمح بين كل أنبوبين.

(٤) القسب: تمر يابس قاسي النوى.

(٥) المارن: الصلب المتين.

(٦) المخموس: الرمح الذي طوله خمس أذرع.

(٧) جاء في نسخة أخرى «قولوا» بدلاً من «تولوا».

(٨) جاء في نسخة أخرى «قوادر» بالقاف بدلاً من «بوادر» بالباء.

وقال آخر:

[الرجز]

الطَّاعِنُونَ فِي النُّحُورِ وَالْكُلَى شَزْرًا وَوُصَّالِ السَّيُوفِ بِالْخُطَا
وأما ما ذكروا من اتِّخَاذِ الزَّجِّ لِسَافِلَةِ الرِّمَحِ وَالسَّانِ لِعَالِيَتِهِ، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ
أَخَوَيْنِ فِي نَقَابٍ - تَقُولُ الْعَرَبُ «لَقِيْتَهُ سَقَابًا وَنَقَابًا» أَيِ مُوَاجِهَةٍ - أَحَدَهُمَا بِعَالِيَةِ الرِّمَحِ
وَالْآخَرَ بِسَافِلَتِهِ، وَقَدِّمَ فِي ذَلِكَ رَاكِبٌ مِنْ قَبْلِ بَنِي مَرْوَانَ عَلَى قِتَادَةٍ يَسْتَتِبُ الْخَبَرَ فَأَثْبَتَهُ
لَهُ مِنْ قَبْلِهِ. وَقَالَ الْآخَرُ:

[الرجز]

إِنَّ لِقَيْسٍ عَادَةً تَغْتَادُهَا سَلَّ السَّيُوفِ وَخُطَا تَزْدَادُهَا^(١)
وقد وصفوا السيوف أيضاً بالطول فقال عمار بن عقيل:

[الطويل]

بِكُلِّ طَوِيلِ السَّيْفِ ذِي خَيْرُ رَانَةٍ^(٢) جَرِيٍّ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُعْتَمِدِ الشَّطْبِ^(٣)
وجملة القول أننا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس.
وأما الهند فإنما لهم معانٍ مدونةٌ وكتبٌ مجلدةٌ لا تُضافُ إلى رجلٍ معروفٍ
ولا إلى عالمٍ موصوفٍ. وإنما هي كتبٌ متوارثةٌ وآدابٌ على وجهٍ الدَّهْرِ سَائِرَةٌ
مذكورة.

وللبونانيين فلسفةٌ وصناعةٌ منطق. وكان صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان^(٤)، غيرَ
موصوفٍ بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه. وهم يزعمون أن
جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة.
وفي الفرس خطباءٌ إلا أن كلَّ كلامٍ للفرس وكل معنًى للعجم فإنما هو عن طول
فكرة، وعن اجتهدٍ وخلوة، وعن مشاورةٍ ومعاونة، وعن طولٍ للتفكير ودراسة الكتب،
وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمارُ تلك الفكرِ
عند آخرهم.

قوة البديهة عند العرب في الخطابة:

وكل شيءٍ للعرب فإنما هو بديهة وأرتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناةٌ ولا
مكابدة، ولا إجالة فكرة، ولا استعانة. وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز
يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة والمناقلة،

(١) يقصد أنه قتلها من دون قصد أو تربص.

(٢) خيرزانه: الرمح.

(٣) الشطب من الجياد: ما هو حسن الطلعة منها يمتاز بطوله أيضاً.

(٤) بكيء اللسان: قليل الكلام.

أو عند صراع، أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وَهْمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا^(١)، وتنثال عليه الألفاظ أنثيالاً، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحداً من ولده. وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلمون. وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أفدر وله أقهر. وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع. وخطبائهم أوجز، والكلام عليهم أسهل. وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، أو يحتاجوا إلى تدارس. وليس هم كمن حفظ علم غيره، وأحتذى على كلام مَنْ كان قبله. فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، وألتحم بصدورهم، وأتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد ولا حفظ ولا طلب وإن شيئاً هذا الذي في أيدينا جزء منه لبالمقدار الذي لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب، وعدد التراب، وهو الله الذي يحيط بما كان، والعالم بما سيكون.

ونحن أبقاك الله إذا أدعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز. ومن المنشور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا في اليسير وألنبد القليل.

شك الجاحظ بما ينسب للفرس القدماء من خطب:

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة، إذا كان مثل ابن المقفع وسهيل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير. وأخرى أنك متى أخذت بيد الشعبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلص، ومعدن الفصاحة التامة، ووقفته على شاعر مفلّح، أو خطيب مصقع، علم أن الذي قلت هو الحق، وأبصر الشاهد عياناً، فهذا فرق ما بيننا وبينهم.

نقد الشعوبية:

فتفهّم عني فهّمك الله ما أنا قائل في هذا. وأعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشدّ استهلاكاً لِعِرضه، ولا أطول نصباً، ولا أقل غُثماً، من أهل هذه النحلة. وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراحل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطربة. ولو عرفوا أخلاق كل ملة، وزيّ كل لغة، وعيلهم^(٢) في اختلاف

(١) أرسالاً: أفواجاً متتابعة.

(٢) جاء في نسخة أخرى «على» بدلاً من «في».

إشاراتهم^(١) وآلاتهم، وشمائلهم وهياتهم، وما علته كل شيء من ذلك، ولم أختلفوه^(٢) ولم تكلفوه، لأراحوا أنفسهم، وتخفت مؤنتهم على من خالطهم.

اتخاذ العصا في الخطابة عادة سامية قديمة:

والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم، ومن معدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند، اتخاذ سليمان بن داود صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه العصا لخطبته وموعظته، ولمقاماته وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب. فجعلها لتلك الخصال جامعة، قال الله عز وجل وقوله الحق: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٣) والمنسأة هي العصا. وقال أبو طالب حين قام بدم الرجل الذي ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما في حبل وتجادبا:

[الطويل]

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلِ لَا أَبَاكَ عَلَوْتُهُ بِمِنْسَاءٍ قَدْ جَاءَ حَبْلٌ وَأَحْبُلُ
وقال آخر:

[البيسط]

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاءِ مِنْ كَبِيرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهُوْ وَالْغَزْلُ
قال أبو عثمان: وإنما بدأنا بذكر سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام لأنه من أنبياء العجم. والشعبوية إليهم أميل، وعلى فضائلهم أحرص، ولما أعطاهم الله أكثر وضافاً وذكراً. وقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام، والعلامات الجسام، ما عسى أن يفيد ذلك بعلامات عدة من المرسلين، وجماعة من النبيين. قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرٌ زُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا﴾^(٤) - إلى قوله -: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(٥) فلذلك قال الحسن بن هانئ في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه:

[الطويل]

فَلِإِنْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ فَلِإِنْ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبٍ
ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا؟ ولا عارضهم موسى إلا بعصاه. وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

(١) جاء في نسخة أخرى «إشاراتهم» وهي بمعنى «هياتهم» بدون همزة.

(٢) جاء في نسخة أخرى «اجتلبوه» بدلاً من «اختلفوا».

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٤) سورة طه، الآية: ٦٣.

(٥) سورة طه، الآية: ٦٩.

الْعَلَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِإِثْبَاتٍ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْفَنِي عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُمَيَّنٌ ﴿١﴾ وقال الله عز وجل: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَمَّا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ بِالْعِصِيِّ وَالْجِبَالِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلْجِبَالِ فِي الْوُجُوهِ كَقُدْرَتِهِ عَلَى تَصْرِيفِ الْعَصَا. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُهْزِئُ كَافَّةً جَانًّا وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا خَفَظَ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٤﴾ فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك في تلك العصا، وإنما العصا جزء من الشجرة. وقال الله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٥﴾﴾ وقالت الحكماء: «إِنَّمَا تُبْنَى الْمَدَائِنُ عَلَى الْمَاءِ وَالْكَأِ وَالْمَحْطَبِ» فجمع بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ﴿٦﴾ النجم والشجر والملح والبقل والعشب، فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنن ﴿٧﴾ وما يتسطح، وكل ذلك مرعى. ثم قال على النسق: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ﴿٨﴾ فجمع بين الشجر والماء والكأ والماعون كله، لأن الملح لا يكون إلا بالماء ولا تكون النار إلا من الشجر. وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ﴿٩﴾ وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُشْغَوْنَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتْنًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ والمرح ﴿١١﴾ والعفار ﴿١٢﴾ والسواس ﴿١٣﴾ والعراجين وجميع عيدان النار وكل عود يقدح على طول الاحتكاك فهو غني بنفسه بالغ للمقوي ﴿١٤﴾ وغير المقوي. وحجر المرو يحتاج إلى قراة الحديد وهما يحتاجان إلى العطبة ﴿١٥﴾ ثم إلى الحطب. والعيدان هي القادحة وهي المورية وهي الحطب. قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْءَوْنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ والماعون: الماء والنار والكأ.

(٩) سورة يس، الآية: ٨٠.

(١٠) سورة الواقعة، الآية: ٧٣.

(١١) المرخ: شجر لا ورق فيه ولا شوك.

(١٢) العفار: شجر شبيه بالمرخ.

(١٣) السواس: ضرب من شجر العضاء يقتدح به.

(١٤) المقوي: المسافر النازل في الأرض القفراء.

(١٥) العطبة: القطعة من القطن.

(١٦) سورة الماعون، الآية: ٧.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٠٤ - ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١١٥ - ١١٨.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٤) سورة النازعات، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٣١.

(٦) النجم: هو ما نجم من النبات على غير ساق.

(٧) يتفنن: تتفرع من الأغصان.

(٨) سورة النازعات، الآية: ٣٢.

وقال الأسدِيُّ :

[الكامل]

وَكأنْ أَرْحَلْنَا بِأَرْضِ مُحْصَبٍ بِلَوَى ^(١) عُنِيزَةٍ ^(٢) مِنْ مَقِيلٍ ^(٣) التُّرْمُسِ
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامَى عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهَا لَمْ يَقْبَسِ

وإنما وصف خضب الوادي ولُدونة عيدانه ورُطوبة الورق ، وهذا خلاف قوله : [الطويل]

فَلِإنَّ السَّنَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءُ حَدَّهُ مِنْ الْعَارِ أَوْ يَعْدُو عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ ^(٤)
وَإنَّ الَّذِي يَنْهَاكُم فِي ^(٥) طَلَابِهَا يُنَاغِي ^(٦) نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَةِ الْبُرْدِ
يُعَلِّلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمُرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيرَانُ مِنْ طَرْفِ ^(٧) الزُّنْدِ ^(٨)

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة فقال : ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي

السَّمَاءِ ﴾ ^(٩) وذكر رسول الله ﷺ حرمة الحرم فقال : « لا يَخْتَلِي خِلَافَهَا ، وَلَا يُعْضَدُ

شَجَرُهَا » وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْبَلَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ ^(١٠) وتقول العرب : « ليس

شيء أدفاً من شجرة ، ولا أظل من شجرة » ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة ، وجعل

أكثر آياته في عصاه وهي من الشجرة . ولم يمتحن الله عز وجل صبر آدم وحواء - إذ هما

أصل هذا الخلق وأوله - إلا بشجرة ، ولذلك قال : ﴿ وَلَا نَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١١) وجعل بيعة الرضوان تحت شجرة . وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ

تَبَّتْ بِالدَّهْنِ وَصَبَّغَ لِلْأَكْلِينَ ﴾ ^(١٢) وسدرة المنتهى التي عندها جنَّة المأوى شجرة . وشجرة

سر ^(١٣) تحتها سبعون نبياً لا تعبل ^(١٤) ولا تسرف ^(١٥) . وحين اجتهد إبليس في الاحتيال

لآدم وحواء - عليهما السلام - لم يصرف الحيلة إلا إلى الشجرة وقال : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى

شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ ^(١٦) فيما ضرب من الأمثال بالعصا قالوا قال جميل بن

يصبهري حين شكا إليه أدهاقين شرَّ الحجاج قال : « أخبروني أين مولده » قالوا : « الحجاز »

قال : « ضعيف معجب » قال : « فممنشؤه » قالوا : « الشام » قال : « ذلك شرٌّ » ثم قال : « ما

أحسن حالكم إن لم تبتلوا معه بكاتب منكم ! » يعني من أهل بابل ، فابتلوا براذان فروخ

(١) اللوى : منقطع الرملة .

(٣) المقيبل : مكان الاستلقاء والنوم عند الظهر .

(٥) جاء في نسخة أخرى « عن » بدلاً من « في » .

(٧) طرة البرد : طرف الثوب .

(٩) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٤ .

(١١) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ وسورة الأعراف ، الآية : ١٩ .

(١٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٠ .

(١٤) لا تعبل : لا تسقط ورقها .

(١٦) سورة طه ، الآية : ١٢٠ .

(٢) عنيزة : اسم لمكان بين مكة والبصرة .

(٤) الأسد الورد : الأسد ذو الجلد الأحمر .

(٦) يناغي : يغازل .

(٨) الزند : عود تقدح به النار .

(١٠) سورة الصافات ، الآية : ١٤٦ .

(١٣) سر : قطع سراره .

(١٥) سرفت : أصابها الدود .

الأعور. ثم ضرب لهم مثلاً فقال: إن فأساً ليس فيه عودٌ ألقى بينَ الشجر، فقال بعض الشجر لبعض «ما ألقى هذا هاهنا لخير» قال: فقالت شجرة عادية: «إن لم يدخل في أست هذا منكن عودٌ فلا تخفنه» وقال يزيد بنُ مفرغ: [مجزوء الكامل]

العَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةُ
قالوا أخذه منَ الفلتانِ الفهميِّ حيث قال: [مجزوء الكامل]

العَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ
وقال مالك بن الريب: [مجزوء الكامل]

العَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ يَكْفِيهِ الْوَعِيدُ
وقال بشار بن برد: [الرجز]

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وقال آخر: [مجزوء الكامل]

حَاوَلْتُ^(١) حِينَ صَرَمْتَنِي وَالْمَرْءُ يَعْجَزُ لَا مَحَالَةَ
وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالْفَتَى وَالِدَّهْرُ أَرْوَعُ مِنْ ثَعَالِهِ^(٢)
وَالْمَرْءُ يَكْسِبُ مَالَهُ بِالشُّحِّ يُورِثُهُ الْكِلَالَةُ^(٣) وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَقَالَةُ
وَالْعَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا

ومِمَّا يدخل في باب الانتفاع بالعصا أن عامر بن الطرب العدواني حكم العرب في الجاهلية لما أَسَنَ وأعتراه النسيان أمر أبنته أن تقرع بالعصا إذا هو فة^(٤) عن الحكم وجار عن القصد، وكانت من حكيماوات بنات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس بن مليل الأياديين، وكان يقال لعامر: ذو الجِلْم، ولذلك قال الحارث بن وَعْلَة:

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنْ نَ الْعَصَا قُرْعَتْ لِذِي الْجِلْمِ
وقال المتلمس: [الخفيف]

لِذِي الْجِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
[الطويل]

(١) جاء في نسخة أخرى «فاحتلت» بدلاً من «حاولت».

(٢) ثعالة: اسم علم لأنثى الثعلب.

(٣) الكلاله: هم الورثة من الأقرباء إذا لم يترك المتوفى أبناء يرثونه.

(٤) فة: نسي.

وقال الفرزدق بن غالب:

[الطويل]

فَإِنْ كُنْتُ أَنْسَانِي^(١) حُلُومٌ مُجَاشِعٍ فَإِنَّ الْعَصَا كَانَتْ لِذِي الْحِلْمِ تُفْرَعُ
ومن ذلك حديث سعيد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وأعتزام الملك على
قتل أخيه إن هو لم يُصَبِّ ضميره فقال له سعيد: «أَبَيْتُ أَلْعَنَ، أَدْعُنِي حَتَّى أَقْرَعَ بِهِذِهِ
الْعَصَا أَخْتَهَا؟» فقال له الملك: «وما علمه بما تقول العصا» ففرع بها وأشار بها مرة ثم
رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فأخبره ونجاً مِنَ الْقَتْلِ .
وذكر العصا يجري عندهم في معانٍ كثيرة، تقول العرب: «العصا مِنَ الْعَصْبِيَّةِ،
وَالْأَفْعَى بِنْتُ حِيَّةٍ» تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير. ويُقال: «طارت عصا
فلان شققاً» وقال الأسدي:

[الوافر]

عَصِيَّ الشَّمْلِ مِنْ أَسَدٍ أَرَاهَا قَدْ أَنْصَدَعَتْ كَمَا أَنْصَدَعَ الزَّجَاجُ
يقال: «فلا شقَّ عصا المسلمين» ولا يقال: شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه
أسم الشق. وقال العتابي في مديح بعض الخلفاء:

[الطويل]

إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ تَضُمُّ بَنَانُهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعٌ مِنَ الْبَرْيِ عُودُهَا
وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ^(٢) طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
وقال المضرس الأسدي:

[الطويل]

وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ
وقال المضرس أيضاً:

[الطويل]

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ بَيْضُ مَحَافِرِهِ
يقال لبني أسد: «عبيد العصا» يعني أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء. قال
بشر بن أبي حازم^(٣):

[الطويل]

عَبِيدُ الْعَصَا لَمْ يَتَّقُوا بِذِمَّةٍ سِوَى شَيْبِ سَعْدٍ إِنَّ شَيْبَكَ^(٤) وَاسِعٌ

(١) جاء في نسخة أخرى «كنت استأني» بدلاً من «كنت أنساني».

(٢) هو: مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي: شاعر جاهلي. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٢٩٢.

(٣) هو: بشر بن (أبي حازم) عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة، قتل في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٨٦.

(٤) جاء في نسخة أخرى «سيب سعدى إن سيبك» بدلاً من شيب سعدٍ إن شيبك».

وتُسَمَّى الْعَرَبُ كُلُّ صَغِيرِ الرَّأْسِ «العصا». وكان عمر بن هبيرة صغير الرأس. قال
سويد بن الحارث:

[الطويل]

فَمَنْ مُبْلَغُ رَأْسِ الْعَصَا أَنْ بَيْنَنَا ضَعَائِنَ لَا تُنْسَى وَإِنْ قَدَمَ الدَّهْرُ
وقال آخر:

[الطويل]

فَمَنْ مُبْلَغُ رَأْسِ الْعَصَا أَنْ بَيْنَنَا ضَعَائِنَ لَا تُحْصَى ^(١) وَإِنْ قِيلَ سَلَّتْ
رَضِيَتْ لِقَيْسٍ بِالْقَلِيلِ وَلَمْ تَكُنْ أَخَا رَاضِيًا لَوْ أَنَّ نَعْلَكَ زَلَّتْ

وكان والبة صغير الرأس، فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورؤوس قومه:

[الطويل]

رُؤُوسُ عِصِيٍّ كُنَّ مِنْ عُودِ أَثْلَةٍ ^(٢) لَهَا قَادِحٌ يَفْرِي ^(٣) وَآخِرُ مُجْرِبٍ
والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصر في مجالسهم كما يتخذون القنا والقسي
في المحافل قول الشاعر في بعض الخلفاء:

[البسيط]

فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحُهَا عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَاحٍ فِي عِزِّهِ شَمَمٌ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
وقال الآخر:

[الطويل]

مَجَالِسُهُمْ خَفُضَ الْحَدِيثِ وَقَوْلُهُمْ إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَحْيُ الْمَخَاصِرِ
وقال الأنصاري:

[الطويل]

يُصِيبُونَ فَضْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ
قال: وحدثني بعض أصحابنا قال: كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر،
وكان لبُثْنًا عنده يطول، فقال له بعضنا: إن رأيت أن تجعل لنا أمانة إذا ظهرت لنا
حفظنا ^(٤) ولم نتعبك بالقيود فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذي قلنا لك فقال:
أمانة ذلك أن أقول: «إذا شئتم» وقيل ليزيد ذلك فقال: إذا قلت: «على بركة الله» وقيل
لعبد الملك مثل ذلك فقال: «إذا ألقى الخيزرانة من يدي» قالوا: فأَيُّ شيء تجعل لنا
أصلحك الله؟ قال: إذا قلت: «يا غلام، الغداء». وفي الحديث أن رجلاً ألح على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في طلب بعض المغنم ويده مخرصة فدفعه بها فقال: «يا

(١) جاء في نسخة أخرى «لا تنسى» بدلاً من «لا تحصى».

(٢) الأثلة: شجرة الطرفاء.

(٣) جاء في نسخة أخرى «يبري» بالباء بدلاً من «يفري» بالفاء.

(٤) جاء في نسخة أخرى «خففنا عنك» بدلاً من «حفظنا».

رسول الله أَقْصَنِي^(١) فلما كشف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له عن بطنه احتضنه وقبّل بطنه . وفي تثبيت شأنِ الْعِصِيِّ وتعظيم أمرها وألطن على ذمّ حاملها قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشر خِصَال : أولُها السَّوَاد وهو سرار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : «إِذْ نَكَحَ عَلِيٌّ أُمَّ ابْنِ أَبِي قُحَيْشٍ وَتَسْمَعُ سَوَاكِي» وكان معه مسواك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت معه عصاه . قال : ودخلَ عمرُ بُنْ سَعْدٍ على عمرَ بن الخطاب حين رجع إليه من عمل جُمُصَ - وليس معه إِلَّا جِرَابٌ وإِدَاوَةٌ^(٢) وقصعة وعصاه - فقال له عمر : «ما الذي أرى بك من سوء الحال أم تصنع؟» قال : «وما ألدّي تراني ، أو لست تراني صحيح البدن ، معي الدنيا بحذافيرها؟» قال : «وما معك من الدنيا؟» قال : «معي جراحي أحمل فيه زادي ، ومعني قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعني إدوتي أحمل فيها مائي لشرابي ، ومعني عصاي إن لقيتُ عدوًّا قاتلتُه وإن لقيت حية قتلتها ، وما بقي من الدنيا فهو تبع لِمَا معي» .

وقال الهيثم بن عدي عن الشرقي بن القطامي وسأله سائل عن قول الشاعر :
[البيط]
لَا يَعْدِلُنْ أَتَاوِيُونَ^(٣) - تَضْرِبُهُمْ نَكْبَاءُ^(٤) صِرُّ^(٥) - بِأَصْحَابِ الْمَحَلَّاتِ
قال : أليس المحلات : الدلو والمقدحة والقربة والفأس . قال : فأين أنت عن العصا ، والصُفْنِ^(٦) خير من الدلو أجمع . وقال النمر بن تولب :

[البيط]
أَفْرَغْتُ فِي حَوْضِهَا صُفْنِي لِتَشْرِبَهُ فِي دَائِرِ خَلْقِ الْأَعْضَاءِ أَهْدَامِ^(٧)
وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسي كلّه بخصالها لفعلت .

وتقول العرب في مديح الرجل الْجَلْدِ الَّذِي لَا يَفْتَأُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ : «ذلك الفحل لا يُقَرِّعُ أَنْفَهُ» وهذا كلام يقال للخطاب إذا كان على هذه الصفة . لأنَّ الْفَحْلَ اللَّئِيمَ إذا أراد الضَّرَابَ ضرب أنفه بالعصا . وقد قال ذلك أبو سفيان بن حرب بن أمية عندما بلغه من تزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأم حبيبة وقيل له : مثلك تُنَكِّحُ نِسَاؤَهُ بغير إذنه فقال : «ذلك الفحل لا يُقَرِّعُ أَنْفَهُ . وَالْحِمَارُ الْفَارَهُ يُفْسِدُهُ الصَّوْتُ وَتُصْلِحُهُ الْمِقْرَعَةُ» وأنشد لسلامة بن جندل :

[البيط]
إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارْخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ^(٨)

(١) أَقْصَنِي : أي أمكني من الاقتصاص منك . (٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الأتاويون : الغرباء عن أوطانهم .

(٤) النكباء : الريح المنحرفة عن مهب مسار الرياح الأربعة ، فتقع بين ريحين منها .

(٥) الضّرّ : البرد الشديد .

(٦) الصفن : وعاء للوضوء .

(٨) الظنوب : حرف عظم الساق .

(٧) الأهدام : الأثواب البالية .

وقال الحجاج: «وَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلَمَةِ. ولَأُضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَابِ الْإِبِلِ؟» وذلك لِأَنَّ الْأَشْجَارَ تَعْصِبُ أَغْصَانَهَا ثُمَّ تَخْبِطُ بِالْعَصِيِّ لِسُقُوطِ الْوَرَقِ وَهَسَمِ الْعِيدَانِ. ودخل أبو مجلز على قتيبة بخراسان وهو يضرب رجلاً بِالْعَصِيِّ فقال: «أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَوَقَّتَ فِيهِ وَقْتًا، فَالْعَصِيُّ لِلْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ، وَالسِّيَوطُ لِلْحُدُودِ وَالْتَعْزِيرِ، وَالْدَّرَّةُ لِلْأُدْبِ، وَالسِّيفُ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ وَالْقَوْدِ». ثم قال الشرقي: «دَعْنَا مِنْ هَذَا، خَرَجْتَ مِنَ الْمَوْصِلِ وَأَنَا أُرِيدُ الرِّقَّةَ مُسْتَخْفِيًا - وَأَنَا شَابٌ خَفِيفُ الْحَالِ - فَصَحْبَنِي مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ فَتَى مَا رَأَيْتُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، فَذَكَرَ أَنَّهُ تَغْلِبِيٌّ مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ كَلْثُومٍ، وَمَعَهُ مِزْوَدٌ وَرُكُوءٌ وَعَصَا، فَرَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُهَا وَطَالَتْ مَلَازِمَتُهُ لَهَا، فَكِدْتُ مِنَ الْغَيْطِ عَلَيْهِ أُرْمِي بِهَا فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ، فَكُنْتُ نَمْشِي فَإِذَا أَصْبْنَا دَوَابَّ رَكِبْنَاهَا وَإِذَا لَمْ نُضِبِ الدَّوَابَّ مَشِينَا فَقُلْتُ لَهُ فِي شَأْنِ عَصَاهُ، فَقَالَ لِي: إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ حِينَ أَنْسَ مِنْ جَانِبِ أَلْطُورِ نَارًا وَأَرَادَ الْأَقْتِبَاسَ لِأَهْلِهِ مِنْهَا لَمْ يَأْتِ النَّارَ مِنْ مِقْدَارِ تِلْكَ الْمَسَافَةِ الْقَلِيلَةِ إِلَّا وَمَعَهُ عَصَاهُ، فَلَمَّا صَارَ بِالْوَادِي الْمَقْدَسِ مِنَ الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ قِيلَ لَهُ: أَلْقِ عَصَاكَ وَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ. فَرَمَى نَعْلَيْهِ رَاغِبًا عَنْهُمَا حِينَ نَزَا اللَّهُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ عَنِ الْجِلْدِ غَيْرِ الذَّكِيِّ، وَجَعَلَ اللَّهُ جَمَاعَ أَمْرِهِ مِنْ أَعَاجِيْبِهِ وَبِرَهَانَاتِهِ فِي عَصَاهُ، ثُمَّ كَلَّمَهُ مِنْ جَوْفِ شَجَرَةٍ وَلَمْ يَكْلُمْهُ مِنْ جَوْفِ إِنْسَانٍ وَلَا جَانٍ، قَالَ الشَّرْقِيُّ: «إِنَّهُ لِيَكْثُرُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنِّي لِأَضْحَكُ مَتَهَاوِنًا بِمَا يَقُولُ، فَلَمْ بَرَزْنَا عَلَى حِمَارِنَا تَخَلْفَ الْمُكَارِي، فَكَانَ حِمَارُهُ يَمْشِي فَإِذَا تَلَكَّأَ أَكْرَهَهُ بِالْعَصَا، وَكَانَ حِمَارِي لَا يَنْسَاقُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِي شَيْءٌ يُكْرَهُهُ، فَسَبَقَنِي الْفَتَى إِلَى الْمَنْزِلِ فَاسْتَرَحَ وَأَرَاخَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْبِرَاحِ، حَتَّى وَافَانِي الْمُكَارِيُّ فَقُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ. فَلَمَّا أَرَدْنَا الْخُرُوجَ مِنَ الْغَدِ لَمْ نَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ نَرْكَبُهُ، فَكُنَّا نَمْشِي، فَإِذَا أَعْيَا تَوَكَّأَ عَلَى الْعَصَا، وَرَبَّمَا أَحْفَرُ^(١) وَوَضَعَ الْعَصَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا وَمَرَّ كَأَنَّهُ سَهْمٌ، وَأَلَحَّ حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ وَقَدْ تَفْسَخْتُ مِنَ الْكَلالِ، وَإِذَا فِيهِ فَضْلٌ كَبِيرٌ، فَقُلْتُ هَذِهِ ثَانِيَةٌ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ - وَنَحْنُ نَمْشِي فِي أَرْضِ ذَاتِ أَخَاقِيقَ^(٢) وَصَدُوعَ - إِذْ هَجَمْنَا عَلَى حَيَّةٍ مَنَكْرَةٍ فَسَاوَرْتُنَا^(٣)، فَلَمْ تَكُنْ عِنْدِي حِيلَةٌ إِلَّا خَذْلَانَهُ وَإِسْلَامَهُ إِلَيْهَا وَالْهَرَبَ مِنْهَا، فَضَرَبْتُهَا بِالْعَصَا، فَتَقَلَّتْ، فَلَمَّا بَهَشَتْ لَهُ^(٤) وَرَفَعَتْ صَدْرَهَا ضَرَبْتُهَا حَتَّى وَقَذَّهَا^(٥)، ثُمَّ ضَرَبْتُهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، قُلْتُ: هَذِهِ ثَالِثَةٌ وَهِيَ أَعْظَمُهُنَّ. فَلَمَّا خَرَجْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَاللَّهُ قَرُمْتُ^(٦) إِلَى اللَّحْمِ، وَأَنَا

(١) جاء في نسخة أخرى «أحضر» بالضاد بدلًا من «أحفر» بالفاء.

(٢) الأخاقيق: الشقوق في الأرض.

(٣) ساورتنا: واثبتنا.

(٤) بهشت له: أقبلت عليه.

(٥) وقذها: أشرفت على الموت من شدة الضربة.

(٦) قرمت: اشتدت شهوتي إلى أكل اللحم.

هارب مُعْدَم، إذا أَرْنَبْ قد أَعْتَرَضَتْ فحذفها فما شَعُرْتُ واللَّهِ إِلَّا وهي معلقة وأدركنا ذكاتها^(١) فقلت هذه رابعة. وأقبلت عليه فقلت له: لو أن عندنا ناراً لما أَخَرْتُ أكلها إلى المنزل، قال: فإن عندك ناراً، فأخرج عويداً من مزوده ثم حكه بالعصا فأوردت إبراء المَرخُ^(٢) والعَفَارُ^(٣) عنده لا شيء، ثم جمع ما قَدِرَ عليه مِنَ الْعُثَاءِ^(٤) وَالْحَشِيشِ وأوقد ناره وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها - وقد لَزِقَ بها مِنَ الرَّمَادِ والتراب ما نَعَصَهَا إِلَيَّ - فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جُنوبها وأعراضها ضَرْباً رقيقاً حتى انتثر كل شيء عليها، فأكلناها وسكن الْقُرْمُ وطابت أَلْفَسُ، فقلت هذه خامسة. ثم إننا نزلنا ببعض الخانات وإذا البيوت ملأى رَوْثاً وتراباً، ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم، فلم نجد مَوْضِعاً نَظُلَ فيه، فنظر إلى حديدة مسحاة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصاباً لها، ثم قام فجرب جميع ذلك الروث والتراب وجَرَدَ الأرض بها جَرْداً حتى ظهر^(٥) بياضها وطابت ريحها، فقلت هذه سادسة. وعلى أي حال لم تطب نفسي أن أضع طعامي وثيابي على تلك الأرض، فنزع وَاللَّهِ الْعَصَا من حديدة المسحاة فوتدها في الحائط وعلق ثيابي عليها، فقلت: هذه سابعة. فلَمَّا صِرْتُ إلى مفرق الطرق وأردت مفارقتها قال لي: لو عدلت معي فَبِتَّ عندي كنت قد قضيت حقَّ الصَّحبة، والمنزل قريب. فعدلت معه، فأدخلني في منزل يتصل ببيعة، قال: فما زال يحدثني ويطرفني ويلطفني اللَّيْلَ كُلَّهُ، فلَمَّا كان السَّحَرُ أَخَذُ خَشْبَةً ثم أخرج تلك العصا بعينها ففرعها بها فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس بضربه، فقلت له: ويلك أما أنت مسلمٌ وأنت رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم؟ قال: بلى. قلت: فلمَ تضرب بالناقوس؟ قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إن أبي نصراني، وهو صاحب البيعة، وهو شيخ ضعيف، فإذا شهدته برزته بالكفاية. وإذا هو شيطان مارد، وإذا أظرف الناس كلهم وأكثرهم أدباً وطلباً. فخبرته بالذي أحصيته من خصال العصا بعد أن كنت هممتُ أن أرمي بها. فقال: واللَّهِ لو حدثتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لَمَّا أَسْتَفْدَنْتَهَا.

ومن جميل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق:

تفسيرُ شعر غنية الأعرابية في شأن ابنها، وذلك أنها كان لها ابنٌ شديد العرامة^(٦) كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر^(٧) ودقة عظم، فوائب مرة فتى من الأعراب، فقطع ألفتى أنفه، وأخذت غنيَّة دِيَّة أنفه، فحسنتُ حالها بعد فقر مُدَقِّع. ثم وائب آخر، فقطع

(١) ذكاتها: ذبحها.

(٢) المَرخ: ضرب من الشجر سريع الاحتراق.

(٣) العَفَار: ضرب من الشجر سريع الاحتراق.

(٤) العُثَاء: ما جف من ورق الشجر.

(٥) جاء في نسخة أخرى «ذهب» بدلاً من «ظهر».

(٦) العرامة: الشدة مع شراسة.

(٧) يقصد بذلك أنه ضعيف البنية.

أذنه فأخذتِ الدِّية، فزادت دية أذنه في المال وحسَّن الحال. ثم واثب بعد ذلك آخر، فقطع شفته. فلمَّا رأت ما قد صار عندها مِنَ الإبل والغنم والمتاع والكسْب بجوارح أبنها حسنَ رأيها فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها:

[الرجز]

أَحْلِفُ بِالْمَرْوَةِ يَوْمًا وَالصِّفَا أَنْكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا
فقيل لابن الأعرابي: ما تفاريق العصا؟ قال: العصا تقطع ساجوراً^(١) وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً، ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظا^(٢)، فإن كان رأس الشظا كالفلكة^(٣) صار للبختي^(٤) مهاراً - وهو العود الذي يدخل في أنف البختي -، وإذا فرق المهار جاءت منه تواد^(٥).

وأسواجير تكون للكلاب والأخرى مِنَ الناس. وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِنَاسٍ مِنْ هَاهُنَا يُقَادُونَ إِلَى حِظْوِظِهِمُ السَّوَاجِيرَ».

وإذا كانت قناة فكل شقة منها قوس بندق، قال: فَإِنْ فُرِّقَتِ الشَّقَّةُ صَارَتْ سِهَاماً فَإِنْ فُرِّقَتِ السَّهَامُ صَارَتْ حِظَاءً - وهي سِهَامٌ صَغَارٌ - قَالَ الطَّرْمَاحُ:

أَكَلَبٌ كَحِظَاءِ الْغَلَامِ

والواحدة: حظوة^(٦) وسروة^(٧) فَإِنْ فُرِّقَتِ الْحِظَاءُ صَارَتْ مِغَازِلَ^(٨) فَإِنْ فُرِّقَتِ الْمِغْزَلُ شَعَبٌ بِهِ الشَّعَابُ^(٩) أَقْدَاحُهُ الْمَصْدُوعَةُ الْمَشْقُوقَةُ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِدُ لَهَا أَصْلَحَ مِنْهَا. وقال الشاعر:

[الطويل]

نَوَافِدُ أَطْرَافِ الْقَنَا قَدْ شَكَّكْتُهُ كَشَّكَكَ بِالشَّعْبِ الْإِنَاءُ الْمُثَلَّمَا
فإذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها مِنَ المنافع الكبار والمرفاق الأوسط والصغار ما لَا يُحْصِيهِ أَحَدٌ. وإذا فُرِّقَتِ ففيها مثل الذي ذكرنا وأكثر. فأَيُّ شَيْءٍ يَبْلُغُ فِي الْمَرْفَقِ وَالرَّدِّ مَبْلَغَ الْعَصَا. وفي قول موسى عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلِي فِيهَا مَعَارِبٌ أُخْرَى﴾^(١٠)

(١) الساجور: خشبة توضع في عنق الكلب.

(٢) الشظا: هي خشبة معقوفة الرأس تدخل في الجوالق.

(٣) الفلكة: هي كل مستدير من الأشياء.

(٤) البختي: ضرب من الجمال الخراسانية.

(٥) التواد: خشبات صغار قصُرَ بها أخلاف الناقة.

(٦) الخطوة: هو من السهام، الصغير طوله قدر ذراع.

(٧) السرو: ضرب من السهام الصغيرة القصيرة.

(٨) المغازل: هي عمد النورج.

(٩) الشعاب: صانع يعمل على رَأْبِ صَدْعِ الْأَوَانِي الفخارية.

(١٠) سورة طه، الآية: ١٨.

دليل على كثرة المرافق فيها، لأنه لم يقل: ولي فيها مآرب أخرى والمآرب كثيرة، فالذي ذكرنا قبل هذا داخل في تلك المآرب. ولا نعرف شعراً يشبه معنى شعر غنية بعينه لا يغادر منه شيئاً، ولكن زعم أصحابنا أن أعرابيين ظريفيين من شياطين الأعراب حطمتهما السنة فأنحدرا إلى العراق وأسّم أحدهما (حيدان) فبينما هما يتماشيان في السوق فإذا فارس قد أوطأ دابته رجل حيدان فقطع إصبعاً من أصابعه، فتعلقا به حتى أخذاه منه أرش الإصبع^(١) - وكانا جائعين مقرورين - فحين صار المال في أيديهما قصدا لبعض الكرايج^(٢) فابتاعا من الطعام ما أشتهيا. فلما أكل صاحب حيدان فشيع أنشأ يقول:

[الطويل]

فَلَا غَرَتْ مَا كَانَ فِي النَّاسِ كُرْبُجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رَجُلٍ حَيْدَانٌ إِصْبَعٌ
وهذا الشعر وشعر غنية من المظرف الناصع الذي سمعت به، وظرف الأعراب لا يقوم له شيء.

وناس كثير لا يستعملون في القتال إلا العصا^(٣). منهمم الزنج: قبيلة كنجوبة^(٤) والنمل والكلاب وتكفوا وثبتوا على ذلك يعتمدون في حروبهم. ومنهمم الأنبط ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة. وأثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلت بالعصي. وقاتل المخارجات^(٥) كلها بالعصي، ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن، ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب والناس يضربون المثل بقتال البقار بقناته. ويقال في المثل: «ما هو إلا ابنه»^(٦) عصا، وعقدة رشا^(٧) ويقال للراعي: «إنه لضعيف العصا» إذا كان قليل الضرب بها للإبل: شديد الإشفاق عليها.

وقال الراعي:

[الطويل]

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ
وَإِذَا كَانَ الرَّاعِي جَلْدًا قَوِيًّا عَلَيْهَا قَالُوا: «صَلْبُ الْعَصَا» وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّاجِزُ:
صَلْبُ الْعَصَا بَاقٍ عَلَى أَذَاتِهَا

وقال الآخر في معنى الراعي:

لَا تَضْرِبَاهَا وَأَشْهَرَا الْعِصِيَّا

(٢) الكرايج: الحوانيت.

(١) أرش الإصبع: ديته.

(٣) جاء في نسخة أخرى «العصي» بالجمع.

(٤) جاء في نسخة أخرى «قبيلة ولنجوبة» بالنون بدلاً من «قبيلة كنجوبة».

(٥) المخارجات جمع مفردة «مخارجة» وهم المناهضون للسلطة.

(٧) الرشاء: الحبل.

(٦) الابنة: العقدة.

ويقولون: «قد أقبل فلانٌ ولأنت عصاه» إذا أصابه السوف^(١) فرجع وليس معه إلا عصاه، لأنه لا يفارقتها كانت له إبل أم لا^(٢). ويقولون: «كلما قرعت عصا بعصا، وعصا على عصا، وعصا عصا - قالوا - أخذوا فلاناً بذلك» وقال حميد بن ثور:

[الكامل]

الْيَوْمَ تُنْتَزَعُ الْعَصَا مِنْ رَبِّهَا وَيَلُوكُ ثَنِي لِسَانِهِ الْمُنْطِيقُ
ويكتب مع قوله:

[الرجز]

تَخْشَى الْعَصَا وَالزَّجْرَ إِنْ قِيلَ حَلِ^(٣) يُرْسِلُهَا التَّغْمِيزُ^(٤) إِنْ لَمْ تُرْسَلِ
وقال آخر:

[الرجز]

هَذَا وَوَرْدُ بُزْلٍ^(٥) وَسُدُسٍ^(٦) يُغْلِي^(٧) بِهَا كُلُّ مُسِيمٍ^(٨) مُرْغَسٍ^(٩)
رُدَّتْ مِنَ الْعَوْرِ وَأَكْنَفِ الرَّسِيِّ^(١٠) مِنْ عُسْبٍ أَحْوَى^(١١) وَحَمْضٍ^(١٢) مُورِسٍ^(١٣)
وَذَائِدٍ جَلْدِ الْعَصَا وَكُهْمَسٍ^(١٤) إِنْ قِيلَ قُمْ قَامَ وَإِنْ قِيلَ أَجْلِسْ
دَاسَتْ سِمَاطِي^(١٥) عَفِرَ مُدْعَسٍ^(١٦)

ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول بشامة بن حزين النهشلي:

[الطويل]

فَدَى لِرِعَاءٍ بِالْبُحَيْرَةِ^(١٧) دَبَبُوا^(١٨) بِأَعْصِيهِمْ وَالْمَاءَ بَرْدُ الْمَشَارِبِ
تَأَلَى^(١٩) نَعِيمٌ لَا تَجُوزُ بِحَوْضِهِ فَقُلْتُ تَحَلَّلْ يَا نَعِيمَ بْنَ قَارِبِ
فَإِنْ زِيَادًا لَمْ يَكُنْ لِرُدِّهَا وَسَبْرَةَ عَنْ مَاءِ التَّضْيِجِ^(٢٠) الْمُقَارِبِ

(٢) جاء في نسخة أخرى «تكن» بدلاً من «لا»

(٤) التغميز: الركوب على عجل وعمى.

(٦) السُدُس: من الجمال ما لم تبلغ سن البازل.

(٨) المسيم: الموكل بتسريح الإبل في المراعي.

(١) السوف: هلاك المال والناس.

(٣) حل: صوت تزجر به الإبل.

(٥) البازل من الجمال: ما يزل نابه.

(٧) يغلي: اشتراه بثمن مرتفع.

(٩) المرغس: الناعم البال.

(١٠) الرسي: هو ما يشب من أعمدة في وسط الخيمة.

(١١) الأحوى: هو ما خالط خضرة نباته سواد أو صفار.

(١٢) الحمض: هو مما تحب أكله الإبل من ثمار.

(١٤) جاء في نسخة أخرى «دلهمس» ومعناه «الجريء» بدلاً من «كهمس» ومعناه «رجل قصير».

(١٥) السمطان: جانبا الطريق.

(١٦) المدعس: الطريق السالكة التي داستها الإبل بأخفافها.

(١٧) جاء في نسخة أخرى «بالنحية» بالنون اسم واد.

(١٨) جاء في نسخة أخرى «دببوا» بالذال، ومعناه «الطرد» بدلاً من «دببوا» بالذال.

(١٩) تألى: أقسم.

(٢٠) التضج: الحوض.

أَعْرَكَ أَنْ جَاءَتْ ظِمَاءٌ وَبَاشَرَتْ
تَنَاوَلْنَ مَا فِي الْحَوْضِ ثُمَّ أَمْتَدِيْنَهُ ^(٢)
بَاعْنَاقِهَا بَرْدَ النَّصَابِ الصُّبَا صَبِ ^(١)
بَجِذْعٍ وَأَعْنَاقِ طِوَالِ الدَّوَائِبِ

ويقولون: فلان «ضعيف العصا» إذا كان لا يستعمل عصاه. ولذلك قال البعيث:

وَأَنْتَ بِذَاتِ السِّدْرِ مِنْ أُمِّ سَالِمٍ
وَقَالَ الْآخَرُ:
ضَعِيفُ الْعَصَا مُسْتَضْعَفٌ مُتَهَضِّمٌ ^(٣)

[الطويل]

وَمَا صَادِيَاتٌ ^(٤) حُمْنٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً
لَوَائِبُ ^(٦) لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ بِوَجْهَةٍ ^(٧)
عَلَى الْمَاءِ يَخْشَيْنَ الْعِصِيَّ حَوَانِي ^(٥)
وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي
يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ
بِأَوْجَعٍ مِنِّي جُهْدَ شَوْقٍ وَغُلَّةٍ
وَقَالَ الْآخَرُ:

[الطويل]

فَمَا وَجَدُ مِلْوَاحٍ ^(٩) مِنْ الْهِيمِ ^(١٠) حُلْتُ ^(١١)
تَحُومٌ وَتَغْشَاهَا الْعِصِيُّ وَحَوْلَهَا
عَنِ الْمَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلَّصَلُ ^(١٢)
أَقَاطِعُ أَنْعَامٍ تَعْلُ ^(١٣) وَتَنْهَلُ ^(١٤)
إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَتْنِي أَتَجَمَلُ
وَيَقَالُ: «ضرب فلان ضربَ غرائبِ الإبل» وهي تُضْرَبُ عند ألهرب وعند الخلَاط
وعند الحوض أشدَّ الضرب. وقال الحارثُ بْنُ صخر:

[الطويل]

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ
وَقَالَ الْآخَرُ:

[الرجز]

لِلْهَامِ ضَرَابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ^(١٥)
ضَرْبَ الْمُزِيدِ غَرَبَ النَّوَاهِلِ

(١) الضُّبَابُ: هو ما اشتدَّ وغلظ.

(٢) جاء في نسخة أخرى «امترينه» بمعنى أخرجته من البئر بدلاً من «امتدنيه» بمعنى أرسلت الجمال للرعي.

(٣) المتهضم: من أكل حقه ظلمًا، فبان ذلك في ملامح وجهه.

(٤) الصاديات: العطاش.

(٥) الحواني: المائلات نحو ما هن بحاجة إليه من ماء.

(٦) اللوائب: الحائطات على الحوض لشدة عطشهن.

(٧) جاء في نسخة أخرى «لوجهه» باللام.

(٨) رواني: سامعات.

(٩) المِلْوَاح: السريع العطب من الحيوان.

(١٠) الهيم: العطاش.

(١١) حُلْتُ: منعت.

(١٢) يتصلصل: يصدر صوتاً من جوفه لشدة عطشه.

(١٣) تعل: تعاود الشرب مرة ثانية.

(١٤) تنهل: تشرب للمرة الأولى.

(١٥) المناصل: السيوف.

وقال ابن أحرر:

[الكامل]

رَوْدٌ^(١) الشَّبَابِ كَأَنَّهَا غُضُنٌ بِحَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضُرُّ

وقال الآخر:

[الرجز]

أَمَّا تَرَيْنِي قَائِمًا فِي جُلٍّ^(٢) جَمِّ الْفُتُوقِ خَلَقِ^(٣) هَمَلٍ^(٤)
مُحَاذِرًا أَبْغَضَ عَنْ تَحْتَلٍّ عِنْدَ أَعْتِلَالِ دَهْرِكَ الْمُعْتَلِّ
فَقَدْ أَرَى فِي الْيَلَمَقِ^(٥) الرِّفْلَ أَصَوْنَ لِلْإِنْسِ جَمِيلَ الدَّلِّ
لَدُنَّا كَحُوطٍ^(٦) أَلْبَانَةِ الْمَبْتَلِّ

وتكون العصا محراثا، وتكون مِخْصرة، وتكون المِخْصرة قضيب حَبْرَة، وعود ساجور، ثم تكون تودية. ويقال للرجل إذا كانت فيه ابنة: «فلان يخبأ العصا». وقال الشاعر:

[الرجز]

زَوْجُكَ زَوْجٌ صَالِحٌ لَكِنَّهُ يَخْبَأُ الْعَصَا
وفي الأمثال: «تحذفه بالقول كما تحذف الأرنب بالعصا». وقال إياس بن قتادة العبشمي:

[الطويل]

سَأَنْحَرُ أَوْلَاهَا وَأَحْذِفُ بِالْعَصَا عَلَى إِثْرِهَا إِنِّي لِمَا قُلْتُ عَازِمٌ
وقال ابن كناسة في شرط الراعي على صاحب الابل: «ليس لك أن تذكر أُمِّي بخير ولا شر، ولك حذف بالعصا عند غضبك أصَبْتُ أم أخطأت، ولي مقعدي من النار وموضع يدي من الحار والقار» كان العتبي يُحَدِّثُ في هذا بحديثين أحدهما: قوله عن الأعرابي: «وكان إذا خرست الألسن عن الرأي حذف بالصواب كما تحذف الأرنب بالعصا». وأما الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق فاستأجروا أعرابياً يدلهم على الطريق فقال: «إني والله لا أخرج معكم حتى أشرط لكم وأشرط عليكم». قالوا له: «فهات ما لك». قال: «يدي مع أيديكم في الحار والقار، ولي موضعي من النار موسع علي ما فيه، وذكر والدي عليكم محرم» قالوا: «فهذا لك، فما لنا عليك إن أذنبت؟» قال: «إعراضة لا تؤدي إلى تعب وعتب، وهجرة لا تمنع من مجامعة السفرة». قالوا: «فإن لم تعتب؟» قال: «فحذفة بالعصا أخطأت أم أصَبْتُ» وهذان الحديثان لم أسمعهما

(١) الرواد من النساء: الشابة الجميلة.

(٢) الجُلّ: الزي.

(٤) الهمل: الخلق، البالي.

(٥) اليملق: الخباء المحشو.

(٦) الخوط: الغصن الرطب الناعم.

من عالم وإِنَّمَا قرأتها في بعض الكتب مِنَ الْمُستحدثين^(١).
ولأهل المدينة عِصِيَّ في رؤوسها عُجْر لا تكاد أَكْفُهُمْ تُفارقها إذا خرجوا إلى
ضِياعهم ومنتزهاتهم، ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة. وكانَ الأَفْشِين يقول: «إذا
ظفرتُ بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بِالْأدبوس» والدبوس شبيه بهذه العصا التي في
رأسها عجرة. وقال جحشويه:

[الرجز]

يَا رَجُلًا هَامَ بِلِيَادٍ مُعْتَدِلٍ كَالْغُصْنِ مَيَّادٍ
هَامَ بِهِ غَسَّانٌ لَمَّا رَأَى أَيْرَالَهُ مِثْلَ عَصَا الْحَادِي
وَلَمْ يَزَلْ يَهْوَى أَبُو مَالِكٍ كُلَّ فَتَى كَالْغُصْنِ مُنَادٍ
يُعْجِبُهُ كُلُّ مَتِينِ الْقَوَى لِلطَّعْنِ فِي الْأَدْبَارِ مُعْتَادٍ
وقالوا: «تغميض الناقة عينها كي تركب العصا إلى الحوض» وهو معنى قول أبي
النجم:

[الرجز]

تَخْشَى الْعَصَا وَالزَّجَرَ إِنْ قِيلَ حَلٍ يُرْسِلُهَا التَّغْمِيضُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ
وهذا مثل قول الهذلي:

[الكامل]

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ^(٢) إِذْ شَدُّوا الْمَنَاطِقَ فَوْقَهَا الْحَلْقُ
حَدُّ السَّيُوفِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَعَلَى الْأَكْفِ وَدُونَهَا الدَّرَقُ^(٣)
كَعِمَاغِمِ الثَّيْرَانِ بَيْنَهُمْ ضَرَبُ تَغْمِضُ دُونَهُ الْحَلْقُ
وقال حميد بن ثور الهذلي:

[الكامل]

الْيَوْمَ تُنْتَزَعُ الْعَصَا مِنْ رَبِّهَا وَيَلُوكُ ثَنِي لِسَانِهِ الْمِنْطِيقُ
يقال: «رجل كالقناة وفرس كالقناة» وقال الشاعر:

[الطويل]

مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صَفِيرِ^(٤)
يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْقَنَاقَةِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبِيرِ^(٥)
وجاء في الحديث: «أجذبت الأرض على عهد عمر - رضي الله تعالى عنه -، حتى

(١) جاء في نسخة أخرى «المسجدين» بدلاً من «المستحدثين».

(٢) أسامة: اسم علم للأسد.

(٣) الدرق: مفردة درقة تتخذ من الجلود يتترس بها.

(٤) الصَّفِير: الفارغ.

(٥) الهبر: فصل اللحم عن العظم.

أَلَقَتْ أَلْرَعَاءُ الْعَصِي، وَعُطِّلَتِ النِّعَمُ، وَكُسِرَ الْعَظَمُ. فقال كعب: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَتْهُمْ السَّنَةُ اسْتَسْقَوْا بِعَصْبَةِ الْأَنْبِيَاءِ. فكان ذلك سببَ اسْتِسْقَائِهِ بِأَلْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». وساورت حية أعرابياً فضربها بعصاه وسلم منها فقال: [البسيط]

لَوْلَا أَلْهَرَاوَةُ وَأَلْكَفَّانِ أَنَّهُلَنِي حَوْضُ أَلْمَنْيَةِ قَتَالَ لِمَنْ وَرَدَا^(١)
وقال الآخر:

[الطويل]

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبَيْعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ أَلْفٍ
فَنَآوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ
مِنْ الشَّثْنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ لِمَسِّهَا وَلَيْسَتْ مِنْ أَلْبِيضِ الرِّقَاقِ أَلَلَطَائِفِ
مُعَاوِدَةَ حَمْلِ أَلْهَرَاوِي لِقَوْمِهَا فَرُوراً إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ أَلْتَّنَائِفِ

وقال الحجاج بن يوسف لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «وَاللَّهِ لَا قَلْعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْغَةِ، وَلَا عَصْبَنَّكَ عَصَبَ السَّلْمَةِ، وَلَا ضَرْبَنَّكَ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ، وَلَا جَرْدَنَّكَ تَجْرِيدَ الْأَضْبِ»
وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لِأَبِي مَرْيَمَ الْحَنْفِيِّ: «وَاللَّهِ لَا أَحْبَبُ حَتَّى تَحَبَّ الْأَرْضُ أَلْدَمَ الْمَسْفُوحِ» لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبِلُ أَلْدَمَ فَإِذَا جَفَ أَلْدَمُ تَقْلَعُ جَلْباً^(٢). وقد أسرف المتلمس حيث يقول:

[الطويل]

أَحَارِثُ إِنَّا لَوُتُّ سَاطُ دِمَاؤُنَا^(٣) تَزَايَلْنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دِمَا
وأشدَّ سرفاً منه قول أبي بكر الشيباني قال: «كنت أسيراً مع بني عم لي من بني شيبان - وفينا من موالينا جماعة - في أيدي التغالبة فضربوا أعناق بني عمي وأعناق الموالي على وهدة من الأرض، فكنت والذي لا إله إلا هو أرى دم العربي ينماز من دم الموالي حتى أرى بياض الأرض بينهما، فإذا كان هجيناً^(٤) قام فوقه ولم يعتزل» وأنشد الأصمعي:

[الطويل]

يُذَذَّنُ وَقَدْ أَلْقِيَتْ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ كَمَا ذِيدَعَنَ حَوْضِ أَلْعَرَائِكِ^(٥) غَرَائِبُهُ

(١) جاء في نسخة أخرى «علقاً» بدلاً من «ورداً» بالدال، وروى القصيدة لورود بيتين آخرين لا يوجدان في هذه النسخة، وهما:

أَصَمَّ مَنَهَرَتِ الشَّدَقِينَ مَلْبِدَ لَمْ يَغْذِ إِلَّا الْمَنَايَا مَذْلَدَنَ خَلْقًا
كَأَنَّ عَيْنِيهِ مَسْمَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ جَلَاهُمَا مَدُوسَ الْأَلْفِ فَاثْتَلَقَا
والكفان: إحدى آلات الصيد. ومنهرت الشدقين: واسعهما. والمدوس: خشبة المسن.

(٢) الجلب: القشرة تعلو الجرح عند البرء.

(٣) ساط دماؤنا: تختلط وتمتزج.

(٤) الهجين: ولد العربي من زوجة غير عربية. (٥) العراك: اجتماع الإبل على الماء وازدحامها.

وقال العباس بن مرادس :

نُقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا

وقال الفرزدق بن غالب :

ذَكَرْتُ وَقَدْ كَادَتْ عَصَا أَلْبِينِ تَنْشِطِي

وقال الأسدي :

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأُولِهِ

وَلَا تَظْلِمِ الْمَوْلَى وَلَا تَضِعِ الْعَصَا

وقال جرير بن عطية :

أَلَا رَبَّ مَصْلُوبٍ حَمَلْتُ عَلَى الْعَصَا

وقالوا في مديح العصا نفسها مع الأغصان وكرم جوهر العصي والقسي :

إِذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ

وقال المؤمل بن أثيل :

وَالْقَوْمُ كَالْعِيدَانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ

لَوْ تَسْتَطِيعُ عَنْ الْقَضَاءِ حَيَاةً

كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا

وقال آخر :

وَأَسْلَمَهَا أَلْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً

تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرَانَةٍ

وقال الآخر :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخْبُونَ هَلْ لَكُمْ

أَلْقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى

وقال الآخر :

أَلَا هَتَفَتْ وَرَقَاءُ فِي رَوْقِ الضُّحَى

[الطويل]

فَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ الْمُزِيدِ الْخَوَامِسَا^(١)

[الطويل]

خِيَالِكَ مِنْ سَلَمَى وَذُو أَلْبٍ ذَاكِرُ

[الطويل]

هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوْ أَصِرُهُ

عَلَى الْجَهْلِ إِنْ طَارَتْ إِلَيْكَ بَوَادِرُهُ

[الطويل]

وَبَابُ أَسْتِهِ عَنْ مِنْبَرِ الْمُلْكِ زَائِلُ

[الوافر]

كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرَانِ

[الكامل]

بَعْضًا كَذَاكَ يَفُوقُ عُودَ عُودَا

وَعَنْ الْمَنِيَّةِ أَنْ تُصِيبَ مَحِيدَا

فَالآنَ صَارَ لَهَا أُلْكَالُ فُيُودَا

[الطويل]

مُطَوَّقَةٌ وَرَقَاءُ^(٢) بَانَ قَرِينُهَا

يَكَادُ يُدَنِّيْهَا مِنْ الْأَرْضِ لِيْنُهَا

[الطويل]

بِأُخْتِ بَنِي هِنْدٍ عُتَيْبَةٌ مِنْ عَهْدِ

بِأَرْضِ بَنِي قَابُوسَ أَمْ ظَعَنْتَ بَعْدِي

[الطويل]

عَلَى غُصْنٍ غَضَّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ^(٣)

(١) الخوامس : هي الإبل التي رعت أياماً ثلاثة ولم ترد في اليوم الرابع .

(٢) جاء في نسخة أخرى «بانة» بدلاً من «ورقاء» .

(٣) الرند : شجر الآس .

وقال آخر في امرأة رآها في شارة^(١) وبزة، فظن بها جمالاً، فلما سَفَرَتْ فإذا هي غول، فقال:

[الطويل]

وَأَظْهَرَهَا رَبِّي بِمَنْ وَفُذَرَةٍ عَلَيَّ وَلَوْلَا ذَاكَ مُتُّ مِنَ الْكَرْبِ
فَلَمَّا بَدَتْ سَبَّحْتُ مِنْ قُبْحِ وَجْهِهَا وَقُلْتُ لَهَا السَّاجُورُ^(٢) خَيْرٌ مِنَ الْكَلْبِ

وقال النبي ﷺ: «يؤتى بقوم من هنا يُقادون إلى حظوظهم في السواجير» والساجور يسمى «الزمارة». قالوا وفي الحديث: «فأتى الحجاج بسعيد بن جبيروفي عنقه زمارة» وقال بعض المسجنين:

[المتقارب]

وَلِي مَسْمَعَانِ وَزَمَّارَةٌ وَظِلٌّ مَدِيدٌ وَحِصْنٌ أَمَقٌ^(٣)
وَكَمْ عَائِدٍ لِي وَكَمْ زَائِرٍ لَوْ أَبْصَرَنِي زَائِرًا قَدْ شَهَقُ

المسمعان: القيدان. وسمي الغل الذي في عنقه زمارة. وأما قول الوليد:

[الخفيف]

إِسْقِنِي يَا زُبَيْرُ بِالْقَرْقَارَةِ^(٤) قَدْ ظَمِينَا وَحَنَّتِ الزَّمَارَةُ^(٥)
إِسْقِنِي أَسْقِنِي فَإِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحَاطَتْ فَمَالَهَا كَفَّارَةُ

فالزمارة هاهنا المزمار. وقال أيضاً صاحب الزمارة في صفة السجن:

[المتقارب]

فَبِتُّ بِأَحْصَنِهَا مَنْزِلاً ثَقِيلاً عَلَى عُنُقِ السَّالِكِ
وَلَسْتُ بِضَيْفٍ وَلَا فِي كِرَاءٍ وَلَا مُسْتَعِيرٍ وَلَا مَالِكِ
وَلِي مَسْمَعَانِ فَأَدْنَاهُمَا يُعَنِّي وَيُمْسِكُ فِي الْحَالِكِ
وَلَيْسَ بِغَضَبٍ وَلَا كَالرُّهُونِ وَلَا يُشْبِهُ الْوَقْفَ عَنْ هَالِكِ
وَأَقْصَاهُمَا نَاطِرٌ فِي السَّمَاءِ عَمُداً وَأَوْسَخٌ مِنْ عَارِكِ

المسمعان هاهنا أحدهما قيده والآخر صاحب الجرس.

قال: أخبرني الكلابي قال: قاتلت بنو عم لي بعضهم بعضاً، فجعل بعضهم ينضم إلى بعض لوأذا مني، وليس لي في ذلك هجير إلا قولي:

[الرجز]

قَدْ جَعَلْتُ تَأْوِي إِلَى جُثْمَانِهَا^(٦) وَكَرْسِهَا^(٧) أَلْعَادِيٍّ مِنْ أَعْطَانِهَا^(٨)

(١) الشارة: حسن الهيئة مع العناية بالمظهر الخارجي.

(٢) الساجور: هي خشبة تعلّق في عنق الكلب.

(٣) أمق: واسع الأرجاء.

(٤) القرقارة: إناء يوضع فيه الخمر.

(٥) حنّت الزمارة: صوّت.

(٦) جاء في نسخة أخرى «خمانها» بالخاء، وهو رديء التمر بدلاً من «جثمانها» بالjim والثاء.

(٧) الكرسي: هي أبوال الإبل وأبعارها والروث.

(٨) الأعطان: مبارك الإبل.

فلما طلبوا القصاص قلت: «دونكم يا بني عمي حقكم، فنحن اللحم وأنتم الشفرة، إن وهبتم شكرت، وإن أعتقلتم عقلت، وإن أقتصصتم صبرت».

قال: سألت يونس عن قوله: «نسيا منسيا». قال: تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه: «انظروا إلى أنسائكم» وهي العصا والقِدْح والشظاظ وألحبل. قال: فقلت: «إني ظننت أن هذه الأشياء لا ينساها أربابها إلا لأنها أهون المتاع عليهم» قال: «ليس ذلك كذلك والمتاع الجافي يُذكر بنفسه وصغار المتاع تذهب عنها ألعيون، وإنما تذهب نفوس العامة إلى حفظ كل شيء ثمين وإن صغر جسمه ولا يقفون على أقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقد المحلات في الأسفار» وقال يونس: «المنسي ما تقادم العهد به ونُسي حيناً لهوانه، ولم تكن مريم لتضرب المثل في هذا الموضوع بالأشياء النفيسة التي الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الشيء الثمين في الأسواق» وقال الأشهب بن زميلة أو نهشل بن حري:

[البسيط]

قَالَ الْأَقَارِبُ لَا تَغُرُّكَ كَثَرَتُنَا وَأَغْنِ نَفْسَكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ
عَلَّ بَنِي يَشْدُ اللَّهُ أَعْظَمَهُمْ وَالنَّبْعُ ^(١) يَنْبُتُ قُضْبَاناً فَيَكْتَهِلُ

وكان فرس الأخنس بن شهاب يُسمى «العصا» والأخنس «فارس العصا» وكان لجذيمة الأبرش فرس يُقال لها «العصا» ولبنو جعفر بن كلاب «شحمة» و «الغدير» و «العصا»، فشحمة فرس جزء بن خالد، والعصا فرس عوف بن الأحوص، والغدير فرس شريح بن الأحوص، و «العصا» أيضاً فرس شبيب بن كعب الطائي. وقال بعضهم أو بعض خطبائهم:

[الطويل]

وَلَيْسَ عَصَاهُ مِنْ عَرَاجِينَ نَخْلَةٍ وَلَا ذَاتَ سَيْرٍ مِنْ عَصِيٍّ الْمَسَافِرِ
وَلَكِنَّهَا إِمَّا سَأَلَتْ فَنَبَعَةٌ وَمِيرَاثُ شَيْخٍ مِنْ جِيَادِ الْمَخَاصِرِ

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول: «لو كان في العصا سير» وكذلك قال حبيب بن أوس:

[مخلع البسيط]

مَالِكَ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزْمٍ لَوْ أَنَّهُ فِي عَصَاكَ سَيْرُ
رُبِّ قَلِيلٍ حَادَا كَثِيراً كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مُطِيرُ
صَبِراً عَلَى النَّائِبَاتِ صَبِراً مَا فَعَلَ ^(٢) اللَّهُ فَهُوَ خَيْرُ

وإذا لم يجعل المسافر في عصاه سيراً سقطت من يده إذا نَعَسَ.

(١) النبع: ضرب من الأشجار، تستعمل أغصانه قسيماً.

(٢) جاء في نسخة أخرى «صنع» بدلاً من «فعل».

وسئل عن قوله: ﴿وَلِي فِيهَا مَثَارِبٌ أُخْرَى﴾^(١) قال: «لست أحيط بجميع مآرب موسى عليه السلام، ولكنني سأنبئكم جُملاً تدخل في باب الحاجة إلى العصا: من ذلك أنها تُحْمَلُ للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول، وكذلك فحول الحجور^(٢) في المروج، ويتوكأ عليها الكبير الدانف والسقيم المُدْنَف والأفطع الرجل والأعرج فإنها تقوم مقام رجل أخرى». وقال أعرابي مقطوع الرجل:

[البسيط]

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْ رِجَالِهِمْ وَإِنْ تَخَذَدَ^(٣) عَنْ مَثْنَيَّ أَطْمَارِي
وَإِنْ رَزِئْتُ يَدَاكَ كَأَنْتَ تُجَمِّلُنِي وَإِنْ مَشَيْتُ عَلَى رُجٍّ^(٤) وَمِسْمَارِ
والعصا تنوب للأعمى عن قائده، وهي للقصار والفاشكار والدباغ، ومنها المفأد^(٥)
للملة^(٦)، ومحراك للتنور، قال الشاعر:

[الطويل]

إِذَا كَانَ ضَرْبُ الْخَبْزِ مَسْحًا بِخَرْقَةٍ وَأُخْمِدَ دُونَ الطَّارِقِ الْتَنُورُ
كأنه يكره أن ينفذ عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد أنضج خبزته، يصفه
بالبخل.

وهي لدق الجص والجبين والسَّمْسَم، قال السماخ بن ضرار:

[الطويل]

وَأَشَعْتُ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ يَجْرُ شَوَاءً بِالعَصَا غَيْرَ مُنْضَجٍ
ولخط الشجر، وللفيج^(٧) وللمكاري فإنهما يتخذان المخاصر، فإذا طال الشوط
وبعدت الغاية استعانوا في حضرهما وهزلتهما في أصناف ذلك بالاعتماد على وجه
الأرض، وهي تعدل من ميل المفلوج، وتقيم من ارتعاش المبرسم، ويتخذها الراعي
لغنمه، وكل راكب لمركبه، ويدخل عصاه في عروة المزود، ويُمسك بيده الطرف
الآخر، وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه، وعليه حمل ثقيل،
وتكون إن شئت وتدأ في حائط، وإن شئت ركزت في الفضاء وجعلتها قبلة، وإن
شئت جعلتها مظلة، وإن جعلت فيها زجاً كانت عنزة^(٨) وإن زدت فيها شيئاً كانت
عكازاً وإن زدت فيها شيئاً كانت مطرداً^(٩)، وإن زدت فيها شيئاً كانت رمحا، والعصا
تكون سوطاً وسلاحاً.

(١) سورة طه، الآية: ١٨.

(٢) الحُجرة: أنثى الحصان.

(٣) تخذد: تشنج.

(٤) الرُّج: هي حديدة توضع في كعب الرمح.

(٥) المفأد: العصا تستعمل لتحريك ما في التنور من رماد أو جمر.

(٦) الملة: الجمر والرماد الحار.

(٧) الفيج: هو ناقل الأخبار من بلد لآخر ماشياً.

(٨) العنزة: العصا يتخذها الهرم يتوكأ عليها.

(٩) المطرد: الرمح القصير.

وكان رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب، وكفى بذلك دليلاً على عظم غنائها وشرف حالها، وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء.

وقد كان مروان بن محمد - حين أحيط به - دفع البُرد والقضيب إلى خادم وأمره أن يدفنهما في بعض تلك الرمال، ودفع إليه بنتاً وأمره أن يضرب عنقها. فلما أخذ الخادم في الأسرى قال: «إن قتلتموه ضاع ميراث النبي ﷺ» فأمنوه على أن يسلم ذلك لهم. وقال في صفة قناة:

[الوافر]

وَأَسْمَرُ عَانِقٌ ^(١) فِيهِ سِنَانٌ شَرَاعِي كَسَاطِعَةُ الشُّعَاعِ
وقال آخر:

[الخفيف]

هَوْنَةٌ ^(٢) فِي الْعِئَانِ تَهْتَزُّ فِيهِ كَاهْتِزَازِ الْقَنَازِ تَحْتَ الْعَقَابِ ^(٣)
ومما يجوز في العصا قول الشاعر:

[الرجز]

لِلْهَامِ ضَرَّابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ضَرَبَ الْمُزِيدِ غُرْبَ النَّوَاهِلِ
وقال عباس بن مرداس:

[الطويل]

نُطَاعِنُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا وَنُضْرِبُهُمْ ضَرَبَ الْمُزِيدِ الْخَوَامِسَا
وقال الآخر:

[الرجز]

دَافَعَ عَنْهَا ^(٤) جَلْبِيٌّ وَخَشِي فَهُوَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الْأَجَشِّ
وقال نسيب الأسود:

[الطويل]

وَمَنْ يُبْقِ مَالاً عُدَّةً وَصِيَانَةً فَلَا الدَّهْرُ مُبْقِيَهُ وَلَا الشُّحُّ وَافِرُهُ
وَمَنْ يَكُ ذَا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ كَاسِرُهُ
وقال آخر:

[الطويل]

تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةِ لِهِندٍ وَلَكِنْ ^(٥) مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدَا
خَلِيلِي عُوجَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِأَرْضَاكُمَا قَصْدَا

(١) جاء في نسخة أخرى «عائر» بدلاً من «عانق» والرمح العائر: المضطرب للينه.

(٢) الهونة: الشابة المتتدة.

(٣) العقاب: الراية.

(٤) جاء في نسخة أخرى «عني» بالياء بدلاً من عنها.

(٥) جاء في نسخة أخرى «فمن هذا» بدلاً من «ولكن من».

وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا ^(١) وَلَكِنَّا ^(٢) جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا
وقال الآخر:

وَتِلْكَ ثِيَابِي لَمْ تُدَنِّسْ بِعَدْرَةٍ ^(٣)
وَلَوْ صَادَفْتُ عُوداً سِوَى عُودِ نَبْعَةٍ
وقال الآخر:

عَصَا شَرِيَانَةٍ ^(٤) دَهَنْتُ بِزُبْدٍ
وليس هذا مثل قول لقيط بن زُرارة:
إِذَا دَهَنُوا رِمَاحَهُمْ بِزَيْتٍ
وقال صالح بن عبد القدوس:

لَا تَدْخُلُنْ بِنَمِيمَةٍ
وقال شبل بن معبد البجلي:

بَرَّتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وقال أوس بن حجر:

لِحَوْتُهُمْ لِحَوَّ الْعَصَا فَطَرَدْتُهُمْ
وقال الرقاشي في صفة الفناة التي تبرى منها القسي:

مِنْ شُقَقِي خُضِرَ بِرُوصِيَّاتٍ ^(٦)
جُدْلُنَ حَتَّى إِضْنِ كَالْحَيَّاتِ ^(٨)
أَنْقَهُنَّ ^(١١) مُتَمَطَّرَاتٍ ^(١٢)
صُفِرَ اللَّحَاءِ وَخَلُوقِيَّاتٍ ^(٧)
وَشَائِقَا ^(٩) غَيْرُ مُؤَنَّبَاتٍ ^(١٠)
عَمُرُو بَنَ عُصْفُورٍ عَلَى أَسْتِثْبَاتٍ

(١) أجارنا: فرض علينا تغيير مسار طريقنا.

(٢) جاء في نسخة أخرى «ولكنما» بالميم بدلاً من «لكننا» بالنون.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بعدر» بالعين والذال بدلاً من «بغدر».

(٤) الشريان: شجر تتخذ منه القسي.

(٦) بروصيات: يقصد أنها برصاء.

(٨) إضن كالحيات: أصبحن كالحيات.

(٩) جاء في نسخة أخرى «رشائقا» بالراء ومعناه، النساء الحسنات القدود، وهذا يوافق روح القصيدة. أما

ما جاء هنا «وشائقا» بالواو فمعناه اللحم المقدد.

(١٠) المؤنَّبَات: المعيبات.

(١٢) المتمطرات: المسرعات.

(١١) آنقهن: حددن.

(٥) اللحاء: قشر الشجرة.

(٧) خلوقيات: لونها لون الزعفران.

وقال محمد بن يسير :

[الكامل]

وَمُشْمَرِينَ^(١) عَنِ السَّوَاعِدِ حُسْرٍ عَنْهَا بِكُلِّ دَقِيقَةٍ التَّوْتِيرُ^(٢)
لَيْسَ الَّذِي تَشْوِي^(٣) يَدَاهُ رَمِيَّةٌ فِيهِمْ بِمَعْتَذِرٍ وَلَا مَعْدُورٍ
عُطِفَ السِّيَاتِ^(٤) مَوَانِعٍ فِي عِطْفِهَا تُعْزَى إِذَا نُسِبَتْ إِلَى عُضْفُورٍ
ذهب إلى قوله :

[الرجز]

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ

[الرجز]

وهذا مثل قوله :

خَرْقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعٌ

[الرجز]

وهذا مثل قوله :

غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا

[الرجز]

ومثل قوله :

حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا

[الوافر]

وإذا طال قيام الخطيب صار في أنحناء وجناً^(٥) وقال الأسدي :

أَنَا ابْنُ الْخَالِدِينَ إِذَا تَلَا قَى مِنْ الْأَيَّامِ يَوْمٌ ذُو وَضَاجٍ
كَأَنَّ اللَّعْبَ وَالْخُطْبَاءَ فِيهِ قَسِيٌّ مُثَقَّفٌ ذَاتُ أَعْوِجَاجٍ
وعلى هذا قال الشماخ بن ضرار :

[الطويل]

فَأُضْحِتْ تَغَالَى^(٦) بِالسَّتَارِ^(٧) كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةً الرِّيحِ رَاكِزُ^(٨)
وقال العمانى :

[الرجز]

عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرِّجَالِ مَعْنَمَا إِذَا رَأَى مُصَدَّقًا تَجَهَّمَا
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى مِعْصَمَا هَرَاوَةً بِنْبُعَةٍ أَوْ سَلَمَا
تَتْرُكُ مَا رَامَ رُفَاتًا رَمَمَا

وقال أمية الأسكر :

[البسيط]

هَلَا سَأَلْتَ بِنَا إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً فَفِي السُّؤَالِ مِنَ الْأَغْيَاءِ شَافِيهَا

(١) المشمرين : الصيادين بالسهم .

(٣) تشوي الرمية : لم تصب الصيد المنوي صيده .

(٤) السيات : مفردة سية ، وهي ما عطف من طرفي القوس .

(٥) الجنأ : الإنحناء .

(٦) تغالى : يحك بعضها بعضاً .

(٨) الراكز : الذي يثبت الرمح في الأرض .

(٧) الستار : اسم موضع .

(٢) التوتير : عملية شد وتر القوس .

تُخْبِرُكَ عَنَّا مَعَدُّ إِنْ هُمْ صَدَقُوا وَمِنْ قَبَائِلِ نَجْرَانِ يَمَانِيهَا
وبالجيادِ نَجْرُ الْخَيْلِ عَابِسَةٌ كَأَنَّ مَذْرُورَ مِلْحٍ فِي هَوَادِيهَا^(١)
قَوْمٌ إِذَا فَزَعُ الْأَقْوَامِ طَافَ بِهِمْ أَلْقَى الْعِصِيَّ عِصِيَّ الْجَهْلِ بَارِيهَا
قال: والرجل إذا لم يكن معه عصا فهو «باهل» و «ناقة باهل وباهلة» إذا كانت بغير
صِرار^(٢)، وقال الراجز:

أُبْهَلُهَا ذَا يَدِهَا^(٣) وَسَبَّحَا^(٤) وَدَقَّتِ الْمَرْكُوزُ^(٥) حَتَّى أَبْلُثُ دَحَا^(٦)
احتجنا أن نذكر أرتفاق بعض الشعراء من العُرجان بالعصي عند ذكر العصا وتصرفها
في المنافع. والذي نحن ذاكروه من ذلك في هذا الموضع قليل من كثير ما ذكرناه في
(كتاب العرجان) فإن أردتموه فهو هناك موجود إن شاء الله تعالى:

قالوا: وَلَمَّا شَاعَ هِجَاءُ الْحَكَمِ بْنِ عَدَلِ الْأَسَدِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ
مِنْ أَلْوَالَةٍ وَالْوَجُوهَ هَابَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَاتَّقَى لِسَانَهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ - وَكَانَ الْحَكَمُ أَعْرَجَ لَا
تَفَارِقَهُ عَصَاهُ - فَتَرَكَ الْوُقُوفَ بِأَبْوَابِهِمْ وَصَارَ يَكْتُبُ عَلَى عَصَاهُ حَاجَتَهُ وَيَبْعَثُ بِهَا مَعَ
رَسُولِهِ فَلَا يُحْبِسُ لَهُ رَسُولٌ وَلَا يُؤْخِرُ لِقَاءَهُ الْكِتَابَ ثُمَّ تَأْتِيهِ الْحَاجَةُ عَلَى أَكْثَرِ مَا قَدَرَ
وَأَوْفَرَ مَا أَمَلْ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ:

[الطويل]

عَصَا حَكَمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْأَبْوَابِ نُقْصِي وَنُحْجَبُ
وأما قول بشر بن أبي حازم:

[البسيط]

لِلَّهِ دَرْبَنِي حَدَاءٌ مِنْ نَفَرٍ وَكُلُّ جَارٍ عَلَى جِيرَانِهِ كَلْبٌ
إِذَا عَدَوْا وَعِصِيُّ الطَّلَحِ أَرْجُلُهُمْ كَمَا تُنْصَبُ وَسَطُ الْبَيْعَةِ الصُّلْبُ
وإنما يعني أنهم كانوا عُرْجاً فأرجلهم كعِصِيِّ الطَّلَحِ، وعِصِيُّ الطَّلَحِ معوجة.
وكذلك قال معدان الأعمى في قصيدته الطويلة التي وصف فيها الغالية والرافضة والتميمة
والزبيدة:

[الرجز]

وَالَّذِي طَفَّفَ الْجِدَارَ^(٧) مِنَ الدُّعَا رِ وَقَدْ بَاتَ قَاسِمَ الْأَنْفَالِ^(٨)

(١) الهوادي: الأعناق.

(٢) الصرار: هو خيط يربط فوق خلف الناقة لئلا يرضع فصيلها.

(٣) جاء في نسخة أخرى «ذائدها» بالهمزة بدلاً من «ذا يدها» والأولى تنسجم مع فكرة البيت.

(٤) السبح: الفراغ الطويل.

(٥) المركوز: الحوض الكبير.

(٦) ابلندح: اتسع وعرض.

(٧) طفف الجدار: علاه ورفع.

(٨) الأنفال: الغنائم.

فَعَدَا خَامِعاً^(١) بَوَجْهِ هَشِيمٍ وَبِسَاقٍ كَعُودٍ طَلَحَ بِالِ
وقال بعض العُرجان ممن جعل العصا رجلاً:

[السيط]

مَا لِلْكَوَاعِبِ يَا دَهْمَاءُ قَدْ جَعَلْتَ تَزَوَّرُعَنِّي وَتُلْقَى دُونِي الْخُمُرُ^(٢)
لَا أَسْمَعُ الصَّوْتَ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ لَيْلًا طَوِيلًا يُنَاغِينِي لَهُ الْقَمَرُ
وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ مُعْتَدِلًا فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى رِجْلِ مِنَ الشَّجَرِ
وقال رجل من بني عجل:

[الطويل]

وَشَى بِي وَاشٍ عِنْدَ لَيْلَى سَفَاهَةً فَقَالَتْ لَهُ لَيْلَى مَقَالَةَ ذِي عَقْلِ
وَحَبَّرَهَا أَنِّي عَرَجْتُ فَلَمْ تَكُنْ كَوَزْهَاءَ تَجْتَرُّ الْمَلَامَةَ لِلْبَعْلِ
وَمَا بِي مِنْ عَيْبٍ أَلْفَتَى غَيْرَ أَنَّنِي جَعَلْتُ الْعَصَا رِجْلاً أَقِيمُ بِهَا رِجْلِي
وقال أبو ضبة في رجله:

[السيط]

وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا نِمْتُ أَوْجَعَنِي ظَهْرِي وَقُمْتُ قِيَامَ الشَّارِفِ الظَّهْرِ^(٣)
وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ مُعْتَدِلًا فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى رِجْلِ مِنَ الشَّجَرِ
وقال أعرابي من بني تميم:

[الطويل]

وَمَا بِي مِنْ عَيْبٍ أَلْفَتَى غَيْرَ أَنَّنِي أَلْفْتُ قَنَاتِي حِينَ أَوْجَعَنِي ظَهْرِي
قال: ودخل الحكم بن عَبدل الأسدي وهو أعرج على عبد الحميد بن عبد
الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهو أمير الكوفة وكان أعرج، وكان صاحب شرطه أعرج،
فقال ابن عبدل:

[الكامل]

أَلْقِ الْعَصَا وَدَعْ التَّخَادُعَ^(٤) وَالْتَمِسْ عَمَلًا فَهْذِي دَوْلَةُ الْعُرجَانِ
لَأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شُرَطَتِنَا مَعَا لِكُلَيْهِمَا يَا قَوْمَنَا رِجْلَانِ
فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطَانُ

(١) خامعاً: ماشياً كمشية الضبع، فيها شيء من عرج.

(٢) جاء في نسخة أخرى «وتطوى دوني الحجر» بدلاً من «وتلقى دوني الخمر» وهذه توافق روح القصيدة،
والخمار هو النصف تسدله المرأة على وجهها.

(٣) الشارف الظهر: المسن الشاكي من ألم ظهره.

(٤) جاء في نسخة أخرى «التخامع» بالميم بدلاً من «التخادع» بالذال.

ومما يدلُّك على أن للعصا موقعاً منهم، وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول مزرد بن ضرار:

[الطويل]

فجاء على بكرٍ ثفالٍ^(١) يَكُذُّه عَصَا أَسْتِه وَحِي^(٢) الْعِجَابَةِ بِالْفَهْرِ
ويقولون «اعتصى بالسيف» إذا جعل السيف عصا، وإنما اشتقوا للسيف اسماً من
العصا لأن عامة المواضع التي تصلح فيها السيوف تصلح فيها العَصِيّ وليس كل موضع
تصلح فيه العصا يصلح فيه السيف. وقال الآخر:

[الطويل]

وَنَحْنُ صَدَعْنَا هَامَةً أَبْنِ مُحَرِّقٍ كَذَلِكَ نَقْضِي بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
وقال عمرو بن الإطنابة:

[الخفيف]

وَفَتَّى يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيِّفِ إِذَا كَانَتْ السُّيُوفُ عَصِيًّا
وقال عمرو بن محرز:

[الكامل]

نَزَلُوا إِلَيْهِمْ وَالسُّيُوفُ عَصِيُّهُمْ وَتَذَكَّرُوا دِمْنًا^(٣) لَهُمْ وَذُحُولًا^(٤)
وقال الفرزدق بن غالب بن همام:

[البسيط]

إِنَّ أَبْنَ يَوْسُفَ مَحْمُودٌ خَلَائِقُهُ سَيِّانٍ مَعْرُوفُهُ فِي النَّاسِ وَالْمَطَرُ
هُوَ الشَّهَابُ الَّذِي يُرْمَى الْعَدُوَّ بِهِ وَالْمَشْرِفِيُّ الَّذِي تَعْصَى بِهِ مُضَرُّ
يقال: «عصى بالسيف» و «اعتصى به».

قال العُريان بنُ الأسود في ابن له مات:

[الخفيف]

وَلَقَدْ تَحْمِلُ الْمُشَاةُ كَرِيماً لَيْنَ الْعُودِ مَا جَدَّ الْأَغْرَاقِ
ذَاكَ قَوْلِي وَلَا كَقَوْلِ نِسَاءٍ مُعُولَاتٍ يَبْكِينَ لِلْأَوْرَاقِ^(٥)

وكتب عمرو بن العاصي إلى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - «إن البحر
خَلَقَ عَظِيمَ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ، كَأَنَّهُمْ دُودٌ عَلَى عُودٍ» وقال وائلة السدوسي:

[الطويل]

رَأَيْتُكَ لَمَّا شَبَبْتَ أَذْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَرْدِ حِينَ تَشِيبُ

(١) بكر الثفال: البطيء من الإبل.

(٢) جاء في نسخة أخرى «وج» ومعناه الضرب بدلاً من «وحى» وهي بمعنى الإشارة.

(٣) الدمن: مفردة دمنة، وهي تعني الحقد الدفين القديم.

(٤) الذحول مفردة ذخل، وهو الثأر والانتقام.

(٥) جاء في نسخة أخرى «بالأوراق» بدلاً من «للأوراق».

وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمَزُونَ عُيُوبُ
تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
وَفِي الْمِصْرِ ^(١) دُورُ جَمَّةٍ وَدُرُوبُ

[الكامل]

وَهَرَاوَةَ مَجْلُوزَةٍ ^(٢) مِنْ أَرْزَنِ ^(٣)
وَتَشْكِيَاءَ عَضِّ الزَّمَانِ الْأَلْزَنِ ^(٥)
خَشِنَ جَوَانِبُهُ دَلُوطٍ ^(٧) ضَيِّزَنِ ^(٨)
وَالْبَاعِ ^(٩) مُسَوِّدَ الذَّرَاعِ مُقْحَزَنِ ^(١٠)
بَغْلِيظٍ جِلْدِ الْوَجْنَتَيْنِ عَشُوزَنِ ^(١٢)

[الكامل]

يَا أَبْنَ الْقُيُونِ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقِلِ

[الطويل]

عَصَا أَسْتَهَا حَتَّى يَكْلَ قَعُودُهَا
وقال أعرابيٌّ للحطيئة «ما عندك يا راعي الغنم؟» قال: «عجرا» ^(١٣) من سلم ^(١٤)
قال: «إني ضيف» قال: «للضيفان أعددتها». وقال الشماخ بن ضرار:

[الطويل]

وَمَلْهَى لِمَنْ يَلْهُو بِهِنَّ أَنْيَقُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَوَى السَّمَاءِ بُرُوقُ

سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلُ بِنَائِلِ
لَقَدْ صَبَرْتُ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرِ
وَقَدْ أَوْحَشْتُ مِنْهُمْ رَسَاتِيْقُ فَارِسِ
وَأُنْشِدُ الْأَصْمَعِيَّ:

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفَانِ كَلْبًا ضَارِيًا
وَمَعَاذِرًا كَذِبًا وَوَجْهًا بَاسِرًا ^(٤)
وَشَذَاةً ^(٦) مَرْهُوبِ الْأَذَى قَاذُورَةٍ
وَبِكَفِّ مَحْبُوكِ الْيَدَيْنِ عَنِ الْعُلَى
وَتَجَنِّيًا لَهُمُ الذُّنُوبَ وَالْأَتَقِي ^(١١)
وقال جرير:

تَصِفُ السَّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصِي بِهَا
وقال الراعي:

تَبَيْتُ وَرَجَلَاهَا أَذَانَانِ لَاسْتَهَا
وقال أعرابيٌّ للحطيئة «ما عندك يا راعي الغنم؟» قال: «عجرا» ^(١٣) من سلم ^(١٤)
قال: «إني ضيف» قال: «للضيفان أعددتها». وقال الشماخ بن ضرار:

إِلَى بَقَرٍ فِيهِنَّ لِلْعَيْنِ مِنْظَرُ
رَعَيْنَ النَّدَى حَتَّى إِذَا وَقَدَ الْحَصَا

(١) جاء في نسخة أخرى «وبالمصر» بدلاً من «وفي المصر».

(٢) مجلوزة: مربوطة بقوة.

(٣) الأرز: ضرب من الشجر تتخذ من أغصانه العصي.

(٤) الباسر: المقطب العابس.

(٦) الشذاة: الشر والأذى.

(٨) الضييزن: المزاحم غيره في الورد على الماء.

(٩) الباع: كثرة المكارم.

(١٠) المقحزن: من ضرب بالقحزنة وهي ضرب من العصي.

(١١) جاء في نسخة أخرى «وأنتقي» بدلاً من «وألتقي».

(١٢) عشوزن: عسر الخلق.

(١٤) السلم: ضرب من الشجر.

(٥) الألزن: الضيق الشديد.

(٧) الدلوط: الشديد الدفع.

(١٣) العجرا: الكثيرة العقد.

وقال امرؤ القيس :

[السريع]

قُولَا لِـدُودَانٍ عَبِيدِ الْعَصَا مَا غَرَّكُمْ بِأَلْسَدِ الْبَاسِلِ

وقال عليُّ بنُ العذير^(١) :

[الكامل]

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشْعَبُ أَمْرَهُ شَعَبَ الْعَصَا وَيُلْحُ فِي الْعَصِيَانِ
فَأَعْمِدْ لِمَا تَعْلُو فَمَالِكُ بِالَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأُمُورِ يَدَانِ

وقال الآخر :

[الطويل]

وَهَجَّاجَةٌ^(٢) لَا يَمْلَأُ اللَّيْلُ صَدْرَهُ إِذَا النَّكْسُ^(٣) أَغْضَى طَرْفَهُ غَيْرَ أَرْوَعٍ^(٤)
صَحِيحُ بَرِيءِ الْعُودِ مِنْ كُلِّ أُبْنَةٍ^(٥) وَجَمَاعُ نَهَبِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ

وقال مسكين الدارمي :

[السريع]

تَسْمُو بِأَعْنَاقٍ وَتَحْبِسُهَا عَنْهَا عَصِيُّ الذَّادَةِ الْعُجْرُ^(٦)

حباب بن موسى عن مجالد عن الشعبي عن جرير^(٧) بن قيس قال : قَدِمْتُ المَدَائِنَ بعد ما ضُرب عليّ بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه فلقيني أبْنُ السُّودَاءِ ، وهو ابن حرب فقال لي : « ما الخبر؟ » فقلت : « ضُربَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ ضَرْبَةً يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْ أَيْسَرِ مِنْهَا وَيَعِيشُ مِنْ أَشَدِّ مِنْهَا » . قال : « لَوْ جِئْتُمُونَا بِدِمَاغِهِ فِي مِائَةِ صَرَةٍ لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ لَا يَمُوتُ حَتَّى يَذُودَكُمْ بِعَصَاهُ » . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾^(٨) الآية . وقال الشاعر :

[الوافر]

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ نَفَرْنَ مِنِّي نُفُورٌ^(٩) الْوَحْشِ مِنْ رَامٍ مُفِيقٍ^(١٠)
رَأَيْتُ تَغْيِيرِي وَأَرْدُنَ لَدُنَّا كَغُصْنِ الْبَانِ ذِي الْفَنَنِ الْوَرِيقِ

(١) جاء في نسخة أخرى « الغدير » بالغين بدلاً من « العذير » بالذال .

(٢) الهججاجة : هو من يفتقر إلى العقل والرأي .

(٣) النكس : الجبان الدنيء .

(٤) الأروع : الخائف من أي شيء .

(٥) الأبنة : العقدة في العود .

(٦) العجر : مفردة عجراء ، وهي العصا التي تكثر فيها العقد .

(٧) جاء في نسخة أخرى « زحر » بدلاً من « جرير » .

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٦٠ .

(٩) جاء في نسخة أخرى « نفار » بدلاً من « نفور » .

(١٠) المفيق : المستعد لإطلاق السهم من وتره .

وقال أبو العتاهية :

[الوافر]

كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
فَأَخْبِرُهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ

عَرِيتُ مِنَ الشَّبابِ وَكَانَ غَضًّا
أَلَا لَيْتَ الشَّبابَ يَعُودُ يَوْمًا

وقال الآخر :

[الكامل]

غَضُنْ تُثْنِيهِ الرِّيحُ رَطِيبُ
كُرُّ الزَّمَانِ عَلَيْهِ وَالتَّقْلِيلُ
فِي الْكَفِّ أَفَوْقُ^(١) نَاصِلُ^(٢) مَعْصُوبُ
لَا الرِّيشُ يَنْفَعُهُ وَلَا التَّعْقِيبُ

فَلَيْتُ عَمِرْتُ لَقَدْ عَمِرْتُ كَأَنِّي
وَكَذَلِكَ حَقًّا مَنْ يُعَمَّرُ يُبْلِيهِ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْبَلَاءِ وَكَأَنَّهُ
مَرِطُ^(٣) الْقِذَاذِ^(٤) فَلَيْسَ فِيهِ مَصْنَعُ

وقال عروة بن الورد :

[الطويل]

فَيَأْمَنُ أَعْدَائِي وَيَسْأَمُنِي أَهْلِي

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أَدَبَّ عَلَى الْعَصَا
وَأُنْشَدَ :

[الطويل]

بَرَكَاءُ^(٧) مَوْتٍ^(٨) لَا يَطِيرُ غُرَابُهَا

عَصَوَا السُّيُوفِ^(٥) الْهَنْدِ وَأَعْتَرَكْتُ^(٦) بِهِمْ

وقال لبيد :

[الطويل]

لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي

وقال آخر :

[الطويل]

وَتَأْبَى الْعَصَا فِي يُبْسِهَا أَنْ تُقَوِّمًا

نُقِيمُ الْعَصَا مَا كَانَ فِيهَا لُدُونَةٌ

وقال الآخر :

[البسيط]

وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوِّمَتْهَا الْخَشَبُ

إِنَّ الْعُصُوفَ إِذَا قَوِّمَتْهَا أَعْتَدَلَتْ

وقال جرير :

[البسيط]

إِلَّا بَنُو الْعَمِّ فِي أَيْدِيهِمُ الْخَشَبُ
وَنَهْرُ تِيرَى فَمَا تَذَرِيكُمُ الْعَرَبُ

مَا لِفِرَزْدَقٍ مِنْ عَزٍّ يَلُودُ بِهِ
سِيرُوا بَنِي الْعَمِّ فَالْأَهْوَاؤُ مَنْزِلُكُمْ

(١) الأفوق : السهم المنكسر .

(٣) السهم المرط : السهم بلا ريش .

(٥) جاء في نسخة أخرى «سيوف» بالباء بدلاً من «لسيوف» باللام .

(٦) اعتركت : ازدحمت .

(٨) جاء في نسخة أخرى «حرب» بدلاً من «موت» .

(٢) الناصل : العادم النصل .

(٤) القذاذ : ريشة السهم .

(٧) البركاء : ساحة الحرب .

وقال جرير في هجائه بني حنيفة :

[البيسط]

سُيُوفُهُمْ حَشَبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا^(١)
قَدَمًا وَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا
قَالُوا لِأَعْجَازِهَا هَذِي هَوَادِيهَا
أَوْ تُلْجِمُوا فَرَسًا قَامَتْ بِوَائِيهَا
قَتَلًا وَأَسْلَمَهَا مَا قَالَ طَاغِيهَا
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا

إِنَاءٌ نَخْلٍ وَحِيطَانٍ وَمَزْرَعَةٍ
قَطْعُ الدِّيَارِ^(٢) وَسَقْيُ النَّخْلِ عَادَتُهُمْ
لَوْ قِيلَ أَيْنَ هَوَادِي الْخَيْلِ مَا عَلِمُوا^(٣)
أَوْ قِيلَ إِنَّ حِمَامَ الْمَوْتِ أَخَذَكُمْ
لَمَّا رَأَتْ خَالِدًا بِالْعَرَضِ^(٤) أَهْلَكَهَا
ذَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدًا لِلْسَّلِيمِ طَائِعَةً

وقال سلامة بن جندل :

[البيسط]

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزَعُ
كَانَ الصُّرَاخُ قَرَعَ الظَّنَابِيْبِ
ويقال للخطاب إذا كان مرغوباً فيه كريماً : «ذاك الفحل لا يُقَرَعُ أَنْفُهُ» لأن الفحل
اللثيم إذا هبَّ على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالعصا . وقال آخر :

[الرجز]

كَأَنَّهَا إِذْ رُفِعَتْ عَصَاهَا نَعَامَةٌ أَوْحَدَهَا^(٥) رَأَاهَا^(٦)

وممن أضافوه إلى عصاه داود ملكين أليشكري ، وقد كان ولي شرطة البصرة .
وجاء في الحديث أن أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - أفاض من جمع وهو يخرش
بعيره بمحجنه . وقال الأصمعي : المحجن ، العصا المِعْجُوجَةُ . وفي الحديث المرفوع : «أنه
طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنه ، والخرش أن يضربه بمحجنه ثم يجذبه إليه» يريد
بذلك تحريكه . وقال الراعي :

[الطويل]

فَأَلْقَى عَصَا طَلَحٍ وَنَعْلًا كَأَنَّهَا جَنَاحُ السُّمَانِي رَأْسُهَا قَدْ تَصَوَّعَا^(٧)
والعصا أيضاً فرس شبيب بن كريب الطائي . أبو الحسن عن علي بن سليمان ، قال :
كان شبيب بن كريب الطائي يُصِيبُ الطريق في خلافة علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى
وجهه - ، فبعث إليه أحمر بن شميطة العجلي وأخاه في فوارس ، فهرب شبيب وقال :

[الوافر]

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ أَبْنَى شَمِيطٍ بِسِكَّةٍ طَيِّئٍ وَالْبَابُ دُونِي

(١) المساحي : المجارف .

(٢) جاء في نسخة أخرى «الدبار» بالباء ، ومعناه السواقى بدلاً من «الديار» بالياء .

(٣) جاء في نسخة أخرى «ما عرفوا» بدلاً من «ما علموا» .

(٤) العرض : ديار بني حنيفة قرب المدينة .

(٥) أوحدها : تركها وحدها وشأنها .

(٦) الرأل : فرخ النعام .

(٧) صَوَّعَ رأسه : حركه .

تَجَلَّلْتُ الْعَصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي
وَلَوْ أَنَّنْظَرْتُهُمْ قَلِيلًا
شَدِيدِ مَجَالِزِ^(٢) الْكَتِفَيْنِ صُلْبِ
وقال النجاشي لأُم كثير ابنة^(٣) الصلت:

وَلَسْتُ بِهِنْدِي وَلَكِنَّ ضِيعَةً
وَأَعْجَبْتَنِي لِلْسُّوْطِ وَالنُّوْطِ^(٥) وَالْعَصَا
وقال أعشى بن^(٧) ربيعة:

وَكَانَ الْخَلَائِفُ بَعْدَ الرَّسُو
شَهِيدَيْنِ مِنْ بَعْدِ صَدِيقِهِمْ
وَكَانَ أَبْنُهُ بَعْدَهُ خَامِسًا
وَمَرُوءًا سَادِسٌ مَنْ قَدْ مَضَى
وَبَشَرٌ يُدَافِعُ عَبْدَ الْعَزِيزِ
وَأَيُّهُمْ مَا يَكُنْ سَائِسًا
فَأَمَّا تَرَيْنِي حَلِيفَ الْعَصَا
فَسَاوَمَنِي الدَّهْرُ حَتَّى أَشْتَرَى
وقال عوف بنُ الْخِرْع:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي جُرِيحَةَ آيَةٍ
وَأِنْ ظَلَعَنَ الْحَيُّ الْجَمِيعُ لَطِيَّةٍ^(١٠)
أَفِي صِرْمَةٍ^(١١) عِشْرُونَ أَوْ هِيَ دُونَهَا
زَعَمْتُمْ مِنَ الْهَجْرِ^(١٢) الْمُضَلَّلِ أَتَكُمُ

رَهَيْنُ مُحَيِّسٍ^(١) إِنْ يَثْقُمُونِي
لَسَاقُونِي إِلَى شَيْخِ بَاطِنِ
عَلَى الْحَدَثَانِ مُجْتَمَعِ الشُّؤُونِ
[الطويل]
عَلَى رَجُلٍ لَوْ تَعْلَمِينَ مُزِيرٍ^(٤)
وَلَمْ تُعْجِبِينِي خُلَّةً^(٦) لِأَمِيرٍ

[المقارب]
لِ كُلِّهِمْ أَسْوَةٌ^(٨) خَاشِعَا
وَكَانَ ابْنُ صَخْرٍ هُوَ الرَّابِعَا
مُطِيعًا لِمَنْ قَبْلَهُ سَامِعَا
وَكَانَ أَبْنُهُ بَعْدَهُ سَابِعَا
مَضَى ثَامِنًا ذَا وَذَا تَاسِعَا
لَهَا لَمْ يَكُنْ أَمْرُهَا ضَائِعَا
فَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَثْبَةٍ خَامِعَا^(٩)
شَبَابِي وَكُنْتُ لَهُ مَانِعَا

[الطويل]
فَهَلْ أَنْتَ عَنْ ظُلْمِ الْعَشِيرَةِ مُقْصِرُ
فَأَمْرُكَ مَعْصِيٌّ وَشَرْبُكَ مُغَوِّرُ
فَشَرُّتُمْ عَصَاكُمْ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ تُقْشَرُ
سَتَنْصُرُكُمْ عَمَرُو عَلَيْنَا وَمَنْقَرُ

(٢) الجلز: الضم والشد.

(٤) المزير: شديد القلب القوي.

(٦) الخلّة: الزوجة.

(١) المخيس: السجن.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بن» بدلاً من «ابنة».

(٥) النوط: التقليل.

(٧) جاء في نسخة أخرى «بني» بدلاً من «بن» وهو الصحيح.

(٨) جاء في نسخة أخرى «لله كلهم» وهذا أفضل مما جاء هنا «كلهم أسوة».

(١٠) الطيّة: المنزل المنوي النزول فيه.

(٩) خامعاً: أخرج.

(١٢) الهجر: الكلام الفاحش السيئ.

(١١) الصرمة: القطعة من الإبل.

فَيَا شَجَرَ الْوَادِي أَلَا تَنْصُرُونَهُمْ وَقَدْ كَانَ بِالْمَرْوَةِ ^(١) رِمْتٌ ^(٢) وَسَخْبَرٌ ^(٣)
 أَلَمْ تُجْعَلُوا تَيْمًا عَلَى شُعْبَتِي ^(٤) عَصَا فَمَا يُنْطِقُ الْمَعْرُوفُ إِلَّا مُعَذِّرٌ ^(٥)
 وقال رجل من محارب يرثي أبنه:

[الطويل]

أَلَمْ يَكْ رَطْبًا يَعْصِرُ الْقَوْمُ مَاءَهُ وَمَا عُودُهُ لِلْكَاسِرِينَ بِيَابِسِ
 وقال حاجب بن زرارة: «وَاللَّهِ مَا الْقَعْقَاعُ بِرَطْبٍ فَيَعْصِرُ، وَلَا بِيَابِسٍ فَيُكْسِرُ». وقال
 حماد عجرد:

[مجزوء الكامل]

وَجَرُّوا عَلَى مَا عُودُوا وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَةٌ
 وقال أيضاً:

[البسيط]

فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ وَأَنْصُرُ النَّاسَ عِنْدَ النَّاسِ ^(٦) أَغْصَانَا
 لَوْ مَجَّ عُودٌ عَلَى قَوْمٍ عُصَارَتُهُ لَمَجَّ عُودُكَ فِينَا الْمِسْكُ وَالْبَانَا
 وقال آخر:

[الطويل]

وإِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عُودِينَ طَيِّبًا وَعُودًا خَبِيثًا مَا يَبِضُّ ^(٧) عَلَى الْعَصْرِ
 تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَافُهُ وَتَشِينُهُ وَتُذَكِّرُ أَخْلَاقَ الْفَتَى وَهُوَ لَا يَذْهَبُ
 وقال المؤمل بن أميل:

[الكامل]

كَأَنْتَ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيُودَا
 وَالْقَوْمُ كَالْعِيدَانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَذَاكَ يَقُوفُ عُودٌ عُودَا
 وقالت ليلي الأخيلية:

[الكامل]

نَحْنُ الْأَخَائِلُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى الْعَصَا مَذْكَورَا
 أنظر - أبقاك الله - في كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق،
 وفي كم وجه صرفة الشعراء وضرب به المثل. ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاطر البلغاء

(١) المروت: اسم واد.

(٢) جاء في نسخة أخرى «رمت» بالثاء بدلاً من «رمت» بالثاء، وهو مرعى للإبل من الحمض شبيه بالغضا.

(٣) السخبر: ضرب من الشجر شبيه بالأذخر.

(٤) شعبتى: طرفي.

(٥) المعذور: هو من يعتذر بلا عذر.

(٦) جاء في نسخة أخرى «المحل» بدلاً من «الناس» وهذه أجمل لأن العربي يتجنب التكرار.

(٧) لا يبض: لا يخرج منه ماء عند عصره.

وعَصِيّ الْخُطْبَاءَ لَمْ نَجِدْ بَدْءاً مِنْ الْأَحْتِجَاجِ لَجَلَّةِ الْمُرْسَلِينَ وَكِبَارِ النَّبِيِّينَ، لِأَنَّ الشَّعْوَبيَّةَ قَدْ طَعَنْتْ فِي جَمَلَةِ هَذَا الْمَذْهَبِ عَلَى قَضِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْزَتَهُ وَعَلَى عَصَاهُ وَمَخْصَرَتِهِ وَعَلَى عَصَا مُوسَى - لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ اتَّخَذَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلَمَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فِيهَا وَإِلَى مَا يَكُونُ صَيُّورٌ^(١) أَمْرَهَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيَّهَا وَهَشَّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾^(٢) وبعد ذلك قال: ﴿أَلْقَهَا يَمُوسَى فَالْقَنَدَا فِإِذَا هِيَ حِجَّةٌ تَسْعَى﴾^(٣). ومن يستطيع أن يدعي ألحاطة بما فيها من مآرب موسى إلا بالتقريب وذكر ما خطر على البال - وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داود عليهما السلام في مقاماته ولا صلواته، ولا في موته ولا في أيام حياته، حتى جعل الله تسليط الأرضة عليها وسليمان ميتاً، وهو معتمد عليها من الآيات عند من كان لا يعلم أن الجن لم تكن تعلم إلا بالإنس.

ولو علم القوم أخلاق كلِّ ملَّةٍ وزَيِّ أهل كلِّ لغة وعللهم في ذلك وأحتجاجهم له لقلَّ شغبهم وكفونا مؤنتهم. وهذه الرهبان تتخذ العِصِيَّ من غير سقم ولا نقصان في جارحة، ولا بدَّ للجائليق^(٤) من قِنَاعٍ ومن مظلة وبُرْطُلَةٍ^(٥) ومن عكازة ومن عصا من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبيراً ولا عجزاً في الخَلْقَةِ. وما زال المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام، ويتوكأ عليها عند المشي كأن ذلك زائد في التهكل والزماتة^(٦) وفي نفى السُّخْفِ وَالْخَفَةِ.

وبالناس - حفظك الله - أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيماء ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها. قال الفرزدق:

[الطويل]

بِهِ نَدَبٌ مِمَّا يَقُولُ ابْنُ غَابِيبٍ يَلُوحُ كَمَا لَاحَتْ وَسُومُ الْمَصْدَقِ^(٧)
وقال الآخر:

[الرجز]

أَنَارَ حَتَّى صَدَقَتْ سِمَاتُهُ وَظَهَرَتْ مِنْ كَرَمِ آيَاتِهِ
وَأُنْشَدَنِي أَبُو عبيدة:

[الوافر]

سَقَاهَا مَيْسَمٌ مِنْ آلِ عَمْرِو إِذَا مَا كَانَ صَاحِبُهَا جَحِيشاً^(٨)

(١) صيور الأمر: منتهاه وما يصير إليه.

(٢) سورة طه، الآية: ١٧، ١٨.

(٤) الجائليق: رئيس الأساففة.

(٥) البرطلة: المظلة.

(٧) وسوم المصدق: هو ما يصنعه جامع الصدقة لا بل الصدقة.

(٨) جحيشاً: منفرداً.

وذكر بعض الأعراب ضروباً من ألوسم فقال:

[الرجز]

بِهِنَّ فِي خُطَافِهَا عَلَطٌ ^(١) وَسَمٌ وَحَلَقٌ فِي آخِرِ الزَّفَرَى نُظْمٌ
مَعَهَا نِظَامٌ مِثْلُ خَطِّ الْقَلَمِ وَقُرْمَةٌ ^(٢) وَلَسْتُ أَدْرِي مَنْ قَرَمَ
عَرَضٌ ^(٣) وَخَبِطٌ لِمَجْلِيهَا الْوَسَمُ

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ ^(٤) وكما خالفوا بين
الأسماء للتعارف. وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَنُكُمْ﴾ ^(٥).

فعند العرب الْعِمَّةُ وأخذ المخرصة من السيماء، وقد لا يلبس الخطيب الملقبة ولا الجبة
ولا القميص ولا الرداء، والذي لا بُدَّ منه الْعِمَّةُ والمخرصة. وربما قام فيهم وعليه إزاره قد
خالف بين طرفيه، وربما قام فيهم وعليه عمامته وفي يده مخرصته، وربما كان قضيياً ربماً كانت
العصا وربما كانت قناة. وفي ألقنا ما هو أغلظ من ألساق، وفيها ما هو أدق من الخنصر، وقد
تكون محككة الكعوب مثقفة من الأعوجاج قليلة الأبن ^(٦) وربما كان العود نبعا وربما كان
شوحطا وربما كان من أبنوس ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ومن تلك الملس الصفاة
وربما كانت لُبَّ غُصْنِ كَرِيم، فإن للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت في
خزائن الخلفاء والملوك، ومنها ما لا تقربه الأرضة ولا يؤثر فيه القوادح. وألعاكزا إذا لم يكن في
أسفله زجُّ فهو عصا، لأن أطول ألقنا أن يقال رمح خَطِلٌ ثم رمح نائر ثم رمح مخموس ثم رمح
مربوع ^(٧) ثم رمح مطرد ثم عكاز ثم عصا ثم من العِصِيِّ نصب المساحي والمرور والفدم
والفؤوس والمعاول والمناجل والطيرزنيات ثم تكون من ذلك نصب السكاكين والسيوف
والمشامل ^(٨) وكل سهام نبعية وغير ذلك من العيدان التي أمتدحها أوس بن حجر أو الشماخ بن
ضرار أو أحد من الشعراء فإنما هي من كل عصا وكل قوس بُدُقٌ فإنما جيء بقناتها من بروض
ومدح ببريها وصنعتها عصفور القواس. وقال الرقاشي:

[الرجز]

أَنْعَتْ قَوْسًا نَعَتْ ذِي أَنْتَفَاءٍ جَاءَ بِهَا جَالِبُ بَرُوصَاءٍ ^(٩)

(١) جاء في نسخة أخرى «خبط» بدلاً من «علط» والعلط هي أثر الوسم في سالفه البعير.

(٢) القرمة: الموضع الذي يقطع من أنف البعير. (٣) العرض: ضرب من الوسم.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩. (٥) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٦) الأبن: العقد. (٧) رمح مربوع: أي طوله أربع أذرع.

(٨) المشامل: السيوف القصيرة.

(٩) جاء في نسخة أخرى «بروصاء» بالضاد بدلاً من «بروصاء» بالصاد.

عند^(١) أعتيام منه وأنتصاء^(٢)
مجلوزة^(٣) الأكعب في استواء
فلم تزل مساحل البراء^(٥)
حتى بدت كالحية الصفراء
بمقللة سريعة الإقذاء^(٦)
وقال الآخر:

[الكامل]

قد أعتدي ملت الظلام^(٧) بفتية
متنكبين خرائطاً لبنادق
بأكفهم فضبان بروض قد عدوا
تفذي منيات الطيور عيونها
صفّر البطون كأن ليط^(١٠) متونها
لرمي قد خسروا له عن أذرع
من بين مضفور وبين مرسع^(٨)
للطير قبل نهوضها للمرتع
يوماً إذا رمدت بأيدي النزع^(٩)
سرق الحرير^(١١) نواضر لم تشبع^(١٢)

وكانت العنزة التي تحمل بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - وربما جعلوها قبله - أشهر وأذكر من أن يحتاج في تثبيتها إلى ذكر الإسناد. وكانت سيماء أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم إلى الجبل في غير الأشهر الحرم أن يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهم العلائق، وإذا أودم أحدهم الحج^(١٣) تزيًا بزي الحاج وإذا ساق بدنة^(١٤) أشعرها. وخالفوا بين سمات الإبل والعنم، وأعلموا البحيرة^(١٥) بغير علم السائبة^(١٦)، وأعلموا

(١) جاء في نسخة أخرى «بعد» بدلاً من «عند».

(٢) الاعتيام والانتصاء: الاختيار.

(٣) مجلوزة: محكمة.

(٤) السيساء: ملتقى فقار الظهر.

(٥) البراء: صانع السهام.

(٦) الإقذاء: فتح العين وإغماضها بسرعة لإخراج ما فيها من القذى.

(٧) ملت الظلام: وقت اختلاله.

(٨) السير المرسع: هو الذي يفتقد إلى نوع واحد من السير، وإنما قد يكون متقارب الخطو في نفس الوقت وواسعه.

(٩) النزاع: مفردة نازع وهو الرامي.

(١٠) الليط: القشر.

(١١) سرق الحرير: الحرير الجيد.

(١٢) جاء في نسخة أخرى «تسلع» ومعناه تشقق بدلاً من «تشبع».

(١٣) أودم الحج: أوجب.

(١٤) البدنة: تساق الناقة أو الشاة لتنحر في موسم الحج.

(١٥) البحيرة: هي الناقة التي حملت خمسة أبطن متواليات، يحرم لبنها وركوبها لكرمها.

(١٦) السائبة: الناقة التي تترك ترعى حيث شاءت إلى جانب أمها.

أَلْحَامِي^(١) بغير علم أَلْفَحُول . وكذلك الْفَرَع^(٢) والرجبية^(٣) والوصيلة^(٤) والعتيرة^(٥) منَ الغنم، وكذلك سائر الأغنام أَلْسَائِمَة . وإذا كانت الإبل من حباء ملك غرزوا في أسنمتها الريش والخزق، ولذلك قال الشاعر:

[الكامل]

يَهْبُ أَلْهَجَانُ^(٦) بِرَيْشِهَا وَرِعَائِهَا^(٧) كَلِيلٍ قَبْلَ صَبَاحِهِ أَلْمُتَبَلِّجِ
وإذا بلغت الإبل أَلْفَا فَقَوُوا عين الفحل، فإن زادت فقَوُوا العين الأخرى، فذلك «المفقا» «المعمى». وقال شاعرهم:

[الطويل]

فَقَاتُ لَهَا عَيْنُ الْفَحِيلِ^(٨) تَعِيفًا^(٩) وَفِيهِنَّ رَعْلَاءُ^(١٠) الْمَسَامِعِ وَأَلْحَامِي
وقال الآخر:

[الرجز]

وَهَبْ لَنَا^(١١) وَأَنْتَ ذُو أَمْتَيْنِ تَفْقَأُ فِيهَا أَعْيُنُ الْبُعْرَانِ
وقال الآخر:

[الرجز]

فَكَأَنَّ شُكْرَ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمِنَنِ كِي الصَّحِيحَاتِ وَفَقْءُ الْأَعْيُنِ
وإذا كان الفحل من أَلِإِبِلٍ كريما قالوا: «فَحِيلٌ» وإذا كان الفحل من النخل كريما قالوا: «فَحَالٌ» وقال الراعي:

[الكامل]

كَانَتْ نَجَائِبُ مُنْذِرٍ وَمُحَرِّقٍ أُمَاتُهُنَّ وَطُرْفُهُنَّ فَحِيلًا
ذكر من اشتهر بلبس العمامة من العرب:

وكان الكاهن لا يلبس المصبغ، والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب رداءه، والحكم لا يفارق الوبر. وكان لحرائر النساء زِيٌّ، ولكل مملوك زِيٌّ، ولذوات الرايات زِيٌّ. وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة، وذكره الشاعر فقال:

[الطويل]

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا^(١٢) كَثِيرَةً يَحْجُونَ سِبَّ الزُّبْرِقَانِ أَلْمَعْصَفَرَا

(١) الحافي: هو الفحل الذي حمى ظهره لتوالي عشرة أجيال من صلبه.

(٢) الفرع: أول نتاج الشاة.

(٣) الرجبية: هي الشاة تذبح في رجب تكريماً لألهتهم.

(٤) الوصلة: هي الشاة التي تلد ذكراً ثم تليه أنثى فتصل أختها لذلك، فلا يذبحون أختها لأجلها.

(٥) العتيرة: هي كالرجبية.

(٦) الهجان: الإبل البيض.

(٧) الفحيل: ذو الفحلة.

(٨) الفحيل: ذو الفحلة.

(٩) التعيف: التكهن.

(١٠) الرعلاء: طويلة الأذن.

(١١) جاء في نسخة أخرى «وهبتها» بدلاً من «وهب لنا».

(١٢) الحلول: الأحياء المجتمعة.

وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا اعتَمَّ لم يعتَمَّ معه أحد، هكذا في الشعر، ولعلَّ ذلك أن يكون مقصوراً في بني عبد شمس، وقال أبو قيس بن الأسلت: [الوافر]

وكان أبو أحيحة قد عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمِ دَمِيمِ
إِذَا شَدَّ الْعِصَابَةَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَامَ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْخُصُومِ
فَقَدْ حَرُمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْشِي بِمَكَّةَ غَيْرَ مُدْخِلِ سَقِيمِ
وَكَانَ الْبَخْتَرِيُّ غَدَاةَ جُمُعٍ يُدَافِعُهُمْ بِلُفْمَانَ الْحَكِيمِ
بِأَزْهَرِ مَنْ سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ كَبْدَرِ اللَّيْلِ رَاقٍ عَلَى النُّجُومِ
هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ قُرَيْشُ السَّرِّ^(١) فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ
وَسَطَتْ ذَوَائِبُ الْفُرْعَيْنِ مِنْهُمْ فَأَنْتَ لُبَابُ سِرِّهِمْ الصَّمِيمِ

^(٢) وقال غيلان بن خرشة للأحنف: «يا أبا بحر، ما بقاء ما فيه العرب؟» قال: «إذا تقلدوا السيوف، وشدوا العمام، وأستجدوا النعال، ولم تأخذهم حمية الأوغاد». قال: «وما حمية الأوغاد؟» قال: «أن يعدوا التواهب ذلاً» وقال الأحنف: «أستجيدوا النعال فإنها خلاخل الرجل». والعرب تُسمي السيوف بحمائلها: «أردية» وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قولاً أحسن من هذا قال: «تمام جمال المرأة في خفها، وتمام جمال الرجل في لِمَتِه» ومما يؤكد ذلك قول مجنون بني عامر: [الطويل]

أَعْقِرْ مَنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَاقَتِي وَوَضِلِي مَفْرُوشَ لَوْضَلِ مَنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعْقَعُنَ الْحَلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جُنْتُ أَرْجُو صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاحِلِ^(٣)
وَلَمْ تُغْنِ سِيحَانُ الْعِرَاقَيْنِ نَقْرَةً وَرَقَشُ الْقَلْنَسَى بِالرَّجَالِ الْأَطَاوِلِ
والعصابة والعِمَامَةُ سواء، وإذا قالوا: «سيد معمم» فإنما يريدون أن كلَّ جنائفة

يجنيها الجاني في تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ: [البيط]

أَبْلِغْ نَعِيمًا وَأَوْفَى^(٤) إِنَّ لَقِيَتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمٌ
فَلَا يَزَالُ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي الْمَقَانِبِ^(٥) مَا لَمْ تُهْلِكِ الصَّمَمُ^(٦)

(١) السر: الأحسن.

(٢) جاء في نسخة أخرى «كمتة» والكمة: القلنسوة بدلاً من «اللمة».

(٣) جاء في نسخة أخرى «الصلاصل» بالصاد بدلاً من «الخلاخل» بالخاء.

(٤) جاء في نسخة أخرى «عوفاً» وهذه أكثر انسجاماً مع معنى البيت مما جاء هنا «أوفى».

(٥) المقانب: مفردة مقنب وهو الحيش.

(٦) الصمم: مفردة صمّة وهو المقاتل الشجاع.

عاري الأشاجع^(١) مَعْصُوبٌ بِلِمْتِهِ أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عِرْزَيْنِهِ شَمَمٌ
وقال الْكِنَانِيُّ:

[الطويل]

تَنْخَبِثُهَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيبَةٌ فَجَاءَتْ بِهِ كَالْبَدْرِ خَرْقًا^(٢) مُعَمَّمَا
فَلَوْ شِئْتَ الْفُتَيَانُ فِي الْحَيِّ ظَالِمًا لَمَا وَجَدُوا غَيْرَ التَّكْذُوبِ مَشْتَمًا
ولذلك قيل لسعيد بن العاصي «ذو العصابة» وقد قال القائل:

[الطويل]

كَعَابٌ أَبُوهَا ذُو الْعِصَابَةِ وَأَبْنُهُ وَعُثْمَانٌ مَا أَكْفَأُوهَا بِكَثِيرٍ
يقولها خالد بن يزيد. وقال عمرو بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: «العمائم
تيجان العرب» قال: وقيل لأعرابي: «إِنَّكَ لَتَكْثُرُ لِبَسِ الْعِمَامَةِ!» قال: «إِنَّ شَيْئًا فِيهِ أَلْسَمِعُ
وَالْبَصَرُ لَجَدِيرٌ أَنْ يُوقَى مِنَ الْقَرِّ» وذكر^(٣) العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: «جُنَّةٌ فِي
الْحَرْبِ، وَمَكْنَةُ مِنَ الْحَرِّ، وَمُدْفَأَةٌ مِنَ الْقَرِّ، وَوَقَارٌ فِي النَّدِيِّ، وَوَاقِيَةٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَزِيَادَةٌ
فِي الْقَامَةِ، وَهِيَ تَعْدُ عَادَةً مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ» وقال عمرو بن أمريء القيس^(٤):

[الخفيف]

يَا مَالِ وَالسَّيِّدِ الْمَعَمَّمُ قَدْ يُبْطِرُهُ بَعْدَ رَأْيِهِ الشَّرْفُ
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع وفي أسواق العرب كأيام
(عكاظ) و (ذي المجاز) وما أشبه ذلك التقتع، إلا ما كان من أبي سليط طريف بن تميم
أحد بني عمرو بن جندب، فإنه كان لا يتقنع ولا يُبالي أن يثبت عينه جميع فرسان
العرب. وكانوا يكرهون أن يعرفوا، فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم. ولما أقبل
حميصة الشيباني يتأمل طريفا قال طريف:

[الكامل]

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَازَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ
فَتَوَسَّمُونِي إِنْ نِي أَنَا ذَاكُمْ شَالِكُ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعْلَمُ
تَحْتِي الْأَغْرُ وَفَوْقَ جِلْدِي نَشْرَةٌ^(٥) زَغْفُ^(٦) تَرْدُ السَّيْفِ وَهُوَ مُثْلَمُ

(١) الأشاجع: مفردة أشجع، والمقصود به عروق ظاهر الكف.

(٢) الخرق: الجميل.

(٣) جاء في نسخة أخرى «ذكروا» بدلاً من «ذكرت».

(٤) جاء في نسخة أخرى «عمرد» بالبدال وهو خطأ، والصواب ما جاء هنا؛ وهو عمرو بن أمريء القيس،
شاعر جاهلي من الخزرج، وقعت في أيامه حروب بين الأوس والخزرج. مات نحو سنة ٥٠ ق هـ =
نحو ٥٧٥ م. انظر ترجمته في: جمهرة أشعار العرب: ١٢٧، خزانة الأدب للبغدادي ١٩١/٢ - ١٩٣.

(٥) النثرة: الدرع السلسلة الملبس. (٦) الزغف: الدرع الفضفاضة الطويلة.

وَلِكُلِّ بَكْرِيٍّ إِلَيَّ عِدَاوَةٌ وَأَبُو رَبِيعَةَ شَانِيٌّ وَمُحَلِّمٌ
فكان هذا من شأنهم، وربما مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسيما، كان حمزة
يوم بدر معلماً بريشة نعامة حمراء، وكان الزبير معلماً بعِمامة صفراء، ولذلك قال
درهم بن زيد:

[المشرح]

إِنَّكَ لَاقٍ غِدَاً غَوَاةَ بَنِي الْمَلِ كَاءٍ فَاَنْظُرْ مَا أَنْتَ مُزْدَهَفٌ (١)
يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْدُرُوعِ كَمَا تَمْشِي جَمَالٌ مَصَاعِبٌ (٢) فُطْفُ (٣)
فَأَبْدِ سِيْمَاكَ يَعْرِفُوكَ كَمَا يُبْدُونَ سِيْمَاهُمْ فَتَعْتَرِفُ

وكان المقنع الكندي الشاعر - واسمه محمد بن عمير - كان الدهر مُقْتَعاً، والقناع
من سيماء الرؤساء، والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله
ﷺ كان لا يكاد يرى إلا مقنعاً، وجاء في الحديث: «حتى كأنَّ الموضع الذي يُصيب
رأسه من ثوبه ثوب دَهَانٍ». وكان المقنع الذي خرج بخراسان يدعي الربوبية لا يدعُ القناع
في حال من الحالات، وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة فأدعاها من الوجه الذي لا
يختلف فيه الأحمر والأسود والمؤمن والكافر أن باطله مكشوف كالنهار لا يُعرف في شيء
من الملل والتحل القول بالتناسخ إلا في هذه الفرقة من الغالية، وهذا المقنع كان قصّاراً
من أهل مرو، وكان أعور الكن، فما أدري أيُّهما أعجب: أدعواه بأنه رب أو إيمان من
آمن به وقاتل دونه، وكان اسمه عطاء. وقال الآخر:

[الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ أَتَرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا السَّيِّدُ الْمَفْضَى إِلَيْهِ الْمَعَمُّ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ شَيْئاً أَبَوْا أَنْ يَسُودَهُمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ زَعْمُهُ وَهُوَ الْوَمُّ
وقال آخر:

[الطويل]

إِذَا كَشَفَ الْيَوْمُ الْعِمَاسَ (٤) مِنْ (٥) أَسْتِهِ فَلَا يَرْتَدِي مِثْلِي وَلَا يَتَعَمَّمُ
قالوا: وكان مصعب بن الزبير يتعمَّم العقداء وهو أن يعقد العِمامة في القفء، وكان
محمد بن سعد بن أبي وقاص الذي قتله الحجاج يعتم الميلاء. وقال الفرزدق:

[الطويل]

وَلَوْ شَهِدَ الْخَيْلَ ابْنُ سَعْدٍ لَقَتَّعُوا عِمَامَتَهُ الْمَيْلَاءَ عَضْباً مُهَنَّدَا

(١) المزدَهف: المقدم على الشر.

(٢) المصاعب: مفردة مصعب بضم الميم، وهو الفحل الذي لم يركب ويستذل.

(٣) القطف: مفردة قطفوف، وهي الدابة التي تسيء السير.

(٤) العماس: الشديد.

(٥) جاء في نسخة أخرى «عن» بدلاً من «من».

وقال شمعلة بن أخضر الضبي:

[الوافر]

تَرَى فِيهَا مِنْ الْغَزْوِ اقْوَاراً^(٢)
يَزِينُ سَوَادُ مُقْلَتِهِ الْعِدَارَا
جَبِينِ أَعْرَى يَسْتَلِبُ الدُّوَارَا^(٥)
سِوَى ضَرْبِ الْقِدَاحِ إِذَا أُسْتَشَارَا

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَطْرَافِ^(١) فَلَجَ
بِكُلِّ طِمْرَةٍ^(٣) وَبِكُلِّ طَرْفِ^(٤)
حَوَالِي عَاصِبٍ بِالتَّاجِ مِثْلَا
رَّئِيسٍ مَا يُنَازِعُهُ رَّئِيسٌ
وَأُنْشَدَ:

[الوافر]

عَلَى كَرَمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنَارُوا
وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ هُمْ تَجَارُ
فَأَنْتَ لِأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ

إِذَا لَبَسُوا عَمَائِمَهُمْ طَوَّوْهَا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سِوَاهُمْ
إِذَا مَا كُنْتَ جَارَ بَنِي لُؤْيٍ^(٦)
وَأُنْشَدَ:

[المقارب]

جَعَلَتْ رِدَاءَكَ فِيهَا خِمَارَا
وَلِذَكَرِ الْعَمَائِمِ مَوَاضِعَ، قَالَ زَيْدُ بْنُ كَثُوفٍ الْعَنْبَرِيُّ:

[الطويل]

وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمَدَّعِينَ زَنَاءَ^(٧)
عِمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجَالِ لِهَوَاءِ
لِأَنَّ الْعِمَامَةَ رَبَّمَا جَعَلُوهَا لِهَوَاءِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ يَوْمَ مَسْعُودَ بْنِ عَمْرٍو
حِينَ عَقَدَ لِعَبْسٍ بَنٍ طَلَقَ الْهَوَاءَ أَنَّمَا نَزَعَ عِمَامَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ فَعَقَدَهَا لَهُ؟!

مَنْعَتَ مِنَ الْعُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ
فَجَاءَتْ بِهِ عَبَلٌ^(٨) الْقَوَامِ كَأَنَّمَا
وَرَبَّمَا شَدُّوا بِالْعَمَائِمِ أَوْسَاطَهُمْ عِنْدَ الْمَجْهَدَةِ وَإِذَا طَالَتِ الْعُقْبَةُ^(٩) وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ:

[الطويل]

فَبَاسَتْ الَّذِي^(١٠) يَرْجُو الْقِرَى عِنْدَ عَاصِمٍ
نَشُدُّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعَمَائِمِ

فَسِيرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ
دُفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذَّيْخِ^(١١) حَاطِياً

(١) جاء في نسخة أخرى «أكناف» بدلاً من «أطراف».

(٢) الإقورار: الضمور والتغيير.

(٣) الطمرة: الفرس المتهبئة للوثب والعدو.

(٤) الطرف: كريم الأبوين.

(٥) الدوار: الإحساس بفقدان التوازن.

(٦) جاء في نسخة أخرى «تميم» بدلاً من «لؤي».

(٧) الزناء: القصير المجتمع.

(٨) العبل: الضخم.

(٩) العقبة: المسافة التي يمكن للرجل أن يقطعها.

(١٠) جاء في نسخة أخرى «امري» بدلاً من «الذي».

(١١) الذبيخ: الذئب الجريء.

وقال الفرزدق :

[الطويل]

بَنِي عَاصِمٍ إِنَّ تَلَحُّبُوهَا ^(١) فَإِنَّكُمْ مَلَا حِي ^(٢) لِّلِسَوَاتِ دُسْمُ الْعَمَائِمِ

وقال آخر :

[الطويل]

خَلِيلِي شَدَّاءِ لِي بِفَضْلِ عِمَامَتِي عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا

ذكر ما جاء في الحديث عن النعل عند العرب :

العرب تلهج بذكر النعال، والفرس تلهج بذكر الخفاف. وفي الحديث المأثور: «أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الأحمر والأصفر، ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون». وأما قول شاعرهم:

[الوافر]

إِذَا أَخْضَرَّتْ نِعَالُ بَنِي غُرَابٍ بَعَّوْا وَوَجَدَتْهُمْ أَشْرَى لِّئَامَا

لم يرد صفة النعل وإنما أراد بأنهم إذا أخضرت الأرض وأخصبوا طعَّوْا وبَعَّوْا، كما قال الآخر:

[الطويل]

وَأَطْوَلُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ إِقَامَةً وَأَوْزَنُ أَحْلَاماً إِذَا التَّعْلُ أَخْضَلَا ^(٣)

ومثل قوله :

[الرجز]

يَا أَبْنَ هِشَامِ أَهْلَكَ النَّاسَ اللَّبَنُ فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِسَيْفٍ وَقَرْنُ

وأما قول الآخر :

[الطويل]

وَكَيْفَ أَرَجَّيْ أَنْ أَسْوَدَ عَشِيرَتِي وَأُمِّي مِنْ سَلَمَى أَبُوهَا وَخَالُهَا

رَأَيْتُكُمْ سُوداً جَعَاداً وَمَالِكُ مُخَصَّرةً بِيضُ سِبَاطُ نِعَالُهَا

فلم يذهب إلى مديح النعال في أنفسها وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفى الجعودة والقصر عنهم، وقال النابغة:

[الطويل]

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ ^(٤) يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ ^(٥)

يَصُونُونَ أَجْسَاداً قَدِيمَ نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ ^(٦) خُضِرِ الْمَنَاكِبِ

(١) جاء في نسخة أخرى «تلجنوها» بدلاً من «تلحبوها».

(٢) جاء في نسخة أخرى «ملاحي» بدلاً من «ملاحي».

(٣) جاء في نسخة أخرى «أجهلاً» بدلاً من «أخضلاً». وهذه الرواية تنسجم مع روح البيت.

(٤) طيب مجزاتهم: يقصد بذلك أنهم أعفة. أما الحجة فمعناها: معقدة الإزار.

(٥) يوم السباسب: عيد الشعانين عند النصارى.

(٦) الأردن: مفردة ردن وهو مقدم كم القميص.

قال: وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ولم تلبس نعلأً قط إذا نقبت، وقد قال قائلهم:

[المقارب]

وُلِّقِي النَّعَالَ إِذَا نُقِّبَتْ^(١) وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَخْلَاقِهَا
وَنَحْنُ الْأَذْوَابَةُ مِنْ وَائِلٍ إِلَيْنَا تَمُدُّ بِأَعْنَاقِهَا
وهم رهط خالد بن معمر يقول فيه شاعرهم:

[الطويل]

مُعَاوِيَ أَمْرُ خَالِدِ بْنِ مُعَمَّرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تُؤْمَرْ
وقائلهم يقول:

[الطويل]

أَغَاضِبُهُ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ أَنْ رَأَتْ عَدِيدَيْنِ مِنْ جَرْثُومَةٍ وَدَخِيسٍ^(٢)
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ
وكان عمر - رضي الله تعالى عنه - جعل رياسة بكر لمجزأة بن ثور، فلما أستهشد
مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمر، ثم ردها عثمان على شقيق بن مجزأة بن ثور،
فلما خرج أهل البصرة إلى صفين تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك علي إلى
حُضَيْنِ بن المنذر فرضي كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه، فسكنت
بكر وعرف الناس صحة تدبير علي - رضي الله تعالى عنه - في ذلك.
وأما قول الآخر:

[الرجز]

يَا لَيْتَ لِي نَعْلَيْنِ مِنْ جِلْدِ الضَّبُعِ وَشَرَكَا^(٣) مِنْ أَسْتِهَا لَا تَنْقَطِعُ
كُلَّ الْحِذَاءِ يَحْتَذِي الْحَافِي الْوَقْعَ^(٤)

فهذا كلام محتاج والمحتاج يتجاوز. أما قول النجاشي لهند بن عاصم:

[الطويل]

إِذَا اللَّهُ حَيًّا صَالِحًا مِنْ عِبَادِهِ كَرِيمًا فَحَيَّا اللَّهُ هِنْدَ بْنَ عَاصِمٍ
وَكُلُّ سَلُولِيٍّ إِذَا مَا لَقِيَتْهُ سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي النَّدَى وَالْمَكَارِمِ
وَلَا يَأْكُلُ الْكَلْبُ السَّرُوقَ نِعَالَهُمْ وَلَا تَنْتَقِي الْمَخَ الَّذِي فِي الْجَمَاجِمِ

فقال يونس: «كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا ينتعلون إلا بالسبت»^(٥) وقال كثير:

[الطويل]

إِذَا نُبِذَتْ لَمْ تُطَبَّ الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلَسِ الْقَوْمِ شَمَّتْ

(١) نقبت: ثقتبت.

(٢) الدخيس: العدد الكثير.

(٣) الشرك: سير النقل.

(٤) الوقع: هو من يتألم من قدمه لشدة وعورة الأرض في حالة حفاة.

(٥) السبت: الجلد المدبوغ.

وقال عتيبة بن الحارث وهو ابن فسوة :

[الطويل]

إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السُّبَّتَ مَا لَمْ يُخْصَرِ
وإذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل أن يمدحها قال الله تبارك
وتعالى لموسى على نبينا وعليه السلام: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(١) وقال
بعض المفسرين: «كان من جلد غير ذكي» وقال الزبيري: «ليس كما قال، بل أعلمه حقَّ
المقام الشريف والمدخل الكريم. ألا ترى أن الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم
خارجاً؟!» قال: وحدثنا سلام بن مسكين قال: «ما رأيت الحَسَنَ إلا وفي رجله النعل،
رأيتُه على فراشه وهي في رجله، وفي مسجده وهو يصلي وهي في رجله» وكان بكر بن
عبد الله تكون نعله بين يديه فإذا نهض إلى الصلاة لبسها، وروي ذلك عن عمرو بن عبيد
وهاشم الأوقص وحوشب وكلاب وعن جماعة من أصحاب الحسن، وكان الحسن
يقول: «ما أعجب قوماً يروون أن رسول الله ﷺ في نعليه فلمَّا أُنْفِتِلَ من الصلاة علم أنه
قد كان وطىء على كذا وكذا وأشباهاً لهذا الحديث، ثم لا ترى أحداً منهم يصلي منتعلاً»
وأما قوله:

[الطويل]

وَقَامَ بَنَاتِي بِالنُّعَالِ حَوَاسِرًا وَأَلْصَقْنَ وَفَعَّ السُّبَّتِ تَحْتَ الْقَلَائِدِ
فإن النساء ذوات المصائب إذا قمن في المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال.
وقال محمد بن يسير:

[الخفيف]

كَمْ أَرَى مِنْ مُسْتَعْجِبٍ مِنْ نِعَالٍ وَرِضَائِي مِنْهَا بِلُبْسِ الْبَوَالِي
كُلِّ جَرْدَاءٍ^(٢) قَدْ تَحَيَّفَهَا^(٣) الْخَصْفُ^(٤) بِأَقْطَارِهَا بِسُرُو النُّعَالِ
لَا تُدَانِي وَلَيْسَ تُشَبِّهُ فِي الْخُلْدِ فَتَةً إِنْ أُبْرِزَتْ نِعَالُ الْمَوَالِي
لَا وَلَا عَنْ تَقَادُمِ الْعَهْدِ مِنْهَا بَلِيَتْ لَا وَلَا لِكُرِّ اللَّيَالِي
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أُوثِرُ ذَا الْوُدِّ دَعَلِيهَا بِثُرُوتِي وَبِمَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلٍ فَسَوَائِي إِذَا بِهِنَّ يُغَالِي
أَوْ بَغَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سَوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي
فِي إِخَائِي وَفِي وَفَائِي وَرَأْيِي وَعِفَافِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي الْحَفَا^(٥) وَبَلَّغَنِي الْحَا

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

(٢) جرداء: أفضصها من جوانبها.

(٣) تحيفها: أفضصها من جوانبها.

(٤) الخصف: طرق النعل لإصلاحها.

(٥) جاء في نسخة أخرى «الحفي» بالياء بدلاً من «الحفا» بالألف.

وقال خلف الأحمر:

[الوافر]

على ما كان من مَطلٍ وبُخلٍ
وسدوا دُونَهَا باباً بِقُفْلٍ
وعَشَرَ دَجَائِجَ بَعَثُوا بِنَعْلٍ
وعَشْرٍ مِنْ رَدْيِ الْمُقْلِ خَشِلٍ^(١)
على نَعْلٍ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءَ الثُّرَيَّا
هُمْ جَمَعُوا النُّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا
إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِهَةً وَشَاةً
وَمِسْوَكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ
فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِتَحْمِلُونِي

وقال كثير:

[الطويل]

سُجُوفُ^(٢) الْخَبَاءِ عَنْ مَهِيْبٍ مُشَمَّتٍ^(٣)
رَهِيْفَ الشَّرَاكِ^(٤) سَهْلَةً الْمُتَسَمَّتِ^(٥)
وإنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمَّتِ

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنَجَلِي
مِقَارِبُ خَطْوٍ لَا يُغَيِّرُ نَعْلَهُ
إِذَا طَرِحَتْ لَمْ تَطْبِ الْكَلْبَ رِيحُهَا

وقال بشار:

[الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكَاً مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرَا

إِذَا وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا

ولمَّا قال عليُّ بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - لصعصعةَ بنِ صوحانٍ في المنذر بن الجارود ما قال: قال صعصعة: «يا أمير المؤمنين، لئن قلت ذاك أنه لنظاري عطفيه، تُقال في شراكه، تُعجبه حمرةُ برديه» وذم رجل ابن التوام فقال: «رأيتُه مشحم النعل، درن الجورب، مغضن الخف، دقيق الجربان»^(٦). وقال الهيثم: «يمين لا يحلف بها الأعرابي أبداً: أن يقول لا أورد الله لك صادراً ولا أصدر لك وارداً ولا حططت رحلك، ولا خلعت نعلك» وقال آخر:

[الكامل]

وأَبْرَّ وَأَسْتَغْصَى عَلَى الْأَهْلِ
سَفَهَاً وَكَيْفَ إصَابَةُ الْكَهْلِ
حَلْمِي وَيَسَّرَ قَائِدِي نَعْلِي

عَلِقَ الْفُؤَادُ بِرَيْقِ الْجَهْلِ^(٧)
وَصَبَا وَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهُ
أَذْرَكْتُ مُعْتَصِرِي^(٨) وَأَذْرَكَنِي

(١) الخشل: السخيف اليابس.

(٢) السجوف: مفردة سجف، وهو الستار يسدل ليمنع من الرؤية.

(٣) المشمت: الداعي بالتحية.

(٤) رهيف الشراك: رقيق سير النعل.

(٥) متسمت النعل: هو أسفله حتى طرفه.

(٦) الجربان: جيب القميص.

(٧) ريق الشيء: أوله وأفضله.

(٨) معتصري: عمري وهرمي.

ثم رجع الكلام إلى القول في العصا

قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في تعظيم شأن عصا موسى على نبينا وعليه السلام: «الدابة ينشق عنها الصفا، معها عصا موسى وخاتم سليمان، تمسح المؤمن بالعصا ويختم الكافر بالخاتم».

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبي ﷺ في السَّوَاك وحضَّ عليه ﷺ. وأمسواك لا يكون إلا عصا. وقال أبو الوجيه: «قضبان المساويك البشام والضرو^(١) والعتم^(٢) والأراك والعرجون والجريد والإسحل».

ذكر ما تلبس كل طبقة من طبقات المجتمع العباسي:

وقد يلبس الناس الخفاف وألقانيس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء وعلى السادة والعظام، لأن ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والإجلال وأبعد من التبذل والاسترسال وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم.

وللخلفاء عِمَّة، وللفقهاء عِمَّة، وللبغاليين عِمَّة، وللأعراب عِمَّة، وللصوص عِمَّة، وللأبناء عِمَّة، وللروم والنصارى عِمَّة ولأصحاب التشاجي عِمَّة.

ولكل قوم زي: فللقضاة زي، ولأصحاب القضاة زي، وللشرط زي، وللكتاب زي، ولكتاب الجند زي، ومن زيهم أن يركبوا الحمير، وإن كانت ألهماليج^(٣) لهم معرصة.

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب: فمنهم من يلبس المبطنة، ومنهم من يلبس الدراعة^(٤)، ومنهم من يلبس القباء، ومنهم من يلبس البازبكند ويعلق الخنجر، ويأخذ الجرز^(٥) ويتخذ الجمعة.

وزي مجالس الخلفاء في الصيف ألقطن وفي الشتاء فرش الصوف، وترى أن ذلك أجزل وأكمل وأفخم وأقبل^(٦)، ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤوسها التيجان وجلست على الأسرة وظهرت بين الفُرش. وهل يملأ عيون الأعداء ويرعب قلوب

(١) الضرو: ضرب من الشجر طيب الرائحة.

(٢) العتم: هو الزيتون البري.

(٣) الهماليج: مفردة هملاج، وهو البرذون الحسن السير.

(٤) الدراعة: الجبة المشقوفة.

(٥) الجرز: هو العمود يتخذ من حديد أو فضة.

(٦) جاء في نسخة أخرى «أقبل» بالنون بدلاً من «أقبل» بالقاف.

المخالفين، ويحشو صدورَ أَعْوَامِ إفراطِ التعظيم إلا تعظيم شأن السلطان، والزيادة في الأقدار إلا الآلات، وهل دواؤهم إلا في التهويل عليهم، وهل يصلحهم إلا إخافتك إياهم، وهل ينقادون لما فيه الحظُّ لهم ويسلمون بالطاعة التي فيها صلاحُ أمورهم إلا بتدبيرٍ يجمع المحبة والمهابة.

وكانت الشعراء تلبس الوشْيَ والمقطعات والأردية السود، وكل ثوب مشهَّر. وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعرٌ يتزيا بزي الماضين، وكان له برد أسود يلبسه في الصيف والشتاء فهجاهُ بعض الطيِّاب من الشعراء فقال في قصيدة له:

[الرجز]

بِعْ بُرْدَكَ الْأَسْوَدَ قَبْلَ الْبَرْدِ فِي قِرَّةٍ^(١) تَأْتِيكَ صَمَّا صَرْدٌ^(٢)

وكان لجربان^(٣) قميص بشار الأعمى وجبته لبنتان^(٤) فكان إذا أراد نزع شيء منهما أطلق الأزرار فسقطت أثياب على الأرض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط. وقديوه العدوي الشحاجي لم يلبس قميصاً قط وهو اليوم حيٌّ وهو شيخهم. وسعيد بن العاصي الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط. فقديوه الشحاجي ضد سعيد بن العاصي الأموي. وقال الحطيئة:

[الطويل]

سَعِيدٌ فَلَا تَعْرِزُكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وَهُوَ صَلِيبٌ^(٥)

وكان شديد السواد نحيفاً. ومن شأن المتكلمين أن يшиروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم، فإذا أشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً آخر. ويدلُّ على ذلك قول الأنصاري حيث يقول:

[الطويل]

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سُودٍ بِكُومٍ^(٦) أَلْمَطَايَا وَالْخِيُولِ الْجَمَاهِرِ^(٧)
يُؤْمُونَ مَلِكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مُلُوكاً بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
يُصِيبُونَ فَصَلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ

وقال الكميث بن زيد:

[مجزوء الكامل]

وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمُهَذِّدِ ذَبَّ بِالْمُؤَيَّدَةِ السَّوَائِرِ
بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَا تِ الْمُفْحَمِ مِنَّا وَشَاعِرِ

(١) القِرَّة: هو ما ينزل بالإنسان وغيره من البرد.

(٢) صَمَّا صَرْد: شديدة البرودة.

(٣) الجربان: جيب القميص.

(٤) اللبنتان: بنقينا القميص.

(٥) تخدَّد: هزل.

(٦) الكوم: القطعة من الإبل.

(٧) الجماهر: المجتمع الكثير.

أَهْلُ التَّجَارِبِ^(١) فِي الْمَحَا فِلِ وَالْمَقَاوِلِ بِالْمَخَاصِرِ
وأيضاً إِنَّ حَمْلَ الْعَصَا وَالْمَخْصِرَةَ دَلِيلٌ عَلَى التَّأَهُّبِ لِلخُطْبَةِ وَالتَّهَيُّؤِ لِلإِطْنَابِ
وَالْإِطَالَةِ، وَذَلِكَ شَيْءٌ خَاصٌّ فِي خُطْبَاءِ الْعَرَبِ وَمَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِمْ، حَتَّى
إِنَّهُمْ لِيَذْهَبُونَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَالْمَخَاصِرِ فِي أَيْدِيهِمْ إِبْقَاءً وَتَوْقِعاً لِبَعْضِ مَا يُوجِبُ حَمْلَهَا
وَالْإِشَارَةَ بِهَا.

وَعَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى أَشَارَ النِّسَاءُ بِالْمَالِي^(٢) وَهَنَ قِيَامٌ فِي الْمَنَاحَاتِ. وَعَلَى ذَلِكَ
الْمِثَالِ (ضَرْبِنَ الصَّدُورَ بِالنِّعَالِ).

وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعَجْزُ وَالذَّلَّةُ فِي دُخُولِ الْخَلَلِ وَالنَّقْصِ عَلَى الْجَوَارِحِ فَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِيهَا
فَالصَّوَابُ فِيهِ، وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا كَتَعْظِيمِ كُورِ الْعِمَامَةِ وَاتِّخَاذِ الْقَضَاةِ الْقَلَانِسَ الْعِظَامَ فِي
حَمَارَةِ الْقَيْظِ وَاتِّخَاذِ الْخُلَفَاءِ الْعِمَائِمَ عَلَى الْقَلَانِسِ، فَإِنْ كَانَتِ الْقَلَانِسُ مَكْشُوفَةً زَادُوا فِي
طَوْلِهَا وَجِدَّةَ رُؤُوسِهَا حَتَّى تَكُونَ فَوْقَ قَلَانِسِ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، وَكَذَلِكَ الْقِنَاعُ لِأَنَّهُ أَهْيَبُ.

وَعَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى كَانَ يَتَقَنَّعُ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ
مُوسَى وَأَشْبَاهُهُمْ وَسُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ وَعِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى وَمُحَمَّدُ
ابْنُ سُلَيْمَانَ ثُمَّ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَالسَّنْدِيُّ بْنُ شَاهِكٍ وَأَشْبَاهُهُمَا مِنْ أَلْمَوَالِي لِأَنَّ ذَلِكَ
أَهْيَبُ فِي الصَّدُورِ وَأَجْلُ فِي الْعَيُونِ وَالْمَتَقَنَّعُ أَرْوَعُ مِنَ الْحَاسِرِ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفَارِقْهُ الْحِجَابُ
وَإِنْ كَانَ ظَاهِراً فِي الطَّرِيقِ وَكَانَ أَشْبَهَ بِمَالَيْنَةِ الْعَوَامِ وَسِيَاسَةِ الرِّعِيَةِ. وَطَرَحَ الْقِنَاعُ مَلَابِسَةً
وَأَبْتَدَلَ وَمُؤَانَسَةً وَمُقَارَبَةً.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صَوَابِ هَذَا الْعَمَلِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَمِنْ صَنَائِعِهِمْ وَرِجَالِ دَعْوَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ
قَدْ عَلِمُوا حَاجَةَ النَّاسِ إِلَى أَنْ يَهَابُوهُمْ وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ صِلَاحُ شَأْنِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ
أَكْثَرَ النَّاسِ قِنَاعاً. وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْأَسْلَافِ الْمَتَّبِعِينَ أَنَّا نَجِدُ رُؤُسَاءَ جَمِيعِ
أَهْلِ الْمَلِكِ وَأَرْبَابِ النُّحُلِ عَلَى ذَلِكَ. وَلِذَلِكَ اتَّخَذُوا فِي الْحُرُوبِ الرِّايَاتِ وَالْأَعْلَامَ،
وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ خِرْقٌ سَوْدٌ وَحُمْرٌ وَصَفَرٌ وَبَيْضٌ. وَجَعَلُوا اللَّوَاءَ عِلَامَةً لِلْعَقْدِ، وَالْعِلْمُ فِي
الْحُرُوبِ مَرْجِعاً لِمُصَاحِبِ الْجَوْلَةِ. وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ خِرْقاً عَلَى عَصِيٍّ أَنْ ذَلِكَ
أَهْيَبُ فِي الْقُلُوبِ وَأَهْوَلُ فِي الصَّدُورِ وَأَعْظَمُ فِي الْعَيُونِ. وَلِذَلِكَ أَجْمَعَتِ الْأُمَمُ رِجَالَهَا
وَنَسَاؤَهَا عَلَى إِطَالَةِ الشُّعُورِ لِأَنَّ ذَا الْجَمَّةِ أَضْخَمُ هَامَةً وَأَطْوَلُ قَامَةً وَالْكَاسِي أَفْخَمُ مِنَ
الْعَارِي، وَلَوْلَا أَنْ حُلِقَ الرَّأْسُ طَاعَةً وَعِبَادَةً وَتَوَاضَعَ وَخَضَعُ، وَكَذَلِكَ السَّعْيُ وَرَمِي
الْجِمَارُ، لَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ عَمُورِيَةً إِلَّا رِجَالُ ثِيَابِهِمُ الرُّهْبَانُ

(١) جاء في نسخة أخرى «التجاوب» بالواو بدلاً من التجارب «بالراء».

(٢) جاء في نسخة أخرى «بالمالي» بدلاً من «بالمالي» بدون ألف المد.

وشعورهم شعور النساء، وكل ما زادوه في الأبدان ووصلوه في الجوارح فهو زيادة في تعظيم تلك الأبدان.

والعصي والمخاصر - مع الذي عدّدناه ومع الذي ذكرناه ونريد ذكره من خصال منافعها - كله باب واحد في المعنى .

والمعنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني، والمتكلم قد يُشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني، ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه . وقال عبد الملك بن مروان: «لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي» . وأراد معاوية سبحانه وائل على الكلام وقد كان اقتضبه اقتضاباً فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فرطلها بيده فلم تُعجبه حتى أتوه بمخصرته من بيته . والمثل المضروب بعصا الأعرج يقولون: «أقرب من عصا الأعرج ويضربون المثل بعصا النهديّ، وقال علقمة في صفة فرسٍ أنثى:

سَلاةٌ^(١) كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلٌّ^(٢) لَهَا مُنْظَمٌ مِنْ نَوَى قَرَّانٍ^(٣) مَعْجُومٌ^(٤)

ويضربون المثل برمح أبي سعد، وكان أبو سعد أعرج وفَدَّ في وفْدِ عُدْوَانٍ، قال ذو الأصبغ العدواني:

إِنْ تَكُنْ شِكَّتِي^(٥) رُمَحَ أَبِي سَعْدٍ دِفْقَدُ أَحْمِلُ السَّلَاحِ مَعَا

قال عباس بن مرداس:

[الطويل]

جَزَى اللَّهُ خَيْراً خَيْرَنَا لِصَدِيقِهِ وَزَوَّدَهُ زَاداً كَزَادِ أَبِي سَعْدٍ
وَزَوَّدَهُ صِدْقاً وَبِرّاً وَنَائِلاً وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الْوِفَادَةِ مِنْ حَمْدٍ

وقال آخر:

[الطويل]

فَأَبَ بِجَدْوَى زَامِلٍ وَأَبْنِ زَامِلٍ عَدُوَّكَ أَوْ جَدْوَى كَلَيْبِ بْنِ وَائِلٍ

ويقولون: «لو كان في العصا سير» ويقولون: «ما هو إلا ابنة عصا، وعقدة رشاء» ويقولون: «أخرج عوده كعصا البقار»^(٦) «وأخرج عوده كعصا الحادي» وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا تبع وعصا شريان وعصا أبнос وعصا أخرى كريمة العيدان شريفة الأغصان وأردية قطرية وركاء يمانية ونعلاً سبتية^(٧)، فقبل من ذلك عصا

(١) السلاة: شوكة النخل .

(٢) غُلٌّ: أدخل .

(٣) قَرَّان: قرية من قرى اليمامة .

(٤) معجوم: معضوض .

(٥) الشَّكَّة: السلاح .

(٦) البقار: راعي البقر .

(٧) سبتية: مصنوعة من الجلد المدبوغ .

واحدة وردّ الباقي . وبعث إليه مرةً أخرى بنعل وكتب إليه :

[الكامل]

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِتَلْبَسَهَا تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كُنْتُ أَفْذَرُ أَنْ أَشْرَكَهَا خَدِّي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي

فقبلها . الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الشجرة التي نُودي منها موسى على نبينا وعيله السلام هي عَوْسَج ، وأنه نُودي من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت من آس الجنة ، وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة فكان طولها طول موسى عليه السلام . وقالوا من العُلَيْقِ وقال آخر :

[الرجز]

صَفْرَاءُ مِنْ نَبْعِ كَلَوْنِ الْوَرَسِ أَبْدَوْهَا بِالذَّهْنِ قَبْلَ نَفْسِي
وَأَنشُدِ الْأَصْمَعِيَّ عَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :

[الطويل]

أَلَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا كَبِرَتْ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعَا
رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسُهُ مَا تَقْنَعَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَهْزَيْ بِي فَقَلَّمَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
وَلِلْقَارِحِ (١) الْيَعْبُوبُ (٢) خَيْرُ عِلَالَةٍ (٣)

وقال إسحاق بن سويد :

[الخفيف]

فِي رِدَاءِ النَّبِيِّ أَقْوَى دَلِيلِ ثُمَّ فِي الْعَقَبِ (٦) وَالْعَصَا وَالْقَضِيبِ
وقال أبو الشيص الأعمى في هارون الرشيد :

[الخفيف]

يَا بَنِي هَاشِمٍ أَفِيقُوا فَإِنَّ الـ مُلِكَ مِنْكُمْ حَيْثُ الْعَصَا وَالرِّدَاءُ
مَا لَهَا رُونَ فِي قُرَيْشٍ كِفَاءُ وَقُرَيْشٌ لَيْسَتْ لَهُمْ أَكْفَاءُ
وقال الآخر :

[الطويل]

عَلَى خَشَبَاتِ الْمُلِكِ مِنْهُ مَهَابَةٌ وَفِي الْحَرْبِ عَيْلُ (٧) السَّاعِدِينَ قُرُوعُ
يَشُقُّ الْوَعَى عَنْ رَأْسِهِ فَضْلُ نَجْدَةٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَقِيعُ

(١) القارح : الفرس في سنتها الخامسة .

(٢) اليعبوب : الطويل السريع .

(٣) العلالة : الجري الثاني .

(٤) الجذع : الفرس لم يتم لها من العمر سنتان .

(٥) المجري : مهزول الجسم .

(٦) جاء في نسخة أخرى «العقب» بدلاً من «العقب»

(٧) العبل : الضخم .

ومِمَّا يَجُوزُ أَيْضاً فِي الْعَصَا قَوْلُ أَبِي الشَّيْصِ:

[السريع]

أَنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ
أَنْعَى فَتَى مَصِّ الثَّرَى بَعْدَهُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ:

[الوافر]

فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ حَيَّيْنِ أَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ إِنْ طَرَقَتْ طُرُوقَا
وَأَصْبَرَ^(١) عِنْدَ ضَنْكِ الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَأَسْلَكَهُمْ لِأَحْزَنِهِ طَرِيقَا
شَرِيتُ صَلَاحَهُمْ بِتِلَادِ مَالِي فَعَادَ الْغُصْنُ مُعْتَدِلاً وَرِيقَا

وَيَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا أَفَادُوا أَثْرَى وَكَثُرَتْ نِعْمَتُهُ: «ضَعْ عَصَاكَ» «وَقَدْ وَضَعَ عَصَاهُ»

وَقَالَ أَبُو الْأَعْوَرِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ:

[الخفيف]

وَتَجَرُّ الْأَذْيَالَ فِي نِعْمَةٍ زَوْ لِ تَقُولَانِ ضَعْ عَصَاكَ لِدهِرِ

وَيَقُولُونَ لِلْمُسْتَوْتِنِ فِي الْبَلَدِ وَالْمُسْتَطِيبِ لِلْمَكَانِ: «قَدْ أَلْقَى عَصَاهُ» وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ

أَبِي سُلْمَى:

[الطويل]

فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقاً جَمَامُهُ^(٢) وَضَعْنَ عَصِيَّ الْحَاضِرِ^(٣) الْمُتَخَيِّمِ

(١) جاء في نسخة أخرى «واضرب» بدلاً من «وأصبر».

(٢) الجمام: هو ما اجتمع من الماء وكثر.

(٣) الحاضر: هم الجمع المخيم المجتمع على الماء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الزهد

نبدأ باسم الله وعونه بشيء من كلام النساك في الزهد، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم.

عوف عن الحسن قال: «لا تزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث: شبابه فيم أبلاه، وعمره فيم أفناه، وماله من أين كسبه وفيم أنفقه». قال: وقال يونس بن عبيد: سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن قول حسان بن أبي سنان: «ماشيء أهون من ورع، إذا رابك أمر فدعه». وقول ابن سيرين: «ما حسدتُ أحداً على شيء قط» وقول مؤرق العجلي: «لقد سألتُ الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها». فقيل لمؤرق ما هي؟ قال: «ترك ما لا يعنيني» وقال أبو حازم الأعرج: «إن عُوفينا من شر ما أُعطينا لم يضرنا فقد ما زُوي عتاً» وقال أبو عبد الحميد: لم أسمع أعجب من قول عمر: «لو أن الصبر والشكر بغيران ما باليت أيهما ركبت» وقال ابن صُبارة: «إننا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة أهون من الصبر على عذاب الله». وقال زياد عبد عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: «أنا من أن أُمْنَعُ الدُّعَاءَ أخوف مني من أن أُمْنَعُ الإجابة». وقال له عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «يا زيادُ، إني أخاف الله ممَّا دَخَلْتُ فيه». قال: «لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف». وقال بعض النساك: «كفى موعظةً أنك لا تموت إلاً بحياة ولا تحيا إلاً بموت». وهو الذي قال: «اصحب مَنْ ينسى معروفه عندك». وهو الذي قال: «لا تجعل بينك وبين الله مُنْعِماً، وعدَّ النعم منه عليك مغرمًا» ودخل سالم بن عبد الله مع هشام بن عبد الملك البيت فقال له هشام: «سلني حاجتك». قال: «أكره أن أسأل في بيت الله غير الله» وقيل لرابعة القيسية: «لو كلمنا رجال عشيرتك فأشترؤا لك خادماً تكفيك مؤنة بيتك؟». فقالت: «والله إنِّي لأستحي أن أسأل الدنيا مَنْ يملك الدنيا فكيف أسألها مَنْ لا يملكها» وقال بعض النساك: «دياركم أمامكم وحياتكم بعد موتكم» وقال السموأل بن عدياء اليهودي:

[الكامل]

مَيْتاً خُلِقْتُ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْئاً يَمُوتُ فَمَتُّ حِينَ حَيِّتُ

وقال أبو الدرداء: «كان الناس ورقا لا شوكة فيه وهم اليوم شوكة لا ورق فيه». الحسن بن دينار. قال: رأى الحسن رجلاً يكيد بنفسه فقال: «إنَّ امرأ هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله، وإنَّ امرأ هذا أوله لجدير أن يخاف آخره» وقال أبو حازم: «الدنيا غرت أقواماً، فعملوا فيها بغير الحق، ففاجأهم الموت، فخلفوا ما لهم لمن لا يحمدهم، وصاروا إلى مَنْ لا يعذرهم. وقد خلفنا بعدهم فينبغي لنا أن ننظر إلى الذي كرهناه منهم فنجتنبه، وإلى الذي غبطناهم به فنستعمله» موسى بن داود رفع الحديث قال: «النظر إلى خمسة عباد: النظر إلى الوالدين، والنظر إلى البحر، والنظر إلى المصحف، والنظر إلى الصخرة، والنظر إلى البيت». عبد الله بن شداد قال: «أربع من كن فيه برىء من أكبر: مَنْ أعتقل البعير، وركب الحمار، ولبس الصوف، وأجاب دعوة الرجل الدون» وذكر عند أنس الصوم فقال: «ثلاث من أطاقهن فقد ضبط أمره: من تسخر، ومن قال^(١)، ومن أكل قبل أن يشرب وشرب ثم لم يأكل فقد ضبط نفسه». وقال الجمار: «ليس يقوى على الصوم إلا مَنْ كثر لقمه وأطاب أدمه».

مجالد بن سعيد عن الشعبي قال: حدثني مرة الهمداني - قال مجالد: قد رأيته - وحدثننا إسماعيل بن أبي خالد أنه لم ير مثل مرة قط، كان يصلي في اليوم واللييلة خمسمائة ركعة. وكان مرة يقول لَمَّا قُتِلَ عثمان - رضي الله تعالى عنه: «حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله، فصليت مائة ركعة، فلمَّا وقع الجمل وصفين حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من تلك الحروب وزدت مائتي ركعة، فلمَّا كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدا وزدت مائة ركعة، فلمَّا كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدا وزدت مائة ركعة». وأنا أسأل الله أن يغفر لمرة، على أننا لا نعرف لبعض ما قال وجهاً، لأنك لا تعرف فقيهاً من أهل الجماعة لا يستحل قتال الخوارج كما أننا لا نعرف أحداً منهم لا يستحل قتال الصلوص، وهذا ابن عمر وهو رئيس الحلبية^(٢) وزعيمهم قد لبس السلاح لقتال نجدة. وقيل لشريح: «الحمد لله الذي سلمك من القتال في شيء من هذه الفتن». قال: «فكيف أصنع بقلبي وهواي؟» وقال الحسن: «قتل الناقة رجل واحد، ولكن الله عم القوم بالعذاب لأنهم عموه بالرضا» وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وخاذليه وناصره فقال: «تلك دماء كفَّ الله يدي عنها فأنا أحب ألا أغمس لساني فيها».

ودخل أبو الدرداء على رجل يعود فقال: «كيف تجدك؟» قال: «أفرق من الموت». قال: «فممن أصبت الخير كله؟» قال: «من الله». قال: «فلم تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه؟» ولما قُذِفَ إبراهيم عليه - السلام في النار قال له جبرائيل عليه

(١) قال: استراح ونام في الظهيرة.

(٢) الحلبية: هم القاعدون الذين لا يخرجون إلى قتال أبناء جلدتهم.

السلام: «ألك حاجة يا خليل الله؟» قال: «أما إليك فلا». وقال: رأى بعض النساك صديقاً له من النساك مهموماً فسأله عن ذلك فقال: «كان عندي يتيم أحتسب فيه الأجر، فمات». قال: «فأطلب يتيماً غيره، فإن ذلك لا يعدمك إن شاء الله تعالى» قال: «أخاف ألا أصيب يتيماً في سوء خلقه». قال: «أما إنني لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه» - قال: ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيد بنفسه، فقال: «أطب نفساً فإنك تلقى رباً رحيماً». قال: «أما ذنوبي فإنني أرجو أن يغفرها الله لي، وليس اغتنامي إلا لِمَنْ أَدْعُ من بناتي». قال له صاحبه: «الذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فأرجه يحفظ بناتك». قال: وكان مالك بن دينار يقول: «لو كانت الصحف من عندنا لأقلنا الكلام» وقال يونس بن عبيد: «لو أمرنا بالجزع لصبرنا» وكان يقول: كسبت في هذه السوق ثمانين ألف درهم ما فيها درهم إلا وأنا أخاف أن أسأل عنه». قال: سمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن بن حذيفة يقول: قال الحطيئة: «إنما أنا حسب موضوع» فقال عمرو: «كذب ترحه الله، ذلك التقوى» وقال أبو الدرداء: نعم صومعة المؤمن منزل يكف فيه نفسه وبصره وفرجه، وإياكم والجلوس في هذه الأسواق فإنها تلغي وتلهي.

من أقوال الحسن البصري:

وقال الحسن: «أبن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبغ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً. يا أبن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم فيه. الثواء ههنا قليل، والبقاء هناك طويل. أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون المعايينة؟ فكأن قد. هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحال بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة. أما أنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم. أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم. من رأى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فقد رآه غادياً ورائحاً، لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه. فالوحاء ألوحاء، والنجاء النجاء علام تعرجون؟، أتيتم ورب الكعبة، قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم تُرذلون فماذا تنتظرون؟ إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً عليه السلام على علم منه، اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده، ثم وضعه من الدنيا موضعه ينظر إليه أهل الأرض، وأناه منها قوتاً وبلغه، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١) فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضي له ربُّه فأبعدهم الله وسحقهم. يا ابن

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

أَدَمَ طَلَبَ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ قَبْرُكَ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عَمْرِكَ مِنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ. رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَظَرَ فَنَفَكَّرَ، وَتَفَكَّرَ فَأَعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ فَصَبَرَ، فَقَدْ أَبْصَرَ أَقْوَامَ وَلَمْ يَصْبِرُوا فَذَهَبَ الْجَزَعُ بِقُلُوبِهِمْ وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مَا فَارَقُوا. يَا ابْنَ آدَمَ، أَذْكَرُ قَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ^(١) وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(٢)﴾ عَدَلَ وَاللَّهُ عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ. خَذُوا صَفَاءَ الدُّنْيَا وَذَرُوا كُدْرَهَا، فَلَيْسَ الْأَصْفَىٰ مَا عَادَ كُدْرًا وَلَا الْكُدْرُ مَا عَادَ صَفْوًا. دَعُوا مَا يُرِيْبُكُمْ إِلَىٰ مَا لَا يُرِيْبُكُمْ. ظَهَرَ الْجَفَاءُ، وَقَلَّتِ الْعِلْمَاءُ، وَعَفَّتِ السُّنَّةُ، وَشَاعَتِ الْبِدْعَةُ. لَقَدْ صَحِبْتُ أَقْوَامًا مَا كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ إِلَّا قَرَّةَ الْعَيْنِ، وَجَلَاءَ الْأَصْدُورِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانُوا لِحَسَنَاتِهِمْ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ تَرَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذِّبُوا عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا. مَالِي أَسْمَعُ حَسِيسًا، وَلَا أَرَىٰ أَنْيَسًا. ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ السُّنَّاسُ. لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَافَنْتُمْ. تَهَادَيْتُمْ الْأَطْبَاقَ وَلَمْ تَتَهَادَوْا النَّصَائِحَ. قَالَ ابْنُ الْخَطَّابِ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَىٰ إِلَيْنَا مَسَاوِينَا» أَعَدُّوا الْجَوَابَ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ. الْمُؤْمِنُ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَكِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ. إِنْ هَذَا الْحَقُّ قَدْ جَهَّدَ أَهْلَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِمْ، وَمَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ وَرَجَا عَاقِبَتَهُ فَمَنْ حَمَدَ الدُّنْيَا ذَمَّ الْآخِرَةَ وَلَيْسَ يَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ إِلَّا مُقِيمٌ عَلَىٰ سَخَطِهِ، يَا ابْنَ آدَمَ، الْإِيمَانُ لَيْسَ بِالتَّحْلِيِّ وَلَا بِالْتَّمَنِ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ^(٣).

وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ^(٤)﴾ قَالَ: «عَمَّ الْهَاسِكُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَجَنَّةٍ لَا تَبِيدُ، هَذَا، وَاللَّهُ فَضَحَ الْقَوْمَ، وَهَتَكَ الْأَسْتَرَ، وَأَبْدَى الْعَوَارِ^(٥)» تَنَفَّقَ مِثْلَ دِينِكَ فِي شَهَوَاتِكَ سَرَفًا، وَتَمَنَعَ فِي حَقِّ اللَّهِ دَرَهَمًا. سَتَعْلَمُ يَا لُكْعُ^(٦). النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ وَمُنَافِقٌ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَقَدْ أَلْجَمَهُ الْخَوْفُ، وَقَوْمُهُ ذَكَرَ الْعَرَضِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَقَدْ قَمِعَهُ السَّيْفُ، وَشَرَدَهُ الْخَوْفُ فَأَذْعَنَ بِالْجُزْيَةِ وَاسْمَحَ بِالضَّرِيبَةِ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَفِي الْحِجَرَاتِ وَالْطَّرِيقَاتِ، يُسَرُّونَ غَيْرَ مَا يُعْلَنُونَ، وَيُضْمَرُونَ غَيْرَ مَا يُظْهِرُونَ. فَأَعْتَبَرُوا إِنْكَارَهُمْ رَبَّهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ الْخَبِيثَةِ. وَيَلُكُّ، قَتَلْتُ وَلِيَهُ ثُمَّ تَتَمَنَّى عَلَيْهِ جَنَّتَهُ.

وَكَانَ يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا خَلَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ نَفْسَهُ، فَإِنْ وَافَقَهُ حَمِدَ رَبَّهُ وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِنْ خَالَفَهُ أَعْتَبَ^(٧)» وَأَنَابَ وَرَاجَعَ مِنْ قَرِيبٍ. رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) جاء في نسخة أخرى «وَصَدَقَتْهُ الْأَعْمَالُ» بدلًا من «وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ».

(٣) سورة التكاثر، الآية: ١.

(٤) العوار: العيب.

(٥) اللُكْعُ: اللئيم الأحمق.

(٦) أعتب: رجع عن فعل المنكر وانصرف عنه.

وعظ أخاه وأهله فقال: يا أهلي صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله يرحمكم. فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(١) يا ابن آدم، كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارُك، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمّنك الناس؟

وكان يقول: «لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعبث هو فيه، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له أن يصلحه. فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره. وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره، فلا تحقر شيئاً من الخير وإن صغر، فإنك إذا رأيته سرّك مكانه، ولا تحقر شيئاً من الشر وإن صغر، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه».

وكان يقول: «رحم الله عبداً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً. وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر الله، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم، ويؤثرون بالفضل. ألا إن هذا الموت قد أضرب بالدنيا فضحها، فلا والله ما وجد ذواب فيها فرحاً. فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة، وميعادها النار. أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم يفتشون خدودهم تجري دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة سرّتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم. يا ابن آدم، إن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يُغنيك، وإن كان يُغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك. يا ابن آدم، لا تعمل شيئاً من الحق رياء، ولا تتركه حياء».

وكان يقول: «إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها. وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عنده».

وكان يقول: «يا ابن آدم، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، مؤمن مهتم، وعَلَج^(٢) أغتم، وأعرابي لافقه له. ومنافق مكذب، ودنياوي

(١) سورة مريم، الآية: ٥٥.

(٢) العلج: الكافر على دين المجوسية أو النصرانية في بلاد الروم.

متترف . نعق بهم ناعق فأتبعوه، فراش نار وذبان طمع . والذي نفسُ الحسن بيده ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموماً حزيناً، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس ما داموا في عافية مستورون . فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم : فصار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه . أي قوم، أن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم، فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همّه .

وقال الحسن في يوم فطر - وقد رأى الناس وهياتهم - : «إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمراً لخلقه، يستيقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق أقوام ففازوا وتخلّف آخرون فخافوا، فآلَعْجَبَ مَنْ الصّاحكُ اللَّاعِبُ في أليوم الذي يفوز فيه الْمُحْسِنون ويخسر فيه المبتطلون . أما واللّه أن لو كَشَفَ الْغِطَاءَ لشغل مُحسن بِإحسانه ومُسيء بِإِسْأته عن ترجيل شعر^(١) أو تجديد ثوب» .

من أقوال الخليفة عمر بن الخطاب :

وحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : «الناس طالبان : طالب يطلب الدنيا فأرفضوها في نحره، فإنه ربّما أدرك الذي طلب منها فهلك بما أصاب منها، وربّما فاته الذي طلب منها فهلك بما فاته منها . وطالب يطلب الآخرة . فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه» .

وحدث عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه أنه قال : «أيّها الناس إنّه أتى عليّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن أنه إنّما يُريد به الله وما عنده إلا وقد خُيِّلَ إليّ أن أقواماً يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس . ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم . فإنّا كنا نعرفكم إذا الوحيُّ ينزل وإذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرنا . فقد رُفِعَ الوحيُّ وذهب النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم فإنّما أعرّفكم بما أقول لكم . ألا فَمَنْ أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنيّا به عليه ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . أقدعوا^(٢) هذه النفوس عن شهواتها فإنّها طُلعة^(٣) فإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية . أن هذه الحق ثقيل مرّء . وأن الباطل خفيف وبّء ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . وربّ نظرة زرعت شهوة وشهوة أورثت حزناً طويلاً» .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز «أما بعدُ فكأنك بالدنيا لم تكن وبِالآخرة لم تزل» .

(١) ترجيل شعر : تسريحه .

(٢) أقدعوا : كفّوا ، امنعوا .

(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى ما يحلو لها .

وقال أبو حازم الأعرج «وجدت الدنيا شيئين: شيئاً هو لي لن أعجله دون أجله وله طلبته بقوة السموات والأرض. وشيئاً هو لغيري لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقي. يُمنع الذي لي كما يُمنع الذي لغيري مني. ففي أيّ هذين أفني عمري وأهلك نفسي؟».

ودخل على بعض ملوك بني مروان فقال: «يا أبا حازم. ما المخرج ممّا نحن فيه؟» قال: «تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا في حقه. وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه». قال: «ومن يطيق ذلك يا أبا حازم؟» قال: «فمن أجل ذلك مُلئت جهنم من الجنة والناس أجمعين». قال: «ما مالك؟» قال: «مالان». قال: «ما هما؟» قال: «الثقة بما عند الله. واليأس ممّا في أيدي الناس». قال: «ارفع حوائجك إلينا». قال: «هيهات. رفعتها إلى مَنْ لا تختزل الحوائج دونه. فإن أعطاني منها شيئاً قبلت. وإن زوى عني شيئاً رضيت».

وقال الفضيل بن عياض: «يا ابن آدم، إنّما يفضلك الغني بيومك أمس قد خلا، وغد لم يأت، فإن صبرت يومك أحمدت أمرك وقيت على غدك، وإن عجزت يومك أذمت أمرك وضعفت عن غدك، وإن الصبر يُورث البرء، وإن العجز يُورث السقم، وبالسقم يكون الموت، وبالبء يكون الحياة».

وقال الحسن: «أيا فلان، أترضى هذه الحال التي أنت عليها للموت إذا نزل بك؟» قال: «لا» قال: «أفتحدث نفسك بانتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزل بك». قال: «حديثاً بغير حقيقة» قال: «أبعد الموت داراً فيها مُستعتب؟» قال: «لا». قال: «فهل رأيت عاقلاً رَضِيَ لنفسه بمثل الذي رَضيت به لنفسك؟».

قال عيسى ابن مريم - صلوات الله على نبينا وعليه -: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، وإلى أجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما حَسَوْا أن يُميت قلوبهم، وتركوا منها ما عَلموا أن ستركهم». ورأوه يخرج من بيت مُؤمسة فقيل: «يا روح الله، ما تصنع عند هذه؟» قال: «إنّما يأتي الطبيب المرضى». وقال حين مرّ ببعض الخلق فشموه ثم مرّ بآخرين فشموه فكلّموا قال خيراً فقال له رجل من الحواريين: «كلّمنا زادوك شراً زدتهم خيراً، حتى كأنك إنّما تُغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك». قال: «كل إنسان يُعطي ممّا عنده». وقال: «ويلكم يا عبيد الدنيا، كيف تُخالف فروغكم أصولكم، وعقولكم أهواؤكم. قولكم شفاء يُبيري الداء، وعملكم داء لا يقبل الدواء. ولستم كالكرمة ألتي حُبِر ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها. بل أنتم كالثمرة التي قلّ ورقها وكثُر شوكتها وصعب مرتقاها. ويلكم يا عبيد الدنيا. جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه. وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يُستطاع تناولها. لا عبيدٌ اتقياء ولا أحرار كرام. ويلكم أجراء السوء. الأجر تأخذون والعمل تُفسدون. سوف تَلْقَوْنَ ما تحذرون. يُوشك

ربُّ الْعَمَلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ وَفِي أَجْرِهِ الَّذِي أَخَذْتُمْ . وَيَلْكُمْ غُرْمَاءُ السَّوَاءِ . تَبْدُؤُونَ قَبْلَ قَضَاءِ الدِّينِ بِالنَّوَافِلِ . تَطْوَعُونَ وَمَا أَمَرْتُمْ بِهِ لَا تَوْدُونَ أَنَّ رَبَّ الدِّينِ لَا يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ» .

وكان أبو الدرداء يقول: «أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، إِذَا غَضِبَ وَأَحْذَرُ أَنْ تَظْلِمَ مِنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ . وَقَالَ: وَزَرَ الْعَبْدُ:

[الطويل]

لَعَمْرُ أَبِي الْمَمْلُوكِ مَا عَاشَ إِنَّهُ وَإِنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ لَذَلِيلٌ
تَرَى النَّاسَ أَنْصَاراً عَلَيْهِ وَمَالَهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا نَاصِرُونَ قَلِيلٌ

وقال شيخ . من أهل المدينة: «المعرّض بالناس أتقى صاحبه ولم يتق ربّه». وكان بكر بن عبد الله يقول: «أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم». وقال: «مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ عَارِضُهُ سَاعَةَ الْغَفْلَةِ وَحِينَ الْحَمِيَةِ». وقال عليّ - رضي الله تعالى عنه - للأشتر: «أَنْظِرْ فِي وَجْهِ» حين جرى بينه وبين الأشعث بن قيس ما جرى . وكانت العجم تقول: «إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَلْيَسْتَلِقْ . وَإِذَا أَعْيَ فَلْيَرْفَعْ رِجْلَيْهِ» وقال أبو الحسن: كان لرجل من النسك شاة وكان مُعْجَباً بها فجاء يوماً فوجدها على ثلاث قوائم فقال: «من صنع هذا بِالشَّاةِ؟» قال غلامه: «أنا». قال: «ولِمَ؟» قال: «أردت أن أغمك». قال: «لا جرم لَأَغْمَنَّ الَّذِي أَمَرَكُ بِغَمِي . إِذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ». سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس، وهو يقول: «ما أنعم الله على عبد نعمةً فانتزعها منه فعاذه من ذلك ألصبر إلا كان ما عاذه الله أفضل ممّا أنتزع منه». ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد عن أصحابه قال: حضرت عمرو بن عبّيد الوفاة فقال لعديلة: «نزل بي الموت ولم أتأهب له . اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لي أمران لك في أحدهما رضى ولي في الآخر هوّى إلا آثرت رضاك على هواي فأغفر لي». ولما خبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين قال: «فأين رحمة الله؟» قال أبو حازم: «قريب من المحسنين» قالوا: وخرج عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - من داره فرأى في دهليزه أعرابياً في بئ^(٢) أشغى^(٣) غائر العينين مشرف الحاجبين، فقال: «يا أعرابي، أين ربك؟» قال: «بالمرصاد». وكان الأعرابي عامر بن قيس وكان ابن عامر سيّره إليه . قال: وغدا أعرابي من طيئ مع امرأة له فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمجعان^(٤) فقالت له امرأته: «أنحن أنعم عيشاً

(٢) البئ: الطيلسان.

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٣) الأشفى: هو من اختلفت أسنانه بالكبر والصغر والدخول والخروج.

(٤) يتمجعان: يأكلان التمر ويشربان اللبن.

أم بنو مروان؟» قال: «هم أطيبُ طعاماً مِنّا، ونحن أردى كُسوةٍ منهم. وهم أنعم مِنّا نهاراً ونحن أظهر منهم ليلاً». قال: وعظ عمر بن الخطاب رجلاً فقال: «لا يُلْهِكُ النَّاسُ عَنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ، وَلَا تَقْطَعِ النَّهَارَ سَادراً^(١)» فَإِنَّهُ مُحْفُوظٌ عَلَيْكَ مَا عَمَلْتَ. وإذا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ فَإِنِّي لَمْ أَرْ شَيْئاً أَشَدَّ طَلَباً وَلَا أَسْرَعَ دَرَكاً مِنْ حَسَنَةِ حَدِيثَةٍ لَزَنْبٍ قَدِيمٍ». قال كان بلال بن مسعود يقول: «زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصّر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مفتر». مسلمة بن محارب قال: قال عامر بن عبد قيس: «الدنيا والدة للموت، ناقضة لِلْمُبْرَم، مرتجعة للعطية، وكل من فيها يجري إلى ما لا يدري، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك شهيد بأنها ليست بدار قرار» قال الحسن: «من أيقن بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ» وقال أسماءُ بِنْتُ خَارِجَةَ: «إِذَا قَدِمَتِ الْمَوْدَةُ سُمُجُ الثَّنَاءِ». وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب الْقُرْظِيُّ: «عِظْنِي» قال: لا أَرْضِي نَفْسِي لَكَ، إِنِّي لِأَصْلِي بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ فَأَمِيلُ عَلَى الْفَقِيرِ وَأَوْسَعُ عَلَى الْغَنِيِّ». قال؛ قال الحسن: «ما أطال عبدٌ الأملَ إِلَّا أَسَاءَ الْعَمَلِ» قال: كان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا قيل له: «مات فلان». قال: «لا إله إلا الله» وكان عثمان يقول: «فلا إله إلا الله». وكان أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - كثيراً ما يُشَدُّ:

[الرجز]

لَا تَزَالُ تَنْعَى مَيِّتاً حَتَّى تَكُونَهُ وَقَدْ يَرْجُو الْفَتَى الرِّجَا فَيَمُوتُ دُونَهُ
وركب سليمان بن عبد الملك يوماً في زِيٍّ عجيب فنظرت إليه جارية فقالت: «إنك لمعنى بيتي الشاعر» قال «وما هما» فأشدته:

[الخفيف]

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأْنَا مِنْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانٍ
قال: «وبلك نَعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي». قال: صام رجل سبعين سنة ثم دعا الله في حاجة لم يستجب له فرجع إلى نفسه فقال: «منك أتيت» فكان أَعْتَرَفَهُ أَفْضَلُ مِنْ صَوْمِهِ. وقال: «من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباده» وقال الحسن: «إذا سَرَّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ فَانْظُرْ إِلَيْهَا بَعْدَ غَيْرِكَ». وكان الحسن يقول: «ليس الأيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلوب وصدقه العمل». قال: مات ذُرُّ بْنُ أَبِي ذَرٍّ الْهَمْدَانِيُّ مِنْ بَنِي مَرْهَبَةَ - وَهُوَ ذُرُّ بْنُ عَمْرِو بْنِ ذَرٍّ - فَوَقَفَ أَبُوهُ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ: «يَا ذُرُّ، وَاللَّهِ مَا بَنَّا إِلَيْكَ مِنْ فَاقَةٍ، وَمَا بَنَّا إِلَيْكَ أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ مِنْ حَاجَةٍ. يَا ذُرُّ، شَغَلَنِي الْحَزَنُ لَكَ عَنِ الْحَزَنِ عَلَيْكَ». ثم قال: «اللهم إنك وعدتني بِالصَّبْرِ عَلَى ذُرٍّ، صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ،

(١) السادر: هو غير المهم لشيء.

وقد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذرٍّ لذرٍّ فلا تعرفه قبيحاً من عمله . اللهم وقد وهبت له إساءته إليّ فهب لي إساءته إلى نفسه فإنك أجود وأكرم . فلمّا أنصرف عنه التفت إلى قبره فقال : « يا ذرُّ ، قد أنصرفنا وتركتناك ، ولو أقمنا ما نفعناك » . سحيم بن حفص قال : قال هانيء بن قبيصة لحرقه ابنة النعمان - ورآها تبكي - : « مالك تبكين ؟ » قالت : « رأيت لأهلك غضارة ، ولم تمتلئ دارٌ قطُّ فرحاً إلاّ امتلأت حُزناً » ونظرت امرأة إعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنيتها كأنهم الصقور فقالت : « لقد ولدت أمكم حُزناً طويلاً » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأزواجه : « أسرعنَّ لحاقاً بي أطولُكنَّ يداً » فكانت عائشة تقول : « أنا تلك أطولكن يداً » فكانت زينب بنت جحش ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعاً تصنع بيدها وتبيعه وتصدق به . قال الشاعر :

[الوافر]

فَمَا ^(١) أَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ سَوَاماً وَلَكِنْ كَانَ أَطْوَلُهُمْ ذِرَاعاً
قال : كان الحسن يقول : « ما أنعم الله على عبد نعمة إلاّ وعليه فيها تبعة ، إلاّ ما كان من نعمته لسليمان على نبيّنا وعليه السلام - فإن الله عزّ وجلّ قال عزّ ذكره : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٢) » قال : باع عبد الله بن عُتْبَةَ بْنُ مَسْعُودٍ أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له لو أنّخذت لولدك من هذا المال ذخراً ، قال : « أنا أجعل هذا المال ذخراً لي عند الله ، وأجعل الله ذخراً لولدي » وقسّم المال . وقال رجل : صحبت الربيع بن خيثم ستين ، فما كلّمني إلاّ كلمتين ، قال لي مرة : « أمك حية » وقال لي مرة أخرى « كم في بني تميم من مسجد ؟ » وقال أبو فروة : كان طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله الفهري مرّ بأبن شبرمة - وطارق في موكبه - فقال ابن شبرمة :

[الطويل]

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ فَإِنَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ
اللهم لي ديني ولهم دُنياهم فاستعمل ابن شبرمة على القضاء بعد ذلك ، فقال ابنه : « أتذكر قولك يوم مرّ طارق في موكبه ؟ » فقال : « يا بني ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم . يا بني ، إن أباك أكل من حلوائهم وخطّ في أهوائهم » . قال الحسن : « من خاف الله أخاف منه كلّ شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كلّ شيء » وقال الحسن : « ما أعطي رجلٌ من الدنيا شيئاً إلاّ قيل له خذْه ومثله من الجِرْصِ » قال : مرّ مروان بن الحكم في ألعام الذي بويع فيه بزرارة بن جزي الكلابي - وهم على ما لهم - فقال : « كيف أنتم آل جزي ؟ » قالوا : « بخير ، زرّعنا الله فأحسن زرعنا وحصدنا فأحسن حصادنا » . وقال الحسن : ابن آدم : « إنّما أنت عدد ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك » .

(١) جاء في نسخة أخرى « وما » بدلاً من « فما » .

(٢) سورة ص ، الآية : ٣٩ .

مسلمة قال: وقال الحسن: ابن آدم «إن كان يُغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يُغنيك، وإن كان لا يُغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك». قال: نزل الموت بفتى كان فيه رفق فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه فقال: «ما لكما تبكيان؟» قال: تخوفاً عليك من الذي كان منك من إسرافك على نفسك». فقال: «لا تبكيا، فوالله ما يسرني أن الذي بيد الله بأيديكما». أبو الحسن عن علي عن عبد الله القرشي قال: قال قتادة: «يُعطي الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا ولا يُعطي على نية الدنيا إلا الدنيا». عوانة قال: قال الحسن: «قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة وأمير المصيرين وأشب الناس، فأقام عندنا أربعين يوماً، ثم طعن في قدمه فمات فأخرجناه إلى قبره، فلما صرنا به إلى الجبانة^(١) فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحباً لهم إلى قبره، فوضعنا السرير فضلينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه، ثم حملنا بشراً إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره، ودفنوا بشراً ودفنوا صاحبهم، ثم أنصرفوا وأنصرفنا ثم ألتفت ألتفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشي فلم أر شيئاً قط كان أعجب منه». وقال عبد الله بن الزبيري:

[الرمل]

وَالْعَطِيَّاتُ خَسَاسٌ بَيْنَنَا
وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثَرٍّ وَمُقِلٍّ

وتقول الحكماء: ثلاثة أشياء يستوي فيها الملوك والسوقة والعليّة والسفلة: «الموت والطلق والنزع». وقال الهيثم بن عدي عن رجاله: بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يتذكرون أعاجيب الزمان وتغير الأيام - وهما في عرصة إيوان كسرى - وكان أعرابي من غامد يرفع شويهاً له نهراً فإذا كان الليل صيرهن إلى داخل العرصة وفي العرصة سرير رخام كان كسرى ربماً جلس عليه - فصعدت غنيمات الغامدي على سرير كسرى فقال سلمان: «ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي على سرير كسرى». قال: لما أنصرف علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - من صفين مرّ بمقابر فقال: «السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقتفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عمّا قليل لاحقون. اللهم أغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً. والحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم ومنها يبعثكم. طوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب وقنع بالكفاف» وقال عمر - رضي الله تعالى عنه - «استغزروا العيون بالتذكر وقال الشاعر:

[الطويل]

سَمِعْنَ بِهَيْجَا أَوْ جَفَتْ فَذَكَرْنَهُ
وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانُ مِثْلُ التَّذْكَرِ

(١) جاء في نسخة أخرى «الجبان» وهي الصحراء بدلاً من «الجبانة».

وقال أعرابي:

[البيسط]

لَا تَشْرُفَنَّ^(١) يَفَاعاً إِنَّهُ طَرِبَ وَلَا تُعَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُشْتَاقَا

قال ابن الأعرابي: سمعت شيخاً أعرابياً يقول: «إني لأسُرُّ بالموت ولادين ولا بنات». علي بن الحسن قال: قال صالح المري^(٢): دخلت دار المورباني فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله أستخرجتها حين ذكرت أحوال فيها قوله: ﴿فَإِنَّكَ مَسْكَنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾^(٤) ﴿فَإِنَّكَ بِيَوْمِهِمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٥) قال: فخرج إلي أسود من ناحية الدار فقال: «يا أبا بشر هذا سخطُ المخلوق فكيف سخط الخالق؟» قال: وأصاب ناساً مطرٌ شديدٌ وريحٌ وظلمة ورعد وبرق فقال رجل من النساء: «اللهم إني قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك». عوانة قال: «قال عبد الله بن عمر: فاز عمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة غزا البحر فأحرقوا سفينته فأحرق». قال: وطلق أمرأته أبو الخندق أم الخندق فقالت: «أطلقني بعد طول الصحبة؟» فقال: «ما دهاك عندي غيره» وكان أبو إسحاق يقول: «ما ألامها من كلمة:» قال: مر عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلما رأوه سكتوا قال (فيم كنتم؟) قالوا: (كنا نتمنى). قال: (فتمنوا وأنا أتمنى معكم) قالوا: (فتمن) قال: أتمنى رجالاً ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، إن سالماً كان شديد الحب لله لو لم يخف الله ما عصاه. وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. شعبة عن عمر بن مرة قال: قدم وفد من أهل اليمن على أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - فقرأ عليهم القرآن فبكوا فقال أبو بكر: «هكذا كنا حتى قست القلوب» وقال أبو بكر: «طوبى لمن مات في نأنة الإسلام»^(٦) وقال سعد بن مالك أو معاذ (ما دخلت في صلاة فعرفت من عن يميني ولا من عن شمالي، ولا شيعت جنازة قط إلا حدثت نفسي بما يُقال له وما يقول، وما سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال شيئاً قط إلا علمت أنه كما قال) قال أبو الدرداء: (أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربُّه أم راض. وأبكاني هؤل المطلع، وأنقطع العمل، وموقفي بين يدي الله ولا يُدرى أيؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار. سحيم بن حفص قال: رأى إياس بن قتادة العشمي شبيبة لحيته فقال: «أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته، أعوذ من فجاءات الأمور وبغئات الحوادث. يا بني سعد،

(١) لا تشرفن: لا تعلون.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

(٥) سورة النمل، الآية: ٥٢.

(٢) جاء في نسخة أخرى «المزني» بدلاً من «المري».

(٤) سورة القمر، الآية: ١٥.

(٦) نأنة الإسلام: عجزه وضعفه.

إني قد وهبْتُ لكم شبابي فهبوا لي شيبتي». ولزم بيته فقال له أهله: (إِنَّكَ تَمُوتُ هَزْلاً) فقال: (لَأَنْ أَمُوتَ مُؤَمِّناً مَهْزُولاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُنَافِقاً سَمِيناً) وذكر قوم إبليس فلعنوه وتغيظوا عليه. وقال أبو حازم الأعرج: (وأما إبليس فقد عُصِيَ فما ضَرَّ وأُطِيعَ فما نفع) قال: قال بكر بن عبد الله المزني: (الدنيا ما مضى منها فحلم، وما بقي منها فأمني) قال: ودخل أبو حازم مسجد دمشق فوسوس إليه الشيطان أَنَّكَ قد أحدثت بعد وضوئك، قال: فقال له: (أو قد بلغ هذا من نصحك؟) وقال بعض الطيِّاب: [السريع]

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي كِبَرِهِ وَخُبْتُ مَا أَظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهِ تَاهَ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَاداً لِذُرِّيَّتِهِ
قال: فأنشدتها مسمع بن عاصم فقال: (وأبيك لقد ذهب مذهب الفضل بن مسلم) قال: قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: (لا تنظروا إلى خفض عيشهم ولين ثيابهم، ولكن أنظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم). قال أبو ذر: لقد (أصبحت وإن الفقر أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى، وَالسَّقَمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ، وَالْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ). قال دهشم: (لكنني لا أقول ذلك) قال: قال داود الأنبيُّ صلى الله تعالى على نبينا وعليه وسلم: (اللهم لا صحة تُطغيني ولا مرض يُضنيني، ولكن بين ذلك) قال: وقال الحسن: (إن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم وكبرهم في صدورهم، حتى لصاحب المدرعة^(١) بمدرعته أشدُّ فرحاً من صاحب المطرف بمطرفه^(٢)). وقال داود الأنبيُّ صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام: (إن لله سطواتٍ ونقماتٍ، فإذا رأيتموها فداووا قرحكم بالدعاء، فإن الله تبارك وتعالى يقول: لولا رجالٌ خُشَّعٌ وصبيانٌ رُضِعَ وبهائمٌ رُتِعَ لصببت عليكم العذاب صباً) قال: اشترى محرز بن صفوان بُدنة بتسعة دنانير ف قيل له: (تشتري بُدنة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها؟) قال: (سمعت الله تبارك وتعالى يقول لكم فيها خير) وقيل لمحمد بن سوقة تحج عليك دين؟) قال: (هو أفضى للدين) وقال: ولقي ناسك ناسكاً ومعه خِفٌّ فقال: (ما تصنع بهذا؟) قال: (أعده للشتاء) قال: (كانوا يستحيون من هذا) قال أبو ذر: (تخضمون^(٣)) ونقضم^(٤) وألموعد الله) قال الزبير: (يكفينا من خضمكم ألقسم، ومن نصكم العنق)^(٥) وقال أيمن بن خريم:

[الطويل]

رَجَوْا بِالسَّقَاقِ الْأَكْلَ خَضِماً فَقَدْ رَضَوْا أَخيراً مَنْ أَكَلَ الْخَضْمِ أَنْ يَأْكُلُوا الْقَضْمَا^(٦)

(١) المدرعة: ثوب من الصوف اختص بلبسه جماعة المتصوفة.

(٢) المطرف: زي من خز مربع.

(٣) الخضم: الأكل بجميع الفم.

(٤) القضم: الأكل بأطراف الأسنان.

(٥) العنق: ضرب من السير.

(٦) جاء في نسخة أخرى «قضمًا» بدون أل التعريف.

وقال عمرو لمعاوية: (من أصبر الناس؟) قال: (من كان رأيه راداً لهواه). وتواصفوا حال الزهد بحضرة الزُّهري فقال الزُّهري: (الزاهد من لم يغلب الحرام صبره، والحلال شكره). قال: وذكر عند أعرابي رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة فقال: (هذا رجل سوء، وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يُعَذَّب نفسه هذا التعذيب). قال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -: (ما ظنك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته، وهو عليه قادر، وما ظنك بخالق ألّهوان لمن يريد هوانه، وهو عليه قادر؟! وزعم أبو عمرو الزعفراني قال: كان عمرو بن عُبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من أهله وحشمه حاجة إلا قال: (لا) فقال عمرو: «أقل من قول لا، فإنه ليس في الجنة لا»). قال: وقال عمرو: (كان رسول الله ﷺ إذا سئل ما يجد أعطى، وإذا سئل ما لا يجد قال يصنع الله). قال: وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: (أكثروا لهن من قول لا، فإن نعم يُضربهنَّ على المسألة) قال: وإنما يخص عمر بذلك النساء. قال الحسن: (أدركت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها) قال أبو الدرداء: (من يشتري مني عاداً وأموالها بدرهم؟! ودخل علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - المقابر فقال: (أما المنازل فقد سُكِنَتْ، وأما الأموال فقد قُسمَتْ، وأما الأزواج فقد نُكِحَتْ، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟) ثم قال: (والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى). قال أبو سعيد الزاهد: عيرت اليهود عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه بالفقر فقال: (من الغني أتيتم) وقال آخر: (لو لم يعرف من شرف الفقر إلا أنك لا ترى أحداً يعصى الله ليفتقر). وهذا الكلام بعينه مدخول. قال: سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف: (كيف تركته؟) فقال: (تركته عظيماً سميناً) قال: (ليس عن هذا أسألك) قال: (تركته ظلوماً غشوماً) قال: (أو ما علمت أنه أخي؟) قال: (أترأه بك أعز مني بالله؟! وقال بعضهم: نجد في زبور داود صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه: (من بلغ السبعين أشتكى من غير علة). جعفر بن سليمان قال: قال محمد بن حسان النبطي: (لا تسأل نفسك العام ما أعطتك في العام الماضي) أبو إسحاق بن المبارك قال: قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: (ما أقرب شيء؟) قال: (الأجل). قيل: (فما أبعد شيء؟) قال: (الأمل) قيل: (فما أوحش شيء؟) قال: (الميت). قيل: (فما آنس شيء؟) قال: (الصاحب المواتي). وقال آخر: (آنس شيء الموتي) وقال الآخر: نسي عامر بن عبد الله بن الزبير عطاءه في المسجد فقليل له قد أخذ). فقال: (سبحان الله، وهل يأخذ أحد ما ليس له؟) جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن عبدة الثقفني قال: (لا يشهد علي الليل بنوم أبداً ولا يشهد علي النهار بأكل أبداً). فبلغ ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فعزم

عليه فكان يُفطر في العيدين وأيام التشريق . وقال الحسن بن أبي الحسن يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ويكون عابداً ولا يكون عاقلاً . وكان مسلم بن بدر عالماً عابداً عاقلاً وقال عبادة بن الصامت : من الناس من أتى علماً ولم يؤت جُلماً وشدادين أوس أوتي علماً وجُلماً . قال إبراهيم كان عمرو بن عبيد عالماً عاقلاً عابداً وكان ذا بيان وجُلْم وصاحب قرآن . إبراهيم بن سعيد عن أبي عبد الله القيسي قال : قال أبو الدرداء : لا يُحرز المؤمن من شرار الناس إلا قبره . وقال عيسى ابن مريم - صلوات الله تعالى على نبينا وعليه : الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حراثون . عبد الملك بن عُمر عن قبيصة بن جابر قال : ما الدنيا في الآخرة إلا كنفخة الأرنب . قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - لولا أن أسير في سبيل الله وأضع جبهتي لله وأجالس أقواماً ينتقون لي أحسن الحديث كما ينتقى أطيب الثمر لم أبال أن أكون قد مت . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ظماء الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان لي منهم الأسود بن كلثوم . وقال المؤرق العجلي ضاحك معترف بذنبه خير من بالك مدل على ربه . وقال خير من أعجب بطاعة أن لا تأتي بطاعة . قالوا : كان الربيع بن خيثم يقول : لا تطعم إلا صحيحاً ولا تكس إلا جديداً ولا تعتق إلا سويّاً . وقال بعض الملوك لبعض العلماء : أذم لي الدنيا فقال : أيها الملك ، الآخذة لما تُعطي ، المورثة بعد ذلك الندم ، السالبة ما تكسو ، المعقبة بعد ذلك الفضوح تسد بالأراذل مكان الأفاضل وبالعجزة مكان الحزمة تجد في كل من كل خلفاً وترضى بكل من كل بدلاً تسكن دار كل قرن قرناً ، وتطعم سؤر كل قوم قوماً . وكان سعيد بن أبي العروبة يطعم المساكين السكر ويتأول قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(١) قال : وكان محمد بن علي إذا رأى مبتلى أخفى الاستعانة وكان لا يسمع من داره للسائل بُورك فيك ولا يا سائل خذ هذا وكان يقول سموهم بأحسن أسمائهم قال : وتمنى قوم عند يزيد الرقاشي فقال يزيد سأتمنى كما تمنيتُم قالوا : تمن . قال : ليتنا لم نُخلق وليتنا إذ خُلِقنا لم نمت وليتنا إذ متنا لم نُبعث وليتنا إذ بُعِثنا لم نُحاسب وليتنا إذ حوسبنا لم نُعذب وليتنا إذا عُذِّبنا لم نُخلد . قال : وقال رجل لأم الدرداء : إنني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً . قالت : (اطلع في القبور وأشهد الموتى) . ابن عون قال : قلت للشعبي : أين كان علقمة من الأسود؟ قال كان الأسود قواماً صواماً وعلقمة مع البطيء وهو يسبق السريع . قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجهمي : (إننا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء . قال : هو لهما شهادة) . محمد بن طلحة بن مُضَرَّب عن محمد بن جحادة قال : (لَمَّا قُتِلَ الحسين -

(١) سورة الدهر ، الآية : ٨ .

رضي الله تعالى عنه - أتى قومُ الربيع بن خيثم فقالوا لنستخرجن اليومَ منه كلاماً فقالوا: قتل الحسين . قال : ﴿ **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ ^(١) وأتته بُنْيَّةٌ له فقالت : (يا أبتِ أذهب ألعب فقال إذهبي فقولِي خيراً وأفعلي خيراً) . وقال أبو عبيدة : استقبل عامرُ بْنُ عبد قيس رجلٌ في يوم حلبة قال : فقال من : (سبق يا شيخ) قال : (المقربون) . علي بن سليم قال قيل للربيع بن خيثم : (لو أرحت نفسك قال : أراحتها أريد أن عمر كان كَيْساً ^(٢)) وقال أبو حازم : (ليتَقِ الله أحذكم على دينه كما يتقي على نعله) جعفر بن سليمان الضبيعي قال : أتى ابن مطرف بن عبد الله بن الشخير أبي فجلس مجلس مالك بن دينار ، وقد قام ، فقال أصحابه : لو تكلمتُ قال : هذا ظاهر حسن إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً . وقال رجل لآخر ، وباع منه ضيعة له أما والله لقد أخذتها ثقيلاً الْمُؤونة قليلةُ الْمُعونة . فقال الآخر : أنت لقد أخذتها بطيئةً لأجتماع سريعة التفرق . واشترى رجل من رجل داراً فقال لصاحبه لو صَبَرْتُ لَأَشْتَرَيْتُ منك الذراع بعشرة دنانير فقال : وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم . ورأى ناسكٌ ناسكاً في المنام فقال له : كيف وجدتُ الأمر يا أخي؟ قال : وجدنا ما قَدَمْنَا وربحنا ما أَتَفَقْنَا وخسرنا ما خَلَفْنَا . قال : وقال بكر بن عبد الله المزني : أَجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ فَإِنْ قَصُرَ بكم ضَعُفَ فَكُفُّوا عَنِ الْمَعَاصِي . قال : قال أعرابيٌّ : أنه ليقُتلَ الحُبَارَى جُوعاً ظلم الناس بعضهم لبعض . قال : قيل لمحمد بن علي : مَنْ أَشَدُّ الناس زهداً؟ قال : مَنْ لَا يُبَالِي الدُّنْيَا فِي يَدِ مَنْ كَانَتْ وَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَخْسَرُ الناس صفقة؟ قال : مَنْ بَاعَ الْبَاقِي بِالْفَاقِي وَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَعْظَمَ الناس قدراً؟ قال : مَنْ لَا يَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ قَدْرًا ، الْأَصْمَعِيُّ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ أَنَّ هَانِيَّ بْنَ قَبِيصَةَ أَتَى حُرْقَةَ بِنْتَ الْنَعْمَانِ ، وَهِيَ بَاكِيةٌ فَقَالَ لَهَا : لَعَلَّ أَحَدًا أَذَاكَ . قَالَتْ : لَا وَلَكِنْ رَأَيْتُ غَضَارَةً ^(٣) فِي أَهْلِكُمْ وَقُلَّ مَا أَمْتَلَأْتُ دَارَ سُرُورًا إِلَّا أَمْتَلَأْتُ حُزْنًا . وَقَالُوا : يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ لَهُ خِلَتَانِ : الْجُرْصُ وَالْأَمَلُ . الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : مَا أَسَى مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَ : بُلْغَةٌ ^(٤) مِنْ عَيْشٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيَّ فِيهَا مِنَّةٌ وَلَا لِلَّهِ عَلَيَّ فِيهَا تَبِعَةٌ وَصَلَاةٌ فِي جَمْعٍ أَكْفَى سَهْوَهَا وَيُدْخِرُ لِي أَجْرَهَا وَأَخِ إِذَا مَا أَعُوْجَجَتْ قُوْمَنِي . وَقَالَ آخَرُ : مَا أَسَى مِنَ الْعِرَاقِ إِلَّا عَلَى ثَلَاثَ : لَيْلُ الْحَرِيقِ ^(٥) وَرَطْبُ الشُّكْرِ وَحَدِيثُ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ . وَقَالَ آخَرُ : إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثَ أَبِي نَضْرَةَ وَكَلَامَ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فَكَانَكَ مَعَ لِسَانِ الْحُمْرَةِ . وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْحَزِيْمِيُّ الْأَعُوْرُ تَلَقَّانِي مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ فَقُلْتُ : أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ : أَدُورُ عَلَى الْمَجَالِسِ فَلَعَلِّي أَسْمَعُ حَدِيثًا حَسَنًا . ثُمَّ لَمْ أَتَجَاوَزْ بَعِيدًا

(٢) كَيْسًا : عَاقِلًا .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٣ .

(٤) الْبُلْغَةُ : الْبَقِيَّةُ مِنَ الْعَيْشِ .

(٣) الْغَضَارَةُ : الْبَحْبُوحَةُ فِي الْعَيْشِ .

(٥) الْحَرِيقُ : هُوَ مَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ اِمْتَاَزَ بِطَيْبِ مَنَاحِهِ .

حتى تلقاني أنس بن أبي شيخ فقلت له: أين تُريدُ؟ قال: عندي حديث حسن فأنا أطلب له إنساناً حسن الفهم حسن الاستماع. قال: قلت: حدثني فأنا كذاك. قال: أنت حسن الفهم رديء الاستماع وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيل بن غزوان، هشام قال: أخبرني رجل من أهل البصرة قال: ولد للحسن بن أبي الحسن غلام فقال له بعض جلسائه: بارك الله لك في هبته وزادك في أحسن نعمته. فقال الحسن: الحمد لله على كل حسنة وأسأل الله الزيادة في كل نعمة ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً^(١) أنصبي^(٢) وإن كنت غنياً أذهلني لا أرضى بسعي له سعيًا ولا بكدي له في الحياة كدًا حتى أشفق عليه من ألفاقة بعد وفاتي وأنا بحال لا يصل إلي من همّه حزنٌ ولا من فرحه سرورٌ. وقال الحسن للمغيرة بن مُحَارِش التميمي: إن من خَوْفِكَ حتى تلقى الأمان خير لك ممن آمنك حتى تلقى الخوف. وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: ما أحسن الحسنة في إثر الحسنة وما أقبح السيئة في إثر السيئة! الحسن قال: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من أمر نحن فيه. قال: وكان الحسن إذا ذُكرَ الحجاج قال: كان يتلو كتاب الله على لحم وجذام ويعظ عظة الأزارقة^(٣) ويبطش بطش الجبارين. وكان يقول: اتَّقُوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً. قال: وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول: اتَّقُوا الله فإن عند الله أياماً مثل شوال. قال خالد بن صفوان: بئس ليلتي أتمنى كلها فكسيت البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران^(٤). وكان الحسن يقول: إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون. ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة في مرضه فأقبلوا يُثنون عليه، فقال: دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء. وقال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت، وكان الحسن يقول: يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه فإنك إن أحسنت إليه أرتحل بحمدك وإن أسأت إليه أرتحل بدمك وكذلك ليلاك. وقيل لبعض العلماء: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني القائل عند موته دخلتها جاهلاً وأقمت فيها حائراً وأخرجت منها كارهاً يعني الدنيا. وقيل لآخر: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاعت مقدرته. وقيل لآخر: من شر الناس؟ قال: من لا يُبالي أن يراه الناس مسيئاً. وقيل لآخر من شر الناس؟ قال: القاسي فقيل له: أيما شر الوقاح^(٥) أم الجاهل أم القاسي؟ قال: القاسي وذكر أبو صفوان عن البطال أبي العلاء

(١) عائلاً: محتاجاً فقيراً.

(٢) أنصبي: أتعبني.

(٣) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج، انتسبوا إلى قائدهم نافع بن الأزرق.

(٤) الطمر: الثوب البالي.

(٥) الوقاح: القليل الحياء.

من بني عمرو بن تميم: قال: قيل له قبل موته: كيف تجدك يا أبا العلاء؟ قال أجدني مغفوراً لي. قالوا: قل إن شاء الله. قال: قد شاء الله. ثم قال:

[الرجز]

أَوْصِيكُمْ بِالْجِلَّةِ التَّلَادِ^(١) فَلَيْتَمَا حَوَّلَكُمْ الْأَعَادِي
قال ابن الأعرابي: كان العباس بن زُفَرٍ لا يكلم أحداً حتى تنبسط الشمس، فإذا
انفتل^(٢) عن مصلاه ضرب الأعناق وقطع الأيدي والأرجل وكان جرير بن الخطفي لا
يتكلم حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قذف المحصنات. قال: ومَرَّتْ به جنازة فبكى.
وقال: أحرقتني هذه الجنازة: قيل فَلِمَ تَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ؟ قال: يبدو لي ولا أصبر.
وكان يقول: أنا لا ابتدئ ولكن أعدي، الحسن بن الربيع الكندي بإسناد له قال: قال رجل للنبي ﷺ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتَهُ أَحْبَبَنِي اللَّهُ وَأَحْبَبَنِي النَّاسُ. قال: أَزْهَدْ فِي
الدُّنْيَا يَحِبُّكَ اللَّهُ وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يَحِبُّكَ النَّاسُ. قال: بلغني عن القاسم بن
مُحَيَّمِرَةَ الْهَمْدَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لَا غُلُقُ بَابِي فَمَا يَجَاوِزُهُ هَمِّي. قال أبو الحسن: وجد في
حجر مكتوب، ابن آدم لو أَنَّكَ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِكَ لَزَهَدْتُ فِي طَوْلِ مَا تَرْجُو
مِنْ أَمْلِكَ وَلِرَغْبَتٍ فِي الزِّيَادَةِ فِي عَمَلِكَ وَلَقَصَّرْتُ مِنْ حَرَصِكَ وَحِيلِكَ وَإِنَّمَا يَلْفَاكَ غَدَا
نَدْمُكَ وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ وَأَنْصَرَفَ عَنْكَ
الْحَبِيبُ فَلَا أَنْتَ إِلَى أَهْلِكَ بِعَائِدٍ وَلَا فِي عِلْمِكَ بِزَائِدٍ، وقال عيسى ابن مريم - صلوات
الله على نبيِّنا وعليه -: تعملون للدنيا وأنتم تُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَلَا تَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ
وَأَنْتُمْ لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ، قال أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا: من خَدَمَنِي
فَأَخْدَمْتَنِي وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدَمْتَنِي. وقال: من هوان الدنيا على الله أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا
وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا. قال: مرَّ عيسى ابن مريم - صلوات الله على نبيِّنا وعليه -
بقوم فقال: ما بالهم يَبْكُونَ؟ فقالوا: على ذنوبهم. قال: اتركوها تغفر لكم. قال: قال
زيد بن أبي زياد مولى عياش بن أبي ربيعة: دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رأيته
تَزَحَّلَ^(٣) عن مجلسه، فقال: إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذ عليه
شرف المجلس. وقال الحسن: إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا وَإِنْ دَقَقْتُ^(٤) بِهِمُ الْهَمَالِيَجَ^(٥) وَوُطِئَ
النَّاسُ أَعْقَابَهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةَ فِي قُلُوبِهِمْ. قالوا: وكان الحجاج يقول إذا خطب: إنا
والله ما خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ وَإِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ وَإِنَّمَا نُنْقَلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، وهذا من كلام
الحسن، وَلَمَّا ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ تِلْكَ الْأَعْنَاقَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: هَذَا وَاللَّهِ جَهْدُ الْبَلَاءِ.

(١) التلاد: الموروث من المال.

(٢) انفتل: انصرف. انتقل.

(٣) ترحل عن مجلسه: تنحى عنه.

(٤) الدققة: حكاية أصوات حوافر الدواب.

(٥) الهماليج: مفردة هملاج وهو من البراذين ذو السير الحسن.

فقال عبد الله: ما هذا وشرطة الْحَجَامِ إِلَّا سَوَاءٌ وَإِنَّمَا جَهْدُ الْبَلَاءِ فَقَرُّ مُدَقِّعٍ ^(١) بعد غَيْثِي موسع. وقال آخر: أَشَدُّ مِنْ الْخَوْفِ أَلْشَّيْءُ الَّذِي يَشْتَدُّ مِنْ أَجْلِهِ الْخَوْفُ. وقال آخر: أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ مَا يَتَمَنَّى لَهُ الْمَوْتُ وَخَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ مَا إِذَا فَقَدْتَهُ أَبْغَضْتَ لَهُ الْحَيَاةَ. وقال أهل النار: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوثُونَ﴾ ^(٢) فلما لم يجابوا إلى الموت قالوا أفيضوا علينا من الماء وقالوا ليس في النار عذاب أشد من أهله من علمهم بأنه ليس لكربهم تنفيس ولا لضيقهم ترفيه ولا لعذابهم غاية ولا في الجنة نعيم أبليغ من علمهم أن ذلك أملك لا يزول. قالوا: قارف الزُّهْرِيُّ ذنباً فاستوحش من الناس وهام على وجهه فقال زيد بن علي: يَا زُهْرِيُّ لَقُنُوطُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ ذَنْبِكَ. فقال الزُّهْرِيُّ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ^(٣) ورجع إلى أهله وماله وأصحابه. قال ابن المبارك: أفضل الزهد أخفاه، الأوزاعي عن مكحول. قال: إن كان في الجماعة الفضيلة فإن في العزلة السلامة، إسماعيل عن عياش عن عبد الله بن دينار قال: قال ﷺ: إن الله كره لكم اللعب في الصلاة وألرث في الصيام والضحك في المقابر، وقال أزدشير مرة: احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع. وقال واصل بن عطاء: المؤمن إذا جاع صبر وإذا شبع شكر، وقيل لعامر بن عبد قيس: ما تقول في الإنسان؟ قال: ما عسى أن أقول فيمن إذا جاع ضرع وإذا شبع طعى. قال: ونظر أعرابي في سفره إلى شيخ قد صحبه فراه يصلي فسكن إليه، فلما قال: أنا صائم أرتاب به وأنشأ يقول:

[الكامل]

صَلَّى فَأَعَجَبَنِي وَصَامَ فَرَابَنِي عَدَّ ^(٤) الْقُلُوصَ ^(٥) عَنِ الْمُصَلِّي الصَّائِمِ
وهو الذي يقول:

[البسيط]

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مَسْجُونًا تُسَائِلُهُ مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ: مَظْلُومٌ
الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال: كان يقال: اعْمَلْ وَأَنْتَ مشفق ودع العمل وأنت تُحِبُّهُ. قال: وقيل لرابعة القيسية: هل عملت عملاً قطُ ترين أنه يُقْبَلُ منك؟ قالت: إن كان شيءٌ فخوفي من أن يُرَدَّ عليّ. وقال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لا تنظرنَّ إلى سلعةٍ قد بارت على من كان قبلك تُريد أن تجوزَ عنك، الحسن قال: كان من قبلكم أرقُّ قلوباً وأصفق إياباً وأنتم أرقُّ منهم ثياباً وأصفق قلوباً، عبد الله بن المبارك قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن

(١) الفقر المدقع: الشديد.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٥) القلوص: الناقة الفتية.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٤) جاء في نسخة أخرى «نج» بدلاً من «عد».

عبد الله الحكمي: (إن أستطعت أن تدع ممّا أحلّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرّم الله عليك فأفعل فإنه من أستوعب الحلال كلّهُ تافت نفسه إلى الحرام). وقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - لخالد بن الوليد حين وجهه: (احرص على الموت توهب لك الحياة). وقال رجل: أنا أحبّ الشهادة. فقال رجل من النساك أحبها إن وقعت عليك ولا تحبها حبّ من يريد أن يقع عليها، وقال رجل لداود بن نصير الطائي العابد أوصني. فقال: اجعل الدنيا كيوم صمته وأجعل فطرك الموت فكأن قد، والسلام. قال: زدني قال لا يراك الله عند ما نهاك عنه ولا يفقدك عند ما أمرك به. قال زدني. قال: ارض باليسير مع سلامة دينك كما رضي قوم بالكثير مع هلاك دينهم، قال رجل ليونس بن عبيد: تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن. قال: واللّه ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بمثل عمله؟ قال: فصّفه لنا. قال: كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه^(١) وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه. وكان إذا ذكرت أُنارُ عنده فكأنها لم تُخلق إلاّ له، وهيب بن الورد قال: بينا أنا أدور في السوق إذ أخذ أخذ بقفائي فقال لي: يا وهيب اتّق الله في قدرته عليك وأستحي الله في قربه منك. وقال عبد الواحد بن زيد: ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون؟ الهيثم قال: كان شيخ من أعراب طيء كثير الدعاء بالمغفرة له فقل له في ذلك. فقال: واللّه إن دعائي بالمغفرة مع قبح إصراري للؤم وإن تركي الدعاء مع قوة طمعي لعجز. قال أبو بشير صالح المري: إن تكن مصيبتك في أخيك أحدثت لك خشية فنعم المصيبة مصيبتك وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعاً فبئس المصيبة مصيبتك وقال عمرو بن عبيد لرجل يُعزّيه: كان أبوك أصلك وأبوك فرعك فما بقاء شيء ذهب أصله ولم يبق فرع. وقال الحسن: إن امرأ ليس بينه وبين آدم إلاّ أب قد مات لمعرق^(٢) في الموت. وقالوا: أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشد من الذنب المماطلة بالتوبة. ابن لهيعة عن سيار بن عبد الرحمن قال: قال لي بكير بن الأشجع: ما فعل خالك؟ قلت: لزم بيته. قال أما لئن فعل لقد لزم قوم من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان - رضي الله تعالى عنه - فما خرجوا منها إلاّ إلى قبورهم. وقال الحسن: إن لله ترائك في خلقه، لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهل الانقطاع إلى الله بشيء من أمر الدنيا وهي الأمل والأجل والنسيان. وقال مطرف بن عبد الله لابنه: يا بني لا يلهيّنك الناس عن نفسك فإنّ الأمر خالص إليك دونهم إنك لم تر شيئاً هو أشد طلباً ولا أسرع دركاً^(٣) من توبة حديثه لذنوب قديم وفي الحديث أن أبا هريرة مرّ بمروان، وهو يبنّي داره، فقال: يا أبا عبد القدوس ابن شديداً وأمل بعيداً وعش قليلاً وكُل خضماً^(٤)

(١) الحميم: الصديق والخليل.

(٢) المعرق: أي حق عليه أن يموت.

(٣) دركاً: لحوقاً.

(٤) الخضم: الأكل بملء الفم الملائن.

والموعد الله . قال : كان عمر بن خولة أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاصي وأمه خولة من المسامعة وكان ناسكاً يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس ، فقال الشاعر :

وَأَصْبَحَ زَوْزُكَ زَوْزَ الْخَمِيسِ إِلَيْكَ كَمَرْعِيَّةٌ ^(١) وارده

وقال الآخر في ابن سيرين :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذَنْبٌ لَا حَرِيمَ ^(٢) لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِينَ

وقال ابن الأعرابي : قال بعض الحكماء : لا يغلبن جهل غيرك بك عِلْمُكَ بِنَفْسِكَ

قال : وصلى محمد بن المنكدر : على عمران بقرة . فقليل له في ذلك ، فقال : إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى أَنَّ رَحْمَتَهُ تَعْجِزُ عَنْ عِمْرَانَ بِقَرَةٍ .

(١) المرعية : الماشية الراعية .

(٢) الحریم : الصاحب والشريك .

باب

وقال محمد بن يسير:

[السريع]

كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ
مُحَمَّدٌ صَارَ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ

وقال الآخر:

[البيسط]

لَقَلَّ عَارًا إِذَا ضَيَّفْتُ تَضَيَّفَنِي ^(١) مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
فَضْلُ الْمُقْلِ إِذَا أُعْطَاهُ مَضْطَبًا وَمُكْثَرُ فِي الْغِنَى سَيَّانٍ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنُ مَرْدُودِي

وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا. وقال ابن المقفع: الجود بالمجهود منتهى الجود. قال مطرف بن عبد الله: كان يقال: لم يلتق مؤمنان إلا كان أحدهما أشدهما حبا لصاحبه، وكنت أرى أني أشد حبا لمذعور بن طفيل منه لي فلما سير لقيني ليلاً فحدثني فقلت: ذهب الليل. قال: ساعة. قلت: ذهب الليل. قال: ساعة. فعلمت أنه كان أشد حبا لي مني له فلما أصبح سيره ابن عامر مع عامر، وقالوا لعيسى ابن مريم - صلوات الله على نبينا وعليه - من نجالس؟ قال: من تذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقته ويرغبكم في الآخرة علمه. إسحاق بن إبراهيم قال: دخلنا على كهمس العابد، فجاءنا بإحدى عشرة بسرة حمراء، فقال: هذا الجهد من أخيك، والله المستعان، الأصمعي عن السكن الحرشي قال: اشتريت من أبي المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهماً فقلت: تكون عندك حتى آتيك بالثمن. قال: ألسن مسلماً؟ قلت: بلى. قال: فخذها فأخذتها ثم أنطلقت بها فأتيته بالستين فأخرج منها خمسة دراهم، وقال أعلفها بهذه، وقال مساور الوراق لأبيه:

تأملات في الحياة والموت:

[الكامل]

شَمْرُ قَمِيصِكَ وَأَسْتَعِدَّ لِقَائِي وَأَحْكُكُ جَبِينِكَ لِلْقَضَاءِ بِثُومٍ

(١) تضيفني: نزل عليّ ضيفاً.

وَأَجْعَلْ صَحَابَكَ كُلَّ حَبِيرٍ نَاسِكٍ حَسَنَ التَّعْهَدِ لِلصَّلَاةِ صَوُّومٍ
 مِنْ ضَرْبٍ ^(١) حَمَادٍ هُنَاكَ وَمَسْمَعٍ وَسِمَاكَ الْعَبْسِيُّ وَأَبْنِ حَكِيمٍ
 وَعَلَيْكَ بِالْعَنُوتِ فَأَجْلِسْ عِنْدَهُ حَتَّى تَنَالَ وَدِيعَةً لِيَتِيمٍ

قال: بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله، والغلام يصبُّ عليه إذ خرَّ الغلام ميتاً فقال سليمان:

[الكامل]

قَرَّبَ وَضُوءَكَ يَا حُصَيْنُ فَإِنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ تَعِلَّةٌ ^(٢) وَمَتَاعٌ
 ونظر سليمان في مرآة فقال: أنا أملك الشاب فقالت جارية له:

[الخفيف]

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
 وقيل لسعيد بن المسيَّب: إن محمد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة سقط عليه حائط فقتله فقال: إن كان لوصولاً لرحمه فكيف يموت ميتة سوء؟ وقال أسماء بن خارجة:

[البسيط]

عَيَّرْتَنِي خَلَقاً أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيداً لَمْ يَعُدْ خَلَقَا
 وتمثّل عبد الملك بن مروان فقال:
 وَكُلُّ جَدِيدٍ يَا أُمَيْمُ إِلَى بَلَى وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
 وقال آخر:

[الكامل]

فَأَعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأكْدَحْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

[الكامل]

فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ إِذْ مَضَى وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ
 وكان عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - يقول: إني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله يعني المصحف. قال: وكان عثمان - رضي الله تعالى عنه - حافظاً وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف. فقليل له في ذلك فقال: إنه مبارك جاء به مبارك ولَمَّا مات ألحجاج خرجت عجوز من داره وهي تقول:

[البسيط]

الْيَوْمَ يَرْحُمُنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا وَالْيَوْمَ نَتَّبَعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعَا
 حدّثني بكر بن المعمّر عن بعض أصحابه قال: قال أبو عثمان النهديّ أتت عليّ ثلاثون ومائة سنة ما مني شيء إلا وقد أنكرته إلا أُمليّ فإنّه يزيد. وقال مسور بن

(١) الضرب: النوع.

(٢) تعلقة: أمل.

مَخْرَمَةً لِّجَلْسَائِهِ : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني معكم لَأَسْتَحْيَيْتُ مِنْهُمْ وَأُنْشَدَنِي أَعْرَابِيٌّ :

[البسيط]

مَا مَنَعَ النَّاسَ شَيْئاً جِئْتُ أَطْلُبُهُ إِلَّا أَرَى اللَّهَ يَكْفِي فَقَدْ مَا مَنَعُوا
وَجَزَعُ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمْرَاتِهِ فَوْعُظُهُ الْحَسَنُ فَجَعَلَ يَصِفُ فَضْلَهَا ، فَقَالَ
الْحَسَنُ : عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْهَا فَتَزَوَّجْ أَخْتَهَا فَلَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْهَا
وَأُنْشَدَ :

[الوافر]

يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عَمْرُ نُوْحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَطْرُقُ^(١) كُلَّ لَيْلَةٍ
عُوفٌ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ سِتٌّ خِصَالٌ : يَسْلَمُ عَلَيْهِ
إِذَا لَقِيَهُ وَيَنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ وَيَعُوذُهُ إِذَا مَرَضَ وَيُشَيِّعُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَا
وَيَسْمَتُهُ^(٢) إِذَا عَطَسَ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

[الطويل]

تَبَصَّرْنِي بِالْعَيْشِ عَرْسِي^(٣) كَأَنَّمَا
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْفَقْرِ يَوْمًا وَبِالْغِنَى
وَأُنْشَدَ أَبُو صَالِحٍ :

[الكامل]

وَمُشَيِّدٍ دَارًا لِيَسْكُنَ دَارَهُ سَكَنَ الْقُبُورِ وَدَارَهُ لَمْ تَسْكُنِ
وَكَانَ صَالِحُ الْأَمْرِ أَبُو بَشَرٍ يُنْشَدُ فِي قِصَصِهِ وَأُنْشَدَ غَيْرُهُ :

[المتقارب]

فَبَاتَ يُرَوِّي أَصُولَ الْفَسِيلِ^(٤) فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ
وَقَالَ الْآخَرُ :

[الطويل]

إِذَا أَبَقَّتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَ مِنْ شَيْءٍ^(٥) فَلَيْسَ بِضَائِرٍ
فَلَنْ يَعْدَلَ^(٦) الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
فَمَا رَضِيَ الدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُؤْمِنٍ
وَمَا رَضِيَ الدُّنْيَا عِقَابًا لِكَافِرٍ
وَلَا وَزْنَ زِفٍ^(٧) مِنْ جَنَاحِ لَطَائِرٍ

(١) جاء في نسخة أخرى «يحدث» بدلاً من «يطرق» .

(٢) التسميت : الدعاء للعاطس .

(٣) عرسي : زوجتي .

(٤) الفسيل : مفردة فسيل ، وهي النخلة الصغيرة .

(٥) جاء في نسخة أخرى «فاته منها» بدلاً من «فات من شيء» .

(٦) جاء في نسخة أخرى «تعدل» بقاء بدلاً من «يعدل» بقاء .

(٧) الزف : الصغير من الريش .

وقال الآخر:

[البسيط]

يرجو الخفارة^(١) مني آل ظلام
وأشتد قبضاً على السيلان^(٢) ابهامي
أكائل^(٣) الطير أو جثو لآرام
كأن آثارهم خطت بأقلام

أبعد بشر أسيراً في بيوتهم
فلن أصلحك ما دمت ذا فرس
فإنما الناس بالله أمهم
هم يهلكون ويبقى بعض ما صنعوا
وأشد لمحمد بن يسير:

[الخفيف]

أنا منها على شفا^(٤) تغرير
مت إلى عدن^(٥) أو عذاب السعير
كنت حيناً بهم كثير المُرور
قيل هذا محمد بن يسير

عجباً لي ومن رضائي بحالي
عالم لا أشك أني إذا
كلما مر بي على أهل ناد
قيل من ذا على سائر المنايا
وأشد:

[الطويل]

فهم ينقصون وألقبور تزيد
فدان ولكن اللقاء بعيد

لكل أناس مقبر لفنائهم
هم جيرة الأحياء أما محلهم
وقال أبو العتاهية:

[الكامل]

مخضت^(٦) بوجه صباح يوم الموقف
ما في الفراق مصوراً لم تطرف

سبحان ذي الملكوت أية ليلة
لو أن عيناً وهمتها نفسها
وقال أبو العتاهية أيضاً:

[السريع]

تنح عن خطبتها تسلم
سريعة العرس من المأتم

يا خاطب الدنيا إلى نفسها
إن التي خطب غرارة
وقال الآخر:

[مجزوء الكامل]

نهما الزمان فأسرعا

ناداهما بفراق بي

(١) الخفارة: الحماية والأمان.

(٢) السيلان: هو ما يدخل النصاب من السكين والسيف.

(٣) أكائل: مفردة أكيلة، وهي الفريسة.

(٤) الشفا: طرف وجانب كل شيء.

(٥) جاء في نسخة أخرى «إلى عدن إذا مت» بدلاً من «إذا مت إلى عدن».

(٦) مخضت: فاجأها المخاض وحن ولادها.

وَكَذَلِكَ مَا زَالَ الْبَرُّ مَا نْ مُفَرَّقًا مَا جَمَعَا
وقال الآخر:

[السريع]

يَا وَيْحَ هَٰذَا الْأَرْضِ مَا تَصْنَعُ أَكَلٌ حَيٌّ فَوْقَهَا تَصْرَعُ
تَزْرَعُهُمْ حَتَّىٰ إِذَا مَا أَتَوْا^(١) عَادَتْ لَهُمْ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُ
وقال الآخر:

[الطويل]

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنِّي بِرَدِّ أُمُورِ الْمَاضِيَّاتِ وَكَيْلِ
لِكُلِّ أَجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةً وَكُلِّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ أَفْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلُ

وقال محمد بن المنتشر: إذا أيسر الرجل أبتلى به أربعة: مولاه القديم ينتفي منه وأمراته يتسرى عليها وداره يهدمها ويبنى غيرها، ودابته يستبدل بها. وقال الآخر:

[الطويل]

يُجَدِّدُ أَحْزَانَنَا لِنَاكُلُ هَالِكٍ وَنُسْرِعُ نَسْيَانًا وَلَمْ يَأْتِنَا أَمْنُ
وَأِنَّا وَلَا نُكْفِرَانِ لِلَّهِ رَبِّنَا لَكَ الْبُدْنَ لَا تَدْرِي مَتَىٰ يَوْمُهَا الْبُدْنُ

الأوزاعي عن مكحول: قال: إن كان في الجماعة فضل فإن في العزلة سلامة. أبو جناب الكلبي عن أبي المحجل عن ابن مسعود قال: ثلاث من كن فيه دخل الجنة: من إذا عرف حق الله عليه لم يؤخره وكان عمله الصالح في العلانية على قوام من السريرة وكان قد جمع مع ما قد عمل صلاح ما يؤمله، وقال كفى موعظة أنك لا تحي إلا بموت ولا تموت إلا بحياة وقال أبو نواس:

[الخفيف]

شَاعَ فِي الْفَنَاءِ سُفْلًا وَعُلُوًّا^(٢) وَأَرَانِي أُمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
وَتَذَكَرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نَضْوًا^(٣) دَهَبَتْ جَدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي
وقال الآخر:

[الوافر]

وَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةٍ سَاعَةٍ أَكَلَاتِ دَهْرٍ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَىٰ لِشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي

(١) جاء في نسخة أخرى «استنوا» وهذه الرواية تتناسق مع فكرة البيت بدلاً من «أتوا».

(٢) جاء في نسخة أخرى «سفلاً وعلواً» بدلاً من «علواً وسفلاً».

(٣) النضو: هو البعير الهزيل من شدة السير.

وقال الآخر :

[الرجز]

وَأَلَمُوتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

كُلُّ أَمْرٍ مُصَبَّحٍ فِي أَهْلِهِ

وقال آخر :

[الرجز]

أَنْكَ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي

وَأَسْتَيْقِنِي فِي ظِلَمِ الْبُيُوتِ

وقال عنترة بن شداد :

[الكامل]

أَصَبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَغْزِلٍ
لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمُنْهَلِ
أَنْيَ أَمْرٌ سَأُمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ
مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضُنْكِ الْمَنْزِلِ

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفَ كَأَنِّي
فَأَجَبْتُهَا إِنْ أَلْمَنِيَّةَ مَنْهَلٍ
فَأَقْنِي ^(١) حَيَاءُكَ لَا أَبَا لِكَ وَأَعْلَمِي
إِنْ أَلْمَنِيَّةَ لَوْ تُصَوِّرُ صُورَتِ

وقال أبو العتاهية :

[مجزوء الخفيف]

وَأَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
ثُمَّ وَافِيْتُ مَضْجَعِي
فَأُحْذِرِي مِثْلَ مَضْرَعِي
فَخُذِي مِنْهُ أَوْدَعِي

أَذَنْ حَيٍّ تَسْمَعِي
عِشْتُ تَسْعِينَ حَجَّةً
أَنَا رَهْنٌ لِمَضْرَعِي
لَيْسَ زَادًا سِوَى التَّقَى

وقال الخليل بن أحمد :

[الكامل]

لَا مَهْرَبٌ مِنْهُ وَلَا فَوْتُ
آل ^(٣) الْغَنَى وَتَقَوُّضَ الْبَيْتِ

عِشْ مَا بَدَا لَكَ قَصْرُكَ ^(٢) أَلَمُوتُ
بَيْنَا غَنَى بَيْتٍ وَبَهْجَتُهُ

وقال أبو العتاهية :

[السريع]

إِنْ لَمْ تُبَادِرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
آخِرُ هَذَا كِلَاهِ أَلَمُوتُ

إِسْمَعُ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
نَلَّ كُلَّ مَا شِئْتَ وَعِشْ سَالِمًا

وقال الوزيري :

[الوافر]

إِذَا سَارَ النَّوَاجِعُ ^(٤) لَا أَسِيرُ

وَأَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَصِيرُ مَيْتًا

(١) فأقني حياءك : إلزميه .

(٢) قصرك : نهايتك .

(٣) جاء في نسخة أخرى « زال » بدلاً من « آل » .

(٤) النواجع : مفردة ناجع ، وهو الباحث عن الكلاً في موضعه .

وَقَالَ السَّائِلُونَ مِنَ الْمَسْجَىٰ ^(١)

وقال أبو العتاهية :

الْحَقُّ أَوْسَعُ مِنْ مُعَا
لَا تَغْرِضَنَّ لِكُلِّ أُمٍّ
وَالْعَيْشُ يَصْلُحُ إِنْ مَزَجَ
لَا يَخْدَعَنَّكَ زُخْرُفُ أَلْ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ مُضْ
وَلَرُبَّمَا غَصَّ الْبَخِي

وقال أيضاً :

مَنْ أَجَابَ الْهَوَىٰ إِلَىٰ كُلِّ مَا يَدُ
وَمَنْ رَأَىٰ عِبْرَةً فَفَكَرَ فِيهَا
رُبَّمَا اسْتَغْلَقَتْ أُمُورٌ عَلَىٰ مَنْ
وَسَيَاوِي إِلَىٰ يَدِ كُلِّ مَا تَأُ
قَدْ تَكُونُ النِّجَاةُ تَكْرَهَهَا النَّفْسُ

وقال أيضاً :

لَوْ أَنَّ عَبْدًا لَهُ خَزَائِنُ مَا فِي أَلْ
يَا عَجَبًا كُلَّنَا يَحِيدُ عَنْ أَلْ
كَأَنَّ حَيًّا قَدْ قَامَ نَادِبُهُ
وَأَسْتَلَّ مِنْهُ حَيَاتُهُ مَلِكُ الْمَوْتِ

وقال السموأل بن عادياً :

تُعَيِّرُنَا أَتَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
وَمَا ضَرَرْنَا أَتَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا

فَقَالَ الْمُخْبَرُونَ لَهُمْ وَزِيرُ

[مجزوء الكامل]

لَجَّةِ الْهَوَىٰ وَمَضِيْقِهِ
رَأْنَتْ غَيْرُ مُطِيقِهِ
تَ غَلِيظُهُ بَرْقِيْقِهِ
دُنْيَا بِحُسْنِ بَرِيْقِهِ
طَرِبًا فَخُذْ بِوَثِيْقِهِ
لُ إِنْ أَسْتُنِيْلَ بَرِيْقِهِ

[الخفيف]

عُوهُ مِمَّا يُضِلُّ ضَلَّ وَتَاهَا
أَذْنَتْهُ بِالْبَيْنِ حِينَ يَرَاهَا
كَانَ يَأْتِي الْأُمُورَ مِنْ مَاتَاهَا
تِي وَيَأْوِي إِلَىٰ يَدِ حَسَنَاهَا
سُ وَتَأْتِي مَا كَانَ فِيهِ رَدَاهَا

[الرجز]

أَرْضِ مَا عَاشَ خَوْفَ إِمْلَاقٍ ^(٢)
حَيْنٍ ^(٣) وَكُلُّ لَحَيْنِهِ لَاقٍ
وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ مِنْهُ بِالسَّاقِ
تِ خَفِيًّا وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ^(٤)

[الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ
شَبَابُ تَسَامَىٰ لِلْعُلَىٰ وَكُھُولُ
عَزِيزُ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

(١) المسجى : الممدد والمغطى بكفن الموت .

(٢) الإملاق : الفقر المدقع .

(٣) الحين : الموت .

(٤) الراق : السالم المعافى .

كَهَامٌ^(١) وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلٍ
بَهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِ عَيْنَ فُلُولٍ
فَتُعْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
وَلَيْسَ سِوَاءَ عَالَمٍ وَجْهُولُ

[الوافر]

يُنْخِ يَوْمًا بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ
تَثْلَمُهُ^(٣) كَمَا ثَلِمَ الْأَنْاءُ
سَيَاتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

[البسيط]

وَهُمْ عَلَى ذَاكَ مِنْ دُونِي مَوَالِيهَا
أَوْ حِيلَ مِنْ دُونِهَا أَنْ لَسْتُ نَاسِيهَا

[الطويل]

سِوَاءَ بَصِيرَاتِ الْغُيُونِ وَعُورُهَا
مُسُوحًا^(٧) أَعَالِيهَا وَسَاجًا كُسُورُهَا

وقالوا: أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو عامل سليمان بن عبد الملك فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له فوعده أن يقضيها فلم يفعل، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلّمه فقضى حاجته فقال سعيد:

[الطويل]

تَوَلَّى سِوَاكُم شُكْرَهَا وَاضْطِنَاعَهَا
وَنَفْسٌ أَضَاقَ إِلَهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا
عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ لِشَرِّ أَطَاعَهَا

فَنَحْنُ كَمَا أَلْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تَسْلَ نِصَالُهَا
سَلِي إِنْ جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ
وقال الربيع بن أبي الحقيق:

وَمَنْ يَكُ عَاقِلًا لَمْ يَلْقَ بُؤْسًا
تَعَاوَرُهُ^(٢) بَنَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ
وَأُنْشَدَ:

قَدْ حَالَ مِنْ دُونِ لَيْلَى مَعْشَرٌ قَدْ^(٤)
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي إِنْ أَتَتْ حِجَجٌ^(٥)
وَأُنْشَدَ:

وَلَيْلٍ^(٦) يَقُومُ الْقَوْمُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ
كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بُيُوتًا حَصِينَةً

وقالوا: أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو عامل سليمان بن عبد الملك فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له فوعده أن يقضىها فلم يفعل، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلّمه فقضى حاجته فقال سعيد:

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَذْرَكْتَ حَاجَتِي
أَبَى لَكَ فِعْلُ الْخَيْرِ رَأْسٌ مُقْصَرٌّ
إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً

(١) الكهام: الضعيف المسن الذي لا رجاء فيه.

(٢) تعاوَره: تتداوله وتتناوبه.

(٣) تثلمه: أصابه الضعف والخور.

(٤) جاء في نسخة أخرى «قزم» بالزاي بدلاً من «قذم» بالذال، ومعناها الأسخياء.

(٥) جاء في نسخة أخرى «نأت حججاً» بدلاً من «أت حجج» والحجج: السنون.

(٦) جاء في نسخة أخرى «الناس» بدلاً من «القوم».

(٧) جاء في نسخة أخرى «مسوح.. وساج» في حالة الرفع بدلاً من «مسوحاً.. وساحاً».

سَيَكْفِيكَ مَا ضَيَّعَتْ مِنْهَا وَإِنَّمَا
وَلَايَهُ مَنْ وَلَاكَ سُوءُ بَلَائِهَا
وَأُنْشَدَ:

إِذَا مَا أَطْعَتَ الْنَفْسَ مَالَ بَكَ الْهَوَى
إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ
وَأُنْشَدَ:

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ
خُبُزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ
وَأُنْشَدَ:

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا شَبْعَةٌ وَتَشْرِقُ
وَتَمُرُّ كَأَخْفَافِ الرَّبَاعِ^(٢) وَمَاءٌ
قَالُوا: اسْتَبْطَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَبْنَهُ مُسْلِمَةً فِي مَسِيرِهِ إِلَى الرُّومِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ:
لِمَنْ الظَّعَائِنُ سِيرَهْنَ تَزْحَفُ^(٣) سِيرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسُ تَجَدَّفُ
فَلَمَّا قَرَأَ مُسْلِمَةُ الْكِتَابَ كَتَبَ إِلَيْهِ:

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا
وَلَوْ زَبْنَتْهُ^(٤) الْحَرْبُ لَمْ يَتْرَمِرْ
وَمُسْلِمَةُ هُوَ الْقَائِلُ عِنْدَ مَا وَلَى بَعْضُهُمْ فِي قَبْرِهِ فَتَمَثَّلَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ فَقَالَ:
وَمَا^(٥) كَانَ قَيْسٌ هُلَكَهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا
فَقَالَ مُسْلِمَةُ: لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةِ شَيْطَانٍ هَلَا قُلْتُ:

إِذَا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حِدْنَابِهِ^(٦) تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقَرَّمٍ
وصف مسلمة بن عبد الملك:

وكان مسلمة شجاعاً خطيباً وبارع اللسان جواداً ولم يكن في ولد عبد الملك مثله
هشام بعده . وقال بعض الأعراب يهجو قوماً:

تَصَبَّرَ لِلْبَلَاءِ وَمِثْلُ الْوَحْتِ صَبْرًا
إِذَا جَاوَزْتَ حَيَّ بَنِي أَبَانَ
[الوافر]

(١) السادر: اللاهني الذي لا يهتم بما صنع .
(٢) الرباع: الفصيل المولود في الربيع .
(٣) تزحف: تخطو ببطء شديد .
(٤) زبنته الحرب: لسعته .
(٥) جاء في نسخة أخرى «فما» بدلاً من «وما» .
(٦) ذرحد نابه: وقعت أسنانه، وهو يقصد بذلك أنه مات .

وقالوا لي أحترس للديدبان
فصفتُ بالبنان على البنان
يقيمون الصلاة بلا أذان

[الطويل]

له حابس الظلماء والليل مذهب
وقد كذبت النفس والظن كوكبا
شامية نكباء^(٢) أو عارض صبا
مشيراً لساري ليلة أن تأوبا
نقول له أهلاً وسهلاً ومرحباً
بكموماء لم يترك لها التي^(٦) مهربا
دعت مستكن الجوف حتى تصببا

[الرجز]

أنك إن لم تقتلي تموتي

وقال أبو سعيد الزاهد: من عمل بالعافية فيمن دونه أعطي العافية ممن فوّه. وقال عيسى ابن مريم - صلوات الله تعالى على نبينا وعليه -: في المال ثلاث خصال. قالوا: وما هي يا روح الله؟ قال: يكسبه من غير حله. قالوا: فإن كسبه من حله؟ قال: يمنعه من حقه. قالوا: فإن وضعه في حقه؟ قال: يشغله إصلاحه عن عبادة ربه، قال: قيل لرجل مريض: كيف تجددك؟ قال: أجدني لم أرض حياتي لموتي. عن سعيد بن بشير عن أبيه أن عبد الملك قال حين ثقل ورأى غسلاً يلوي ثوباً بيده: وددت أني كنت غسلاً لا أعيش إلا بما أكتسب يوماً فذكر ذلك لأبي حازم. فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه، الهيثم قال: أخبرنا موسى بن عبيدة الزيدي عن عبد الله بن خدّاش الغفاري قال: قال أبو ذر: فارقت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوتني من الجمعة إلى الجمعة مُدّ ولا والله لا أزداد عليه

أقاموا الديدبان^(١) على يفاع
فإن أبصرت شخصاً من بعيد
تراهم خشية الأضياف خرساً
وقال بعض الأعراب يمدح قوماً:

وسار تعناه المبيت فلم يدع
رأى نار زيد من بعيد فخالها
رفعت له بالكف ناراً تشبها
وقلت أرفعوها بالصعيد كفى بنا^(٣)
فلما أتانا والسّماء تبّله
وقمت إلى البرك^(٤) الهواجد^(٥) فأنقثت
فرحبت أعلى الجنب منها بطعنة
وقال الآخر:

وأستيفني في ظلم البيوت

(١) الديدبان: الكشاف طليعة القوم.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بها» بالهاء بدلاً من «بنا».

(٤) البرك: هي إبل أهل الحواء.

(٥) الهواجد: مفردة هاجد، وهو البعير يلقي جرائه على الأرض.

(٦) التي: الشحم.

(٢) النكباء: هي ريح تهب بين الصبا والشمال.

حتى ألقاه قال: وكان يقول إنَّما مالك لك أو للجائحة أو للوارث فاغنَ ولا تكن أعجز الثلاثة. فضيل بن عياض عن المطرح بن يزيد عن عبد الله بن زُحَرَ عن علي بن يزيد عن القاسم مولى يزيد بن معاوية عن أبي أمانة الباهلي قال: قال عمر - رضي الله تعالى عنه - أدبوا الهيل وتسوَّكوا وأقعدوا في الشمس ولا تجاورنكم الخنازير ولا يُرفعنَ فيكم الصليب ولا تأكلوا على مائدة تُشرب عليها الخمر وإياكم وإخلاق العجم ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام إلا بمئزر ولا لامرأة إلا من سُقْم فإنَّ عائشة - رضي الله تعالى عنها - حدثتني قالت: حدثني خليلي على مفرشي هذا قال: إذا وضعت المرأة خمارها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله فلم يتناهى^(١) دون العرش. (نساك البصريين وزهادهم) عامر بن عبد قيس وبجالة بن عبدة العنبريان وعثمان بن أدهم والأسود بن كَثُوم وصيلة بن أشيم ومذعور بن الطفيل ومن بني منقر جعفر وحرب ابنا جرفاس. كان الحسن يقول: إني لا أرى كالجعفر بن جعفر، يعني جعفر بن جرفاس وجعفر بن زبد العبدى ومن النساء معاذة العدوية امرأة صيلة بن أشيم ورابعة القيسية. (زهاد الكوفة) عمرو بن عُتْبَة وهَمَّام بن الحرث والربيع بن خيثم وأويس القرني. وقال الراجر:

مَنْ عَاشَ دَهْرًا فَسَيَاتِيهِ الْأَجَلُ وَالْمَرْءُ تَوَاقُّ إِلَى مَا لَمْ يَنْلُ
الْمَوْتُ يَتْلُوهُ وَيُلْهِيه الْأَمَلُ

وقال الآخر:

لا يَغْرُنْكَ عِشَاءٌ^(٢) سَاكِنٌ قَدْ يُوَافِي يَأْلَمَنِيَّاتِ السَّحَرِ

وقال الآخر:

كُلُّنَا يَأْمَلُ مَدًّا فِي الْأَجَلِ وَالْمَنَايَا هِيَ آفَاتُ الْأَمَلِ

وقال الآخر:

أَنْتَ وَهَبْتَ الْفَتْيَةَ^(٣) السَّلَاهِبَ^(٤) وَهَجْمَةً^(٥) يَحَارُ فِيهَا الْحَالِبُ
وَعَنْمًا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ^(٦) مَتَاعُ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٍ

(١) جاء في نسخة أخرى «يتناه» وهذا هو الصحيح بدلاً من «فلم يتناهى».

(٢) جاء في نسخة أخرى «مساء» بدلاً من «عشاء».

(٣) الفتية: مفردة فتى، وهو حديث السن من الإبل والدواب.

(٤) السلاهيب: مفردة سلهب، وهو الطويل من الخيل.

(٥) الهجمة: القطعة الكثيرة العدد من الإبل.

(٦) السارب: الضارب على وجهه في الأرض.

وقال المسعودي :

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الْكَرَامَ مُنَاهِبُ
أَخْلَفَ وَأَتْلَفَ كُلَّ شَيْءٍ
لَكَ الْمَجْدُ كُلُّهُمُ فَنَاهِبُ
سِءَ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبُ

وقال التميمي :

[الطويل]

إِذَا كَانَتْ السَّبْعُونَ سِنَّكَ لَمْ يَكُنْ
وَإِنَّ أَمْرًا سَارَ سَبْعِينَ حَجَّةً
إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِمْ
إِذَا مَا خَلَوْتَ أَلْدَهَرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
لِدَائِكَ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ طَبِيبُ
إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
وُخِّلَفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وقال غسان خال الغدار :

[الكامل]

إِبْيَاضُ مَنِّي الرَّأْسُ بَعْدَ سَوَادِ
وَأَسْتُحْصِدَ الْقَرْنَ الَّذِي أَنَا مِنْهُمْ
وَدَعَا الْمَشِيبُ حَلِيلَتِي بِبَعَادِ^(١)
وَكَفَى بِذَاكَ عِلَامَةً لِحَصَادِي

وكان علي بن موسى بن ماهان كثيراً ما يقول : ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٢) وكان كثيراً ما يقول : ويلٌ للظالمين من الله . وقال ابن واسع : الأتقاء على العمل شد من العمل . وكان أبو وائل النهشلي يقول في أول كلامه : إن الدهر لا يدوق طعم الفراق ولا يُدْبِقُهُ أَهْلُهُ وإنما ينغمسون في ليل ويطغون في نهار فيوشك شاهد الدنيا أن يغيب وغائب الآخرة أن يشهد . وقال : سألت رجلاً رجلاً حاجة فقال له المسؤول : اذهب بسلام ، فقال له السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله . الخزامي . عن سفيان بن حمزة عن كثير بن الصلت أن حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين ألف درهم فقيل له : غبنك والله معاوية فقال والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمر أشهدكم أنها في سبيل الله فانظروا : أيُّنا المغبون ؟ قال سفيان الثوري : ليس من ضلالة إلا عليها زينة فلا تعرضن دينك أن يُبْعِضَ إِلَيْكَ ، وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل . وأتى مسلماً نصراني يُعْزِيهِ فقال له مثلي لا يُعْزِي مَثْلَكَ ولكن أنظر إلى ما زهد فيه الجاهل فأرغب فيه ، وكان الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي يُلقَّبُ ذا الدمعة فإذا عُوتِبَ في كثرة البكاء قال : وهل تركت النار والسهمان لي مضحكاً يريد قتل زيد بن علي أبيه ويحيى بن زيد أخيه . وقيل لشيخ من الأعراب قُمْتَ مقاماً خِفْنَا عَلَيْكَ مِنْهُ قال : ما الموت أخاف ، شيخ كبير ورب غفور ولا

(١) جاء في نسخة أخرى «لبعادي» باللام بدلاً من «ببعادي» بالباء .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٦ .

دينٌ ولا بناتٌ . قال أبو العتاهية :

[الرمل]

فَكَذَا يَبْلَى عَلَيَّهِنَّ الْحَزَنُ

وَكَمَا تَبْلَى وَجُوهٌ فِي الثَّرَى

وقال بشار :

[الخفيف]

مَنْ سَيُفْضِي لِحَبْسِ يَوْمٍ طَوِيلٍ
عَنْ وَفُوفٍ بِكُلِّ رَسْمٍ مَحِيلٍ^(٢)

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحْبَسٍ^(١) فِي طُلُولٍ
إِنَّ فِي الْبَعَثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا

وقال محمود الوراق :

من شعر محمود الوراق :

[المتقارب]

يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
وَبَيْنَ مَعَزٍ مَغْدٍ^(٣) إِلَيْهِ
فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الْفَتَى
فَمَنْ بَيْنَ بَاكِ لَهُ مُوَجَعٌ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ^(٤) الشَّبَابِ

وقال أيضاً :

[مجزوء المتقارب]

وَبُعْدِ فَوَاتِ الْأَمَلِ
بِعَقَبِ شَبَابِ رَحَلِ
وَشَيْبٍ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ
وَحَلَّ بِشَيْرِ الْأَجَلِ
كَذَاكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ

بَكَيْتَ لِقُرْبِ الْأَجَلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا
شَبَابٍ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ
طَوَاكُ بِشَيْرِ الْبَقَاءِ
طَوَى صَاحِبٍ صَاحِبًا

وقال محمود أيضاً :

[الطويل]

وَيُعْدِيهِمْ دَاءُ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

رَأَيْتُ صَلاَحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلاَحِهِ

وقال الحسن بن هانئ :

[السريع]

وَأَيَّ جِدٍ بَلَغَ الْمَازِحُ
وَنَاصِحٍ لَوْ حَظِيَ النَّاصِحُ

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ
لَلَّهِ دُرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ

(١) المحبس: السجن .

(٢) المحيل: المتغير لتقدم عهده ومرور السنين عليه .

(٣) المغذي: المجد في سيره .

(٤) شرخ الشباب: بدئه .

يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا أَتْبَاعَ الْهَوَى
فَأَسْمُ بَعِينِكَ إِلَى نِسْوَةٍ
لَا يُجْتَلَى الْعُذْرَاءُ مِنْ خَذَرِهَا
مَنْ أَتَقَى اللَّهَ فَذَلِكَ الَّذِي
وقال أيضاً:

خَلَّ جَنْبِيكَ لِإِرَامٍ
مُتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ
إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ الْـ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحَتْ بِالْمَزِ
رُبَّ لَفْظٍ سَاقٍ آجَا
فَالزَّمِ الصَّمْتَ فَإِنَّ
وَالْمَنْيَا أَكَلَاتُ
شَبَبْتَ يَا هَذَا وَمَا تَثُ
وقال أيضاً:

كُنْ مِنَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ
لَا تَكُنْ إِلَّا مُعْعِداً
إِنَّ لِلْمَوْتِ لِسُهُمًا
نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَانِيهِ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ
وقال أيضاً:

يَا نُوَاسِي تَفَكَّرْ

وَمِنْهُمْ جُ الْحَقُّ لَهُ وَاضِحٌ
مُتُورُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
إِلَّا أَمْرُ مِيزَانِهِ رَاجِحُ
سَيِّقَ إِلَيْهِ الْمُتَجَرُّ الرَّابِحُ

[مجزوء الرمل]

وَأَمَضَ عَنْهُ بِسَلَامٍ
لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
جَمَ فَأُهُ بِالْجَمَامِ
ح (١) مَغَالِيقَ (٢) الْجَمَامِ (٣)
لَ فَنَامَ (٤) لَفْنَامَ (٥)
الصَّمْتَ أَبْقَى لِلْجَمَامِ (٦)
شَارِبَاتٍ لِلْأَنَامِ
رُكُّ أَخْلَاقِ الْغُلَامِ

[مجزوء الرمل]

وَأَتَقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ
لِلْمَنْيَا فَكَأَنَّكَ
وَأَقِيعاً دُونَكَ أَوْبِكَ
نَ سَكُونٍ وَنُحْرُكُ
وَبَتَقْوَاهُ تَمَسَّكَ

[مجزوء الرمل]

وَتَعَزَّزْ وَتَصَبَّرْ

(١) جاء في نسخة أخرى «بالقول» بدلاً من «بالقول».

(٢) مغاليق أسباب.

(٣) الحمام: الموت.

(٤) الفئام: الجمهرة الكثيرة من البشر.

(٥) جاء في نسخة أخرى «وفنام» بدلاً من «لفنام».

(٦) جاء في نسخة أخرى بيت آخر بدلاً من هذا البيت، وهو:

فالبس الناس على الصِّحة منهم والسقام والجمام: الراحة والطمأنينة.

سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ وَلَمَّا سَرَّكَ أَكْثَرُ
يَا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفُوَ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ
أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ فِي وَأَصْ غَرُّ عَفْوِ اللَّهِ يَضَعَرُ

قال سعيد بن ربيعة بن مالك بن سعيد بن زيد مناة بن تميم:

[الطويل]

أَلَا إِنَّمَا هَذَا الْمَلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِدْبَارُ جَسْمِي مِنْ رَدَى الْعَثَرَاتِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ تَقَطَّعَ نَفْسِي بَعْدَهُ حَسَرَاتِ

[الطويل]

وهذا من قديم الشعر . وقال الطرماح في هذا المعنى :

وَشَيَّبَنِي أَنْ لَا أَزَالَ مَنَاهَضًا^(١) بَعِيرٍ قُوَى أَنْزَوْ بِهَا وَأَبُوعُ^(٢)
وَأَنْ رَجَالَ الْمَالِ أَضْحَوْا وَمَالَهُمْ لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ شَفِيعُ
أَمْخَرَمِي رَيْبُ الْمَنُونِ وَلَمْ أَنْلُ مِنْ الْمَالِ مَا أَعْصِي بِهِ وَأَطِيعُ

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد وهو جد الأحمير اللص السعدي :

[مجزوء الكامل]

لَا لَا أَعْقُ^(٣) وَلَا أَحْو ب^(٤) وَلَا أَغِيرَ عَلَى مَضْرُ
لَكِنَّمَا أَغْزَوْ^(٥) إِذَا ضَجَّ الْمَطْيِيُّ مِنَ الدَّبَرِ

[الوافر]

وقال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز :

وَأِنْ قَالَتْ رِجَالٌ قَدْ تَوَلَّوْا زَمَائِكُمْ وَذَا زَمَنْ جَدِيدُ
فَمَا ذَهَبَ الزَّمَانُ لَنَا بِمَجْدٍ وَلَا حَسْبُ إِذَا ذُكِرَ الْجَدُودُ
وَمَا كُنَّا لِنُخْلَدَ إِذْ مَلَكْنَا وَأَيُّ النَّاسِ دَامَ لَهُ الْخُلُودُ
وقيل لأخيه بعد أن رأوه حمالاً : لقد حطك الزمان وعضك الحدثان فقال :

ما فَقَدْنَا مِنْ عَيْشِنَا إِلَّا الْفُضُولَ

[الوافر]

وقال عروه بن أذينة الكِنَانِي :

نُراَعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَيُحْزِنُنَا بِكَاءِ الْبَاكِياتِ
كَرَّوْعَةٍ ثَلَاثَةٍ^(٦) لِمُغَارٍ^(٧) ذَنْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ

(١) مناهضاً : مقاوماً .

(٣) أعق : أرمي السهم نحو السماء ابتغاء الصلح .

(٥) جاء في نسخة أخرى « غزوي » بدلاً من « أغزو » .

(٦) الثلاثة : الجماعة .

(٧) المغار : المهاجم بسرعة قصد السلب والسرقة .

(٢) أبوع : أسرع الخطو .

(٤) أحوب : أميل نحو الرأفة والحنان .

وقالت خنساء بنت عمرو:

[البسيط]

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَلِئِمَّا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ
وقال أبو النجم:

[الرجز]

فَلَوْ تَرَى الْتِيوسَ مَضْجَعَاتِ عَرَفْتَ أَنَّ لِسَنَ بَسَالِمَاتِ
أَقُولُ إِذْ جِئْنَ مَذْبَحَاتِ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ وَقَعَاتِ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتُ مِنَ الْحَيَاةِ

وقال سليمان بن الوليد:

[الرملي]

رُبَّ مَغْرُوسٍ يَعَاشُ بِهِ عَدَمَتُهُ كَفُّ مَغْتَرِسِهِ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَاتُمُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ
وقال آخر:

[البسيط]

يَا زَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَارًا
وقالت امرأة في بعض الملوك:

[السريع]

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ فَجَعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

أخلاق من شعر وأحاديث ونوادر

قال هبيرة بن وهب المخزومي:

[الطويل]

وإنَّ مَقَالَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ^(١) لَكَأَنَّ لَتَبْلَ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
وقال الراجز:

وَالْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَى كَالسَّهْمِ لَا يُرْجِعُهُ رَامٍ رَمَى
وإلى هذا ذهب عامر الشعبي حيث يقول: «وإنك على إيقاع ما لم توقع أقدر منك
على ردِّ ما قد أوقعت». وأنشد:

[الطويل]

فَدَاوَيْتُهُ بِالْحَلَمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
وقال الأنصاري:

[الوافر]

وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ حَصَاةٌ ^(٢) كَمُخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنْاءٌ ^(٣)
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
وقال الآخر:

[الطويل]

وَمَوْلَى كَدَاءِ الْبَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحِلْمٌ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظُنُونٌ
وقال آخر:

[الطويل]

تَقَسَّمَ أَوْلَادُ الْمَلَمَّةِ ^(٤) مَغْنَمِي جَاراً وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَغْلَبِ
وقال الثلب اليماني:

وَهَنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ

وقال النبي ﷺ: «إذا كتب أحدكم فليترب كتابه فإن التراب مبارك» وقال: هو انجح

(١) الكنه: جوهر الشيء.

(٢) الحصاة: العقل الناصح والرأي السديد.

(٣) جاء في نسخة أخرى «إتاء» بالتاء، ومعناها الزبد بدلاً من «إناء» بالنون.

(٤) الملمة: المرأة يجتمع عندها الرجال.

للحاجة» وذكر الله عز وجل آدم الذي هو أصل البشر فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١) ولذلك كنى النبي ﷺ علياً: أبا تراب. قالوا: وكانت أحب الكنى إليه. وقال الآخر:

[الوافر]

وإن جئت الأمير فقل سلاماً
وأما بعد ذاك فلي غريم
له ألف عليّ ونصف ألف
دراهم ما أنتفعت بها ولكن
وقال الكميت:

[الطويل]

بأملك إذ أضواتنا الهل^(٢) والهب^(٣)
بعذل^(٤) والداعي إلى الموت ينعب^(٥)
وقال ابن نوفل:

[الوافر]

شرباً ثم بلت على السري
كبير السن ذي بصر ضير
لأعلاج^(٦) ثمانية وشيخ
وقال ابن هرمة:

[الطويل]

يكلّمه من حبه وهو أعجم
وقال المهلب: عجت لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعرفه
وقال الشاعر:

[البسيط]

ورزقت لباً ولم أرزق مروءته
إذا أرذت مساماة تقاعدني
وقال الأحنف:

[المتقارب]

فلومدّ سروي^(٧) بمال كثير
لجذت وكننت له باذلاً

(١) سورة آل عمران. الآية: ٥٩.

(٢) الهل: مصدر من هب إذا دعا الفرس للوثوب.

(٣) جاء في نسخة أخرى «بعذك» بالذال وهو النظير المساوي بدلاً من «بعذك» بالذال.

(٤) ينعب: يصدر صوتاً كصوت الغراب.

(٥) الأعلاج: مفردة عالج، وهو لقب للكفار من المجوس والنصارى من الروم.

(٦) السروي: الرفعة والشرف.

فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا
وقال جرير بن يزيد:

[السريع]

خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لِلْفَتَى عُدْمُهُ وَمِنْ بَنِينَ أَعْقَةٍ ^(١) عَقْمُهُ
قال: ومشى رجال من بني تميم إلى عتاب بن ورقاء ومحمد بن عمير في عشر
ديات فقال محمد بن عمير: عليّ دية. فقال عتاب: عليّ الباقية. فقال محمد: نعم
العوّن على المروءة المال. وقال آخر:

[الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي وُضْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى طُولٍ مَرُّ الْحَادِثَاتِ بَقَاءُ
وقال الآخر:

[الوافر]

شِفَاءُ الْحَبِّ تَقْبِيلٌ وَشَمٌّ وَضَمٌّ بِالْبُطُونِ عَلَى الْبُطُونِ
وَأُنْشَد:

[الرجز]

وَاللَّهِ لَا أَرْضَى بِطُولِ ضَمٍّ وَلَا بِتَقْبِيلٍ وَلَا بِشَمٍّ
إِلَّا بِهَزْهَازٍ ^(٢) يُسَلِّي هَمِّي يَسْقُطُ مِنْهُ فَتْخِي ^(٣) فِي كَمِّي
لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

وقال آخر:

[الرجز]

لَا يَنْفَعُ الْجَارِيَةَ الْخَضَابُ وَلَا الْوُشَاحَانِ وَلَا الْجَلْبَابُ
مَنْ دُونَ أَنْ يَصْطَفِقَ الْإِرْكَابُ وَتَلْتَقِيَ الْأَسْيَابُ وَالْأَسْبَابُ
وَيَخْرَجُ الزُّبُّ لَهُ لُعَابُ

وقال آخر:

[الكامل]

وَلَقَدْ بَدَا لِي أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ عَنِّي وَقَلْبِي لَوْ بَدَا لَكَ أَذْهَلُ
كُلُّ يُجَامِلُ وَهُوَ يُخْفِي بُغْضَهُ إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْقَلَى ^(٤) يَتَحَمَّلُ
وقال الآخر:

[الوافر]

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

(١) أعقة: مفردة عاق، وهو من عَقَى والده.

(٢) الهزهاز: ضرب من السيوف.

(٣) الفتخ: الخاتم الكبير.

(٤) القلى: البعد.

سَلاماً خَالِياً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ
وقال الآخر:

[الكامل]

وَزَعَمْتَ أَنِّي قَدْ كَذَبْتُكَ مَرَّةً بَعْضَ الْحَدِيثِ فَمَا صَدَقْتُكَ أَكْثَرُ
وقال الآخر:

[الطويل]

أَهِينُوا مَطَايَاكُمْ فَإِنِّي وَجَدْتُهُ يَهُونُ عَلَى الْبِرْدُونِ مَوْتُ الْفَتَى النَّدْبِ^(١)
وقال الآخر:

[البيسط]

لَا يَحْفَلُ الْبُرْدُ مَنْ يُبْلِي حَوَاشِيَهُ وَلَا تُبَالِي عَلَى مَنْ رَاحَتْ الْإِلْبُ
وقال الآخر:

[الطويل]

أَلَا لَا يَبَالِي الْبُرْدُ مَنْ جَرَّ فَضْلَهُ كَمَا لَا تَبَالِي مَهْرَةٌ مَنْ يَقْوَدُهَا
وقال الآخر:

[الطويل]

وَإِنِّي لَأَرْتِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا عَلَى حَاجَةٍ عِنْدَ أَلَلِّيمِ يُطَالِبُهُ
وَأَرْتِي لَهُ مِنْ مَجْلِسٍ عِنْدَ بَابِهِ كَمَرَثِيَّتِي لِلطَّرْفِ وَالْعِلْجِ رَاكِبُهُ
وقال الفرزدق:

[الطويل]

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ يَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعاً كِبَارُهَا
وقال الشاعر:

[الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ سَيْرَ الْخَيْرِ رَيْثُ^(٢) وَأَنَّ الشَّرَّ رَاكِبُهُ يَطِيرُ
وقال ابن يسير:

[الكامل]

تَأْتِي الْمَكَارِهِ حِينَ تَأْتِي جُمْلَةً وَتَرَى السُّرُورَ يَجِيءُ فِي الْفَلَتَاتِ^(٣)

قيل لبلال بن أبي بردة: لم لا تولي أبا العجوز بن أبي شيخ العراق؟ وكان بلال مسترضعاً فيهم وهو من بلهجوم، قال: لأنني رأيت منه ثلاثاً رأيتُهُ يحتجم في بيوت أخواته، ورأيت عليه مظلة وهو في الظل، ورأيتُهُ ببادر بيض البقيلة. وكان عندي شيخ عظيم البدن جهير الصوت يستقصي الأعراب، وقد ولده رجل من أهل الشورى. وكان

(١) الندب: الرجل الظريف، خفيف الظل.

(٢) الريث: البطء.

(٣) الفلتات: مفردة فلتة، وهي آخر ليلة من الشهر، ويقصد أن السرور قليل.

بقربى عبد أسود دقيق العظم دميم الوجه، ورآني أكبره فقال لي حين نهض ورأى عظماً: يا أبا عثمان لا والله إن يساوي ذلك العظم البالي، بصُرت عيني به في الحمام، وتناول قطعة من فخار فأعطاهما رجلاً وقال له: حكك بها ظهري. أفتظن هذا يا أبا عثمان يفلح أبداً؟ قال أبو الحسن: سأل الحجاج غلاماً. فقال له غلام: من أنت؟ قال غلام: سيد قيس. قال: ومن ذاك؟ قال: زرارة بن أوفى. قال: كيف يكون سيد قيس؟ وفي داره التي ينزلها سكان؟ قال: وقال رجل لأبيه: إذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخاً من قدماء جيرانك. قال: يا أبت لو كنت إذا خاصمت جاري لم يعرف عيبي غيري. كان ذلك رأياً ولكن جاري لا يعرفني عيبي حتى يعرفه عدوي، وقد أخطأ الذي وضع هذا الحديث، لأن أباه نهاه ولم يأمره. وقال الآخر:

[الرمل]

إِصْطَنِعْنِي وَأَقْلَنِي عَشْرَتِي إِنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ مِنِّي بِقَرٍّ^(١)
وَأَعْلَمَنْ أَنَّ لَيْسَ أَلْفَا دِرْهَمٍ لِمَدِيحِي وَهَجَائِي بِخَطَرٍ
يَذْهَبُ أَلْمَالُ وَيَبْقَى الْمَنْطِقُ^(٢) شَائِعاً يَأْثُرُهُ أَهْلُ الْخَبَرِ
ثُمَّ أَرْمَيْكُمْ بِوَجْهِ بَارِزٍ لَسْتُ أَمْشِي لِعَدُوِّي بِخَمَرٍ

وقال أشهب بن رميلة، يوم صفين: إلى أين يا بني تميم قد ذهب الناس أتفرون وتُعذرون؟ قال: ونهض الحرث بن حوط الليثي إلى علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - وهو على المنبر فقال: أظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال؟ قال: يا حار، إنه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال فاعرف الحق تعرف أهله. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: لا أدركت أنا وأنت زماناً يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الأزواج. قال: وبعث قسامة بن زهير العنبري إلى أهله بثلاثين شاة ونحي صغير فيه سمن فسرق الرسول شاة وأخذ من رأى النحي شيئاً من السمن فقال لهم الرسول: ألكم إليه حاجة أخبره بها؟ فقالت له امرأته: أخبره أن الشهر محاق وأن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثوماً^(٣). فاسترجع منه الشاة والسمن. قال سليمان بن علي لرؤبة! ما بقي من باهك^(٤) يا أبا الحجاج؟ قال: يمتد ولا يشتد وأستعين بيدي ثم لا أورد وأطيل الظماً ثم أقصر قال: ذلك الكبر. قال: لا ولكنه طول الرغاث^(٥) قيل

(١) البقر: القرار.

(٢) جاء في نسخة أخرى «منطق» بدون أل التعريف.

(٣) المرثوم: المكسور، يقطر منه الدم.

(٤) الباه: الذكر.

(٥) الرعاث: النكاح.

لأعرابي: أي الدواب آكل؟ قال: برذونة رغوثة^(١) وقيل لغيره لِمَ صارتِ اللَّبؤة انزقَ وعلى اللحم أحرص؟ قال: هي الرغوثة. قال: وقال عبد الله بن عمر: اتقوا من تُبغضه قلوبكم. وقال إسماعيل بن غزوان: لا تُنفقْ درهماً حتى تراه ولا تثقُ بشكر من تُعطيه حتى تمنعه، فالصابر هو الذي يشكرُ والجازعُ هو الذي يكفرُ. عامر بن يحيى بن أبي كثير قال: لا تشهد لمن لا تعرف، ولا تشهد على مَنْ لا تعرف ولا تشهدما لا تعرف. أبو عبد الرحمن الضرير عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: قال النبي ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التوددُ إلى الناس». وقالت عائشة - رضي الله تعالى عنها -: لا سمرَ إلا لثلاثة: مسافر ومصلٍّ وعروس. وقال معاوية يوماً: مَنْ أفصحُ الناس؟ فقال قائل: قوم أرتفعوا عن لخلخانية^(٢) الفرات وتيامنوا عن عنعنة^(٣) تميم وتياسروا عن كسكسة^(٤) بكر، ليست لهم غمغمة^(٥) فُضاعة ولا طُمطمانية^(٦) حمير. قال: من هم؟ قال: قریش. قال: ممن أنت؟ قال من جرم وقال الراجز:

[الرجز]

إِنْ تَمِيمًا أُعْطِيَتْ تَمَامًا وَأُعْطِيَتْ مَآثِرًا عَظَامًا
وَعَدَدًا وَحَسَبًا قَمَقَامًا^(٧) وَبَاذِخًا مِنْ عَزْهَاقُودَامَا
فِي الْدَهْرِ أَعْيَا النَّاسِ أَنْ يَرَامَا إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ الْأَجْسَامَا
وَالدَّلَّ وَالشَّيْمَةَ وَالْكَلامَا وَأَذْرُعًا وَقَصْرًا^(٨) وَهَامَا
عَرَفْتَ أَنْ لَمْ يُخْلَقُوا طَعَامًا^(٩) وَلَمْ يَكُنْ أَبُوهُمْ مِسْقَامَا
لَمْ تَرِ فِيمَنْ يَأْكُلُ الطَّعَامَا أَقْلَ مِنْهُمْ سِقْطًا وَذَامًا^(١٠)

تقول العرب: لو لم يكن في الإبل إلا أنها رغوثة الدم. قال جندل بن صخر، وكان عبداً مملوكاً:

[الطويل]

وَمَا فَكْ رِقِي ذَاتُ دَلٍّ خَبَرَنْجٍ^(١١) وَلَا شَانَ مَالِي صَدْقَةٌ وَعَقُولُ
وَلَكِنْ نَمَانِي كُلُّ أَبِيضٍ خَضِرِمٍ فَأَصْبَحْتُ أَذْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ

وقال الفقيمي، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق:

[الطويل]

وَمَا كُنْتُ نَوَامًا وَلَكِنْ ثَائِرًا أَنَاخَ قَلِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ

(١) رغوثة: مرضعة.

(٢) اللخلخنة: العجمة.

(٣) العنعة في تميم هو إبدال الهمزة عيناً.

(٤) الكسكسة: هي جعل كاف المذكر سيناً.

(٥) الغمغمة: كلام غير واضح.

(٦) الطمطمانية: العجمة.

(٧) القمقام: العدد الكثير.

(٨) القصر: أصل العنق.

(٩) الطغام: أوغاد الناس.

(١٠) الذام: العيب.

(١١) الخبرنج: الخلق الحسن.

وقد كنتُ مخزُونُ اللسانِ ومفحماً فأصبحتُ أذري اليومَ كيفَ أقولُ
 وقال المغيرة بن شعبة: مَنْ دخل في حاجة رجل، فقد ضمنها. وقال عمر - رضي
 الله تعالى عنه -: لكل شيء شرف، وشرف المعروف تعجيله. وقال رجل لإبراهيم
 النخعي: أعد الرجل الميعاد. قال: إلى متى؟ قال: إلى وقت الصلاة. قال: وقال لي
 بعض القرشيين: من خاف الكذب أقل من المواعيد. وقال: أمران لا يسلمان من
 الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار. قال إبراهيم النظام: قلت لخنجر كور ممرور^(١)
 الزياديين أقعد ههنا حتى أرجع إليك. قال: أما حتى ترجع فإني لا أصبر لك، ولكن أقعد
 لك إلى الليل.

(١) الممرور: هو من غلبت عليه المرة فاختلف عقله.

هذه رسالة إبراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام، وهي ما ترى وأولها للأصيد^(١) الجواد، الواري الزناد، الماجد الأجداد، الوزير الفاضل، الأشم^(٢) الباذل اللباب الحلاحل^(٣) من المستكين المستجير البائس الضرير فإني أحمد الله ذا العزة القدير إليك وإلى الصغير والكبير بالرحمة العامة، والبركة التامة أما بعد. فَأَعْنَمُ وَأَسْلَمُ وَأَعْلَمُ إِن كنت تعلم أنه من يَرْحَمُ يُرْحَمُ، ومن يَحْرِمُ يُحْرَمُ، ومن يُحَسِّنُ يَنْعَمُ ومن يَصْنَعُ المعروف لا يعدم، وقد سبق إلى غضبك عليّ، وأطراحك لي وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أتنبّه ولا أرقد، فلست بحَيٍّ صحيح، ولا بميتٍ مستريح، فرزْتُ بعد الله منك إليك، وتحملتُ بك عليك ولذلك قلت:

[الخفيف]

أَسْرَعْتُ بِي حِثًّا إِلَيْكَ خَطَائِي فَأَنَاخْتُ بِمَذْهَبٍ ذِي رَجَاءٍ
رَاغِبٌ رَاهِبٌ إِلَيْكَ يَرْجِي مِنْكَ عَفْوًا عَنْهُ وَفَضْلَ عَطَاءٍ
وَلَعَمْرِي مَا مَنْ أَصَرَ وَمَنْ تَا بَ مَقْرَأًا مِنْ ذَنْبِهِ بِسَوَاءٍ

فإن رأيت أراك الله ما تحبُّ وأبقاك في خير أن لا ترهّد فيما ترى من تضرّعي وتخشّعي وتذلّلي وتضعّفي، فإن ذلك ليس مني بنحيزة^(٤) ولا طبيعة ولا على وجه تصنّع ولا تخدّع، ولكنه تذللّ وتخشّع وتضرّع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحقّ ذلك إلا لمن التضرّع له عزٌّ ورفعةٌ وشرفٌ. محمد بن حرب الهلالي قال: دخل زفر بن الحرث على عبد الملك بعد الصلح فقال: ما بقي من حبّك للضحاك؟ فقال: ما لا ينفعني ولا يضرك. قال: شدّ ما أجبتموه معاشر قيس. قال أجبناه ولم نواسيه، ولو كنّا آسيناه لقد كنّا أدركنا ما فاتنا منه، قال: فما منعك من مواساته يومَ المرج؟ قال: الذي منع أباك من مواساة عثمان يومَ الدار. قال الشاعر:

[الطويل]

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ أَلَائِمِ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكَشْحُ^(٥)

(٢) الأشم: المتكبر، الشامخ الرأس.

(٤) النحيزة: الطبيعة.

(١) الأصيد: هو من يرفع رأسه كبراً.

(٣) الحلاحل: الشجاع.

(٥) الكشخ: مفردة كاشخ، وهو من يضمّر العداوة ويداري.

قالوا: وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجل، فقال: اشترط علي خصلة واحدة ولا تزدد عليها لقلت: لا تكذبني. قال: وكان يقال: أربع خصال يسود بها المرء: العلم والأدب والعفة والأمانة. وقال الشاعر:

[الطويل]

لَمِنْ طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنِّي
فَلَسْتُ إِلَى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً
لَأَطِيبُ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال الآخر:

[الطويل]

أَنْ سَمْتَنِي ذُلًّا فَعَفْتُ حِيَاضَهُ
فَهِيَ أَنَا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جَنَائِهِ
سَخِطْتَ وَمَنْ يَأْبَ الْمَذَلَّةَ يُعْذِرُ
جَنِيْتُ وَلَكِنْ مِنْ تَجَنُّيكَ فَأَغْفِرُ

وقال إياس بن قتادة:

[الطويل]

وَأَنْ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطْعَمْتَهُ
دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرَهَا

وقال الآخر:

[الوافر]

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ
وَقَالَ الْهَذَلِي:

[الوافر]

وَأَنَّ سَيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعِلَمُ
لَهَا صَعْدَاءُ^(١) مَطْلُبُهَا طَوِيلُ

وقال حارثة بن بدر:

[الطويل]

إِذَا أَلْهَمَ أَمْسَى وَهُوَ دَاءٌ فَاْمُضِهِ
وَلَا تُنْزِلُنْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي
وَقُلْ لِلْفَوَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ
وَقَالَ الْآخَرُ:

[الطويل]

إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ
وَأَنَّ بَقُومٍ سَوَّدُوكَ لِفَاقَةً

وقال آخر:

[الطويل]

وَمَا سُدَّتْ فِيهِمْ أَنْ فَضْلَكَ عَمَّهُمْ
وَقَالَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ:

[الكامل]

خَلَّتْ أَلْدِيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ
وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّوِّدِ

(١) الصَّعْدَاءُ: المشقة.

(٢) أفرخ روعه: أسكنه وهذا.

الفضل بن تميم قال: قال المغيرة: مَنْ لَمْ يَغْضَبْ لَمْ يُعْرِفْ حِلْمُهُ . وقال الشاعر:

[الكامل]

ما بَالُ ضَبْعِ ظِلٍّ يَطْلُبُ دَائِباً^(١) فَرِيستَه بَيْنَ الْأَسْوَدِ الضَّرَاغِمِ
وقال الآخر:

[الطويل]

ذَكَرْتُ بِهَا عَهْداً عَلَى الْهَجْرِ وَالْقَلَى وَلَا بَدَّ لِلْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
وقال الآخر:

[الطويل]

إِذَا مَا شَفِيتُ النَّفْسَ أَبْلَغْتُ عُذْرَهَا وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرٍ إِذَا بَلَغَ الْعُذْرُ
وقال الآخر:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا لَشَكْوَى بِأَمْرِ حَزَامَةٍ وَلَا بَدَّ مَنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ
وقال الآخر:

[الرجز]

لَوْلَا ثَلَاثُ هَنٍّ عَيْشُ الدَّهْرِ الْمَاءُ وَالنَّوْمُ وَأُمٌّ عَمْرٍو
لَمَا خَشِيتُ مِنْ مَضِيْقِ الْقَبْرِ

وقال لقيط بن زُرارة:

[الرجز]

شَتَّانَ هَذَا وَالْعَنَاقُ وَالنَّوْمُ وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
وقال والبة:

[مجزوء الكامل]

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الْمَدَا مَوْفِي اللَّثَامِ^(٢) وَفِي الْقَبْلِ
وإِرَادَةِ الظَّيْبِي الْغَرِيْرِ رِ تَسْوَمُهُ مَا لَا يَحْلُ

وقال شيخ من أهل المدينة: ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وفيهم مَنْ يحدث عن الحسن ويُشد للفرزدق. وقال مجيب: لا ترى امرأة مصبرة العين ولا امرأة عليها طاق^(٣) يُمَنَّة^(٤) ولا شريفاً يهنأ^(٥) بغيراً. وقال أبو براح: ذهب الفتيان فما ترى فتى مفرق الشعر بالدهن معلقاً نعله ولا ديكين في حظار^(٦) ولا صديقاً له صديق إن قمر^(٧) طغا وإن

(١) دَائِباً: جاداً وراء طريدته.

(٢) اللَّثَامُ: ضَرْبٌ مِنَ الْأَزْيَاءِ.

(٣) هُنَا الْبَعِيرُ: طَلَاهُ بِالْقَطْرَانِ مَخَافَةَ الْجَرَبِ.

(٤) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «الْخَطَارُ» بِالْخَاءِ وَالطَّاءِ وَهُوَ الرِّهَانُ بَدَلًا مِنْ «حِظَارٍ» بِالظَّاءِ وَهُوَ حَاجِزٌ يَعْمَلُ مِنَ الشَّجَرِ يَبْقَى الْإِبِلُ مِنَ الْبَرْدِ.

(٥) قَمَرٌ: مِنَ الْمَقَامَرَةِ وَالْمَيْسَرِ.

(٦) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «اللزَّامُ» بَدَلًا مِنْ «اللَّثَامِ».

(٧) يُمَنَّةٌ: مِنَ صَنْعِ بِلَادِ الْيَمَنِ.

عوقب جزع، وإن خلا بصديق فتى خنثه وإن ضُرب أقرّ وإن طال حبسه ضجر ولا ترى فتى يحسن أن يمشي في قيده ولا يخاطب أميره، قال أبو الحسن: قال أبو عباية: ترى زقاق براقش وبساتين هزار مرد^(١)، ما كان يسلكه غلام إلا بخفير وهم اليوم يخترقونه، قلت: هذا من صلاح الفتیان، قال: لا. ولكن من فسادهم، اليقطرى قال: قيل لطفيل العرائس: كم اثنان في اثنين؟ قال: أربعة أرغفة، وقال رجل لرجل: انتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جردقين^(٢)، عبد الله بن مصعب قال: أرسل علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - عبد الله بن عباس لَمَّا قدم البصرة فقال: اتت الزبير ولا تأت طلحة، فإن الزبير ألين وإنك تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنه^(٣) يركب الصعوبة ويقول هي أسهل. فأقرأ عليه السلام. وقل له: يقول لك ابن خالك عرفنتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق. فما عدا مما بدا لك؟ قال: فأتيت الزبير، فقال: مرحباً يا ابن لبابة أذاً جئت أم سفيراً؟ قلت: كل ذلك، وأبلغته ما قال علي فقال الزبير: أبلغه السلام. وقل بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراذ واحد وأم مرورة ومشاورة العشرة ونشر المصاحف فنحل ما أحلت ونُحرّم ما حرمت، فلما كان من الغد حرش بين الناس غوغاؤهم، فقال الزبير: ما كنت أرى أن مثل ما جئنا له يكون فيه قتال، قال: ومن جيد الشعر قول جرير:

[الطويل]

لَئِنْ عُمِّرْتُ تَيْمٌ زَمَاناً بَعِزَّةً لَقَدْ حُدِثْتُ^(٤) تَيْمٌ حَدَاءً عَصْبَباً^(٥)
فَلَا يَضْغَمَنَّ^(٦) أَلَيْثُ تَيْمًا بِغِرَّةٍ وَتَيْمٌ يَشْمُونُ الْفَرِيسَ^(٧) الْمَنِيبَا^(٨)

وقال الأعرابي: كحلتني بالميل الذي تكحل به العيون الداءة^(٩). وقال ابن أحرر:

[الوافر]

وَهَجَلْ^(١٠) مِنْ قَسَا^(١١) دَفَرِ^(١٢) الْخَزَامِي تَهَادَى الْجَرْبِيَاءُ^(١٣) بِهِ الْحَنِينَا^(١٤)
بَهَا تَتَزَخَّرُ^(١٥) الْقَلْعُ^(١٦) السَّوَارِي وَجَنَّ الْخَازِبَا^(١٧) بِهِ جَنُونَا

(٢) الجردقة: الرغيف بالفارسية.

(١) هزارمرد: هي بالفارسية، ومعناها ألف رجل.

(٤) حُديت: زجرت وسيقت.

(٣) عقص قرنه: عطفه.

(٦) يَضْغَمَنَّ: يعض.

(٥) العصبب: الشديد.

(٨) المنيبا: هو ما أثر فيه الناب.

(٧) الفريس: القتل.

(٩) الداءة: المريضة بداء.

(١٠) جاء في نسخة أخرى «بهجل» بالباء ومعناها السهل من الأرض بدلاً من «وهجل» بالواو.

(١٢) الدفر: طيب الرائحة.

(١١) قسا: اسم موضع.

(١٣) الجربياء: الريح الباردة التي تهب من الشمال.

(١٥) تنذخر: يكثر ماؤها.

(١٤) الحنين: صوت الريح.

(١٧) الخازباز: الذباب.

(١٦) القلع: القطع من السحاب.

تَكَادُ الشَّمْسُ تَخْشَعُ حِينَ يَبْدُو لَهُنَّ وَمَا نَزَلْنَ وَمَا عَسَيْنَا
وقال الحكم الخُضري:

[الكامل]

كَوْمٌ تَظَاهَرْنَ بِهَا وَتَرَبَّعَتْ بَقْلًا بَعِيهِمْ^(١) وَالْحَمَىٰ مَجْنُونَا
والمجنون: المصروع ومجنون بني عامر، ومجنون بني جعدة، وإذا فخر النبات
قيل: قد جُنَّ. قال الشنفرى:

[الطويل]

وَجَلَّتْ^(٢) وَدَقَّتْ وَأَسْبَكَرَتْ وَأَنْضَرَتْ فَلَوْ جَنَّ إِنْسَانٌ مِّنَ الْحُسْنِ جَنَّتِ
قال: وسمع الحجاج: امرأة من خلف حائط تُناغي طفلاً. فقال: مجنونة أو أم
صبي. وقال أبو ثمامة بن عازب:

[الطويل]

وَكُلَّهُمْ قَدْ ذَاقْنَا فَكَأَنَّمَا يَرَوْنَ عَلَيْنَا جِلْدَ أَجْرَبِ هَائِلِ^(٣)
وقال الثعلبي:

[الطويل]

يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِحِ^(٤) وَفِرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِّنَ الْأُسْدِ ضِيْغِمٍ
وأنشد الأصمعي:

[الرجز]

منهزت الشدقين^(٥) عَوْدٌ قَدْ كَمَلَ كَأَنَّمَا قُمِصَ^(٦) مِنْ لَيْطِ^(٧) جَعَلَ^(٨)
وقال نُصَيْبُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّ لِي بُنْيَةً ذَرَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ سَوَادِي، وقال عبد
الملك للوليد: لَا تَعْزَلْ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ مِصْرَ، وَأَنْظُرْ عَمَّاكَ مُحَمَّدُ بْنُ مِرْوَانَ فَأَقْرَهُ عَلَى
الجزيرة، وأما الحجاج فأنت أحوج إليه منه إليك وَأَنْظُرْ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا
فَضْرِبْ عَلَيْهِ بِالسَّيَاطِ وَعْزَلْ أَخَاهُ وَعَمَّهُ، وقال أبو نخيلة:

[الرجز]

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجْمَ فَأَنَا فِيمَا شِئْتُ مِنْ خَالٍ وَعَمٍّ
وأنشد:

[الطويل]

هَمْ وَسَطٌ يَرْضَى إِلَاهَهُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

(١) عبيه: اسم موضع.

(٢) جاء في نسخة أخرى «فدقت وجلت» بدلاً من «وجلّت ودقت».

(٣) جاء في نسخة أخرى «هامل» بدلاً من «هائل».

(٤) السالخ من الحيات أخبثها وأخطرها.

(٥) منهزت الشدقين: واسعهما.

(٦) قمص: ألبس قميصاً.

(٧) الليط: قشر القصب.

(٨) الجعل: ضرب من الحشرات.

يجعلون ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١) وأنشد:

ولولا خُلَّةٌ سبقت إليه وأخو كان من عرق المدام
دَلَفْتُ له بأبيض مشرفي كما يدنو المصافح للسلام

وقال يزيد بن ضبة:

لا تُبدينَ مقالةً مأثورةً لا تستطيع إذا مضت إدراكها

وقال ابن ميادة:

يا أيها الناس رُدُّوا القولَ وأستمعوا وكلُّ قولٍ إذا ما قيل يُستمعُ

وقال الآخر:

ما المدلجُ الغادي إليه بسحرةٍ إلا كآخر^(٢) قاعدٍ لم يبرحِ

وقال العلاء بن المنهال الغنوي في شريك بن عبد الله:

فليت أبا شريكٍ كانَ حيًّا فيُقصِرَ عن مقالته شريكُ
ويترك من تدريبه^(٣) علينا إذا قلنا له هذا أبوك

وقال طارق بن دثار الطائي:

ما إن يزال ببغداد يزاجمنا على البراذين أشباه البراذين
ما شئت من بغلة سفواء^(٤) ناجيةٍ ومن إناثٍ وقولٍ غير مؤزونٍ
أعطاهم الله أموالاً ومنزلة من الملوكة بلا عقلٍ ولا دينٍ

وقال منقذ بن دثار الهاللي:

لا تذكرن صنيعةً سلفت منك وإن كنت لست تنكرها
عند أمرىء تقول إن ذكرت يوماً من الدهر لست أذكرها
فإن إحياءها إماتتها وإن متاً بها يكدرها

قال بعض الحكماء: صاحبك من ينسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه. وقال منقر بن فروة المنقري:

وإن خفت من أمرٍ فواتاً قولهِ سِوَاكَ وعن دارِ الأذى فتحوّل

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) جاء في نسخة أخرى «تدرئه» بالهمزة بدلاً من «تدريه» والتدرية البدء بالشر والهجوم على الخصوم.

(٤) سفواء: خفيفة شعر الناصية من الخيل.

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فففي صالح الأعمال نفسك فأجعل
ونظر أبو الحارث جمين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال :
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

لو هملج هذا البرذون لم يجعل للرواية، وأنشد :

[الرجز]

لا خير في كل فتى نؤوم لا يعتريه طارق ألهموم
وأنشد :

[الكامل]

اجعل أبا حسن كمن لا تعرف وأهجره مقترباً^(١) وإن لم يخلف
آخ الكرام المنصفين وصلهم واقطع مودة كل من لم ينصف
وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :

[البيط]

ما زال عصياننا لله يسلمنا حتى دُفَعْنَا إلى يحيى ودينار
إلى عليجين^(٢) لم يقطع ثمارها قد طالما سجد للشمس والنار
وشاتم أعرابي أعرابياً فقال : إنكم لتعتصرون العطاء وتعيرون النساء وتبيعون الماء،
وقال أبو الأسود الدؤلي :

[الطويل]

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فإن ذكروك الأسد فإلسد أكيس
ومن خير ما ألصقت بالدار حائط تزل به صقع^(٣) الخطا طيف أملس
وأنشد :

[الطويل]

إذا لم يكن للمرء بُد من الردى فأكرم أسباب الردى سبب الحب
وقال الآخر :

[الكامل]

وإذا شئت فتى شئت حديثه وإذا سمعت غناء لم أطرب
وأنشد المسروحي لكامل بن عكرمة :

[الطويل]

لها كل عام موعِد غير منجز ووقت إذا ما رأس حول تجرماً^(٤)

(١) جاء في نسخة أخرى «معتزماً» بدلاً من «مقترباً».

(٢) عليجين : تصغير عالج، وهو من كبار كفار العجم عبدة النار.

(٣) صقع : مفردة أصقع، وهو ما في رأسه من حيوان أو طير.

(٤) تجرّم : تصرّم وانقضى.

فإن وعدت شراً أتى قبل وقته وإن وعدت خيراً أراث^(١) وعتمًا^(٢)
وقال الآخر:

[الوافر]

ألم تر أن سير الخير ريث وقال محمد بن سير:
وأن الشر راكبهُ يطيرُ

[الكامل]

تأتي المكاره حين تأتي جملة وترى السرور يجيء في الفلتات
وقال الآخر:

[الطويل]

إذا ما بريد الشام أقبل نحونا وإن كان شراً يوماً وليلة
وبعض الدواهي المفطعات فأسرعاً
وقال آخر:

[الكامل]

فإذا نهضت فما ألتهوض بدائم وإذا نكبت توالى النكبات
وقال آخر:

[الطويل]

وتعجبنا الرؤيا فجلى حديثنا وإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت
إذا نحن أصبَحنا الحديث عن الرؤيا وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

قيل لأعرابي: ما أعددت للشتاء؟ قال: جلة^(٤) ريوضاً^(٥) وصيصه^(٦) سلوكاً وشملة
مكوداً^(٧) وقرمصاً^(٨) دفيئاً وناقاة^(٩) مجالحة^(٩)، وقيل لآخر: ما أعددت للشتاء؟ قال: شدة
الرعدة، وقيل لآخر: كيف ليحكم؟ قال: سحر كله، وقيل لآخر: كيف البرد عندكم؟
قال: ذلك إلى الريح، وقال معن بن أوس المزني:

[الوافر]

فلا وأبي حبيب ما نفاه وكان هو الغني إلى غناه
تكنفه ألوشاة فأزعجوه ودعس من قضاة غير وإن
وأن من قد هجاه فقد هجاني

(٢) عتم: أبطأ.

(٤) الجلة: السمان من الإبل.

(١) أراث: تأخر وأبطأ.

(٣) جاء في نسخة أخرى «فإن» بدلاً من «وإن».

(٥) الريوض: الذلول المروضة.

(٦) الصيصه: صنارة الحائك يجمع بها السداة واللحمة عندما يخطيها.

(٧) المكود: الدائم.

(٨) قرمص: حفرة يستدفئ فيها الصرد.

(٩) المجالحة: الناقة تدر في فصل الشتاء.

مَرَارَةً مِبْرَدِي وَلَكَانَ شَانِي
يَمْرُ بِهِ الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي
فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

[الطويل]

بِهِ الْعَائِلُ ^(١) الْجَثَامُ ^(٢) فِي الْخَفْضِ ^(٣) قَانِعُ
عَلَيَّ وَعِنْدِي لِلرَّجَالِ صَنَائِعُ

وَأَنَّ أَبِي أَبَوَهُ لَذَاقَ مِنِّي
إِذَا لَأَصَابَهُ مِنِّي هِجَاءُ
أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ
وَقَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ:

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى لَا أَبَالَكَ بِالَّذِي
إِذَا قَصَرْتُ عِنْدِي الْهَمُومُ وَأَصْبَحْتُ

(١) العائل: الفقير المحتاج.

(٢) الجثام: المستقر في مكانه لا يغادره.

(٣) الخفض: العيش الهنيء.

ذكر ما قالوا في المهالبة

[الكامل]

إِنَّ الْمَهَالَبةَ الْكِرَامَ تَحَمَّلُوا دَفَعَ الْمَكَارِهِ عَنْ ذَوِي الْمَكْرُوهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وُجُوهِ
وقال أبو الجهم العدوي في معاوية بن أبي سفيان :

[الوافر]

نَقْلِبُهُ لِنُخْبِرَ حَالَتِيهِ فَتُخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَبِيْنَا
وقال الآخر في هذا الشكل :

[الكامل]

إِنْ أَجَزَ عُلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ سَعِيَهُ لَا أَجْزُهُ بِبَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ
لَأَحْبَنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَنِي ^(١) رَمَّ الْهَدْيِ ^(٢) إِلَى الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ
وَلَقَدْ شَفِيتُ غَلِيلَتِي فَنَقَعْتُهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ
وقال بكير بن الأخنس :

[الطويل]

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمَهْلَبِ شَاتِيًا فَقِيرًا بَعِيدَ الدَّارِ فِي سَنَةِ مُحَلٍ
فَمَا زَالَ بِي الْطَّافُهُمْ وَأَفْتَقَادُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي
وقال في كلمة له أخرى :

[الطويل]

وَقَدْ كُنْتُ شَيْخًا ذَا تَجَارِبَ جَمَّةٍ فَأُضْبَحْتُ فِيهِمْ كَالصَّبِيِّ الْمُدَلَّلِ
ورأى المهلب وهو غلام فقال :

[الطويل]

خُذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدَّ سَرَائِثُهُمْ وَيَبْرَعُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
وقال الحزين في طلحة بن عبد الله من ولد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

[المقارب]

فَإِنْ تَكُ يَا طَلْحَ أَعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةً ^(٣) تَسْتَحِقُّ السَّفَارَا ^(٤)
فَمَا كَانَ نَفْعَكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مِرَارًا

(١) رمني : أصلح حالي .
(٢) الهدى : العروس تهدي إلى بعلاها .
(٣) الجمالية : الناقة تشبه الجمال لضخامتها .
(٤) السفار : هو الحبل يشد طرفه على خظام البعير .

وقال أبو الطمحان :

[الوافر]

لَقَيْتُهُمْ وَأَتْرَكُ كُلَّ رَذْلٍ
عِظَامٍ جَلَّةٍ سَدَسٍ ^(٢) وَبَزْلٍ ^(٣)
كَأَنِّي مِنْكُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي
لَهَا مَا شِئْتُ مِنْ فَرْعٍ وَأَصْلٍ

سَأْمَدَحُ مَالِكاً فِي كُلِّ رَكْبٍ
فَمَا أَنَا وَالْبِكَارَةُ ^(١) مِنْ مَخَاضٍ
وَقَدْ عَرَفْتُ كِلَابَهُمْ ثِيَابِي
نَمْتَكُم مِّنْ بَنِي شَمَخِ زَنَادٍ
وقال أبو الشغب :

[الطويل]

أَسِيرُ ثَقِيفٍ مُّوثِقاً فِي السَّلَاسِلِ
وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَأَةَ الْمُتَشَاوِلِ
وَمُعْطِي اللِّهَاءِ ^(٤) غَمراً ^(٥) كَثِيرَ النِّوَافِلِ
وَلَا تَسْجَنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ
لِعَمْرِي لئنْ أَعْمَرْتُمُ السَّجْنَ خَالِداً
لَقَدْ كَانَ نَهَاضاً بِكُلِّ مَلَمَّةٍ
فَإِنْ تَسْجَنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجَنُوا أَسْمَهُ

ومن هذا الباب قول أعشى همدان في

[الطويل]

عَلَيْكَ وَقَالُوا مَا جَدُّ وَأَبْنُ مَا جَدٍ
بَنِيْتُمْ بِنَاءً ذِكْرُهُ غَيْرُ بَائِدٍ
بَأْتِي سَاطِرِي خَالِداً فِي الْقَصَائِدِ
فَمَا مَاتَ مِنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدٍ

رَأَيْتُ ثَنَاءَ النَّاسِ بِالْغَيْبِ طَيِّبَا
بَنِي الْحَارِثِ السَّامِينَ لِلْمَجْدِ إِنَّا كُمْ
هَنِيئاً لِّمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ وَاعْلَمُوا
فَإِنْ يَكُ عَتَابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ

ومن هذا الشكل قول الحسين بن مطير الأسدي :

[الطويل]

سَقَتْكَ الْغَوَادِي مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعَا
مَنْ الْأَرْضِ خَطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَوْضِعَا
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصْدَعَا
وَأَصْبَحَ عَرْنِينُ ^(٦) الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا ^(٧)

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ
أَيَا قَبْرٍ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حَفْرَةٍ
وَيَا قَبْرٍ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتُ
فَلَمَّا مَضَى مَعْنُ مَضَى الْجُودُ وَالنَّدَا

(١) البكار: جمع بكرة، وهي الفتية من الإبل.

(٢) السدس: الناقة التي أدركت السنة السادسة من عمرها.

(٣) البزل: هو طلوع ناب البعير في التاسعة من عمره.

(٤) اللهى: العطية.

(٥) الغمر: الواسع العطاء.

(٦) العرنين: ما ارتفع من أرنبة الأنف.

(٧) الأجدة: المقطوع.

فَتَيَّ عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
تَعَزَّ أبا العباس عَنْهُ وَلَا يَكُنْ
فَمَا مَاتَ مِنْ كُنْتُ أَبْنَهُ لَا وَلَا الَّذِي
تَمَنَّى أَنَاسُ شَأْوَهُ ^(١) مِنْ ضَالِّلِهِمْ
كَمَا كَانَ بَعْدَ أَلْسِيلٍ مَجْرَاهُ مَرَّتَعَا
جَزَاؤُكَ مِنْ مَعْنٍ بِأَنْ تَتَضَعَّضَعَا
لَهُ مِثْلُ مَا أَسَدَى أَبُوكَ وَمَا سَعَى
فَأَضَحُّوا عَلَى الْأَذْقَانِ صَرْعَى وَظَلَّعَا ^(٢)

وهذا مثل قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد:

[الكامل]

قَبْرٌ بِبِرْدَعَةٍ أَسْتَسَرَّ ضَرِيحُهُ
أَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَعْدٍ بَعْدَهُ
نَقَضْتُ بِهِ الْأَمَالَ أَحْلَاسَ ^(٣) الْغَنَى
فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ
خَطَرًا تَقَاصِرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ
حُزْنًا كَعُمُرِ الدَّهْرِ لَيْسَ يُعَارُ
وَاسْتَرْجَعْتَ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ
أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

(١) الشأو: المدى والغاية.

(٢) الظلع: من بهم عرج.

(٣) الأحلاس: الأكسية توضع على البعير تحت الرحل.

ذكر حروف من الأدب من حديث بني مروان وغيرهم

قيل: إذا رسخ الرجل في العلم رُفِعت عنه الرؤيا الصالحة، مسلمة قال: كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلنا يلحنان فقال الحاجب: قوما فقد أذيتما أمير المؤمنين، قال عمر: أنت أذى لي منهما، المدائني قال: قعد قدام زياد رجل ضباعي من قرية باليمن يقال لها ضبايع وزياد يبني داره فقال له: أيها الأمير لو كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها وباب مغربها من قبل مشرقها. فقال: أني لك هذه الفصاحة؟ قال: إنها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من ذكاوة العقل. فقال: ويلك الثاني شر، شعبة عن الحكم قال: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى لا أماري أخي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه، ابن أبي الزناد قال: (إذا اجتمعت حرمتان تركت الصغرى للكبرى) وعن أبي بكر الهذلي واسمه سلمى قال: (إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل إذا كان حلالاً وكثرت عليه الأيدي وسمي الله على أوله وحمد على آخره) وقال ابن قميئة:

[الطويل]

وأهونُ كفٍّ لا تضيرُكُ ضيرةٌ يدُ بينَ أيدي إناءِ طعامٍ
يدُ من قريبٍ أو غريبٍ بقفرةٍ أتثكُ بها غبراءُ ذاتُ قتامٍ^(١)

وقال حماد عجرد:

[المقارب]

حُبَيْشُ أبو الصَّلْتِ ذو خِبرةٍ بِمَا يُضْلِحُ المِغْدَةَ الفاسِدةُ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أصحابِهِ فعَوَّدَهُمْ أَكْلَهُ واحِدةُ

وقال سويد المراثد:

[الكامل]

إنِّي إذا ما لأمرُ بيِّنَ شَكَّهُ وبَدَتْ بصائرهُ لمن يتأملُ
وتبراً الضعفاءُ من إخوانهم وألحَّ من حرِّ الصميمِ الكلُكلُ
أدعُ التي هي أرفقُ الخلاتِ بي عندَ الحفيظةِ للتي هي أجملُ

(١) القتات: الغبار.

ومما يكتب في باب العصا

[الكامل]

قالت أُمَامَةُ يَوْمَ بَرْقَةٍ واسطٍ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ زَمَانِكَ ^(١) الْمَاضِي الَّذِي
شَيْخاً دَعَامْتُكَ الْعَصَا وَمَشِيعاً
يا أَبْنَ الْغَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغْيِرُ
ذَهَبْتُ شَبِيبَتَهُ ^(٢) وَغُصْنُكَ أَخْضَرُ
لا تَبْتَغِي خَبِيراً وَلَا تَسْتَخْبِرُ
ويضم البيت الأخير إلى قوله:

[الطويل]

وَهَلْكَ الْفَتَى أَنْ لَا يَرَا حَإِلَ إِلَى الْبُحْبُوحِ
وَمَنْ يَبْتَغِي مَنِي الظُّلَامَةِ ^(٣) يَلْقَنِي
وقال بعض الحكماء: أعجب من العجب ترك العجب من العجب. وقيل لشيخ
هرم: أي تشتهي، قال: أسمع بالأعاجيب وأنشد:

[المتقارب]

عَرِيضُ الْبَطَانِ ^(٤) جَدِيدُ الْخَوَانِ
فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكِرْيَاسِهِ ^(٥)
ومما يضم إلى العصا قوله:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ جَلِيتَ ^(٦) عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَا
لِيَالِي أَغْدُو بَيْنَ بُرْدَيْنِ لَا هِيَا
سَلَامٌ عَلَى سِيرِ الْقِلَاصِ ^(٧) مَعَ الرِّكَبِ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَاداً لِمَشْرِبِهِ الْعَذْبِ
أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
وَوَصِلَ الْغَوَانِي وَالْمَدَامَةِ وَالشَّرْبِ

(١) جاء في نسخة أخرى «شبابك» بدلاً من «زمانك».

(٢) جاء في نسخة أخرى «بشاشته» بدلاً من «شبيبته».

(٣) جاء في نسخة أخرى «يتبع مني الظلوع» والظلوع هو غمز في المشي يشبه العرج بدلاً من «يتبعني مني الظلام».

(٤) البطان: الحزام.

(٥) المرتع: حيث ترتع الماشية.

(٦) الكرياس: المزراب، وهو من الكرسي أي ما تلبس من البول والبر.

(٧) جاء في نسخة أخرى «حلئت» ومعناه منعت الورد بدلاً من «جلبت» بالجمع.

(٨) القلاص: مفردة قلوص، وهي الناقة الفتية.

سَلَامَ أَمْرِي لَمْ تَبَقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
وقال حاجب بن ذبيان لأخيه زرارة:

عَجِلْتُ مَجِيءَ الْمَوْتِ حِينَ هَجَرْتَنِي
وقال الآخر:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ^(١) اللَّهُ أَنَّنِي
وَإِنِّي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُقْتَرٌ^(٢)
وَإِنْ^(٣) لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطَّوَالِ فَضَلْتَهُمْ
وَلَا خَيْرَ فِي حَسَنِ الْجَسُومِ وَطَوِيلِهَا
وَكَائِنَ رَأَيْنَا مِنْ فَرْوَعٍ طَوِيلَةٍ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ
وقال زيادة بن زيد:

إِذَا مَا أَنْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ^(٥) عِنْدَهُ
وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ فِعْلُهُ
وقال آخر:

أَبْرُ فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا حِمَاقَةً
وقال ابن الرقاق:

وَقَصِيدَةٍ قَدِ بَتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا
نَظَرَ الْمُثَقِّفِ فِي كَعُوبِ قَنَاتِهِ
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا

سَوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ

[الطويل]

وَفِي الْقَبْرِ هَجْرًا زُرَّارَ طَوِيلُ

[الطويل]

كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلُ
جَوَادٌ وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
لَهُ بِالْخِصَالِ الْأَصَالِحَاتِ وَصُولُ
بِعَارِفَةٍ^(٤) حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
إِذَا لَمْ يَزِنْ حَسَنَ الْجَسُومِ عُقُولُ
تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُخَيِّهِنَّ أَصُولُ
فَحَلُّوْ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

[الطويل]

أَطَالَ فَأَمْلَى^(٦) أَمْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَا
كَفَى الْفَعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مَخْبَرًا

[الطويل]

وَنُوكًا وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرًا مَخَارِجُهُ

[الكامل]

حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسَنَادَهَا^(٧)
حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ^(٨) مَنَادَهَا^(٩)
عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أُرْدَادَهَا

(١) جاء في نسخة أخرى «عمرتك» بدلاً من «عمرتك».

(٢) جاء في نسخة أخرى «مملق» بدلاً من «مقتر».

(٣) جاء في نسخة أخرى «وإلا» بدلاً من «وإني لا».

(٤) العارفة: الإحسان.

(٦) الإملاء: الإمهال والتطويل.

(٨) الثفاف: إصلاح الرماح.

(٥) تناهيت: توقفت، كفت.

(٧) السناد: اختلاف الرديين في الشعر.

(٩) المناد: المعوج.

وقال بعض الأعراب :

[البسيط]

لولا مسرّة أقوام تصعّدني^(١) ما سرّني أن إبلي في مَباركها
وأو الشّماتة من قوم دوي إحن^(٢) وأنّ أمراً قضاه الله لم يكن

وقال الآخر :

[الطويل]

وإني لأهوى ثم لا أتبع الهوى وفي النفس عن بعض التعرّض غلظة
وأكرم خلّائي وفي صُدود وفي العين عن بعض البكاء جمود

وقال كثير :

[الطويل]

ترى القوم يخفون التّبسّم عنده فلا هاجرات القول يؤثرون عنده
ويُنذرهم عور^(٣) الكلام نذيرها ولا كلمات النصح مقصّي مشيرها

وقال المقشعر :

[الطويل]

يقرّ بعيني أن أرى قصد القنا وصرعى رجال في وعى أنا حاضره
وقال الكميّ :

[المنسرح]

أحسن منها ذباد خامسة^(٤) في ألورد أو فيلق^(٥) يجالدها^(٦)
وقال صالح بن مخراق في كلام له : (لولا أن الله تبارك وتعالى قال : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾^(٧) لأبأتكم أني لا أكرهه وقال الآخر :

[المتقارب]

تركت الرّكاب لأربابها وأكرهت نفسي على ابن الصّعق
جعلت يدي وشاحاً له وبعض الفوارس لا يعتنق

قال : وقال عمر بن عبد العزيز يوماً في مجلسه : من أم النعمان بن المنذر؟ فقال روح بن الوليد بن عبد الملك : سلمى بنت عقاب ، قال : إنه ليقال ذلك يا حاجب أحسن أذنه ، قالوا : عشر خصال في عشرة أصناف من الناس أقبح منها في غيرهم : الضيق في الملوك ، والغدر في الأشراف ، والكذب في القضاة ، والخديعة في العلماء ، والغضب في الأبرار : والجِرْص في الأغنياء ، والسفه في الشيوخ ، والمرض في الأطباء ، والزهو^(٨) في

(١) تصعدني : تشقّ عليّ .

(٣) العور : مفردة عوراء ، وهو قبيح الكلام .

(٤) الخامسة من الإبل هي التي ترعى أياماً ثلاثة ثم ترد الماء في اليوم الرابع .

(٥) الفيلق : الجيش .

(٦) يجالّد : يناضل ويقاتل .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢١٦ .

(٨) الزهو : الكبر والأعجاب بالنفس .

(٢) الإحن : الضغائن .

الفقراء، والفخر في القراء. وأنشد:

[الطويل]

ولا تُقبلوا عِثْلًا^(١) وأُمُّوا بَعَارَةً
وهزُّوا صُدُورَ الْمُشْرِفِي كَأَنَّمَا
بني عبد شمس بين دُومة والهَضْبِ
يقَعْنَ بهامِ الْقَوْمِ في حَنْظَلٍ رَطْبِ

ويضم إلى بيت الكمي بيت المقشعر قول الحكمي:

[المنسرح]

أَحْسَنُ عِنْدِي مَنَ أَنْكَبَابِكَ بِأَلْ
وُقُوفُ رِيحَانَةٍ عَلَى أُذُنِ
فَهْرٍ^(٢) مَلْحَابِهِ عَلَى وَتِدِ
وَسِيرُ كَأْسٍ إِلَى فَمِ بِيَدِ

وفي باب غير هذا يقول حسان بن ثابت:

[الخفيف]

مَا أَبَالِي أَنْبَ^(٣) بِالْحَزَنِ تَيْسَ^(٤)
أَمَ لِحَانِي^(٥) بظَهْرِ غَيْبٍ لَيْمٍ
وَأَنشَدُوا:

[الكامل]

خَبَّرْتُ أَنَّ طُويلِبًا يَغْتَابُنَا
مَا ضَرَّ سَادَةَ نَهْشَلٍ أَهْجَاهُمْ
بَعْضِيهِةً^(٦) يَتَنَحَّلُ الْأَقْوَالَا
أَمَ قَامَ فِي عَرْضِ الْجَوِي^(٧) فَبَالَا
وقال الفرزدق في هذا المعنى:

[الكامل]

مَا ضَرَّ تَغْلَبَ وَإِلَّ أَهْجَوْتَهَا
وقال الآخر في هذا المعنى:

[الرملي]

مَا يَضِيرُ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا^(٩)
أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ

(١) العقل: الدية.

(٢) الفهر: يسحق هذا الحجر لاستعماله في صناعة الأدوية.

(٣) أنب: صاح عند الهياج في المعركة.

(٤) التيس: الذكر من الماعز والظباء.

(٥) لحاني: شتمني.

(٦) العضيبة: الكذب والبهتان.

(٧) جاء في نسخة أخرى «الخوي» بالخاء بدلًا من «الجوي» ومعناها كفتا الحوض الصغير.

(٨) تناطح البهران: التقيا واضطربا.

(٩) الزاخر: المليء بالماء الطامي.

ومما يزداد في باب ذكر العصا

[الوافر]

ولا يستأمرُونَ وهم شهودُ
فما تذرِي بأيِّ عصاً تَدُودُ

[الطويل]

وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه
شديدُ السباب رافعُ الصوتِ غالبه
بلاك ومثلُ الشرِّ يُكره جانبُه
ولا مثلُ بغضِ الناسِ غمضُ صاحبه

[الطويل]

بهير^(٣) اللوى أنكرتُ ما قُلْتُما ليا
نصيبك من ذلٍّ إذا كنتَ نائيا

[الطويل]

فكل ما علقتُ من خبيثٍ وطيبٍ

[مجزوء الرمل]

يشتهي أن أشتهيه
يم وأحياناً بتيه^(٥)

[المتقارب]

ولم يبقَ جرُّ ولا معقلُ

قول جرير بن الخطفي:

ويُقضى الأمرُ حينَ تغيبُ تيمٌ
وقد سَلَبْتُ عصاكُ بنو تميم

وقال الحسن بن عرفة بن نضلة:

ليهنك بُغْضٌ في الصديقِ وضئ^(١)
وأنت مهداء الخنانطف النشا^(٢)
وأنت مشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ
ولم أرَ مثلَ الجهلِ أذنى إلى الردى

وقال قتادة بن خزيمة التغلبي:

خليلي يوم السلسلين لو أنني
ولكنني لم أنسَ ما قال صاحبي

وقال خالد بن نضلة:

إذا كنتُ في قومٍ عدى لستَ منهمُ

وقال أحمد بن يوسف، وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد:

إنَّ يحيى بَنَ سعيدٍ
فهو يلقاني بتور^(٤)

وقال أبو سعيد دعي^(٦) بني مخزوم في مهاجاة دعلج:

ولولا نزارُ لضاقَ الفضا

(١) جاء في نسخة أخرى «ظنة» بالطاء بدلاً من «ضنة» بالضاد.

(٢) نطف النشا: اللؤلؤ الصافي.

(٣) هير: اسم موضع.

(٤) التوريم: الغضب.

(٥) التيه: التكبر.

(٦) الدعي: هو من يدعي الانتساب إلى إحدى القبائل، وليس منها.

وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَثْقَالَهَا
وقال :

[مجزوء الرمل]

وَالْهَوَىٰ لِلْمَرْءِ قَتَّالُ
وَرَكُوبُ الصَّعْبِ أَهْوَالُ
دُعْبَلُ وَالنَّاسُ أَشْكَالُ
وَلَهُ فِي الشَّعْرِ آمَالُ

حَدَّثَ الْأَجَالَ^(١) أَجَالُ
وَالْهَوَىٰ صَعْبٌ مَرَاكِبُهُ
لَيْسَ مِنْ شُكْلِي فَأَشْتَمُهُ
هَمَّتِي فِي الْتَاجِ الْبَسُهُ
وقال :

[المجث]

جَوَائِزُ الْخُلَفَاءِ
وَفِي حَرَامٍ هَجَائِي
تُ سَيِّدَ الشَّعْرَاءِ

هَذَا اللَّبَانِيُّ^(٢) يَحْوِي
فَفِي حَرَامٍ مَدِيحِي
وَفِي حَرَامِي وَإِنْ كُنْ
وقال محمد بن يسير :

[الخفيف]

وَأَنَافِي ذَا مَنْ أَوْلَهُمْ
أَيْنَ أَدْنَاهُمْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ

فِي حَرَامِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
لَسْتُ تَذِيرِي حِينَ تَخْبِرُهُمْ
وقال :

[الوافر]

بِرَبِّ الْبَيْتِ وَالسَّاقِي الْأَدِيبِ^(٣)
وَأَيْرُ فِي حَرٍّ أُمَّ فَتَىٰ مُجِيبِ

إِذَا مَا جَاوَزَ النَّدْمَاءَ خَمْسًا
فَأَيْرُ فِي حَرٍّ أُمَّ فَتَىٰ دَعَانَا
وقال سلم الخاسر :

[الطويل]

وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا وَأَيَّنَعُ^(٤) نَوْرُهَا
تَتَمُّ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهَا

بَهْرُونَ قَرَّ الْمَلِكُ فِي مُسْتَقَرِّهِ
وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الْمَكَارِمِ غَايَةٌ
وقال بشار بن برد :

[الخفيف]

فِي حَدِيثِ كُلْذَةِ النَّشْوَانِ
كُلُّ عَيْشِ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ فَاِنْ

مِنْ فَتَاةٍ صَبَّ الْجَمَالُ عَلَيْهَا
ثُمَّ فَارَقْتُ ذَاكَ غَيْرَ دَمِيمِ

(١) الأجل: مفردة إجل، وهو القطيع من البقر الوحشي.

(٢) جاء في نسخة أخرى «البابي» بالباء بدلاً من «اللباني» بالنون.

(٣) جاء في نسخة أخرى «اللييب» بدلاً من «الأديب».

(٤) جاء في نسخة أخرى «وأبهجت الدنيا وأشرق» بدلاً من «وأشرقت الدنيا وأينع».

وقال مزاحم العقيلي :

[الطويل]

تزيّن سنا الماوي^(١) كلَّ عَشِيَّةٍ على غفلاتِ الزَّيْنِ وألّمتْ جملِ
وُجوهاً لو أنّ المدلّجين أعتشوا بها صدعن الدُّجى حتى يُرى أَلِيلُ ينجلي

وقال المسعودي :

[مجزوء الكامل]

إنَّ الكرام مُناهَبو لك المجدَ كلهمُ فناهَبْ
أخلف وأتلف كلَّ شيء زعزعتُه الرِّيحُ ذاهِبْ

قال شيخ من الأطباء : الحمد لله فلان يزاحمنا في الطب ولم يختلف إلى اليمام
ستان تمام خمسين سنة ، وحدثني محمد بن عبد الملك صديق لي قال : سمعت رجلاً من
فرسان طبرستان يقول : فلان يدعي الفروسية ولو كلف أن يخلى فروج فرسه منحدرًا من
جبل لما قدر عليه . وقال بعض العبيد :

[الطويل]

أُبعثنِي في الشَّاءِ وأبْنُ مُخَيْلِدٍ^(٢) على هَجْمَةٍ قد لَوَحَتْها الطَّبائِخُ^(٣)
من كان حمران النباتي راعياً وقد راعه بِالذَّودِ أسودُ سالِحُ

وقال كثير في عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

[الطويل]

تَكَلَّمْتُ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَإِنَّمَا تبينُ آياتُ الْهَدَى بالتكلمِ
ألا إِنَّمَا يَكْفِي الْقَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ^(٤) مِنْ الْأَوْدِ الْبَادِي^(٥) ثِقافُ الْمُقَوِّمِ

الأصمعي قال : قال ابن عبيد : لا يزال الناس بخير ما داموا إذا اختلج في صدر
الرجل شيء وجد من يُفَرِّج عنه ، قال البعيث في إبراهيم بن عدي^(٦) :

[الطويل]

تَرى مِنْبَرَ الْعَبْدِ اللَّئِيمِ كَأَنَّمَا ثلاثةُ غُرَبانِ عليه وَقُوعُ
وقال الأعشي :

[الخفيف]

رُبَّ رَفْدٍ^(٧) هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمُ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْيَالِ^(٨)

(١) الماوي : المرأة .

(٢) جاء في نسخة أخرى «مويك» بدلاً من «مخيلد» .

(٣) الطبايح : مفردة طبيخة ، وهي الريح السموم . وقت الهاجرة .

(٤) الزيف : الميل والاعوجاج .

(٥) جاء في نسخة أخرى «الباقي» بدلاً من «البادي» .

(٦) جاء في نسخة أخرى «عربي» بدلاً من «عدي» .

(٧) الرغد : العطاء .

(٨) الأقيال : مفردة قيل ، وهو من ألقاب ملوك اليمن .

وقالوا لا وَكُس^(١) ولا شَطَط

وقال الشاعر :

[الكامل]

ومَدَجَّج^(٢) كَرِهَ الْكَمَاءُ نَزَالَهُ لَا مَمَعِنَ هَرَباً وَلَا مُسْتَسْلِمَ

وقال زهير :

[البيسط]

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِي فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ

وقالوا: خير الأمور أوسطها وشر السير الحقة^(٣)، قال: والمثل السائر والصواب المستعمل لا تكن خلواً فتزدد ولا مرأاً فتلفظ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا لينٌ في غير ضعف وشدة في غير عنف. وكان الحجاج يجاوز العنف إلى الخرق، وكان كما وصف نفسه فإنه قال: أنا حديد حقود وذو قسوة حسود، وذكره آخر فقال، كان شراً من صبي، وقال أكثم بن صيفي: تناؤوا في الديار وتواصلوا في المزار، وكان ناشئ الشهور يقول: اللهم باعد بين نساتنا وقارب بين رعائنا واجعل الأموال في سمحائنا. وقال آخر:

[البيسط]

شَتَّى مَرَاجِلَهُمْ فَوْضَى نَسَاؤُهُمْ فَكُلُّهُمْ لِأَبِيهِ ضِيْزَنٌ^(٤) سَلَفُ

وقال الآخر: ترك الوطن أحد السبائين^(٥)

وقال آخر: وقالوا: من أجذب انتجع.

وقال آخر:

مَنْ أَمَلْ أَحَدًا هَابَهُ وَمَنْ قَصَرَ عَنْ شَيْءٍ عَابَهُ

وقال الآخر:

[الوافر]

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا

وقال امرؤ القيس بن حجر:

[الوافر]

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقيل لابن عباس: أيما أحب إليك رجلٌ يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات أو

(١) الوكس: الشطط وتخطي الحد.

(٢) المدجج: الشاكي السلاح.

(٣) الحقة: السير الشديد.

(٤) الضيزن: الحافظ المخلص الثقة.

(٥) السباء: الأسد.

يُقل من الحسنات والسيئات؟ قال: ما أُعدل بالسلامة شيئاً، وقالت أعرابية:

[الطويل]

ولا تحمدوني في الزّيارة إني أزوّرُكم إن لا أجذمتعلّلا
يعقوب بن داود قال: ذم رجل الأشر فقال له رجل من النخع: اسكت فإن حياته
هزمت أهل الشام وموته هزم أهل العراق، أبو الحسن قال: أرسلت الخيل أيام بشر بن
مروان فسبق فرس عبد الملك بن بشر فقال له إسماعيل بن الأشعث: والله لأرسلن غداً
مع فرسك فرساً لا يعرف أن أباك أمير العراق فجاء فرس إسماعيل سابقاً فقال: ألم
أعلمك؟ وقال أبو العتاهية:

[الوافر]

يا من لي بأنسك يا أخياً ومن لي أن أبثك ما لديّ
كفى حزناً بدفنك ثم أني نفضتُ تراب قبرك عن يديّ
طوثك خطوبٌ دهرك بعد نشرٍ كذاك خطوبه نشرأ وطياً
فلو نشرت قواك إلى المنايا شكوتُ إليك ما صنعت إليّ
بكيثك يا أخى بدر عيني فلم يُغن البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيّاً
وقال الآخر:

[الطويل]

أبعد الذي بالنعف^(١) نعف كويكب^(٢) رهينة رَمَس بين تراب وجندل
أذكر بالبُقيّا^(٣) على من أصابني وبقياي إني جاهد^(٤) غير مؤتل^(٥)
يقول: وهذا بقياي، قال: قيل لشريك بن عبد الله: كان معاوية حليماً قال: لو كان
حليماً ما سفه الحق ولا قاتل علياً ولو كان حليماً ما حمل أبناء العبيد على حرمه ولما
أنكح إلا الأكفاء، وأصوب من هذا قول الآخر: كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أسمع
ومن تعرض للسفيه فهو سفیه، وقال الآخر كان يحب أن يظهر حلمه، وقد كان طار اسمه
بذلك فكان يحب أن يزداد في ذلك، وقال الفرزدق:

[الطويل]

وكان يُجيرُ الناس من سيف مالِك فأصبح يبغى نفسه من يُجيرُها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها إلى مديّة تحت التراب تُثيرُها

(١) النعف: هو ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي.

(٢) كويكب: اسم لمسجد بين تبوك والمدينة.

(٣) البُقيّا: البقاء.

(٤) الجاهد: المجد في سبيل غايته.

(٥) المؤتلي: المقصر.

وقال التوت اليماني :

[الطويل]

على أي بابٍ أطلبُ الإذنَ بعدما حُجِبْتُ عن البابِ الذي أنا حاجِبُهُ
وهذا مثل قوله :

[الرجز]

وَالسَّبَبُ الْمَانِعُ حَظَّ الْعَاقِلِ هُوَ الَّذِي سَبَّبَ رِزْقَ الْجَاهِلِ
ومثله :

[الطويل]

وَرُبَّتْ حَزْمٌ كَانَ لِلْسَقَمِ عِلَّةٌ وَعِلَّةٌ بَرءُ الداءِ حَظُّ الْمَغْفَلِ
وقال آخر :

[الطويل]

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ
وقال عثمان بن الحويرث لعمر بن العاصي :

[الطويل]

له أبوان فهو يدعى إليهما وشراً لعباد من له أبوان
وقد حكما فيه لتصديق أمه وكان لها علمٌ به ببيان
فقالت صراحاً وهي تعلم غيره ولكنها تهذي بغير لسان
وقال الآخر :

[البيسط]

يَطْلُبْنَ بِالْقَوْمِ حَاجَاتٍ تَضْمَنُهَا بَدْرٌ بِكُلِّ لِسَانٍ يَلْبَسُ الْمَدْحَا
كَأَنْ فِيضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ بَابُ السَّمَاءِ إِذَا مَا بِالْحَيَا انْفَتَحَا
وَكَلَّتْ بِالدهرِ عَيْنًا غَافِلَةٍ مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا
ومثله :

[الطويل]

إِذَا أَفْتَقَرَ الْمُنْهَالُ لَمْ يُرْفَقْهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمُنْهَالُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ
وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : من أفضل العبادَةِ الصمت وانتظار
الفرج ، وقال يزيد بن المهلب وكان في سجن الحجاج : لهني على طلبة بمائة ألف وفرج
في جبهة أسد ، وأنشد :

[الخفيف]

رَبِّمَا تَجَزَعُ النَفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ رِلَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ
وأنشد :

[الطويل]

كَرِهْتُ وَكَانَ الْخَيْرُ فِيمَا كَرِهْتُهُ وَأُحِبَبْتُ أَمْرًا كَانَ فِيهِ شِبَا الْقَتْلِ
وهذا مثل قوله تعالى : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا

وَهُوَ سَرُّ لَكُمْ^(١)، وكان يقال: خذ مقتصد العراق ومجتهد الحجاز. وقال الآخر:

[الطويل]

لكل كريم من الأئمة قومه على كل حال حاسدون وكشع
وقال جرير:

[الكامل]

إنني لأمل منك خيراً عاجلاً وألنفس مولعة بحب العاجل
وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٢) وقال ابن هرمة:

[الوافر]

أشهم من الذين بهم قريش تداوي بينها عين القتيل
كأن تالؤ المعروف فيه شعاع الشمس في السيف الصقل
وقال امرؤ القيس:

أجارتنا إن المزار قريب وإنني مقيم ما أقام عسيب^(٣)
أجارتنا إننا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
وقال بشار:

[الكامل]

وإذا أغرت^(٤) فلا تكن جشعاً تسمو لغت الكسب تكسبه
وقال حسان بن ثابت:

[البيسط]

أهدي لهم مدحي قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع
وقال الأصمعي: أنشدنا أبو مهديه:

[البيسط]

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرناً
وقال الخزرجي يرد على أبي قيس بن الأسلت واسمه صفي:

[المقارب]

أتفخر صيفي فيما تقو ل أن نلثم عيلة أربعة
عرانيين^(٥) كلهم ماجد كثير الدسائع^(٦) والمنفعة
فهلا حضرت غداة البقيع مع لما استمال^(٧) أبو صعصعة
ولكن كرهتم^(٨) شهود الوغى وكنتم كذلك في المعصعة

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٣) عسيب: اسم لجبل.

(٤) جاء في نسخة أخرى «اغتربت» بدلاً من «أغرت».

(٥) عرائين: أشرف متكبرون.

(٦) الدسائع: العطايا.

(٧) جاء في نسخة أخرى «استمات» بالتاء بدلاً من «استمال» باللام.

(٨) جاء في نسخة أخرى «كرهت» بدلاً من «كرهتم».

(٢) سورة ص، الآية: ٨٦.

سِراعاً إلى القتل في خفيةٍ
وأشد الأصمعي :

[الكامل]

أتى النديّ فلا يقرب مجلسي
وقال حبيب بن أوس :

[السيط]

كألخوط^(١) في القدّ والغزاة في البهـ
وما حكاه ولا نعيم له
إلى المَفدىّ أبي يزيد الذي
ظلُّ عفاة^(٥) يحبُّ زائره
إذا أناخوا ببابه أخذوا
وقال أيضاً :

[الطويل]

لَعْمُرُك ما كانوا ثلاثة إخوةٍ
ولكنّهم كانوا ثلاث قبائل

(١) الخوط : الغصن الندي الناعم .

(٢) الجيد : العنق .

(٣) الغمر : الماء الكثير .

(٤) الثمد : القليل .

(٥) العفاة : الطلاب .

ومن خطباء الخوارج

ترجمة قطري بن الفجاءة:

قطري بن الفجاءة أحد بني كِنانة بن حرقوص وكُنيتُه أبو نعامَة في الحرب وفي السلم أبو محمد، وهو أحد رؤساء الأزارقة، وكان خطيباً فارساً خرج زمنَ مصعب بن الزبير وبقي عشرين سنةً وكان يدين بالاستعراض والسبأ وقتل الأطفال وكان آخر من بعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبي، وقتله سورة بن الجبر الدارمي من بني أبان بن دارم.

ومن خطباء الخوارج

وشعرائهم وعلمائهم حبيب بن جَدرة عداؤه في بني شيبان وهو مولى لهلال بن عامر، ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس أحد بني عمرو بن محلم بن ذهل بن شيبان ويكنى أبا سعيد، ملك العراق وصلى خلفه عبد الله بن عمر وعبد الواحد بن سليمان وقال شاعرهم:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قَرِيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
ومن علمائهم وخطبائهم نصر بن ملحان وكان الضحاك ولاء الصلاة بالناس والقضاء بينهم، ومن علمائهم مليل وأصغر بن عبد الرحمن وأبو عبيدة كورين واسمه مسلم وهو مولى لَعُروة بن أذينة، ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهل الفقه عِمْرانُ بْنُ حِطَّانٍ وَيُكْنَى أبا شهاب أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، ومن الخوارج من بني ضبة ثم أحدبني صبيح القاسم بن عبد الرحمن بن صديق وكان ناسباً^(١) عالماً داهياً وكان يشوب ذلك ببعض الظرف، ومن علمائهم ونسابهم وأهل اللسن منهم: الجون بن كلاب وهو من أصحاب الضحاك ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم خراشة وكان ركاضاً ولم يكن اعتقد، أخبرني أبو عبيدة قال: كان مسمار مستخفياً بالبصرة فتخلصت إليه فأخبرني أنه الذي طعن مالك بن علي في فيه وذلك أنه فتح فاه. يقول: أنا أبو علي! فاتحاً فاه^(٢)

(١) ناسباً: يحذف علم أنساب العرب.

(٢) جاء في نسخة أخرى «فشحا فاه» ومعناها فتحه بدلاً من «فاتحاً فاه».

فقطعنه في جوب فمه، ومن شعرائهم عتبان بن وصيلة الشيباني وهو الذي يقول:

[الطويل]

ولا صَلَحَ ما دَامَتْ منابرُ أَرْضِنَا يقومُ عليها مِنْ ثَقِيفٍ خَطِيبُ
وعن عيسى بن طلحة قال: قلت لابن عباس: أخبرني عن أبي بكر قال: كان خيراً
كله على الحدة وشدة الغضب، قال: قلت: أخبرني عن عمر قال: كان كالطائر الحذر قد
علم أنه قد نصب له في كل وجه حباله وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق،
قال: قلت أخبرني عن عثمان: قال: كان واللّه صَوَّاماً قَوَّاماً لم يخدعه نومُه عن يقظته،
قال: قلت: فصاحبكم. قال: كان واللّه مملوءاً حِلْماً وَعِلْماً غرته سابقته وقرابته وكان
يرى أنه لا يطلب شيئاً إلاّ قدر عليه، قلت: أكنتم ترونه محدوداً؟ قال: أنتم تقولون ذاك.

كلام في الأدب

قال معاوية: ما رأيت شرفاً قط إلا وإلى جنبه حقٌ مضيع، وقال عثمان بن العاصي: الناكح مغترسٌ فلينظرِ امرؤ حيث يضع غرسه، وقالت هند ابنة عتبة: المرأة غلٌ ولا بد للعنق منه فأنظر من تضعه في عنقك، وقال ابن المقفع: الدين رِقٌّ فانظر عند من تضع نفسك، وقال عمرو بن مسعدة أو ثابت أبو عباد: لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفؤاد علمه ومن كانت غايته أَلاحتِيالَ على مالك وإطرائك في وجهك فإن هذا لا يكون إلا رديء الغيب سريعا إلى الذم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكرنا العصا ووجوه تصرفها وذكرنا من مقطعات كلام النساك ومن قصار مواعظ الزهاد وغير ذلك مما يجوز في نوادر المعاني وقصار الخطب، ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدراً من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب، فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته، وبعض دعاء الملهوفين والنساك المتبتلين، قال الله تبارك وتعالى لنبية صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١)، وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُوكَ رَبَّكَ وَرَهْبًا﴾^(٣) وقال: ﴿وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٤) قالوا: كان عمرو بن معاوية العقيلي يقول: اللهم قني عثرات الكلام، وقال أعرابي لرجل سأل: جعل الله الخير عليك دليلاً ولا جعل حظ السائل منك عذرة صادقة، وقال بعض كرام الأعراب ممن يقرض الشعر ويؤثر الشكر:

[الطويل]

لعل مفيدات الزمان يُفدَنِي بني صامتٍ في غير شيءٍ يضيئُها
وقال شيخ أعرابي: اللهم لا تُنزلني ماء سَوء فأكونَ امرءاً أسوء، قال: وسمعت عمر بن هبيرة يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من صديق مُطر وجليس مفر وعدو مسر، قال: كتب ابن سيابة إلى صديق له إما مستقرضاً وإما مستفرضاً فذكر صديقه خلة

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

شديدة وكثرة عيال وتعذر الأمور، فكتب إليه ابن سيابة إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت مُليماً^(١) فجعلك معذوراً، قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: أعوذ بك من الفواق^(٢) والبواق^(٣) ومن جار السوء في دار المُقامة والظعن ومما ينكس برأس المرء ويُغري به لئام الناس، قال الأصمعي: قيل لخالد بن نضلة: قال عبد يغوث بن وقاص: ما أذم فيها إلا غطينا ليس خالد بن نضلة، يعني مضر قال خالد: اللهم إن كان كاذباً فاقتله على يد ألام حي في مضر، فقتله تيم الرباب، قالوا: وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال: رحم الله عبداً أعطى من سعة وآسى من كفاف وآثر من قلة، وقال في الأثر المعروف: حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء، ومن دعائهم: أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر، قال: ومن دعاء السلف: اللهم أحملنا من الرحلة واغننا من العيلة، وسأل أعرابي فقيل له: بورك فيك فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال: وكلكم الله إلى دعوة لا يحضرها نية، وقال أعرابي: أعوذ بك من سقم وعداوة ذي رحم ودعواه، ومن فاجر وجذواه، وعمل لا ترضاه، وسأل أعرابي فقال له صبي من جوف الدار: بورك فيك فقال: قبح الله هذا الفم لقد تعلم الشر صغيراً، وهذا السائل هو الذي يقول:

[الرجز]

رُبَّ عَجُوزٍ عَرْمَسٍ^(٤) زَبُونٍ^(٥) سَرِيعَةِ الرَّدِّ عَلَى الْمَسْكِينِ
تَحَسُّبُ أَنْ بَوْرَكُهَا يَكْفِينِي إِذَا غَدَوْتُ بِاسِطاً يَمِينِي

وقال آخر: اللهم أعني على الموت وكرهته، وعلى القبر وغمته، وعلى الميزان وخفته، وعلى الصراط وزلته، وعلى يوم القيامة وروعته، وقالت عجوز بلغها موت الحجاج: اللهم أنت أمته فأمت سنته، وكان محمد بن علي بن الحسين يقول: اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى، وقال عمرو بن عبيد: اللهم اغني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك، وقال عمرو: اللهم أعني على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة، قال: ومرض عوف بن أبي جميلة فعاده قوم فجعلوا يُثَنُّونَ عليه، فقال: دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء، قال: وسمعت عمر بن هُبيرة يقول: اللهم إني أعوذ بك من طول الغفلة وإفراط الفطنة، اللهم لا تجعل قولي فوق عملي، ولا تجعل أسوأ عملي ما قارب من أجلي، وقال أبو مذحج: اللهم أجعل خير عملي ما ولى أجلي، ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت^(٦) الله كل عدو لك إلا نفسك، وقال يزيد بن جبيل:

(١) المليم: اللائم.

(٢) البواق: مفردة باقرة وهي الفتنة المفرقة لشمل الجماعة.

(٣) البواق: مفردة باقرة وهي الفتنة المفرقة لشمل الجماعة.

(٤) العرمس: الناقة الصلبة.

(٥) الزبون: الدفع لصعوبتها.

(٦) كبت: أذل.

احرس أخاك إلا من نفسه، قال: ودعا أعرابي فقال: اللهم هب لي حقك وأرض عني خلقك، قال: وكان قومٌ نُسّاكٌ في سفينةٍ في البحر فهاجت الرياحُ بأمر هائل فقال رجل منهم: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوَك ورحمتك، قال: وسمع مطرفٌ رجلاً يقول: أستغفر الله وأتوبُ إليه فأخذ بذراعه وقال: لعلك لا تفعل، من وعدَ فقد أوجب، وقال رجل لابن قثم: كيف أصبحت؟ قال: إن كان من رأيك أن تسدَّ خلَّتِي وتقضي ديني وتكسو عورتِي خبرتُك وإلا فليسَ المجيبُ بأعجبَ من السائل، وقال آخر: اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا وأجعلَ الأموالَ في سُمحائنا، وقال أعرابي: اللهم إنك أمترتنا أن نغفوَ عَمَّن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عَنَّا، وقال أعرابي ورأى إبل رجل قد كثرت بعد قلةٍ فقيل إنه قد تزوج أمةً فجاءته بنا فجأة^(١) مال، فقال: اللهم إننا نعوذُ بك من بعض الرزق، أبو مجيب الربعي قال: قال أعرابي: جنبك الله الأمرين وكفاك شرَّ الأجوفين، الأجوفان: البطن والفرج. والأمران الجوع والعري، وجاء في الحديث: من وُفِّيَ شرَّ قبقبه^(٢) وذنبه^(٣) ولقلقه فقد وُفِّيَ الشرَّ كُلَّهُ، وقال أعرابي: منحكم الله منحة ليست بجداء^(٤) ولا نكداء^(٥) ولا ذات داء، قال: قيل لإبراهيم البجلي: أي رجل أنت لولا حدة فيك؟! قال: أستغفر مما أملك وأستصلحه ما لا أملك، وقال أعرابي، ومات ابن له: اللهم إني قد وهبت له ما قصَّرَ فيه من بري فهب لي ما قصَّرَ فيه من طاعتك، قال: لما صافَ قتيبة بنُ مسلم التركَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع وقال: انظروا ما يصنع فقيل ما هو ذاك في أقصى الميمنة جانحاً على سية قوسه يبضض^(٦) بأصبعه نحو السماء، قال قتيبة تلك الإصبع الفاردة^(٧) أحب إليَّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طير^(٨)، أبو الدرداء قال: إن أبغض الناس إليَّ أن أظلمه من لم يستعن عليَّ إلا بالله، وقال خالد بن صفوان: احذروا مجانيق الضعفاء، يعني الدعاء، وقال: لا يستجاب إلا لمخلص أو مظلوم، قال: وكان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول: اللهم إن ذنوبي لا تضرك وإن رحمتك إياي لا تنقصك فأغفر لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك، وقال أعرابي: اللهم إنك حبست عنا قطرَ السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم فأرحم أنين الآنة وحنين الحانة اللهم أرحم تحيرها في مراتعها وأنينها في مراتعها، قال: وحجَّت أعرابية فلما صارت بالموقف قالت: أسألك الصحبة يا كريم الصحبة وأسألك

(١) النافجة: المال الكثير من الإبل.

(٢) الققب: البطن.

(٣) الذبذب: اللسان.

(٤) الجداء: قليلة اللبن.

(٥) النكداء: قليلة اللبن، أو التي لا لبن لها.

(٦) جاء في نسخة أخرى «ينضض» بالنون ومعناه يحرك بدلاً من «يبضض» بالباء.

(٨) الطير: المحدد.

(٧) الفاردة: البعيدة المنعزلة.

سَتَرَكَ الَّذِي لَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ وَلَا تُخْرِقُهُ الرِّمَاحُ، وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ؟ قَالَ: دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَقَالُوا: كَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ؟ قَالَ: مَسِيرَةٌ يَوْمٌ لِلشَّمْسِ، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ، قَالَ: وَحَجَّ أَعْرَابِي فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِزْقِي فِي السَّمَاءِ فَأَنْزِلْهُ وَإِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ فَأَخْرِجْهُ وَإِنْ كَانَ نَائِيًا فَقَرِّبْهُ وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا فَيَسِّرْهُ، أَبُو عَثْمَانَ الْيَقْطَرِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْفَهْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ مَسْرُوقٌ السَّلْسَلَةَ أَنْبَرَى لَهُ شَابٌ فَقَالَ لَهُ: وَقَاكَ اللَّهُ خَشِيَةَ الْفَقْرِ وَطُولَ الْأَمَلِ فَلَا تَكُونَنَّ دَرِيئَةً لِلشُّفْهَاءِ وَلَا شَيْنًا لِلْفُقَهَاءِ، وَقَالَ أَعْرَابِي فِي دَعَائِهِ: اللَّهُمَّ لَا تَخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ اللَّهُمَّ فَقَدْ دَعَوْتُكَ كَمَا أَمَرْتَنِي فَأَجِبْنِي كَمَا وَعَدْتَنِي، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: قَالَتْ عَائِشَةُ يَا بَنِيَّ لَا تَطْلُبُوا مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ بِمَا يُسْخَطُ اللَّهُ، قَالَ: وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّسَاكِ: إِنْ أَبْتَلَيْتَ أَنْ تَدْخُلَ مَعَ نَاسٍ إِلَى السُّلْطَانِ فَإِذَا أَخَذُوا فِي الثَّنَاءِ فَعَلَيْكَ بِالْإِعْدَاءِ وَقَالَ الْكُذَّابُ الْحِرْمَازِيُّ:

[الرجز]

لَا هُمْ^(١) إِنْ كَانَتْ بَنُو عَمِيرِهِ رَهْطُ التَّلَبِّ دَعْوَةٌ مُسْتَوْرَةٌ
 قَدْ أَجْمَعُوا الْخَلْقَ مَقْصُورَةً وَاجْتَمَعُوا كَأَنَّهُمْ قَارُورَةٌ
 فِي غَنَمٍ وَابِلٍ كَثِيرَةٍ فَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سَنَةً قَاشُورَةً^(٢)
 تَحْتَلِقُ الْمَالَ احْتِلَاقَ النُّورِ

وقال أعرابي:

[الرجز]

لَا هُمْ أَنْتَ الرَّبُّ تَسْتَغَاثُ لَكَ الْحَيَاةُ وَلَكَ الْمِيرَاثُ
 وَقَدْ دَعَاكَ النَّاسُ فَاسْتَغَاثُوا غِيَاثَهُمْ وَعِنْدَكَ الْغِيَاثُ
 وَلَمْ يَكُنْ سَيْبُكَ^(٣) يَسْتَرَاثُ^(٤) لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَكْرِشُ^(٥) إِنْكَاثُ^(٦)
 وَشَيْخُ^(٧) أَصُولُهَا مِثَاثُ وَطَاحَتْ الْأَلْبَانُ وَالْأَرْمَاثُ^(٨)

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ: يَسْمَى الْمُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَقَالَ لِعَمْرِ حِينَ شَاطَرَهُ مَالُهُ: لَقَدْ هَمَمْتُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ عَلَيَّ! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِذَا لَا تَجِدُنِي بِدَعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمْ مِنْ ذِي طُمْرَيْنَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ

(١) لَا هُمْ: لَعْنَةٌ فِي اللَّهِ.

(٢) الْقَاشُورَةُ مِنَ السَّنِينِ: هِيَ الَّتِي انْهَمَرَتْ فِيهَا الْأَمْطَارُ بَعْنَفٍ فَقَشَرَتْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

(٣) السَّيْبُ: الْعَطَاءُ.

(٤) يَسْتَرَاثُ: يَسْتَبْطِئُ.

(٥) الْعَكْرِشُ: نَبَاتٌ خَشَنٌ ذُو شَوْكٍ.

(٦) إِنْكَاثُ: بَدَلًا مِنْ «وَشَيْخُ».

(٧) جَاءَ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى «وَشَيْجَةً» بَدَلًا مِنْ «وَشَيْخُ».

(٨) الْأَرْمَاثُ: مَفْرَدَةٌ رَمَتْ وَهُوَ مَرَعَى الْإِبِلِ.

لأَبْرَهُ^(١)، منهم البراء بن مالك وأجمع الناس إليه وقد دهمهم العدو فاقسم فمَنَحَهُمُ اللهُ أَكْتافَهُمُ، الأصمعي وأبو الحسن قالا: أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أو عن غيره قال: بلغ سعداً شيءٌ فعلمه المهلب في العدو والمهلب يومئذٍ فتى فقال سعد: اللهم لا تَرِهْ دُلًّا، فيرون أن الذي ناله المهلب بتلك الدعوة، وقال آخر:

[الرجز]

الموت خيرٌ من رُكوب العار والعار خيرٌ من دخول النار
والله من هذا وهذا جاري

قالها حسين بن علي رضي الله تعالى عنهما، وقال الآخر: وكان قد وقع في الناس وباء جارف، وموت ذريع فهرب على حماره فلما كان في بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعاً إلى حيه وقال:

[الرجز]

لن يسبقَ اللّهُ على حمارٍ ولا على ذي مِيعَةٍ مطارٍ
أو يأتي الحتفُ على مقدارٍ قد يُصبحُ اللهُ أمامَ الساري
وسمع مجاشع الربيعي رجلاً يقول: الشحيح أعذرُ من الظالم. فقال: إِنَّ شَيْئِينَ خَيْرُهُمَا الشُّحُّ لِنَاهِيكَ بِهِمَا شَرًّا، قال المغيرة بن عنبسة: سمع عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله تعالى عنه - رجلاً يقول في دعائه: اللهمَّ أَجْعَلْنِي مِنَ الْأَقْلِينَ، قال له عمر: ما هذا الدعاء؟ قال: سمعت الله يقول: وقليل ما هم، وسمعتة يقول: وقليل من عبادي الشكور، فقال عمر عليك من الدعاء بما يعرف، وقال ناس من الصحابة لعمر: ما بال الناس كانوا إذا ظَلِمُوا في الجاهلية فدَعَوْا أَسْتُجِيبَ لَهُمْ ونحن لا يُسْتَجابُ لنا وإن كنا مظلومين، قال: كانوا ولا زاجرَ لهم إلا ذاك فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود وكلّهم إلى ذلك، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا لساعة ألا يدعُوَ اللّهُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا أَسْتُجِيبَ لَهُ فقال له قائل: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَا فِيهَا مُنَافِقٌ؟ قال: فَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَا يُوقَفُ لَتِلْكَ السَّاعَةِ، وَلَمَّا صَعِدَ الْمُنْبِرَ قَابِضاً عَلَى يَدِ الْعَبَّاسِ يَوْمَ الْاِسْتِسْقَاءِ لَمْ يَزِدْ عَلَى الدَّعَاءِ بِالْاِسْتِغْفَارِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ لَمْ تَسْتَقْ وَإِنَّمَا كُنْتَ تَسْتَغْفِرُ قَالَ: قَدْ اِسْتَسْقَيْتُ بِمَجَادِيحٍ^(٢) السَّمَاءِ، ذهب إلى قوله: ﴿اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(٣) وكان عمر حمل الهرمزان مع جماعة في البحر فغرقوا، قال ابن سيرين: لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا، قال محمد بن علي لابنه: يا بُنَيَّ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ نِعْمَةً فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِذَا حَزَبَكَ^(٤) أَمْرٌ

(١) أبره: أجاب دعوته.

(٢) المجاديع: مفردة مجدح. زعمت العرب أنه نوء يمطر.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٠، ١١.

(٤) حزبك: نابك واشتدّ عليك.

فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله وإذا أبطأ عنك الرزق فقل: أستغفر الله، قالوا: وكان محمد بن علي لا يُسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء، قال قوم ليزيد بن أسد: أطال الله بقاءك قال: دعوني أمت وفي بقية تبكون بها علي، رأى سالم بن عبد الله سائلاً يسأل يوم عرفه، فقال: يا عاجزاً في هذا اليوم. تسأل غير الله، قال: كان رجل من الحكماء يقول في دعائه: اللهم أَحْفَظْني مِنَ الصديق وكان يقول: اللهم أَكْفِنِي بوائِق^(١) الثقة، حدثني صديق لي كان وَلِيَّ ضِياعٍ أَلْري قال: قرأت على باب شيخ منهم جزى الله من لا يعرف ولا يعرفنا أحسنَ الجزاء ولا جزى من نعرفه ويعرفنا إلا ما هو أهلُه إنه عدل لا يجور، وكان على رواشم^(٢) عمر بن مهران التي يرشم بها على الطعام: اللهم أَحْفَظْهُ ممن يحفظُهُ، وقال المغيرة بن شعبه في كلام له: إِنَّ المعرفة لتتفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم؟! أبو الحسن قال: قالت امرأة من الأعراب: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ قريشٍ وثقيفٍ وما جمعت من الليف^(٣) وأعوذ بك من عبد مَلِكٍ أمره ومن عبد مَلَأَ بطنه، قال: مرَّ عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فإذا بلغ المائة عزل حصاة، فقال له عمر: إلِقِ الحصى وأخلص الدعاء. وكان عبد الملك بن هلال الهنائي عنده زنبيلٌ مَلَأَ حصى فكان يسبح بواحدة واحدة فإذا ملَّ شيئاً طرح شيئاً ثنتين، ثم ثلاثاً ثلاثاً فإذا ملَّ قبض قبضة، وقال: سبحان الله بعدد هذا وإذا ملَّ شيئاً قبض قبضتين وقال: سبحان الله بعدد هذا فإذا ضجر أخذ بعروتي الزنبيل وقلبه وقال: الحمد لله بعدد هذا، وإذا بكر لحاجة لحظَّ الزنبيل، وقال: الحمد لله عدد ما فيه. قال غيلان إذا أردت أن تتعلم الدعاء فأسمع دعاء الأعراب. قال سعيد بن المسيب: مرَّ بي صلُّة بن أشيمَ فما تمالكْتُ أن نهضت إليه، فقلت له: يا أبا الصهباء أدع الله لي، فقال رغبتك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفس إلا إليه ولا تعول في الدين إلا عليه. أبو الحسن قال: سمع رجل بمكة رجلاً يدعو لأمه فقال له: ما بال أهلك؟ قال: هو رجل يحتال لنفسه. أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدي قال: كان عندنا رجل من بني تميم يدعو لأبيه ويدع أمه، فقيل له في ذلك فقال: إنها كلبية. ورفع أعرابي يده بمكة قبل الناس فقال: اللهم أَغْفِرْ لي قبل أن يدهمك الناس، وقال النبي ﷺ: إِنَّ الله يُحب المَلْحِينَ في الدعاء. وقال آخر: دعوتان أرجو أحدهما كما أخاف الأخرى دعوة مظلوم أَعْتَتْهُ^(٤) ودعوة ضعيف ظَلَمْتُهُ. قال: وكان من دعاء أبي الدرداء: اللهم أمتعنا بخيارنا وأعتنا على شرارنا وأجعلنا خياراً كلنا وإذا ذهب الصالحون فلا تُبقنا،

(١) البوائق: الدواهي والمصائب.

(٢) الرواشم: مفردة رشم وهو ختم يختم به الطعام أو نحوه.

(٣) الليف: الجماعة. (٤) أعت: أتعب.

وقال آخر لبعض السلاطين: أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب إليه من سقمي، قالوا: وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول: اللهم إنك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه إلا بعونك ونهيئنا عما نهيتنا ولا تنتهي عنه إلا بعصمتك واقعة علينا حجتك، غير معذورين فيما بيننا وبينك ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك، عبد العزيز بن أبان عن سفيان في قوله تعالى: ﴿دَعُوهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾^(١) قال: كان أحداهم إذا أراد أن يدعو قال: سبحانك اللهم. سفيان عن ابن جريج عن عكرمة قال في قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾^(٢) قال: كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فجعلهما الله داعيين، قال: ولما وقع يونس في البحر، وقد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به إلى قرار الأرض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) قال: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٤) وفي الحديث المرفوع أن من دعاء النبي عليه السلام: أعوذ بك من قلب لا يخشع، وبطن لا يشبع، ودعاء لا يسمع. علي بن سليم أن قيس بن سعد قال: اللهم أرزقني حمداً ومجداً فإنه لا حمد إلا بفعل ولا مجد إلا بمال. وقال رجل في مجلس الحسن: ليهنك الفارس، قال الحسن: فلعله خامر^(٥)، إذا وهب الله لرجل ولداً فقل شكرت ألواهب وبارك لك في الموهوب وبلغ أشده ورزقت برّه.

ما قيل في التعازي:

أبو سلمة الأنصاري قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما أحسن تعزية أهل اليمن، وتعزيتهم لا يحزنكم الله تعالى ولا يفتنكم وأثابكم ما أثناب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة، قال: كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذا عزى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد ما قبله وأهون ما بعده اذكروا فقد رسول الله ﷺ تهن عندكم مصيبتكم صلى الله على محمد وعظم أجركم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إذا عزى قوماً قال: إن تجزعوا فأهل ذلك الرحم وإن تصبروا ففي ثواب الله عوض من كل فائت وإن أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد ﷺ وعظم الله أجركم. وعزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٩.

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٥) جاء في نسخة أخرى «حامر» بالحاء أي ذو حمار بدلاً من «خامر» بالخاء.

بُنِيَ له مات، فقال: عَوَّضَكَ اللهُ مِنْهُ ما عَوَّضَهُ مِنْكَ، وهذا الصبي الذي مات هو الذي كان عمر بن الخطاب، قال: فيه ريحانة أشمُّها، وعن قريب ولد بار أو عدو حاضر. سفيان قال: كان أبو ذر يقول اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا، قال: ودعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من الفقر المدقع والذل المضريع. عزت امرأة المنصور على أبي العباس، مقدمه من مكة فقالت: أعظم الله أجرك، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ولا عَوْضَ أعظم من خلافتك، قالوا: وقال عمر بن عبد العزيز، وقد سمعوا وقع الصواعق ودوي الريح وصوت المطر، فقال وقد فزع الناس: هذه رحمته فكيف نقمته؟! وقال أبو إسحاق: اللهم إِنْ كان عذاباً فاصرفه وإِنْ كان صلاحاً فَرِّدْ فيه وَهَبْ لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، اللهم إِنْ كانت منحة فَمُنَّ علينا بِالْعَصْمَةِ وإِنْ كان عِقَاباً فَمُنَّ علينا بِالْمَغْفِرَةِ، وقال أبو ذر: الحمد لله الذي جعلنا من أمة تُغْفِرُ لهم السيئات ولا تقبل من غيرهم الْحَسَنَات، وكان الفضل بن الربيع يقول: المسألة للملوك من تحية النوكى، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبحت؟ فقل: صَبَّحَكَ اللهُ بالخير، وإذا أردت أن تقول: كيف تجدك؟ فقل: أنزل الله عليك الشفاء والرحمة. قال أحمد الهجيمي أبو عمر أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد: اللهم يا أجودَ الأجودينَ ويا أكرمَ الأكرمينَ ويا أعفى العافينَ ويا أرحمَ أرحمينَ ويا أحكمَ الحاكمينَ ويا أحسنَ الخالقينَ فَرِّجْ عني فرجاً عاجلاً تاماً هنيئاً مباركاً لي فيه إِنَّكَ على كل شيء قدير، وكان عبد الله الشقري، وهو الكعبي أحد أصحاب المضممار من غلمان عبد الواحد بن زيد، وكنيته أبو محمد، وكنية عبد الواحد أبو عبيدة يقول: اللهم إني عبدُكَ وأبْنُ عبدِكَ وأبْنُ أُمَّتِكَ ناصيتي بيدك، اللهم هَبْ لي يقيناً وأدِّمْ لي العافيةَ وأَفْتَحْ عليَّ بابَ رزقي في عافية، وأعوذ بك من النار والعار والكذب والسخف والخسف والقذْف والحقد والغضب وحبيني إلى خلقك وحبهم إليَّ وأسألك فرجاً عاجلاً في عافية، إِنَّكَ على كل شيء قدير.

دعاء الغنوي في حبسه

أعوذ بك من السجن والدين والسب والضرب، ومن الغل والقيد، ومن التعذيب والتجسس^(١)، وأعوذ بك من الحور^(٢) بعد الكور^(٣) ومن شر العدو في النفس والأهل والمال وأعوذ بك من ألهم والأرق ومن ألهم والطلب ومن الاستخذاء^(٤) والاستخفاء، ومن الأطراد والأغراب ومن الكذب والعضيهة^(٥) ومن السعاية والنميمة ومن لؤم القدرة ومقام الخزي في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير.

ومن دعائه في الحبس

أسألك طول العمر في الأمن والعافية والحلم والعلم والحزم والأخلاق الحسنة السنية والأفعال المرضية واليسر واليسر والنماء والتمير وطيب الذكر وحسن الأحداث والمحببة في الخاصة والعامة وهب لي ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والمخاصمة وبارك لي في الموت إنك على كل شيء قدير. وكان صالح المري كثيراً ما يردد في مجلسه: أعوذ بك من الخسف والمسح والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المهلكة وأعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الأعداء، وكان يقول أعوذ بك من التعب والتعذر والخيبة وسوء المنقلب اللهم من أردني بخير فيسر لي خيره ومن أردني بشر فاكفني شره، اللهم أسألك خصب الرحل وصلاح الأهل. وكان عيسى بن أبي المدور يقول: أعوذ بك من الذلة والقلّة ومن الإهانة والمهنة والإخفاق والوحدة، وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة وأعوذ بك من جهد البلاء وشماتة الأعداء، محمد بن عبد الله قال: قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٦) ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة لقوله عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٧) ومن أعطي الاستغفار لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٨) وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى

(١) جاء في نسخة أخرى «التجسس» ومعناها الحبس والإذلال بدلاً من «التجسس».

(٢) الحور: النقصان.

(٣) الكور: الزيادة.

(٤) الاستخذاء: الإفك والنميمة.

(٥) العضيهة: الإفك والنميمة.

(٦) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

عنه -: كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم. وروى محمد بن علي عن آبائه عن النبي ﷺ قال إذا سألتُم الله فسلوه بباطن الكفين وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما. وقال آخر: اللهم إني أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر، أبو سعيد المؤدب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سلوا ربكم حتى الشسع^(١) فإنه إن لم يُسرَّه لم يتيسر، سُحيم عن طاوس قال: يكفي من الدنيا ما يكفي العجيين من الملح. قال سأل رجل رجلاً حاجة فقال المسؤول: اذهب بسلام، فقال السائل: قد أنصفنا من ردنا إلى الله في حوائجنا، مُجالد عن الشعبي قال: قال النبي، ﷺ: اللهم اذهب ملك غسان^(٢) وضع مهور كندة. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله.

رأي الجاحظ بأن أول من نطق بالعربية إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام.

القول في إنطاق الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم صلى الله على نبينا وعليهما بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربياً أعجمي الأبوين وأول من عليه أن يقر بهذا القحطاني فإنه لا بد من أن يكون له أب كان أول عربي من جميع بني آدم ﷺ ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربياً حتى يكون أبوه عربياً وكذلك أبوه وكذلك جدّه، كان ذلك موجباً لأن يكون نوح صلى الله عليه وسلم عربياً وكذلك آدم عليه السلام، قال أبو عبيدة: حدثنا مسمع بن عبد الملك عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن آبائه قال: أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة، قال النبي ﷺ شهدت الفجار^(٣) وأنا ابن أربع عشرة سنة وكنت أنبل على عمومتي، يريد أجمع لهم النبل، قال أبو عبيدة: فقال له يونس: صدقت يا أبا يسار هكذا حدثني نصر بن طريف، وروى قيس بن الربيع عن بعض أشياخه عن ابن عباس أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاماً، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَنُ قَوْمَهُ لِبَيِّنَاتٍ لَهُمْ﴾^(٤) قال: قد يُرسل الله الرسول إلى قومه، ولو أرسل في ذلك الوقت إلى قوم آخرين لما كان الثاني ناقضاً للأول، وإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم، وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمداً ﷺ إلى العجم، فضلاً عن العرب، فقحطان وإن لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الغرض

(١) الشسع: من سيور النعل.

(٢) الغساسنة ملوك بلاد الشام قبل الإسلام.

(٣) حرب الفجار كانت بين قريش وأحلافها على قيس عيلان، انتصرت فيها قريش ومن معها، دامت تلك الحرب أربعة أيام في الأشهر الحرم.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

من سائر العجم، وهذا الجواب جواب عوام النزارية فأما الخواص الخلص فإنهم قالوا: العرب كلهم شيء واحد لأن الدار والجزيرة واحدة والأخلاق والشيم واحدة، وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق في الأخلاق وفي الأعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التي بُنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء فهم في ذلك شيء واحد في الطيبة واللغة والهمة والشمائل والمراعي والراية والصناعة والشهوة، فإذا بعث الله عز وجل نبياً من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب، وكلهم قومه ولأنهم جميعاً يدّ على العجم وعلى من حاربهم من الأمم لأن تناكحهم لا يعدوهم وتصاهرهم مقصور عليهم، قالوا: والمشكلة من جهة الإتفاق في الطبيعة والعادة ربما كانت أبلغ وأوغل من المشكلة من جهة الرحم، نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه، وربما كانت أشبه به خلقاً وخلقاً وأدباً ومذهباً فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حين حوّل إسماعيل عربياً أن يكون كما حول طبع لسانه إلى لسانهم وباعده من لسان العجم أن يكون أيضاً حول سائر غرائزه وسلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب وركبها كيف شاء ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الأخلاق المحموده واللسان البين بما لم يكن عندهم وكما خصّه من البيان بما لم يخصّهم به فكذلك يخصه من تلك الأخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويروقهم فصار باطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل من طبائعه ونقل إليه من طبائعهم وبالزيادة التي أكرمه الله بها أشرف شرفاً وأكرم كرمًا، وقد علمنا أن الخرس والأطفال إذا دخلوا الجنة وحولوا في مقادير البالغين وإلى الكمال والتمام لا يدخلونها إلا مع ألفصاحة بلسان أهل الجنة، ولا يكون ذلك إلا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم، وعلى ذلك المثل إن كلام عيسى ابن مريم صلى الله تعالى على نبينا وعليه في المهدي، وإنطاق يحيى على نبينا وعليه السلام بالحكمة صبيًا، وكذلك القول في آدم وحواء على نبينا وعليه السلام، وقد قلنا في ذنب أهبان بن أوس وغراب نوح وهدد سليمان وكلام النملة وحمار عزيز، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته ومشيتته، وإنما يمتنع البالغ من المعارف من قبل أمور تعرض من الأحداث وأمور في أصل تركيب الغريزة، فإذا كفاهم الله تلك الآفات وحصّنهم من تلك المواضع ووفر عليهم الذكاء وجلب إليهم جياذ الخواطر وصرف أوهامهم إلى التعرف وحبب إليهم التبين وقعت المعرفة وتمّت النعمة، والموانع قد تكون من قبل الأخلاط الأربعة على قدر القلة والكثرة والكثافة والرقّة، ومن ذلك ما يكون من جهة سوء العادة وإهمال النفس، فعندها يستوحش من الفكرة ويستثقل النظر، ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة والقوى المتقسمة، ومن ذلك ما يكون من خرق المعلم وقلة رفيق المؤدّب وسوء صبر المثقف، فإذا صفّى الله ذهنه ونفحه وهذبه وثقفه وفرّغ باله وكفاه أنتظار الخواطر، وكان هو المفيد

له والقائم عليه والمريد لهديته لم يلبث أن يعلم، وهذا صحيح في الأوهام غير مدفوع في العقول وقد جعل الله الخال أباً، وقالوا: الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم. وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف طبائع الأماكن وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات، ولذلك قالوا: فلان ابن بجدها^(١) وفلان ابن بيضة البلد يقع ذماً ويقع حمداً، وقال زياد: والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم، ويقولون ما أشبه الليلة بالبارحة، كأنهم قالوا: ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج، وقال سهل بن عمرو: أشبه امرءاً بعضُ بزه^(٢)، وقال الأصبط بن قريع: بكل واد بنو سعد. ولولا أن الله عز وجل أفرد إسماعيل من العجم وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب لكان بنو إسحاق أولى به، وإنما ذلك كرجل قد أحاط علمه بأن هذا الطفل من نجل هذا الرجل، ولكن لما كان من سفاح لم يجز أن يضيفه إليه ويدعوه إياه وقد جعل الله نسب ابن الملائكة نسب أمه وإن ولد على فراش أبيه. وقد أرسل الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وقومه وإلى جميع القبط، وهما أمتان كنعاني^(٣) وقبطي^(٤)، وقد جعل الله قوم كل نبي هم المبلغين والحجة، ألا ترى أننا نزع أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجم أنهم كانوا عن ذلك عجزة؟! وقال النبي ﷺ: خُصِّصَتْ بأمور منها أني بعثت إلى الأحمر^(٥) والأسود، وأحللت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً، فدل بذلك على أن غيره من الرسل إنما كان يرسل إلى الخاص، وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك الرسول من سائر الأمم أن يكذبه وينكر دعواه، والذي عليه ترك الإنكار والعمل بشريعة النبي الأول، هذا فرق ما بين من بعث إلى البعض ومن بُعث إلى الجميع. انقضى الباب.

ذكر ما حصل في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله ﷺ:

قال: وقال حُباب بن المنذر يوم السقيفة: أنا جديلاًها^(٦) المحكك وعذيقها^(٧) المرجب^(٨) إن شئتم كررناها جذعة^(٩) منّا أمير ومنكم أمير فإن عمل المهاجري شيئاً في

(١) فلان ابن بجدها: يقصد أنه حاذق بعمله.

(٢) البز: الثياب.

(٣) الكنعاني: نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح نزل أبناؤه الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، فكان منهم الفينيقيون وغيرهم.

(٤) الأقباط: سكان مصر القدماء، والتصارى اليوم فيها.

(٥) يقصد بالأحمر: الإنسان الأبيض.

(٦) الجذيل: عود ينصب للإبل الجرباء لتحك جلدها به.

(٧) العذيق: النخلة كلها.

(٨) المرجب: القوي المعظم.

(٩) الجذعة: صغير السن من الأنعام.

الأنصاري ردّ ذلك عليه الأنصاري وإن عمل الأنصاري شيئاً في المهاجري ردّ عليه المهاجري، فأراد عمر الكلام فقال أبو بكر: على رسلك^(١) نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً وأوسطهم داراً وأكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً. وأكثر الناس ولادةً في العرب وأمسهم رجماً رسول الله ﷺ أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فأنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفیء وأنصارنا على العدو وآوئتم ونصرتم وآسيبتم فجزاكم الله خيراً نحن الأمراء وأنتم الوزراء، ولا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، وأنتم محقوقون أن لا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم، قالوا: فإننا قد رضينا وسلمنا. عيسى بن نذير قال: قال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -: نحن أهل الله وأقرب الناس بيتاً من بيت الله وأمسهم رجماً رسول الله ﷺ، إن هذا الأمر إن تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فإن نعق منكم ناعق، فقد جلس بين لحيي^(٢) أسد يضغمه المهاجري ويجرحه الأنصاري، قال ابن دأب: فرماهم والله بالمسكنة. من حديث ابن أبي سفيان بن حويطب عن أبيه عن جدّه قال: قدمت من عمرتي فقال لي أهلي: أعلمت أن أبا بكر بالموت؟ فأتيته فإذا عيناه تذرفان فقلت: يا خليفة رسول الله أما كنت أول من أسلم وثاني اثنين في الغار، فصدقت هجرتك وحسنت نصرتك ووليت فأحسنت صحبتهم وأستعملت خيرهم عليهم؟! قال: وحسناً ما صنعت. قلت: نعم والله، قال: واللّه لله أشكر له وأعلم به ولا يمنعي ذلك من أن أستغفر الله مما خرجت حتى مات. أبو الخطاب الزراري عن حجناء بن جرير قال: قلت: يا أبت إنك لم تهج أحداً إلا وضمّته إلا التيم، قال: إنني لم أجد حسباً فاضعه ولا بناءً فأهدمه. قال: وقيل للفرزدق: أحسن الكميت في مدائحه في تلك الهاشميات قال: وجد أجراً وجصاً فبنى. عامر بن الأسود قال: دخل رجل من ولد عامر بن الظرب على عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فقال له: خبرني عن حالك في جاهليتك، وعن حالك في إسلامك. قال: أما جاهليتي فما نادمت فيها غير لمة ولا هممت فيها بأمة ولا خمت^(٣) فيها عن بهمة^(٤) ولا رأني راءٍ إلا في نادٍ أو عشيرة أو حمل جريرة أو خيل مغيرة. عوانة قال: قال عمر: الرجال ثلاثة رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ورجل متوكل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقبل قولهم، ورجل حائر بائر^(٥) لا ياتمر رشداً ولا يطيع مرشداً، قال: كلّم علباء بن الهيثم السدوسي

(١) على رسلك: تمهل.

(٢) لحيي الأسد: الفكين اللذين فيهما الأسنان.

(٣) خمت: جينت.

(٤) بهمة: شجاع.

(٥) البائر: الضائع التائه الذي لا يهتدي إلى ما يريد.

عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - في حاجة، وكان أعورَ دميماً، جيد اللسان حسن البيان فلماً تكلم في حاجته فأحسن، صعد عمر بصره فيه وحدره فلماً أن قام قال: لكل أناس في جميلهم خبر. أخبرنا عيسى بن يزيد عن أشياخه قال: قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت: عائشة ابنة عثمان وأبنتاه وبكت فقال معاوية: يا ابنه أخي إن الناس أعطونا طاعةً وأعطيناهم أماناً، وأظهزنا لهم جُلماً تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها جُفد، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا؟ ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عرض^(١) المسلمين. وقالت عائشة ابنة عثمان في أبان بن سعيد بن العاصي حين خطبها وكان نزل بأيلة^(٢) وترك المدينة:

[الطويل]

نَزَلَتْ بَيْتَ الضَّبِّ لَا أَنْتَ ضَائِرٌ عَدُواً لَعَلَّهُ مُسْتَنْفَعٌ أَنْتَ نَافِعٌ
أبو الحسن قال: قال سلامة بن رُوح الجذامي لعمر بن العاص: إنه كان بينكم وبين العرب نابٌ فكسرتموه فما حملكم على ذلك؟ طال: أردنا أن نُخرج الحق من جفير^(٣) الباطل، قدم بيعة علي إلى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربي فبايع أبو موسى فقال عمار لعلي: والله لينقضنَّ عهده وليجلنَّ عقده وليفرنَّ جهده وليسلمنَّ جنده. وقال علي في رواية الشعبي: حملت إليكم درة عمر لا ضربكم بها لتنتهوا فأبيتُم حتى اتَّخذت الخيزرانة فلم تنتهوا وقد أرى الذين يُريدون السيف ولاني لأصلحكم بفسادي.

كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرتُ عجبك بذلك فأحببتُ أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفرَ إن شاء الله تعالى، قال همام الرقاشي:

[البيط]

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة^(٤) وفي العتاب حياة بين أقوام
قدمت قبلي رجلاً لم يكن لهم في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي
لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم قبراً وأبعدهم من منزل الذام^(٥)
حتى جعلت إذا ما حاجتي عرضت بباب دارك أدلوها^(٦) بأقوام
وقال أبو العرف الطهوي:

[البيط]

وَإَفَى الْوَفُودُ فَوَاقِي مَنْ بَنَى جَمَلٍ بَكَرُ الْوَفَادَةِ فَإِنِّي أَلَسَنْ عَزُومُ^(٧)

(١) عرض المسلمين: عامتهم.

(٢) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم.

(٣) الجفير: الجعبة، الكنانة.

(٤) المغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى آخر.

(٥) الذام: العيب.

(٦) دلوت بفلان: اشتفعت به.

(٧) العزوم: الشديد المجتمع.

كَزُّ^(١) الْمَلَاطَيْنِ^(٢) فِي السَّرْبَالِ حِينَ^(٣) مَشَى
لَمَّا رَأَى الْبَابَ وَالْبُؤَابَ أَخْرَجَهُ
قَدْ كَانَ لِي بِكُمْ عِلْمٌ وَكَانَ لَكُمْ
أُنْشِدَ فِيهَا أَبُو عَمْرٍو، وَلَيْسَتْ إِلَّا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ. وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ: قَالَ أَبُو
عَبِيدَةَ: الْبَاقِي مَصْنُوعٌ:

[السريع]

يَا أَيُّهَا الْمَزْمُوعُ ثُمَّ انْثَنِي
وَلَا قَعِيدٌ^(٧) أَغْضَبُ^(٨) قَرْئُهُ
بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى وَيَسْعَى لَهُ
يَتْرُكُ مَا رَفَحَ^(٩) مِنْ عَيْشِهِ
قُلْتُ لِعَمْرٍو حِينَ أَرْسَلْتُهُ
لَا تَكْسَعُ^(١٣) الْأَشُولَ بِأَغْبَارِهَا^(١٤)
وَأَضْبَبَ لِأَضْيَافِكَ الْبَائِئِهَا
وَقَالَ زَبَانُ بْنُ يَسَارٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَابِرٍ:

[الوافر]

لِتُخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ
أَشَارَ لَهُ بِحُكْمَتِهِ مَشِيرُ
عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهُوَ الثَّبُورُ^(١٧)
أَحَايِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ
يَجِيءُ بِهِ نَعِيٌّ أَوْ بَشِيرُ
تَخْبِرُ طَيْرَةً فِيهَا زِيَادُ
أَقَامَ كَأَنَّ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ
تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ^(١٦) إِلَّا
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ
وَمَنْ يُنْزَحْ بِهِ لَا بُدَّ يَوْمًا

- (١) الكز: اليايس المتقبض.
(٢) الملاطان: جانبا السنام.
(٣) جاء في نسخة أخرى «حيث» بدلاً من «حين».
(٤) التجزيم: الجبن والعجز.
(٥) الحازي: زاجر الطائر.
(٦) الشاحج: الغراب.
(٧) العقيد: ما جاء من ورائك من صيد.
(٨) أغضب: قدر أو تهيأ.
(٩) تاح: قدر أو تهيأ.
(١٠) جاء في نسخة أخرى «رفح» بالقاف، ومعناه أصلح بدلاً من «رفح» بالفاء ومعناه قام على تنميته المال وإصلاحه.
(١١) الهامج: من يموج بعضه في بعض.
(١٢) حبا: اعترض.
(١٣) تكسع: تضرب بالماء على الضرع فتسمن الناقة.
(١٤) الأغيار: بقية اللبن في الضرع.
(١٥) الوالج: يقصد به الباقي لولدك.
(١٦) الطير: التطير والتشأوم.
(١٧) الثبور: الوليل.

وقال بعض الأعراب :

[الطويل]

لعابُ أَلْغواني وَالمِدامُ أَلْمَشْعِشِيعُ^(٢)
وطيبُ أَلْدهانِ^(٣) رأسه فهو أُنزِعُ
لعين تدجى أو لأذن تسمعُ
وهابُ الرِّجالِ حلقة أَلْبابِ قَعَقَعُوا
له حوكُ بُردِيه أَطالوا وأوسعوا

تجيبَةُ بَطالٍ^(١) لَدُنْ شَبِّ هَمِه
جلا المسكُ والحمامُ وَالْبَيْضُ كَالْدُما
أَسِيلَمِ ذاكُمْ لا خفا بمكانه
مِنْ أَلْنَفِرِ أَلْشُّمِ الَّذِينَ إِذا أُنْتَدُوا^(٤)
إِذا أَلْنَفِرِ السُّودِ الِيمانونَ نَمْنَمُوا^(٥)

وقال بعض الأعراب :

[الكامل]

ما دامَ يملكها عليّ حرامُ
ما دامَ يَسْلُكُ في أَلْبَطونِ طَعامُ
زادَ يَمَنُّ عليهم لَلْئامُ
لَعْناً يَشُنُّ عليه من قدامُ

أَلْبانُ إِبِلٍ تَعْلَةُ بنِ مَسافِرٍ
وطعامُ عِمْرانَ بِنِ أَوْفى مِثْلُهُ
إِنِ الَّذِينَ يَسوِغُ في أَخلاقِهِمْ^(٦)
لَعَنَ أَلْأَلَةَ تَعْلَةَ بَنِ مَسافِرٍ

وقال بعض الأعراب :

[الطويل]

بيشرب حتى نِيَّها متظاهِرُ
سَنامُكَ مَلْمومُ^(٨) وَنابُكُ فاطِرُ
تقلبُ عينيها إِذا مَرَّ طائرُ

نَجِيبَةُ قَوْمِ شادها أَلَقَتْ^(٧) والنوا
فقلتُ لها سيري فما بك علةُ
فمثلك أو خيراً تركت رزية^(٩)

وقال بعض الأعراب مجهول الاسم ، وهو من جيد محدث أشعارهم :

[الطويل]

ببطن فليج والاسنةُ جَنحُ
رَأَوْا أَنَّ إِقْراراً على الضَّيْمِ أَرْوَحُ

حَفَرْنَا على رَغَمِ أَلْلهازِمِ^(١٠) حُفْرَةَ
وقد غضبوا حتى إِذا مَلَأُوا الرُّبى

وقال رجل من محارب :

[الوافر]

وَأَنْتَ إِخالُ مُعْطى لو تقومُ

وقائِلَةُ تَطوَّفُ في جِدادٍ^(١١)

(٢) المشعشع : الممزوج بالماء .

(١) البطال : الشجاع .

(٣) جاء في نسخة أخرى «وفرق المداري» بدلاً من «وطيب الدهان» .

(٤) جاء في نسخة أخرى «اتنموا» بدلاً من «انتدوا» .

(٥) جاء في نسخة أخرى «حاولوا» بدلاً من «نمنموا» .

(٦) جاء في نسخة أخرى «أعناقهم» بدلاً من «أخلاقهم» .

(٨) الملموم : المجموع .

(٧) القت : نبات يابس تراعاها الإبل .

(١٠) اللهازم : لقب لبني تميم الله بن ثعلبة .

(٩) الرزية : المهزولة من شدة السير وكثرته .

(١١) جداد النخل : قطف ثمره .

فَقُلْتُ الضَّارِبَاتُ الطَّلَحُ وَهَنَا
قَصْرُنَ عَلَيَّ بَعْدَ اللَّهِ فَقُرِي
وقال بعض الطائيين وهو حاتم:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي حَيَاءً يَسْرُنِي
إِذَا كَانَ أَصْحَابُ الْإِنَاءِ ثَلَاثَةً
فَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَكِيلِي أَنْ يَرَى
أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُمْ
وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلُهُ
قال: وأظنها لبعض اليهود:

وَإِنِّي لَأَسْتَبْقِي إِذَا الْعُسْرُ مَسَّنِي
فَأَعْفِي ثَرَى قَوْمِي وَلَوْ شِئْتُ تَوَلَّوْا
مَخَافَةَ أَنْ أَقْلِي^(٤) إِذَا جِئْتُ زَائِراً
فَأَسْمَعَ مَنّاً^(٥) أَوْ أَشْرَفَ مَنْعِماً
وقال بعض بني أسد:

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُمْ
وَلَوْلَا عُرَيْقُ فَيٍّ مِنْ عَصْبِيَّةٍ
وَلَكِنْ نَفْسِي لَمْ تَطْبُ بِعَشِيرَتِي
وقال ثروان أو ابن ثروان مولى لبني عُذرة:

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيْلَانَ لَمْ تَجِدْ
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا
أَوَّلَيْكَ قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ
جَفَاءً^(٧) الْمَحْزُ^(٨) يُصِيبُونَ مَفْصَلاً

عَلَى يَمْنَايَ إِذْ وَضَحَ النُّجُومُ
فَلَا أَسْأَلُ الصَّدِيقَ وَلَا أَلُومُ

[الطويل]

إِذَا أَلُومُ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ تَطَلَّعَا
حَيّاً وَمُسْتَحِياً وَكُلْباً مَجْشَعَا^(١)
مكان يدي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا^(٢)
إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجْتُنَا مَعَا
وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى أَلْذَمِّ أَجْمَعَا

[الطويل]

بَشَاشَةً وَجْهِي حِينَ تَبَلَى الْمَنَاقِعُ
إِذَا مَا تَشَكَّى الْمُلْحِفُ^(٣) أَلْمُتْضَارِعُ
وَتُرْجَعُنِي نَحْوَ الرِّجَالِ أَلْمَطَامِعُ
وَكُلِّ مَصَادِي^(٦) نَعْمَةٍ مُتَوَاضِعُ

[الطويل]

فِدَى لَفْتَى الْفَتِيَانِ يَحْيَى بْنَ حِيَانٍ
لَقُلْتُ وَأَلْفَا مِنْ مَعَدٍّ بَنَ عَدْنَانٍ
وَطِبْتُ لَهُ نَفْساً بِأَبْنَاءِ قَحْطَانٍ

[الطويل]

عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دَرَهْمَا
فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَ وَتُغْرَمَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعْفُ وَأَكْرَمَا
وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذَمَا^(٩)

(١) المشجع: الحريص على الطعام.

(٢) أقرع: خالياً.

(٣) الملحف: الملح والمبالغ في السؤال.

(٤) أقلى: أبغض.

(٥) المن: الفخر.

(٦) المصادي: المداري والمداجي.

(٧) جفأة: مفردة جاف وهو الكز الغليظ.

(٨) المحز: الرجل الغليظ.

(٩) التخذم: القطع بالسكين.

وقال آخر:

[الطويل]

وَيَا أَبْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
أَكِيلًا فَلِإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحَدِي
أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
خَفِيفُ الْمَعَى ^(١) بِإِدْيِ الْخِصَاصَةِ ^(٢) وَالْجَهْدِ
يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِمَةِ الْعَبْدِ

أَيَا أَبْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ
إِذَا مَا عَمَلْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
كَرِيمًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي
وَكَيْفَ بِشَبْعِ الْمَرْءِ زَادًا وَجَارُهُ
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلِ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًّا

وقال ابن عبدل:

[الطويل]

طَمَاطُمٌ ^(٣) سَوْدٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ ^(٤) حَمْرُ
يَكُونُ لِشِرِّ عِنْدَهَا ^(٥) الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ
حَذَارَ الْغَوَاشِي ^(٧) بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ

وَلَوْ شَاءَ بِشَرٌّ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ
وَلَكِنْ بِشَرًّا سَهَّلَ الْبَابَ لِلَّتِي
بَعِيدُ مَرَادِ الْعَيْنِ ^(٦) مَا رَدَّ طَرَفُهُ

وقال بعض الحجازيين:

[البسيط]

لَمْ يُنْكَرِ الْكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ
وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدُ أَذْكِيهِ عَلَى النَّارِ
وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزَّقِّ وَالْقَارِ

لَوْ كُنْتُ أَحْمَلُ خُمْرًا يَوْمَ زُرْتُكُمْ
لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحَ الْمَسْكَ يُفْعِمُنِي ^(٨)
فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي

وقال ابن عبدل:

[الخفيف]

ثَى إِذَا مَا غَدَا أَبُو كُلْثُومٍ
مِنْ غَدَاءٍ مَلْبِقٍ ^(١١) مَأْدُومٍ
سِ فَاَلْقَى كَالْمَعْلَفِ الْمَهْدُومِ

نِعْمَ جَارُ الْجَزِيرَةِ ^(٩) الْمَرْضِعُ الْغُرُ
طَاوِيًّا ^(١٠) قَدْ أَصَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ
ثُمَّ أَنَحَى ^(١٢) بِجَعْرِهِ ^(١٣) حَاجِبَ الشَّمْسِ

(٢) الخصاصة: شدة الفقر.

(١) المعى: مفردة أمعاء.

(٣) الطمطم: مفردة طمطم، وهو من بلسانه عجمة.

(٤) الصقالبة: بلادهم تقع بين بلاد البلغار والقسطنطينية.

(٥) جاء في نسخة أخرى «غبها» ومعناها بعدها وعاقبتها بدلاً من «عندها».

(٧) الغواشي: الزائرون.

(٦) مراد العين: مدى النظر.

(٨) يفعمني: يملأني.

(٩) جاء في نسخة أخرى «الخنزيرة» بدلاً من «الجزيرة».

(١٠) طاوياً: جائعاً.

(١١) الملبق: المدسم.

(١٢) انحى به: مال به.

(١٣) الجعر: ما يبس من النجو.

وقال حبيب بن أوس :

وحياةُ الْقَرِيضِ إحياءُكَ الْجَوِ
يا محبَّ الإحْسَانِ في زَمَنِ أَصْدِ

وقال :

ثُمَّ أَطْرَحْتُمْ قَرَابَاتِي وَأَصْرَتِي

وقال :

وطلَّعةُ الْحَمْدِ ^(١) أَفْلَى في عيونهمِ

وقال :

إِيَّاكَ يَعْني الْقَائِلُونَ بقولهم
مِنْ شَاغِرٍ وَقَفَ الْكَلَامُ بِبَابِهِ
سِرٌّ حَيْثُ شِئْتُ مِنْ الْبِلَادِ فلي بها
قَدْ نَقَّضْتُ مِنْهُ الشَّامُ وَسَهَّلْتُ

وقال :

بنو عبد الكريم نجومٌ لَيْلٍ
إذا كَانَ الْهَجَاءُ لَهُمْ ثَوَاباً

وقال :

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ صَدِّ

وقال :

نَقَلَ فَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتُ مِنَ الْهَوَى
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى

وقال :

اشْرَبْ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّهُ
عَادَاكَ أَسْوَارُ الْكَلَامِ بِشَرِّ

[الخفيف]

دَفِإُنْ مَاتَ الْجَوْدُ مَاتَ الْقَرِيضُ
بَحَّ فِيهِ الْإِحْسَانُ وَهُوَ بَغِيضُ

[السيط]

حَتَّى تَوْهَّمْتُ أَنِّي مِنْ بَنِي أَسَدِ

[السيط]

وفي صدورهم من طلعة الأسدِ

[الكامل]

إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ
وَأَكْتَنَ ^(٢) فِي كَنْفِي ذُرَاهُ ^(٣) الْمَنْطِقُ
سُورٌ عَلَيْكَ مِنَ الرِّجَالِ وَخَنْدَقُ
مِنْهُ الْحِجَارُ وَرَقَّقَتْهُ الْمَشْرِقُ

[الوافر]

تَرَى فِي طَيِّئٍ أَبَدًا تَلُوحُ
فَخَبَّرَنِي لِمَنْ خُلِقَ الْمَدِيحُ

[الخفيف]

بَّ أَدِيبٍ مَتِيئٍ بِأَدِيبِ

[الكامل]

مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
وَحَنِئْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

[الكامل]

قَدَحُ يُصِيبُ الْعَرَضَ مِنْهُ خُمَارُ
عَوْنُ الْقَرِيضِ حُتُوفُهَا أَبْكَارُ

(١) جاء في نسخة أخرى «الشعر» بدلاً من «الحمد».

(٢) اكنن : استتر.

(٣) الذرا : الكنف، الظل.

غرر متى ما شئت كن شواهدي
وقال سلمة بن الحرث الأنماري:

أبلغ سُبَيْعاً وأنت سيّدنا
أنّ بَغِيضاً وأنّ إخوتها
نُبِئت أنّ حَكْموكَ بينهم
أنّ كُنْتَ ذا عِرْفَةٍ^(١) بشأنهم
وتُنزِلُ الأمرَ في منازلِهِ
ولا تبالي من المحقّ ولا المُب
فأحكّم فأنّت الحكيمَ بينهم
وأصدع أديمَ السَّوَاءِ بينهم
إنّ كانَ مالاً ففُضَّ عدّتهُ
هذا وإنّ لم تُطقْ حكومتهم
وقال آخر:

أبلغ ضِراراً أبا عمرو مغلغلةً^(٤)
أرهن قبضةً إنّ صلح هممت به
إنّ صَحِيكَ قَتِيلٌ من سراتكم
وأنه عُبيداً فلا يُؤذِي عشيرتهُ
وقال آخر:

بني عديّ ألا ينهي سفيهمكم
وقال حضرمي بن عامر الأسدي ومات أخوه فقال جزء قد فرح بأكل الميراث:
قد قال جزء ولم يقل جلالاً^(٦)
إنّ كُنْتَ أَرْنُتَنِي^(٩) بها كذباً

إن لم يكن لي والد عطاز

[المنسرح]

قَدَمًا وأوفى رجالنا ذِمّما
ذُبَيانَ قد ضَرَمُوا الذي أضطرمّا
فلا يقولنّ بئس ما حَكَمّا
تعرفُ ذا حقهم ومن ظَلَمّا
حَزَمًا وعزماً وتحضّر ألفهما
طل لا ألة^(٢) ولا ذِمّما
لن يعدموا الحُكْمَ ثابتاً صتّما^(٣)
على رضا من رضي ومن رَغَمّا
مالاً بمالٍ وإنّ دَمًا فدَمّا
فأنبذ إليهم أمورهم سلّما

[البيسط]

أنّ كلّ قولك ظهر الغيب يأتينا
إنّ ضِراراً لكم رهنٌ بما فينا
وإنّ حطّانٍ مِنّا فأعدّلوا الدّينا^(٥)
نهيك خير له من نهى ناهينا

[البيسط]

إنّ السّففيه إذا لم يُنه مأمور

[المنسرح]

إنّي تروّختُ ناعماً^(٧) جذلاً^(٨)
جزء فلاقيت مثلها عَجلاً

(٢) الألة: السلاح وأدواته.

(٤) المغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى آخر.

(١) عِرْفَة: معرفة.

(٣) الصّتم: الشّد يد الصلب.

(٥) الدين: الجزاء.

(٦) جاء في نسخة أخرى «أمما» ومعناه قصداً بدلاً من «جللاً» وهنا بمعنى الأمر الحقير الهين.

(٧) الناعم: المقيم بالنعيم.

(٩) أَرْنُتَنِي: اتهمّني.

(٨) الجذل: الفرخان.

أَفَرَحُ أَنْ أُرْزَأَ^(١) أَلْكَرَامَ وَأَنْ

وقال حُرَيْثُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مَرَارَةَ:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ لَمَّا رَأَيْتُهَا
فَإِنْ تَعْجَبِي مِنِّي عَمِيرٌ فَقَدْ أَتَتْ
وَأَنِّي لَمِنْ قَوْمٍ تَشِيبُ سَرَائِهِمْ
وَلَوْ لَقِيتُ مَا كُنْتُ أَلْقَى مِنَ الْعَدَى
وَلَكِنِّهَا فِي كُلِّ^(٦) شَتْوَةٍ
تُصَانُ وَتُعَلُّ الْمِسْكَ حَتَّى كَانَتْهَا

[الطويل]

تَنَكَّرَتْ حَتَّى كِدْتُ مِنْكَ أَهَالُ
لَيْالٍ وَأَيَّامٌ عَلَيَّ طَوَالُ
كَذَلِكَ وَفِيهِمْ نَائِلٌ وَفِعَالُ
إِذَا سَالَ^(٥) مِنْهَا مَفْرَقٌ وَقَذَالُ
وَفِي الصَّيْفِ كُنَّ بَارِدٌ وَحِجَالُ^(٧)
إِذَا وَضَعْتُ عَنْهَا النِّصِيفَ^(٨) غَزَالُ

[البسيط]

وقال بعض الخوارج لامرأته وأرادت أن تنفر معه:

إِنَّ الْحَرُورِيَّةَ^(٩) الْحَرَّ إِذَا رَكَبُوا
إِنْ يَرْكَبُوا فَرَسًا لَا تَرْكَبِي فَرَسًا

[الكامل]

فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرِبِ
فَتَأْوُهِ مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحْوِبِي
إِنْ كُنْتَ سَأَلْتِي غَبُوقًا^(١٠) فَأَذْهَبِي
هَذَا غَبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ
إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
وَأَبْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
أُقَرَّنُ إِلَى شَرِّ الرِّكَابِ وَأَجْنَبِ

لَا تَذْكُرِي مَهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ
إِنَّ الْغَبُوقَ لَهُ وَأَنْتِ مَسْوּءَةٌ
كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٍ
إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي
إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِدْجُهُ^(١١)
وَأَنَا أَمُرُّوْ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُوءٌ

وأراد أعرابي أن يسافر فطلبت إليه امرأته أن تكون معه فقال:

[الرجز]

إِنَّكَ لَوْ سَافَرْتَ قَدْ مَذَحْتَ^(١٢) وَحَكَكَ الْحَنَوَانُ^(١٣) فَانْفَتَحَتْ^(١٤)

(٢) الذود: دون العشر من الإبل.

(٤) النبل: الصغار الأجسام.

(٦) الكلة: ستر يتوقى فيه من البق.

(٨) النضيف: الحجاب والخمار.

(١٠) الغبوق: ما يشرب من الخمر عند المساء.

(١٢) مذح: اصطكت ركبته والتوتا.

(١) رزأه: نقصه.

(٣) الشصائص: الناقة القليلة اللبن.

(٥) جاء في نسخة أخرى «شاب» بدلاً من «سال».

(٧) الحجال: بيت كالقبة يستر بالثياب.

(٩) الحرورية: طائفة من الخوارج.

(١١) الجدج: الهودج تركبه النساء.

(١٣) الحنوان: كل عود أعوج من السرج.

(١٤) جاء في نسخة أخرى «فانفشت» ومعناه «تباعده ما بين رجله» بدلاً من «فانفتحت».

وقلت هذا صوتُ ديكٍ تحتي

المذح: سجح^(١) إحدى الفخذين بالأخرى. وفي شبيه بهذا المعنى الأول يقول

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مَلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالٍ كِفَاهَا كُلِّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخَرَ الدَّهْرِ تَسْهَرُ

وقال سلامة بن جندل هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود بن عمرو

ابن مرثد وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً في يده فأطلقه له:

[الطويل]

سَأَجْزِيكَ بِأَلْوَدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَعُ إِنِّي سَوْفَ أَجْزِيكَ صَغْصَعَا
سَأُهْدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعْلَعَا^(٢)
فَلِإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ أَبَاكَ فَلِإِنَّا وَجَدْنَاكَ مُحَمَّدٌ الْخَلَائِقِ أَرْوَعَا
وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مَائَةً مَعَا

قال: الشناء والمدحة أحب إلينا. وقال أوس بن حجر حين حبس وأقام عند

فضالة بن كندة وتولت خدمته حليلة ابنة فضالة شاكراً لذلك:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءً^(٣) ثَوَابَهَا حَلِيمَةً إِذْ أَلْقَى مَرَايِي مَقْعَدِ
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِأَلْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي^(٤) وَحَلَّ بِفُلْجٍ^(٥) فَالْقَنَافِذِ^(٦) عَوْدِي
وَقَدْ غَبَرَتْ^(٧) شَهْرِي ربيعِ كِلَيْهِمَا بِحَمَلِ الْبَلَايَا^(٨) وَالْخَبَاءِ الْمَدْدِ
وَلَمْ تُلْهِهَا تِلْكَ التَّكَالُيفُ أَنَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْرُومَةٍ^(٩) وَتَخَرْدِ^(١٠)
هِيَ أَبْنَةُ أَعْرَاقٍ كَرَامٍ نَمِيَّتْهَا إِلَى خُلُقٍ عَفْوٍ^(١١) بَرَاظِهِ قَدِ
سَأَجْزِيكَ^(١٢) أَوْ يَجْزِيكَ عَنَا مَثُوبٌ وَحُسْبُكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي

وقال الخزيمي^(١٣):

[الطويل]

وَلَمْ أَجْزِهِ إِلَّا الْمَوَدَّةَ جَاهِداً وَحُسْبُكَ مَنِّي أَنْ أَوَدَّ فَأَجْهَداً

(١) السجح: القشر والخدج.

(٣) الثواء: الإقامة.

(٥) الفلج: اسم موضع.

(٧) غبرت: مكثت.

(٩) أكرومة: من الكرم.

(١١) جاء في نسخة أخرى «خلق عف» بدلاً من «خلق عفو».

(١٢) جاء في نسخة أخرى «سنجريك» بدلاً من «سأجزيك».

(١٣) جاء في نسخة أخرى «الخريمي» بدلاً من «الخزيمي» بالزاي.

(٢) لعلع: اسم موضع بالبادية.

(٤) الضمانة: الداء بالعاهة.

(٦) القنافذ: اسم موضع.

(٨) البلايا: النياق المتعبة.

(١٠) تخرد: أن تصبح المرأة خريدة.

وقال الأسدي :

[الطويل]

وَإِنِّي أَحَبُّ الْخُلْدِ لَوْ أَسْتَطِيعَهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ

وقال الحادرة :

[الطويل]

فَأَتْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ بِإِحْسَانِنَا^(١) إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ

وَأُنْشِدُ الْأَصْمَعِي لِمَهْلَهْل :

[الطويل]

فَقْتَلًا بِتَقْتِيلِ وَعَقْرًا بِعَقْرِكُمْ جَزَاءَ الْعِطَاءِ^(٢) لَا يَمُوتُ مَنْ أَثَارُ

وَضَافَ أَبُو الشَّيْلِ الْعَنْبَرِي^(٣) بَنِي حَكَمَ ، فَخَذَا مِنْ عَنَزَةٍ فَقَالَ :

[الوافر]

أَرَانِي فِي بَنِي حَكَمَ قَصِيًّا^(٤) عَلَى قَتَرٍ أَزُورُ وَلَا أَزَارُ
أُنَاسٌ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرُ وَالْقَتَارُ^(٥)

وقال آخر :

[الطويل]

إِذَا مَدَّ أَرْبَابُ الْبُيُوتِ بِيُوتَهُمْ عَلَى رُجَحِ الْأَكْفَالِ أَلَوْنَهَا زُهْرُ
فَلِنْ لَنَا مِنْهَا خِبَاءٌ يَحْفُنَا إِذَا نَحْنُ أَمْسِينَا الْمَجَاعَةَ وَالْفَقْرُ

وقال آخر وهو أبو المهوش الأسدي :

[الوافر]

تَرَاهُ يَطُوفُ الْأَفَاقَ حِرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لِقْمَانَ بْنِ عَادٍ

وقال أيضاً :

[الكامل]

وَبَنُو الْفُقِيمِ قَلِيلَةٌ أَحْلَامُهُمْ تُطُّ^(٦) أَلْحَا مُتَشَابَهُهُ أَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانٍ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانِ
مَتَابُطِينَ بَنِيَّهِمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرُ الْأُنُوفِ لَرِيحِ كُلِّ دَخَانِ

وقال آخر :

[البسيط]

وَجِيرةَ لَنْ تَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَهُمْ إِذَا يَكُونُ لَهُمْ عَيْدٌ وَإِفْطَارُ

(١) جاء في نسخة أخرى «بإحساننا» بالباء بدلاً من «بإحساننا» .

(٢) جاء في نسخة أخرى «العطاس» بالسین بدلاً من «العطاء» بالهمزة .

(٣) جاء في نسخة أخرى «العنزي» بدلاً من «العنبري» .

(٤) جاء في نسخة أخرى «غريباً» بدلاً من «قصياً» .

(٥) القُتَار : رائحة الشواء .

(٦) تُط : مفردة أُنْط وهو قليل شعر اللحية .

إِنْ يُوقِدُوا يَوْسَعُونِي^(١) مِنْ دَخَانِهِمْ وَلَيْسَ يَبْدُو لَنَا مَا تُنْضِجُ النَّارُ

وقال أبو الطروق الضبي في خاقان بن عبد الله بن الأهتم:

[الوافر]

وَشَلَّكَ النَّاسُ فِي خَاقَانَ لَمَّا
وَقَالَتْ أُخْتُهْ إِنِّي بَرَاءُ
وَلَمْ يُسْمَعْ^(٢) بِحَمَلٍ قَبْلَ هَذَا
فَنَافَرَهَا فَالْحَقَّهْ شَبِيبُ
وقال مكي بن سودة البرجمي فيه:

[البسيط]

تَحِيرُ اللَّوْمُ يَبْغِي مِنْ يُحَالِفُهُ
أَزْرَى بِكُمْ يَا بَنِي خَاقَانَ أَنْكُمْ
سَفَاكَةُ لِدْمَاءِ الْقَوْمِ أَكْلَةٍ
لَوْ تَسْأَلُونَ بِهَا أَيُّوبَ جَاءَكُمْ
أَيَّامُ تَعْطِيهِ خَرَجًا^(٣) مِنْ حِجَامَتِهَا
فَلِنْ رَدُّتُمْ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ أَتَى
ثُمَّ اشْتَرَاهَا أَبُو خَاقَانَ حِينَ عَسَتْ
فَأَسْتَدَّ خَلَّتْهَا وَلَا يَدْرِي بِمَا فَعَلَتْ
وقال اللعين المنقري في آل الأهتم:

[الطويل]

وَكَيْفَ تَسَامُونَ^(٦) الْكَرَامَ وَأَنْتُمْ
بَنُو مُلْصِقٍ^(٧) مِنْ وَلَدٍ حَذَلَمٍ^(٨) لَمْ يَكُنْ
وقال آخر:

[البسيط]

قَالَتْ عَهْدْتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّبَابَ جَنُونَُ بُرُؤُهُ الْكِبَرُ

(١) جاء في نسخة أخرى «يوسعونا» بدلاً من «يوسعوني».

(٢) جاء في نسخة أخرى «تسمع» بالتاء بدلاً من «يسمع» بالباء.

(٣) الخرج: الإتاوة.

(٤) أربان: لغة في عربان.

(٥) جاء في نسخة أخرى «اضطربت» ومعناه اضطربت بدلاً من «ركضت».

(٦) تسامون: تفاخرون.

(٧) الملصق: الدعي، وليس يرتبط إلى القوم بنسب.

(٨) جاء في نسخة أخرى «حذكم» بالكاف بدلاً من «حذلم» باللام.

وقال أعرابي ، وهو أبو حية النميري :
رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَلَا رَبَّ يَوْمَ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَتْهَا
رَمِيمٌ أَلَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا
وقال أبو يعقوب الأعور :

عَشِيَّةَ أَرْأَمَ الْكِنَاسَ رَمِيمٌ
ولكن عهدي بالنضال قديمٌ
ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ بِهِمُ

[الطويل]

على أَنَّهُ مَا كَانَ فَهُوَ شَدِيدٌ
فَتَبَلَى بِهِ الْأَيَّامُ وَهُوَ جَدِيدٌ

بقلبي سقامٌ لَسْتُ أَحْسَنُ وَضْفَهُ
تَمَرُّ بِهِ الْأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا
وقال الثقفى :

[البيط]

إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ
وَيَأْنَفُ الضَّيْمِ إِنْ أَثَرَى لَهُ عَدْدُ

مَنْ كَانَ ذَا عَضْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ

وقال أشجع السلمي في هارون أمير المؤمنين :

رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ

وعلى عدوك يا أَبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
فإِذَا تَنَبَّهَ رَغْتَهُ وَإِذَا هَدَى

وقال :

[المنسرح]

دُنْيَا فَهَاتَانِ غَايَتَا الْهَمِّ

انْتَجِعِ الْفَضْلَ أَوْ تَخْلُ مِنْ أَلٍ

وقال :

[المقارب]

يَعْمُ الْبَرِيَّةُ مِنْ دَائِهَا
رَمَتْكَ بِمَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا
وقالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذه إلا بيت

أَبَتْ طَبَرَسْتَانُ إِلَّا الَّذِي ^(١)
ضَمَمْتُ مَنَاكِبَهَا ضَمَّةً

عنترة :

[الكامل]

غَرِدَا كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمَتَرْنَمِ
فَعَلِ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

فتري الذباب بها يغني وحده
هَزِجاً يَحْكُ ^(٢) ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ

وقال الفقيمي قاتل غالب أبي الفرزدق :

[الطويل]

أَنَاخَ قَلِيلاً فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ

وَمَا كُنْتُ نَوَاماً وَلَكِنْ ثَائِراً

(١) جاء في نسخة أخرى «التي» بدلاً من «الذي» .

(٢) جاء في نسخة أخرى «غراً يسن» بدلاً من هزجاً يحك» وهزجاً : مغنياً .

فأصَبَحْتُ أَذْرِي اليَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ

[الطويل]

فإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْقَرِيضَ الْمُفْجِمَ

[مجزوء الوافر]

لَ هَذَا الدَّهْرُ أَنْتَ حَبُّ
بَنِي عَمِّي وَإِنْ قَرُبُوا
إِلَيَّ وَزَادَهُ النَّسَبُ
سَاعَةً لَا يَعْدُ أَبُ
فَتَيَّ قَوْمَ إِذَا رَكِبُوا
يَرْقُبُنَا وَيَرْتَقُبُ
إِذَا تُدْعَى لَهَا تَثْبُ
هَمُّ وَالْبَيْضُ وَالْيَلْبُ^(٣)
لَ قَسْطَنطِينِ وَأَنْقَلَبُوا
أَبَاءَ الْفَتَى نُجُبُ

[الطويل]

تَفَتَّيْتُ وَأَبْتَعْتُ الشَّبَابَ بَدْرَهُمِ

[الخفيف]

بَعْدَ هِنْدَ لَجَاهِلٍ مَغْرُورُ
كُلَّ شَيْءٍ يَجَنُّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
آيَةُ الْحَبِّ حُبُّهَا خِيَتَعُورُ^(٤)

[البيط]

مِنْهَا الْمِرَارُ وَبَعْضُ الْمَرَّمَا كُولُ

وَقَدْ كُنْتُ مَخْزُونُ^(١) اللِّسَانِ وَمُفْجِمًا^(٢)

وَقَالَ أَبُو الْمُثَلَّمِ الْهَذَلِي:

أَصْخَرَ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ شَاعِرًا
وَقَالَ الْهَذَلِي:

عَلَى عَبْدِ بَنِ زُهْرَةَ طَو
أَخْ لِي دُونَ مَنْ لِي مِنْ
طَوَى مَنْ كَانَ ذَا نَسَبٍ
أَبُو الْأَضْيَافِ وَالْأَيْتَامِ
أَلَا لِلَّهِ دَرْكٌ مَرْمِ
وَقَالُوا مَنْ فَتَّى لِلشَّغَرِ
فَكُنْتُ أَخَاهُمْ حَقًّا
وَقَدْ ظَهَرَ السَّوَابِغُ فِيهِ
أَقَامَ لَدَى مَدِينَةِ آ
نَجِيبًا حِينَ يَدْعَى إِنْ
وَقَالَ أَدَهْمُ بْنُ مَحْرُزٍ الْبَاهِلِي:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ شَانَ أَهْلَهُ

وَقَالَ أَكَلُ الْمَرَارِ الْمَلِكُ:

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ
حَلَوَةُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَمَرُّ
كُلِّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَتْ لَكَ مِنْهَا
وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ:

مَا قِيلَ فِي النِّسَاءِ:

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَثْنَ مَعًا

(١) جاء في نسخة أخرى «مَجْرُور» بدلاً من «مَخْزُون».

(٢) المفجِم: المغلوب على أمره، يحار جواباً.

(٣) اليب: الدروع من الجلد.

(٤) الخيتعور: متلون لا يدوم على حال.

فَلِإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَّ مَفْعُولٌ
وَهَنْ بَعْدَ مَلَاوِيْمٍ مَخَاذِيلُ

[الطويل]

بَصِيرٌ بِأَذْوَاءِ النَّسَاءِ طَبِيبٌ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهَنْ نَصِيبٌ
وَشَرُّهُ الشَّبَابُ عِنْدَهَنْ عَجِيبٌ

[الطويل]

مِنْ أَلْعِيشِ أَوْ أَرْجُو رِخَاءٍ مِنْ أَلْدَهْرِ
أَلْهَفِي عَلَى تِلْكَ الْغَطَارِفَةِ أَلْزُهْرِ
وَشَرٌّ فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

[الطويل]

وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَذْبَرَ
فَهَلَا تَرَكَنَ النَّبْتَ مَا كَانَ أَخْضَرَ
عِنَا جِيجٍ ^(٤) أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضَمْرًا
يَرَى أَلْمُوتَ فِي بَعْضِ أَلْمُوَاطِنِ أَعْذَرًا
رَأَى أَلْمُوتَ تَحْدُوهُ أَلْأَسْنَةُ أَحْمَرًا
وَمَا كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعْيِرَا

[الطويل]

وَلَلَّهُ أَنْ يَشْفِيكَ أَرْعَى وَأَوْسَعُ
أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

[الطويل]

مَكَانَ الْأَسَى لَكُنْ بَنِيْتُ عَلَى الصَّبْرِ

إِنَّ النَّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ
لَا يَنْثَنِينَ لِرِشْدٍ إِنْ صَرَفْنَ

وَقَالَ عُلُقَمَةُ بْنُ عَبْدِةٍ:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ^(١)
يُرِدُّ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَنَّهُ

وَقَالَ أَبُو الشَّغْبِ السَّعْدِيُّ:

أَبْعَدَ بَنِي الزَّهْرَاءِ أَرْجُو بِشَاشَةً
غَطَارِفَةً زَهْرٌ مَضُوءٌ سَبِيلُهُمْ
يَذَكِّرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ

وَقَالَ أَبُو حِزَامَةَ ^(٢) فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِرَةَ:

أَلَا لَا فَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةَ الْفَتَى
وَكَانَ حَصَادًا لِلْمَنَايَا أَزْدَرَعْنَهُ
لِحَا أَلَلَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَرَفَعُوا ^(٣)
أَمَا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِيطَةٍ ^(٥)
يَكُرُّ كَمَا كُرَّ الْكَلْبِيُّ بَعْدَمَا
فَكَرَّ عَلَيْهِ أَلْوَرْدُ يَذْمِي لُبَّائُهُ

وَقَالَ أَعْرَابِي:

رِعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي

وَقَالَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ:

وَقَالُوا أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى

(١) جاء هذا الشطر في نسخة أخرى على النحو التالي: «إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ أَوْ شَابَ رَأْسُهُ» بدلاً من «إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ».

(٢) جاء في نسخة أخرى «حِزَابَةً» بالباء بدلاً من «حِزَامَةً».

(٣) رفعوا: أبعدوا.

(٥) الحفيفة: الحمية والغضب.

(٤) العناجيج: كرام الخيل والإبل.

على الْجَدَثِ الْبَاقِي^(١) قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ
وعزَّ الْمَصَابُ وضعَ قبرٍ إلى قبرٍ
أَبُوا غَيْرُهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
لدى ثائر^(٣) يسعى بها آخر الدهر
ونلحمه حيناً فليس بذئ نكراً
بنا إن أصبنا أو نُغَيِّرُ عَلَى وَثِرٍ
فلا ينقضي إلا ونحنُ على شَطَرٍ

[الطويل]

فلم تُنْطِقِ الْعُورَاءُ^(٤) وهو قريبٌ
جميلُ الْمُحَيَّا شَبَّ وَهُوَ أَدِيبٌ
إذا نال خلاتِ الْكَرَامِ شُحُوبٌ^(٥)
مَعَ الْجِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ نَجِيبٌ^(٦)
قريباً ويدعوه النَّدى فيُجِيبُ
إذا لم يكن في الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبٌ

يقول: إذا كان الجذب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام في هذا الزمن والمنقيات: المهازيل التي ذهب نقيهن، والنقي: مخ العظام، وشحم العين، وجمعه أنقاء وناقعة منقية أي ذات نقي. وقال آخر:

[البيط]

ماذا مِنْ الْفُوتِ^(٧) بينَ الْبَخْلِ وَالْجُودِ
لِلْمُعْتَفِينَ^(٨) فَإِنِّي لَيِّنُ الْعُودِ

[البيط]

إِذَا نَوَالِي وَإِذَا حَسَنُ مَرْدُودِي

فَقُلْتُ أَعْبَدَ اللَّهَ أَبْكِي أَمْ الَّذِي
وَعَبَدَ يَغُوثُ أَوْ يَمِينِي^(٢) خَالِداً
أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ
فإِذَا تَرِينَا مَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا
فإنَّا لِلْحِمِّ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ
يَغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فَيَشْتَفِي
قَسْمُنَا بِذَاكَ الْدَّهْرَ شَطْرِينَ بَيْنَا
وقال آخر:

إذا ما تَرَاهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا
حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غُشَيَانُ بَيْتِهِ
فَتَى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجَسْمِهِ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْجِلْمُ زَيْنُ أَهْلِهِ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ
يَبِيتُ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرُو ضَجِيعُهُ

أَلَا تَرِينَ وَقَدْ قَطَّعْتَنِي عَذْلاً
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ^(٨) يَوْمَ أَجُودُ بِهَا
وإلى هذا ذهب ابن يسير حيث يقول:

لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ

(١) جاء في نسخة أخرى «النائي» بالهمزة بدلاً من «الباقى».

(٢) جاء في نسخة أخرى «نديمي» بدلاً من «يميني».

(٣) جاء في نسخة أخرى «واتر» بدلاً من «ثائر».

(٤) العوراء: الخنى.

(٦) جاء في نسخة أخرى «مهيّب» بدلاً من «نجيب».

(٧) الفوت: البعد.

(٨) المعفتين: طالبي الرزق والفضل.

(٥) الشحوب: اصفرار الوجه من مرض أو غيره.

(٨) الورق: الدراهم: المضروبة.

وقال الهذلي :

[البسيط]

وَهَابُ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ مِنْ التَّلَادِ ^(١) وَصَوْلٌ غَيْرُ مَنَّانٍ

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ومن الشوارد التي لا أرباب لها قوله : [مجزوء الكامل]

إِنْ يَفْخَرُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَبْخُلُوا لَمْ يَحْلِفُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرَجْلِي
كَأَبِي بَرَأَقِش ^(٢) كُلُّ لَوْ
نَ لَوْنِهِ يَتَحَيَّلُ

ومثله في بعض معانيه :

[الطويل]

أَكُولُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا صَبُورٌ عَلَى سَوْءِ الثَّنَاءِ وَقَاخُ

وقال :

[البسيط]

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ فَاقْعَسْ إِذَا حَدَبُوا وَأَحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا ^(٤)
كَمِثْلٍ وَقُمْكَ ^(٣) جَهْلًا بِجَهَالِ
وَوَازِنِ الشَّرِّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالِ

وقال الراجز :

وَقَدْ تَعَلَّلْتُ ذَمِيلَ ^(٥) الْعَنَسِ بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ ^(٦) كَالْتُرْسِ
إِذْ عَرَجَ اللَّيْلُ ^(٧) بِرُوحِ الشَّمْسِ ^(٨)

وقال الراجز :

قَدْ كُنْتُ إِذْ حَبْلُ صَبَاكَ مُدْمَشُ ^(٩) وَإِذَا هَاضِبُ الشَّبَابِ تَبْعَشُ ^(١٠)

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالَيْفُ السُّرَى حَتَّى عَجَاهُنَّ ^(١٢) فَمَا تَحْتَ الْعَجَى
وَالنَّصُّ ^(١١) فِي حِينِ الْهَجِيرِ وَالضُّحَى
رَوَاعِبُ ^(١٣) يَخْضِبْنَ مَبِیضَ الْحَصَى

(١) التلاد: المال الموروث.

(٢) براقش: ضرب من الطيور الصغيرة يتغير لون ريشه نتيجة الخوف والهيجان.

(٣) الوقم: القهر والكبح والرد القبيح. (٤) قعس: يعني دخول الظهر وخروج الصدر.

(٥) الذمل: ضرب من مشي الإبل. (٦) الديمومة: الفلاة الواسعة.

(٧) عرج الليل: حبسه. (٨) روح الشمس: شروقها وغروبها.

(٩) مدمش: المحكم القتل. (١٠) تبغش: تدفع.

(١١) النص: السير الشديد.

(١٢) عجاهن: تأخير إرضاع الأم طفلها عن ميعاد رضاعته.

(١٣) جاء في نسخة أخرى «رواعف» ومفرده راعف وهو من يسيل الدم من منخره بدلاً من «رواعب» بالباء.

سمع ذلك ابن وهيب فرام مثله فقال :
يخضِبُ مَرْوٌ^(١) دَمًا نَجِيْعًا من فَرَطٍ ما تَنْكَبُ الْحَوَامِي^(٢)

وقال عامرٌ ملاعب الأُسنة :

[الكامل]

دَفَعْتُكُمْ عَنِّي وما دَفَعُ راحَةٍ بشيءٍ إِذا لم تَسْتَعِنْ بِالْأَنامِلِ
يُضَعِّضُنِي حِلْمِي وكثرةُ جَهْلِكُمْ عَلَيَّ وَأَنِّي لا أَصُولُ بِجَاهِلِ

وقال آخر :

[الرجز]

لا بَدَلٍ لِّلْسُودِ مَنْ أَرَمَاح ومن سَفِيهِه دَائِمِ النُّبَاحِ
ومن عَدِيدٍ يُتَقَى بِالرَّاحِ

وقال أبو نَخِيلَةَ لبعض سادات بني سعد :

[الطويل]

وَإِنَّ بِقَوْمٍ سَوْدُوكَ لِفَاقَةً إِلى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدِ
وتمثل سفيان بن عيينة ، وقد جلس على مرقب عالٍ وأصحابُ الحديث مدى البصر
يكتبون ، بقول الآخر :

[الطويل]

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسَدَتْ غيرُ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ
وقال الأول في الأحنف :

[الطويل]

وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطْعَمَتْهُ دَعَاكَ إِلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا
وقال آخر :

[الطويل]

فَأُصْبَحْتَ بَعْدَ الْحِلْمِ في الْحَيِّ ظالِمًا تَخَمَّطُ^(٣) فِيهِمُ وَالْمَسُودُ يَظْلُمُ
وقال رجل من بني الحرث بن كعب يقال له سويد :

[الكامل]

إِنِّي إِذا ما الْأَمْرُ بَيْنَ شَكِهِ وَبَدَتْ بَصَائِرُهُ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ
وتبرأ الضُّعَفَاءُ من إِخوانِهِمْ وَأَلَحَّ مِنْ حَرِّ الصَّمِيمِ الْكَلْكَلُ^(٤)
أَدْعُ الَّتِي هِيَ أَرْفَقُ الْحالاتِ^(٥) بي عِنْدَ الْحَفِيظَةِ لِلَّتِي هِيَ أَجْمَلُ
وقال الآخر :

[الكامل]

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ فَرَطًا وَبَقِيَتْ كَأَلْمَغْمُورِ في خَلْفِ

(٢) الحوامى : حروف الحوافر عن اليمين والشمال .

(٤) الكلكل : مقدم صدر الجمل والمقصود الثقل .

(٥) جاء في نسخة أخرى «الخلات» بدلاً من «الحالات» .

(١) المرو : الحجارة البيض .

(٣) تخمط : الكبر والغضب .

متصنّع يُكْفَى وَلَا يَكْفِي

[الطويل]

وَفِيَّ بَعْقَدِ الْجَارِ حِينَ يَفَارِقُهُ
وُجُوهُ بَنِي لَأَمْ وَيَنْهَلُ بَارِقُهُ

[الطويل]

وَعَمَرُوا وَمِنْ أَسْمَاءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
بَدَا وَأَنْجَلَتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ كَوْكَبُ

[البسيط]

قِيلَ الْكُفَاءُ أَلَا أَيْنَ ^(٤) الْمَحَامُونَا
مَنْ عَاطَفٍ ^(٥) خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَدْعُونَا ^(٦)
إِلَّا أَقْتَلِينَا ^(٧) غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا

[الطويل]

كَتَائِبُ يَأْسٍ كَرَّهَا وَطَرَادَهَا
أَعَالِجُ مِنْهَا حَفَرَهَا وَأَكْتَدَادَهَا
هُوَ الرَّيِّ إِنْ تَرْضَى النُّفُوسُ ثَمَادَهَا

[الوافر]

بِنَضْلَةٍ وَهُوَ مُوتَوْرٌ مُشِيحُ
وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبْنُ الصَّرِيحُ

مَنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَنْقٍ

وَقَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِي:

فَكَمْ فِيهِمْ مَنْ سَيِّدٍ وَأَبْنٍ سَيِّدٍ
يَكَادُ الْغَمَامُ الْغُرَّ ^(١) يَرْغَبُ ^(٢) أَنْ يَرَى

وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِي:

وَكَانَ هَرِيمٌ مِنْ سِنَانِ خَلِيفَةٍ
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا أَنْقَضَ ^(٣) كَوْكَبُ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ:

إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِثًّا وَاحِدٌ فَدَعَا
وَلَيْسَ يَذْهَبُ مَنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا

وَقَالَ بَعْضُ الْحِجَازِيِّينَ:

إِذَا طَمَعُ يَوْمًا عِرَانِي ^(٨) قَرَيْتُهُ ^(٩)
أَكْدَ ^(١٠) ثِمَادِي ^(١١) وَالْمِيَاهُ كَثِيرَةً
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحَرٍ آخِرِ إِنَّهُ

وَقَالَ أَبُو مُحَجَّنِ الثَّقَفِيِّ:

أَلَمْ تَسْأَلْ فَوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ
رَأَوْهُ فَارْزَدَرَوْهُ وَهُوَ خَرَقُ ^(١٢)
فَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ ^(١٣) عَلَيْهِمْ

(١) الغر: البيض.

(٢) جاء في نسخة أخرى «يزعب» ومعناه يملأ بدلاً من «يرغب».

(٣) جاء في نسخة أخرى «غاب» بدلاً من «انقض».

(٤) جاء في نسخة أخرى «لهم أين» بدلاً من «ألا أين».

(٥) عاطف: مائل.

(٦) افتطم: غشيه.

(٧) أكلد: نزع باليد.

(٨) القرى: إطعام الضيف.

(٩) الثماد: الحفر فيها ماء قليل.

(١٠) مصالته: جولته ووصلته.

(١١) مصالته: جولته ووصلته.

(١٢) الخرق: الفتى الكريم الخليفة.

(١٣) مصالته: جولته ووصلته.

كما عَضَّ الشَّبَا^(٢) الْفَرَسُ الْجَمُوحُ
جَرِيحاً مِنْهُمْ وَنَجَا جَرِيحُ

[المقارب]

شِ وَمِنْ حَمَلِ قَوْمٍ وَمِنْ مَغْرَمٍ
وَرُمْتُ الرِّشَادَ فَلَمْ يُفْهِمِ
وَلَمْ تَتَعَدَّ وَلَمْ تَظْلِمِ
حَتَّى تَعَكِّظَ^(٤) أَهْلَ الدِّمِ
فَأَنْتَشَرَ الْأَمْرُ وَلَمْ يُبْرَمِ

[الوافر]

وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

[المقارب]

وَجَابَةِ^(٧) يَحْتَمِي أَنْ يُجِيبَا
إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيبَا

[الرجز]

إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاخُ
أَمْ هَلْ رَفَّتْ أُمُّ شَقِيقِي سِلَاحُ

[الطويل]

مَعَ الْكَثِيرِ يَعْطَاهُ الْفَتَى الْمَتْلَفُ النَّدِي
وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقَلُّ طَلَّاعٌ أَنْجِدِ^(١٢)

فَكَرَّرَ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتًا^(١)
فَأُطْلِقَ غِلٌّ صَاحِبِهِ وَأُردَى^(٣)

وقال بعض اليهود:

سَئِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الْفِرَا
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهْيِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيمَ
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا السَّفِيهَ
فَأُودِيَ السَّفِيهَ بِرَأْيِ الْحَلِيمِ

وقال بعض الشعراء:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ
ضَحُوكُ السَّنِّ إِنْ أَمَرُوا^(٥) بِخَيْرٍ

وقال آخر:

وَلَسْتُ بِزَمْجَةٍ^(٦) فِي الْفَرَاشِ
وَلَا ذِي قِلَازِمٍ^(٨) عِنْدَ الْحِيَاضِ

وقال حجل بن نضلة:

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمَحَهُ^(٩)
هَلْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا نَكْبَةً

وقال:

وَيْلٌ أَمْ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةٌ
وَقَدْ يَقْصُرُ^(١٠) الْقَلُّ^(١١) الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ

(١) الصلت: المجرد للقتال.

(٣) أردى: أودى.

(٥) جاء في نسخة أخرى «نطقوا» بدلاً من «أمرؤا».

(٦) زمجة: لثيم ضعيف.

(٧) الجابة: الغليظ الجافي.

(٨) القلازم: مفردة قلزمة، وهي الصخب واللؤم.

(٩) عارضاً رمحه: واضعاً رمحه عرضاً مفتخراً به.

(١٠) يقصر: يحبس.

(١١) القل: المال القليل.

(١٢) الأنجد: ما ارتفع منها.

(٢) شبا السيف: حدّه.

(٤) تعكظ: تحبس واجتمع.

وقال الآخر:

[الكامل]

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي بِقَنْتِهَا^(١) خَوْدٌ تَأْطُرُ عَادَةً بِكُرٍ
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة وهو من قديم الشعر

وصحيحه:

[الطويل]

أَلَا إِنَّمَا هَذَا السَّلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذَا بَارَ جِسْمِي مِنْ رَذَى الْعِثْرَاتِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدْتُ بَعْدَهُ تَقَطَّعَ نَفْسِي دُونَهُ حَسَرَاتِ

وقال الطرماح في هذا المعنى:

[الطويل]

وَشَيْبَنِي أَنْ لَا أَزَالَ مَنَاهِيضًا بَغِيرَ ثَرَى أَسْرُو بِهِ وَأَبْوَعُ
أَمْخَتِرْمِي رَيْبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أُنَلْ مِنْ أَلْمَالِ مَا أَغْصَى بِهِ وَأُطِيعُ

وقال الأضبط بن قريع:

[المنسرح]

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهَمُومِ سَعَةٍ وَالْمَسِي وَالصَّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
فَصَلْ حَبَالُ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ أَلْ حَبْلٌ وَأَقْصُ الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَاخْذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَنْسَاكَ بِهِ مِنْ قَرِّ عَيْنَا بَعِيشَةٍ نَفَعَهُ
لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ
قَدْ يَجْمَعُ أَلْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ أَلْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ

وقال أعرابي ونحر ناقة في حُطْمَةٍ^(٢) أصابتهم:

[الطويل]

أَكَلْنَا الشَّوَى^(٣) حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوَى أَشْرْنَا إِلَى خَيْرَاتِهَا بِأَلْأَصَابِعِ
وَلِلْسَيْفِ أَحْرَى أَنْ تَبَاشِرَ حَدَّهُ مِنْ الْجَوْعِ لَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ
لَعَمْرُكَ مَا سَلَيْتُ نَفْسًا شَحِيحَةً عَنْ أَلْمَالِ فِي الدُّنْيَا بِمِثْلِ مَجَاجِعِ

وقدم ناقة له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر، فقال:

[الطويل]

أَذْنَيْتُهَا مِنْ رَأْسِ عِشَاءٍ^(٤) عِشَّةٍ^(٥) مَفْصَلَةِ الْأَفْنَانِ صَهْبِ فُرُوعِهَا
وَقُلْتُ لَهَا لَمَّا شَدَدْتُ عِقَالَهَا وَبِأَلْكَفٍ مُمَهَّاءٍ^(٦) شَدِيدُ وَقُوعِهَا

(١) جاء في نسخة أخرى «بقنتها» بالباء بدلاً من «قنتها» بالنون.

(٢) انظر هامش رقم ٣ ص ٥٨٥.

(٣) العشاء: الضامرة الناحلة.

(٤) العشة: ضرب من الشجر دقيق القضبان ليثم المنبت.

(٥) الشفرة الممهأة: المسنونة جيداً.

لقد غَنَيْتُ نفسي عليك شحيحةً
وقال أسقف نجران

ما جاء في شعر الخمرة:

[الكامل]

وطلوعُها من حيث لا تُمسي
وغروبُها صفراء كالوزن
ومضى بفصلِ قضاائه أمسٍ

منع البقاء تصرُّفُ الشمس
وطلوعُها بيضاء صافيةً
اليومَ نعلمُ ما يجيء به
وقال آخر:

[الطويل]

وأن لا يرى شيئاً عجيباً فيُعجبا
إذا ما رآني أصلع الرأس أشببا

وهلْكَ ألفتى أن لا يُراح^(١) إلى الندى
ومن يبتغي مني الظلامه^(٢) يلقني
وقال سحيم بن وثيل الرياحي:

[الرجز]

مر معابٍ يعيبُهُ أحدُ
رَ وبَذَلِي فيها ألذي أجدُ
لا سبد^(٣) مخلدي ولا لبد^(٤)
شَ ولا أن يضمني لحدُ
أنست ولا ثروة ولا ولدُ

تقولُ حُذراءٍ ليس فيك سوى الخمر
فقلتُ أخطأتِ بل معاقرتي الخمر
هو الثناء الذي سمعت به
ويحك لولا الخمر لم أحفل العير
هي الحيا والحياة واللَّهُو لا
وقال عبد راع:

[الكامل]

فلئن أبيت لأشربن بخروفي
حمرأ من آل المذال سحوف^(٦)

عَضِبْتُ عليَّ لأن شربتُ بجزّة^(٥)
ولئن نطقت لأشربن بنعجةٍ
وقال:

[البسيط]

ولا تنوح على ما يأكل الذئبُ

ناحت رُقيّة من شاةٍ شربتُ بها
(وقال أبو حفص القريعي):

[الخفيف]

حين بدلتُ للسعادة نوقاً

قد تغرّبتُ للشقاوة حيناً

(١) أأخذته أريحية.

(٢) جاء في نسخة أخرى «يتبع مني الطلع» بدلاً من «يتبغي مني الظلامه».

(٣) لا سبد: لا قليل.

(٤) لا لبد: لا كثير.

(٥) العزّة: هو ما جرّ من الصوف.

(٦) السحوف: هي الكثيرة طرائق الشحم التي بين أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع.

يَوْمَ فَارَقْتُ بِلَدَتِي وَقَرَارِي
لَيْتَ عِنْدِي بِخَيْرِ مِعْزَايَ عَشْرًا^(٢)
وَبخَمْسٍ مِنْهُمْ أَيْضًا قَمِيصًا
قَدْ هَجَرْتُ النَّبِيذَ مَذْهَنً عِنْدِي
فَوَجَدْتُ الْمَذِيقَ يُوجِعُ بَطْنِي
يَعِدُّ النَّفْسَ بِالْعَشْيِ مَنَاهَا

وتبدلت سوء رأي وموقعا^(١)
طيلساناً من الطراز عتيقا
سابريا^(٣) أميس فيه رقيقا
وتمزرت^(٤) رسلهن^(٥) مذيقا^(٦)
ووجدت النبيذ كان صديقا
ويسل الهموم سلا رفيقا

وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو، وكان في أهله روافض يخاصمون في
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال: [السرير]

رُبَّ عَقَارٍ بِإِذْنِ جِيَّةٍ
حَنَدَرْتُ أَرْوَاحاً وَطَيَّبْتُهَا
سَكْتًا^(٧) وَسَلْتًا لَمْ يَخْضُ فِي أَذَى
وَلَا أَبِي بَكْرٍ وَلَا طَلْحَةَ
اللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ
وَقَالَ الْمَنْخَلُ الشُّكْرِي:

إِصْطَدْتُهَا مِنْ بَيْتِ دَهْقَانٍ
بَعْدَ أَتْسَاخِ طَالٍ فِي الْحَانِ
مَنْ قَتَلَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ
وَلَا زُبَيْرَ يَوْمَ عَثْمَانَ
لَيْسَ عَلَيْنَا عِلْمٌ ذَا الشَّانِ

[مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَا
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَا
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بِالْحَيْ
فَإِذَا سَكَرْتُ فَإِنِّي
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي
يَا رَبِّ يَوْمٍ لِّلْمَنْخَلِ

مة بالقليل وبالكثير
مة بالصغير وبالكبير
ل الإناث وبالدُّكُورِ
رَبُّ الْخَوَرَنَقِ^(٨) وَالسَّيْدِ
رَبُّ الشَّوِيْهَةِ وَالْبَعِيرِ
قَدْلَهَا فِيهِ قَصِيرِ

وقال بعضهم لزائر له ورآه يومئذ إلى امرأته وهو أبو عطاء السندي:

[الخفيف]

كُلْ هَنِئًا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئًا
ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا فَغَيْرَ كَرِيمٍ

(٢) الموق: الحقيق.

(٣) السابري: الرقيق.

(٤) تمزرت: شرب رويداً رويداً.

(٥) الرسل: اللبن.

(٦) المذيق: المخلوط بالماء.

(٧) سكتاً وسلتاً: مصدران للدعاء، والسلت معناه جدد الأنف بالسيف ونحوه.

(٨) الخورنق قصر للنعمان بن المنذر، والسدير نهر قريب من الحيرة.

لَا أُحِبُّ النَّدِيمَ يَوْمِضُ^(١) بِالْعَيْنِ
وقال وتعرضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بِيضَاءَ كَالْقَضِيبِ تَثْنَى
لَيْسَ شَأْنِي تَحَرُّجاً غَيْرَ أَنِّي
وقال آخر :

فَلَا وَاللَّهِ لَا أُلْفِي وَشَرِباً
وَلَا وَاللَّهِ مَا أُلْفِي بَلِيل
سَأَتْرُكُ مَا أَخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ
أَبَى لِي ذَاكَ أَبَاءَ كِرَامٍ
وقال السحيمي :

وَمَا لِي وَجْهٌ فِي اللَّئَامِ وَلَا يَدُ
أَهْشَ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ وَكَأَنَّنِي
وقال ابن كناسة :

فِي أَنْقَبَاضٍ وَحِشْمَةٍ^(٢) فَإِذَا
خَلَيْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا
وقال عبد الرحمن بن الحكيم :

وَكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الْإِنَاءِ وَبَيْنِهَا
تَرَى شَارِبِيهَا حِينَ يَعْتَقِبَانَهَا^(٣)
فَمَا ظَنُّ ذَا الْوَاشِي بِأَبْيَضٍ مَاجِدٍ
وقال الرماح بن ميادة، وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بالرماح، وأظن النابغة

أحد عمومته :

أَلَا رُبَّ خَمَّارٍ طَرَفْتُ بِسُدْفَةٍ
فَأَنْهَلْتُهُ خُمراً وَأَحْلَفْتُ أَنَّهَا

إِذَا مَا خَلَا بِعِرْسِ النَّدِيمِ

[الخفيف]

قَدْ دَعَتْنِي لَوْضَلِهَا فَأَبَيْتُ
كُنْتُ نَدْمَانٌ زَوْجِهَا فَأَسْتَحَيْتُ

[الوافر]

أَنَازَعَهُمْ شَرَاباً مَا حَايَيْتُ
أَرَأَقِبَ عِرْسَ جَارِي مَا بَقِيْتُ
مَقَالَتَهُ وَأَجْمَلُهُ السَّكُوتُ
وَأَجْدَادٌ بِمَجْدِهِمْ رَبَّيْتُ

[الطويل]

وَلَكِنْ وَجْهِي فِي الْكَرَامِ عَرِيضُ
إِذَا أَنَا لَاقَيْتُ اللَّئَامَ مَرِيضُ

[المنسرح]

لَاقَيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشَمٍ

[الطويل]

قَذَى الْعَيْنِ قَدْ نَازَعْتُ أُمَّ أَبَانٍ
يَمِيلَانِ أَحْيَاناً وَيَعْتَدِلَانِ
وَبَدَاءَ^(٤) خُودٍ^(٥) حِينَ يَلْتَقِيَانِ
وقال الرماح بن ميادة، وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بالرماح، وأظن النابغة

[الطويل]

مِنْ أَلِيلٍ مُرْتَاداً لِنَدْمَانِي الْخُمَرَا
طَلَاءٌ خَلَالَ كِي يَحْمِلُنِي الْوَزْرَا

(١) يومض بالعين : يشير بها إشارة خفية .

(٢) الحشمة : الحياء .

(٣) يعتقبان : يتناوبان .

(٤) البداء : الكثيرة لحم الفخذين .

(٥) الخود : الفتاة الحسنة القوام والخلق .

وقال آخر:

[الكامل]

لَمَّا خَرَجْتُ أَجْرُ فَضْلَ الْمِئْزَرِ
يُجْبَى لَهُ مَا بَيْنَ دَارَةِ قَيْصَرِ
عِنْدَ الْإِنْدَامِ عَشِيرَهُمْ لَمْ يَخْسِرِ

ولقد شربْتُ الخمر حتَّى خِلْتَنِي
قَابُوسَ أَوْ عَمْرُو بَنَ هَنْدٍ قَاعِدًا
فِي فَتْيَةٍ بَيْضِ الْوَجْهِ خُضَارِمٍ^(١)

وقال ابن ميادة:

[الكامل]

كَدَمَ الذَّبِيحِ تَمْجُهُ أَوْدَاجُهُ
وَعَلَى الدَّنَانِ تَمَامُهُ وَنَتَاجُهُ

وَمُعَتَّقِ حَرَمِ الْوَقُودِ^(٢) كَرَامَةٍ
ضَمَنَ الْكُرُومَ لَهُ أَوَائِلَ حَمَلِهِ
وَأُنْشَدَ اللَّائِحَ لِبَعْضِ الرِّوَاغِضِ:

[الوافر]

يَمُوتُ بِدَائِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ
وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

إِذَا الْمَرْجِيُّ سَرَّكَ أَنْ تَرَاهُ
فَجَدُّ عِنْدَهُ ذَكَرِي عَلِيٍّ
وقال بعضهم في البرامكة:

[المتقارب]

أَنَارَتْ وَجْوهَ بَنِي بَرْمَكٍ
أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْذَكٍ

إِذَا ذُكِرَ الشَّرْكُ فِي مَجْلِسٍ
وَإِنْ تَلَيْتَ عِنْدَهُمْ آيَةً
وقال آخر:

[الخفيف]

صِرْتُ مِنْ أَجْلِهِمْ أَخَا أَسْفَارٍ
ضَ^(٣) فَإِنِّي مُوَكَّلٌ بِالْعِيَّارِ

لَعَنَ أَلَلَهُ آلَ بَرْمَكٍ إِنِّي
إِنْ يَكُ ذُو الْقَرْنَيْنِ قَدْ مَسَحَ الْأَرْزَ
وقال آخر:

إِلَى ابْتِنَاءِ الْمَسَاجِدِ
كَرَأِي يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ

إِنَّ الْفَرَاغَ دَعَانِي
وَإِنْ رَأَيْتَنِي فَيَهَا
وقال أبو الهول في جعفر بن يحيى:

[الرجز]

فِي طَلَبِ الْعَرْفِ إِلَى الْكَلْبِ
قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ
يَشْبُ مَعَهُ خَشَبُ الصَّلْبِ
فَصَارَ لَا يَتَحَاشَ لِسَبِّ

أَصْبَحْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الضَّرْبِ
إِذَا شَكَصْتُ إِلَيْهِ الْهَوَى
أَعْنِي فَتَى يُطْعَنُ فِي دِينِهِ
قَدْ وَقَّحَ السَّبَّ لَهُ وَجْهَهُ

(١) الخضارم: الأجواد الكرام.

(٢) حرم الوقود: لم يطبخ بالنار.

(٣) مسح الأرض: ذرعها وقاسها.

وقال رجل من أهل الشام:

[الرجز]

وبعد إسحاقَ الذي كانَ لمةً
إنَّ لنا بفعل يحيى نعمةً
أكل بني برمك أكل الحطمة^(٣)
أيسرُ شيءٍ فيه حُرُّ الغلصمة^(٤)

أبعدَ مرَوانَ وبعدَ مسلمةً
صارَ على الثغرِ فرنج الرخمة^(١)
مهلكة منيرة^(٢) منقمةً
إنَّ لهذا الأكل يوماً تُخمةً

وقال الشاعر:

[الخفيف]

أَنْ رَمَى مُلْكُهُمْ بِأَمْرِ بَدِيعِ^(٥)
غَيْرُ رَاعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبِيعِ

مَا رَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمِكٍ لَمَّا
إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَرَعْ حَقًّا لِيَحْيَى

وقال سهل بن هارون في يحيى بن خالد:

[الطويل]

مَنْعُ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا
مَكَارَةُ مَا تَأْتِي مِنَ الْحَقِّ مَغْنَمًا

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ
مَذَلُّ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى

وقال حسان^(٦) بن حسان:

[الكامل]

زُبْرَاتُ^(٧) كُلِّ خَنَابِسِ^(٨) هَمِّهَامِ^(٩)
فِي لَيْنٍ مُخْتَبِطٍ^(١٠) وَطَيْبِ شَمَامِ
وَيَبِيتُ بِالرَّبَوَاتِ وَالْأَعْلَامِ
وَرَسَتْ مِرَاسِيهِ بَدَارِ سَلَامِ
وَشِعَاعُ طَرْفٍ لَا يَفْتَرِ سَامِ

مَنْ مُبْلَغُ يَحْيَى وَدُونِ لِقَائِهِ
يَا رَاعِي السُّلْطَانِ غَيْرَ مَفْرُطِ
يَعْذِي^(١١) مَسَارِحَهُ وَيَصْفِي شَرْبَهُ
حَتَّى يَنْحَنِحَ^(١٢) ضَارِبًا بِجِرَانِهِ^(١٣)
فِي كُلِّ ثَغْرِ حَارِسٍ مِنْ قَبْلِهِ

وهذا شبيهه بقول العتابي في هارون:

[الطويل]

عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعًا مِنَ الْبَرِيِّ عَوْدُهَا

إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ يَضُمُ بَنَانَهَا

(١) الرخمة: هو طائر يضرب المثل في حمقه ولؤمه.

(٢) جاء في نسخة أخرى «مبيرة» بالباء ومعناها مهلكة بدلاً من «منيرة» بالنون.

(٣) الحطمة: النار الشديدة التي تحطم كل شيء.

(٤) الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٥) جاء في نسخة أخرى «إسحاق بن حسان» بدلاً من «حسان بن حسان».

(٦) زبرات: مفردة زبرة وهو الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.

(٧) الخبابس: الأسد الجريء.

(٨) الهمهام: السيد الشجاع.

(٩) المختبط: السائل.

(١٠) يعذي: يصبح طيباً.

(١١) جاء في نسخة أخرى «تبحيح» بالباء بدلاً من «ينحنح» بالنون.

(١٢) ضارباً بجراحه: مستقراً ومستقيماً.

سواءً عليه قَرْبُها وبَعِيدُها
له في الْحِشَا مستودعاتٌ يَكِيدُها^(٢)
منادٍ كَفَتْهُ دَعْوَةٌ لَا يُعِيدُها

[الطويل]

طوى^(٣) الدَّهْرُ عنها كُلَّ طَرْفٍ^(٤) وتَالِدٍ^(٥)
مقلدةً أَجْيَادُها بِالْقَلَائِدِ
مِنْ الْمَلِكِ أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ
مغصبهما بِالْمَرْهَفَاتِ^(٦) الْبَوَارِدِ
ولم أَتَقَحَّمْ^(٧) هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ
بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ

[الطويل]

يُرَوِّي وَيَرْجُو فَيْكَ يَا خِلْقَةَ السَّلْقِ^(٨)
قفا مَلِكٌ يَقْضِي الْحَقُوقَ عَلَى ثَبَقٍ^(٩)
وَأَبْخُلُ مِنْ كُلِّ عَقُورٍ عَلَى عِرْقٍ
إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ فِي سَعَةِ الرِّزْقِ
لَمَّا وَضَعُوهُ النَّاسَ إِلَّا عَلَى الْحَمَقِ

[الطويل]

رَتَقْتَ بِهَا الْفَتْقَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
قَالَ لَهُ الْفَضْلُ: قُلْ: فَلَا شُلَّتْ يَدُ بَرْمَكِيَّةٍ، فَخَالِدٌ كَثِيرٌ وَلَيْسَ بِرَمَكٍ إِلَّا وَاحِدًا.

[مجزوء الكامل]

وَمِنْ الْمَرُوءَةِ غَيْرُ خَالٍ
كَانَ الْفِعَالُ مَعَ الْمَقَالِ

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُها
وَأَصْمَعٌ^(١) يَقْظَانُ يَبِيتُ مَنَاجِيًا
سَمِيعٌ إِذَا نَادَاهُ مِنْ قَعَرِ كَرْبَةٍ
وَقَالَ كَلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَابِيُّ:

تَلُومٌ عَلَى تَرْكِ الْغِنَى بِأَهْلِيَّةِ
رَأَتْ حَوْلَهَا الْأَنْسَوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكَسَا
يَسْرُكُ أَنِّي نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ
وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي
ذَرِينِي تَجَنُّنِي مِيتَتِي مَطْمَئِنَّةً
فَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيءٍ:

عَجَبْتُ لَهَارُونَ الْإِمَامِ وَمَا الَّذِي
قَفَا خَلْفَ وَجْهِهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ دُبَابٍ عَلَى خَرَا
أَرَى جَعْفَرًا يَزْدَادُ بُخْلًا وَدِقَّةً
وَلَوْ جَاءَ غَيْرُ الْبَخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ

ولما أنشد ابنُ حفصةَ الفضلَ بنَ يحيى بنَ خالدٍ:

ضَرَبْتَ فَلَا شُلَّتْ يَدُ خَالِدِيَّةٍ
وَقَالَ سَلَمٌ فِي يَحْيَى، وَيَحْيَى يَوْمئِذٍ شَابٌ:
وَفَتَّى خَلَا مِنْ مَالِهِ
وَإِذَا رَأَى لَكَ مَوْعِدًا

(١) الأصم: هو من ارتقى أعلى المراتب.

(٣) جاء في نسخة أخرى «زوى» بدلاً من «طوى».

(٥) التالد: المال الموروث.

(٧) جاء في نسخة أخرى «أتجشم» بدلاً من «أتقحم». ومعناه أتصدى للأخطار والمهالك.

(٨) السلق: الذئب الخبيث الكاسر.

(٢) يكيدها: يعالجها.

(٤) الطرف: المال الجديد.

(٦) المرهفات: السيوف القواطع.

(٩) الثبق: إسراع دمع العين في النزول.

لله دُرْكٌ مَنْ فَرَّيْ
أعطاك قبل سُؤْالِهِ
وما ففك من كرم أَلْخِلالِ
فكفأك مكرؤة أَلْسؤَالِ
ومن جفد مأقل ففهم :

[الكامل]

للفضل يومُ أَلطالقان وقبلهُ
ما مثلُ يومفهِ أَللذفن توالفا
فف غزؤفن فواهما فوماف
من أن فُجرْدَ بفنفا سفاف
عظم أَلشأى ^(١) وففرقُ أَلحكماف
فقال الحسن بن هافف فف جعفر بن فففى :

[البسلف]

ذاك أَلؤوزفر أَلذف طالف علاؤفهُ ^(٢)
ذكرؤا أن جعفر بن فففى كان أول من عرض الجرباناف لطور عنقه ، وقال معداف
الأعمف وهو أبو السرف السمفطف :

[الخفف]

فم ففثنف فِسَامَة الرِّحال
وأمفف وفغلف وفلال
لا ولا صحب واصل أَلغزال
فهم رهط أَلأعور أَلدِّجال ^(٣)
بعد فففى ومؤفم أَلأشباف
أن ظلم أَلإمام ذو عُقْقال
فقال الكمف :

[الكامل]

أمست نساء بنف أمفّة منهم
نامف جدؤفهم وأسقط نجمفهم
فعلفهم فففى أَلمماف سلام
فبنؤهم فمضففة أفتام
وأَلنَّجم فسقط وأَلجدؤد فنام
فأَلت أَلمنابرُ والأسرة منهم

(١) أَلشأى : الفساد ، والأمر الفاسد .

(٢) ففصر أو أعصر : اسم فففلة .

(٣) جاء فف فففة أفرى «النوابف» بالفاء بفلاً من «النوابف» بالفمزة .

(٤) الأعور الدجال : هو المسفح الدجال .

(٥) جاء فف فففة أفرى «ففف» بالفاء بفلاً من «ففف» بالففم .

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة:

[الخفيف]

جعل الله بيت مالك فياً
صي لقد كان للرّسول عصياً

أعفني^(١) آل هاشم يا أميا
إنّ عصى الله آل مروان وألعا

وقال الراعي في بني أمية:

[البسيط]

عمّا قليل بعثمان بن عفان

بني أمية إنّ الله ملحقكم

وقال خلف بن خليفة:

[الخفيف]

لم تجد في جميعهم باهلياً

لو تصفّحت أولياء عليّ

وقال كعب الأشقري لعمر بن عبد العزيز:

[الكامل]

عمّال أرضك بالبلاد ذئاب
حتى يجلد بالسيوف رقاب
في وقعهن مزاجر وعقاب
حزم وأحلام هنالك رغب
ألفيت منقطعاً بي الأسباب

إن كنت تحفظ ما يليك فائماً
لن يستجيبوا للذي تدعو له
بأكف منصلتين أهل بصائر
هلا قريش ذكروا بثغورها
لولا قريش نصرها ودفاعها

فلما سمع هذا الشعر قال: لمن هذا؟ قالوا: الرجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقري قال: ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر. قال اليقظان: وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال:

[الكامل]

نبذوا كتابك وأستحلّ المحرم
كلّ يجور وكُلّهم يتظلم
عدل وهيهات الأمين المسلم

إنّ الذين بعثت في أقطارها
طلس^(٢) الثياب على منابر أرضنا
وأردت أن يلي الأمانة منهم

وكان زيد بن علي كثيراً ما يتمثل قول الشاعر:

[الرجز]

كذاك من يكره حرّ الجلاذ
تنكبّه أطراف مروحداد
والموت حتم في رقاب العباد

شرّده الخوف وأزرى به
منخرق الحفّين يشكو الوجا^(٣)
قد كان في الموت له راحة

(١) جاء في نسخة أخرى «أعقبي» بدلاً من «أعفيني».

(٢) طلس الثياب: مفردة أطلس وهو الثوب البالي الخلق.

(٣) الوجي: الحفاء.

وقال عبد الله بن كثير السهمي، وكان يتشيع لولادة كانت نالته، وسمع عمال خالد بن عبد القسري يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر:

[الخفيف]

وحسيناً من سوقة وإمام
والكرام الأخواال والأعمام
من آل الرسول عند المقام^(٢)
أهل بيت النبي والإسلام
كلما قام قائم بسلام

[الكامل]

حبّ النَّبِيِّ لغير ذي ذنب
من طاب في الأرحام والصلب
بل حبُّهم كفارة الذنب

[الكامل]

وكذاك علم الله في عثمان

[السيط]

جدِّي رعين وأخوالي ذوو يزن
يوم القيامة للهادي أبي الحسن

[الطويل]

وغث قريش حيث كان سمين

[الرمل]

أنهم يحلمون إن غضبوا
يصلح إلا عليهم العرب

[السيط]

فاستيقنن بأن لا خير في أحد
بكل خير وأثرى الناس في العدد

(٢) المقام: الحرم.

لعن الله من يسبُّ علياً
أيسبُّ المطيبون^(١) جدوداً
يأمن الطَّبِيّ والحمام ولا يأ
طبَّت بيتاً وطاب أهلُك أهلاً
رحمة الله والسلام عليهم
وقال حين عابوه بذلك الرأي:

إنَّ امرءاً أمست معايبه
وبني أبي حسن ووالدهم
أيعدُّ ذنباً أن أحبَّهم

وقال يزيد بن أبي بكر بن داب الليثي:

الله يعلم في عليٍّ علمه
وقال السيد الحميري:

إنِّي امرؤ حميريٍّ غير مؤتشب
ثمَّ ألواء الذي أرجو النجاة به
وقال ابن أذينة:

سمين قريش مانع منك لحمه
وقال ابن الرقيات:

ما نقموا من بني أمية إلا
وأنهم معدن الملوكة ولا
وقال عروة بن أذينة:

إذا قريش تولّى خير صالحها
رهط النبي وأولى الناس منزلة

(١) المطيبون: المطهرون.

وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - :

[البسيط]

إذا تذكّرتْ شَجَواً من أخي ثقةٍ فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً
التالي الثاني المحمودُ مشهدهُ وأول الناس منهم صدقُ الرُّسُلَا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدوُّ به إذ صعد الجبالا
وكان حبُّ رسول الله قد علموا خير البرية لم يعدل به رجلاً
وقال بعض بني أسد :

[البسيط]

لما تخير ربي فأرتضى رجلاً من خلقه كان منّا ذلك الرجلُ
لنا المساجدُ نبنيتها ونعمرها وفي المنابر قعدانٌ لنا ذلُّ
وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص في شأن السقيفة :

[الطويل]

قد اختصم الأقبام بعد محمد فسائل قريشاً حين جدّ اختصامُها
ألم تك من دون الخليفة أمةً بكفّ أمري من آل تيم زمامُها
هدى الله بالصديق ضلال أمةٍ إلى الحقّ لمّا أرفض عنها نظامُها
وقالت صفية في ذلك اليوم :

[البسيط]

قد كان بعدك أنباءٌ وهنتشة^(١) لو كنت شاهدَها لم تكثِر الخُطْبُ
إنّا فقد ناك فقد لأرض وإبلها وأختل قومك^(٢) فاشهدهم فقد سغبوا^(٣)
وقال الفرزدق :

[البسيط]

صلى صهيّب ثلاثاً ثمّ أسلمها إلى ابن عَقّان مُلكاً غير مقصورِ
ولاية من أبي حفصٍ لثالثهم كانوا أخلاءً مهديٍّ ومحْبُورِ
وقال مزرد بن ضرار يرثي عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - :

[الطويل]

عليك السلام من إمام وباركت يدُ الله في ذلك الأديم الممزّقِ
قضيت أموراً ثمّ غادرتْ بعدها بوائق^(٤) في أكمامها لم تفتّقِ
وما كنت أخشى أن تكون وفائهُ بكفي سبنتي^(٥) أزرق العين مطرّقِ

(١) جاء في نسخة أخرى «هنبشة» والهنبشة الأمور العظام بدلاً من «هنتشة» بالشين ومعناها التحريش والإغراء.

(٢) اختلّ القوم : افتقروا.

(٣) سغبوا : اشتد فقرهم وجوعهم .

(٤) البوائق : المصائب .

(٥) سبنتي : نمر ، جريء .

قال : وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :

[الطويل]

لَيْبِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً فَقَدْ أَوْشَكُوا هُلْكَاً وَمَا قَدِمَ الْعَهْدُ
وَأَذْبَرَتِ الدُّنْيَا وَأَذْبَرَ خَيْرُهَا وَقَدْ مَلَّهَا مَنْ كَانَ يُوقِنُ بِالْوَعْدِ

وعن أبي الجحاف عن مسلم البطين :

[الكامل]

إِنَّا نَعَاتِبُ لَا أَبَالَكَ غُصْبَةً عَلَقُوا الْفِرَى ^(١) وَبَرَّوْا مِنَ الصَّدِيقِ
وَبَرَّوْا سِفَاهاً مِنْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ تَبَّالِمَنْ يَبْرَأُ مِنَ الْفَارُوقِ
إِنِّي عَلَى رَغْمِ الْعَدَاةِ لِقَائِلٌ دَيْنًا بِدَيْنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ

وقال الكميت :

[الوافر]

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ خِفْتُ الْمَهْنَدَ وَالْقَطِيعَا ^(٢)
أَجَاعَ اللَّهُ مِنْ أَشْبَعُ ثَمَوَهُ وَأَشْبَعَ مِنْ بَجُودِكُمْ أَجِيعَا
بِمَرْضِي السِّيَاسَةِ هَاشِمِي يَكُونُ حَيًّا لِأَمْتِهِ رَبِيعَا

وقال حرب بن المنذر بن الجارود :

[الطويل]

فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كِفَافٌ يُقِيمُنِي وَأَثْوَابُ كِتَانٍ أَزُورُ بِهَا قَبْرِي
وَحَبِي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَا سَأَلْنَا إِلَّا الْمَوَدَّةَ مِنْ أَجْرِ

وجه التدبير في الكتاب إذا طال، أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فمن ذلك أن يُخرجه من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب بعد أن لا يخرجه من جملة ذلك الفن، ومن جمهور ذلك العلم، وقد يجب أن نذكر بعض ما أنهى إلينا من كلام خلفائنا من ولد العباس، ولو أن دولتهم أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان عربية أعرابية، وفي أجناد شامية، والعرب أوعى لما تسمع وأحفظ لما تأتي، ولها الأشعار التي تقيد عليها مآثرها وتخلد لها محاسنها، وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليتها فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً وتدبيراً لا يُحصى، ولو أن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم وما جرى في ذلك من فوائد الكلام وشريف المعاني، كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه وأسس لمن بعده ما يفي بجماعة ملوك بني مروان، ولقد تتبع أبو عبيدة النحوي وأبو الحسن المدائني وهشام الكلبي والهيثم بن عدي أخباراً اختلفت وأحاديث تقطعت فلم يدرکوا إلا قليلاً من كثير وممزوجاً من خالص، وعلى كل حال فإننا إذا صرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى

(١) الفرى: مفردة فرية وهي الكذب.

(٢) القطيع: السوط المنقطع طرفه.

وإسحاق بن عيسى وإسحاق بن سليمان وأيوب بن جعفر، وما رواه إبراهيم بن السندي عن السدي وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بني هاشم ومواليهم عرفت بتلك البقية كثرة ما فات وبذلك الصحيح، أين موضع الفساد مما صنعه الهيثم بن عدي وتكلفه هشام بن الكلبي، وسنذكر جملاً مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طرفاً، ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل فإنه يأتي من وراء الحاجة، ويُعرف بجملته مراد البقية.

التعريف بأبي جعفر المنصور:

قال: وكان المنصور داهياً أريباً مصيباً في رأيه سديداً، وكان مقدماً في علم الكلام ومكثراً من كتاب الآثار، ولكلامه كتاب يدور في أيدي العارفين الوراقين معروف عندهم، ولما هم بقتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فأرق في ذلك ليلته فلما أصبح دعا بإسحاق بن مسلم العقيلي. فقال له: حدثني حديث الملك الذي أخبرني عنه بحران قال: أخبرني أبي عن الحصين بن المنذر أن ملكاً من ملوك فارس يقال له سابور الأكبر، كان له وزير ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم الدين، فوجهه سابور داعية إلى خراسان وكانوا قوماً عجباً يعظمون الدنيا جهالة بالدين، ويخلون بالدين استكانة لفوت الدنيا، وذلاً لجابرتها، فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا، وأغتر بقتل ملوكهم لهم وتخولهم إياهم، وكان يقال: لكل ضعيف صولة ولكل ذليل دولة، فلما تلاحمت أعضاء الأمور التي لفتح استحال حرباً عواناً شالت أسافلها بأعاليها، فانقل العز إلى أرذلهم والنباهة إلى أخملهم، فأشربوا له حباً مع حفص من الدنيا، افتتح بدعوة من الدين، فلما استوسعت له البلاد بلغ سابور أمرهم وما أحال عليه من طاعتهم ولم يأمن زوال القلوب، وغدرات الوزراء فأحتال في قطع رجائه عن قلوبهم وكان يقال:

[الوافر]

وما قطع الرجاء بمثل يأس
تباده القلوب على اغترار
فصم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم، فقتله فبغتهم بحدث فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم، فوقف بهم بين الغربة ونأي الرجعة وتخطف الأعداء وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوه من الفرقة، فأذعنوا^(١) له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات حتف أنفه، فأطرق المنصور ملياً ثم رفع رأسه، وهو يقول:

[الطويل]

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا
وما علم الإنسان إلا ليعلما

(١) أذعنوا: خضعوا.

وأمر إسحاق بالخروج ودعا بأبي مسلم فلما نظر إليه داخلاً قال :

[الوافر]

قَدْ أَكْتَنَفْتُكَ خَلَاتٌ ثَلَاثٌ جَلَبْنَ عَلَيْكَ مُحْذَوْرَ الْحَمَامِ
خِلَافُكَ وَأُمْتِنَانُكَ تَرْتَمِينِي وَقَوْدُكَ لِلْجَمَاهِيرِ الْعِظَامِ
ثم وثب إليه ووثب معه بعض حشمه بالسيف فلما رآهم، وثب فبدره المنصور
فضربه ضربة طَوْحَه^(١) منها ثم قال :

[السريع]

اشْرَبْتُ بِكَأْسٍ كُنْتُ تَسْقِي بِهَا أَمَرَ فِي الْحَلْقِ مِنْ الْعَلَقِمْ
زَعَمْتُ أَنَّ الدِّينَ لَا يَقْتَضِي كَذَبْتُ فَاسْتَوْفِ أَبَا مَجْرِمٍ
ثم أمر فحز رأسه وبعث به إلى أهل خراسان، وهم ببابه فجالوا حوله ساعة، ثم ردَّ
عن شغبهم انقطاعهم عن بلادهم وإحاطة الأعداء بهم فذلوا وسلّموا له، فكان إسحاق إذا
رأى المنصور قال :

[الوافر]

وَمَا ضَرَبُوا^(٢) لَكَ الْأَمْثَالَ إِلَّا لَتَحْذَوْا إِنْ حَذَوْتُ عَلَى مِثَالِ
وكان المنصور إذا رآه قال :

[الطويل]

وَخَلَّفَهَا سَابُورٌ لِلنَّصَاسِ يَقْتَدِي بِأَمْثَالِهَا فِي الْمَعْضَلَاتِ^(٣) الْعِظَائِمِ
وكان المهدي يحب ألقیان وسماع الغناء، وكان مُعْجَباً بجارية يقال لها جوهر وكان
اشتراها من مروان الشامي، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي، وجوهر تغنيه فقال
مروان :

[الرملي]

أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَه فِي بَيَاضِ الدُّرَّةِ الْمَشْتَهَرَه
فَإِذَا غَنَيْتُ فَنَارٌ ضَرَمْتُ قَذَفْتُ^(٤) فِي كُلِّ قَلْبٍ شَرَرَه
فأتهمه المهدي وأمر به فدع في عنقه إلى أن خرج، ثم قال لجوهر أطربيني فأنشأت
تقول :

[الطويل]

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا يَكْلُمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوِشَاةِ كُلُّومِ^(٥)

(١) طوحه: أهلكه.

(٢) جاء في نسخة أخرى «احذوا» بدلاً من «ضربوا» وحذا بمعنى قد وقطع على مثاله.

(٣) المعضلات: الدواهي العظام.

(٤) جاء في نسخة أخرى «قدحت» بدلاً من «قذفت».

(٥) الكلوم: مفردة كلّم وهو الجرح.

فقال المهدي :

[الهج]

ألا يا جواهر القلب لقد زدت على الجواهر
وقد أكلمك الله بحسن الدل^(١) والمنظر
إذا ما صلت ما أحسن خلق الله بالمزهر
وغنيت ففاح البيت من ريقك بالعنبر
فلا والله ما المهدي أولى منك بالمنبر
فإن شئت ففي كم لك خلع ابن أبي جعفر

قال الهيثم : أنشدت هارون وهو ولي عهد ، أيام موسى بيتين لحمزة بن بيض في سليمان بن عبد الملك :

[الكامل]

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سخطه ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً وعلى جبينك نور ملك ساطع
قال : يا يحيى اكتب لي هذين البيتين ، ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له
بألفي درهم ، فاستقلها وبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال أما يرضى أني حقنت دمه ، وقد
استوجب إراقته ، ووفرت ماله وقد استحق تلفه ، وأقررت ، وقد استأهل الطرد ، وقربته
وقد استحق البعد ، أليس هو القائل في بني أمية ؟!

[المقارب]

إذا قيل من عند ريب الزمان لمعت^(٢) قهر ومحتاجها
ومن يعجل الخيل يوم الوغى بالجامها قبل إشراجها
أشارت نساء بني مالك إليك به قبل أزواجها
قال ابن هرمة : فإني قد قلت فيك أحسن من هذا . قال : هاتيه قال : قلت :

[المقارب]

إذا ما قلت أي فتى تعلمون أهش إلى الطعن بالذابل^(٣)
وأضرب للقرن يوم الوغى وأطعم في الزمن الماحل
أشارت إليك أكف الوري إشارة غرقى إلى ساحل
قال المنصور : أما هذا الشعر فمسترق ، وأما نحن فلا نكافي إلا بالتي هي أحسن ،
ولما أختال أبو المزهر بن المهلب لعبد الحميد بن ربيعي بن خالد بن معدان ، وأسلمه

(١) الدل : حسن الحديث .

(٢) المعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

(٣) الذابل : الرماح الدقيقة .

حميد إلى المنصور، قال: لا عذر فأعذر، وقد أحاط بي الذنب، وأنت أولى بما ترى، قال: لست أقتل أحداً من آل قحطبة بل أهب مسيئهم إلى محسنهم، وغادرهم لوفيهم. قال: إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ولست أَرْضَى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم، قال: أَسْكُتُ مقبوحاً مشقوقاً^(١)، أخرج فإنك أنوك^(٢) جاهل، أنت عتيقهم وطلیقهم ما حييت، ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله، وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده، والوقوف به على رؤوس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة، ثم قال: قل لهم: يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحساني إليه، وحسن بلائي عنده، وقديم نعمتي عليه، والذي حاول من الفتنة ورام من البغي، وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء، وإراقة الدماء، وإنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه، ورب^(٣) نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه، وما يؤمله من الأخير العاجل والآجل عند العفو عن ظلم، والصفح عن أساء، وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم. وقد سهل بن هارون يوماً، وهو عند المأمون من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال، قال المأمون قد يسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم، فإن كنت أردت هذا فوجهه الذي ذكرنا، ولو قلت: إن العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته، ولا يستقصى أصنافه، ولا يضبط آخره، فلا أمر على ما قلت، فإذا كان الأمر كذلك، فأبدأوا بالأهم فالأهم، وأبدأوا بالفرض قبل الثقل، فإذا فعلتم ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً، وقد قال بعض العلماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك، وأخف على قلبك، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك وسهولته عليك. وقال أيضاً بعض العلماء، لست أطلب العلم طمعاً في بلوغ غايته، والوقوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل إغفاله. وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر وجمل الفقه، وعلم التجار الحساب والكتاب، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازي وكتب السير، فأما أن تسمي الشيء علماً وتنتهي عنه من غير أن يكون شيء يشغل عملاً هو أنفع منه بل تنتهي نهياً جزماً وتأمر أمراً حتماً. والعلم بصر وخلافه عمى والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير أمرة به.

وصف كتاب الإمامة للجاحظ:

ولما قرأ المأمون كتيبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به، وصرت إليه، وقد كان

(١) المقبوح والمشقوق: المبعد والمطرود.

(٢) أنوك: أحمق.

(٣) ربا يربو: زاد ونما.

أمر أليزيدي بالنظر فيها ليُخبرَ عنها، قال لي: كان بعض من نرتضي عقله ونصدق خبره، خَبَرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة. فقلت: قد تُربي الصفة على العيان، فلَمَّا رَأَيْتُهَا رَأَيْتَ العيان قد أربى على الصفة، فلَمَّا فَلَيْتُهَا أربى الفلّي على العيان كما أربى العيان على الصفة، وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه ولا يفتقر إلى المحتجين عنه، قد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع ألفاظ الجزل والمخرج السهل فهو: سوقي ملوكي وعامي خاصي، ولَمَّا دَخَلَ عليه المَرْتَدُ الخراساني، وقد كان حمله من خراسان، حتى وافى به العراق، قال له المأمون: لَأَنْ أُسْتَحْيِكَ بِحَقِّ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتَلَكَ بِحَقِّ، ولأن أفيك بالبراءة أحب إلي من أن أدفعك بالتهمة، قد كنت مسلماً بعد أن كنت نصرانياً وكنت فيها أتيح^(١) وأيامك أطول فأستوحشت مما كنت به آنساً، ثم لم تلبث أن رجعت عتاً نافرأ، فخبَرنا عن الشيء الذي أوحشك من الشيء الذي صار آنس لك من إلفك القديم وأنسك الأول، فإن وجدت عندنا دواء دائك، تعالجت به، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة، وإن أخطأك الشقاء ونبا عن دائك الدواء، كنت قد أعذرت ولم ترجع إلى نفسك بلائمة، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، أو ترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة ونعلم أنك لم تقصّر في اجتهد ولم تفرط في الدخول في باب الحزم. قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم، قال المأمون: لنا اختلاف فإن أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وليس هذا باختلاف إنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة فمن أذن مثني وأقام لم يؤثم ومن أذن مثني وأقام فرادى لم يحوب^(٢) لا يتعايرون ولا يتعاييون، أنت ترى ذلك عياناً وتشهد عليه تبياناً والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأول الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع إجماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تنزيله ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثه رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا، قال المرتد: أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد وأن المسيح عبده وأن محمداً صادق وأنك أمير المؤمنين حقاً، فأقبل المأمون على

(١) جاء في نسخة أخرى «أتنخ» بالخاء ومعناه أقمت بدلاً من «أتيح» بمعنى ازداد نشاطاً وحركة في مشيه.

(٢) يحوب: يائثم.

أصحابه فقال: فإروا عليه عرضَه ولا تبروه في يومه ريشما يعتقُ إسلامُه كيلا يقول عدوه إنه أسلم رهبة، ولا تنسوا بعدُ نصيبكم من برِّه وتأنيسه ونصرته والفائدة عليه. حدثنا أحمد بن أبي داود قال: قال لي المأمون: لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزراءهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكُفاتهم وبين صنائعهم^(١) وبطانتهم^(٢) وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً حتى لا يزال الرجل يقول: ما أوقع به إلا رغبةً في ماله أو رغبةً في بعض ما لا تجود النفوس به، ولعل الحسد والملا والسهوة الاستبدال اشتركت في ذلك، وهناك خيانات في صلب الملك أو في بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة في الملك، ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب، ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة، ولا معروف عند أكثر الخاصة. ونزل رجل من أهل العسكر فغدا بين يدي المأمون وشكا إليه مظلّمته فأشار بيده أن حسبك، فقال له بعض من كان يقرب من المأمون: يقول لك أمير المؤمنين. اركب. قال المأمون: لا يقال لمثل هذا اركب إنما يقال له: انصرف، وحدثني إبراهيم بن السندي قال: بينا الحسن اللؤلؤي يحدث المأمون ليلاً، وهو بالرقعة، وهو يومئذ ولي عهد، وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون فقال الحسن: نَعَسَتْ أَيُّهَا الأمير؟ ففتح عينيه، وقال: سوقي ورب الكعبة يا غلام خذ بيده.

(١) الصنائع: الأتباع والخدم الذين ربوا بكنفهم.

(٢) البطانة: الحاشية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر بقية كلام النوکی والموسوسین والجفاة

والأغبياء وما ضارع ذلك وشاكله

وأحببنا أن لا يكون مجموعاً في مكان واحد إبقاء على نشاط القارىء والمستمع،
مر ابن أبي علقمة بمجلس بني ناجية فكبا حمارُهُ لوجهه فضحكوا منه، فقال: ما
يُضحككم رأى وجهه قريش فسجد؟! أبو الحسن قال: أتى رجل عبادياً صيرفياً يستسلف
منه مائتي درهم. فقال: وما تصنع بها؟ قال: أشتري بها حماراً فلعلي أربح فيه عشرين
درهماً، قال: إذا أنا وهبتك العشرين فما حاجتك إلى المائتين؟ قال: ما أريد إلاَّ
المائتين، فقال: أنت لا تريد أن تردّها عليّ، قال: وأتى قوم عبادياً فقالوا: نحبُّ أن
تسلف فلاناً ألف درهم وتؤخّره سنة، فقال: هاتان حاجتان وسأقضي لكم إحداهما، وإذا
فعلت ذلك فقد أنصفت، أما الدراهم فلا تسهل عليّ ولكني أؤخره سنتين. ولعب رجل
قدام بعض الملوك بالشطرنج فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام^(١)، قال له: لم لا
تولينني نهر بوق؟ قال: أوليك نصفه، اكتبوا له عهده على بوق، وقال له مرة: ولني
أرمينية قال: يبطىء على أمير المؤمنين خبرك، وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال
له: قد كنت عند أمير المؤمنين فأَيُّ شيء ولاك؟ قال: ولأني قفاه، قال: ونظر أمير إلى
أعرابي، فقال: لقد همّ ليّ الأمير بخير، قال: ما فعلت، قال: فبشر، قال: وما فعلت؟
قال: إنّ الأمير لمجنون، قال أبو الحسن: شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال
الحاكم: تشهد أنك رأيته يُدخله ويُخرجه قال: واللّه لو كنتُ جلدة أَسْتِها لَمّا شهدت
بهذا. قال: وكان رجل من أهل الرأي يُجالسنا فأخْتِيس عتاً، فأْتيته، فجلستُ معه على
بابه وإذا رجل يدخل ويخرج فقلت: من هذا؟ فسكت، ثم أعدتُ فسكت فلما أعدت
الثالثة، قال: هو زوج أخت خالتي. وقال الشاعر:

[الطويل]

إذا المرء جاز الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا سيتر

(١) فاوضه الكلام: جاره فيه.

فدعُهُ ولا تنفسُ عليه الَّذي أتى ولو جرَّ أَرْسانَ الْحِياةِ لَهُ الدَّهْرُ
أعرابي خاصمتهُ أمْرأته إلى السلطان، فقيل له: ما صنعت؟ قال: خيراً كَبَّها اللهُ
لوجهها وأمر بي إلى السجن. قال أبو الحسن: عرض الأسد لأهل قافلة، فتبرع عليهم
رجل فخرج إليه فلما رآه سقط وركبه الأسد فشُدُّوا عليه بأجمعهم، فتنحَّى عنه الأسد
فقالوا له: ما حالك؟ قال: لا بأس عليّ، ولكنَّ الأسد خرى في سراويلي، قال أبو عباية
السليطي: قد فسد الناس، قلت: وكيف؟ قال: ترى بساتين هزاذ مرد هذه ما كان يمر بها
غلام إلا بخفير. قلت: هذا صلاح، قال: لا بل فساد. أبو الحسن. قال: خطب
سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمانَ على أخيه، فقالت: لا أتزوجه، قال: ولم؟ قالت: هو
أحمق له برذونانٍ أشهبانٍ فيحتمل مؤنة اثنين وهما عند الناس واحد. قال: كان
المغيرة بن المهلب ممروراً وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مرَّته فقال له الحجاج:
ادخل المتوضى وأمر من يقيم عنده حتى يتقيأ ويُفريق. قال أبو الحسن: قالت خيرة بنت
ضمرة القُشيريةُ امرأةُ المهلب للمهلب، إذا أنصرفت من الجمعة فأجِبْ أن تمرَّ بأهلي.
قال لها: إنَّ أخاك أحمق. قالت: فيأتي أحبُّ أن تفعل فجاء، وأخوها جالس، وعنده
جماعة فلم يُوسع له فجلس المهلب ناحية، ثم أقبل عليه، فقال له: ما فعل ابن عمك
فلان؟ قال: حاضر. فقال: أرسل إليه. ففعل، فلما نظر إليه غير مرقوع المجلس قال: يا
أبن اللخناء، المهلب جالس ناحية وأنت جالس في صدر المجلس؟ ووائبه فتركه المهلب
وانصرف، فقالت له خيرة: أمررت بأهلي؟ قال: نعم. وتركت أخاك الأحمق يُضرب.
قال: وكتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب: أخطب على عبد الملك بن مروان امرأةً
جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعْلِها، فكتب
إليه قد أصبَّتها لولا عظم ثديها، فكتب إليه الحجاج: لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم
ثديها، قال المَرار بن منقذ الحملي^(١):

[الرمْل]

صلتة^(٢) الخدَّ طويلٌ جيدها ضخمةُ الثدي ولما ينكسرُ
قال علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه -: لا حتى تُدْفى الضجيع، وتُروى
الرضيع. وقال ابن صديقة لرجل رأى معه خُفًّا: ما هذه القلنسوة؟ فأُخْتُكموا إلى
عرباض، فقال عرباض: هي قلنسوة الرجلين. قال أبو إسحاق: قلت لخنجير كوز
وعدتك أن تجيء ارتفاع النهار فجئتني صلاة العصر، قال: جئتكَ ارتفاع العشي، قال:
قيل لأعرابي: ما أَسْمُ المرق عندكم؟ قال: السخين. قال: فإذا برد؟ قال: لا ندعه حتى

(١) جاء في نسخة أخرى «العدوي» بدلاً من «الحملي».

(٢) صلته الخد: ملساء الخد.

يبرد. باع نخاس^(١) من أعرابي غلاماً، فأراد أن يتبرأ من عيبه. قال: اعلم أنه يبول في الفُراش، قال: إن وجد فراشاً قليلاً فيه. حدثنا صديق لي قال: أتاني أعرابي بدرهم، فقلت له: هذا زائف^(٢) فمن أعطاك هذا؟ قال: لص مثلك، وقال زيد بن كثوة: أتيت بني كَشْ هؤلاء، فإذا عرسٌ وبلق الباب^(٣) فادرنفق^(٤) وادمج^(٥) فيه سرعان من الناس وألصت^(٦) ولوج الدار فدلطني^(٧) الحداد لفظة دهورني على قمة رأسي، وأبصرت شيوخاً من الحي هناك ينتظرون المزية فَعُجْتُ^(٨) إليهم، فوالله إن زلنا نظاراً نظاراً حتى عقل^(٩) الظل فذكرت أخلائي من بني تبر فقصدتهم، وأنا أقول:

[الطويل]

ترُكْنَ بني كَشْ وما في ديارهم عوامد وأعصوصبن^(١٠) نحو بني تبر
إلى معشرة شم الأنوف^(١١) قراهم إذا نزل الأضياف من قمع^(١٢) الجزر^(١٣)
وأنصرفت وأتيت باب كش وإذا الرجال صتيان^(١٤) وإذا أرمذ كثيرة وطهاة لا تُحصى
ولحمان في جثمان الآكام، صالح بن سليمان قال: أحقق الشعراء الذي يقول:

[الطويل]

أهيم بدعد ما حيئت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي
ولا يشبه قول الآخر:

[الطويل]

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
قال: مات لأبن مقرن غلام فحفر لهم أعرابي قبره بدرهمين، وذلك في بعض
الطواحين، فلما أعطوه الدرهمين، قال: دعوهما حتى يجتمع لي عندكم ثمن ثوب.
وأدخل أعرابي إلى المَرَبْد^(١٥) جليلاً له فنظر إليها بعض الغوغاء^(١٦)، فقال: لا إله إلا الله
ما أسمن هذه الجزر! قال له الأعرابي: ما لها تكون جزراً جزرك الله. قال أبو الحسن:
جاء رجل إلى رجل من ألوجوه فقال: أنا جارك، وقد مات أخي فلان فمُر لي بكفن.
قال: لا والله ما عندي اليوم شيء، ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون الذي تُحب،
قال: أصلحك الله فتملحه إلى أن يتيسر عندكم شيء. قال: كان مولى لبكرات يدعي

(١) النخاس: بائع الرقيق.

(٢) زائف: مغشوش.

(٣) بلق الباب: فتحه كله.

(٤) إدرنفق: تقدم بسرعة.

(٥) أدمج فيه: دخل.

(٦) ألص: أراد.

(٧) دلطني: ضربني.

(٨) عجت: ملت.

(٩) عقل: تقلص.

(١٠) اعصوصب: جد في السير.

(١١) شم الأنوف: كناية عن تكبرهم.

(١٢) القمع: أعلى السنام.

(١٣) الجزر: الناقة المذبوحة.

(١٤) الصتيت: الفرقة من الناس في جلية وفوضى.

(١٥) الجليب: ما جلب من بلد إلى بلد آخر.

(١٦) الغوغاء: الرعاع من العامة.

البلاغة فكان يتصفح كلام الناس فيمدح الردي ويذم الجيد، فكتب إلينا رسالةً يعتذر فيها عن ترك المجيء، فقال: وقطعني عن المجيء إليكم أنه طلعت في إحدى أليتي ابني بثرة^(١) فعظمت حتى صارت كأنها رمانة صغيرة. وقال علي الأسواري: فلما رأيته أصفر وجهي حتى صار كأنه الكثوث^(٢)، وقال محمد بن الجهم: إلى أين بلغ الماء منك؟ قال: إلى العانة. قال شعيب بن زُرارة: لو كان. إلى الشعرة كان أجود. وقال له محمد ابن الجهم: هذا الدواء الذي جئت به قدركم أخذ منه؟ قال: قدر بعرة. وقال علي: جاءني رجل حزنيل^(٣) من ههنا إلى ثمة، وقال قاسم التمار: بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض. وقال قاسم التمار: أينما رأيت إيوان كسرى كأنما رُفعت عنه الأيدي أول من أمس، وأقبل علي أصحاب له، وهم يشربون النبيذ، وذلك بعد العصر بساعة. فقال بعضهم: فمُ صل فاتتك الصلاة ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر: فمُ صل وملك فقد ذهب الوقت، فلما أكثر عليهم في ذلك، وهو جالس لا يقوم يصلي، قال له واحد منهم: فأنت لم تصل فأقبل عليه فقال: ليس والله يعرفون أصلي في هذا، قلت وأي شيء أصلك قال: لا نُصلي لأن هذه المغرب قد جاءت، وقال قاسم: أنا أنفُسُ بنفسي على السلطان، وأتى منزل ابن أبي شهاب، وقد تعشَّى القوم وجلسوا على النبيذ، فأتوه بخبز وزيتون وكامخ^(٤) فقال: أنا لا أشرب النبيذ إلا على زهومة^(٥)، وقال: حين بعث البغل بدأت بالفرج، وقال: ليس في الدنيا ثلاثة أنكحُ مني، أنا أكسل منذ ثلاث ليالٍ في كل ليلة عشر مرات، كأن الإكسال عنده هو الإنزال. وقال: ذهب والله مني الأطينين، قلت: وأي شيء الأطينين؟ قال: قوة اليدين والرجلين. وقال: فالتوى لي عزقٌ حين قعدتُ منها مقعد الرجل من الغلام، وقال في غلام له رومي: ما وضعت بيني وبين الأرض أطيّب منه. قال: ومحمد بن حسان لا يشكرني ووالله ما ناك حاذراً^(٦) قط إلا على يدي، وقال أبو خشرم ما أعجب أسباب النيك! فقيل له: النيك وحده، قال: سمعنا الناس يقولون: ما أعجب أسباب الرزق وما أعجب الأسباب، وكان قاسم التمار عند ابن لأحمد بن عبد الصمد بن علي، وهناك جماعة فأقبل وهب المحتسب يعرض له بالغلماين فلما طال ذلك على قاسم أراد أن يقطعه عن نفسه بأن يعرفه هو أن ذلك القول عليه، فقال: أشهدوا جميعاً أنني أنيك الغلمان، وأشهدوا جميعاً أنني أعفج^(٧) الصبيان، وألتفت ألفتاة فرأى

(١) البثرة: خراج صغير.

(٢) الكثوث: ضرب من النبات يتسلق ما يجاوره من الأشياء كالخيطان.

(٣) الحزنيل: القصير المجتمع.

(٤) الكامخ: ما يؤتدم به.

(٥) زهومة: رائحة اللحم التّن.

(٦) جاء في نسخة أخرى «حاذراً» بالذال ومعناه الفتى بدلاً من «حاذراً» بالذال.

(٧) العفج: الجماع.

الأخوين الهذليين، وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال، فقال: عنيت بقولي: فقال: أشهدوا جميعاً أنني لو طي أي على دين لوط، قال القوم بأجمعهم: أنت لم تقل أشهدوا أنني لو طي إنما قلت: أشهدوا أنني أنيك الصبيان، قال سفيان السدوسي: لم يكن في الأرض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالقرآت من ماشا الله، كان يُريد ماشا الله المنجم، وكان يقول هو أكفر عندي من رام هرمز يريد أكفر من هرمز.

وممن وسوس غلفاء بُن الحرث ملك قيس عيلان وسوس حين قتل إخوته وكان يتغلف ويغلف أصحابه بالغالية^(١) فسمى غلفاء بذلك. وكان رجل ينيك البغلات فجلس يوماً يحدث عن رجل كيف نال بغلة وكيف انكسرت رجله وكيف كان ينالها، قال: كان يضع تحت رجله لبنة فبينما هو ينحى فيها إذا انكسرت اللبنة من تحت رجله وإذا أنا على قفائي. ومن الأحاديث المولدة التي لا تكون وهو مليح في ذلك قولهم ناك رجل كلبة فقعدت عليه فلما طال عليه البلاء ورفع رأسه فصادف رجلاً يطلع عليه من سطح، فقال له الرجل: اضرب جنبها فلما ضرب جنبها وتخلص قال: قاتله الله أي نيك كلبات هو! وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا إلا حديث جرجيس فلما بكى واحد من النظارة قال القاص: أنتم بأي شيء تبكون إنما البلاء علينا معاشر العلماء، قال وبكى حول أبي شيبان ولده، وهو يريد مكة قال: لا تبكوا يا بني فإني أريد أن أضحي عندكم. وقال أخوه: ولدت في رأس الهلال للنصف من شهر رمضان أحسب أنت الآن هذا كيف شئت، وقال: تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة، وقال: ذلك لم يكن أباً إنما كان والدًا، وقال أبو دينار: هو وإن كان أخاً فقد ينبغي أن يُنصف، ومن المجانين علي بن اسحاق بن يحيى بن معاذ، وكان أول ما عُرف من جنونه أنه قال: أرى الخطأ قد كثر في الدنيا، والدنيا كلها في جوف الفلك وإنما نوتى منه، وقد تَلخلخل وتخرم وتزاييل، فاعتراه ما يعتري الهرماء، وإنما هو منجنون^(٢) فكم يصبر وسأحتال في الصعود إليه، فإني إن بخرته ورنديته وسويته انقلب هذا الخطأ كله إلى الصواب، وجلس مع بعض متغافلي فتيان العسكر، وجاءهم النخاس بجوار، فقال: ليس نحن في تقويم الأبدان إنما نحن في تقويم الأعضاء ثمن أنف هذه خمسة وعشرون ديناراً وثمان أذنيها ثمانية عشر وثمان عينيها ستة وسبعون وثمان رأسها بلا شيء من حواسها مائة دينار، فقال صاحبه المتغافل: ههنا باب هو أدخل في الحكمة من هذا، كان ينبغي لقدم هذه أن تكون لساق تلك وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه وكان ينبغي لشفتي تيك أن تكونا لفم تيك وأن تكون حاجباتيك لجبينتي هذه فسمي مقوم الأعضاء، ومن النوكى

(١) الغالية: ضرب من الطيب.

(٢) منجنون: الدولاب الذي يدور.

كِلَاب بن ربيعة وهو الذي قتل الخثعمي قاتل أبيه دون إخوته، وهو القائل:

[الوافر]

ألم ترني ثأرتُ بشيخِ صِدْقٍ وقد أخذَ الإداوةَ ^(١) فأحتسأها ^(٢)
ثأرتُ بشيخه شيخاً كريماً شفاء النفس إن شيء شفاها

ومنهم نعامه، وهو بيهس وهو الذي قال: مكره أخوك لا بطل، وإياه يعني الشاعر:

[الطويل]

ومن حذر الأيام ما حَزَّ أنْفُه قصيرٌ ولاقى الموتَ بالسيفِ بيهسُ
نعامه لَمَّا صرَّعَ القومُ رهطه تبَيَّن في أثوابه كيف يلبسُ

وقال الحضرمي: أما أنا فأشهد أن تميمًا أكثر من محارب، وقال حيان البزار: قَبَّحَ الله الباطلَ الرطبَ بالسكر، واللُّهُ طيب، قال أبو الحسن: سمعت الصغدي الحرثي يقول: كان الحجاج أحق بني مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم: لا تدخلوها فلما مات دبوا إليها من قريب، مسعدة بن المبارك قال: قلت للبكراوي بأمرأتك حمل؟ قال: شيء ليس بشيء، قال: بنى عبيد الله بن زياد البيضاء فكتب رجل على باب البيضاء شيء ونصف شيء ولا شيء الشيء مهرا الترحمان ونصف شيء هند ابنة أسماء ولا شيء عبيد الله بن زياد، فقال عبيد الله: اكتب إلى جنبه لولا الذي زعمت أنه لا شيء لَمَّا كان ذلك الشيء شيئاً ولا ذلك النصف نصفاً، وقال هشام بن عبد الملك يوماً في مجلسه: يُعرف حُمقُ الرجل بخصال بطول لحيته وشناعة كُنيتِه وبشهوته ونفش خاتمه، فأقبل رجل طويل اللحية، فقال: هذه واحدة ثم سأله عن كُنيتِه، فإذا هي شعاء فقال: هاتان ثنتان ثم قال: وأي شيء أشهى إليك؟ قال: رمانة مصاصة ^(٣)، قال أمصك الله بظُرْ أمك. وقيل لأبي القمقام لَم لا تغزو أو وتخرج إلى المصيصة؟ قال: أمصني الله إذا بظُرْ أمي، وقالوا لأبي الأصبع بن ربيعي: أما تسمعُ بالعدو وما يصنعون في البحر فلم لا تخرج إلى قتال العدو؟ قال: أنا لا أعرفهم ولا يعرفونني فكيف صاروا لي أعداء؟ قال: كان الوليد بن القعقاع عاملاً على بعض الشام، فكان يستسقي في كل خطبة وإن كان في أيام الشعري، فقام إليه شيخ من أهل حمص فقال: أصلح الله الأمير إذا تفسد القطاني، يعني الحبوب واحدها قطنية. وأما نفيس غلامي فإنه كان إذا صار إلى فراشه في كل ليلة في سائر السنة يقول في دعائه: اللهم حوالينا ولا علينا. قال: وكان بالرقعة رجل يحدث عن بني إسرائيل وكان يُكنى أبا عقيل، فقال له الحجاج بن حنتمة: ما كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال: حنتمة، فقال له رجل من ولد أبي موسى: في أي الكتب وجدت هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن

(٢) احتسى: شرب شيئاً فشيئاً.

(١) الإتاوة: المطهرة.

(٣) مصاصة: ممتلئة.

العاص . ومن اللحنين الأشراف ابن ضحيان الأزدي ، وكان يقرأ قل يا أيها الكافرين ، فقليل له في ذلك فقال : قد عرفت القراءة في ذلك ولكني لا أجل أمر الكفرة ، وقال حبيب بن أوس :

[الكامل]

ما ولدت حواء أحرق لحيه
من سائل يرجو الغنى من سائل
وقال أيضاً :

[الوافر]

أيوسف جئت بالعجب العجيب
سمعت بكل داهية نادر^(١)
أمالو أن جهلك عاد علماً^(٢)
ومالك بالغريب يد ولكن
وأنشدوا :

[الطويل]

أرى زمناً نوكا وأسعد أهله
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته
وهذه أبيات كتبناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها . وقال الشاعر :

[الطويل]

وللدهر أيام فكن في لباسها
وكن أكيس الكيس إذا كنت فيهم
وقال الآخر :

[الطويل]

وأنزلني طول النوى دار غربه
فحامقته حتى يقال سجيته
وقال أبو العتاهية :

[السريع]

من سابق الدهر كباكوبة
فاخط مع الدهر على ما خطا
ليس لما ليست له حيلة
وقال بشر بن المعتمر :

[السريع]

حيلة ما ليست له حيلة
حسن عزاء النفس والصبر

(١) النادر : الداهية .

(٢) جاء في نسخة أخرى « حلماء » بالحاء بدلاً من « علماء » بالعين .

وقال صالح بن عبد القدوس :

[الطويل]

وإنَّ عَنَاءَ أَنْ تُفَهِّمَ جَاهِلًا وَيُحَسِّبُ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ
مَتَى يُبْلَغُ الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَآخِرُ يَهْدِمُ

وقال بشر بن المعتمر :

[الكامل]

وَإِذَا الْغَبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًا أَعْيَى الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَالِ

ومن المجانين مهدي بن الملوح الجعدي، وهو مجنون بني جعدة، وبنو المجنون قبيل من قبائل بني جعدة، وهو غير هذا المجنون، وأما مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ وهو الذي يقال له مجنون بني عامر، وهما شاعران، قيل ذلك لهما لتَجَنُّنِهما بعشيقتين كانتا لهما، ولهما أشعار معروفة، وقد أدركت رواية المسجدين والمريدين ومن لم يروِ أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفة، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة، ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الأحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شيء، ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب، فصار زهدهم في نسيب العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب، ثم رأيتهم منذ سنين وما يروي عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتباني متغزل، وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نعيم وأبي مالك عمرو بن كُرْكُرَة مع من جالست من رواية البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده، وكان خلف يجمع ذلك كله، ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الإستخراج، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل، ورأيت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت لسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواية الكتاب أعم وعلى السنة حذاق الشعراء أظهر، ولقد رأيت أبا عمرو والشيباني يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر، وربما خُيِّلَ إليّ أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً لمكان إغراقهم في أولئك الآباء، ولولا أن أكون عيَّاباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك في

هذا الكتاب بعض ما سمعتُ من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة، قال ابن المبارك: كان عندنا رجلٌ يُكنى أبا خارجة فقلت: له لِمَ كُنْتُك أبا خارجة؟ قال: لأنني ولدْتُ يوم دخل سليمانُ بنُ علي البصرة، وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل وكان يُكنى أبا حزيمة فقلت لأصحابنا: هل لكم في مسألة هذا الحارس عن سبب كُنيتِه؟ ففعل الله يُفيد من هذا الشيخ علماً، وإن كان في ظاهر الرأي غير مأمول ولا مطمع، وهذه الكنية كنية زُرارة بنِ عُدس وكنية حازم بن حزيمة وكنية حمزة بن أدرك وكنية فلان وفلان وكل هؤلاء إما قائد متبوع وإما سيد مطاع، ومن أين وقع هذا العلج الألكن على هذه الكنية؟ فدعوته فقلت له: هذه الكنية كُنَّاك بها إنسان أو كُنيتَ بها نفسك؟ قال: لا ولكني كُنيتُ بها نفسي. قلت: فَلِمَ أَخترتها على غيرها؟ قال: وما يدريني؟ قلت: أَلَك ابنٌ يُسمى حزيمة؟ قال: لا، قلت أفكان أبوك أو عمُّك أو مولى لك يُسمى حزيمة؟ قال: لا، قلت: فأتَرَكَ هذه الكُنية واكتنَ بأحسنَ منها وخذْ مني ديناراً. قال: لا والله ولا بجميع الدنيا. أعطى المحلول ابنه درهماً وقال: رنه فطرح وزن درهمين وهو يحسبه وزن درهم، فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم فلما رفعه وجده شاكلاً^(١) فلقى معه حبتين فقال له أبوه: كم فيه؟ قال: ليس فيه شيء وهو ينقص حبتين، وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش فأخذ يوماً في ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة فقال: إن الذي عاش خمسين سنة لم يعيش شيئاً وعليه فضل سنتين، قالوا: وكيف ذاك؟ قال خمساً وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلاً ولا كثيراً وخمس سنين قائلة^(٢) وعشرين سنة إما أن يكون صبيّاً وأما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ولا بد من صبحه^(٣) بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكالغشى الذي يُصيب الإنسان مراراً في دهره وغير ذلك من الآفات فإذا حصلنا ذلك فقد صح أن الذي عاش خمسين سنة لم يعيش شيئاً وعليه فضل سنتين، وقال بعض الهلاك^(٤): دخل فلان على كسرى. فقال: أصلحك الله ما لأمر في كذا كذا، قال رجل من وجوه أهل البصرة: حدثت حادثة أيام الفرس فنأدى كسرى: الصلاة جامعة، وقلت: لغلامي نفيس بعثك إلى السوق في حوائج فأشتريت ما لم أمرك به وتركت كل ما أمرتك به، قال: يا مولاي أنا ناقةٌ وليس في ركبتني دماغ، وقال نفيس لغلाम لي: الناس ويليكَ أنت حياء كلهم أقل، يريد أنت أقل الناس كلهم حياء، وقلت لقيس بن بريهة: هذا الصبي في أي

(١) جاء في نسخة أخرى «زالاً» ومعناه هابطاً بدلاً من «شاكلاً».

(٢) القائلة: النوم في الظهيرة.

(٣) الصبحه: النوم بالغداة.

(٤) الهلاك: الصعاليك يرومون الإحسان من الناس.

شيء أسلموه؟ قال: في أصحاب سند نعال يريد في أصحاب النعال السندية، روى الأصمعي وابن الأعرابي عن رجالهما أن رسول الله ﷺ قال: **إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءُ فَقَالَ نَاسٌ إِلَيْكَ الْقَلَّةُ وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ اللَّبَنِ، فَقَدْ جَعَلَ صِفَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَلَّةَ الْكَلَامِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ إِثَارِ الصَّمْتِ وَمِنْ التَّحْصِيلِ وَقَلَّةِ الْفُضُولِ، فَلَنَا لَيْسَ فِي ظَاهِرِ هَذَا الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَلَّةَ مِنْ عَجْزٍ فِي الْخَلْقَةِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ ظَاهِرُ الْكَلَامِ الْوَجْهَيْنِ جَمِيعاً. وَقَدْ يَكُونُ الْقَلِيلُ مِنَ الْلفظ يَأْتِي عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعْنَى، وَالْقَلَّةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا مِنْ جَهَةِ التَّحْصِيلِ وَالْإِشْفَاقِ مِنَ التَّكْلُفِ وَعَلَى تَصْدِيقِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(١) وعلى البعد من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة، وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى جياذ المعاني والجهل بمحسن الألفاظ ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى على نبينا وعليه السلام حين قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ شَيْحِكَ كَثِيرًا وَنَذْرُكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾^(٢) فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبي ﷺ أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة من موسى لأن العرب أشد فخراً ببيانها وطول ألسنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها، وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال، وقد شاهدوا النبي ﷺ وخطبه الطوال في المواسم الكبار ولم يُطْلَ التماساً للطول ولا رغبة في القدرة على الكثير ولكن المعاني إذا كثرت والوجوه إذا أفتنت كثر عدد اللفظ وإن حذفت فضولُه بغاية الحذف، ولم يكن الله يُعْطِي موسى لتمام إبلاغه شيئاً لا يُعْطِيه محمداً، والذين بعث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيان واللُّسْنُ، وإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا لِنَحْصِمَ جَمِيعَ وَجُوهِ الشَّغْبِ لَا أَنْ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِهِ شَاهِدَ هُنَاكَ طَرَفًا مِنَ الْعَجْزِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَرْتَبًا وَمَسْمُوعًا لاحتجوا به في الملام ولتناجوا به في الخلاء، ولتكلم به خطيبهم ولقال فيه شاعرهم فقد عرف الناس كثرة خطبائهم وتسرع شعرائهم، هذا على أننا لا ندري أقال ذلك رسول الله ﷺ أم لم يقله لأن مثل هذه الأخبار يُحتاج فيها إلى الخبر المكشوف الحديث المعروف، ولكننا بفضل الثقة وظهور الحجة نُجِيبُ بِمِثْلِ هَذَا وَشَبِهِهِ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مِنْ يُقْرَضُ الشَّعْرُ وَيَتَكَلَّفُ الْأَسْجَاعُ وَيُؤَلَّفُ الْمَزْدُوجُ وَيَتَقَدَّمُ فِي تَحْبِيرِ الْمُنْثُورِ وَقَدْ تَعَمَّقَ فِي الْمَعْنَى وَتَكَلَّفَ إِقَامَةَ الْوِزْنِ وَالَّذِي تَجُودُ بِهِ الطَّبِيعَةُ وَتُعْطِيهِ النَّفْسُ سَهْوًا رَهْوًا مَعَ قَلَّةِ لَفْظِهِ وَعَدَدِ هِجَائِهِ أَحْمَدُ أَمْرًا وَأَحْسَنُ مَوْقِعًا مِنَ الْقُلُوبِ وَأَنْفَعُ لِلْمَسْتَمْعِينَ مِنْ كَثِيرٍ خَرَجَ بِالْكَدِّ وَالْعِلَاجِ، وَلَئِنْ التَّقَدَّمَ**

(١) سورة ص، الآية: ٨٦.

(٢) سورة طه، الآيات: ٢٧ - ٣٧.

فيه وجمع النفس له وحصر الفكر عليه لا يكون إلا ممن يُحِبُّ السَّمْعَةَ ويَهْوِي الفلج^(١) والاستطالة، وليس بين حال المنافسين وبين حال المتحاسدين إلا حجاب رقيق وحِجَارٌ ضعيفٌ، والأنبياء بمندوحة من هذه الصفة وفي ضد هذه الشيمة، وقال عامر بن عبد قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان، وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ جمّة ومعانٍ تدعو إلى الرقة فلم ير الحسن رقاً، فقال الحسن: إما أن يكون بنا شرٌّ أو بك، يذهب إلى أن المستمع يرقُّ على قدر رقة القائل، والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبي ﷺ: نُصِرْتُ بِالْأَصْبَا وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلَمِ، وهو القليل الجامع للكثير، وقال الله تعالى وقوله الحق: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾^(٢) ثم قال: ﴿وَمَا يَلْبَغِي لَهُ﴾ ثم قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾^(٣) فعمّ ولم يخصّ وأطلق ولم يُقيّد، فمن الخصال التي ذمهم بها تكلف الصنعة والخروج إلى المباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق، ومن كان كذلك كان أشدَّ افتقاراً إلى السامع من السامع إليه لشغفه أن يذكر في البلغاء وصابته بالحق بالشعراء ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة وولد ذلك في قلبه شدة الحمية وحب المحاربة، ومن سَخَفَ هذا السخف وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة كانت حاله داعية إلى قول الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة إلى الناس والإفراط في مديح من أعطاه وذم من منعه، فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب والحساب ولم يرغبه في صنعة الكلام، والتقيد لطلب الألفاظ والتكلف لإستخراج المعاني، فجمع له باله كله في الدعاء إلى الله والصبر عليه والمجاهدة فيه والانبئات^(٤) إليه والميل إلى كل ما يقرب منه، فأعطاه الإخلاص الذي لا يشوبه رياء واليقين الذي لا يعتوره شك والعزم المتمكّن والقوة الفاضلة، فإذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبّد للمعاني وتعوّد نظمها وتنزيدها وتأليفها وتنسيقها وأستخرجها من مدافنها وإثارتها من أماكنها علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم ممّا قد أَسْتَفْرَغَهُمْ وَأَسْتَفْرَقَ مَجْهُودَهُمْ وبكثير ما قد خولوه، قليلاً مما يكون معه على ألبداهة وألفجاءة من غير تقدم في طلبه واختلافٍ إلى أهله، وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لا ينفكون في بعض تلك المقامات من بعض الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخلل ومن أَلْتَفَنَ والانتشار ومن التشديق^(٥) والإكثار، ورأوه مع ذلك يقول: إياي والتشادق، وأبغضكم

(١) جاء في نسخة أخرى «النفج» ومعناها الفخر والتكبر، بدلاً من «الفلج» باللام.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٩. (٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢٥، ٢٢٦.

(٤) الانبئات: الانقطاع.

(٥) التشديق: تصنع الفصاحة بأن يلوي الإنسان شذقه.

إِلَى الثَّرَاوُونَ^(١) الْمُتَفِيهِقُونَ^(٢)، ثُمَّ رَأَوْهُ فِي جَمِيعِ دَهْرِهِ غَايَةً فِي التَّسْدِيدِ وَالصَّوَابِ التَّامِ وَالْعِصْمَةِ الْفَاضِلَةِ وَالتَّأْيِيدِ الْكَرِيمِ، وَعَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ ثَمَرَةِ الْحِكْمَةِ وَنَتَاجِ التَّوْفِيقِ وَإِنْ تِلْكَ الْحِكْمَةُ مِنْ ثَمَرَةِ التَّقْوَى وَنَتَاجِ الْإِخْلَاصِ، وَلِلْسَلَفِ الطَّيِّبِ حَكْمٌ وَخُطْبٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ وَمَدْخُولَةٌ لَا يَخْفَى شَأْنُهَا عَلَى نَقَادِ الْأَلْفَاظِ وَجِهَابِذَةِ الْمَعَانِي، مُمَيِّزَةٌ عِنْدَ الرِّوَاةِ الْخُلَّصِ، وَمَا بَلَّغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَنَّ أَحَدًا وَلَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً وَاحِدَةً فَهَذَا وَمَا قَبْلَهُ حِجَّةٌ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ إِنْ كَانَ حَقًّا، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزِلِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ مَنَحَةَ دَاوُدَ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ كَمَا أَعْطَاهُ الْإِنَانَةَ الْحَدِيدَ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ وَالْخَبَرِ الْمَشْهُورِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: شَعِيبُ خُطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعِلْمُ اللَّهِ سَلِيمَانُ مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَكَلَامُ النَّمْلِ وَلُغَاتُ الْجَنِّ، فَلَمْ يَكُنْ عَزَّ وَجَلَّ لِيُعْطِيَهُ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْتَلِيهِ فِي نَفْسِهِ وَيُبَيِّنُهُ عَنْ جَمِيعِ شَأْنِهِ بِالْقَلَةِ وَالْمَعْجَزَةِ ثُمَّ لَا تَكُونُ تِلْكَ الْقَلَةُ إِلَّا عَلَى الْإِثَارِ مِنْهُ لِلْقَلَةِ فِي مَوْضِعِهَا، وَعَلَى الْبَعْدِ مِنْ اسْتِعْمَالِ التَّكْلِيفِ وَمُنَاسَبَةِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ وَالْمَشْغُوفِينَ بِالسَّمْعَةِ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي رَوَيْتُمْ مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٍ، عَلَى مَا تَأَوَّلْتُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ عَامٌ فِي جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَالَّذِي ذَكَّرْنَا مِنْ حَالِ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَحَالَ شَعِيبٍ وَالنَّبِيِّ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى بَطْلَانِ تَأْوِيلِكُمْ وَرَدُّ لِعُمُومِ لَفْظِ الْحَدِيثِ، وَهَذِهِ جُمْلَةٌ كَافِيَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرِيدُ الْإِنْصَافَ، وَكَانَ شَيْخٌ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا جَعَلَ نَبِيَّهَ أَمِيًّا لَا يَكْتُبُ وَلَا يَحْسِبُ وَلَا يَنْسَبُ وَلَا يَقْرُضُ الشَّعْرَ وَلَا يَتَكَلَّفُ الْخُطَابَةَ وَلَا يَتَعَمَّدُ الْبَلَاغَةَ لِيَنْفَرِدَ اللَّهُ بِتَعْلِيمِهِ الْفَقْهَ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَيَقْصُرَهُ عَلَى مَعْرِفَةِ مَصَالِحِ الدِّينِ دُونَ مَا تَتَبَاهَى بِهِ الْعَرَبُ مِنْ قِيَاةٍ^(٣) الْأَثَرِ وَعِيَاةِ الطَّيْرِ وَمَنْ الْعِلْمُ بِالْأَنْوَاءِ وَبِالْخَيْلِ وَبِالْأَنْسَابِ وَبِالْأَخْبَارِ وَتَكْلُفُ قَوْلِ الْأَشْعَارِ لِيَكُونَ إِذَا جَاءَ بِالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَتَكَلَّمَ بِالْكَلامِ الْعَجِيبِ كَانَ ذَلِكَ أَدْلَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْنَعْهُ مَعْرِفَةَ آدَابِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ لِيَكُونَ أَنْقَصَ حِظًّا مِنَ الْحَاسِبِ وَالْكَاتِبِ وَمَنْ الْخُطِيبِ الْأَنَاسِبِ وَلَكِنْ لِيَجْعَلَهُ نَبِيًّا وَلِيَتَوَلَّى أَمْرَ تَعْلِيمِهِ بِمَا هُوَ أَزْكَى وَأَنْمَى فَإِنَّمَا نَقَصَهُ لِيَزِيدَهُ وَمَنْعَهُ لِيُعْطِيَهُ وَحَجَّجَهُ عَنِ الْقَلِيلِ لِيَجْلِيَ لَهُ الْكَثِيرُ، وَقَدْ أَخْطَأَ هَذَا الشَّيْخُ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْخَيْرَ، وَقَالَ بِمَبْلَغِ عِلْمِهِ وَمُنْتَهَى رَأْيِهِ، وَلَوْ زَعَمَ أَنَّ أَدَاةَ الْحِسَابِ وَالْكِتَابَةِ وَأَدَاةَ قَرِيضِ الشَّعْرِ وَجَمِيعِ النَّسَبِ قَدْ كَانَتْ فِيهِ تَامَةً وَافرةً مَجْتَمِعَةً كَامِلَةً وَلَكِنَّهُ ﷺ صَرَفَ تِلْكَ الْقَوَى وَتِلْكَ الْإِسْطَاعَةَ إِلَى مَا هُوَ أَزْكَى بِالنَّبُوَّةِ وَأَشْبَهُ بِمَرْتَبَةِ الرِّسَالَةِ وَكَانَ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى الْبَلَاغَةِ كَانَ أَبْلَغَ الْبَلْغَاءِ، وَإِذَا أَحْتَاجَ إِلَى الْخُطَابَةِ كَانَ أَخْطَبَ الْخُطْبَاءِ وَأَنْسَبَ مِنْ كُلِّ

(١) الثَّرَاوُونَ: كثيرو الكلام بلا فائدة.

(٢) المتفقيهُون: مفردُه متفقيهُ وهو من يملأُ فاه بكلامه عند إخراجِه.

(٣) القِيَاة: معرفة الآثار وتبعتها.

ناسب وأقوف من كلِّ قائفٍ، ولو كان في ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب وشاعر ناسب ومتفرس قائف ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ومكروهم ومحبوبهم ولكنه أراد أن لا يكون للشاعر متعلقٌ عمّا دعا إليه حتى لا يكونَ دون العرفة بحقه حجابٌ وإن رَقَّ وليكونَ ذلك أخف من المؤنة وأسهل في المحنة فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها، فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به، والعادة توأم الطبيعة، فأما في غير ذلك قاله إذا شاء كان أنطق من كل منطيق وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف وكانت آلتُه أوفرَ وأداته أكمل إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أبعد، وبين أن يُضيفَ إليه العجز وبين أن يُضيفَ إليه العادة الحسنة وأمتناع الشيء عليه من طول الهجران له فزقٌ، ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام في حال معجزة قط بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصرَ عنه كل مطيل وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر، فكيف ذهب ذلك المذهب، والظاهر من أمره عليه السلام غير ما توهم.

وسنذكر بعض ما جاء في تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ والمدارة له وما أشبه ذلك، قال أبو عبيدة: اجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعدة فقبل لشيخ من بني سعد: ما عندك؟ قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أفئج^(١) وقيل للآخر: ما عندك؟ قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكف، فقبل للآخر الثالث: ما عندك؟ قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكش^(٢) فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا وخلوهم، قال: وبنو ضرار أحد بني ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبياناً وهم شَماخ ومُزَرَّد وجزء أرادت أمهم وهي أم أوس أن تتزوج رجلاً يسمى أوساً وكان أوس هذا شاعراً فلما رآه بنو ضرار بفناء أمهم للخطبة تناول شَماخ حبل الدلو ثم متح^(٣) وهو يقول:

أَم أَوَيْسٍ نَكَحْتُ أَوَيْسَا

وجاء مزَرَّد فتناول الحبل فقال:

أَعَجَبَهَا حَدَارَةٌ^(٤) وَكَيْسَا

وجاء جزء فتناول الحبل ثم قال:

أَصْدَقَ مِنْهَا لَجِبَةٌ^(٥) وَتَيْسَا

(١) أفئج: أعيا.

(٢) أنكش: أنزف.

(٣) متح الماء من البئر: استخرجه.

(٤) الحدارة: امتلاء الجسم.

(٥) اللجة: الشاة القليلة اللبن.

فلما سمع أوس رجز الصبيان بها هرب وتركها .

أثر الهجاء في القبائل المهجوة:

قال أبو عبيدة: كان الرجل من بني نُمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: نميري كما ترى فما هو إلا أن قال جرير:

[الوافر]

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَكَ غَبَابٌ بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

فصار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر، قال: فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين:

[الوافر]

وسوف يزيدكم ضعة هجائي كما وضع ألّهجاء بني نُمير

فلما هجاهم أبو الرديني العكلي فتوعده بالقتل قال الرديني:

[الوافر]

أَتَوَعِدُنِي^(١) لَتَقْتُلَنِي نَمِيرٌ متى قتلت نَمِيرٌ مَنْ هجاها

فسد عليه رجل منهم فقتله، وما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جرير، ويزعمون أن امرأة مرّت بمجلس من مجالس بني نمير فتأملها ناس منهم فقالت يا بني نمير لا قول الله سمعتم ولا قول الشاعر أعطتم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَلْبُسِهِمْ﴾^(٢) وقال الشاعر:

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَكَ غَبَابٌ بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً، ولقد أحسن من ولده، وفي نمير شرف كثير، وهل أهلك عنزة وجرماً وعُكلاً وسلولاً وباهلةً وغنياً إلا الهجاء، وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض النقص فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء، وهل فضح الحبطات مع شرف حكمة بني عتاب وعباد بن الحصين وولده إلا قول الشاعر؟؟

[الوافر]

رَأَيْتُ الْحَمَرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا كما ألحبطات^(٣) شر بني تميم

وهل أهلك ظليم البراجم إلا قول الشاعر؟؟

[الرجز]

إِنَّ أَبَانَا فِقْحَةً لِدَارِهِمْ كما الظِّلِيمُ فِقْحَةٌ^(٤) البراجم

(١) جاء في نسخة أخرى «توعدي» بدون همزة بدلاً من «أتوعدي» بالهمزة.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٣) الحبطات: هم أبناء الحارث بن مالك بن عمرو وهو لقب له.

(٤) الفقحة: حلقة الدبر

وهل أهلك بني العجلان إِنْ أَقُولُ الشاعر :

[الطويل]

إذا اللَّهْ عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهط أبْنِ مقبل
قبيلته لا يغدرون بَذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء إلا عشيّة إذا صدر الوراد عن كل منهل
وأما قول الأخطل :

[الطويل]

وقد سرّني من قيس عيلان أنّني رأيت بني العجلان سادوا بني بدر
فإنّ هذا البيت لم ينفع بني العجلان ولم يضرّ بني بدر، قال أبو عبيدة: كان الرجل
من بني أنف الناقة، إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني فُريع: فما هو إلا أن قال
الحطيئة:

[البيط]

قوم هم الأنف والأذنا بغيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا
فصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة، وناس سلموا
من الهجاء بالخمول والقلة كما سلمت غسان وغيلان من قبائل عمرو بن تميم وأبتليت
الحبّاط لأنها أنبه، والنباهة التي لا يضرّ معها الهجاء مثل نباهة بني بدر وبني فزارة ومثل
نباهة بني عدس بن زيد وبني عبد الله بن دارم ومثل نباهة الديان بن عبد الممدان وبني
الحرث بن كعب، فليس يسلم من مضرة الهجاء إلا خامل جدّاً، أو نبيه جدّاً، وقد
هجيت فزارة بأكل أير الحمار وبكثرة شعر القفا لقول الحرث بن ظالم:

[الوافر]

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقاب
ثم افتخر مفتخرهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مُزرد بن ضرار:

[الوافر]

منيع بين ثعلبة بن سعد وبين فزارة الشعر الرقاب
فما من كان بينهما بنكس^(١) لعمرك في الخطوب ولا بكاب^(٢)
وأما قصة أير الحمار فإنما اللؤم على المطعم لرفيقه ما لا يعرفه، فهل كان على
الفزاري في حق الأنفة أكثر من قتل من أطعمه الجوفان^(٣) من حيث لا يدري؟! فقد هُجوا
بذلك وشرفهم وافر، وقد هجيت الحرث بن كعب وكتب الهيثم بن عدي فيهم كتاباً فما
ضعف ذلك منهم حتى كأنّه قد كتبه لهم، ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثوري ما علم

(١) النكس: الرجل الضعيف.

(٢) الكابي: هو من دعي إلى الخير ولم يستجب له.

(٣) الجوفان: ذكر الحمار.

الناس أن في الرباب حياً يقال لهم بنو ثور، وفي عُكْل شعرٌ وفصاحةٌ وخيلٌ معروفةُ الأنساب وفرسان في الجاهلية والإسلام، وزعم يونس أن عُكلاً أحسن العرب وجوهاً غلب حرب، وقال بعض فتاك بني تميم:

[الطويل]

خليلي الفتى العكلي لم أر مثله تحلبُ كفاه ندَى شائعِ القدرِ
كأنَّ سُهَيْلاً حين أوقدَ نارهُ بعلياء لا يخفى على أحدٍ يسري
ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حظهم في الشرف ولكن لنضمه إلى قول جرّان العود:

[الطويل]

أراقبُ لمحاً من سهيلٍ كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يطرفُ
وربّما أتيت القبيلة إذا برّزت عليها إخوتها كنحو فُقيم بن جرير بن دارم وزيد بن عبد بن دارم وكنحو الجرّماز ومازن، ولذلك يقال: إنَّ أصلح الأمور لمن تكلف علم الطلب أن لا يحسن منه شيئاً أو يكون من ألدّ الحذاق المتطبيين فإنّه إن أحسن منه شيئاً ولم يبلغ فيه المبالغ هلك وأهلك أهله، وكذلك العلم بصناعة الكلام وليس كذلك سائر الصناعات فليس يضرُّ من أحسن باب الفاعل والمفعول به وباب الإضافة وباب المعرفة والنكرة أن يكون جاهلاً بسائر أبواب النحو، وكذلك من نظر في علم الفرائض فليس يضرُّ من أحكم باب الصلْب أن يجهل باب الجَدِّ وكذلك الحساب وهذا كثير، وذكروا أنَّ حزنَ بن الحرث أحد بني العنبر ولد محجناً فولد محجن شعيث بن سهم فأغار على إبله فأتى أوس بن حجر يستنجده، فقال له أوس: أو خير من ذلك احضض لك قيس بن عاصم، وكان يقال: إن حزن بن الحرث وهو حزن بن منقر فقال أوس:

[الطويل]

سائلُ بها مولاك قيسَ بن عاصم فمولاك مولى السَّوءِ إن لم تغيرِ
لعمرك ما أدري أمّن حزن محجن شعيث بن سهم أم الحزن بن منقرِ
فما أنت بالمولى المضيع حقّه وما أنت بالجار الضعيف المُستَرِ^(١)

فسعى قيس في إبله حتى ردّها عن آخرها، وقال الآخر:

[البسيط]

ألهى بني تغلب عن كلّ مكرمةٍ قصيدةً قالها عمرو بن كلثوم
ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مخارق بن شهاب حين أتاه محمد بن المكعبير العنبري الشاعر فقال إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها. فقال: وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة؟ فلما ولّى عنه محمد محزوناً بكى مخارق

(١) المستر: الخائف.

حتى بلّ لحيته، فقالت له أبنته: ما يُبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أُعْثه؟! واللّه لئن هجاني ليفضحني قوله ولئن كفّ عني ليقْتلَنّي شكره ثم نهض فصاح في بني مازن فردّت عليه إبله وذكر وردان الذي كان أخفّره^(١) فقال:

[الطويل]

أقول وقد بزّت^(٢) بتعشار بزة
فعضّ الذي أبقي المواسي^(٣) من أمّه
إذا نزلت وسط الرباب وحولها
حميت خزاعياً وأفناء مازن^(٤)
ستعرفها ولدان ضبة كلّها
لوردان جدّ الآن فيها أو العَبِ
خفير رآها لم يُشَمّر ويغضب
إذا حصّنت ألفا سنان مجرّب^(٥)
ووردان يحمي عن عدي بن جندب
بأعينها مردودة لم تُعيّب

قال: وفد رجل من بني مازن على النعمان بن المنذر، فقال له النعمان: كيف مخارق بن شهاب فيكم؟ قال: سيد كريم وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ذهب إلى قوله:

[الطويل]

تري ضيفها فيها يبيت بغبطة وجار ابن قيس جائع يتحوّب^(٦)

قال: ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والضر أن ليلي بنت النضر بن الحرث بن كلدّة لما عرضت للنبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت وأستوفّفته وجذبت بردائه حتى انكشفت منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله ﷺ، لو كُتبت سمعت شعرها هذا ما قتلتها. والشعر:

[الكامل]

يا راكبا إن الأثيل^(٧) مظنة
أبلغ بها ميتاً بأن قصيدة
فليسمعن النضر إن ناديتُهُ
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه^(٨)
قسراً يقاد إلى المنيّة مُتعباً
من صبح خامسة وأنت موقّ
ما إن تزال بها الركائب^(٩) تخفق^(١٠)
إن كان يسمع ميت لا ينطق
لله أرحام هناك تشقّق
رسف^(١١) المقيّد وهو عان^(١٢) موقّ

(٢) بزّت: سلبت.

(١) أخفّره: نقض عهده.

(٣) المواسي: مفردة موسى.

(٤) جاء في نسخة أخرى «محرّب» بالحاء، وهو المحدد بدلاً من «مجرّب» بالجيم.

(٥) خزاعة ومازن: قبيلتان.

(٦) يتحوّب: يتوجّع، يتألم.

(٧) الأثيل: اسم واد بناحي المدينة.

(٨) تخفق: تضطرب.

(٩) تنوشه: تتناوله وتعرض له.

(١٠) رسف في قيده: مشى فيه.

(١١) عان: الأسير.

أَمَحَمَّدُهَا أَنْتَ ضِنُو^(١) نَجِيبَةٌ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلُ مُعْرَقٍ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّيْمَا مَنَ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمَحْنَقُ^(٢)
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مِنْ تَرَكْتَ قَرَابَةَ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقَ يَعْتَقُ

قال: ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة أَلَسَّبَ عليهم وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ويسببه الأحياء والأموات إنهم إذا أسروا الشعراء وأخذوا عليه الموائيق وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعد يغوث بن وقاص المحاربي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب، وهو الذي يقول:

[الطويل]

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ^(٣) أَمَعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَنْ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ لَخِيلِي كُرِّي كَرَّةً عَنْ رَجَالِيَا
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَعُنْ نِدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
أَبَا كَرِبٍ وَالْأَيَّهْمِينَ كِلَيْهِمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا فكان ينوح بهذه الأبيات، فلما أنشد قومه هذا الشعر قال قيس: لبيك وإن كنت أخرتني، وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك؟ فقال: لا بد للمصدور من أن ينفث، وقال معاوية لصحار العبدى: ما هذا الكلام الذي يظهر منك؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا، وقال ابن حرب: من أحسن شيئاً أظهره، وفي المثل من أحب شيئاً أكثر ذكره، وقال: خاصم أبو الحويرث السحيمي حمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله في طوي^(٤) له فقال أبو الحويرث:

[البسيط]

أَغْمَضْتُ^(٥) فِي حَاجَةٍ كَأَنْتَ تُورِّقُنِي لَوْلَا الَّذِي قُلْتُ فِيهَا قَلَّ تَعْمِيْضِي
قال: وما قلت لك؟ قال:

[البسيط]

حَلَفْتُ بِاللَّهِ لِي أَنْ سَوْفَ تُنْصِفُنِي فَسَاغَ فِي الْحَلْقِ رَيْقٌ بَعْدَ تَجْرِیْضِ^(٦)
قال: وأنا أحلف بالله لأنصفك: قال:

[البسيط]

فَأَسْأَلُ أَلَى عَنْ أَلَى إِنْ مَا خَصُومَتُهُمْ أَمْ كَيْفَ أَنْتَ وَأَصْحَابُ الْمَعَارِيْضِ

(١) جاء في نسخة أخرى «ضنء» بالنون والهمزة ومعناها الولد بدلاً من «ضنو» والضنو أيضاً بمعنى الولد.

(٢) المحنق: شديد الغضب.

(٣) النسعة: سير النعال تشد به الرحال.

(٤) طوي: بئر مطوية في حجارة بمكة.

(٥) التجريض: الغصص بالريق.

(٦) جاء في نسخة أخرى «غمضت» بدون همزة.

قال: أوجعهم ضرباً: قال:

[البسيط]

فَاسْأَلْ سُحِيمًا^(١) إِذَا وَافَاكَ جَمْعُهُمْ هَلْ كَانَ بِالْبُئْرِ حَوْضٌ قَبْلَ تَحْوِيضٍ
قال: فتقدمت الشهود فشهدت لأبي الحويرث، قال: فالتفت إلى ابن بيض فقال:

[البسيط]

أَنْتَ أَبْنُ بَيْضَ لَعَمْرِي لَسْتُ أَنْكُرُهُ حَقًّا يَقِينًا وَلَكِنْ مِنْ أَبَوَيْ بَيْضٍ
إِنْ كُنْتَ أَنْبَضْتَ^(٢) لِي قَوْسًا لِتَرْمِيَنِي فَقَدْ رَمَيْتُكَ رَمِيًّا غَيْرَ تَنْبِيضٍ
أَوْ كُنْتَ خَضَخَضْتَ لِي وَطْبًا^(٣) لِتَسْقِيَنِي فَقَدْ سَقَيْتُكَ وَطْبًا غَيْرَ مَمْخُوضٍ^(٤)
إِنَّ الْمَهَاجِرَ عَدْلٌ فِي حُكُومَتِهِ وَالْعَدْلَ يَغْدِلُ عِنْدِي كُلَّ تَعْرِيزٍ^(٥)

قال: وتزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له جارية، فهجرها وهجر منزلها، وصار يأوي إلى غير بيتها فمر بخبائها بعد حَوْلٍ وإذا هي تُرقص بُنَيْتَهَا منه، وهي تقول:

[الرجز]

مَا لِأَبِي حَمْزَةٍ لَا يَأْتِينَا يَظُلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
غَضَبَانِ أَنْ لَا نَلِدَ الْبَنِينَ تَالَلَّهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا
وإنما نأخذ ما أُعْطِينَا

فلما سمع الأبيات مرَّ الشيخ نحوهما حضراً^(٦) حتى ولج عليها الخباء فقبلها وقبلَ بَنَيْتَهَا، وقال: ظلمتكما وربُّ الكعبة، وقال مسلم بن الوليد:

[الطويل]

فإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ عِنْدَ فِرَاقِنَا لَكَالْجَفْنِ يَوْمَ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّضْلُ
أَمْنَتَجِعاً مُرُوا بِأَثْقَالِ هَمِّهِ دَعِ الثَّقْلَ وَأَحْمِلِ حَاجَةَ مَالِهَا ثِقْلُ
ثَنَاءٍ كَعَرَفِ الطَّيِّبِ يَهْدِي لِأَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنِي خَالِدِ أَهْلُ
فَلِإِنْ أَغْشَ قَوْمًا بَعْدَهُمْ أَوْ أَزُورُهُمْ فَكَأَلَوْحَشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَنْسِ الْمَحَلُّ
وقال ابن أبي عيينة:

[مخلع البسيط]

هَلْ كُنْتَ إِلَّا كَلْحَمِ مَيِّتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ أَضْطَرَّارُ

(١) جاء في نسخة أخرى «لحيماً» بدلاً من «سحيماً».

(٢) أنبض الوتر: جذبته ليصدر صوتاً.

(٣) الوطب: السقاء.

(٤) ممخوض: محرك.

(٥) جاء في نسخة أخرى «عريض» بدلاً من «تعريض».

(٦) الحضرة: ارتفاع الجواد أثناء عدوه.

وقال الآخر:

[الطويل]

لئن حبسَ العَبَّاسُ عَنَّا رَغِيفَهُ لَمَّا فَاتَنَّا مِن نِعْمَةِ اللَّهِ أَكْثَرُ
وقال أبو كعب: كان رجل يُجري على رجل رَغِيفاً في كلِّ يوم، فكان إذا أتاه
الرغيفُ يقول: لعنك الله ولعن من بعثك ولعنني إن تركتك حتى أصيبَ خيراً منك. وقال
بشار:

[الطويل]

إذا بَلَغَ الرَّأْيُ النَّصِيحَةَ فَاسْتَعِنْ برأي نصيح أو نصيحة^(١) حازم
ولا تحسبِ الشورى عليك غِضَاضَةً فإنَّ الخَوَافِي عِدَّةٌ^(٢) للقوادم
وخلِّ أَلْهُوِينَا لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ نؤوماً فإنَّ الحِزْمَ ليس بنائم
وَأَدِنِ عَلَى الْقَرَبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ ولا تُشْهِدِ الشورى أَمراً غيرَ كاتِمٍ
وما خَيْرُ كَفِّ أَمْسَكَ الْغُلِّ أُخْتَهَا وما خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
فإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ أَلْهَمَ بِالْمَنَى ولا تَبْلُغُ الْعَالِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
وقال آخر:

[الوافر]

تعرَّفَني هَنِيْدَةً مِنْ بَنُوها وأعرفها إذا أَشْتَدَّ الْغُبَارُ
متى ما تَلَقَّ مَنَّا ذُنْءًا يُوْزُ^(٣) كَأَنَّ رَجُلِيه شَجَارُ^(٤)
فلا تعجلْ عليه فإنَّ فيه منافع حين يبتلُّ الْعِذارُ^(٥)
أنا أَبْنُ الْمَضْرَجِي أَبِي شَلِيلٍ وهل يخفى على الناس النهارُ
وَرِثْنَا صَنْعَهُ وَلِكُلِّ فُحْلٍ على أولادِهِ مِنْهُ نَجَارُ^(٦)

وقال أعشى همدان في خالد بن عتاب بن ورقاء:

[الوافر]

تَمْنِّينِي إِمارَتَها تَمِيمٌ وما أَمْرِي وأمر بني تميم
وكان أبو سليمانَ خَلِيلِي ولكن الشراك^(٧) من الأديم^(٨)
أَتِينا أَصْبَهانَ فَهَزَلْتَنَا وكنا قبل ذلك في نعيم
أَتَذَكِّرُنَا ومُرَّةً إِذْ غَزَوْنَا وأنت على بغيلك ذي الشؤوم^(٩)

(١) جاء في نسخة أخرى «نصاحة» بدلاً من «نصيحة».

(٢) جاء في نسخة أخرى «نافع» بدلاً من «عدة».

(٣) يُوْزُ: يتحرك بعنف.

(٤) الشجار: خشب الهودج.

(٥) العذار: ما سال على خد الفرس.

(٦) النجار: الأصل.

(٧) الشراك: سير من سيور النعل.

(٨) الأديم: الخلد.

(٩) جاء في نسخة أخرى «الوسوم» بدلاً من «الشؤوم».

ويعثر في الطريق المستقيم
نصيبِي وإلا سحقُ^(١) نيم^(٢)

[الوافر]

على زيدٍ بتسليم الأُميرِ
ويُطعمُ ضيفَه خبزَ الشعيرِ
وإذ نعلاك من جلدِ البعيرِ
وعلمك الجلوسَ على السريرِ

[البسيط]

ففيك راع لها ما عشتَ شرشورُ^(٤)
من ثرمداء^(٥) ولا صنعاء تحبيرُ

[الكامل]

قبَّحَ إلَّاهَ عمائمَ الخَزِ
أبدأُ ولا أقعيت^(٧) في غَرَزِ^(٨)
من كان مشتاقاً إلى الخبزِ
مُتَقَبِّضاً كَتَقَبُّضِ العَنَزِ

[الكامل]

حتَّى بنيت سرادقاً لوكيعِ
ورفعت عبداً كان غيرَ رفيعِ
لبكى وفاضتَ عينُهُ بدموعِ

[الوافر]

وَأَذْكَرَ صَاحِبِي أَبْدأُ بِذَامِ

ويزُكِّبُ رأسه في كلِّ وَخْلٍ
وليس عليك إلا طيلسانُ
وقال آخر:

فلستُ مسلماً ما دمْتُ حيّاً
أُميرُ يَأْكُلُ ألفالودَ^(٣) سرّاً
أتذكرُ إذ قباؤك جلدُ شاةٍ
فسبحانَ الَّذي أعطاك مُلكاً
وقال آخر:

دُعْ منك مروان لا تطلُبْ إمارتَهُ
ما بال بُرْدِكَ لم يمسس حواشيَهُ
وقال ابن قتان المحاربي:

أقولُ لَمَّا جِئْتُ مَجْلِسَهُمْ
لولا قَتْبِيَّةُ ما أَعْتَجَزْتُ^(٦) بها
عجباً لهذا الخَزِ يلبسُهُ
من كان يشتو في عباءتِهِ

وقال ثابت قطنه في رجلٍ كان المهلب ولأه بعض خراسان:

ما زال رأيك يا مهلب فاضلاً
وجعلته رباً على أربابه
لورا أبوه سرادقاً أحدثته

وقال ابن سيخان^(٩) مولى المغيرة في بني مطيع العدويين:

حرام كنتي منِّي بسوءٍ

(٢) النيم: الفرو القصير.

(١) السحق: البالي.

(٣) الفالودج: ضرب من الحلواء.

(٤) جاء في نسخة أخرى «سرور» بالسين ومعناه حافظ المال بدلاً من «شرشور» بالشين.

(٥) ثرمداء: اسم موضع ماء في ديار بني سعد.

(٦) اعتجر: لف.

(٧) أفعى: تساند.

(٨) الغرز: ركاب الرجل.

(٩) جاء في نسخة أخرى «شيخان» بالشين بدلاً من «سيخان» بالسين.

لقد حرّمتُ ودّ بني مطيع
وخزّهمُ الذي لم يشتروه
وإنّ جنف^(٢) ألزّمان مددّت حبالاً
وريّقت عودهمُ أبداً رطيباً
وقال آخر:

حرامُ الدّهن للرجل الحرام
ومجلّسهم بمعتلج^(١) الظلام
متيناً من جبال بني هشام
إذا ما أغبرّ عيدان اللّئام

[الوافر]

لمن جزرٌ يُنحرها سويدٌ
كأنّك قد سعت بدمّتهم
وقال:

ألا يا مرّ للمجد المضاع
وكنت ثمال^(٣) أيتام جياع

[البسيط]

سبحان من سبّح السبع الطباقي له
وأشدّ الأحيمر:

حتّى لهرّثمة الذهلّي أبواب

[الكامل]

بأقب^(٤) منصلت اللّبان^(٥) كأنّه
وقال خلف: لم أر بيتاً أفاد وأجاد وساد وزاد وقاد وعاد ولا أفضل من قوله أمرى
القيس:

سيّد^(٦) تنصّل^(٧) من جُحور سعالّي^(٨)

[الطويل]

له أبطالا^(٩) ظبيّ وساقا نعاميّة
وقال الآخر:

وإرخاء^(١٠) سرحان^(١١) وتقرّيب تنفّل^(١٢)

[الطويل]

رمى الفقير بالفثيان حتّى كأنّهم
وإنّ أمراً لم يفقر العام بيته
وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

بأقطار آفاق البلاد نجوم
ولم يتخذ لحمه^(١٣) للئيم

[البسيط]

وليلة من ليال الدّهر صالحية
ونكبة لو رمى الرامي بها حجراً

باشرت في هولها مرأى ومستمعا
أصمّ من جندل الصّمان^(١٤) لانصدعا

(١) الاعتلاج: التصادم والتضارب.

(٢) جنف: مال وجار.

(٣) ثمال: غياث.

(٤) الأقب: الضامر البطن.

(٥) اللبان: الصدر.

(٦) السيّد: الذئب.

(٧) تنصّل: تخرج.

(٨) السعالّي: الغيلان.

(٩) ابطالا: خاصرتا.

(١٠) الإرخاء: ضرب من العدو.

(١١) السرحان: الذئب.

(١٢) التنفّل: الثعلب.

(١٣) يتخذ لحمه: هزل ونقص.

(١٤) الصمان: الأرض الغليظة.

وَلَا أَسْتَكَنْتُ لَهَا وَهْنًا وَلَا جَزَعًا
يُسَائِلُ الْمَعَشَرُ الْأَعْدَاءُ مَا صَنَعَا
إِلَّا رَمَيْتُ بِخَصْمٍ فَرَّ لِي ^(٢) جَدَعًا ^(٣)
إِلَّا وَجَدْتُ بظَهْرِ الْغَيْبِ مُطْلِعَا
وَلَا يَضِيقُ لَهُ صَدْرِي ^(٤) إِذَا وَقَعَا

[الطويل]

أَبْلَغُ عَنْكُمْ وَالْقُلُوبُ قُلُوبُ
لِيَرْجِعَ وَدُّ أَوْ يُنِيبَ مُنِيبُ
فِيَرْضَى بَغِيضُ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ
إِذَا مَا أَرْتَمَيْنَا فِي النَّضَالِ عِيُوبُ
بَنِي عَمْنَا أَلَوَى الْبَيَانِ كَذُوبُ

[الطويل]

هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَتَوَّهُ بِسَاعِدٍ
تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ ^(٧) دِمَاءُ الْأَسَاوِدِ

قوله: هم ساعد الدهر إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع، وقد قال

الراعي:

[الطويل]

هُمْ كَاهِلُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقَى بِهِ وَمَنْكِبُهُ إِنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبُ
وقد جاء في الحديث موسى الله أحدٌ وساعد الله أشدُّ، والبديع مقصور العرب ومن
أجله فاقت لغتهم كلَّ لغة وأزبَّت على كلِّ لسانٍ، والراعي كثير البديع في شعره وبشار
حسن البديع والعتابي يذهب شعره في البديع، وقال كعب بن عدي:

[الكامل]

شَدَّ الْعِقَابُ عَلَى الْبَرِيِّ ^(٨) بِمَنْ جَنَى حَتَّى يَكُونَ لغيره تَنْكِيلَا

مَرَّتْ عَلَيَّ فَلَمْ أَطْرَحْ لَهَا سَلْبِي
وَمَا أَزَالَ عَلَى أَرْجَاءٍ مُهْلِكَةٍ
وَلَا رَمَيْتُ عَلَى خَصْمٍ بِفَاقِرَةٍ ^(١)
مَا سَدَّ مِنْ مَطْلَعٍ يَخْشَى الْهَلَاكَ بِهِ
لَا يَمَلَأُ الْهَوْلُ قَلْبِي قَبْلَ وَقَعْتِهِ
وقال الآخر:

لَقَدْ طَالَ إِعْرَاضِي وَصَفْحِي عَنِ التِّي
وَطَالَ أَنْتِظَارِي عَطْفَةَ الرَّحِمِ مِنْكُمْ
فَلَا تَأْمِنُوا مِنِّي عَلَيْكُمْ شَبِيهَهَا
وَيُظْهِرُ مِنَّا فِي الْمَقَالِ ^(٥) وَمِنْكُمْ
فَإِنَّ لِسَانَ الْبَاحِثِ الدَّاءَ سَاخِطًا

وقال الأشهب بن رميلة:

وَإِنَّ الْأَلَى حَانَتْ بِفَلَجِ دِمَاؤِهِمْ
هُمْ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ
أُسُودُ شَرِّ ^(٦) لَأَقْتَ أُسُودَ خَفِيَّةً

(١) الفاقرة: الداهية.

(٢) فَرَّ لِي: كشف عن أسنانه كناية عن الغضب.

(٣) الجذع: الفتى الشاب.

(٤) جاء في نسخة أخرى «أضيق به صدرًا» بدلاً من «يضيق له صدري».

(٥) جاء في نسخة أخرى «المقام» بالميم بدلاً من «المقال» باللام.

(٦) الشرى: اسم موضع تكثر فيه السباع.

(٧) الحرد: الغضب.

(٨) جاء في نسخة أخرى «البريء» بالهمزة بدلاً من «البري».

وَالْجَهْلُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ إِذَا أَعْتَدَى
وقال زفر بن الحرث :

لئن عذت واللّه الذي فوق عرشه
فإنّ دواء الجهل أن تضرب الطلّا^(٣)
وقال مبدول العذري :

وموّلّى كضرس السوء يؤذيك مسّه
دوي الجوف^(٦) إن ينزع يسوّك مكانه
يسرّ لك البغضاء، وهو مجامل
وما كل من مددت ثوبك دونه
وقال الآخر :

أطال الله كيس بني رزين
أأكتب إبلهم شاء وفيها
فما خلّقوا بكيسهم دهاة
وقال آخر :

عفاريتاً عليّ وأكل مالي
فهلاً غير عمكم ظلمتم
فلو كنتم لكيسة أكاست
وقالت رقية بنت عبد المطلب في النبي ﷺ :

أبنيّ إنني رابني حجر
وأخاف أن تلقى غويهم
ولما دخل مكة لقيه جواربها يقلن :
طلع البدر علينا

مستخرج للجاهلين عقولا

[الطويل]

منحتك مسنون الغرايين^(١) أزرّقا^(٢)
وأن يغمس العريض^(٤) حتى يغرّقا

[الطويل]

ولا بدّ إن أذاك أنك فاقره^(٥)
وإن يبقّ يصبح كلّ يوم تحاذره
وما كلّ من يجني عليك تساوره^(٧)
لتستّر ممّا قد أتى أنت سائرته

[الوافر]

وحمقي إن شريت لهم بديني
بريغ فصألها بنتا لبون
ولا ملحاء بعد فيعجبوني

[الوافر]

وعجزاً عن أناس آخرينا
إذا ما كنتم متظلمينا
وكيس الأم أكيس للبنينا

[الكامل]

يغدو بكفك حيثما يغدو
أو أن يصيبك بعد من يعدو

[مجزوء الرمل]

من ثنّيات ألوداع

(١) الغرايين : حدي السيف .

(٢) الأزرّق : الشديد الصغاء .

(٣) الطلي : الأعناق .

(٤) العريض : هو المتعرض لغيره .

(٥) فاقره : كاسره .

(٦) دوي الجوف : المريض .

(٧) تساوره : تواتبه .

وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَادَعَا لَلَّهِ دَاعٍ
يُضَافُ إِلَى بَابِ الْخُطْبِ وَإِلَى الْقَوْلِ فِي تَلْخِصِ الْمَعَانِي وَالْخُرُوجِ مِنَ الْأَمْرِ الْمَشْهُ
بِغَيْرِهِ قَوْلُ حَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ:

[الخفيف]

إِنَّ خَالِي خَطِيبَ جَابِيَةٍ^(١) الْجَوُّ
وَهُوَ الصَّفَرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى
وَسَطَتْ نَسَبَتِي الذَّوَائِبُ مِنْهُمْ
وَأَبِي فِي سُمَيْحَةٍ^(٢) الْقَائِلُ الْفَا
يَفْصَلُ الْقَوْلَ بِالْبَيَانِ وَذُو الرَأْ
تِلْكَ أَفْعَالُهُ وَفَعْلُ الزَّبْعَرَى
رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْ
وَلِيَ النَّاسَ^(٣) مِنْكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ
وَقَرِيشٌ يَحُولُ^(٤) مِثْلًا لَوَاذًا^(٥)
لَمْ يُطَقْ حَمْلُهُ الْعَوَاتِقُ^(٦) مِنْهُمْ

ولما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب وقف ينظر إلى القبر ثم قال:

[السريع]

كُنْتُ لَنَا أَنْسَاءً فَفَارَقْتَنَا
وَقَرِيتْ دَابَّتَهُ فَرَكَبَ وَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَالَ:

[الطويل]

وَقَوْفًا عَلَى قَبْرِ مَقِيمٍ بِقَفْرَةٍ
مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ
ثُمَّ قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ثُمَّ عَطَفَ رَأْسَ دَابَّتِهِ وَقَالَ:

[البيسط]

فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَلْفُظْكَ مِنْ شَبَعٍ
وَإِنْ جَزِعْتُ فَعَلَقْتُ^(٧) مَنْفَسُ^(٨) ذَهَبًا
الْمَدَائِنِي قَالَ: لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ جَزِعَ عَلَيْهِ فَقَالَ: إِذَا غَسَلْتُمُوهُ فَأَعْلَمُونِي
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ:

[الكامل]

أَلَا لَمَّا كُنْتُ أَكْرَمَ مِنْ مَشَى
وَأَفْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شِبَاةِ الْقَارِحِ

(١) الجابية: موضع بدمشق.

(٢) سميحة: اسم بئر في المدينة.

(٣) جاء في نسخة أخرى «البأس» بدلاً من «الناس».

(٤) جاء في نسخة أخرى «تجول» بدلاً من «يحول» بالحاء.

(٥) لواذاً: فراراً وخوفاً.

(٦) العلق: النفيس من كل شيء.

(٧) العواتق: المنكبان.

(٨) المنفس: الغالي.

(٩) الجولان: جبل في بلاد الشام.

(١٠) مكعوم: مشدود فاه مخافة أن يأكل.

وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح
ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال:

[الرجز]

حسبي ثواب الله من كل ميت إذا ما لقيت الله عنِّي راضياً
وَحَسْبِي بقاءُ اللَّهِ من كلِّ هالكٍ
تمثل معاوية في عبد الله بن بديل:

[الطويل]

أخو الحرب إن عصت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرًا
ويذنو إذا ما الموت لم يك دونه
قدى^(١) الشبريحي الأنف أن يتأخرًا
ورأى معاوية هزاله وهو متعبر، فقال:

[الرجز]

أرى الليالي أسرع في نقضي
أخذن بعضي وتركن بعضي
حئین طولی وترکن عرضي
أقعدنني من بعد طول التهنؤ
وتمثل عبد الملك حين وثب بعمر بن سعيد الأشدق:

[الكامل]

سَكَنَتْهُ لِيَقْلَ مِنِّي نَفْرُهُ
فأصول صولة حازم مُسْتَمَكِنِ
وَمَحِيَّةُ غَضَبٍ لِنَفْسِي إِنَّهُ^(٢)
ليس المسيء سبيلُهُ كَالْمُحْسِنِ
وسمع معاوية رجلاً يقول:

[الرجز]

ومن كريم ماجد سَمِيدُ^(٣) يُوْتِي فَيُعْطِي من ندى وَيَمْنَعُ
فقال: هذا مِنَّا، هذا والله عبد الله بن الزبير، المدائني قال: قال معاوية: إذا لم
يكن الهاشمي جواداً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن المخزومي تهاً لم يشبه قومه، وإذا لم
يكن الأموي حليماً لم يشبه قومه، فبلغ قوله الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال ما
أحسن ما نظر لنفسه، أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما في يديه، وتزهو بني
مخزوم على الناس فتبغض وتشنأ، وتحلم بنو أمية فتُحِبُّ، وقال بشار:

[الكامل]

أَحْسَنُ صَحَابَتَنَا فَإِنَّكَ مُدْرِكُ
بعضُ اللَّبانةِ بِأَصْطِنَاعِ الصَّاحِبِ
وإذا جَفَوْتَ قَطَعْتُ عَنْكَ لُبَانَتِي
وَالدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الْحَالِبِ
تؤتي اللئيم وما سعى حاجاته
عددُ الْحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيُ الدَّائِبِ

(١) قدى: قدر.

(٢) جاء في نسخة أخرى «غضباً ومحمية لنفسي إنه» بدلاً من «ومحية غضباً لنفسي إنه». والمحمية: الممنوعة.

(٣) السמיד: السيد الكريم الشجاع.

وأنشد:

[الطويل]

وجدتُ أموري كلّها قد رَمَمَتْها

إذا ما أمورُ الناس رثت وضِيعت

وقال أعرابي:

[الطويل]

مَكَانَ رِجَالٍ لَا يَدِينُونَ ضِيْعَا

نَدِينُ وَيَقْضِي اللَّهُ عَنَّا وَقَدْ نَرَى

وقال أعرابي:

[الطويل]

وَلَكِنَّهُ ثِقْلٌ مُمِضٌ ^(١) إِلَى ثِقْلٍ

وَلَيْسَ قِضَاءُ الدِّينِ بِالدِّينِ رَاحَةً

وأنشد أبو عبيدة لعبيد العنبري، وهو أحد اللصوص:

[البيسط]

كَأَنَّهُ مِنْ حَذَارِ النَّارِ مَجْنُونٌ
أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينٌ

يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجَلَّ
قَدْ كَانَ أَسْلَفُ ^(٢) أَعْمَالًا مَقَارِبَةً

وقال أعرابي:

[البيسط]

أَيْمَانُهُمْ إِنِّي مِنْ سَاكِنِ النَّارِ
جَهْلًا بَعْفُو عَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَقْوَامُ وَأَجْتَهَدُوا
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءَ وَيَلَهُمَّ

وقال أعرابي وهو محبوس:

[الطويل]

وَذَكَرَ حَبِيبٌ إِنْ ذَا الْعَظِيمِ
عَلَى كُلِّ مَا لَا قِيَّتُهُ لَكَرِيمِ

أَسْجَنًا وَقِيدًا وَأَغْتَرِبًا وَوَحْشَةً ^(٣)
وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ

وقال أعرابي:

[الطويل]

تَرْفَعُ حَادٍ أَوْ دَعَا كُلُّ مُسْلِمٍ
وَإِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا بِهَا أَلْفَ دَرْهَمٍ

أَيَا أَمَّ عَمْرٍو بَيْنِي أَنْتِ كَلَّمَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسُرُّنِي

وقال الشاعر:

[الطويل]

وَلَا بَدَّ مَنْ شَكَا إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ

وَمَا كَثْرَةُ الشَّكَايِ بِأَمْرِ حَزَامَةٍ

ومثله:

[الطويل]

وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ

وَأَبْشَثُ بَكْرًا كُلَّ مَا فِي جَوَانِحِي

(١) ممض: متعب للقلب وجالب للحزن.

(٢) جاء في نسخة أخرى «قدم» بدلاً من «أسلف».

(٣) جاء في نسخة أخرى «فرقة» بدلاً من «وحشة».

ولا بدّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ إذا جعلت أسرارُ نفس تطلع
وقال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فآلقوهم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميم

وقال بزرجمهر، ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد، وقال الأحنف بن قيس: لا
راحة لحسود، وقال الشعبي: الحاسد منعص بما في يد غيره، وقال الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(١) وقال بعضهم يمدح أقواماً:

مَحْسَدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً من عاش في الناس يوماً غير محسود

وقال الشاعر:

الرَّزْقُ يَأْتِي قَدْرًا عَلَى مَهْلٍ والمرء مطبوع على حب العجل

وقالوا: من تمام المعروف تعجيله. ووصف بعض الأعراب أميراً فقال: إذا أوعد
آخر وإذا وعد عجل، وعيده عفو ووعدُه إنجاز، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ

مُجْرَلاً﴾^(٢) ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وهو يومئذ خليفة، وروى هذا الحديث

العتبي عن عتبة بن هارون، قال: شهدته وقد خرج من عنده فسألته عما جرى بينهما،

فقال: رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لي: يا أبا عثمان أتعرفه؟ فقلت: لا. فقال: هذا

أبْنُ أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، فقلت له: قد رضيت له أميراً يصير إليه إذا

صار، وقد شغلت عنه، فبكى ثم قال: عطني يا أبا عثمان، فقلت: إن الله قد أعطاك

الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها فلو أن هذا الأمر الذي صار إليك بقي في يدي من

كان قبلك لم يصل إليك، وتذكر يوماً يتمخض بأهله لا ليلة بعده. المدائني قال: سمعت

أعرابياً يسأل وهو يقول: رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامي وقدّم لنفسه معاذة من سوء

مقامي فإن البلاد مجدبة، والحال سيئة والعقل زاجرٌ ينهى عن كلامكم، والفقير عازمٌ

يحملني على اختياركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرأ أمر بمير أو دعا بخير،

وقال رجل من طيء:

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم كراماً ولم نأخذ بهم حشف التمر^(٣)

وقال آخر:

قتلنا بهم ما بين مثنى وموحدٍ وأربعة منهم وآخر خامس

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(١) سورة الفلق، الآية: ٥.

(٣) جاء في نسخة أخرى «النخل» بدلاً من «التمر».

وقال آخر:

[الطويل]

قَتَلْنَا رَجَالًا مِنْ تَمِيمٍ أَخَائِرًا^(١) بِقُومٍ كِرَامٍ مِنْ رَجَالِ أَخَائِرِ
وسئل بعض العرب: ما العقل؟ قال: الإصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد
كان، وقال جرير يُعَاتِبُ المهاجر بن عبد الله:

[البيسط]

يَا قَيْسَ عِيْلَانَ إِنِّي قَدْ نَصَبْتُ لَكُمْ بِالْمَنْجَنِيْقِ وَلَمَّا أُرْسِلَ الْحَجْرَا
فَوَثَبَ الْمُهَاجِرَ فَأَخَذَ بِحَقْوِهِ، وقال: لك العُتْبَى يَا أَبَا حَزْرَةَ لَا تَرْسُلْهُ، وقال
سويد بن الصامت:

[الطويل]

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرِي^(٢)
مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ مَا دَامَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ^(٣) عَلَى ثَغْرَةِ النَّحْرِ
تُبِينُ لَكَ أَلْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ مِنْ الشَّرِّ وَالْبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ
يَسْرُكُ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ نَمِيمُهُ غُشٌّ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهْرِ
فَرَشَنِي بِخَيْرِ ظَالِمًا^(٤) قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي
وقال حارثة بن بدر لما تخالفت الأزد وربيعة:

[البيسط]

لَا تَحْسَبَنَّ فَوَادِي طَائِرًا فَرَعَا إِذَا تَخَالَفَ ضَبُّ الْبَرِّ وَالنُّونُ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

[الطويل]

فَإِنْ أَكُ قَصْدًا^(٥) فِي الرِّجَالِ فَإِنِّي إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لَحَلِيمٌ
تُعَيِّرُنِي الْإِعْدَامَ وَالْوَجْهَ مَعْرُضٌ وَسِيفِي بِأَمْوَالِ التَّجَارِ زَعِيمٌ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لَعَمْرُو بْنِ شَاسٍ:

[الطويل]

مَتَى يَبْلُغُ الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَآخِرُ يَهْدِمُ
وقال عبيد بن الأبرص:

[السرّيع]

سَاعِدْ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ بِهَا وَلَا تَقُلْ إِنَّنِي غَرِيبٌ

(١) جاء في نسخة أخرى «أخايرا» بالياء بدلاً من «أخائرا» بالهمزة.

(٢) يفري: يكذب، يختلق.

(٣) المأثور: السيف القديم.

(٤) جاء في نسخة أخرى «طالما» بالطاء بدلاً من «ظالماً» بالطاء.

(٥) القصد: المعتدل القامة.

قد يُوصَلُ النَّازِحُ ^(١) النَّائِي وقد
وَأَنشد الأَصمعي لكثير:

[الوافر]

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمْعٍ
ولكن تحت ذاك الشيب حَزْمٌ
بِهِ شَيْبٌ وقد فقد الشَّبَابَا
إذا ما ظَنَّ أَمْرَضَ ^(٣) أو أَصَابَا
ويمدحون بإصابة الظن ويذمون بخطائه قال أوس بن حجر:

[الكامل]

الْأَلَمَعيّ الذي يظنُّ بِكَ الظَّنَّا
وَفِي بعض الحكمة من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه . وقال السموأل بن عاديء:

[الطويل]

وإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ السِّیُوفِ نُفُوسُنَا
وما مات مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ
وإذا ما رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
وتكرهه أَجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السِّیُوفِ تَسِيلُ
ولا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
وقال حسان بن ثابت:

[الخفيف]

لَمْ تَقْتِهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِسَيِّئِ
لَوْ يَدُبُّ الْحَوْلِي ^(٤) مِنْ وَلَدِ الدَّرِ
وقال بشار بن برد:

[الخفيف]

مَنْ فَتَاةٌ صَبَّ الْجَمَالُ عَلَيْهَا
ثُمَّ فَارَقَتْ ذَاكَ غَيْرَ ذَمِيمِ
تَزِينُ سَنَا الْمَاوِي كُلَّ عَشِيَةٍ
وُجُوهَا ^(٦) لَوْ أَنَّ الْمُدْلِجِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا
فِي حَدِيثٍ كَلَذَةُ النَّشْوَانِ
كُلُّ عَيْشِ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ فَاِنْ
عَلَى غَفَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمَتَجَمَّلِ
صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى الْلَيْلَ يَنْجَلِي
وقال المسعودي:

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الْكَرَامَ مُنَاهِبُ
أَخْلَفَ وَأَتْلَفَ كُلَّ شَيْءٍ
كَالْمَجْدِ كُلُّهُمْ فَنَاهِبُ
يَاءٍ زَعَزَعَتْهُ أَلْرِیْحُ ذَاهِبُ

(٢) السهمة: القرابة.

(٤) الحولي من النعم هو ما دار عليه الحول.

(١) النازح: البعيد.

(٣) أمرض: قارب الصواب في الرأي.

(٥) أندبها: جعلت فيها ندوباً، وهي آثار الجراح.

(٦) جاء في نسخة أخرى «وجوه» بدلاً من «وجوها».

قال: قام شدادُ بُنْ أوس، وقد أمره معاوية أن ينتقص علياً، فقال: الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضى خلقه، على ذلك مضى أولهم، وعليه يمضي آخرهم، أيها الناس إن الآخرة وعدٌ صادق، يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرْضٌ حاضر، يأكل فيها البرُّ والفاجر، وإن السامع المطيع لله لا حجة عليه، وإن السامع العاصي لله لا حجة له، وإن الله إذا أراد بالعباد صلاحاً عمل عليهم صلاحاً، وقضى بينهم فقهاؤهم، وملك المال سمحاؤهم، وإذا أراد بهم شراً عمل عليهم سفهاؤهم، وقضى فيهم جهلاؤهم، وملك المال بخلاؤهم، وإن من صلاح الولاء أن يصلح قرناؤها، ونصح لك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل، قال: اجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال، قال: إن كان من مالك الذي تعهدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقتَه إفضالاً فنعم، وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فأحتجنته^(١) دونهم فأصبته اقتراً وأنفقتَه إسرافاً، فإن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢) وأذن معاوية للأحنف بن قيس وقد وافى معاوية محمد بن الأشعث فقدمه عليه فوجد من ذلك محمد بن الأشعث وأذن له فدخل فجلس بين معاوية والأحنف، فقال معاوية: إنا والله ما أذننا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك وما رأيت أحداً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها وقد فعلت فعل من أحسن من نفسه ذلاً وضعةً، وإنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم فأريدوا منا ما نريد منكم فإنه أبقى لكم وإلا قصرناكم كُرْهاً فكان أشدَّ عليكم وأعنف بكم، وقال معاوية لرجل من أهل سبأ: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة: فقال: بل قومك أجهل قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الحق وأراهم البيئات: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣) ألا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، قال: ولما سقطت ثنيتا معاوية لفَّ وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس، فقال: لئن أبليتُ لقد أبليت الصالحون قبلي وإنني لأرجو أن أكون منهم، ولئن عُوقِبْتُ لقد عُوقِبَ الخاطئون قبلي وما آمن أن أكون منهم، ولئن سقط عضوان مني لما بقي أكثر ولو أتى على نفسي لما كان لي عليه خيارُ تبارك وتعالى فرحم الله عبداً دعا بالعافية، فوالله لئن كان عتب علي بعض خاصيتكم، لقد كنت حديباً على عامتكم، ولما بلغت معاوية وفاة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دخل عليه ابنُ عباس، فقال له معاوية: أجرك الله أبا العباس في أبي محمد الحسن بن علي، ولم يظهر

(١) احتجنته: جمعته وضممته.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

حزناً، فقال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون، وغلبه البكاء فردّه ثم قال: لا يسدّ الله مكانه حفرتك ولا يزيد موته في أجلك والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقدأ فما ضيّعنا الله بعده، فقال له معاوية: كم كانت سنه؟ قال: مولده أشهر من أن تتعرف سنه، قال: أحسبه ترك أولاداً صغاراً. قال: كلنا كان صغيراً فكبر، ولئن اختار الله لأبي محمد ما عنده وقبضه إلى رحمته لقد أبقى الله أبا عبد الله وفي مثله الخلف الصالح. الأصمعي عن أبان بن ثعلبة قال: مررتُ بامرأة بأعلى الأرض وبين يديها ابنٌ لها يريد سفرأ، وهي توصيه فقالت: اجلسْ أمْنُحْكَ وصيتي، وبالله توفيقك، وقليلُ إجدائه عليك أنفع من كثير عقلك، إياك والنائم فإنها تزرع الضغائن، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة فإنَّ الهدف إذا رُمي لم يلبث أن ينتلم، ومثل نفسك مثلاً فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه، ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها، ثم نظرت فقالت: كأنك يا عراقي أعجبت بكلام أهل البدو، ثم قالت لابنها: إذا هزرتَ فهزّ كريماً فإن الكريم يهتّر لهزتك، وإياك واللّيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، وإياك والعذر فإنه أقبح ما تُعومل به، وعليك بالوفاء ففيه النماء، وكن بما لك جواداً وبدينك شحيحاً، ومن أُعطي السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ربطتها وسربالها، انهض على اسم الله. وقال أعرابي لرجل مطلّهُ في حاجة: إنَّ مثل الظفر بالحاجة تعجيلُ الأيس منها إذا عسرَ قضاؤها، وإنَّ الطلب وإن قلَّ أعظم قدراً من الحاجة وإن عظمت والمطلُّ من غير عسرٍ آفة الجود.

خطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه فلما فرغ قام أعرابي منهم فقال: توسلت بحرمة. وأوليت بحق وأستندت إلى خير ودعوت إلى سنة ففرضك مقبول وما سألت مبدول وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى، قال الفضل لو كان الأعرابي حمد الله في أول كلامه وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفضحني يومئذ، المدائني قال: قال المنذر بن المنذر لما حارب غسان بالشام لابنه النعمان يوصيه إياك وإطراح الإخوان وأطراف المعرفة، وإياك وملاحاة الملوك وممازحة السفية، وعليك بطول الخلوة، والإكثار من السمر والبس من القشر^(١) ما يزينك في نفسك ومروءتك، وأعلم أن جماع الخير كله الحياء فعليك به وتواضع في نفسك وأنخدع في مالك، وأعلم أن السكوت عن الأمر الذي لا يعينك خير من الكلام، فإذا اضطرت إليه فتحراً الصدق والإيجاز تسلم إن شاء الله تعالى.

(١) القشر: هو كل ما يلبس.

كلام بعض من عزى بعض الملوك

قال : إِنَّ الخَلْقَ لِلخالقِ والشكرَ للمُنْعِمِ والتسليمَ للقادرِ ولا بدَّ مما هو كائنٌ ، وقد جاء ما لا يُرَدُّ ولا سبيل إلى ردِّ ما قد فات وقد أقام معك ما سيذهب أو ستركه فما الجزعُ مما لا بدَّ منه وما الطمعُ فيما لا يرجى وما الحيلةُ فيما سيُنْقَلُ عنك أو تنقُلُ عنه ، وقد مضت أصولُ نحن فروعُها فما بقاء الفرع بعد ذهاب الأصل؟! أفضلُ الأشياءِ عند المصائبِ الصبرُ وإنَّما أهلُ الدنيا سَفَرٌ لا يحلون الركائب إلا في غيرها ، فما أحسنَ الشكرَ عند النعم والتسليمَ عند الغير ، فأعتبرْ بمن رأيت من أهل الجزع ، فإن رأيت الجزع ردَّ أحداً منهم إلى ثقة من درك فما أولاك به ، وأعلم أن أعظمَ من المصيبةِ سوءَ الخلفِ منها فاتقُ فإنَّ المرجعَ قريب ، وأعلم أنه إنَّما ابتلاك المُنْعِمُ وأخذ منك المَعْطَى وما ترك أكثر ، فإن نسيت الصبرَ فلا تنسَ الشكرَ وكلاً فلا تدعُ وأحذرْ من الغفلةِ استلابَ النعم وطولَ الندامةِ فما أصغرَ المصيبةِ اليومَ مع عَظَمِ الغنيمةِ غداً ، فاستقبلِ المصيبةَ بالحسبة^(١) تستخلفُ بها نِعماً فإنَّما نحن في الدنيا غرضٌ ينتضل^(٢) فينا بالمنايا ونهب للمصائب ، مع كل جرعة شَرَقَ ومع كل أكلة غَصَصَ لا تُنال نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستقبل مُعَمَّرٌ يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبله من رزقه ولا يحيا له أثرٌ إلا مات له أثرٌ ، ونحن أعوان الحتوف على أنفسنا ، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء فمن أين نرجو البقاء؟ وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفاً إلا أسرعَا الكرة في هدم ما رفعا وتفريق ما جمعا فأطلبِ الخيرَ من أهله وأعلم أن خيراً من الخير معطيهِ وشرّاً من الشرِّ فاعله وقال أبو نواس :

[الكامل]

أَتَتَبَّعُ الظُّرْفَاءَ أَكْتُبُ عَنْهُمْ كَيْمَا أَحَدَّثَ مَنْ أَحَبَّ فَيُضْحَكَا

[الطويل]

وقال آخر :

قَدِرْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ عَشِيرَتِي وَمَا أَلْعَفُو إِلَّا بَعْدَ قَدَرِ قَادِرِ

[الطويل]

وقال آخر :

أَخُو الْجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَوْمِ بَاطِلٌ^(٣)

(٢) ينتضل : تنزل بنا المنايا .

(١) الحسبة : المبادرة إلى طلب الأجر .

(٣) جاء في نسخة أخرى «باطله» بالهاء بدلاً من «باطل» .

قبيصة بن عمر المهلبى أن رجلاً أتى ابن أبي عُيينة فسأله أن يكتب إلى داود بن يزيد كتاباً ففعل وكتب في أسفله:

[الكامل]

إِنَّ أَمْرًا قَذَفْتُ إِلَيْكَ بِهِ فِي الْبَحْرِ بَعْضَ مَرَاقِبِ الْبَحْرِ
تَجْرِي الرِّيحُ بِهِ فَتَحْمِلُهُ وَتَكْفُ أَحْيَانًا فَلَا تَجْرِي
وَيَرَى الْمُنِيَّةَ كُلَّمَا عَصَفَتْ رِيحٌ بِهِ لِلْهَوْلِ وَالذُّعْرِ

قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه، ودخل رجل من بني مخزوم، وكان زبيرياً، على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: أليس ردك الله على عقيبك؟ قال: أومن ردك إليك فقد رد على عقبيه؟ فاستحي وعلم أنه قد أساء، وقال المخبل:

[الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَا قِيَتَ الرِّجَالُ فَلَا قَهْمَ وَعِزُّكَ مِنْ عَثِّ الْأُمُورِ سَلِيمَ
وَقَالَ النَّصِيرُ بْنُ خَالِدٍ:

[الرجز]

كَبَّرُهُ يَبْلُغُ الْكَوَاكِبَ إِلَّا أَنَّهُ فِي مَرُوءَةِ الْبِقَالِ
وَقَالَ خِدَاشُ بْنُ زَهَيْرٍ:

[البسيط]

النَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَهُمْ رَأْسٌ فَكَيْفَ يَسْوَى الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّا مَا بَقِيتَ لَنَا فِينَا السَّمَاخُ وَفِينَا الْجَوْدُ وَالْكَرَمُ
وَحَسْبُنَا مِنْ ثَنَاءِ الْمَادِحِينَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَيْكَ بِأَنْ يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كانت قريش تألف منزل أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخصلتين: للعلم والطعام، فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه، قال الأصمعي: وقف أعرابي يسأل فقال:

[الرجز]

أَلَا فَتَّى أَرْوَعُ ذُو جِمَالٍ مِنْ عَرَبِ النَّاسِ أَوْ أَلْمَوَالِي
يُعِينُنِي الْيَوْمَ عَلَى عِيَالِي قَدْ كَثُرُوا هَمِّي وَقَلَّ مَالِي
وَسَاقَهُمْ جَذْبٌ وَسَوْءُ حَالِي وَقَدْ مَلَلْتُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ
وَقَالَ أَعْرَابِي:

[الرجز]

يَا أَبْنَ الْكَرَامِ وَالِدَا وَوَلَدَا لَا تَحْرِمَنَّ سَائِلًا تَعَمَّداً
أَفْقَرُهُ دَهْرٌ عَلَيْهِ قَدْ عَدَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدِيمًا سَيِّداً
وقال أعرابي: اللهم إني أسألك قلباً تواباً أو اباً لا كافراً ولا مرتاباً، وهب رجل لأعرابي شيئاً فقال: جعل الله للخير عليك دليلاً وجعل عندك رُفداً جزيلاً وأبقاك بقاءً

طويلاً وأبلاك بلاءً جميلاً، وقف أعرابي على قوم فمنعوه فقال: اللهم أشغلنا بذكرك وأعدنا من سخطك وأولجنا^(١) إلى عفوك فقد ضنّ خلقك برزقك فلا تشغلنا بما عندهم عن طلب ما عندك وآتنا من الدنيا القنعان^(٢) وإن كان كثيرها يسخطك فلا خير فيما يسخطك. الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يدعو وهو يقول: اللهم اغفر لي إذا ألصحت منشورة، والتوبة مقبولة قبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينقطع الأمل، ويحضر الأجل ويفنى العمل، وقال: سمعت أعرابياً يدعو، وهو يقول: اللهم أرزقني مالاً أكبت به الأعداء، وبين أصول بهم على الأقوياء، وكان منادي سعد بن عباد يقول على أطمه: من أراد خبزاً ولحمًا فليأت أطم^(٣) سعد، وخلفه قيس بن سعد أبته، وكان يفعل كفعله فإذا أكل الناس رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إني لا أصلح على القليل ولا يصلح القليل لي اللهم هب لي حمداً ومجداً فإنه لا حمد إلا بفعل ولا مجد إلا بمال، وقال أعرابي: اللهم إن لك عليّ حقوقاً فتصدق بها عليّ وللناس عليّ حقوقاً فأدها عني وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعل قراي في هذه الليلة الجنة، وقف أعرابي على قوم يسألهم فأنشأ يقول:

[البسيط]

هل من فتى عنده خفان يحملني عليهما إنني شيخ على سقر
أشكو إلى الله أهوالاً أمارسها من الصّداق وأني سيئ البصر
إذا سرى القوم لم أبصر طريقهم إن لم يكن عندهم ضوء من القمر
الأخفش قال: خرج أعرابي يطلب الصدقة ومعه ابنتان له فقالت ابنته لما رأت إمساك الناس عنه:

[الرجز]

يا أيها الرّاكب ذو التعريس^(٤) هل فيكم من طارد للبوس
عن ذي هُداج^(٥) بين التقويس بفضل سربال له دريس^(٦)
أو فاضل من زاده خسيس أثابه الرحمن بالنفيس
ووقف سائل على الحسن فقال: رحم الله عبداً أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو أثر من قلة، وقال الطائي:

[الطويل]

فتى كلما فاضت عيون قبيلة دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر

(١) جاء في نسخة أخرى «جنبنا» ومعناها قاده إلى جنبه بدلاً من «أولجنا» بمعنى أدخلنا.

(٢) القنعان: القناعة. (٣) الأطم: القصر.

(٤) التعريس: نزول الركب للمبيت والراحة آخر الليل.

(٥) الهداج: مشية الشيخ المضطربة. (٦) الدريس: الخلق البالي.

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيْتَةً
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
وقال :

[الكامل]

نُورَ الْأَقَاحِ بِرَمْلَةٍ مِيعَاسٍ^(١)
بَحْلِيَّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ^(٢)
قَدْ خُولِطَ السَّاقِي بِهَا وَالْحَاسِي
سَمِيَتْ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسٍ
وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهَا وَقِيَاسِي
نَشَرَ الْخُزَامِي^(٥) فِي أَخْضَرَارِ الْأَسِ
فِي جِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَايَ إِيَّاسٍ
مَثَلًا شُرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

بِكُرٍّ إِذَا أَبْتَسَمْتَ أَرَاكَ وَمِيضُهَا
وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتُ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ مَا
قَالَتْ وَقَدْ حُمَّ^(٣) الْفِرَاقُ فَكَأْسُهُ
لَا تَنْسِينَ تِلْكَ الْعُهُودَ فَإِنَّمَا
هَدَأْتُ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هَمَّتِي
نُورُ الْعَرَارَةِ^(٤) نُورُهُ وَنَسِيْمُهُ
إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ

وقال :

[البسيط]

خَوَاطِرُ الْبَرْقِ إِلَّا دُونَ مَا ذَهَبَا
يَزْلُنَ يُؤْنِسُنَ فِي الْأَفَاقِ مُغْتَرِبَا
نَظْمَ الْقَوَافِي إِذَا مَا صَادَفْتُ أَدْبَا

إِحْفَظْ وَسَائِلَ شِعْرِ فَيْكَ مَا ذَهَبَتْ
يَغْدُونَ مُغْتَرِبَاتٍ فِي الْبِلَادِ فَمَا
وَلَا تُضْعِفْهَا فَمَا فِي الْأَرْضِ أَحْسَنُ مِنْ

أُسْرَ رُؤْبَةٍ فِي بَعْضِ حُرُوبِ تَمِيمٍ فَمُنِعَ الْكَلَامَ فَجَعَلَ يَصْرُخُ : يَا صَبَاحَاهُ وَيَا بَنِي
تَمِيمٍ أَطْلُقُوا مِنْ لِسَانِي ، وَرَبَّمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي هَجَائِهِ قَوْلًا لَا يَعْيبُ بِهِ أَلْمَهْجُوُّ فَيَمْتَنِعُ مِنْ
فَعْلِهِ أَلْمَهْجُوُّ وَإِنْ كَانَ لَا يِلْحَقُ فَاعِلُهُ ذَمًّا ، وَكَذَلِكَ إِذَا مَدَحَهُ شَيْءٌ أَوْلَعَ بِفَعْلِهِ وَإِنْ كَانَ لَا
يَصِيرُ إِلَيْهِ بِفَعْلِهِ مَدْحٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ تَقَدَّمَ كَلِمُ بِنْتِ سَرِيعٍ مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ حَرِثٍ إِلَى عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ ، وَهُوَ عَلَى قِضَاءِ الْكَوْفَةِ ، تَخَاصَمَ أَهْلُهَا فَقَضَى لَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى أَهْلِهَا
فَقَالَ هَذَا لِي الْأَشْجَعِي :

[الطويل]

عَلَى مَا أَدْعَى مِنْ صَامِتِ الْمَالِ^(٦) وَالْخَوْلِ^(٧)
شِفَاءً مِنَ الدَّاءِ الْمَخَامِرِ وَالْخَبْلِ
وَكَانَ وَلِيدٌ ذَا مَرَاءٍ وَذَا جَدَلٍ

أَتَاهُ وَلِيدٌ بِالشُّهُودِ يَقُودُهُمْ
وَجَاءَتْ إِلَيْهِ كَلْتُمْ وَكَلَامُهَا
فَأَذَلَّى وَلِيدٌ عِنْدَ ذَاكَ بِحَقِّهِ

(١) ميعاس : المشبعة بالمطر .

(٢) الوسواس : صوت الحلى وحديث النفس .

(٣) حمّ الفراق : قدر وحنان .

(٤) العرار : نبت طيب الرائحة .

(٥) الخزامى : نبت ذو زهر طيب الرائحة .

(٦) صامت المال : الذهب والفضة .

(٧) الخول : العبيد والخدم .

وكانَ لَهَا دَلٌّ وَعَيْنٌ كَحَيَلَةٍ
فَفَتَّنَتِ الْقَبِيطِيَّ حَتَّى قَضَى لَهَا
فَلَوْ كَانَ مَنْ بِالْقَصْرِ يَعْلَمُ عِلْمَهُ
لَهُ حِينَ يَقْضِي لِلنِّسَاءِ تَخَاوُصٌ ^(١)
إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلِمَتُهُ بِحَاجَةٍ
وَبَرَقَ عَيْنِيهِ وَلَا كِلْسَانَهُ

فَأَذَلَّتْ بِحُسْنِ الدَّلِّ مِنْهَا وَبِالْكَحْلِ
بِغَيْرِ قَضَاءِ اللَّهِ فِي السُّورِ الطُّوْلُ
لَمَّا اسْتُعْمِلَ الْقَبِيطِيُّ فِينَا عَلَى عَمَلٍ
وَكَانَ وَمَا فِيهِ التَّخَاوُصُ وَالْحَوْلُ
فَهُمْ بِأَنْ يَقْضِي تَنْحَنُحَ أَوْ سَعَلَ
يَرَى كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا شَخْصَهَا جَلَلُ

قال: فقال عبد الملك أخزاه الله لربما جاءني السعلة أو النحنة وأنا في المتوضأ فأذكر قوله فأردُّها لذلك، وزعم الهيثم بن عدي عن أشياخه أن الشاعر لما قال في شهر بن حوشب:

[الطويل]

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ
فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ
ما مس خريطة حتى مات، وقال رجل من بني تغلب، وكان ظريفاً: ما لقي أحد من تغلب ما لقيت أنا، قلت: وكيف ذاك؟ قال: قال الشاعر:

[الكامل]

لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً مِنْ تَغْلِبٍ
لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا
تَلْقَاهُمْ حُلَمَاءٌ عَنْ أَغْدَائِهِمْ
وَالْتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَنْحَنُحَ لِلْقَرَى
فَالزَّنَجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالاً
يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ يَزِنْ مِثْقَالاً
وَعَلَى الصَّدِيقِ تَرَاهُمْ جُهَالاً
حَكَ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالاً

والله إني لأتوهم أن لو نهشت أستي الأفاعي ما حككتها. وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب، وهم إليه أحوج لردِّه ماثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر، والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عمن هجاهم رغبةً بأنفسهم عن الردِّ عليهم، وهم في الإسلام جرير والفرزدق والأخطل وفي الجاهلية زهير وطرفة والأعشى والنابغة هذا قول أبي عبيدة، وزعم أبو عمرو بن العلاء أن الشعر فُتِحَ بأمرى القيس وخُتِمَ بذي الرمة، ومن الشعراء من يُحَكِّمُ الْقَرِيضَ وَلَا يُحَسِّنُ مِنَ الرِّجْزِ شَيْئاً، ففي الجاهلية منهم زهير والنابغة والأعشى، وأما من يجمعهما فأمرؤ القيس وله شيء من الرجز، وطرفة وله كمثل ذلك، ولبيد وقد أكثر، ومن الإسلاميين من لا يقدر على الرجز، وهو في ذلك يجيد القريض، كالفرزدق وجرير، ومن يجمعهما كأبي النجم

(١) التخواص: غرض شيء من البصر.

وحميد الأرقط وألعماني وبشار بن برد، وأقل من هؤلاء يحكم القصيد والأرجاز والخطب، وكان الكميت والبيث والطرماس شعراء خطباء، وكان البيث أخطبهم، وقال يونس: **إِنْ كَانَ مَغْلِبًا^(١) فِي الشَّعْرِ لَقَدْ كَانَ أَغْلَبَ فِي الْخُطْبِ، وَإِذَا قَالُوا: غَلَبَ فَهُوَ الْغَالِبُ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرِ الْأَسَدِيِّ:**

[الطويل]

فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حَفْرَةٍ
فَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَالنَّدَى
فَتَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
تَعَزَّأَ أبا الْعَبَّاسِ عَنْهُ وَلَا يَكُنْ
فَمَا مَاتَ مَنْ كُنْتَ أَبْنَاهُ لَا وَلَا الَّذِي
تَمَنَّى أَنَاسٌ شَاؤُهُ مِنْ ضَلَالِهِمْ

وقال مسلم الأنصاري يرثي يزيد بن يزيد:

[الكامل]

قَبْرٌ بِبَرْذَعَةٍ^(٢) اسْتَسَرَّ ضَرِيحُهُ
أَبْقَى الزَّمَانَ عَلَى مَعْدٍّ بَعْدَهُ
نَفَضْتُ بِكَ الْأَمَالَ أَحْلَاسَ الْغِنَى
فَأَذْهَبُ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ

وقال هاشم الرقاشي:

[البيط]

أَبْلِغْ أبا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً
قَدَّمْتُ قَبْلِي رَجَالًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
لَوْعَدَ قَبْرٍ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ
حَتَّى جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضْتُ
وقال الأبيرد الرياحي يرثي أخاه:

[الطويل]

فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَعْنَى تَخَرَّقَ^(٤) فِي الْغِنَى
وَسَامَى جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ فَنَالَهَا
تَرَى الْقَوْمَ فِي الْعِزِّاءِ^(٥) يَنْتَظِرُونَهُ

(٢) برذعة: اسم لبلد بأذربيجان.

(١) مغلباً: المغلوب مراراً.

(٣) جاء في نسخة أخرى «كعمر» بدلاً من «لعمري».

(٤) تخرق: توسع في الكرم.

(٥) العزاء: السنة الشديدة.

فليتك كُنتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيًا وَكُنْتُ أَنَا أَلْمِيتَ الَّذِي غِيبَ الْقَبْرُ
لَقَدْ كُنْتُ أَسْتَغْفِي إِلَاهَ إِذَا أَشْتَكَى مِنْ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
وَأَجْزَعُ أَنْ يَنَأَى بِهِ بَيْنَ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيْنَ صَارَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ

وقال أبو عبيدة أنشدني رجل من بني عجل :

[الطويل]

وَكُنْتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهُ
لَقَدْ رَحَلَ الْحَيُّ الْمُقِيمُ وَوَدَّعُوا فَتَى لَمْ يَكُنْ بِإِزَائِهِ ^(١) مَنْ يُنَازِلُهُ
وَلَمْ يَكْ يَخْشَى الْجَارُ مِنْهُ إِذَا دَنَا أَذَاهُ وَلَا يَخْشَى الْحَرِيمَةَ ^(٢) سَائِلُهُ
فَتَى كَانَ لِلْمَعْرُوفِ يَبْسُطُ كَفَّهُ إِذَا قَبِضَتْ كَفُّ الْبَخِيلِ وَنَائِلُهُ

قال: دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور فقارب في خطوه فقال المنصور: لقد كبرت سنُّك، قال: في طاعتك. قال: وإنك لجلدٌ، قال: على أعدائك، قال: وأرى فيك بقية، قال: هي لك، قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى عمرو بن سعيد الأشدق حين خرج عليه، أما بعد فإنَّ رحمتي لك تصرفني عن الغضب عليك لتمكّن الخدع منك وخذلان التوفيق إياك، نهضت بأسباب وهمتك أطماعك أن تستفيد بها عزاً كنت جديراً لو اعتدلت تصرفه وأستترت عنه عواقب أمره، وعن قليل يتبيّن من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك أنه أسير الغفلة وصريع خدع ومغيض ندم، والرحم تحمل على الصفح عنك ما لم تحلّل بك عواقب جهلك وتزجر عن الإيقاع بك، وأنت إن أردتعت كنت في كنف وستر والسلام، فكتب إليه عمر وأما بعد، فإنَّ أستاذراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة، زجرت عمّا واقعت مثله، وندبت إلى ما تركت سبيله، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطلاب ما أنتقل سلطان ولا ذلّ عزيز، وعن قليل تتبين من أسير الغفلة وصريع الخدع، والرحم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك عمّا غيرك أقوم به منك والسلام. قال أبو الحسن: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك: أما بعد فإنك كتبت تذكر أن عاملاً أخذ مالك بالحمية ^(٣) وتزعم أنني من الظالمين، وأن أظلم مني وأترك لعهد الله من أمرك صبيّاً سفيهاً على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له في ذلك نية إلا حبّ الوالد لولده، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله لأنّك، فأنت عمر بن الوليد وأمك صناجة ^(٤) تدخل دور حمص وتطوف في حوانيتها، رويدك أن لو قد التقت حلقتا البطان لحملتك وأهل بيتك على المحجة

(١) جاء في نسخة أخرى «يأذى» بدلاً من «إزائه». (٣) الحمية: الصون والمنع.

(٢) الحريمة: الحرمان. (٤) صناجة: مغنية.

البيضاء، فطالما ركبتم بنيات^(١) الطريق، مع أني قد هممت أن أبعث إليك من يحلق دلادلك^(٢) فإنني أعلم أنها من أعظم المصائب عليك والسلام، قال أبو الحسن: كان عبد الملك بن مروان شديد الأيقظة كثير التعاهد لولاته فبلغه أن عاملاً من عماله قبل هدية فأمر بإشخاصه إليه فلمّا دخل عليه قال له: أقبلت هدية منذ وليت؟ قال: يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيّتك على أفضل حال، قال: أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليت؟ قال: نعم، قال: لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم، ولئن أنلت مهديك لا من مالك أو أستكفيته ما لم يكن يستكفاه إنك لجائر خائن، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك وقبلت ما أنهمك به عند من أستكفك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك إنك لجاهل وما فيمن أتى أمراً لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مضطّع، نحاه عن عمله، قال أبو الحسن: عرض أعرابي لعتبة بن أبي سفيان. وهو على سكة فقال: أيها الخليفة، قال: لست به ولم تبع، قال: يا أخاه قال: أسمعته فقل، قال: شيخ من بني عامر يتقرّب إليك بالعمومة ويختص بالخولة ويشكو إليك كثرة العيال ووطء الزمان وشدة فقر وترادف ضرّ وعندك ما يسعه ويصرف عنه بؤسه، قال: أستغفر الله منك وأستعينه عليك، قد أمرت لك بغناك وليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك. وقال أعرابي يعيب قوماً هم أقل الناس ذنباً إلى أعدائهم وأكثرهم جرماً إلى أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء، وقال جماعة بن مرار لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله وكان المال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور، والأصمعي قال: نعت أعرابي رجلاً فقال: كأنّ الألسن والأقلوب ريضت له فما تنعقد إلا على وده ولا تنطق إلا بشائيه، وقال أعرابي: وعدّ الكريم نقذ وتعجيل ووعد اللئيم مطّل وتعليل. أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال: رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وأنتهت به الفاقة والله يسألك عن مقامي غداً، فبكى عمر، وقال الشاعر:

[الطويل]

ومن يُبقِ مالا عُدّةً وصيانةً فلا ألبخل مُبقيه ولا الدَّهرُ وافرُهُ
ومن يكُ ذا عودٍ صليبٍ يُعِدُّهُ ليكسرَ عودَ الدَّهرِ فالدَّهرُ كاسِرُهُ

وقال أبان بن الوليد: لإياس بن معاوية: أغنى منك، فقال إياس: بل أنا أغنى منك، قال أبان: وكيف ولي كذا وكذا وعدد أموالاً؟ قال: إن كسبك لا يفضل عن مؤنتك

(١) البنيات: الترهات.

(٢) الدلادل: تحريك الرأس وأعضاء الجسم أثناء المشي.

وكسبي يفضل عن مؤنتي . وكان يقال : حاجب الرجل عامله على عرضه ، وقال أبو الحسن : رأيتُ امرأةً أعرابيةً غمضت ميتاً وترحمت عليه ثم قالت : ما أحقُّ من البسِّ العافية وأطيلتْ له النظرةُ أن لا يعجز عن النظرِ لنفسه قبل الحلولِ بساحته والحيالة بينه وبين نفسه . وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لأبنه يزيد : أتقدمُ أبنيك على من هو خير منه ؟ قال : كأنك تريدُ نفسك إن بيته بمكة فوق بيتك ، قال ابن الزبير : إن الله رفع بالإسلام بيوتاً فبيتي ممّا رفع ، قال معاوية صدقتُ وبيت حاطب بن أبي بلتعة ، وقال : عاتب أعرابي أباه فقال : إنَّ عظيمَ حقِّك عليّ لا يُذهبُ صغيرَ حقي عليك والذي تمتُ^(١) إليّ به أمتٌ بمثله إليك ولستُ أزعم أنا سواءً ولكني أقول لا يحلُّ لك الاعتداء . قال ؛ مدح رجل قوماً فقال : أدبتهمُ الحُكْمُ وأحكمتهمُ التجاربُ ولم تغرهمُ السلامةُ المنطوية على الهلكة ورحل عنهمُ التسويف الذي قطع الناسُ به مسافةَ آجالهم فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال . وقال بعض الحكماء : التواضع مع السخافة والبخلُ أحمد عند العلماء من الكبر مع السخاء والأدب ، فأعظم بحسنة عفت^(٢) على سيئتين وأفظع بعبٍ أفسد من صاحبه حسنتين ، وقيل لرجل (أراه خالد بن صفوان) : مات صديق لك ، فقال رحمة الله عليه : لقد كان يملأ العينَ جمالاً والأذنَ بياناً ولقد كان يرجى فلا يُخشى ويُخشى فلا يغشى ويُعطى ولا يُعطى قليلاً لدى الشَّرِّ حضوره ، سليماً للصديق ضميره ، وقام أعرابي ليسأل فقال : أين الوجوه الصُّباحُ : والعقولُ الصُّباحُ ، والألسنُ الفِصاحُ ؟ والأنسابُ الصُّراحُ^(٣) ؟ والمكارمُ الرباحُ^(٤) ؟ والصدورُ الفِصاحُ ؟ تُعيذني من مقامي هذا ، ومدح بعضهم رجلاً فقال : ما كان أفسح صدره : وأبعد ذكره : وأعظم قدره وأنفذ أمره وأعلى شرفه : وأربح صفقة من عرفه ؛ مع سعة العناء ، وعظم الإناء ، وكرم الآباء ، وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - لصعصعة بن صوحان : واللّه ما علمتُك إلا أنك كثيرُ المعونة قليلُ المؤنة فجزاك الله خيراً ، فقال صعصعة ؛ وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك فإنك ما علمتَ باللهِ عليمٌ واللهُ في عينك عظيم . قال أبو الحسن : أوصى عبد الملك بن صالح أبناً له فقال : أي بُنيٍّ أحلم فإن من حلّم ساد ، ومن تفهم أزداد ، وألق أهل الخير فإن لقاءهم عمارة للقلوب ، ولا تجمع بك مطية اللجاج وفيك من أعتبك ، والصاحب المناسب لك ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، المزاح يورث الضغائن ، وحسن التدبير مع الكفاف خيرٌ من الكثير مع الإسراف ، والاقتصاد يُثمر القليل ، والإسراف يُبِير^(٥) الكثير ، ونعم الخط القناعة ، وشر ما صحب المرء الحسد ، وما كل

(١) تمت : تتوسل .

(٢) عفت على : ذهبت بـ .

(٣) الصراح : الخالص .

(٤) الرباح : التي تريح .

(٥) جاء في نسخة أخرى « يثير » بالثاء بمعنى يهلك بدلاً من « يبير » بمعنى يهلك أيضاً .

عورة^(١) تُصاب، وربما أبصر العمي رشده وأخطأ البصير قصده، واليأس خير من الطلب إلى الناس، وألعمقة مع الحرفة خير من ألغنى مع الفجور، أرفق في الطلب. وأجمل في المكسب، فإنه رُبَّ طلب، قد جر إلى حرب، ليس كل طالب بمنجح ولا كل ملح محتاج، والمغبون من غبن نصيبه من الله، عاتب من رجوت عتبه، وفاكه من أمنت بلواه، لا تكن مضحاكاً من غير عجب، ولا مشاءً إلى غير أرب، ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله، لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه إنما سعى في مضرتيه ونفعك، وعوذ نفسك السماح، وتخير لها من كل خلق أحسنه، فإن الخير عادة والشر لجاجة، والصدود آية المقت، والتعال آية البخل، ومن ألفقه كتمان السر، ولقاح المعرفة دراسة العلم، وطول التجارب زيادة في العقل، والقناعة راحة الأبدان، والشرف التقوى، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه، بالعقل تستخرج الحكمة، وبالحلم يستخرج غور العقل، ومن شمر في الأمور، ركب البحور، شر القول ما نقص بعضه بعضاً، ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقتة القريب، من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية، ومن توانى في نفسه ضاع، من أسرف في الأمور أنتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له، واللجاجة تورث الضياع للأمور، غب الأدب أحمد من ابتدائه، مبادرة الفهم تورث النسيان. سوء الاستماع يعقب العي. لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك. ولا تنصت لمن ينمي بحديثه إليك. البلادة للرجل هجنة^(٢). قل مالك إلا أستاثر. وقل عاجز إلا تأخر. الإحجام عن الأمر يورث العجز. والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ. سوء الطعمة^(٣) يفسد العزض. ويخلق الوجه ويمحق الدين. الهيبة قرين الحرمان والجسارة قرين الطفر. وفئك من أنصفك. وأخوك من عاتبك. وشريكك من وفى لك. وصفئك من أترك. أعدى الأعداء العقوق. إتباع الشهوة يورث الندامة. وفوت الفرصة يورث الحسرة. جميع أركان الأدب التاني للرفق. أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضاً. لا تساعد النساء فيملنك وأستبق من نفسك بقية فإنهن إن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يطلعن منك على أنكسار. لا تملك المرأة الشفاعة لغيرها فتميل من شفعت لها عليك معها. أي بني إنني قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق إلى الله في تأديبك فلا تغفلن الأخذ بأحسنها والعمل بها والله موفقك. قال الغنوي: احتضر رجل منّا فصاحت أبنته ففتح عينيه وهو يكيد^(٤) بنفسه فقال:

[الوافر]

عزاء لا أبالك إن شئياً تولى ليس يرجعه الحزين

(١) العورة: الخلل في الثغر.

(٢) الطعمة: طريقة الكسب والارتزاق.

(٣) الهجنة: العيب.

(٤) يكيد بنفسه: يجود بها.

وقال بعض الشعراء :

[الطويل]

وما إن قتلناهم بأكثر منهم ولكن بأوفى بالطعان وأكرم

المدائني قال : كان يُقال إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك . وقال عبد الملك بن صالح لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنما سعى في مضرتِه ونفعك . وقال مصعب بن الزبير : التواضع أحد مصائد الشرف . وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه إياك ومؤاخاة الأحمق فإنه رُبما أراد أن ينفعك فضرك . وكانوا يقولون : عشرة في عشرة هي فيهم أقبح منها في غيرهم الضيق في الملوك والغدر في ذوي الأحساب والحاجة في العلماء والكذب في القضاة والغضب في ذوي الألباب والسفاهة في الكهول والمرض في الأطباء والاستهزاء في أهل البؤس والفخر في أهل الفاقة والسُّخ في الأغنياء . ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : قد انتهى ضموره . وذبل فريره^(١) وظهر حصيره^(٢) . وتفلقت غروره^(٣) . واسترخت شاكلته^(٤) . يُقبلُ بزور^(٥) الأسد ويُدبرُ بعجز الذئب . ومات ابن لسليمان بن علي فجزع عليه جزعاً شديداً وأمتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يُعزونه فلا يحفل بذلك فدخل عليه يحيى بن منصور فقال : عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه ومنكم كان رسول الله ﷺ فأنتم أعرف بسنته ولست ممن يعلم من جهل ولا يقوم من عوج . ولكني أعزبك بيت من شعر . قال : هاتِه . قال :

[الطويل]

وهوَن ما ألقى من الوجد أنني أساكُنُه في دارِه اليومَ أو غدا

قال : أعد فاعاد . فقال : يا غلامُ الغداء . قال : دعا أعرابي في طريق مكة فقال : هل من عائد بفضل أو مواس من كفاف؟! فأمسك عنه فقال : اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع . قال أبو الحسن : جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس حين مات أبو جعفر فقال :

[الرجز]

قد طرقت^(٦) بنكرها بنتُ طبق^(٧)

فقال له يونس : ماذا؟ فقال :

فدمروها^(٨) خبراً ضخماً العُنُق

(١) الفرير : هو مكان المجسة من معرفة الفرس .

(٢) الحصير : هو عرق يمتد معترضاً على جانب الدابة إلى ناحية بطنها .

(٣) الغرور : هي في الفخذين كالأخاديد بين الحضائل .

(٤) الشاكلة : الخاصرة .

(٥) جاء في نسخة أخرى «بزيرة» ومعناها الشعر المجتمع على الكاهل بدلاً من «بزور» .

(٦) طرقت : خرج من ولدها نصفه .

(٧) بنت طبق : حبة صفراء .

(٨) دمروها : أدخل يده في حياثها ليعلم إذا كان جنيهاً ذكراً أو أنثى .

فقال يونس: وما هذا فقال:

مَوْتُ الْإِمَامِ فَلَقَّةٌ^(١) مِنْ الْفَلَقِ

قال أبو الحسن: أراد رجل أن يكذب بلالاً فقال له يوماً: يا بلال ما سنُّ فرسك؟ قال: عظم. قال: فكيف جريه؟ قال: يحضر ما أستطاع. قال: فأين ينزل؟ قال: موضِعاً أضع فيه رجلي: فقال له الرجل: لا أتعتك أبداً: قال: ودخل رجل على شريح القاضي يُخاصم امرأة له فقال: السلام عليكم. قال: وعليكم. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: بعيد سحيق. قال: وإني قد متُّ إلى بلدكم هذا. قال: خيرٌ مقدم. قال: وإني تزوجتُ امرأة. قال: بالرفاء والبنين. قال: وإنها ولدَتْ غلاماً. قال ليهنك الفارس: وقال وقد كنتُ شرطتُ لها صداقها قال: الشرط أملك. قال: وقد أردت الخروج بها إلى بلدي. قال: الرجل أحق بأهله. قال: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: وخرج الحجاج ذات يوم فأصحرَ وحضر غداؤه فقال: اطلبوا من يتغدّى معي. فطلبوا فإذا أعرابيٌّ في شملةٍ فأتي به. فقال السلام عليكم. قال: هلمَّ أيها الأعرابي. قال: قد دعاني من هو أكرمُ منك فأجبته. قال: ومن هو. قال: دعاني اللهُ ربي إلى الصوم، فأنا صائم. قال: وصومٌ في مثل هذا اليوم الحار. قال: صمتُ ليوم هو أحرُّ منه. قال: فأفطر ليوم وصمَّ غداً. قال: ويضمن الأميرُ أني أعيش إلى غد؟ قال: ليس ذاك إليه. قال: فكيف يسألني عاجلاً بآجلٍ ليس إليه؟ قال: إنه طعام طيب. قال ما طيبه خبازك ولا طبأحك. قال: من طيبه؟ قال: العافية. قال الحجاج: بالله إن رأيتُ كالיום أخرجوه. قال أبو عمرو: خرج صعصعةُ بنُ صوحانَ عائداً إلى مكَّةَ فلقيه رجل فقال له: يا عبد الله كيف تركت الأرض؟ قال عريضة أريضه^(٢). قال: إنَّما عنيتُ السماء. قال: فوق البشر ومدى البصر. قال: سبحان الله إنَّما أردتُ السحاب. قال: تحت الخضراء وفوق الغبراء. قال: إنَّما أعني المطر قال: قد عفا الأثر وملاً القتر^(٣) وبلل الوبَر ومُطرنا أخي المطر قال: إنسي أنت أم جني؟ قال: بل إنسي من أمة رجل مهدي - صلى الله تعالى عليه وسلم. وقال بشار:

وَحَمْدٌ كَبُرْدُ الْعَصْبِ^(٤) حَمَلْتُ صَاحِبِي إِلَى مَلِكٍ لِلصَّالِحِينَ قَرِينِ

وقال أيضاً:

[الطويل]

وَبِكْرِ كَنَوَارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَرَوْقُ بِوَجْهِهِ وَاصِحٍ وَقَوَامِ

وكتب الحجاج بن يوسفَ إلى عبد الملك بن مروان: أما بعدُ فإننا نخبرُ أميرَ

(٣) القتر: حفرة يحتفرها الصياد للاختباء فيها.

(٤) جاء في نسخة أخرى «كعصب البرد».

(١) الفلقة: الداهية.

(٢) الأريضة: الريانة.

الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَمْ يُصَبَّ أَرْضُنَا وَابِلٌ مِنْذُ كُتِبَتْ أَخْبَرَهُ عَنْ سَقِيَا اللَّهِ إِيَّانَا . إِلَّا مَا بَلَّ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنَ الطُّشِّ ^(١) وَالرَّشِّ وَالرِّذَاذِ حَتَّى دُقِعَتِ ^(٢) الْأَرْضُ وَأَقْشَعَرَّتْ ^(٣) وَأَغْبَرَتْ وَثَارَتْ فِي نَوَاحِيهَا أَعَاصِيرٌ تَذَرُو دَقَاقَ الْأَرْضِ مِنْ تَرَابِهَا وَأَمْسَكَ الْفَلَاحُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْأَرْضِ وَأَعْتَازَهَا ^(٤) وَأَمْتَنَاعَهَا ، وَأَرْضُنَا أَرْضٌ سَرِيعٌ تَغْيِيرُهَا وَشَيْكٌ تَنْكَرُهَا سَيِّئٌ ظَنُّ أَهْلِهَا عِنْدَ قَحْوَطِ الْمَطَرِ ، حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ بِالْقَبُولِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَثَارَتْ زَبْرَجًا ^(٥) مَتَقَطَعًا مَتَمَصَّرًا ^(٦) ، ثُمَّ أَعْقَبَتْهُ الشَّمَالُ يَوْمَ السَّبْتِ فَطَحَطَحَتْ ^(٧) عَنْهُ جِهَامَهُ ^(٨) وَأَلْقَتْ مَتَقَطَعَهُ وَجَمَعَتْ مَتَمَضْرَهُ . حَتَّى أَنْتَضَدَ فَاسْتَوَى وَطَمَا وَطَحَا وَكَانَ جَوْنًا مَرْتَعًا ^(٩) قَرِيبًا رَوَاعِدُهُ وَأَعْتَدَتْ عَوَائِدُهُ بَوَابِلَ مِنْهُمْ مَنْسَجِلٍ ^(١٠) يَرْدِفُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَلَّمَا أُرْدَفَ شَوْوَبٌ ^(١١) ارْتَدَفَتْهُ شَابِيبٌ لَشِدَّةٍ وَقَعَهُ فِي الْعِرَاصِ ^(١٢) ، وَكُتِبَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ تَرْمِي بِمِثْلِ قِطْعِ الْقَطَنِ قَدْ مَلَأَ الْيَبَابَ ^(١٣) وَسَدَّ الشُّعَابَ وَسَقَى مِنْهَا كُلَّ سَاقٍ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ غِيثَهُ وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ وَالسَّلَامُ . وَهَذَا أَبَقَاكَ اللَّهُ آخِرُ مَا الْفَنَاءُ مِنْ كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ غَيْرَ مُقْصِرِينَ فِيَمَا أَخْتَرْنَاهُ مِنْ صَنْعَتِهِ وَأُورَدْنَاهُ مِنْ تَأْلِيفِهِ فَإِنْ وَقَعَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أُرْدُنَا وَبِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَمْلُنَا فَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَحَسَنِ تَأْيِيدِهِ وَإِنْ وَقَعَ بِخِلَافِهَا فَمَا قَصَرْنَا فِي الْأَجْتِهَادِ ، وَلَكِنْ حُرِمْنَا التَّوْفِيقَ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) الطش: المطر الضعيف.

(٢) دقعت: يبست ولم يعد فيها نبات.

(٣) اقشعرت: تقبضت وانكمشت.

(٤) اعترازها: صلابتها.

(٥) الزبرج: السحاب الرقيق.

(٦) متمصراً: قليلاً.

(٧) طحطحته: فرقته.

(٨) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٩) المرتعن: السائل.

(١٠) المنسجل: المنصب.

(١١) الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(١٢) العراص: مفردة عرصة. فضاء الدار.

(١٣) اليباب: الخالي، القفر.

فهرس المحتويات

٤٠	ترجمة بشار بن برد
٤١	تقريظ العتابي
٤٢	تقريظ سهل بن هارون
	تفوق إياد وتميم على سائر العرب
٤٢	في الخطابة
٤٤	وصف الأحنف بن قيس
٤٦	أهمية الأسنان في عملية النطق
٤٨	مخرج الصاد
٤٨	دور النفس في عملية النطق
٤٩	تنافر الحروف المتقاربة المخارج
٥٠	مقياس جودة الشعر
٥٢	ما يتنافر من الحروف
	لدى الإنسان المقدرة على تقليد سائر
٥٢	الحيوانات
	بعض الأمم تنطق على سجيته ما شابه
٥٣	من حروفها
	ذكر من اشتهر بإبدال الحروف
٥٣	من الشعراء والبلغاء
٥٦	باب البيان
٥٦	معنى البيان
٥٦	ما قيل في البيان
٥٧	طرائق الإشارة ولغاتها
٥٨	معنى الصوت
٥٩	منزلة القول من أساليب التعبير
٦١	من مآثور الكلم

الجزء الأول

٥	مقدمة
٧	تقديم
١١	دعاء موسى
١٢	ما نزل في البيان من قرآن
١٣	أدب الضيافة عند العرب
١٤	اللسان أداة البيان
١٥	أمراض الكلام
١٥	ما يكره في الخطباء
١٦	معالجة لثغة الرء لدى واصل بن عطاء
١٧	ما تقع فيه اللثغة من الحروف
١٩	اختلاف لغات الأمصار
٢٠	ميل العامة إلى السهل من اللغات
	ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزال
٢١	ومن نفى ذلك عنه
	مدح واصل وتفضيله عمن سواه
٢٣	من الخطباء
٢٥	الرد على بشار وهجاؤه
٣٠	ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة
٣٢	حديث شيطان بني همام
٣٥	مفخرة بني إياد بالخطابة
٣٧	من اشتهر بالخطابة من الشعراء
	علاقة ود بين الطرماح والكميت رغم ما
	هما عليه بخلاف في المذهب ومن هم
٣٩	على شاكلتهما

- ٦٣ تعريف البلاغة عند الأمم
- ٦٥ حال أبي شمر أثناء الخطابة
- ٦٥ تعريف البلاغة عند الهنود
- ما امتاز به الرشيد على من سبقه من
- ٦٧ خلفاء بني أمية وبني العباس
- تعريف صُحار العبدي للبلاغة
- ٦٧ العربية
- باب من ذكر ناس من ألبغاء والخطباء
- ٦٩ والأبيناء والفقهاء والأمرء
- ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ
- ٦٩ والزلزل
- وصف ذكاء إياس بن معاوية
- ٧٠ أثر ترداد الكلام سيء في الأسماع
- ٧٢ فتمله
- وصف بلاغة جعفر بن يحيى
- ٧٣ بلاغة ثمامة بن أشرس
- ٧٦ تعريف البلاغة عند العتابي
- ٧٧ تعريف البلاغة عند عمرو بن عبيد
- ٧٧ تعريف البلاغة عند ابن المقفع
- ٧٨ في الإيجاز
- ٧٩ ما يتوجب من إطالة في خطبة النكاح
- ٨٠ تضمين الخطبة شيئاً من الشعر
- ٨٢ ما يمدح في الخطيب
- ٨٣ ما يمدح في الصوت جهارته
- ٨٦ ذكر من اشتهر بجهارة الصوت
- ٨٧ ذكر عيوب التشدق
- اكتشاف الخليل بن أحمد أوزان
- ٩٢ الشعر وتسميتها
- رأي الجاحظ بلغة الأعراب
- ٩٦ الفصيحة
- بسم الله الرحمن الرحيم
- ١٠٥ ١٠٧ ذكر ما قالوا في مديح اللسان
- بالشعر الموزون واللفظ الممتور ما جاء
- في الأثر وصح به الخبر أسباب تسمية
- ١٠٩ الأشهر عند العرب
- باب في ذكر اللسان
- ١١١ وباب آخر
- ١١٢ أثر الأمهات في أبنائهن
- ١١٥ باب الصمت
- ١٢٣ رأي نقدي في الشعر
- ١٢٨ باب من أقول في القوافي لأظاهرة
- واللفظ الموزج
- ١٣٢ «من ملتقطات كلام النساك»
- باب شعر وغير ذلك من الكلام، مما
- ١٣٢ يدخل في باب الخطب
- ١٣٧ وباب آخر
- ١٣٩ وباب آخر
- ١٤٢ باب آخر من الشعر مما قالوا في
- الخطب واللّسن والإمتداح به
- ١٤٤ والمديح عليه
- ذكر البغاء من المشوّهين ذوي
- ١٤٨ العاهات
- تذوق عمر بن الخطاب للشعر
- ١٤٩ ومعرفته به
- باب
- ١٥٢ باب في ذكر المعلمين
- ١٥٥ باب آخر
- ١٥٧ باب من الخطب القصار من خطب
- السلف ومواعظ النساك وتأديب
- ١٥٩ من تأديب العلماء
- ذكر ما جاء في الشغب من شعر
- ١٦٤ فصل الصمت
- ١٦٤

٢٠٤	ذكر خطباء بعض القبائل
٢٠٨	خطباء آل الأهتم
٢٠٨	التعريف برؤية وآله
٢٠٩	ذكر خطباء هذيل
	باب من أسماء الكُهان وأحكام
٢١٠	والخطباء والعلماء من قحطان
٢١٠	ذكر خطباء الأنصار
	باب ذكر النُسك والزُّهاد من أهل
٢١٢	ألبان
٢١٢	ذكر نساء اشتهرن بالبيان
٢١٣	ذكر القصاص
	باب ما قيل في المَخاصِر والعصبي
٢١٥	وغيرهما
٢١٧	ذكر من غلب عليه لقبه من الشعراء
	أسباب تفوق العرب على غيرهم
٢٢٢	من الأهم في الخطابة
	باب ما ذكروا فيه من أن أثر ألسيف
٢٢٥	يمحو أثر الكلام

الجزء الثاني

٢٣٩	مدلول الخطبة المتكاملة
٢٤١	طبقات الشعراء
٢٤٤	صفة بلاغة رسول الله ﷺ
٢٥٠	ذكر خلق رسول الله ﷺ
٢٥٢	أقوال متفرقة
	كلام أبي بكر لعمر رضي الله تعالى
٢٥٦	عنهما عند موته
٢٥٧	ما أوصى به عمر لخليفته من بعده
	رسالة عمر رضي الله تعالى عنه
	إلى أبي موسى الأشعري
٢٥٨	رضي الله تعالى عنه

	باب ما قالوا فيه من الحديث
	ألحسن الموجز المحذوف
١٦٩	القليل الفضول
١٧٤	باب آخر من الأسجاع في الكلام
	ذكر ما يمكن أن يكون موزوناً من
١٧٦	منثور الكلام
	ذكر دواعي استكراه النطق
١٧٦	بالأسجاع
١٨٠	باب أسجاع
	خطبة من خطب النبي صلى الله تعالى
١٨٣	عليه وسلم
١٨٣	النسابون عند العرب
	ذكر كلمات خطب بها سليمان
١٨٣	ابن عبد الملك
	باب أسماء الخطباء والبلغاء والأنبياء،
١٨٥	وذكر قبائلهم وأنسابهم
١٨٥	التعريف بالفضل بن عيسى
١٨٦	التعريف بقس بن ساعدة
١٨٦	التعريف بزيد بن علي بن الحسين
١٨٧	التعريف بهند بنت الخس
١٨٨	ذكر أسماء بعض مشاهير الخطباء
١٩٠	التعريف بسهيل بن عمرو
	ذكر من اشتهر في علم الأنساب
١٩٠	عند العرب
١٩٢	التعريف بأبي عمرو بن العلاء
١٩٤	التعريف بأبي الأسود الدؤلي
١٩٧	التعريف بعبد الله بن عباس
١٩٧	ذكر خطباء بني هاشم
	التعريف بخالد بن صفوان
٢٠١	الأهتمي
٢٠٢	ذكر خطباء الخوارج

خطبة زياد ٣٠٢	نماذج من خطب الإمام علي رضي الله
باب من اللغز في الجواب ٣٠٢	تعالى عنه ٢٥٩
باب أن يقول كل إنسان على قدر طبعه	خطبة عبد الله بن مسعود رضي الله
وخلقه ٣١٦	تعالى عنه ٢٦١
باب في صفة الرائد للغيث وفي نعته	خطبة عتبة بن غزوان الأسلمي بعد
للأرض ٣٠٥	فتح الأيلة ٢٦٢
شذرات في وصف النبات والماء ٣٠٦	خطبة من خطب معاوية بن أبي سفيان
الحض على تعلم السباحة ٣١٩	رضي الله تعالى عنهما ٢٦٢
أقوال بعض البلغاء في التعزية ٣٢٨	خطبة زياد بالبصرة البتراء ٢٦٣
ذكر لحن الوليد بن عبد الملك ٣٣١	وصف اللسان ٢٧٠
باب اللحن ٣٣٣	من أقوال الإمام علي بن أبي طالب
ذكر من سمع منه اللحن في القرآن	كرم الله وجهه ٢٧١
الكريم ٣٣٧	باب مزدوج الكلام ٢٨٩
باب التوكي ٣٤٠	من خطب عمر ابن عبد العزيز ٢٨٩
باب في ألي ٣٤٥	خطبة عمر بن عبد العزيز ٢٩١
باب من الكلام المحذوف ٣٦٧	خطبة أخرى ذهب عني إسنادها ٢٩١
خطبة للحجاج ٣٨١	خطبة أبي حمزة الخارجي ٢٩١
مزايا عقيل بن أبي طالب ٣٨٩	خطبة قطري بن الفجاءة ٢٩٣
باب من الشعر فيه تشبيه أشيء	خطبة محمد بن سليمان يوم الجمعة
بشيء ٣٩١	وكان لا يغيرها ٢٩٥
من نوادر الأعراب ٣٩٣	خطبة عبید الله بن زياد ٢٩٥
ما قيل في الشيب ٣٩٣	خطبة معاوية ٢٩٥
كلام بعض المتكلمين من الخطباء ٣٩٤	خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي ٢٩٦
باب من أبله الذي يعتري من قبل	خطبة الأحنف بن قيس ٢٩٧
العبادة وترك التعرض للتجارب ... ٤٠١	خطبة جامع المحاربي ٢٩٧
	خطبة كلثوم بن عمرو ٢٩٩
	خطبة يزيد بن الوليد ٢٩٩
	خطبة يوسف بن عمر ٣٠٠
	كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة
	والأحنف بن قيس عند عمر ٣٠٠
	خطبة الحجاج بعد دير أجماجم ٣٠١

الجزء الثالث

هذا كتاب العصا ٤١٣
ذكر بعض عادات العرب في القسم
والخطابة ٤١٤
البعث أخطب شعراء بني تميم ٤١٦

- رأى الشعوبية بأدوات الخطابة عند
العرب ٤١٦
الخطابة فن شائع عند سائر الأمم ٤١٧
قوة البديهة عند العرب في الخطابة ... ٤٢٥
شك الجاحظ بما ينسب للفرس القدماء
من خطب ٤٢٦
نقد الشعوبية ٤٢٦
اتخاذ العصا في الخطابة عادة سامية
قديمة ٤٢٧
ذكر من اشتهر بلبس العمامة من العرب ٤٦٢
ذكر ما جاء في الحديث عن النعل عند
العرب ٤٦٧
ثم رجع الكلام إلى القول في العصا .. ٤٧١
ذكر ما تلبس كل طبقة من طبقات
المجتمع العباسي ٤٧١
كتاب الزهد ٤٧٧
من أقوال الحسن البصري ٤٧٩
من أقوال الخليفة عمر بن الخطاب ... ٤٨٢
باب ٤٩٨
تأملات في الحياة والموت ٤٩٨
وصف مسلمة بن عبد الملك ٥٠٦
من شعر محمود الوراق ٥١٠
أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر ٥١٤
هذه رسالة إبراهيم بن سيابة إلى يحيى
ابن خالد بن برمك ٥٢١
ذكر ما قالوا في المهالبة ٥٣٠
ذكر حروف من الأدب من حديث بني
مروان وغيرهم ٥٣٣
ومما يكتب في باب العصا ٥٣٤
ومما يزداد في باب ذكر العصا ٥٣٨
ومن خطباء الخوارج ٥٤٦
ترجمة قطري بن الفجاءة ٥٤٦
ومن خطباء الخوارج ٥٤٦
كلام في الأدب ٥٤٨
ما قيل في التعازي ٥٥٤
دعاء الغنوي في حبسه ٥٥٦
ومن دعائه في الحبس ٥٥٦
رأي الجاحظ بأن أول من نطق
بالعربية إسماعيل بن إبراهيم ،
عليهما السلام ٥٥٧
ذكر ما حصل في سقيفة بني ساعدة
بعد وفاة رسول الله ﷺ ٥٥٩
ما جاء في شعر الخمرة ٥٨١
التعريف بأبي جعفر المنصور ٥٩٢
وصف كتاب الإمامة للجاحظ ٥٩٥
ذكر بقية كلام النوكتي والموسوسين
والجفأة والأغبياء وما ضارح ذلك
وشاكله ٥٩٨
أثر الهجاء في القبائل المهجوة ٦١١
كلام بعض من عزى بعض الملوك ٦٣٠